

جواهر الأدب

في

أدبيات وإنشاء لغة العرب

تأليف
المرحوم السيد أحمد الهاشمي

مدير مدارس فؤاد الأول
ومراقب مدارس فيكتوريا سابقا

الجزء الأول

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى
بمصر ص ب ٥٧٨

مسجل بالمحاكم المختلطة وبرخصة وزارة الداخلية الجليلة
والإعادة وحقوق الطبع محفوظة لحضرة مؤلفه وولده
الطبعة السابعة والعشرون سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

قرظت على طبعه مشيخة الأزهر الشريف
وقرظه أيضا كثير من فضلاء وزارة التربية والتعليم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

أَحلى ما سَجَعْتُ به بِلابلُ الأَقلامِ ، وَأَعلى ما انتظمت فيه عقودُ البلاغةِ
والإنسِجامِ ، وَأَشهى ما ينعتُ به (جَوَاهِرُ الأَدبِ) حمدُ مولانا الذى شَرَّفَ
لغة العربِ ، وأرسل لنا نَبِيًّا عَرَبِيًّا مَنْزَهًا عن جميعِ الرِّيبِ ، سيدنا محمدًا
صلى اللهُ عليه وعلى آلهِ وَمَنْ صَحَبَ .

(أَمَّا بَعْدُ) فهذا كتابُ سَمِيئَتُهُ «جَوَاهِرُ الأَدبِ» ، فى أدبياتٍ وإنشاءٍ لغةِ
العربِ «أودعته ما وقع عليه اختيارى ، لا من نثرى وأشعارى ، فليس لى فى
تأليفه من الافتخار ، أَكثَرُ من الاختيار ، واختيار المرءِ قِطْعَةً من عقله ، تدلُّ
على تخلفِهِ وفضله . وفضيلة هذا التأليفِ هى جمع ما افترق ، مما تَنَاسَبَ
وَأَتَّسَقَ ، واختيار عيون ، وترتيب فنون ، من أحاديثِ نبوية ، ومكاتباتِ
أدبية ، وحكمِ باهرة ، وأبياتٍ نادرة ، وأمثالٍ شاردة ، وأخبارِ واردة ، ووصايا
نافعة ، ومواعظِ جامعة ، ومناظراتِ مستظرفة ، ومقاماتِ مستظرفة ، وأوصافِ
عَلِيَّةٍ ، وخطبِ اجتماعية ، لينتفع به مُقْتَنِيهِ ، ويستغنى عن غيره الرَّاغِبُ فيه ،
إذ كان أَحْسَنَ من الزهر والرياض ، والحداثق والغياض ، والزبرجد والمرجان ،
والدُرِّ والعقيان ، والأكاليل والتيجان ، والنزه والبستان ، إن دُعِيَ أَسْرَع ، وإن
تحدث أمتع ، وإن سُئِلَ أَجَاب ، وإن حكم أَصاب ، جليس لصاحبه فى الحضر
وأنيس له فى السفر ، نديم ظريف ، وسمير حصيف ، بالغتُ فى تهذيبه ،
وبذلتُ مجهودًا فى حسن ترتيبه ، وأَجَزْتُ التُّحْفَةَ ، وانتقيت الطرفة ؛
وبالله نستعين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المؤلف

السيد أحمد الهاشمي

تقريظ

وتقدير العلماء والعظماء لكتاب جواهر الأدب

١ - كتب إلي صاحب الفضيلة أستاذي الأكبر شيخ الأزهر الشيخ

حسونة النواوى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذى علّم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ،
والصلاة والسلام على أفصح العرب ، وعلى آله وصحبه الذين انتهجوا منهج الأدب .
أما بعد ، فقد اطلعت على الكتاب المسمى « بجواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء
لغة العرب » لمؤلفه الأملعى ولدنا الأستاذ الفاضل السيد أحمد الهاشمى ، فألفيته
مشملاً على فن الإنشاء والأمثال وافيةً بالمقصود ، واسع المجال ، صحيح العبارة ،
واضح الإشارة ، نافعاً فى بابيه ، مفيداً لمطالعيه وطلابه ؛ نفع الله به وبمؤلفه
ومجبيه بجاه نبيه وآله وصحبه وتابعيه .

٢ - وكتب إلي أستاذي الإمام الحكيم فيلسوف الشرق المرحوم الشيخ

محمد عبده مفتى الديار المصرية :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن
عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه فوالاه . وبعد ، فقد اطلعت على مجموع
كتاب « جواهر الأدب » المنتخب من حقائق العرب ، فإذا هو مجموعة لا
يأس بها ، وافيةً بما تريده الطلبة من الكتابة ووسائلها :

كما أزهرت روضات حسن وأثمرت فأضحت وعُجِم الطير فيها تغرُد
فقد جمع لهم من عيون الكلام وروائع اللفظ ما يحتذون حذوه ، وينسجون على
منواله ، حتى لا تستعصى عليهم الكتابة بل يسلس لهم قيادها ، ويُعيد أن يصل
من يحاول صناعة الإنشاء إلى ما يرضى منه بدون أن يرد الطرف فى كثير من
كلام الفصحاء ، ويرد من مناهله كل عذب صاف ، ويحيط بشئ عظيم من

أساليب الكتاب حتى يتشبع من كلامهم ، وتنطبع فيه صورة من مجموع صورهم ولم يكن فيما بين أيديهم من الكتب ما يفي لهم بهذا الغرض ، حتى وُفقَ حضرة ولدنا الأستاذ الهاشمي لسد هذه الثلمة بما كابدته من التعليم زمناً كبيراً . ولا بدع فخير الأطباء من عرف حقيقة الداء ، فيصف له أنجع الدواء ، ولقد عرف هذا الأستاذ العصامي حاجة العصر وناشتته إلى كتاب موضوع على أسلوب عصري يلائم أذواق بني العصر من معلمين ومتعلمين ، فإذا حاول أهل العلم والتعظيم أن يشكروا له صنيعه فقد حاولوا عظيماً وطلبوا خطيراً ، وحسب العامل أن يقوم بشكره عمله ، فالعمل أعرف شئاً بجميل عامله ، وفقنا الله وإياه لما يُحِبُّه ويرضاه ، وأسأله أن ينفع به الطلاب ، ويجزل فيه الثواب .

٣ - وكتب شيخ الإسلام صاحب الفضيلة أستاذي الأكبر المرحوم الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي أنشأ العالم على أبداع مثال ، ونظم أحواله بمعارف أرباب العلوم حتى بلغ حد الكمال ، ونشر عجائب المعارف في أرجائه ، وغرائب العوارف في أنحائه ، والصلاة والسلام على ينبوع العلم وجواهر الأدب سيدنا ونبينا محمد أشرف مخلوق في العجم والعرب ، وعلى آله وصحبه ذوى المناصب والرتب . أما بعد ، فقد تناولت كتاب « جواهر الأدب في إنشاء لغة العرب » كما تناول الكتاب المرقوم ، وفضضته كما يفيض الرحيق المختوم ، واطلعت عليه فوجدته حوى من المباني أدقها ، ومن المعاني أرقها ، ومن النثر أعلاه ، ومن النظم أحلاه ؛ ارتحت لعيانه ، واهتززت لعنوانه ، إذ قد جمع فيه الأجناس ومما لا يستحيل الانعكاس ما أدهش قاطبة الناس ؛ فلو شامه « البهائي » قبل تأليف « مخلاته وكشكوله » لاعترف لهذا المؤلف وارعوى من فضوله ، وهو حضرة العالم الهمام اللوذعي ، الإمام ولدنا السيد أحمد الهاشمي ، أكثر الله من أمثاله ، بجاه النبي وآله .

٤ - وكتب إلى فضيلة أستاذي المرحوم الشيخ حمزة فتح الله المفتش الأول بوزارة المعارف العمومية :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أي بنى الجهد التحرير والقد العبقري « السيد أحمد الهاشمي » قد تصفحت مجموعتك المختارة التي سميتها « جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب » فإذا هي دائرة معارف كبرى لا يستغنى عنها أديب ، كلها صحاح وعلم صراح :

وما عسى أن يقال في وصف صحاح الجوهري إلى ورثي إنه لكتاب صرح على المخض زبده ، وأسفر عن الأدب ، فلم تتلفح بفضل مئزرها دعد ، وانفردت سطوره عن فضل اختيار ، وتعري ليل عن بياض نهار ، جللاه الفرناس ، على صفحات القرطاس .

اختار في كتابه هذا من منتخبات الكتاب والشعراء ما يشفي الغلة ، ويروي الصدى ، ولقد أتى فيما انتقاه لكتابه الثمين بيوت الكلام من أبوابها ، وميز أبكارها من أترابها ، وأهدى إلى هولاء الشادين كلاماً يلطف كالهواء رقة ، ويسيل كالماء عذوبة ، يمتزج بالنفوس لنفاسته ، ويشرب بالقلوب لسلاسته : أحاديث لو صيغت لألهمت بحسنها عن الوشي أو شمت لأغنت عن المسك وبعد ، فإن سنن مؤلفك العظيم القويم ، ما منى بشين ، فخشيت عليه العين ، وما أطيب الخزامي في قول بعض القدامى :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العين
كيف لا ، وقد عرفنا هذا المؤلف النابغة كاتباً مجيداً يفل الحز ، ويطبق
المفصل ، له حلي من البلاغة يتقلدها فيكاد السحر يحسدها ، يدل عليه بيانه
كما يدل على الجواد عنانه ، فمن عرفه فقد اكتفى ، ومن قصر فلينشد :

قد عرفناك باختيارك إذ كان دليلاً على اللبيب اختياره
فما أجدر كتابه أن يختص بسرعة المجال في المجالس ، وخفة المدار في المدارس

بل إن (هذا الكتاب يهـدى التي هي أقوم) جزى الله مولفه خير الجزاء وأثابه أحسن المثوبة ، وأكثر في الأمة من أمثاله ، لتبلغ من حسن القول والفعل غاية الكمال .

٥ - وكتب إلى صديقى المرحوم حسن أفندى توفيق العدل المدرس بكلية كمبردج - بانجلترا :

عزيزى حضرة الأستاذ الفاضل السيد أحمد الهاشمى

تشرفت بكتابك المسمى « جواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء لغة العرب » فوجدت بين اسمه ومسماه مناسبة اقتضاها طبعك السليم ، واتصالاً قريباً كاتصال الصديق الحميم ؛ فما أنفـس فرائده ، وأثمن فوائده ، وأفصح مقالـه ، وأفصح مجاله . صدر هذا الكتاب عن علم سابق ، وفكر ثاقب ، وذهن رائق ، ونفس صادق ، ورؤية ملأت تصانيفها المغرب والمشارك ؛ فأكرم به من كتاب « جواهر » تكونت من ألفاظ. عذاب ، ومواهب لا تدرك بيد اكتساب ، فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب . إذا تدبره الأديب أغنته تلك الأفانين عن نغمات القوانين ، وإذا تأمله الأريب نزه طرفه رياض البساتين ، قد سور على كل فن من البديع باب ، لا يدخله إلا من خصص من البلاغة باللباب ، والله تعالى يؤتـيه الحكمة وفصل الخطاب .

حسن توفيق العدل

المدرس بمدرسة المعلمين الناصرية بنظارة المعارف العمومية

وقال صاحب الدولة المرحوم سعد باشا زغلول مخاطباً لى :

كتابك هذا يا أستاذ « فضل ونعمة » ، « ذلك فضل الله يؤتـيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

وإنه لدائرة معارف أدبية كبرى ، وأنفس كتاب ألف فى اللغة العربية وتاريخ آدابها ، صدر عن تجربة وحكمة « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » .

سعد زغلول

اليك معشر الكتاب

أما بعد - حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرمين ، أصنافاً وإن كانوا في الحقيقة سواء ، وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات إلى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم . فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب والمروءة والعلم والرواية بكم تنتظم للخلافة محاسنها ، وتستقيم أمورها ، وينصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ويعمر بلدانهم . لا يستغنى الملك عنكم ، ولا يوجد كافٍ إلا منكم . فموقعكم من الملوك موقعُ أسماهم التي بها يسمعون ، وأبصارهم التي بها يبصرون ، وألسنتهم التي بها ينطقون ، وأيديهم التي بها يببطنون (١) ، فامتكم (٢) الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه (٣) من النعمة عليكم ، وليس أحدٌ من أهل الصناعات كلها أحوج إلى اجتماع خِلال الخير المحمودة وخِصال الفضل المذكورة المدودة منكم .

أيها الكتاب : إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم ، فإن الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أمره أن يكون حليماً في موضع الحلم فهيماً في موضع الحكم ، مقدماً في موضع الإقدام محجماً في موضع الإحجام (٤) ، مؤثراً (٥) للعفاف والعدل والإنصاف ، كئوماً للأسرار ، وفياً عند الشدائد ، علماً بما يأتي من التوازل ، يضع الأمور مواضعها

(٣) أفاضه

(٢) أبقاكم

(١) يدافعون

(٥) مختاراً له

(٤) التأخر

وَالطَّوَارِقَ أَمَا كُنْهَا . قَدْ نَظَرَ فِي كُلِّ فَنٍ مِنْ فَنُونِ الْعِلْمِ فَأَحْكَمَهُ فَإِنْ لَمْ يُحْكَمْهُ
أَخَذَ مِنْهُ بِمِقْدَارِ مَا يَكْتَفِي بِهِ ، يَعْرِفُ بِغَرِيزَةِ عَقْلِهِ وَحَسَنِ أَدَبِهِ وَفَضْلِ تَجْرِبَتِهِ
مَا يَرِدُ عَلَيْهِ قَبْلَ وِرْوَدِهِ ، وَعَاقِبَةُ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ قَبْلَ صُدُورِهِ ، فَيَعُدُّ لِكُلِّ
أَمْرٍ عُدَّتَهُ (١) وَعَتَادَهُ (٢) وَيَهَيِّئُ لِكُلِّ وَجْهِ هَيْئَتَهُ وَعَادَتَهُ .

فَتَنَافَسُوا يَا مَعْشَرَ الْكُتَّابِ صَنُوفَ الْآدَابِ ، وَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَابْدَعُوا
بِعِلْمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفَرَائِضِ ثُمَّ الْعَرَبِيَّةِ ، فَإِنَّهَا ثِقَافٌ (٣) أَلَسْتُمْ ، ثُمَّ
أَجِيدُوا الْخَطَّ . فَإِنَّهُ حَلِيَّةٌ كُتُبِكُمْ ، وَارْوُوا الْأَشْعَارَ وَاعْرِفُوا غَرِيبَهَا وَمَعَانِيَهَا وَأَيَّامَ
الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَأَحَادِيثَهَا وَسِيرَهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَعِينٌ لَكُمْ مَا تَسْمُو إِلَيْهِ هَمَمَكُمْ ،
وَلَا تُضَيِّعُوا النَّظَرَ فِي الْحِسَابِ فَإِنَّهُ قَوَامٌ (٤) كُتَّابِ الْخِرَاجِ ، وَارْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ
عَنِ الْمَطَامِعِ سَنِيئَهَا (٥) وَدُنْيَيْهَا ، وَسِنْفِاسِ (٦) الْأُمُورِ وَمَحَاقِرِهَا فَإِنَّهَا مَذَلَّةٌ لِلرَّقَابِ
مُفْسِدَةٌ لِلْكِتَابِ ، وَنَزَّهُوا صِنَاعَتَكُمْ عَنِ الدَّنَاءَةِ وَارْبِأُوا (٧) بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السُّعَايَةِ
وَالنَّمِيمَةِ وَمَا فِيهِ أَهْلُ الْجَهَالَاتِ . وَإِيَّاكُمْ وَالْكِبِيرَ وَالصَّلْفَ وَالْعِظْمَةَ فَإِنَّهَا عِدَاوَةٌ
مُجْتَلِبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِحْنَةٍ (٨) وَتَحَابُّوا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صِنَاعَتِكُمْ وَتَوَاصَوْا عَلَيْهِ بِالَّذِي
هُوَ أَلْيَقٌ بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالنُّبُلِ (٩) مِنْ سَلْفِكُمْ ، وَإِنْ نَبَأَ (١٠) الزَّمَانَ بِرَجُلٍ
مِنْكُمْ فَاعْطَفُوا عَلَيْهِ وَوَأَسُوهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ حَالَهُ ، وَيُثَوِّبَ (١١) إِلَيْهِ أَمْرَهُ ، وَإِنْ أَقْعَدَ
أَحَدًا مِنْكُمْ الْكِبِيرَ عَنْ مَكْسَبِهِ وَلِقَاءِ إِخْوَانِهِ فَزُورُوهُ وَعَظِّمُوهُ وَشَاوِرُوهُ وَاسْتَظْهِرُوا
بِفَضْلِ تَجْرِبَتِهِ وَقَدِيمِ مَعْرِفَتِهِ ، وَلِيَكُنَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى مَنْ اصْطَنَعَهُ وَاسْتَظْهِرَ بِهِ
لِيَوْمِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ أَحْفَظَ . مِنْهُ عَلَى وَلَدِهِ وَأَخِيهِ ، فَإِنْ عَرَضَتْ فِي الشُّغْلِ مُحَمَّدَةٌ فَلَا
يَصْرِفُهَا إِلَّا إِلَى صَاحِبِهِ ، وَإِنْ عَرَضَتْ مَذْمُومَةٌ فَيَحْمِلُهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ ، وَلِيَحْذَرَ

(١) ما أعددته لحوادث الدهر (٢) العدة (٣) تعديلهما (٤) نظام

(٥) رفعها (٦) الرديء من كل شيء (٧) أعرضوا وفروا

(٨) اضمار حقد (٩) الرفعة والسمو (١٠) قصر ونفر (١١) يرجع

المسقطه والزلة والملل عند تغير الحال ، فإن العيب إليكم معشر الكتاب أسرع منه إلى الفِرَاء (١) وهو لكم أفسد منه لها ، فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبه الرجل يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره ، واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سيره وتدبير أمره ما هو جزاء لحقه ، ويصدق ذلك فعله له عند الحاجة إليه والاضطرار إلى ما لديه ، فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم في حالي الشدة والرشاء والحرمان والمواساة والإحسان والسراء (٢) والضراء ، فنعمت الشيمة هذه لمن وُسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة المنيفة .

وإذا ولى الرجل منكم أو صير إليه من أمر خلق الله أمرٌ فليرقب الله عز وجل وليوثر طاعته وليكن على الضعيف رقيقاً وللمظلوم منصفاً ، فإن الخلق عيال الله وأحبهم إليه أرفقهم بعياله ، ثم ليكن بالعدل حاكماً ، وللأشراف مكرماً ، وللفقير مؤقراً ، وللبلاد عامراً ، وللرعية متألماً ، وعن أذاهم متخلفاً ، وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً ، وفي سجلات خراجه واستقصاء حقوقه دقيقاً ، وإذا صحب أحدكم رجلاً فليختبر خلائقه ، فإذا عرف حسنها وقبيحها أعانه على ما يوافق من الحسن ، واحتال على صرفه عما يهواه من القبيح بأطف حيلة وأجمل وسيلة ، وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفة أخلاقها ، فإن كانت رموحاً لم يهجهها إذا ركبها ، وإن كانت شبوباً اتقأها من بين يديها ، وإن خاف منها شروداً توقأها من ناحية رأسها ، وإن كانت حرزناً قمع هواها برفق في طريقها (٣) فإن استمرت عطفها يسيراً فيسلس (٤) له قيادها ، وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم .

(١) الجلد ، لأنه سريع العطب

(٢) الغنيمة والخراج

(٣) في مرة من المرات

(٤) وفي نسخة يسلس أى ينقاد ويسهل

والكاتب بفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاول من الناس وينظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق بصاحبه ، ومداراته وتقويم أوديه من سائس البهيمه التي لا تفقه جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاباً إلا بقدر ما يُصيرها إليه صاحبها الراكب عليها ؛ ألا فأمعِنُوا رَحْمَكُم اللهُ في النظر ، واعملوا فيه ما أمكنكم من الرُّويَّة والفكر تأمنوا بإذن الله ممن صحبتُمُوهُ النَّبُوَّةُ (١) والاستثقال والجفوة ويصير منكم إلى الموافقة وتَصِيرُوا منه إلى المؤاخاة والشفقة إن شاء الله .

ولا يُجَاوِزَنَّ الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه ، فإنكم مع ما فضلكم به الله من شرف صنعتكم خَدَمَةٌ لا تُحْمَلُونَ في خدمتكم على التقصير ، وحَفَظَةٌ لا تحتل منكم أفعال التَّضْيِيع والتبذير . واستعينوا على أفعالكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم ، واحذروا متالف السَّرْفِ وسوء عاقبة الترف (٢) فإنهما يُعْقِبَانِ الفقر ويذلَّانِ الرقاب ويفضحان أهلها ولا سِيماً الكُتَّابَ وأرباب الآداب وللأمور أشباهُ وبعضها دليلٌ على بعض فاستدلوا على مُؤْتَنَفِ (٣) أعمالكم بما سبقت إليه تجربتكم ، ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها مَحَجَّةً وأصدقها حُجَّةً وأحمدها عاقبة ، واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ علمه ورؤيته ، فليقصد الرجل في مجلسه قصد الكافي من منطقته ، وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حُججه ، فإن ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل من إكثاره .

وليضرع إلى الله في صلة توفيقه وإمداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط. المضر ببدنه وعقله وأدبه ، فإنه إن ظن منكم ظانٌّ أو قال قائل إن الذي برز من جميل

صنعته وقوة حركته إنما هو بفضل خيلته وحسن تدبيره ، فقد تعرض بظنه أو مقالته إلى أن يكله الله عز وجل إلى نفسه فيصيرُ منها إلى غير كاف ، وذلك على من تأملهُ غيرُ خافٍ .

ولا يقلُّ أحدٌ منكم إنه أبصر بالأمور ، وأحمل لعبء التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته ، فإن أعقل الرجلين عند ذوى الألباب من رمى بالعجب وراء ظهره ، ورأى أن صاحبه أعقلُ منه وأجملُ في طريقته .

وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله عليه جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تركية لنفسه ولا تكاثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيرته . وحمدُ الله واجب على الجميع ، وذلك بالتواضع لعظمته ، والتذلل لعزته ، والتحدث بنعمته .

وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل « مَنْ تَلَزَمَهُ النَّصِيحَةُ يَلْزِمَهُ الْعَمَلُ » وهو « جواهر » هذا الكتاب وغُرّة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله جلّ جلاله ، فلذلك جعلته آخره وتممته به ، تَوَلَّانا اللهُ وإياكم يامعشر الكتّبة بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده ، فإن ذلك إليه وبيده ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . (عبد الحميد الكاتب المتوفى سنة ١٣٢ هـ (١))

(١) هو عبد الحميد بن يحيى العامرى ، كاتب دولة مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين - قتله السفاح ١٣٢ هـ .

تمهيد في مبادئ علم الأدب

الأدب عبارة عن معرفة ما يُحترز به من جميع أنواع الخطأ وهو قسبان : طبعي كسبي ؛ فالطبعي ما فُطِرَ عليه الإنسان من الأخلاق الحسنة والصفات المحمودة كالكرم والحلم . والكسبي ما اكتسبه بالدرس والحفظ . والنظر ، وهو المقصود لنا في هذا الكتاب ، وحينئذ يعرف بأنه علم صناعي تُعرف به أساليب الكلام البليغ في كل حال من أحواله ، وهو المدعو « علم الأدب » ، وموضوعه الكلام المنظوم والمنثور من حيث فصاحته وبلاغته . وغايته الإجابة في فنيّ المنظوم والمنثور على أساليب العرب ، وتهذيب العقل وتذكية الجذآن .

وفائده : أنه يعصم صاحبه من زلّة الجهل ، وأنه يُروّض الأخلاق ويلين الطباع ، وأنه يعين على المروءة ، وينهض بالهمم إلى طلب المعالي والأُمور الشريفة . وأركانها أربعة ، الأول : قوى العقل الغريزية ، وهي خمسة : الذكاء (١) والخيال (٢) . والحفاضة (٣) ، والحس (٤) ، والدُّوق (٥) . الثاني : معرفة الأصول وهي مجموع قوانين الكتابة ، وفيها طرق حسن التأليف وضروب الإنشاء وفنون الخطابة .

(١) الاستعداد التام لادراك العاوم والمعارف بالفكر وفي كتب اللغة الذكاء عبارة عن حدة الفؤاد وسرعة الفطنة (٢) باطنة تحفظ صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة وهو من أكبر أسباب النجاح في فن الكتابة (٣) قوة من شأنها حفظ ما يدركه العقل من المعاني فتذكره عند الحاجة ولذلك سميت ذاكرة (٤) قوة يتأثر بها الإنسان من صور المدركات كالذة والالام وهو من شروط الكتابة إذ يعين الكاتب مما يحدث فيه من التأثير على رسم صور المحسوسات رسماً محكماً فيقتدر إذ ذاك على تحريك العواطف واستمالة القلوب ، إلا ترى أن الكلام العذب إذا حل في القلب أحدث فيه حركة وهزة ؟ (٥) قوة غريزية لها اختصاص بادرار لطائف الكلام ومحاسنه الخفية وتحصل بالمتابعة على الدرس وبالممارسة لكلام البلقاء وتكراره على السمع والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه وبتنزيه العقل والقاب عما يفسد الأخلاق والآداب .

وتنقسم هذه الأصول إلى قسمين: عامة، وخاصة. فالعامة: كالتأليف الأدبية من منظوم ومنثور في أغراض شتى. والخاصة: كالتأليف المفردة بالرسائل أو بالأمثال.

الثالث - مطالعة تصانيف البلغاء بالتأني والتبصر فيها، ليدخر الكاتب كل لفظ. مؤنق شريف وكل معنى بديع بحيث يتصرف بهما عند الضرورة. وشروطها ثلاثة، الأول: أن يستقل المطالع بعض علماء اللغة وأئمة الأدب فيقتصر على درسهم حتى ينسج على منوالهم. الثاني: أن يطيل النظر في هذه المطالعة ويردد مراراً ما استحسنته من تصانيفهم كي يروض الذهن في حلبة (١) سباقهم فيقف على غريب أسلوبهم وعجيب تراكيبهم. الثالث: أن ينتقى منها شيئاً مما استجاده (٢) من اللفظ. الحر والتراكب الصحيحة والمعاني البليغة ذُخراً لذاكرته ومهمازاً (٣) لقريحته.

الرابع - الارتياض، وهو التدرب بوجوه الإنشاء بأن تتوسع في شرح بعض المعاني فتبينه بأوجه شتى وتُنمِّقُه بأشكال البديع، وبأن تجتهد في وضع بعض مواضيع وجيزة فتصوغ تارة وصف مدينة أو مدحاً أو تهنئة، وأخرى تسرد مثلاً أو تسبك رواية إلى غير ذلك. وأن تحذو حذو المتقدمين في أوضاعهم باستعمال ألفاظهم ومعانيهم، وبأن تحلَّ النظم فتأني به نشرأً أنيقاً (٤) وتعتقد النشر فتصوغه صوغاً رشيقاً (٥).

مقدمة في علم الإنشاء

الإنشاء لغة: الشَّرْعُ والإيجادُ والوضع، تقول: أنشأ الغلام يمشى إذا شرَّعَ في المشى، وأنشأ الله العالم: أوجدهم، وأنشأ فلان الحديث: وضعه.

(١) الميدان (٢) وجده جيداً (٣) حديدة تكون في مؤخر خف الرائد للمهر (٤) معجبا (٥) حسنا

واصطلاحاً علم يُعرف به كيفية استنباط المعاني وتأليفها مع التعبير عنها بلفظ لائق بالمقام . وهو مُستمد من جميع العلوم وذلك لأن الكاتب لا يستثنى صنفاً من الكتابة فيخوض في كل المباحث ويتعمد الإنشاء في كل المعارف البشرية . وينحصر المقصود منه في ثلاثة أبواب وخاتمة ومُلحق .

الباب الأول : فى أصول الإنشاء

وهى أربعة : موادّه وخواصّه وطبقاته ومحاسنه .

أما موادّه فثلاث : الأولى الألفاظ الفصيحة (١) الصريحة (٢) الثانية المعاني (٣) الثالثة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ومرجعها إلى الفصاحة وعلمى المعاني والبيان .

(١) الالفاظ البيّنة الظاهرة المتبادرة الى الفهم والمأنوسة الاستعمال لمكان حسنها .

(٢) الالفاظ التى تدل على نفس المطلوب بحيث تكون كقالب لمعناها ويتوصل الى ذلك بمعرفة المترادفات والصفات والابدال .

(٣) بحيث يكون المعنى واضحاً ، أى سهل المأخذ خالياً من اللبس والاشكال كقول الأخطل :

وإذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخرا يكون كصالح الأعمال

وأن يكون المعنى سديداً أى أن يكون القول مطابقاً للواقع كقول لبيد :

الأكل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وأن يكون مطابقاً لمقتضى الحال كقول أبى العتاهية :

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط فى زمن البذر

ولهذا قال أبو الفتح البستي :

تكلم وسدد ما استطعت فانما كلامك حى والسكوت جماد

فان لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السداد سداد

والمراد بمقتضى الحال الأمر الذى يقتضيه الداعى الى المتكلم على وجه مخصوص الناشئ عن مراعاة أحوال المتكلم والمخاطب ومقام الكلام ، والمعنى أما أن يكون مبتكراً أى مخترعاً كقول ابن النبيه :

الناس للموت كخيلى الطراد فالسابق السابق منها الجواد

وكقول آخر فى وصف الشتاء :

والنار فأكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتياً فليصطل =

= أو دقيقا فهو ما لطف مأخذه وبعد مرامه ودل على توقد فهم قائله كقول ابن عنين في فخر الدين الرازي وكانت قد دخلت الى مجلسه حمامة خلفها صقر يريد صيدها فاستجارب بحجرته :

جاءت سليمان الزمان حمامة الموت يلمح في جناحي خاطف
من أنبا الورقاء أن محلكم حرم ، وأنك ملجأ للخائف

أو فظريا وهو ما أورده الطبع السليم بلا تصنع ولا أعمال روية ودل على بعض السذاجة في قائله ، كقول أحدهم وقد سئل هلا تسافر بحرا؟ فأشدد :

لا أركب البحر أخشى على منه المعاطب
طين أنا ، وهو ماء ، والطين في الماء ذائب

وكقول الصياد :

سبحان ربي يعطى ذا ويحرم ذا هذا يصيد وهذا يأكل السمكه
أو لينا وهو ما كان لطيف التعبير سلس الالفاظ دالا على أشياء تطرب المستمع وتبهج القلب كقوله :

أن السماء اذا لم تبك مقاتها لم تضحك الأرض عن شيء من الزهر
أو نافذا وهو ما وصل الى الفهم بسرعة البرق وأخذ لحدته ومضائه بمجامع القاب كقول عنترة :

وما دانيت شخص الموت الا كما يدنو الشجاع من الجبان
أو جامعا وهو ما أفاد باللفظ القليل المعنى الكثير كقول أبي تمام في المعتصم :

تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله
تعود بسط الكف حتى لو أنه أراد انقباضا لم تطعه أنامله

وكقول المتنبي :

وقد شرف الله أرضا أنت ساكنها وشرف الناس اذ سواك انسانا
أو متينا وهو ما اتسم بالضبط والحزم وتمكن من ذهن سامعه كقول أبي العتاهية :

لدوا للموت وابنوا الخراب فكلكم يصير الى ذهاب
والموغل أو الايفال هو ما فتن بسموه القلب وسبى العقل وبلغ الغاية القصوى من البلاغة كما قال قائل على لسان ربه :

وأما خواصه فهي محاسنه السبعة ، وهي ؛ أولاً : الوُضوح (١) بأن يختارَ المفردات البينة الدالة على المقصود وأن يعدل عن كثرة العوامل (٢) في الجملة الواحدة ، وأن يتحاشى الالتباس في استعمال الضمائر ، وأن يسبك الجمل سبكا جلياً بدون تعقيد والتباس ، وأن يتحاشى كثرة الجمل الاعتراضية .

وثانياً : الصراحة بأن يكون الإنشاء سالماً من ضعف التأليف وغرابة التعبير بحيث يكون الكلام حراً مهذباً تناسب ألفاظه المعاني المقصودة كما قيل :

تَزِينُ مَعَانِيهِ أَلْفَاظُهُ وَأَلْفَاظُهُ زَائِنَاتُ الْمَعَانِي

ويكون الكلام صريحاً بانتقاء الألفاظ الفصيحة والمفردات الحرة الكريمة وكذا بإصابة المعاني وتنقيح العبارات مع جودة مقاطع الكلام وحسن صوغه وتأليفه ، وكذا بمراعاة الفصل والوصل وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف والاهتداء إلى كيفية إيقاف حروف العطف في مواقعها .

وثالثاً : الضبط . وهو حذف فضول الكلام وإسقاط مشتركات الألفاظ

كقول قيس بن الخطيم المتوفى سنة ٦١٢ م :

= سألت عبدي وانت في كنفى وكل ما قلت قد سمعناه
سلنى بلا خشية ولا رهب ولا تخف ، انى انى الله

واعلم أنه ليس لهذه المعاني مصدر خاص ، وإنما يحصل عليها الأديب من مطالعة كتب البلغاء وأعمال الفكرة الطويلة والتبصر في الموضوع الذى يقصد وصفه ليست منه المعاني اللاتقة به ، وإنما يلتجئ الأديب الى هذه المعاني عند مسيس الحاجة وذلك يختلف باختلاف أحوال المتكلم ، ومقام المخاطب ومواقع الكلام .

(١) كقوله :

ليس الجمال بأثواب تزيننا ان الجمال جمال العلم والأدب
ليس اليتيم الذى قد مات والده بل اليتيم يتيم العلم والحسب

(٢) كقول بعضهم :

* أقسم لا أعود أقوم أخطب فيكم *

أَرَى الْمَوْتَ لَا يَرَعَى عَلَى ذِي قَرَابَةٍ وَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا عَزِيزًا بِمَقْعَدٍ
لَعَمْرِكَ مَا الْأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ فَمَا اسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدْ
ورابعاً : الطَّبَعِيَّةُ بَأَنَّ يَخْلُو الْكَلَامَ مِنَ التَّكْلُفِ وَالتَّصْنَعِ كَمَا قَالَ
فِي رِثَاءِ ابْنِهِ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ الْمَتُوفِي سَنَةِ ٥٢١١ هـ :

بِكَيْتِكَ يَا بُنَيَّ بَدَمَعَ عَيْنِي فَلَمْ يُغْنِ الْبِكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئًا
وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعِظُ مِنْكَ حَيًّا
وَذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ تَطَبَّعَ بِغَيْرِ طَبْعِهِ نَزَعَتْهُ الْعَادَةُ حَتَّى تَرُدَّهُ إِلَى طَبْعِهِ كَمَا أَنَّ الْمَاءَ
إِذَا أَسْخَنَتْهُ وَتَرَكْتَهُ عَادَ إِلَى طَبْعِهِ مِنَ الْبُرُودَةِ وَحِينَئِذٍ فَالطَّبِيعُ أَمْلَكَ .

وخامساً : السَّهُولَةُ بِأَنَّ يَخْلُصَ الْكَلَامَ مِنَ التَّعَسُّفِ فِي السَّبْكِ وَأَنْ يَخْتَارَ
مَا لَانَ مِنْهَا كَمَا قَالَ فِي الْأَشْوَاقِ بَهَاءُ الدِّينِ زَهْرٍ الْمَتُوفِي سَنَةِ ٦٥٦ هـ :

شَوْقِي إِلَيْكَ شَدِيدٌ كَمَا عَلِمْتَ وَأَزِيدُ
فَكَيْفَ تَنْكُرُ حَبًّا بِهِ ضَمِيرُكَ يَشْهَدُ
وَأَنْ تُهْدَبَ الْجُمْلُ وَأَنْ يَأْتَلَفَ اللَّفْظُ . مَعَ مُرَاعَاةِ النَّظِيرِ كَمَا قَالَ
الشَّاعِرُ فِي الْوَدَاعِ :

فِي كَنَفِ اللَّهِ ظَاعِنٌ ظَعْنًا أَوْدَعَ قَلْبِي وَدَاعَهُ حَزَنًا
لَا أَبْصَرْتُ مُقْلَتِي مُحَاسِنَهُ إِنْ كُنْتُ أَبْصَرْتُ بَعْدَهُ حَسَنًا
قَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : أَحْذَرُكُمْ مِنَ التَّقْيِيرِ وَالتَّعَمُّقِ فِي الْقَوْلِ وَعَلَيْكُمْ بِمُحَاسِنِ
الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي الْمُسْتَخْفَةِ الْمُسْتَمْلِحَةِ فَإِنَّ الْمَعْنَى الْمَلِيحَةَ إِذَا كُتِبَتْ لَفْظًا حَسَنًا وَأَعَارَهُ
الْبَلِيغُ مَخْرَجًا سَهْلًا كَانَ فِي قَلْبِ السَّامِعِ أَحْلَى وَلِصَدْرِهِ أَمْلَأُ - قَالَ الْبِسْتِيُّ :

إِذَا انْقَادَ الْكَلَامُ فَقَدَهُ عَفْوًا إِلَى مَا تَشْتَهِيهِ مِنَ الْمَعَانِي
وَلَا تُكْرَهُ بَيَانُكَ إِنْ تَأَبَّى فَلَا إِكْرَاهَ فِي دِينِ الْبَيَانِ
وسادساً : الْإِتْسَاقُ بِأَنَّ تَتَنَاسَبُ الْمَعَانِي كَقَوْلِ الْمُتَبْنِي الْمَتُوفِي سَنَةِ

وما زلت حتى قادني الشوق نحوه يسايرني في كل ركب له ذكر (١)
وأستكبرُ الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغرَ الخبر الخبر

وسابغاً : الجزالة وهي إبرازُ المعاني الشريفة في معارض من الألفاظ.

الأنيقة (٢) اللطيفة كقول الصَّائِ المتوفى سنة ٣٨٤ هـ :

لك في المحافل منطقُ يشفي الجوى (٣) ويسوغُ في أذن الأديب سلافه (٤)
فكأن لفظك لؤلؤ متنخل (٥) وكأنما آذنا أصدافه

وأما عيوبه فسبعة : الهجنة بأن يكون اللفظ سخيلاً والمعنى مُستقبحاً كقوله :

وإذا أدنيت منه بصلاً غلبَ المسكُ على ريح البصل

والوحشية : كون الكلام غليظاً تمجده الأسماع وتنفّر منه الطباع كقوله :

وما أرضى لمقلته بحلم إذا انتبهت توهّمه ابتشاكاً (٦)

والركاكة أي ضعف التأليف وسخافة العبارة كقول المتنبي المتوفى سنة ٣٤٥ هـ :

إن كان مثلك كان أو هو كائنٌ فبرئت حينئذ من الإسلام

والسهو عبارة عن ضعف البصر بمواقع الكلام كقول المتنبي يُشبهه

مددوحه بالله تعالى (وهو كفر) :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثلُ اللذي الأفلاكُ منه والذني (٧)

والإسهاب أي الإطالة الزائدة المملة في شرح المادة والعدول إلى الحشو كقوله :

وأعنى فتى لم تذر الشمس طالعةً يوماً من الدهر إلا ضرَّ أو نفعاً

(١) خبر زلت يسايرني ، والركب : جماعة الركابين ، أي ما زلت أسمع ذكره في كل ركب صحبته حتى قادني الشوق إلى زيارته ، والمتبني بمدح عليا الأنطاكى ، ومعنى البيت الثاني : اني ما زلت أستعظم ما يذكر لي من أخباره حتى لقيته فصغرت عندي تلك الأخبار بالنسبة إليه لأنني وجدته أعظم مما وصفوا . (٢) المعجبة .

(٣) الحرقة . (٤) الخمرة . (٥) مصطفى ومختار

(٦) يقول : وان حدثه حلم في نومه عن شكرى له فلا أرضى به لعسله

يتوهمه كذباً (٧) الدنيا .

والجفاف : الإيجاز والاختصار المخل كقول الحارث بن حلزة المتوفى سنة ٥٢٣٢هـ :
 والعيش خيرٌ في ظلال النـسوكِ (١) ممن عاش كذاً (٢)
 ووحدة السياق التزام أسلوب واحد من التعبير وطريقة واحدة من
 التركيب بحيث تكون للأذهان كاللا (٣) وللقلوب ملالا (٤) .
 وللكلام عيوبٌ كثيرةٌ منها اللحنُ ومخالفة القياس الصّرفي وضعف التّأليف
 والتعقيدُ اللفظي والمعنوي والتكرار وتتابعُ الإضافات إلى غير ذلك من الأشياء
 التي تكون ثقيلة على اللسان مخالفة للذوق والعرف غريبة على السّمع (٥) .
 وأما طبقاته فثلاث (الأولى الطبقة السفلى) ومرجعها إلى الإنشاء الساذج
 وهو ما عرى عن رقة المعاني وجزالة الألفاظ والتأنق في التعبير فهو بالكلام العادي
 أشبه لسهولة مأخذه وقرب مورده ، ويستعمل في المحافل العمومية ليقرب
 مثال المعاني على جمهور السامعين وفي المقالات والتأليف العلمية لينصرف الذهن
 إلى أخذ المعنى وليس دونه حائلٌ من جهة العبارة ، وفي المكاتبات الأهلية
 والرحلات والأسفار والأخبار وما شابه ذلك . (الثانية الطبقة العليا) ومرجعها إلى
 الإنشاء العالى ، وهو ما شُحن بغرر الألفاظ ، وتعلّق بأهداب المجاز ولطائف
 التّخيّلات وبدائع التشابيه فيفتن ببراغته العقول ويسحر الأبواب ويصلح في
 التّرسّل بين بلغاء الكتّاب وفي المجالس الأدبية وديباجة بعض التّصانيف
 إلى غير ذلك من المواضع التي من شأنها الزجر وتحريك العواطف والحماسة .

(١) بفتح النون وضمها الحمق (٢) تعبا (٣) سيئة
 (٤) سأمه . (٥) حكى عن الصفي الحلبي أن بعض الفضلاء بلغه
 أنه طلع على ديوانه وقال لاعيب فيه سوى أنه خال من الالفاظ العريضة
 فأجابه الصفي :

انما الحيزيون والدرديس والطخا والنقاخ والعلطبيس
 لفة تنفر للسامع منها حين تروى وتشمئز النفوس
 وقبيح أن يسلك النافر الوحشي منها ويترك الناس
 ان خير الالفاظ ما طرب السامع منه وطاب فيه الجايس
 ولذيد الالفاظ مغناطيس

(الثالثة الطبقة الوسطى) ومَرَّجِعها إلى الإنشاء الأنبيقي (١) وهو ما توسط .
بين الإنشاء العالى والساذج فيأخذ من الأول رَوْنَقَهُ وَرَشَاقَتَهُ ومن الثانى جلاءه
وسلاسته - ويَصْلُحُ فى مُرَاسَلات ذوى المراتب ، وفى الروايات المُنمقة
والأوصاف المُسهبه ، وفى خطب المحافل وما أشبه ذلك (٢) .

وأما محاسنه فهى أساليب وطرائق معلومة وُضعت لتزيين الكلام وتَنميقها
لغرض أن يتمكن البليغ من ذهن السامع بما يورده من أساليب الكلام
المُستحسنة ، فيحرك أهواء النفس ويثير كامن حركاتها . والغرض أن يكون
قوله أشد اتصالا بالعقل وأقرب للادراك بتصرفه فى فنون البلاغة .

كيفية الشروع فى عمل مواضيع الانشاء

إِذَا عَنَ (٣) لك أو اقترح عليك إنشاء موضوع فأنت مُنوط (٤) إِذَا بِأَمْرين :
التَّفكر أولاً ، والكتابة ثانياً . فإذا أَنْعَمْتَ الفكر ملياً (٥) فى أجزاء الموضوع
بعد استيلاء الإحساس بها على قلبك ، وقلبتَها على جميع الأوجه المُمكنة فيها
تولد فى خيالك لكل جزء عدة صور (٦) تتفاوت فى تأديته كتفاوت صور
المنظوم فى الحسن والقبح ؛ فبعضها يستميل النفوس بتأثيره فى الحواس ، وبعضها

(١) المحب .

(٢) الذى اشتهر بالانشاء الساذج السيوطى والماوردى والغزالي وأبو
الفرج الاصبهانى وابن الاثير وأبو الفداء . والذى اشتهر بالانشاء الانبيق
الثعالبي وابن خلكان وابن خلدون والطبرى والفخرى وابن المعتز والبهاء
زهير وابن المقفع والمسعودى . والذى اشتهر بالانشاء العالى الحريرى
والهمدانى والمعرى والاخطل وجرير وأبو تمام البحترى والمنبى وابن خاقان
والعتبى والفارضى . واعلم أن طبقات الانشاء كثيرا ما تختلط ببعضها
فيصعب تعيين طبقتها فربما جاء فى القطعة الواحدة أشياء من الطبقات الثلاث
لا يميزها الا المنتقد البصير .

(٣) عرض (٤) ملزم (٥) ساعة طويلة .

(٦) أما اذا تساوت فى حسن تأدية الغرض أخذ احداها فقط ولا يحسن
جمعها .

يوجب نُفورَها ، بين بين ، وإذا تَشَخَّصَتِ الصُّورُ في الخيال يتخيَّرَ العقلُ منها ماله المكانة الرفيعة في حُسن تَأدية الغرض المناسب للمقام ، فإن كان المقامُ للتَّحريض على القتال مثلا انتخب الصورة المهيَّجَة للاحساس ، المُشجَّعة للنفس على اقتحام الأخطار (١) ، وإن كان المقامُ مَقَامَ فرحٍ وسُرورٍ انتخب ما يشرح الصدور .

وبعد تشخص الصور وتخير المناسبة منها تعين -أيها المنشئ- بحُسن تأليف وترتيب ما تخيرته أن تجمع الصور المناسبة التي يرتبط بعضها ببعض بدون تكلف بحيث يكون منسجماً يَمْضى وحده مع النَّفس دون علاج وتعب في فهم الغرض منه وحينئذ يُمكنك إظهاراً هذه الصورة المعقولة في صورة محسوسة بواسطة القلم .

أركان الكتابة

اعلم أنَّ للكتابة أركاناً لا بُدَّ من إيداعها في كل كتاب بلاغي ذي شأن ؛ أولها : أن يكون مطلع الكتاب عليه جِدَّةٌ (٢) ورشاقة ، فإنَّ الكاتب من أجاد المطلع والمقطع ، أو يكون مبنياً على مقصد الكتاب . الثاني أن يكون خروج الكاتب من معنى إلى معنى برابطة لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض

(١) الأحزان . (٢) صار جديدا مبتكرا ، وهو تقيض الخلق الذائب . تنبيه : يراعى حذل المخاطب ومنزلته فان ما يحسن عند الذكي لا يحسن عند الغبي ، وما يناسب ذا الجد لا يناسب الهزلي ، وما يصاح للرئيس لا يصلح للمرءوس . فخاطب كلا على قدر أهته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته ونباهته ، فزن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف اذا عرضت وعاير الكلمة بمعيارها اذا سنحت فكلما احلوا لى الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه كان أسهل ولوجا في الأسماع وأشد اتصالا بالقلوب وأخف على الافواه ، ولا سيما اذا كان المعنى البديع مترجما بلفظ مؤنق شريف ومعايرا بكلام عذب بدون تكلف ولا تعقيد ، فالعنى الخفى أشسبه بالروح الخفى واللفظ الظاهر ، والاتضاء المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح كتضالول الحسنا في الأطمار الرثة .

ولا تكون مقتضية . الثالث أن تكون ألفاظ الكتاب غير مخلوطة بكثرة الاستعمال . ولا أريد بذلك أن تكون ألفاظاً غريبة فإن ذلك عيب فاحش بل أريد أن تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكاً غريباً يظن السامع أنها غير ما في أيدي الناس ، وهي مما في أيدي الناس ، وهناك مُعْتَرَك الفصاحة التي تظهر فيه الخواطر براعتها والأقلام شجاعته . وهذا الموضع بعيد المنال كثير الإشكال يحتاج إلى لطف ذوق وشهامة خاطر ، وليس كل خاطر بَرَّاق إلى هذه الدرجة (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) . ومع هذا فلا تظن - أيها الناظر في كتابي - أنني أردت بهذا القول إهمال جانب المعاني بحيث يؤتى باللفظ. الموصوف بصفات الحسن والملاحة ، ولا يكون تحته من المعنى ما يماثله ويساويه ، فإنه إذا كان كذلك كان كصورة حسنة بديعة في حسنها إلا أن صاحبها بليد أبله . والمراد أن تكون هذه الألفاظ المشار إليها جسماً لمعنى شريف ، على أن تحصيل المعاني الشريفة على الوجه الذي أشرت إليه أيسر من تحصيل الألفاظ المشار إليها . ولقد رأيت كثيراً من الجُهاال الذين هم من السُّوقَة أرباب الحرف والصنائع ، وما منهم إلا من يقع له المعنى الشريف ويظهر من خاطره المعنى الدقيق ، ولكنه لا يحسن أن يزوّج بين لفظتين . فالعبارة عن المعاني هي التي بها تخلب العقول ، وعلى هذا فالناس كلهم مشتركون في استخراج المعاني ، فإنه لا يمنع الجاهل الذي لا يعرف علماً من العلوم أن يكون ذكياً بالفطرة .

واستخراج المعاني إنما هو بالذكاء لا يتعلم العلم .

فإذا استكملت معرفة هذه الأركان وأتيت بها في كل كتاب بلاغى ذى شأن فقد استحققت حينئذ فضيلة التقدم ، ووجب لك أن تسمى نفسك كاتباً .

(عن «المثل السائر» باختصار)

كيفية نظم الكلام

إذا أردت أن تصنع كلاماً فأخطر معانيه ببالك ، وتنق له كرائم اللفظ ، واجعلها على ذكر منك ليقرّب عليك تناولها ولا يتعبك تطلبها ، واعمله ما دمت في شباب نشاطك ، فإذا غشيك الفتور وتخونك الملل فأمسك ، فإن الكثير مع الملل قليل ، والنفيس مع الضجر خسيس ، والخواطر كالينابيع يسقى منها شيء بعد شيء ، فتجد حاجتك من الرى ، وتنال إربك من المنفعة ، فإذا أكثرت عليها نضب ماؤها ، وقلّ عنك عناؤها . واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطالبة والمجاهدة والتكلف والمعاناة . وإياك والتوعر ، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ويشين أفاظك .

ومن أراد معنى كريماً فليتمس له لفظاً كريماً ، فإن من حق المعنى الشريف اللفظ الشريف .

فإذا لم تجد اللفظة واقعة موقعها صائرة إلى مستقرها حالة في مركزها متصلة بسلكها ، بل وجدتها قلقة في موضعها نافرة عن مكانها فلا تكررهما على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها . فإنك إن لم تتعاط قريض الشعر المنظوم ولم تتكلف اختيار الكلام المنشور ، لم يعبك بذلك أحد . وإن تكلفته ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا مُحكماً لشأنك بصيراً ، عابك من أنت أقل عيباً منه ، وزرى (١) عليك من هو دونك .

فإن لم تسمح لك الطبيعة بنظم الكلام في أول وهلة ، وتعصى عليك بعد إجاله الفكرة ، فلا تعجل ، ودعه سحابة يومك ولا تضجر ، وأمهله سواد ليلتك وعاوده عند نشاطك ، فإنك لا تعدم الإجابة والمؤاتاة . فإن تمنع عليك بعد ذلك - مع ترويح خاطر وطول الإمهال - فتحول من هذه

(١) زرى : عاب .

الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك وأخفها عليك ، فإنك لم تشتهها إلا وبينكما نسب .

والشيء لا يحسن إلا إلى ما شاكله .

وينبغي أن تعرف أقدار المعاني ، فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين وبين أقدار الحالات ، فتجعل لكل طبقة كلاماً ، ولكل حال مقاماً ، حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات .
(من « كتاب الصناعتين » باختصار)

الطريق الى تعلم الكتابة

إن الطريق إلى تعلم الكتابة على ثلاث شعب :

الأولى : أن يتصفح الكاتب كتابة المتقدمين ، ويطلع على أوضاعهم في استعمال الألفاظ والمعاني ، ثم يحدو حدوهم ؛ وهذه أدنى الطبقات عندي .
والثانية : أن يمزج كتابة المتقدمين بما يستجيده لنفسه من زيادة حسنة ، إما في تحسين ألفاظ ، أو في تحسين معاني . وهذه هي الطبقة الوسطى ، وهي أعلى من التي قبلها .

والثالثة : أن لا يتصفح كتابة المتقدمين ولا يطلع على شيء منها ، بل يصرف همه إلى حفظ القرآن الكريم وعدة من دواوين فحول الشعراء ممن غلب على شعره الإجابة في المعاني والألفاظ . ثم يأخذ في الاقتباس ، فيقوم ويقع ويخطئ ويصيب ويضل ويهتدي حتى يستقيم على طريقة يفتتحها لنفسه ، وأخلق بتلك الطريق أن تكون مبتدعة غريبة لا شركة لأحد من المتقدمين فيها . وهذه الطريق هي طريق الاجتهاد وصاحبها يعد إماماً في فن الكتابة ، إلا أنها مستوعرة جداً ، ولا يستطيعها إلا من رزقه الله لساناً هجماً وخطراً رقماً . ولا أريد بهذه الطريق أن يكون الكاتب مرتبطاً في كتابته بما يستخرجه من القرآن الكريم .

والشعر ، بحيث أنه لا ينشئ كتاباً إلا من ذلك ، بل أريد أنه إذا حفظ القرآن وأكثر من حفظ الأشعار ثم نقب عن ذلك تنقيباً مُطع على معانيه مفتشاً عن دفائنه وقلبه ظهراً لبطن عرف حينئذ من أين تؤكل الكتف فيما ينشئه من ذات نفسه ، وامتنع بالمحفوظ على الغريزة الطبيعية .
(عن «المثل السائر» باختصار)

كيفية تهذيب الكلام وأوقات تأليفه

تهذيب الكلام : عبارة عن ترداد النظر فيه بعد عمله - نظماً كان أو نثراً - وتغيير ما يجب تغييره ، وحذف ما ينبغي حذفه وإصلاح ما يتعين إصلاحه ، وتحريه ما يدق من معانيه ، وأطراح ما يتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ ألفاظه ، لتشرق شمس التهذيب في سماء بلاغته ، وترشף الأسماع على الطرب رقيق سلافته ، فإن الكلام إذا كان موصوفاً بالمهذب ، منعوتاً بالمنقح ، علت رتبته وإن كانت معانيه غير مبتكرة ، وكل كلام قيل فيه : لو كان موضع هذه الكلمة غيرها ، ولو تقدم هذا المتأخر وتأخر هذا المتقدم ، أو لو تم هذا النقص بكذا ، أو لو حذفت هذه اللفظة ، أو لو اتضح هذا المقصد وسهل هذا المطلب لكان الكلام أحسن والمعنى أبين - كان ذلك الكلام غير منتظم في نوع التهذيب .

وكان زهير بن أبي سلمى معروفاً بالتنقيح والتهذيب ، وله قصائد تعرف بالحوليات - قيل : إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر ، ويهذبها وينقحها في أربعة أشهر ، ويعرضها على علماء قبيلته أربعة أشهر ، ولهذا كان الخليفة عمر بن الخطاب - مع جلالة في العلم ، وتقديمه في النقد - يقدمه على سائر الفحول من طبقته .

وما أحسن ما أشار أبو تمام إلى التهذيب بقوله :

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى والليل أسود رفعة الجلباب

فإنه خصّ تهذيبَ الفكر بالدجى لكون اللَّيْلِ تهادياً فيه الأصوات وتسكُّنُ الحركاتُ ، فيكونُ الفكرُ فيه مجتمعاً ومرآةً التهذيبِ فيه صقيلةً ، لخلو الخاطرِ وصفاءِ القريحةِ ، لاسياً وسط. الليل .

قال أبو عبادة البُخُرِيُّ : كنتُ في حدائتي أروى الشَّعرَ ، وكنتُ أرجع فيه إلى طبعِ سليمٍ ، ولم أكنُ وقفت له على تسهيلٍ مأخوذٍ ووجوهٍ اقتضابٍ حتى قصدتُ أبا تمامٍ وانقطعتُ إليه واتكلمتُ في تعريفه عليه ، فكان أولُ ما قال لي : يا أبا عبادة ، تخييرِ الأوقاتَ وأنتَ قليلُ الهمومِ ، صفرٌ من الغمومِ .

واعلم أن العادةَ في الأوقاتِ إذا قصدَ الإنسانُ تأليفَ شيءٍ أو حفظَهُ أن يختارَ وقتَ السحرِ ؛ وذلك أن النفسَ تكونُ قد أخذتَ حظَّها من الراحةِ وقسطها من النومِ وخفَ عليها ثقلُ الغذاءِ ؛ واحذرَ المجهول من المعاني وإيَّاك أن تُشينَ شعركَ بالألفاظِ الوحشيةِ وناسبَ بين الألفاظِ والمعاني في تأليفِ الكلامِ ، وكُنْ كأنك خياطٌ تُقدِّرُ الثيابَ على مقاديرِ الأجسامِ ، وإذا عارضَكَ الضجرُ فأرخِ نفسك ولا تعملْ إلا وأنتَ فارغُ القلبِ ولا تنظِّمَ إلا بشهوةٍ ، فإن الشهوةَ نعمَ المعينِ على حُسنِ النظمِ ، وجُملةُ الحالِ : أن تعتبرَ شعركَ بما سلفَ من أشعارِ الماضينَ ، فما استحسنَ العلماءُ فاقصده وما استقبحوهُ فاجتنبهُ .

(عن «خزانة الأدب - وزهر الآداب» باختصار)

محاسن الإنشاء ومعابه

إن للنثر محاسنَ ومعابٍ ، يجبُ على المنشىء أن يفرِّقَ بينهما مُحترزاً استعمالَ الألفاظِ الغريبةِ ، ولا يخلُ بفهمِ المرادِ ويوجبُ صعوبته - ولا بدَّ من أن يجعلَ الألفاظَ تابعةً للمعاني دون العكسِ ، لأنَّ المعاني إذا تركتُ على

سَجِيَّتْهَا طَلِبْتُ لِأَنْفَسِهَا أَلْفَاظًا تَلِيْقُ بِهَا فَيَحْسُنُ اللَّفْظُ. وَالْمَعْنَى جَمِيعًا ، وَأَمَّا جَعْلُ الْأَلْفَاظِ مُتَكَلِّفَةً وَالْمَعْنَى تَابِعَةً لَهَا ، فَهُوَ شَأْنٌ مِنْ لَهُمْ شَغْفٌ بِإِيرَادِ شَيْءٍ مِنَ الْمُحْسِنَاتِ اللَّفْظِيَّةِ فَيَصْرِفُونَ الْعِنَايَةَ إِلَيْهَا ، وَيَجْعَلُونَ الْكَلَامَ كَأَنَّهُ غَيْرُ مَسْبُوقٍ لِإِفَادَةِ الْمَعْنَى ، فَلَا يُبَالُونَ بِخَفَاءِ الدَّلَالَاتِ وَرِكَائَةِ الْمَعْنَى .

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَلِيْقُ بِمَنْ يَتَعَاطَى الْإِنْشَاءَ أَنْ يَكْتُبَ مَا يُرَادُ لَا مَا يُرِيدُ ، كَمَا قِيلَ فِي الصَّاحِبِ وَالصَّائِي : إِنْ الصَّائِي يَكْتُبُ مَا يُرَادُ ، وَالصَّاحِبُ يَكْتُبُ مَا يُرِيدُ .

(عَنْ « آدَابِ الْمُنَشِئِ » بِبَعْضِ تَصْرِفٍ)

فصاحة الألفاظ ومطابقتها للمعاني

فصاحة الألفاظ تكون بثلاثة أوجه :

الأول : مجانبة الغريب الوحشي حتى لا يمجّه سمعٌ ، ولا ينفر منه طبعٌ .

والثاني : تنكّب اللفظ. المتبدّل ، والبعد عن الكلام المسترذل حتى لا يستسقطه خاصيٌ ، ولا ينبو عنه فهمٌ عاميٌ ، كما قال الجاحظ. في كتاب البيان : أما أنا فلم أرَ قومًا أمثلَ طريقة في البلاغة من الكتاب : وذلك أنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرًا وحشيًا ، ولا ساقطًا عاميًا .

والثالث : أن يكون بين الألفاظ ومعانيها مناسبةً ومطابقةً .

أما المطابقة : فهي أن يكون بين الألفاظ كالقوالب لمعانيها فلا تزيد عليها ولا تنقص عنها .

[] وَأَمَّا الْمُنَاسِبَةُ : فَهِيَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى يَلِيْقُ بِبَعْضِ الْأَلْفَاظِ - إِمَّا لِعُرْفِ مُسْتَعْمَلٍ ، أَوْ لِاتِّفَاقِ مُسْتَحْسَنٍ - حَتَّى إِذَا ذُكِرَتْ تِلْكَ الْمَعْنَى بِغَيْرِ تِلْكَ

الألفاظ كانت نافرة عنها ، وإن كانت أفصح وأوضح لاعتياد ماسواها .
 (عن « أدب الدين والدنيا » باختصار)

حقيقة الفصاحة

اعلم أن هذا موضوع متعذر على الوالج ، ومسلك متوعر على الناهج ،
 ولم تنزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القول فيه والبحث عنه ،
 ولم أجد من ذلك ما يعول عليه إلا القليل ، وغاية ما يقال في هذا الباب :
 إن الفصاحة هي الظهور والبيان في أصل الوضع اللغوي - يقال : أفصح
 الصبح إذا ظهر ، ثم إنهم يقفون عند ذلك ولا يكشفون عن السر فيه ،
 وبهذا القول لا تتبين حقيقة الفصاحة ، لأنه يعترض عليه بوجوه من
 الاعتراضات .

الوجه الأول : إذا لم يكن اللفظ ظاهراً بيناً لم يكن فصيحاً ثم إذا
 ظهر وتبين صار فصيحاً .

الوجه الثاني : أنه إذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين فقد صار ذلك
 بالنسب والإضافات إلى الأشخاص ؛ فإن اللفظ قد يكون ظاهراً لزيد ولا يكون
 ظاهراً لعمرو ، فهو إذاً فصيح عند هذا ، وغير فصيح عند ذاك ؛ وليس كذلك
 بل الفصيح هو فصيح عند الجميع لاختلاف فيه بحال من الأحوال ولأنه إذا
 تحقق حد الفصاحة وعرف ما هي ، لم يبق في اللفظ الذي يختص به خلاف .

الوجه الثالث : أنه إذا جرى بلفظ قبيح ينبو عنه السمع وهو مع ذلك
 ظاهر بين ينبغي أن يكون فصيحاً ، وليس كذلك لأن الفصاحة وصف
 حسن للفظ لا وصف قبح .

ولما وقفت على أقوال الناس في هذا الباب ملكني الحيرة فيها ،

ولم يثبت عندى منها ما أُعولُ عليه ، ولكثرة مُلابستى هذا الفنِّ ومُعاركتى إِيَّاهُ ، انكشف لي السُّرُّ فيه . وسأوضِّحُه في كتابى هذا وأُحقِّقُ القول فيه فأقولُ :

إنَّ الكلامَ الفصيحَ هو الظاهرُ البينُّ ، وأعنى بالظاهر البينُّ : أن تكون ألفاظه مفهومة لا يُحتاجُ في فهمها إلى استخراج لُغَةٍ .

وإنما كانت بهذه الصفةِ لأنَّها تكونُ مألوفة الاستعمال بين أربابِ النظم والنثر دائرةً في كلامهم ، وإنما كانت مألوفة الاستعمال دائرةً في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حُسْنِها ، وذلك أن أرباب النظم والنثر غرَبَلوا اللغة باعتبارِ ألفاظها ، وسبَرُوا وقَسَمُوا ، فاختارُوا الحسن من الألفاظ حتى استعملوه وعلّموا القبيح منها فلم يستعملوه ، فحسُنُ الاستعمال سببُ استعمالها دون غيرها ، واستعمالها دون غيرها سببُ ظهورها وبيانها ؛ فالفصيحُ إذاً من الألفاظ هو الحسنُ .

فإن قيل : من أى وجه علِمَ أرباب النظم والنثر الحسن من الألفاظ حتى استعملوه ، وعلّموا القبيح منها حتى نفّوه ، ولم يستعملوه ؟ قلتُ في الجواب : إنَّ هذا من الأمور المحسوسة التى شاهدوها من نفسها ؛ لأن الألفاظ داخلَةٌ في حيزِ الأصوات ، فالذى يستلذه السَّمعُ منها ويميلُ إليه هو الحسنُ والذى يكرهه وينفِرُ عنه هو القبيحُ . ألا ترى أن السَّمعَ يستلذُّ صوتَ البُلبُلِ من الطيرِ وصوتَ الشَّخِرِ ويميلُ إليهما ، ويكرهُ صوتَ الغرابِ وينفِرُ عنه ؟ وكذلك يكرهه نبيق الحمار ، ولا يجدُ ذلك في صهيل الفرس ؟ والألفاظُ جاريةٌ هذا المجرى ، فإنه لا خلاف في أن لفظَةَ المُرْنةِ والديمةِ حسنةٌ يستلذُّها السَّمعُ ، وأن لفظَةَ البُعاقِ قبيحةٌ يكرهها السَّمعُ ، وهذه اللفظَات من صفة المطر ، وهى

تدلُّ على معنى واحد ، ومع هذا فإنك ترى لفظيَّ المزنَةِ والدَّيْمَةِ وما جرى مجرَّاهُما مألوفتي الاستعمال ، وترى لفظ. البعاقِ ، وما جرى مجراه متروكاً لا يُستعملُ ، وإن استُعملَ فإنما يَسْتَعْمَلُهُ جاهلٌ بحقيقة الفصاحة ، أو من ذَوْقه غير ذوق سليم .

ولا جرمَ أنه ذمُّمٌ وقدح فيه ولم يلتفت إليه وكان عربياً محضاً من الجاهلية الأقدمين ؛ فإن حقيقة الشيء إذا عَلِمْتُ وجب الوقوفُ عندها ولم يُعْرَجْ على ما خرج عنها .

(عن «ابن الأثير» باختصار)

الانسجام

الانسجامُ لغة : جريان الماء ، وعند أهل البلاغة : هو أن يأتي الناظم أو الناثر بكلام خالٍ من التعقيد اللفظي والتعقيد المعنوي ، بسيطاً مفهوماً دقيق الألفاظٍ جليل المعنى ، لا تكلف ولا تعسف فيه ، يتحدّرُ كتحدّر الماء المنسجم ، فيكادُ لسهولة تركيبه ، وعذوبة ألفاظه ، أن يسيل رقةً .

ولا يكون ذلك إلا في من هو مطبوعٌ على سلامة الذوق ، وتوقد الفكرة وبراعة الإنشاء وحسن الأساليب .

وإن فحول هذا الميدان ما أثقلوا كاهل سُهولته بنوعٍ من أنواع البديع ، اللهم إلا أن يأتي عفواً من غير قصد .

وعلى هذا أجمع علماء البديع في حدِّ هذا النوع ، فإنهم قرروا أن يكون بعيداً عن التصنع ، خالياً من الأنواع البديعية إلا أن يأتي في ضمن السهولة من غير قصد ، فإن كان الانسجام في النثر تكون أغلب فقراته موزونة من غير

فصدي ، وإن كلان في النظم فكأد الأبيات أن تسيل رقة وعدوبة ، وربما دخلت في المطرب المرقص .

(عن « بديعة العميان وبديعة الحموي »)

حل الشعر

حلُّ الأبيات الشعرية ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول منها وهو أدناها مرتبةً : أن يأخذ الناثر بيتاً من الشعر فينشره بلفظه من غير زيادة ، وهذا عيبٌ فاحشٌ . ومثاله كمن أخذ عقداً قد أتمن نظمه وأحسن تأليفه فأوهاهُ وبَدَّدهُ ، وكان يقوم عذره في ذلك أن لو نقله عن كونه عقداً إلى صورة أخرى مثله أو أحسن منه ، وأيضاً فإنه إذا نشر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السرقة ، فيقال : هذا شعر فلان بعينه ، لكون ألفاظه باقيةً لم يتغير منها شيء ؛ وقد سلك هذا المسلك بعض العراقيين فجاء مُستهجناً ، كقوله في حل بعض أبيات الحماسة :

وَأَلَدَّ ذِي حَنْقٍ عَلَيَّ كَأَنَّمَا تَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِي

أَزْجِيَّتُهُ عَنِي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَظِرِ مِنْ عَلِي

إذ قال في نشر هذين البيتين : « فكم لقي ألدَّ ذا حنق كأنه ينظر إلى الكواكب من عل ، وتغلي عداوة صدره في مرجل ، فكواه فوق ناظريه وأكبّه لقمه ويديه » . فلم يزد هذا الناثر على أن أزال رونق الوزن وطلاوة النظم لا غير .

ومن هذا القسم ضربٌ محمودٌ لا عيب فيه ، وهو أن يكون البيت من الشعر قد تضمن شيئاً لا يمكن تغيير لفظه فحينئذ يُعذر ناثره إذا أتى بذلك اللفظ ، وكذلك الأمثال السائرة فإنه لا بد من ذكرها على ما جاءت في الشعر .

وأما القسم الثاني - وهو وَسَطُ - بين الأول والثالث في المرتبة - فهو أن ينثر المعنى المنظوم ببعض ألفاظه ، ويعبر عن البعض بألفاظٍ أُخْرَ ، وهناك تظهر الصنعة في المماثلة والمشابهة ، ومواخاة الألفاظ. الباقية بالألفاظ. المُرتجلة . فإنه إذا أخذ لفظاً لشاعر مجيد ، قد نَقَّحَهُ وَصَحَّحَهُ فَقَرَنَهُ بما لا يلائمه ، كان كمن جمع بين لؤلؤة وحصاة ، ولا خفاء في ذلك من الانتصاب للقبح والاستهداف للطعن ، والطريق المسلوك إلى هذا القسم : أن تأخذ بعض بيت من الأبيات الشعرية هو أحسن ما فيه ثم تماثله .

وسأوردُ هنا مثالا واحداً ، ليكون قدوةً للمتعلم ، فأقول : قد ورد هذا البيت من شعر أئى تمام في وصف قصيدة له :

حداً تملأُ كلَّ أذنٍ حِكْمَةً وبِلاغَةً وتُدِرُّ كلَّ وريدٍ

فقوله (تملأُ كلَّ أذنٍ حِكْمَةً) من الكلام الحسن ، وهو أحسن ما في البيت فإذا أردت أن تنثر هذا البيت فلا بد من استعمال لفظه بعينه ، لأنه في الغاية القُصوى من الفصاحة والبلاغة ، فعليك حينئذ أن تُؤاخيه بمثله .

وهذا عَسِرٌ جداً ، وهو عندي أصعب منالاً من نشر الشعر بغير لفظه ، لأنه مسلك ضيقٌ لما فيه من التعرض لمماثلة ما هو في غاية الحسن والجودة . وأما نشر الشعر بغير لفظه فذلك يتصرف فيه نائزُهُ على حسب ما يراه ، ولا يكون مقيداً فيه بمثال يضطر إلى مؤاخاته ، وقد نشرْتُ هذه الكلمات المشار إليها وأتيتُ بها في جملة كتاب فقلتُ : وكلامى قد عرف بين الناس واشتهر ، وفاق مسير الشمس والقمر ، وإذا عُرف الكلام صارت المعرفة له علامةً وأمينَ من سرقة ، إذ لو سُرِقَ لدلَّت عليه الوسامة ، ومن خصائص صفاته أن يملأ كلَّ أذن حِكْمَةً ، ويجعل فصاحة كل لسان عجيبة ، وإذا جرت نفثاته في الأفهام ، قالت : أهذه بنت فكرة أم بنت كرمة ؟

فانظر كيف فعلت في هذا الموضع ، فإنني [حين] أَخَذْتُ تلك الكلمات من البيت الشعري التزمت بأن أُوَخِيها بما هو مثلها أو أحسن منها ، فجئت بهذا الفصل كما تراه ، وكذلك ينبغي أن يُفعل في ما هذا سبيله .

وأما القسم الثالث - وهو أعلى من القسمين الأولين - فهو أن يؤخذ المعنى فيصاغ بالألفاظ غير ألفاظه . ومن ثم يتبين حِدْقُ الصائغ في صياغته ويعلم مقدار تَصَرُّفه في صناعته ، فإن استطاع الزيادة على المعنى فتلك الدرَجَة العالية ، وإلا أحسن التصرف وأتقن التأليف ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول .

واعلم أن من أبيات الشعر ما يتسع المجال لذاثره فَيُورِدُه بضروب من العبارات وذلك عندي شبيه بالمسائل السيالة في الحساب التي يُجَاب عنها بعدة من الأجوبة ومن الأبيات ما يضيق فيه المجال حتى ما يكاد الماهر في هذه الصناعة أن يخرج من ذلك اللفظ ، وإنما يكون هذا لعدم النظير . فأما ما يتسع المجال في نشره فكقول المتنبي :

لا تعذِلُ المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه
وقد نشرت هذا المعنى ، فمن ذلك قولي : لا تعذل المحب في ما يهواه حتى تطوى القلب على ما طواه . ومن ذلك وجه آخر ، وهو : إذا اختلفت العينان في النظر فالعذل ضرب من الهذر ، وأما ما يضيق فيه المجال فيعسر على الناثر تبديل ألفاظه كقول أبي تمام :

تردى ثياب الموت حُمرًا فما أتى لها الليل إلا وهى من سندس خضر
قصد أبو تمام المواخاة في ذكر لوني الثياب من الأحمر والأخضر ، وجاء ذلك واقعاً على المعنى الذي أرادته من لون ثياب القتلى وثياب الجنة . وهذا البيت لا يمكن تبديل ألفاظه ، وهو وأمثاله مما يجب على الناثر أن يُحسِّن

الصنعة في فك نظامه لأنه يتصدى لنشره بألفاظه ، فإن كان عنده قُوَّةٌ تصرُّفٍ
وبَسْطَةُ عبارة ، فإنه يأتي به حسناً رائعاً .

وقد قلت في نشره : لم تكسه المزايا نسج شفارها حتى كسسته العجنة نسج
شعارها فبدل أحمر ثوبه بأخضره ، وكأس حمامه بكأس كوثره .

وإذا انتهى بنا الكلام إلى ههنا في التنبيه على نشر الشعر ، وكيفية نشره
وذكر ما يسهل منه ، وما يعسر ، فلنتبع ذلك بقول كُليّ في هذا الباب
فتقول :

من أحب أن يكون كاتباً ، أو كان عنده طبعٌ مجيبٌ ، فعليه بحفظ
الدواوين ذوات العدد ، ولا يقنع بالقليل من ذلك ، ثم يأخذ في نشر الشعر
من محفوظاته .

وطريقه : أن يبتدى فيأخذ قصيداً من القصائد ، فينشره بيتاً بيتاً على
التوالي .

ولا يستنكف في الابتداء أن ينشر الشعر بألفاظه أو بأغلبها ، فإنه لا
يستطيع إلا ذلك .

وإذا مرتت نفسه ، وتدرّب خاطره ، ارتفع عن هذه الدرجة ، وصار
يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ، ثم يرتفع عن ذلك فيكسوه ضرباً من
العبارات المختلفة ، وحينئذ يحصل لخاطره بمباشرة المعاني لقاحٌ ، فيستنزع
منها معاني غير تلك المعاني .

وسبيله : أن يكثر الإدمان ليلاً ونهاراً ، ولا يزال على ذلك مدة طويلة
حتى تصير له ملكة ، فإذا كتب كتاباً أو خطب خطبة تدفقت المعاني في أثناء
كلامه وجاءت ألفاظه معسولة ، وكان عليها جدة حتى تكاد ترقص رقصاً ،
وهذا شيء خبرته بالتجربة ، ولا ينبغيك مثل خبير .

(عن « المثل السائر » باختصار)

التخلص والاقْتضاب في مواضيع الإنشاء

التخلص : هو أن يأخذَ مؤلف الكلام في معنى من المعاني ، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره ، وجعل الأول سبباً إليه ، فيكونُ بعضُه آخناً بـرقاب بعض من غير أن يقطعَ كلامه ، ويستأنف كلاماً آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً ، وذلك مما يدلُّ على حذق الشاعر وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه ، ويكون متبعاً للوزن والقافية ، تؤاتيه الألفاظ على حسب إرادته .

وأما الناثر فإنه مطلق العنان يمضي حيث شاء ، فلذلك يشقُّ التخلصُ على الشاعر أكثر مما يشقُّ على الناثر ، ومما جاء من التخلصات الحسنة قول المتنبي المتوفى سنة ٣٤٤ هـ :

خَلِيلِيَّ إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَلِمَ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمَنَى الْقَصَائِدُ
فَلَا تَعْجَبَا إِنْ السُّيُوفَ كَثِيرَةً ، وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ

وهذا هو الكلام الآخذ بعضه بـرقاب بعض ، ألا ترى أن الخروج إلى مدح المددوح في هذه الأبيات كأنه أفرغ في قالب واحد ؟

والاقْتضاب : أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ، ويستأنف كلاماً آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ، ولا يكون للثاني علاقة بالأول : كقول أبي نواس - المتوفى سنة ١٩٨ هـ - في قصيدته النونية التي لم يكمل حسننها بالتخلص من الغزل إلى المديح ، بل اقتضبه اقتضاباً ؛ فبينما هو يصف الخمر ويقول :

فَاسْقِنِي كَأْساً عَلَى عَدْلِ كَرِهْتُ مَسْمُوعَهُ أَذْنِي
مَنْ كُمَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةً خَيْرَ مَا سَلَسَتْ فِي بَدْنِي
مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فُؤَادِ فَتَى فَلَرَى مَا لَوْعَةُ الْحَزْنِ

حتى قال :

تَضْحَكُ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِالْآثَارِ وَالسُّنَنِ
سَنَّ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدَوْا فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنْ
وَإِذَا لَمْ يَحْسَنْ التَّخْلُصُ ، بَأَنَّ كَانَ قَبِيحاً مَسْخُوحاً فَلَا قِتْضَابُ أَوْلَى مِنْهُ .
فِيَنْبَغِي لِسَالِكِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَصُوغُهُ ، فَإِنَّ أَتَاهُ التَّخْلُصُ
حَسَناً كَمَا يَنْبَغِي ، وَإِلَّا فَلْيَدْعُهُ وَلَا يَسْتَكْرِهُهُ ، حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ هَذَا .
وَاعْلَمْ أَنَّ التَّخْلُصَ غَيْرُ مُمْكِنٍ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ ، وَهُوَ مِنْ مُسْتَصْعِبَاتِ عِلْمِ
الْبَيَانِ فَلْيَتَدَبَّرِ الشَّاعِرُ ذَلِكَ .

(عن «المثل السائر» بتصريف)

كيفية افتتاح مواضيع الانشاء وختامها

الافتتاحُ أَنْ تَجْعَلَ مَطْلِعَ الْكَلَامِ مِنَ الشُّعْرِ أَوْ الرِّسَائِلِ دَالًّا عَلَى الْمَعْنَى
الْمَقْصُودِ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ : إِنْ كَانَ فَتَحًا فَفَتْحًا ، وَإِنْ كَانَ هِنَاءً فَهِنَاءً ،
أَوْ كَانَ عِزَاءً فَعِزَاءً وَهَكَذَا . وَفَائِدَتُهُ أَنْ يُعْرَفَ مِنْ مَبْدِئِ الْكَلَامِ مَا الْمُرَادُ مِنْهُ ،
فَإِذَا نَظَّمَ الشَّاعِرُ قَصِيدَةً - فَإِنَّ كَانَتْ مَدِيحًا صِرْفًا لَا يَخْتَصُّ بِحَادِثَةٍ مِنَ
الْحَوَادِثِ ؛ فَهُوَ مَخِيرٌ بَيْنَ أَنْ يَفْتَتِحَهَا بِغَزَلٍ ، وَبَيْنَ أَنْ يَرْتَجِلَ الْمَدِيحَ
أُرْتِجَالًا مِنْ أَوَّلِهَا - كَقَوْلِ الْقَائِلِ :

إِنْ حَارَتْ الْأَبَابُ كَيْفَ تَقُولُ فِي ذَا الْمَقَامِ فَعُدُّرْهَا مَقْبُولُ
سَامِحٌ بِفَضْلِكَ مَا دِحِيكَ فَمَا لَهُمْ أَبَدًا إِلَى مَا تَسْتَحِقُّ سَبِيلُ
إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَالْمُحْسِنُونَ إِذَنْ لَدَيْكَ قَلِيلُ

وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقَصِيدُ فِي حَادِثَةٍ مِنَ الْحَوَادِثِ كَفَتْحِ مُقْفَلٍ ، أَوْ هَزِيمَةِ جَيْشٍ
أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُبَدَأَ فِيهِ بِغَزَلٍ ، وَمِنْ أَدَبِ هَذَا النُّوعِ أَنْ لَا يَذْكَرَ
الشَّاعِرُ فِي افْتِتَاحِ قَصِيدَةِ الْمَدِيحِ مَا يُنْطَوِّرُ مِنْهُ أَوْ يُسْتَقْبِحُ ، لِأَسْبَابٍ إِذَا كَانَ فِي التَّهَانِي

فإنه يكون أشدَّ قبحاً ، وإنما يُستعملُ في الخطوب النازلة ، والنوابب الحادثة ، ومتى كان الكلامُ في المديح مفتتحاً بشيءٍ من ذلك ، تَطِيرُ منه سامعه ، وإنما خُصَّتْ الابتداءات بالاختيار لأنها أول ما يطرُقُ السمعُ من الكلام ، فإذا كان الابتداءُ لائقاً بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استعماله . والختامُ : أن يكون الكلامُ مُؤذناً بتمامه ، بحيث يكون واقعاً على آخر المعنى ، فلا ينتظرُ السامعُ شيئاً بعده ؛ فعلى الشاعر والناثر أن يتأنقاً فيه غاية التأنق ، ويُجوداً فيه ما استطاعا لأنه آخر ما ينتهي إلى السمع ، ويترددُ صدهُ في الأذن ، ويعلقُ بحواشي الذكر فهو كَمَقْطَعِ الشراب ، يكون آخر ما يمرُّ بالغمِّ ، ويعرُضُ على الذوق ، فيشعرُ منه بما لا يشعرُ من سِوَاهُ ، ولذلك ينبغي أن يكون الختامُ مُميّزاً عن سائر الكلام قبله بنكتةٍ لطيفةٍ أو أسلوبٍ رشيقٍ أو معنىٍ بليغٍ ، ويُختار له من اللفظِ الرقيقُ العاشية ، الخفيفُ المحملُ على السمعِ والسهلُ الوردُ على الطبع ، ويتجافى به عن الإسهابِ والتعقيدِ والثقل ، وغير ذلك . وحُكْمُ الختامِ كما سبق أن يكون مُؤذناً بتمام الكلام بحيث يكون واقعاً على آخر المعنى فلا ينتظرُ السامعُ شيئاً بعده ، وإذا لم يكن المعنى دالاً بنفسه على الختامِ حَسَنٍ أن يُدَلَّ عليه بكلامٍ آخر ، يُذكر عَقِبَ الفراغِ من سياقه الأغراض السابقة ، وحكمه أن يكون مُنتزِعاً مما سبقه فيُقفى به تقريراً لشيءٍ من الأغراض أو إجمالاً لِمُفَصَّلِها ، مُورداً على وجه من وجوه البلاغة ، أو الكلامِ الجامع ، أو مخرَجِ المثل ، أو الحكمة ، أو ما شا كل ذلك ، مما تعلقه الخواطر وتُقيده الأذهان ، كقول المتنبي المتوفى سنة ٣٤٤ هـ :

وَمَا أَخْصُكَ فِي بُرِّي بِتَهْنِئَةٍ إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وكقول الزمخشري المتوفى سنة ٥٢٨ هـ في ختام إحدى مقالاته : « إن الطيش في الكلام يُترجمُ عن خِفةِ الأحلام ، وما دَخَلَ الرَّفْقُ شيئاً إلا زانهُ ، وما زان المتكلم إلا الرزانةُ » .

وأما فى غير ذلك ، فالأكثر فيه يُضمَّنُ غرضاً آخر من الدعا ، أو عَرَضِ النفس على خدمة المكتوب إليه ، أو توقُّع الجواب منه ، أو غير ذلك ممَّا تحتمله مقاماتُ الكلام ، وتقتضيه دواعى الحال .

وأكثر ما يهتمونها فى النثر بعد الأغراض المذكورة بقولهم : « إن شاء الله » أو « بمن الله وفضله » وما أشبه ذلك .

وكثيرا ما يهتمُّ النثر بقوله : « والسلام » أو « بلا حَوْل ولا قُوَّة إلا بالله » أو بقوله : « والله المستعان » أو بقوله : « والحمد لله أولاً وآخراً ، ياطناً وظاهراً » أو بقوله : « والله أعلم » أو غير ذلك .

وربما ختم بِمَثَلٍ ، كختم الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣ هـ رسالته بقوله : « ولقد سلك الأمير من الكرم طريقاً يستوحش فيها لِقَلَّةِ سالكيها ، وبيته فى قفارها لدروس آثارها ، وانهدام منازلها ، أعانه الله على صعوبة الطريق ، وقلة الرفيق ، وألهمه صبراً يهون عليه احتمال المغارم ، ويقرب عليه مسافة المكارم . فبالصبر تنال العلاء ، وعند الصباح يُحمدُ القوم السرى » .

ومن أمثلته فى الشعر قول ابن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ :

سلامٌ عليكم ما أحبَّ وصالكم وغايةٌ مجهودِ المُقلِّ سلام

تقسيم الانشاء الى فنى النظم والنثر

اعلم أن لسان العرب وكلامهم يدور على فنين : فن الشعر المنظوم ، وهو الكلام المقفى الموزون بأوزان مخصوصة ، وفن النثر ، وهو الكلام غير الموزون . فلما الشعر فمته المدح والهجاء ، والثناء . وأما النثر فمته ما يؤتى به قطعاً ويُلتزم فى كل كلمتين منه فافيةٌ واحدة ويسمى سجعاً . وهو ثلاثة أقسام : القسم الأول :

أن يكون الفصلان متساويين ، لا يزيد أحدهما على الآخر ، مثل قوله تعالى :
(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَاتَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَاتَنْهَرْ) وهو أشرف السجع منزلة
للاعتدال الذى يبه .

والقسم الثانى أن يكون الفصل الثانى أطول من الأول ، طويلاً لا يخرج به
عن الاعتدال خروجاً كثيراً ، فإنه يقبح عند ذلك ويُسْتَكْرَه ، ويعد عيباً ،
فمما جاء من ذلك قوله تعالى : (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ
سَعِيرًا . إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أَلْفَوْا مِنْهَا
مَكَانًا ضَيِّقًا دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا) (١) ، فالفصل الأول ثمان لفظات ، والثانى
والثالث تسع تسع ؛ ويستثنى من هذا القسم : ما كان من السجع على ثلاث
فقر ، فإن الفقرتين الأوليين تحسبان فى عدة واحدة ، ثم تأتى الثالثة فينبغى
أن تكون طويلة طويلاً يزيد عليهما ، وقد تكون الثلاث متساويات ، كقوله
تعالى : (فى سِدْرٍ (٢) مَخْضُودٍ (٣) وَطَلْحٍ (٤) مَنْضُودٍ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٥)) .

والقسم الثالث : أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول ، وهو عيب
فاحش (٦) . وأما النثر المرسل ، فهو ما يؤتى به قطعاً من غير تقييد بقافية ولا
غيرها وهو الذى يطلق فيه الكلام إطلاقاً ، ولا يُقَطَّعُ أجزاءً ، بل يُرْسَلُ
لإرساله من غير تقييد بقافية .

(من « المثل السائر » باختصار)

- (١) ويلا . (٢) شجر النبق .
(٣) مقطوع شوكة . (٤) الوز .

(٥) متراكم بعضه فوق بعض .
(٦) للسجع أربعة شروط : اختيار المفردات الفصيحة ، واختيار التاليف
الفصيح ، وكون اللفظ تابعاً للمعنى لا عكسه ، وكون كل واحدة من الفقرتين
أو الفقرة دالة على معنى لئلا يصبح الكلام طويلاً معيباً .

كيفية عمل الشعر

اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً :

أولهما : الحفظ. (١) من جنسه - أى من جنس شعر العَرَبِ - حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ، ويُتَخَيَّرُ المحفوظ. من الحر النقي الكثير الأساليب وهذا المحفوظ. المختار أقلُّ ما يكفي فيه شعر شاعر من فحول الإسلام ، مثل : عمر بن أبي ربيعة ، وكثير ، وذِي الرِّمَّة ، وجريير ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، والبُخْتَرِي ، والشريف الرضى ، وأبي فراس ، وأكثره شعر « كتاب الأغاني » لأنه جمع شعر أهل الطبقة الإسلامية كله ، والمختار من شعر الجاهلية .

ثم لا بد له من الخلوة واستجادة المكان المنظوم فيه ، باسْتِمَالِه على مثل المياه والأزهار ، كما يستحسن استجادة المسموع ، لاستنارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور . ثم مع هذا كله ، فشرطه أن يكون على جمام (٢) ونشاط فذلك أجمع له ، وأنشط للقريحة أن تأتي بمثل ذلك المنوال الذى يساعد في حفظه ، قالوا : وخير الأوقات لذلك أوقات البُكْرِ (٣) عند الهبوب من النوم ، وفراغ المعدة ، ونشاط الفكر ، وربما يكون من بواعثه العشق والإنشاء .

(١) ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر ردىء - ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط . واجتناب الشعر اولى بمن لم يكن له محفوظ . ثم بعد الامتلاء من الحفظ ، وشحد القريحة للنسج على المنوال ، يقبل على النظم وبالاكتثار منه تستحكم الملكة وترسخ ، وربما يقال : ان من شروطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة ، اذ هى صادرة عن استعمالها بعينها . فاذا نسيها ، وقد تكيفت النفس بها انتقش الاسلوب فيها كأنه منوال يأخذ في النسيج عليه بمثالها من كلمات أخرى ضرورة .

(٢) الراحة .

(٣) جمع بكرة وهو الصباح ووزانه غرفة وغرف

قالوا : فإن استصعب عليه بعد ذلك ، فليتركه إلى وقت آخر ، ولا يُكره
نمسه عليه ، وليكن بناء البيت على القافية من أول صوغه ونسجه ، يضعها ويبنى
الكلام عليها إلى آخره ، لأنه إن غفل عن بناء البيت على القافية صعب وضعها
في محلها ، وربما تجيء نافرة قلقة . وإذا سمح الخاطر بالبيت ولم يناسب الذي
عنده ، فليتركه إلى موضعه الأليق به ، فإن كل بيت مستقل بنفسه ، ولم تبق إلا
المناسبة ، فليتخير فيها كما يشاء ، وليراجع شعره بعد الخلاص منه ، بالتنقيح (١)
والنقد ، ولا يضمن (٢) به على الترك إذا لم يبلغ الإجابة ، فإن الإنسان مفتون بشعره ،
إذ هو بنات فكره واختراع قريحته ، ولا يستعمل فيه إلا الأوضح من التراكيب .
والخالص من الضرورات اللسانية فليهجرها فإنها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة
وقد حظر أئمة اللسان على المولد (٣) ارتكاب الضرورة ، إذ هو في سعة منها
بالعدول عنها إلى الطريقة المثلى من الملكة ، ويجتنب أيضاً المقعد من التراكيب
جهده ، بحيث تكون ألفاظه على طبق معانيه تسابق ألفاظه إلى الفهم ، ويجتنب
أيضاً الوحشي من الألفاظ ، والمقصر ، وكذلك السوق المبتذل ، فإنه ينزل
بالكلام عن طبقة البلاغة أيضاً ، فيصير مبتدلاً ، ويقرب من عدم الإفادة ،
وفي هذا القدر كفاية لمتعاطي صناعة الإنشاء .

(١) عن «ابن خلدون» باختصار

(١) بالتهذيب .

(٢) بفتح الضاد وكسرهما لا يبخل .

(٣) هو من وجد بعد اختلاط العجم بالعرب كالعباس بن الأحنف ومن

بعده .

فنون الإنشاء

فنون الإنشاء سبعة وهي : المكاتبات ، والمناظرات ، والأمثال ، والأوصاف ، والمقامات ، والروايات ، والتاريخ

الفن الأول

في المكاتبات والمراسلات

المكاتبة ، وتعرف أيضاً بالمراسلة ، هي مخاطبة الغائب بلسان القلم ؛ وفائدتها أوسع من أن تحصر من حيث أنها تُرجمان الجنان ، ونائب الغائب في قضاء أوطاره (١) ، ورباط. الوداد مع تباعد البلاد .

وطريقة المكاتبة هي طريقة المخاطبة البليغة مع مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه والنسبة بينهما (٢) ؛ وخواصها خمس : السدّاجة ، والجلّاء ، والإيجاز ، والملاءمة ، والطلاوة (٣) . فالسدّاجة : تجعل الكلام فطرياً سليماً من شوائب التكلف ، منزهاً عن زخرف (٤) القول ، بعيداً عن بهرجة (٥) الكلام . والجلّاء : هو العدول عن الكلام المغلق ، والتشابه المستبعدة ، والتراكيب المتبسة إلى الكلام المهذب الصريح . والإيجاز : تنقيح الرسالة من حشو الكلام ، وتطويل الجمل ، فيبرزها وافية الدلالة على المقصود ، مقتصرة على

(١) الحاجات . (٢) قال إبراهيم بن محمد الشيباني : إذا احتجت إلى مخاطبة أعيان الناس أو أوساطهم أو سوقتهم فخطب كلا على قدر أهته وجلالته وعلو مكانته وانتباهه وفطنته . ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن ترعاها في مراسلتك . فلا تكتب لمن أصيب في ماله أو في عياله كما تكتب لمن فرغ باله ووفر ماله . وقال آخر : ان بلاغنة الرسالة تستفاد من ملاحظة مقامات الكلام وأوقاته ومراعاة أحوال المخاطبين بالنسبة إلى المتكلم - واعلم أن لكل مقام مقالا .

(٣) بتثليث الطاء . (٤) مزوره . (٥) العدول عن الجادة المقصودة .

المُحَسَّنَات القريبة المثال (١) . والملاءمة : تنزل الألفاظ والمعاني على قدر الكاتب والمكتوب إليه ، فلا تُعْطَى خسيس الناس رفيع الكلام ، ولا رفيع الناس خسيس الكلام ، على أنها تجعل الرسالة وتعايرها مُستعذبة الأوضاح ، حسنة الارتباط ، يأخذ بعضها بأزمنة بعض . والطلاوة : تكسو الكلام رونقاً وإشراقاً بجودة العبارة وسلامة المعاني وسلاسة الألفاظ (٢) . وتجعله بذلك أحسن موقفاً عند سامعه .

أبواب الرسائل

تنقسم الرسائل باعتبار موضوعها إلى ثلاثة أقسام : الأول الرسائل الأهلية والثاني الرسائل المتداولة ، والثالث الرسائل العلمية

الكلام على الرسائل الأهلية

الرسائل الأهلية - وتُعرف برسائل الأشواق - هي ما دارت بين الأقارب والأصدقاء ، وأسفرت (٣) عن مكثرون (٤) الوداد ، وسرائر الفؤاد ، ولا حرج على الكاتب إذا بسط فيها الكلام على سجيته ، وأخفى السؤال في أحوال أصحابه . وتنفرد هذه الرسائل بأن يُطلق الكاتب فيها العنان للقلَم ، ويتجافى عن الكلفة ويعدل عن الانقباض . وقد قيل : « الأنس يُذهبُ المهابة ، والانقباض يُضيعُ المودة » . هذا ولا بد من مراعاة مقتضى الحال ، والاعتصام بركنِ الفطنة أخذاً بقول أبي الأسود الدؤلي :

لا تُرسلَنَّ رسالة مشهورةً لا تستطيعُ إذا مضت إدراكها

(١) ولا يعد مناقضا للإيجاز ما يستدعيه المقام من البسط في الموضوع : إما تعريزا للمعنى وأما حذرا من الإبهام ، أو دلالة على عواطف القلب ، أو رغبة في تفكيه الخواطر . قال الإقدمون : « خير الكلام ما قل ودل ، ولم يطل فيمل » .

(٣) كشف .

(٢) سهولتها .

(٤) مستور .

وإلى هذا الباب ترجع مكاتبات الشوق ، والتعارف قبل اللقاء ، والهدايا ، والاستعطاف ، والاعتذار وغير ذلك ولنذكر شذرات من أقوال الكتّاب (١) :

الفصل الأول : فى الشوق

كَتَبَ أَبُو منصور الثعالبي النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ :

شوقى إليك رهين قلبى ، وقرين صدري ، والزعيم (٢) بتعليق فكرى ، وتفريق صبرى ، وسمير ذكري ، ونديم فكرى ؛ زادى فى سفرى ، وعتادى (٣) فى حضرى ، لا يستقل به صدرى ولا يقوى عليه صبرى ، يكاد يكون لزاماً ويعدُّ غراماً ، لا يرحل مقيمه ، ولا يُصرف غريمه . استخفَّ نفسى واستفزَّها ، وحرك جوانحى وهزَّها . شوقى أخذ بسمع خاطرى وبصره ، وحال بين مورد (٤) قلبى ومصدره (٥) شوق قد استنفد جلدى (٦) وملك خلدى (٧) . شوق برانى برى الخلال (٨) ، ومحقنى معقن الهلال . شوق تركنى حرَّضاً (٩) وأوسغنى مفضناً (١٠) أرانى الصبر حسرة ، والوجد يمنة ويسرة . شوق يزيد الأيام (١١) توقداً وتأنججاً وتضرماً وتوهجاً . نار الشوق حشو ضلوعى ، وماء الصبابة ملء جفونى . أنا من لواعج الشوق بين غمام ، لا تمطر إلا صواعق وسمائم (١٢) . قد قرحت كبدى من الحرقه بهذه الفرقة ، ما يفوت أيسره حد الشكايه ، ويجوز أضعفه كُتته الكتابة . شوق الروض الماحل (١٣) إلى الغيث الهاطل .

- (١) قد أفردنا للرسائل الأهلية كتاباً خاصاً أسميناه (انشاء المكاتبات العصرية والمراسلات العربية) وطبعناه عدة طبعات متوالية ، فارجع اليه اذا شئت ، ولهذا نختصر فى هذا الكتاب أبواب الرسائل ونذكر ما تمس اليه الحاجة فقط . (٢) الرئيس .
- (٣) ما أعدده له لحوادث الدهر (٤) موضع الورود (٥) الرجوع (٦) القوة . (٧) القلب (٨) الضعف (٩) مريضاً (١٠) وجعاً . (١١) بضم الهمزة وكسرهما الدخان (١٢) الرياح الحارة (١٣) المجدب .

وكتب في تشبيهه الشوق :

ما الأعرابية حنّت إلى نجد ، وأنّت من وجد ، بأشدّ مني كلفاً (١) ، وأنّت مني شغفاً ؛ أنا في شدة الشوق إليك كالعطشان كُشِفَ له عن ماءٍ عذب ، ومُنِع منه بمنع ؛ شوق لو فُرّق على القلوب الخالية لاشتغلت ، ولو قُسم على الأكباد الباردة لاشتغلت ؛ أنا أشتاقك مع كل صباح طالع ، وضياء شارق ، ونجم طارق (٢) .

وفي أثر الفراق :

وَجَدُّ يَتَكَرَّرُ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدِينَ (٣) ، وَيَسْتَعْرِقُ سَاعَاتِ الْمَكْوِينِ (٤) قَدْ تَحَمَّاتٍ مَعَ يَسِيرِ الْفُرْقَةِ عَظِيمِ الْحَرَقَةِ ، وَمَعَ قَلِيلِ الْبُعْدِ كَثِيرِ الْوَجْدِ ؛ قَدْ انْشَيْتُ بِجِسْمِ نَاحِلٍ وَصِرْتُ مِنْ صَبْرِي عَلَى مَرَاحِلِ ، فَارَقْتَنِي (٥) وَفَرَّقْتَ جَمِيعَ صَبْرِي ؛ وَاسْتَصْحَبْتَ فَرِيقاً مِنْ قَلْبِي ؛ فَرَقْتَ بَيْنَ عَيْنِي وَالرَّقَادِ (٦) وَجَنبِي وَالْمَهَادِ (٧) ، مَا أَعُولُ إِلَّا عَلَى الْعَوِيلِ (٨) لَوْ كَانَ يُغْنِي ، وَلَا أَسْتَنْصِرُ غَيْرَ الْوَجْدِ لَوْ كَانَ يُجْنِي (٩) يَدِي لَا تَسْمَعِدُنِي ، وَخَطِي لَا يُشْبِهُهُ فِي الدَّقَّةِ إِلَّا بَدَنِي ، لَوْلَا حِصَانَةُ (١٠) الْأَجَلِ لَخَرَجْتَ رُوحِي عَلَى عَجَلٍ ؛ فَارَقْتَنِي فَتَفَرَّقَ عَنِّي شَمَلُ أَنْسٍ مُنْتَظِمٍ ، وَتَمَكَّنَ مِنْ بَرَحِ شَوْقٍ مُضْطَرَمٍ ؛ فَارَقْتَنِي فَفَتَّرَقْتَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالبَدَنِ ، وَتَرَكْتَنِي وَالنِّزَاعِ فِي قَرْنِ (١١) ؛ قَدْ صرْتُ حَلِيفٌ وَحِشَّةٌ وَإِنْ كُنْتُ ثَائِباً (١٢) فِي وَطَنِ ، وَقَرِينٌ كُرْبِيَّةٌ وَإِنْ كُنْتُ بَيْنَ جِيرَةٍ وَسَكَنٍ :

عَمِي الدَّهْرُ يُدْنِينَا وَيُدْنِي دِيَارَكُمُ وَيَجْمَعُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ وَالشَّمْلَا

(١) كلفاً مصدر كلف من باب فرح : التغير (٢) الآتي ليلاً (٣) الليل والنهار . (٤) الليل والنهار أيضاً (٥) أسهرتني (٦) النوم (٧) مكان النوم . (٨) رفع الصوت بالبكاء (٩) ينفع (١٠) حفظ وهو مصدر . (١١) قرن وقرن من باب فرح التقى (١٢) مقيماً .

فَأَشْكُو تَبَارِيحَ الْغَرَامِ إِلَيْكُمْ وَحَرَ جَوِي يُبْنِي عِظَامِي وَمَا يَبْنِي

وكتب البسطامي المتوفى سنة ٣٣٢ هـ :

قَلْبِي بِنَارِ الْهَوَى مُعَذَّبٌ شَوْقاً إِلَى حَضْرَةِ الْمُهَدَّبِ
شَوْقاً إِلَى مَا جِئَ كَرِيمٍ يَخْطُرُ لِي ذِكْرُهُ فَأَطْرَبُ

وبعد ، فالعبدُ ينهى من لواقع (٢) شوقه ، ولو أفتح (٢) تَوَقُّه (٣) إلى شهود
ذاتكم الجميلة ، ومشاهدة صفاتكم الجليلة ، لِيَنْشَقَّ عَرْفُكُمْ (٤) الفاتح ،
وبخورَ عَرْفُكُمْ (٥) الفاتح ، مدَّ اللهُ - سبحانه وتعالى ! - ظلكم ، وأدَّرَ وبلَكم (٦)
وظلكم (٧) .

أَحِبُّ الْوَعْدَ مِنْكَ وَإِنْ تَمَادَى وَأَقْنَعُ بِالْخِيَالِ إِذَا أَلَمَّا
عَسَى الْأَيَّامُ تَسْمَحُ لِي بِوَضَلٍ وَتَأْخُذُ لِي مِنَ الْهَجْرَانِ سِلْمًا
وَالجَنَابُ مَنْذُ طَوَى عَنَا أَبْوَابَ مُلَاقَاتِهِ ، وَزَوَى مِنَّا أَطْيَابَ أَوْقَاتِهِ ،
قبض العبدُ عنان مقاله وخفض لسان حاله :

شَكَّوْتُ وَمَا الشُّكُورَى بِمَثَلِي عَادَةً وَلَكِنْ تَفِيضِ الْعَيْنِ عِنْدَ امْتِلَانِهَا
فَجَلَسَ الْفِرَاقُ بِعَظِيمِ حِجَابِهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ ، عَلَى ذُرْوَةِ (٨) عَرْشِهِ ، وَافْتَرَسَ
بِقُوَّةِ بَطْشِهِ ، وَصَارَ لِلسَّرِّ جَارًا ، وَأَوْقَدَ لِلْحَرْبِ نَارًا جَهَارًا :

طَوْعًا لِقَاضِي أُنَى فِي حِكْمِهِ عَجَبًا أَفْتَى بِسَفْكِ دَمِي فِي الْحِجْلِ وَالْمَحْرَمِ
وهذه حالته المفصح عنها مقالته :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا التَّوَتْ وَتَعَقَّدَتْ جَاءَ الْقَضَاءُ مِنَ الْكَرِيمِ فَحَلَّهَا

-
- (١) الرياح . (٢) الرياح الحارة . (٣) الشوق الطيب .
(٤) الريح الطيبة . (٥) نبت يقال له التمام طيب الرائحة .
(٦) المطر الكثير . (٧) الندى .
(٨) بضم الذال وكسرهما أعلاه .

فَلَعَلَّ يُسْرًا بَعْدَ عُسْرٍ عَلَيْهَا وَلَعَلَّ مَنْ عَقَدَ الْعُقُودَ يَحُلُّهَا
 فَلَعَلَّ غُرُوسَ التَّمَنَّى قَدْ أَثْمَرَتْ ، وَلِيَالِي الْحُظِّ . قَدْ أَقْمَرْتُ :
 سَأَلْتُ أَجَبْتِي مَا كَانَ ذَنْبِي أَجَابُونِي وَأَحْشَانِي تَذُوبُ
 إِذَا كَانَ الْمُحِبُّ قَلِيلَ حُظٍّ . فَمَا حَسَنَاتُهُ إِلَّا ذُنُوبُ
 فَرَعَى اللَّهُ أَيَّامًا لَاحِتَ (١) فِيهَا أَقْمَارُ غُرُوزِهَا (٢) ، وَفَاحَتْ فِيهَا أَطْرَازُ
 طُرُوزِهَا ، مِنْ بَهَاءِ سَمَائِهَا ، عَلَى مَنَارِ ضِيَائِهَا ، مِنْ ذَاتِ جَلَالِهَا ، وَصِفَاتِ دَلَالِهَا ،
 فِي جَنَاتِ عَوَاطِفِهَا وَجَنَاتِ تَعَاطُفِهَا .

فَإِنْ كُنْتُ لَا أَطْرُقُ (٣) رَحْبَ (٤) فِئَائِكُمْ (٥) ، فَقَدْ أَطْرُقُ بَابَ ثَنَائِكُمْ :
 لَنْ غَيَّبْتَنِي عَنْ ذُرَاكَ حَوَادِثُ فَلَيسَ ثَنَائِي عَنْ فِنَاكَ بِغَائِبِ
 وَكُتِبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ الْمَتَوْفَى سَنَةَ ٩٣١ هـ :

كُنْتُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - عَنْ ضَمِيرِ انْدِمَاجِ (٦) عَلَى سِرِّ اعْتِقَادِكَ دُرَّهُ ، وَتَبْلُجِ (٧)
 فِي أَفْقِ وَدَادِكَ بَدْرُهُ ، وَسَالَ عَلَى صَفْحَاتِ ثَنَائِكَ مَسْكُهُ ، وَصَارَ فِي رَاحَتِي
 سَنَائِكَ (٨) مَلِكُهُ . وَلَمَّا ظَفَرْتَ بِفِلَانِ حَمَلْتَهُ مِنْ تَحِيَّتِي زَهْرًا جَنِيًّا ، يُوَافِيكَ
 عَرْفُهُ ذِكْيًا ، وَيُؤَالِيكَ أُنْسُهُ نَجِيًّا (٩) ، وَيَقْضِي مِنْ حَقِّكَ فَرَضًا مَاتِيًّا (١٠)
 عَلَى أَنْ شَخِصَ جَلَالَكَ لِي مَائِلٌ (١١) ، وَبَيَّنَ ضُلُوعِي نَازِلٌ ، لَا يَمَلُّهُ خَاطِرٌ ،
 وَلَا يَمَسُّهُ عَرَضٌ دَائِرٌ (١٢) ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَكَتَبَ أَبُو الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ الْمَتَوْفَى سَنَةَ ٣٦٠ هـ :
 قَدْ قُرِبَ - أَيْدِكَ اللَّهُ - بِحِلِّكَ عَلَى تَرَاحِيهِ ، وَتَصَاقِبِ مُسْتَقَرِّكَ عَلَى تَدَائِيهِ ،

(١) ظهرت (٢) مراده ماتخرجه الأغصان من النوار (٣) آتى ليلا
 (٤) المتسع (٥) بكسر الفاء متسع البيت (٦) خفى واستتر (٧) أضاء
 (٨) رفعتك (٩) مناجيا (١٠) آتيا (١١) متمثل (١٢) هالك
 (٤) - جواهر الأدب ج ١

لأنَّ الشوقَ يمثلك ، والذكرُ يُحَيِّلك ، فنحنُ في الظاهرِ على افتراق ، وفي الباطنِ على تلاقٍ ، وفي النسبةِ مُتباينون ، وفي المعنى متواصلون ، ولئن تفرقت الأشباحُ لقد تعانقت الأرواحُ .

ويكتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ :
يعزُّ عليٌّ - أطال الله بقاء مولاي - أن يثوبَ في خدمته قلمي عن قَدِي
ويَسعدُ برويته رسولي دون وُصُولِي ، وَيَرِدُ مشرعة الأُنس به كتابي قبل
ركابي ولكن : ما الحيلة والعوائق جمة !!

وعليٌّ أن أسعى وليس عليٌّ إدراكُ النجاح
وقد حضرتُ دارَهُ وقبَلتُ جِدَارَهُ ، وما بي حُبُّ الحيطان ، ولكن شغفًا
بِالْقُطَّانِ ، ولا عشقُ الجدرانِ ولكن شوقًا إلى السكان :

أمرُّ على الديارِ ديارِ سَلْمِي أُقبِلُ ذا الجدارِ وذا الجدارا
وما حُبُّ الديارِ شَغَفَنَ قَلْبِي ولكن حُبُّ من سَكَنَ الديارِ
وحين عدت العوادي عنه ، أمليتُ ضمير الشوق على لسان القلم ، معتذرًا
إلى مولاي على الحقيقة عن تقصير وقع ، وفُتُور في الخدمة عَرَضَ ، ولكني أقول :
إن يكن تركي لقصدك ذنبًا فكُنِّي أن لا أراك عقابا

وكتب أبو محمد عبد الله البَطْلِيُّوسِي المتوفى سنة ٦٢٧ هـ :
يا سيدي الأعلى ، وعمادي الأسنى ، وحسنة الدهر الحسنى ، الذي
جلَّ قدره وسار مسير الشمس ذكره ، ومن أطال الله بقاءه ، لفضل يعلى
مناره ، وعلم يحيى آثاره . نحن - أعزك الله - نتداني إخلاصاً وإن تناعينا
أشخاصاً ، ويجمعنا الأدبُ ، وإن فرَّقنا النسبُ ، فالأشكال أقاربُ ،
والآدابُ مناسِبُ ، وليس يضر تنائي الأشباح ، إذا تقاربت الأرواحُ :
نسيبي في رأبي وعلمي ومذهبي وإن باعدتنا في الأصول المناسِبُ

وكتب بديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ :

أَرَانِي أَدُكِّرُ « مَوْلَى » إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، أَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ ، أَوْ نَجَمَ
النَّجْمُ ، أَوْ لَمَعَ البَرَقُ ، أَوْ عَرَضَ الغَيْثُ ، أَوْ ذُكِرَ اللَّيْثُ ، أَوْ ضَحِكَ
الرَّوْضُ ، وَأَنْتَى (١) لِلشَّمْسِ مُحْيَاهُ (٢) ، وَلِلرِّيحِ رِيَّاهُ (٣) ، وَلِلنَّجْمِ حُلَاهُ
وَعُلَاهُ ، وَلِلبَرَقِ سَنَاؤُهُ (٤) وَسَنَاهُ (٥) ، وَلِلغَيْثِ نِدَاهُ (٦) وَنَدَاهُ (٧) ،
وَفِي كُلِّ صَالِحَةٍ ذِكْرَاهُ ، وَفِي كُلِّ حَادِثَةٍ أَرَاهُ ، فَمَتَى أَنْسَاهُ ؟ وَأَشِدَّةَ شَوْقَاهُ ؟
عَسَى اللهُ أَنْ يَجْمَعَنِي وَإِيَّاهُ .

وكتب الشيخ إبراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٣٢٤ هـ :

مَازَلْتُ أَدْفَعُ النَفْسَ عَمَّا تَتَقَاضَانِي مِنْ شَكْوَى أَشْوَاقِهَا ، وَفِي الشَّكْوَى
شِفَاءٌ ، وَاسْتَنْزَالُ أَثَرٍ مِنْ لَدُنْكَ تَتَعَلَّقُ بِهِ مَسَافَةَ البَيْنِ (٨) ، إِلَى أَنْ يُمْنَّ اللهُ
بِالْمَلْقَاءِ ، وَمِنْ دُونِ إِجَابَتِهَا مَشَادَةٌ (٩) قَدْ شَغَلَتِ الذَّرْعَ (١٠) ، وَشَوَاغِلُ قَدْ أُفْرِعَ
مِنْ دُونِهَا الوَسْعُ ؛ إِلَى أَنْ غَلَبَ جَيْشُ الوَجْدِ عَلَى مَعَاوِلِ الصَّبْرِ ، وَزَاحَمَ مَنَاكِبَ
العُدْوَاءِ حَتَّى ضَرَبَ أَطْنَابَهُ (١١) بَيْنَ الحِجَابِ (١٢) وَالصَّدْرِ ، فَاتَّخَذَتْ هَذِهِ
الرَّقْعَةَ أَزْجِيهَا (١٣) إِلَيْكَ ، وَفِيهَا مِنْ وَقْرِ (١٤) الشُّوقِ مَا يَنْوُوهُ (١٥) بِرَسُولِهَا ،
وَمِنْ رِقَّةِ الصَّبَابَةِ مَا يَكَادُ يَطِيرُ بِهَا ، أَوْ يَخْلُفُهَا فَيَصَافِحُ الأَعْتَابَ قَبْلَ وُصُولِهَا
رَاجِيًا لَهَا أَنْ تُتَلَقَّى بِمَا عُهُدَ فِي سَيْدِي مِنَ الطَّلَاقِ وَالبِشْرِ ، وَأَنْ لَا يَضِنَّ (١٦) عَلَيْهَا
بِمَا عَوَّدَنِي مِنْ تَمْهِيدِ العُذْرِ ، وَيَصِلَنِي مِنْ بَعْدِهَا بِأَنْبَاءِهِ (١٧) الطَّيِّبَةِ ، عَائِدَةً عَنْهُ
بِمَا يَكُونُ لِلنَّازِلِ قِرَّةً ، وَلِلْمَخَاطِرِ مَسْرَةً . إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى بِمَنَّةِ وَكَرَمِهِ .

(١) أَى مِنْ أَيْنَ (٢) وَجْهَهُ (٣) رَائِحَةُ طَيِّبَةٍ (٤) الرِّفْعَةُ
(٥) بِالقَصْرِ الضَّوِّءِ (٦) بَضْمُ النُّونِ وَكسْرُهَا أَشْهَرُ الصَّوْتِ (٧) العِطَاءُ
(٨) (٨) البَعْدُ (٩) مَشَاغِلُ (١٠) بَسَطَ اليَدَ (١١) الحِجْلَ يَشْدُ بِهِ سَرَادِقُ

الْبَيْتِ .

(١٢) لَحْمَةُ رَقِيقَةٍ بَيْنَ الجَنْبَيْنِ (١٣) أَرَفَعَهَا (١٤) بَكَسْرِ الوَاوِ الحِمْلِ
الثَّقِيلِ . (١٥) يَثْقُلُ بِهِ (١٦) أَى لَا يَبْخُلُ (١٧) أَخْبَارُهُ .

وكتب أيضاً :

وافاني كتابك العزيز - فأهلاً بأكرم رسول : جاء بيِّنات الإخلاص
والوفاء ، مصدقاً لما بين يديه من ذمة الوداد والإخاء ، يتلو على من حديث
الشوق ، ما شهد بصحته سقمي ، وهتف مؤذنه في مفصل من جسمي ،
ويذكرني من عهدك ، ما طالما أذكرنيهِ البرقُ إذا لمع ، والبدرُ إذا طلع ،
والقمرى^(١) إذا سجع ، إنما عداني عنك : ما أنا فيه من مُجاذبة الشواغل ،
ومساورة^(٢) البلايل^(٣) :

وفي القلب ما في القلب من شجن الهوى تبدلت الحالات وهو مُقيمٌ
وأنا - على ما بي من غلُّ البنان^(٤) ، وشغل الجَنان^(٥) - ما زالت
أنبأوك^(٦) عندي ، لا يخطئني بريدها ، ولا ينقطع عني وُرودها ، أهنئ
النفْس منها بما تتمنى لك من سلامة لا يرث^(٧) لها شعار ، وإقبال
لا يعترضه بإذن الله إِدبارٌ .

وقصارى المأمول في كرمك : أن تعاملني بما سبق لك من جميل الصلة ،
إلى أن يمن الله بالاجتماع ، ويُغني بالعيان عن السماع ، وما ذلك على الله بعزيزٌ .
وكتب أبو العباس الغساني المتوفى سنة ٤٩٨ هـ :

سرُّ إلى مجلسٍ يكادُ يسيرُ شوقاً ، ويطيّرُ بأجنحةٍ من جِواء حتى يحلُّ
بين يديك ، فله دُرُّ^(٨) كماله : إن طلعت بدرًا بأعلاه ، وجماله : إن
ظهرت غرةً بمُحياه ، فهو أفقٌ قد حوى نجومًا نتشوقُ إلى طلوع بدورها ،
وقطرٌ قد اشتمل على أنهارٍ يتشوقُ إلى بحرِها ، لنستمد منها - إن مننتَ
بالحضور ، وإلا فياخية السرور .

(١) طير من جنس الحمام يقال لأنثاه قمرية ، وللذكر ساق أحمر .
(٢) ملايسة (٣) الاحزان (٤) الاصابع (٥) القلب
(٦) أخبارك (٧) لايبلى (٨) كلمة تعجب

وكتب الصاحب إسماعيل بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ :

مجلِسُنَا يَا سِيدِي مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ ، مَعْرُولٌ فِي شَوْقِهِ عَلَيْكَ ، وَلَقَدْ تَوَرَدَتْ
خُدُودُ بِنَفْسِهِجِهَ ، وَفَتَقَتْ قَارَةَ (١) نَارِنِجِهَ (٢) ، وَانْطَلَقَتْ أَلْسُنُ الْأَوْتَارِ ،
وَكَامَتْ خُطْبَاءُ الْأَطْيَارِ ، وَهَبَتْ رِيَّاحُ الْأَقْدَاحِ ، وَنَفَقَتْ (٣) سَوَاقُ الْأَنْسِ
وَالْأَفْرَاحِ . وَقَدْ أَبَتْ رَاحَتَهُ أَنْ تَصْفُوَ إِلَّا أَنْ تَتَنَاوَلَهَا بِمَنَّاكَ ، وَأَقْسَمَ غَنَاؤُهُ
لَا طَيْبَ حَتَّى تَعِيَهُ أُذُنَاكَ ، وَوَجَنَاتُ أُتْرَاجِهِ قَدْ أَحْمَرَّتْ خُجَلًا لِإِبْطَانِكَ ،
وَعَيُونَ نَرَجِسِهِ قَدْ حَدَقَتْ (٤) تَأْمِيلًا لِلْقَائِكَ ، وَنَحْنُ لَغَيْبَتِكَ كَعَقْدِ ذَهَبَتْ
وَاسْطُهُ (٥) ، وَشِبَابٌ قَدْ أُخْذَتْ جَدَّتُهُ (٦) ، وَإِذَا غَابَتْ شَمْسُ السَّمَاءِ عَنَّا ،
غَلَا أَنْ تَدْنُو شَمْسُ الْأَرْضِ مِنَّا . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْضُرَ لِتَتَّصِلَ الْوَاسِطَةَ بِالْعَقْدِ ،
وَنَحْصِلَ بِكَ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ . فَكُنْ إِلَيْنَا أَسْرَعَ مِنْ السَّهْمِ فِي مَمَرِهِ ، وَالْمَاءِ إِلَى
مَقَرِّهِ ، لَثَلَا يَخْبِثُ مِنْ يَوْمِي مَا طَابَ ، وَيَعُودُ مِنْ نَوْمِي مَا طَارَ .

وكتب أبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣ هـ :

كِتَابِي : وَأَنَا بِمَا يَبْلُغُنِي مِنْ صَالِحِ أَخْبَارِ «السَّيِّدِ» مُغْتَبِطٌ مَسْرُورٌ ، وَمَا
يَعْرِفُهُ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ مِنْ اعْتِضَادِي (٧) بِهِ مَصُونٌ مَوْفُورٌ ، وَاللَّهُ عَلَى الْأُولَى مَحْمُودٌ ،
وَعَلَى الْآخِرَى مَشْكُورٌ ؛ التَّطَفُّلُ وَإِنْ كَانَ مُحْظُورًا فِي غَيْرِ مَوَاطِنِهِ ، فَإِنَّهُ مَبَاحٌ فِي
أَمَا كُنْهُ وَهُوَ وَإِنْ كَانَ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ يَجْمَعُ عَارًا وَوَزْرًا ، فَإِنَّهُ فِي بَعْضِهَا يَجْمَعُ
عُخْرًا وَذَخْرًا ، وَرَبُّ فِعْلٍ يَصَابُ بِهِ وَقْتُهُ فَيَكُونُ سُنَّةً ، وَهُوَ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ بَدْعَةٌ ،
وَقَدْ تَطَفَّلْتُ عَلَى «السَّيِّدِ» هَذِهِ الْأَحْرَفَ ، أَخْطَبُ بِهَا مَوْدَّتَهُ إِلَيْهِ ، وَأَعْرَضُ فِيهَا
مَوْدَّتِي عَلَيْهِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَرْسِمَ لِي فِي لِسَانِي وَقَلْبِي رَسْمًا ، وَيَخْتَمَ عَلَيْهِمَا خَتْمًا .

(١) فجات المسك (٢) تمر معرب باريك (٣) راجت

(٤) تاقت (٥) الجوهرة التي في وسطه وهي أجوده

(٦) الطريقة (٧) استعانتني

فقد جعلتهما باسمه وقصرتهما على حكمه ، وسأضعهما تحت ختمه ، وبرتت إليه منهما ، وصرتُ وكيله فيهما ، فهما على غيره حمى (١) لا يُقربُ ، وبحيرة (٢) لا تحلبُ ولا تتركب . ولما نظرتُ إلى آثار السيد على الأحرار ، ونشرتُ طرازُ محاسنه من أيدي القاصدين والزوار ، ورأيتُ نفسي غفلاً (٣) من سمة (٤) مودته ، وعظلاً (٥) من جمال عشرته حسيتُها من أن يحمي عليها وردُ مورود ، ويحسر (٦) عنها ظلُّ على الجميع ممدود ، وعجبتُ من :
 سحابُ خطائي جوده (٧) وهو صيبُ (٨) وبحرُ عدائي سيلُهُ وهو مُفعمُ (٩)
 ويدرُ أضواءَ الأرض شرقاً وغرباً وموضعُ رجلي منه أسودُ مُظلم
 وكتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفى ١٣٣٦ هـ :

مولاي : أما الشوقُ إلى رويتك فشديدٌ . وسلُ فؤادك عن صديق حميم (١٠) وودِّ صميم (١١) ورحلة لا يزيدُها تعاقبُ الملويين (١٢) وتألُّق (١٣) النيرين (١٤) إلا وثوقاً في العرى ، وإحكاماً في البناء ، ونماءً في الغراس وتشبيهاً في الدعائم (١٥) ولا يظنن سیدی أن عدم ازدياری (١٦) ساحته الشريفة واجتلائي طلعتة المنيفة لتقاعس (١٧) أو تقصير ؛ فإن لي في ذلك معذرة اقتضت التأخير . والسيد (أطال الله بقاءه) أجدزُ (١٨) من قبل معذرة صديقه وأغضى عن ريث (١٩) استدعته الضرورة .

(وبعدُ) فرجائي من مقامكم السامى أن لا تكون معذرتي هذه عائقاً لكم عن زيارتي ، فلکم مِننا طَوْقْتُمُونِهَا وَلَكُم فِيهَا فَضْلُ الْبِدَاءَةِ ! وَعَلَى دَوَامِ الشُّكْرَانِ . وَالسَّلَامِ .

- (١) محظور (٢) الشاة التي اذا نجت عشرة ابطن شقوا اذنها فكانت حراما لحمها ولبنها وركوبها (٣) من علامة عليها (٤) العلامة (٥) من لاحلى عليها (٦) يكشف (٧) المطر الشديد (٨) ذو المطر (٩) الممتلئ (١٠) القريب الذي يهتم لامره (١١) الخالص (١٢) الليل والنهار (١٣) اللمعان (١٤) الشمس والقمر (١٥) الأركان (١٦) زيارتي (١٧) التأخير (١٨) أحق (١٩) البطاء

وكتب المرحوم محمد بك دياب المتوفى سنة ٣٣٩ هـ :

كتابي إليك : وقد طالَ بي الانتظار ، وشوقٍ يجعلُ عن الكيف والانحصار
 فشخصُك دائم المثل (١) أمام إنساني (٢) ، وعن سواك من الأجلِّ الهاني
 وإنساني . فله أيام قضيناها ، وليالي من الدهر اختلسناها (٣) ، كان السرورُ
 فيها ضارباً بخيامه ، والأنس ناشرًا أعلامه - طوى بساطها ، وكان الأمر ما كان
 غير أنها زرعتُ بفؤادي شجرة الأشجان (٤) ، لكن عودها حليف أوبتك (٥)
 وتجددُها رهين إشارتك . فمتى يقربُ المزارُ ، وتنجلي سحب الأكدار ؟
 فاضربْ لعودك أجلاً ، فالعود لا شك أحمدُ ، واكتبْ بقربك وصلًا فالوصلُ
 أضمن للعهد ، وعهدى من خلقت الوفاء ، وحسن الولاء ، فلا تجعل صفة (٦)
 شوقٍ إليك خسرًا ، بل هبني بعد العسر يسرًا .

وكتب وفاء أفندي محمد المتوفى سنة ١٣١٩ هـ :

أما بعد سلامي عليك ، فهذا كتابي إليك ، يُنبئُك (٧) عنى وعن شوقٍ
 وعن ودِّى . ولا أزيدك علمًا أنى ما كتبته من دوايق ، ولا أجريت عليه قلمًا ،
 ولكنها دموعٌ وشوقٌ سالت على القرباس ، وجرت على حركات الخواطر
 والأنفاس وهبت عليه حرارة كبدي بالأشواق ، ووجدى بالفراق ؛ فبينما هى
 عقيقة حمراء ، إذ صارت فحمة سوداء ! ألا وإن كتابي هو قلبي ولساني . أما
 تراه على رقتة ، ولطف عبارته ، وصدق طويته ، بين يديك مقبلًا عليك ؟
 ينشره الشوقُ ويطويه لا يُخفى عليك أمرًا ولا يكتم عنك سرًا ، وتلك صفاتُ
 لساني وقلبي معك . فما الذى ابتغيته بعد ؟ ! وقد بعثت إليك بالأصغرین (٨)

- | | |
|-------------------|---------------------------------------|
| (١) القيام منتصبا | (٢) انسان عبنى وهو ما يرى فى السواد . |
| (٣) انتهز فرصتها | (٤) الاحزان |
| (٥) رجوعك | (٦) أصلها |
| (٧) يخبرك | (٨) القلب واللسان . |

وما أنا إلا بهذين ! نعم أرجو بقاءك ، ممتعاً بنعمائك ، لأكونَ على الدوام محلّ نظرك . والسلام .

وكتب مؤلف هذا الكتاب :

كتابي لديك ، يصفُ شوقِ إليك ، ولا يخفى عليك ، فمُدِّ فارقتني فرقت بين أنسى ونفسي ، بل بين رُوحى وجسمى . ولا تعجب إذا كنتُ أغدو وأروح فالطيرُ يمشى من الألم وهو مذبوح ، وإننى أشكو إليك من ألم الوحشة غراماً لا يشعرُ به إلا من ذاق أنسك وعرفَ مقدارَ نفسك وشاهدَ جمالَ لطفك ، ورأى كمالَ أدبك وظرفك . ولقد أودع الله فى شخصك نوراً لعينى ، وفى حديثك سروراً لفؤادى ، وفى صفاتك ترويحاً لروحي ، وفى كرم خُلقك تفریحاً لنفسى :

وإذا وصف الناسُ أشواقهمُ فشوق لوجهك لا يوصفُ
فعندى لك من المحبة والشوق ، والتلهُّف والتوق ، مالا يصفه الواصفون
ولا يُعبّر عن حقيقته العارفون :

الشوق فوق الذى أشكو إليك وهل تخفى عليك صباياتى وأشواقى ؟ !
فياشوقى إلى لُقياك ! وواللهنى على جمال مُحيّاك ! قيّدت أملى عن سواك
وهرت ناظرى بنظرة سنّك ، وكسرت جيش قرارى ، وتركتنى لا أفرّق
بين ليلى ونهارى :

فؤادى والهوى سلّمٌ وحربٌ وسلوانى أقام على الحيّاده
وشوق كاملٌ ما فيه نقصٌ فلست عليه أطمع فى الزيادة

فليت شعرى ، ماذا أصنع فى شوقٍ أنا مدفوعٌ إليه من صادق حبي ،
بعوامل صادفت منى قلباً خالياً ، فتمكّنت بالتعارف ، ولم تدع للسلوان سبيلاً ؟
عرفتُ هواه قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكّنتنا

إى وربى ، إن شوقى إليك شوقُ الظمآنِ إلى بردِ الشَّرابِ ، وحنينى لك
حنينُ الشيخِ إلى زمنِ الشبابِ ؛ فما الإبلُ وقد حنَّت إلى أعطانها ، والغرباءُ
وقد أنَّت إلى أوطانها ، بأعدمٍ منى حنينًا ، ولا أكثرَ أنينًا .

ولكنَّ التَّفَرُّقَ طال حتَّى توقَّدَ فى الصُّلوعِ له حريقُ
فكلما تخطرُ ببالى ، فى أى وقتٍ من الأوقاتِ ، يمثُلُ لى التذكُّرُ منك
محاسنَ ولطائفَ ، تجذبني مَيْلاً إليك ، وتُطربني شغفًا واغْتباطًا بإحائكِ ،
فلا عجب أن كان شوقى لرؤيتك عظيمًا ، لأنَّه كما قيل « من كرمِ الرَّجلِ
حنينهُ إلى أوطانه ، وشوقه إلى إخوانه » :

يا خلاصَ الأسيرِ يا صِحَّةَ المُدِّ نف يا زورَةَ على غيرِ وعدِ
يا نِجاةَ الغريقِ يا فرحةَ الأُوِّ بة يا قفلةً أتتْ بعدُ بعدُ
إرض عنى فدتكِ نفسى إني لك عبد أدلُّ من كلِّ عبدِ

ناشدتُك اللهُ أن ترفُقَ بحالى ، وتعيدَ وصالى ؛ وارِعِ الودَّ القديمَ ،
وأبدلْ شقاءَ محبِّك بالنعيمِ ؛ وأغمدِ سيفَ ظلماتِ القطيعةِ المسلولِ ، وأوفِ
بالعهدِ إنَّ العهدَ كان مسئولًا .

الفصل الثاني : فى التعارف قبل اللقاء

كتب أبو منصور الثعالبي النيسابورى المتوفى سنة ٥٤٢٩ هـ :

نحن فى الظَّاهِرِ على افتراقِ ، وفى الباطنِ على تلاقِ ، نحن نتناجى
بِالضَّامِرِ ونتخاطبُ بالسَّرَائِرِ ، إِذَا حَصَلَ القُرْبُ بالإِخْلَاصِ ، لم يُضِرَّ البُعدُ
بِالأشْخاصِ ، أنا أناجيكِ بخواطرِ قلبى ، وإن كان قد غابَ شخصُك عني ، إن
أخطأتكِ يدي بالمكاتبةِ ، ناجاكِ سرِّي بالمواصلةِ ، رُبَّ غائبٍ بشخصه حاضرٌ

بخلوص نفسه إن تراخى اللقاء ، فإننا نتلاقى على البعاد ، وتتلاقى (١) نظر العين بالفؤاد .

وكتب أيضاً :

أنا أشتاقك كما تُشتاقُ الجنان ، وإن لم تتقدّم لها العينان ، أنا وإن كنت ممن لا يسعدُ ببقائك ، فقد اشتمل على الأنس ببقائك ، والشوق إلى محاسنك التى سارت أخبارها ، ولاحت آثارها . لازالت الأيام تكشف لى من فضلك ، والأخبار تعرض على من عقلك ، ما يشوقنى إليك ، وإن لم أرك ، ويزيدنى رغبةً فى ودك وقد سمعتُ خبرك .

وكتب الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ :

كما أن شغف (٢) الجنان (٣) بالحسن والإحسان ، تكون داعيته المشاهدة وتسريح الأنظار ، فى مَحيا الكمال ، ومُجتلى الجمال ، فتترى العين من تلك الغرة ، ما يملؤها قرةً ، فكذلك السماع يستدعى هذا الشغف ، فيتأثر الفؤاد بما يُشغف (٤) الأذن ، مما تهديه إليه طرائف (٥) الأخبار ، حتى كأن حاستى السمع والبصر فى ذلك صنوان (٦) ، بل أخوان فى هيكل هذا الجسمان (٧) .

وقد يعلم السيد (أطال الله بقاءه وأدام ارتقاءه) أن ذلك الأمر (أى الشغف بالسمع) ليس بالحديث العهد ، والقريب الجدة (٨) ، بل هو أمرٌ عرِفَ قديماً أن يهدى السماع إلى سُويداء القلب لاعج (٩) الحب سَعرة (١٠) من الأنبياء (١١) عرِفَ (١٢) شميم (١٣) فتهيم (١٤) بمجرد استنشاق ذلك الشميم (١٥) حتى يقول الشاعرُ العربى :

* والأذن تعشقُ قبل العينِ أحياناً *

- | | | |
|-------------|-----------------------------|--------------------|
| (١) تتدارك | (٢) دخول الحب فى غلاف القلب | (٣) القلب |
| (٤) يزين | (٥) المستملحة | (٦) هما فرع النخلة |
| (٧) بالنساء | (٨) الخطوة | (٩) المتردد |
| (١٠) أوقده | (١١) الأخبار | (١٢) الريح الطيبة |
| (١٣) مشموم | (١٤) تذهب | (١٥) المرتفع |

أَجَلٌ ! (١) والقُدْرَةُ فى هذا المعنى ، والأسُّ (٢) لذلك المَبْنَى ، قوله صلى الله عليه وسلم : « إني لأشْمُ نفسَ (٣) الرَّحْمَنِ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ » لما أَمَلْتَهُ العِنايةَ الرَّبَّانِيَّةَ ، والمَلِكُ الرَّوحَانِي ، على قلبه الشَّرِيفِ من نَبَأِ (٤) القرنى (٥) أُويس (٦) ولم يكن رآه بعدُ .

ألا وإن محاسن السَّيد الأَجَل ، لَمَّا سارت بها الركبَان ، وأننى عليها كلِّ لسان مابِين أخلاق أبهى من الرِّوض النَّضِير (٧) ، وأَعْرَاقِ أَشْهَى من عذِيبِ الذمير (٨) قد احتلت من فؤادى ، لا أقولُ منزلاً رحيباً ، ولا وادياً خصيباً ، بل منزلة شماء (٩) ، ودارة (١٠) ، علياء ، وأوجاً (١١) بطولها السَّعيدة يُسعد ، ويلوح بها من ذكرها كلِّ حين فرقد (١٢) فلم أنشِب (١٣) أن قَدِّمْتُ كتابى هذا للمولاي بين يدي اللِّقَاءِ عَظَّمَهُ أَنْ يَسْمَحَ بِهِ الزَّمَانُ ، وتُسْفِر (١٤) عنه الليالى والأيام لِيَتَّاحَ (١٥) لى رِىِّ الفؤاد بما أرويه من حديث زيد الخيل ، الذى سَمَّاهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير ، وقال له : « ما وُصِفَ لى أَحَدٍ فرأيتُهُ إلا وجدته دونَ ما وصف لى سِوَاكَ ، وإن فىكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ : الحِلْمُ ، والأَنَاةُ » . مقتدياً بالإمام «محمود جارِ الله» فى تقديم هذا الحديث الشريف ، على ما أنشده إياه «الشريفُ بن الشجرى» أوَّل ما لقيه ، وكان قد تحابباً بالسَّماع :

كانت مُساءلةُ الرُّكبانِ تخبرنا
عن جابر بن رباحٍ أَطيبَ الخَيْرِ
حتى اجْتَمَعْنَا فَلَا والله ما سَمِعْت
أُذنى بأحسنِ مما قد رَأى بَصْرِى

(١) حرف جواب مثل نعم (٢) الاصل (٣) كناية عن الوحي
(٤) الخبر (٥) نسبة الى قرن وهى قبيلة (٦) هو سيد التابعين
أويس بن عامر قتل فى واقعة صفين مع على كرم الله وجهه وخبره قوله
صلى الله عليه وسلم يأتىكم أويس بن عامر مع أعداد اليمن من مراد ثم من
قرن كان به برص فبرئ منه الا موضع درهم وله والدة هو بها بار ولو
أقسم على الله لآبره (٧) الحسن (٨) الماء الزاكي (٩) مرتفعة (١٠)
دارا (١١) علوا (١٢) النجم (١٣) لم تزل (١٤) تكشف (١٥) يعطى

وكتب حفى بك ناصف المتوفى سنة ١٩١٩ م :

يعلم الله ما عندى من الشوق إلى لقاء السيد ، وإن لم يره البصر ، والشوق إلى شهوده ، وإن لم يكتحل بإثمد (١) محاسنه النظر والشغف بسماع الحديث منه ، كما سمعته عنه ، فقد سبقت ذكرى محاسنه إلى السمع ، ووصل خبر لطائفه إلى النفس (وما المرء إلا ذكره وما أثره) وحسدت العين عليه الأذن ، وودت لو أنها السابقة إلى اجتلاء رقائقه ، وشهود حقائقه .

* فللعين عشق مثل ما يعشق السمع *

لا جرم أن ما تعارف من الأرواح ائتلف ، وما تناكر منها كما قيل اختلف ، ونحن - وإن بعُدت بيننا الشقة (٢) ، ولم يسبق لنا باللقاء عهد - فلحمة (٣) الأدب تجمعنا ، ووحدة الوجهة تضمنا ، ولحمة الأدب أقوى من لحمة النسب ، وجامعة الوجهة فوق اجتماع الوجوه ؛ وقد رأيت أن أزدلف (٤) إليك بالمكاتبة ، وأتوسل إلى شرف التعرف بالمراسلة ، حتى لم يبق فى الصبر على الافتراق مسكة (٥) ، ولجى الجسم دغوة الروح ، فاندفع إلى الاجتماع ، أكون قد مهذت له سبيلاً ، ووطأت (٦) له طريقاً ، فلا تبهرنى (٧) فرحة اللقيا ، ولا يغرنى (٨) طرب الظفر « فمن فرح النفس ما يقتل ، ومن نشوة (٩) الراح (١٠) ما يزهب الأرواح » .

فإن رأى السيد أن يكاتب عبده ، ويعتقه من رق الفرقة ، عجل بجواب هذا الكتاب ، ليعلم العبد أن نيقته صادفت (١١) قبولا ، وأن وسيلته اتخذت

(١) كحل بالحجاز (٢) بالضم والكسر الناحية (٣) قرابته (٤) أتقرب (٥) قوة أو عقد (٦) بالتخفيف والتشديد هيات (٧) لانفلىنى (٨) لا يعلونى (٩) بفتح النون وكسرها السكر (١٠) الخمر (١١) وجدت .

إلى سيده سبيلاً ، قَرَّبَ اللهُ زمنَ اللقاءِ وقَصَرَ أمدَ النَّوَى (١) ، حتى أنشدُ
فى الختام :

تطابقَ الخبرُ فى عليكِ والخبرُ وصدقَ السَّمْعِ فى أوَصَافِكَ البَصَرُ

وكتب أحمد أفندى سمير المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ :

يعلم سيدي أن المودة لاتباع ولاتشرى ، وإنما هى نتيجة الاجتماع والتعارف ،
وقد خلقَ الإنسان مضطراً إليهما ، لأن انتظام العمران عليهما موقوفٌ ، ولهذا
شهد العيان بأن المنفرد بأعماله المستبد بآرائه ، عرضة للخطأ ، مظنة لعدم
الثقة ، بخلاف ما إذا كان الاشتراك فى الفكر قاعدة للعمل فلا بد أن
الصواب يتمخضُ منه ، لضعف التفرد وقوة الاجتماع ، إذ لا جرمَ أن المرء
كما قيل : « قاييل بنفسه كثير بإخوانه » .

وقد سمعت عن السيد ، وقرأت من آثاره الماثورة. ماحببه إلى ، وشافى
للتعرف به ، لنشترك فى منفعة تبادل الأفكار ، فإنى لا أكنى بمجرد السماع
ولا أقول : « إن الأذن تعشق قبل العين » فإنما هى جارحة صغيرة - ولكن
كلّ ميال إليه ، محب لاستجلاء مرآه ، عالم أنى إذا دخلت إلى مودته
من باب التلاقي ، لا أجد دهرى .

يقرب منى كل شخص كرهته ويبعد عنى من إليه أميلُ
فإن لم يتيسر أن يرانى أو أراه ، فليسعدنى ببضعة أسطرٍ تضمن لى رضاه
عن هذه المعرفة الترسلية ؛ لتتراءى بأعين الطروس (٢) ، قبل أعين الرؤوس ،
ونتجاذب أحاديث المراسلة ، إن عزت المقابلة. وقد وقفت عليه خالص
وُدّى ، واخترته من بين رجال العصر ، سعيًا لكسب المعالى بمعرفته ، فكلُّ

امرى بما كَسَبَ رهين (١) ، وأن ليس للانسان إلا ما سعى .
 عن المرء لا تسألُ وسمَلُ عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
 وكتب الشيخ أحمد مفتاح المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ :

لم أكن فيما أكتبه لك إلا سارياً فى ليل التعارف على ضياءِ خِلالِكَ (٢) ،
 التى أملاها على لسان المدح ، الذى شَرَّقَ وغَرَّبَ ، وطبق الأرض صيته ؛
 وإنى وإن لم أكنُ أُسْعِدْتُ من قبل باجتلاء طلعتك الزاهرة ، واجتناء مُفاكهِتِكَ
 الغضة (٣) ، فقد دنى على الليث زئيره (٤) وعلى البحر خريره (٥) ، وعلى
 العقل أثره ، وعلى السيف أثره (٦) ولئن لم تجمعنا لحمه (٧) النسب ، فقد
 جمعتنا حُرْفَةُ الأدب ، أو لم يضمنا قبل مصيفٍ ومُرْتَبِعٍ ، فالطيور على
 أشكالها تقع ، وشبه الشيء مُنجذبٌ إليه ، وأخو الفضائل هو المعول عليه .

وهذه الرقعة وإن وصفت لك بعض ما أنا مطويُّ عليه من التهافتِ على
 رؤيتك ، والميل إلى صداقتك ؛ فقلما تنوب عن المشافهة ، أو تقضى حاجات
 فى النفس طالما تردَّد صداها ، وفى ظننى أن (سيدى) يودُّ ما أودُّه ، وعمّا
 قليل يُسفر صبح اللقاء ، ونتجاذبُ أهْداب المعرفة ، وأرى من (سيدى)
 فوق ما توسمته وسمعتة ، ويرى منى ما يرضيه . والسلام .

وكتب الشيخ طه محمود المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ :

أيها (السيد) العزيز الجنب ، العزيز الآداب :

قد علمت - ولا أزيدك علماً ، زادك الله ولا نقصك - أن الإنسان كما
 اشتق اسمه من الأُنس ، كذلك جُبل عليه مسماه ، وأن المجتمع الإنسانى عقد

(١) مرهون (٢) مصادقتك وإخائك (٣) اللينة (٤) صوته
 (٥) صوته أيضاً (٦) جوهره (٧) القرابة

يتحلى به صدر الزمان ، نظامه متآلف ، ووساطته (١) التعارف ، فهذان الأمران هما قطب المدار في هذه الدار ، لهذا العالم ، من لدن آدم ، وليس إلا بهما يحسن الحال وينعم البال ، وتدر ضرور المنافع ، وتتفجر عيون القوائد ، ومن ثم كان أوفر الناس حظاً من مغنم الإنسانية ، من يَأْلَف ويؤلف ، ولا خير فيمن لا . . . ولا ، وناهيك بخلق امتن الله به على عباده ، إذ قال عز من قائل : « وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا » .

ذلك - أيها السيد - هو الذي بعثني أن أكتب إليك ، أستفتح باب مودتك بفتح الترسل وأستصبح في سبيل صحبتك بمصباح التوسل ، لا أبالي بما ينسب إليّ ويُنْتَقَمُ عليّ ، ممن عسى أن يقول : مالك ولهذا الفضول ! وكيف تتطفل على مأدبة أدبية لم تدع إليها !! وهل هذا منك إلا أشبهه بالتبرج (٢) لغير خاطب ؟

أيها المنتقد : هون عليك ما تجد ، فلو علمت أن ظل الآداب شامل ، ودعوة المودة الجفلى (٣) لايزاد (٤) عنها وأغل (٥) ، لأسرعت معي إلى الوغول (٦) ، ولم تر في التودد إلى أهل الفضل من فضول . وأى عيب على النكرة في التحلي بحلية المعرفة؟ ومصاحبة الأعلام؟! أما سمعت قول القائل :

بُصْحِبَتِكَ الْكِرَامُ تَعُدُّ مِنْهُمْ وَتَأْمَنُ مِنْ مُلَمَّاتِ الزَّمَانِ !

وكيف أضع نفسي بحيث يقول الأول :

دع المكارم لا ترحل لبُعَيْتِهَا (٧) واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي !

وشتان ما بين الرجلين : رجل يهوى المكارم وبنيتها ، ويبغى المناقب

(١) الجوهرة التي في وسط العقد وهي أجوده (٢) اظهار المرأة زينتها للرجال (٣) العمامة للجماعة (٤) لا يطرد (٥) المتطفل (٦) التطفل (٧) بكسر الباء وبضمها الحاجة .

وذويها ، ويقفُ نفسه على مسألة يعلمها ، وفضيلة يتحلى بها ، وآخر يبذل وجهه المصون ، في ملءِ الحقائق (١) والبطون !

هذا : وقد رجوت أن أكون الرجل الأول بصحبتك - أيها السيد - فكم روى لنا من أحاديث فضائلك الصحاح ، وتلى علينا من آيات فضائلك الحسان ، ما (٢) أشخص إليك القلوب قبل قوالبها ، وأوفد عليك الأرواح قبل أشباحها ، وأعجلني أن أكتب إليك بهذا الرقيم ، ألتمس بالتعرف إلى جنابك الكريم ، ما التمس الكليم من صحبة ذي الوجه النضر (٣) ، أبي العباس الخضر . وإني وإن كنت والحمد لله ممن آمنوا بالغيب ، وليس عندي في صدق هذه الآيات مرية (٤) ولا ريب ، بيدَ (٥) أن للصحة فضلاً لا ينكر ، وللمؤاخاة مزية لا يتارى (٦) فيها اثنان .

فإذا ورد على السيد كتابي هذا : وانشرح صدره - شرح الله صدره - إلى إجابة سؤلي ، وارتاحت نفسه إلى اصطناعي ، كتب إلى عبده بما يكون آية جليلة على ارتياحه ؛ لتحقيق هذه الأمنية .

حتى أقولَ لوجهِ آمالِي ابتهج لأوليئِكَ قِبَلَهُ تَرْضَاهَا
وكتب المرحوم محمود بك أبو النصر المتوفى سنة ١٩٣٠ م :
إنسان العين . وعَيْن الإنسان :

المودة - وصل الله بأجفان الأشواق أهدابها ، وفتح لنا أبوابها - أمر عزيز المرتقى ، على من يصطفى صديقه ، ويرعى حقوقه . وإني اصطفتك على الناس برسالتى هذه ، وعهدى بكرم سجايك أن تصافحها براحة القبول ، وتتخذها فاتحة ود طارت به إليك رياح فضلك بعد ما مثَّلت آياته لك في القلوب معنى ظهرت في مرآة الأعين صورته .

(١) الزكاتب (٢) ما : فاعل روى (٣) الحسن (٤) شك (٥) غير (٦) لا يختلف

فِي أَنْ أَبَيْتَ وِدَادِي غَيْرَ مَكْتَرٍ فَعَنْكَ مَا دُمْتُ حَيًّا لَا أَرَى بَدَلًا
 وَحَاشَاكَ عَنِ مِثْلِ ذَلِكَ الْإِبَاءِ ، وَنَحْنُ وَإِنْ لَمْ نَحْظَ أَشْبَاخَنَا بِاللِّقَاءِ ،
 فَأَرُوأَحْنَا مِنْ قَبْلِ جُنُودٍ ، وَأَعَيْنَنَا شُهُودًا ، فَإِنْ أَنْتَ مَنْحَتْنِي وَلَائًا خَالِصًا ،
 وَإِحَاءً صَادِقًا ، (وَإِلَّا فَهَبْنِي أَمْرًا هَالِكًا) وَلَا إِخَالُكَ تَرْضَاهُ ، وَإِنْ كُنْتُ
 الْمُتَطَفِّلَ عَلَى مَائِدَةِ مَوَدَّتِكَ ، فَلِي نَفْسٌ أَدِيبُ لَا تَرَى الْعِزَّ إِلَّا فِي التَّرَامِي عَلَى
 ذُرَى الْكِمَالِ ، لَا زَلَّتْ عَلَى مَرْقَى الْجَلَالِ ، وَالسَّلَامُ .

وكتب الفاضل السيد محمد البيلوي :

سَيِّدِي : إِنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيَ الْهِمَمِ مِمَّا تَسْتَرْقُ الْقُلُوبَ ، وَتَسْرِقُ
 الْعُقُولَ ، وَتَمْتَلِكُ الْأَرْوَاحَ ، وَإِنْ لَمْ تَتَلَقَّ الْأَشْيَاحَ ، فَإِنِّي مُذْ سَرَى إِلَى النَّسِيمِ
 بِأَخْلَاقِكُمُ الْغُرَاءِ ، وَابْتَسَمَ لِي نَغْرُ هَذَا الْعَصْرِ عَنِ آثَارِكُمُ الزَّهْرَاءِ ، وَتَوَاتَرَتْ
 الْأَخْبَارُ بِحُبِّكُمْ لِلْفَضْلِ وَأَهْلِيهِ ، وَارْتِيَا حِكْمُ الْعِلْمِ وَذَوِيهِ ، وَأَنَا مَشْغُوفُ الْفُؤَادِ
 بِالْتَعَرُّفِ بِسَيَادَتِكُمْ ، مَشْغُولُ الْبَالِ بِالتَّوَسُّلِ إِلَى رِيَاضِ مَوَدَّتِكُمْ . وَلِعَلَّمِي أَنَّ
 لِلصَّدَاقَةِ حَقُوقًا ، وَلِلْمُصَاحَبَةِ شُرُوطًا ، رَبَّمَا صَعُبَتْ عَلَى مَنْ حَاوَلَهَا ، وَعَزَّتْ عَلَى
 مَنْ أَرَادَ الْوَفَاءَ بِهَا ، كُنْتُ أَرَى الْوَحْدَةَ لِي أَوْلَى ، وَالانْفِرَادَ بِي أَسْلَمَ ، وَلَكِنْ
 مَا زَالَتْ تَنْمِي (١) إِلَيَّ أَحَاسِنُ شَمَائِلِكُمُ الْمَشْرِفَةِ ، وَتَتَوَارَدُ عَلَى مَسَامِعِي مُحَاسِنُ
 سِيرِكُمُ الْمُطَهَّرَةِ ، فَيَنْمُو الْوَجْدُ وَيَزْدَادُ الشُّوقُ « وَالْأُذُنُ تَعَشِقُ قَبْلَ الْعَيْنِ
 أحيانًا » وَمَا كُنْتُ أَجِدُ سَبِيلًا لِلتَّعَرُّفِ وَلَا سَبِيلًا لِلتَّوَدُّدِ ، وَلَا تَجَسَّرُ نَفْسِي عَلَى
 الْمِرَاسَلَةِ ابْتِدَاءً ، إِلَى أَنْ رَأَيْتُ سَيِّدِي قَدْ أَهَمَّ لِلأَدَبِ فَأَعْلَى مَنَارِهِ ، وَنَظَرَ
 لِلإِنشَاءِ فَرَفَعَ مَقْدَارَهُ ، وَنَصَرَ دَوْلَتَهُ وَأَحْيَا صَوْلَتَهُ ، وَأَعَادَ شَبَابَهُ ، وَفَتَحَ لِأَدْبَائِهِ
 هَذَا الْعَصْرَ بَابَهُ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ الدَّهْرَ قَدْ سَاعَدَنِي ، وَالْفُرْصَةَ قَدْ أَمَكَّنَتْنِي مِنْ مُصَافَحَةِ
 مَا أَمَلْتُ وَمُصَافَاةِ مَا أَرَدْتُ ، مِنْ اجْتِنَاءِ ثَمَارِ مَوَدَّةِ سَيِّدِي ، وَالتَّعَرُّفِ بِهِ

والتمسك بأهداب فضائله والتزوّد من آدابه ، فإن الأدب أحسن ما يُستصحبُ
بأنواره (١) ، وأشرف ما يُتسابقُ لاقتطاف أثماره (٢) ويُحمدُ التطفلُ على
موائده ، ويمدحُ التنافسُ فى التقاطِ فوائده ، فجعلت طلب الانتظامِ فى
سلك أرباب الأقالِم وسيلةً لورودِ عذبِ وداده ، ونمير (٣) التعرفُ به ، فإن
رأى سيدى أن يعدُّ نفسَ حرِّ فى عِدَادِ معارفه ، ويُقابلَ رسالتهُ بما اشتهرَ من
لطفه حتى تتمتع بالروية الأبصارُ ، كما تمتعت المسامعُ بطيب الأخبار ،
كنت مُديمَ الشكر لأفضاله ، مُستمرَ الثناء على كماله .

وكتب الشيخ عبد الكريم سلمان المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ :

أما بعد - فهذه رسالة أكتبها إلى من لم تكن لى به جامعة جسيمة ، ولم
تضمنى وإياه حفلةُ تعارف شخصية ، وهى وإن كانت فى عُرْفِ غيرى تعدُّ
هُجُوءاً ، أو تُحسَّ فضولاً ، إلا أنى أعتقد أنها أوفدت على كريم يُكرم وفادتها
ويتقبَّل ما تهديه إليه من زعيم تحية وجيل إجلال ، ويجتلى من خلالها إرادة
وُدٍّ ، ورجاءٍ ولائٍ ويغية فضل ورغبة فى إخاء ، فيُحلها منه محلَّ القبولِ ويدرأ (٤)
عنها وصمة (٥) الفضول . إن لسيدى آثاراً شاهدناها ، فاستفدناها ، ومآثر
سمعناها ، فرويناها أو تناقلناها ، ولا مريية (٦) فى أن ما غابَ عنا منها أكثرُ مما
وعينا ، وأوفى مما سمعنا ، ونحنُ - والله يعلم - طلابُ كمالٍ ، ومنتجعو أفضال (٧)
ورؤود (٨) ما خصب من فيجاء العلوم . وقد توسَّمتنا (٩) فى السيد - أطال الله
بقائه - طلبتنا ، ووجدنا لديه ضالتنا ، فحثنا إلى رحابه مطيةً المكاتبه ، ولنا
أملٌ كبيرٌ فى نوال المأمولِ ، لعله يجنح (١٠) إلى مُقابلة المثل بالمثلي ، فيكتب

(١) أضوائه (٢) أزهاره (٣) الزاكي (٤) يدفع (٥) العار

(٦) بضم الميم وكسرهما الشك (٧) طالبو معروف (٨) طالبون له

(٩) تفرسنا (١٠) بتثليث النون : يميل

لأخيه بعض كَلِمَاتٍ . يعرف منها أنه قَبيلَ الإِخاءِ . ومال إلى مقتضى طبعه من الوفاء . ولا أَظن ذلك إلا وقد كان أقرب ما يكون من الزمان . فإنَّ الأرواح ما تعارفَ منها ائتلف . كما برهنه الأصحاب فى معاشراتهم خلفاً عن خلف .

وكتب مؤلف هذا الكتاب :

لقد سَمِعْنَا بأوصافٍ لكم كَمِلَتْ فَسَرَّنا ما سَمِعْنَاهُ وأحياناً
من قبل رؤيتكم نِلْنَا محبَّتكم (والأذن تُعشِقُ قبل العين أحياناً)

سيدى ومولاى :

لقد بلغنى عنك فى وفائك وفضلك ، ما يدعونى لخطب ودك ، ويرغِبُنِي فى إِخائك ، ويحببُنِي فى التوسل إلى معرفة جنابك ؛ وإن لم تجمعنَا جامعة شخصية ولم تضمَّنَا حفلة تعارف ذاتية . إلا أن أحاديث فضائلك الصراح ، أوفدت عليك الأرواح قبل الأشباح ، والولاء والإخلاص قبل الأجسام والأشخاص . ولا غرابة فى ذلك ، فإن من سنة الله فى خلقه : أن يُؤلِّفَ بين الأرواح وأمثالها ، وإنَّ لله ملائكة يسوقون الأشكال إلى أشكالها ؛ وشبه الشيء مُنجذبٌ إليه ، وأخو الفضائل هو المعول عليه .

إنَّ القلوب لأجنادٌ مُجَنَّدَةٌ لله فى الأرض بالأهواء تعترفُ
فما تعارفَ منها فهو مُؤتلفٌ وما تناكرَ منها فهو مُختَلَفٌ

فلذا اصطفتيك لِنَفْسِي ، واخترتك لمودتى وأنسى . نَتَنَجَّى بالضمائر ، ونتخاطب بالسرائر . وإن بُعدنا فى الظاهر قَرَبٌ غائبٌ بنفسه . حاضرٌ بخلوص نفسه .

فإنَّ أبيتَ ودادى غيرَ مكترثٍ فعنك ما دُمْتَ حياً لا أرى بدلاً

وحاشاك عن مثل هذا الإباء ، والهجرِ والجفاء .

لكلِّ امرئٍ شكلٌ من الناسِ وكلُّ امرئٍ يَهْوَى إلى من يشاكله
 ناشدتك الله أن تقبلَ مِنِّي الإخاءَ ، وتضمنَ لى الوفاءَ ؛ وأنا أرضى بك
 من الدنيا نصيباً ، وأختارك من العالمين حبيباً .

الفصل الثالث : فى رسائل الهدايا

وكتب سعيد بن حميد المتوفى سنة ١٠٥ هـ يوم النيروز إلى بعض أهل السلطان :
 أيها الشريف :

عشت أطول الأعمار بزيادة من العمر ، مَوْصُولَةٍ بفرائضها من الشكر .
 لا ينقضى حقُّ نِعْمَةٍ حتى يجددَ لك أخرى ، ولا يمربك يوم إلا كان مُقَصِّراً
 عما بعده ، موفياً عما قبله .

إني تصفحت أحوال الأتباع الذين يجب عليهم الهدايا إلى السادة ، والتمست
 التأسى بهم فى الإهداء - وإن قصرتُ بى الحال عن الواجب - فوجدت
 أنى إن أهديت نفسى فهى ملكٌ لك . لاحظ . فيها لغيرك . ورميت بطرفى
 إلى كرائم مالى . فوجدتها منك . فإن كنتُ أهديتُ منها شيئاً . فإنى لمهدٍ
 مالك إليك . ونزعتُ إلى مودتى . فوجدتها خالصةً لك قديمةً غير مُستحدثة .
 فرأيت إن جعلتها هديتى . أنى لم أُجدد لهذا اليوم الجديد براً ولطفاً .
 ولم أُميز منزلة من شكرى بمنزلة من نعمتك . إلا كان الشكر مُقَصِّراً
 عن الحق . والنعمة زائدة على ما تبلغه الطاقة . فجعلتُ الاعتراف بالتقصير
 عن حقك . هدية إليك . والإقرار بالتقصير عما يجبُ لك . براً أتوسلُ به
 إليك . وقلت فى ذلك :

إن أهد مالا فهو وأهبه وهو الحقيق عليه بالشكر
 أو أهد شكرى فهو مرتهنٌ بجميل فعلك آخر الدهر

والشمس تستغنى إذا طلعت أن تستضىء بسنة (١) الدهر

وكتب حفى بك ناصف المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م :

الهدية فى نظر الأصفياء جليلة ، وإن كانت فى نفسها قليلة ، ومكانتها خطيرة وإن كانت يسيرة ، وسنة حسنة اجتمعت على فضلها الألسنة .

مضت الدهور وأمرها مُستحسنٌ وتعاقبت بمديحها الأيام

اللهم إلا إن لبست جلباب (٢) الرياء ، وولجت (٣) أبواب الارتشاء ، ولا مرآء (٤) إن الأوداء من ذلك براء .

وما زالت الهدية شعار الأصدقاء ، وعنوان تذكار الولاء ، وكم جدت بين الأصحاب عهد التحاب .

وتعهدت وداً فعاد شتيته ولشمليه بعد البداد (٥) نظام

قد وصلتني يد العصا فحبذا الإهداء ، وأهلاً بتلك اليد البيضاء ، وليست هذه أول أياديك على ، ولا أكبر عارفة جاءت من ناديك إلى ، أمنت بها الثوب (٦) واعتضدت بها (٧) على تفريق شمل الكرب .

فإذا طغا (٨) بحر الهموم ضربته بعصاي فاجتازت (٩) به الأقدام

تنفلق بها الأيام صخور ، فتنبجس (١٠) منها عيون السرور ، وتلقف ما يصنع الأعداء ، فتذهب البغضاء ، وإذا اشتد هجير (١١) الوحشة ، نشرت زلال أنسها ، أو عصى فرعون الدهر ، راعته (١٢) بيأسها (١٣) .

(١) الوجه (٢) القميص (٣) دخلت (٤) جدال (٥) التفريق

(٦) جمع نائبة : مصيبة (٧) استعنت (٨) علا (٩) سلكت

(١٠) تنفجر (١١) حرها (١٢) أزعجته (١٣) بشدتها

فكأنما أوصى الكليم (١) لنا بها حتى يرى آياته الأَقْوَامُ
 وقد فكرتُ ماذا أقبلُ به طُرفتك (٢) ، وأتلقى به تحفَتك ، إلى أن هدانى
 الله أن يد المنعم إنما تقابلُ بالأفواه ، ليعزز القَبُولُ بالقَبْلِ ، ويؤدى الرسم
 باللَّمِّ ، فأرسلت لك فم سيجارة ، وجعلته لهذا المعنى إشارة ، وقلت :
 مولاي كم فاضت يمينك بالندى (٣) حتى غدوتُ غريقَ بحرِ الأنعمِ
 والشكرُ أوجب أن أقبلُ راحها فكنت عن هذا بإهداءِ القمِ
 وقد علمت أن المنظرَ البهيج ، يتمُّ بالتدبيج (٤) ، فاخترتُ أن يكون
 مبدؤه كالليل إذا عَسَسَ (٥) ، ومُنْتَهَاهُ كالصبح إذا تنفس (٦) ، إيداناً (٧)
 بزوال الشرور بالسرور ، ورمزاً إلى الخروج من الظلمات إلى النور .

وكتب المرحوم محمود بك أبو النصر :

يا أيها المولى الذى عمت أياريه الجميله
 اقبلْ هدية من يرى فى ححك الدنيا قليله

عُرَّة وجه السعود وقره عين الوجود - الأمير الجليل .

يا جليل الفضائل - إليك توجه الآمال ، ويا جميل الشرائع بساحتك تحط .
 الرحال ، تلك هى الساحة الفيحاء (٨) ، والشَّيْمَة (٩) الحسناء ، والهَمَّة العلياء ، واليد
 البيضاء ، والأعمال التى تُضرب بها الأمثال ، كم من نعم أسديتها (١٠) ، ومكارم
 أوليتها وعلوم أحييتها ، فأنت المصدرُ والموردُ ، والمقصدُ والموعِدُ ، إليك أقدمُ
 تلك الهدية المرضية ، وأرفعُ ذلك الكتاب المُستطاب ، مشفعاً فى قبوله كرم
 سجاياك ، وعِظَمَ مزاياك ؛ وإن كنتُ أعلم أن مقامك العلى ، يجل عن أن يرفع
 إليه مثله ، فقد عرفناك مُتواضعاً فى عُلاك ، قريباً مع اعتلاك .

(١) سيدنا موسى عليه السلام (٢) احسانك (٣) العطاء
 (٤) التزين (٥) اقبل بظلامه (٦) اضاء (٧) اعلاما (٨) الواسعة
 (٩) الخلق (١٠) أعطيتها

دَنَوْتُ تَوَاضِعاً وَعَلَوْتُ مَجْداً فَشَانَاكَ انخفاضُ وارتفاغُ

كذلك الشمس يبعُد أن تُسامى ويدنو الضوء منها والشعاعُ (١)

وحاشاك أن أهدي للقمر نوراً ، أو للشمس ضياءً ، أو أبعث ببنية القطر (٢) إلى ذلك البحر ؛ ولكننى أحببتُ أن يحظى بلثم بنانك (٣) ، وينال من كرمك وإحسانك . وقد عهدناك تهتُّ للمكارم اهتزاز الصارم (٤) ، وترتاح لإسداء الجميل كما يرتاح للكريم النزيلُ ، وللشفاء العليل ، وما هو إلا من نور فكرك مقتبس (٥) فعساه يحظى بالقبول ، فأبلغ غاية المأمول ، والسلام .

وكتب الأستاذ عبد الله بك الأنصارى المتوفى سنة ١٩٣٢ م :

المولى - أدام الله وجوده ممتعاً بهدايا الأيام ، وتحف الأعوام - طالما أوفدَ (٦) من الرُفد (٧) إلى ، ووجه من الخيرات ما أفعم (٨) يدي ، حتى أصبحت - وله الفضل والمنة - أجرُ ذيول النعماء (٩) على غبراء (١٠) البأساء (١١) وأجتلى معارف (١٢) السراء بعوارفه البيضاء ، التى لا يُوازِيها ثناءٌ وحمد ، ولا يوازنها عطاءٌ ورُفد ، ولا يطاولها سماءٌ وبحر ، ولا يُغالِبها بؤسٌ وفقر . وإن لى من آلاء (١٣) السيد - حفظه الله وأدام علاه - ما أينع وأزهر وأورق وأثمر حدائق قامت لشكره عيدانها وسجدت لفضله أغصانها ، وترنمت طرباً وتمايلت عجباً ، بنفحات هى عرْفُه (١٤) ، وبركات هى عرْفُه . ولى أمل فى جنابه ، وأنا سليل (١٥) نعمته ، وعهدى بأخلاقه وأبا ابن مودته ، أن يمنَّ بقبول ما أهديته ؛ وهو من نفسه ، وثمرة غرسه (باكورة تُفاح) يرفعها إجلال وإعظام .

- (١) تفاخر (٢) المطر (٣) الاصابع (٤) السيف القاطع (٥) مأخوذ
(٦) أرسل (٧) العطاء والصلة (٨) ملأها (٩) بالفتح النعمة
(١٠) الأرض (١١) الداهية (١٢) أنظر إليها بجلوة (١٣) نعم
(١٤) بالفتح الريح الطيبة (١٥) ابن نعمته

وكتب الشيخ أحمد مفتاح المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ :

الهدية - غمرك الله بالمعروف - تبسطُ يد المودَّة ، وتدُرُّ بها أخلاف (١)
 القرب وتغرس بين المتحابين من الائتلاف ، بقدر ما تقطع بينهما من شجر
 الخلاف ، وما أنا فيما أهديه إليك إلا كمستبضع (٢) تمرأ إلى أرض خيبر (٣) ،
 أو كالأهب الماء للبحر ، والضوء للبدر ، والملك لسليمان (٤) ، والمال لقارون (٥)
 والحلم لأحنف (٦) والذكاء لإياس (٧) ، والتفسير لابن عباس (٨) ؛ وما ذاك إلا
 كتاب كما تراه ضربَ فى الأحكام بسهم ، ووعى من الأحكام ، ما خلت
 منه مُفعمات (٩) الأسفار (١٠) ، وموجزات الرسائل ، فهو كما قيل : « كل
 الصِّيد فى جَوْفِ الفِراءِ » (١١) .

تزيُّنُ معانيه ألفاظه وألفاظه زائنات المعانى

على أنى وإن تطفلت عليك ، وسقتُ لك هذا الكتاب مُزْدَلْفاً (١٢) إلى
 جنابك الرَّحْبِ ، ومقامك الأسنى ، فقد أصبتُ كبد الصَّوابِ ، ووَضَعْتَهُ حيث
 يعرفه أهله ، ويتقبله من باذله عالموه ، علماً بأنك عماد العلوم ، وأساس
 الفضائل لا تغادر (١٣) شاردة إلا وعيتها ، ولا نادرة إلا رويتها ، وإلا :

(١) جمع خلف بالكسر الضرع (٢) جاعله بضاعة (٣) موضع
 بالحجاز (٤) ابن داود النبى عليهما الصلاة والسلام (٥) من قوم موسى
 عليه السلام أعطاه الله من الكنوز ما لم يعطه لغيره (٦) هو أبو بحر
 صخر بن قيس تابعى كبير يضرب به المثل فى الحلم توفى سنة ٦٧ هـ
 (٧) هو أبو وائلة بن معاوية بن مرة المزنى يضرب به المثل فى الذكاء توفى
 سنة ١٢٢ هـ (٨) هو أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن
 هاشم القرشى الهاشمى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابى
 جليل يلقب ترجمان القرآن توفى سنة ٩٨ هـ (٩) مملوآت (١٠) الكتب
 (١١) حمار الوحش ، ومعناه - كل ما عداه دونه قاله النبى عليه الصلاة
 والسلام تطميناً لرجل خرج يضطاد مع أصحابه فلم يصب غير الحمار
 الوحشى (١٢) متقرباً (١٣) لا تترك .

لو كان يُهْدَى على قَدْرِى وقدركُمْ لَكُنْتُ أُهْدَى لك الدنيا وما فيها
وكتب مؤلف هذا الكتاب إلى أستاذه الحكيم الشيخ محمد عبده :

سيدى ومولاي . . .

أطالَ اللهُ بقاءك ، ورفع فى الدارين عُلاك - الهدية مفتاح باب المودة ،
وعنوان تذكّار المحبة ، يتسابق إليه كِرَامُ السَّجَايَا (١) ، ويتسارع إلى إحياء
شعائرها عُشاق المزايا ، حرصاً على حفظ. عهدود الوداد والتآلف ، وإذهاباً
لوحشة التقاطع والتخالف :

هدايا الناس بعضهم لبعض
تولّد فى قلوبهم الوصّالا
وتزرع فى القلوب هوى ووداً
وتكسوك المهابة والجلالا
ولقد وجدتك إماماً حكيماً ، وفيلسوفاً عليماً ، تقدر الأعمال حق قدرها ،
وتضع الأشياء فى مواضعها ، سباقاً إلى نشر العلوم والمعارف ، بين أرجاء
المشارك والمغرب :

يبقى الثناء وتنفد الأموال
ولكلّ دهر دولة ورجال
ما نال مَحَمَدَةَ الرّجال وشكرهم
إلا الصّبور عليهم الفضال
سيدى ومولاي . . .

أهديك كتابى « جواهر الأدب » ، فى أدبيات وإنشاء لغة العرب « جمع
فأوعى من الآداب والحكم ما خلّت منه الأسفار (٢) ، فهو بلا شك ولا مراً ،
كلّ الصيد فى جوف الفراء .

تزين معانيه ألفاظه وألفاظه زائناً المعانى

على أنى - وإن تَطَلَّقتُ عليك ، ووضعت كتابى هذا بين يديك - فقد ولجت الأمور من الأبواب وأصبت كبد الصواب ، حيث يُعرف الفضل من الناس ذووه ، ويتقبَّله بِقبُولٍ حسن عالموه :

شُكراً وحمداً إن قبلت هديتى وجعلت لى فضلاً على أقرانى

فبتنازلك بقبوله يكون الإقبالُ جليلاً ، ويعجز لسانى عن أن أشكرك شكراً جزيلاً ، والسلام .

وكتب مؤلف هذا الكتاب إلى المرحوم سعد باشا زغلول يُهديه كتابه « جواهر الأدب ، فى أدبيات وإنشاء لغة العرب » :

مولاي ، أطل الله بقاءك فى أهنا عيشةً وأرغدها ، وأتم نعمة وأسعدها ، وأعَمَّ عافيةً وأزيدها ، وأولاك من الآلاء بأمدها مزيداً ، ومن السَّلامةِ بِأسبيلها سِتراً ، ومن السرور بأوفره حظاً ، ومن العزِّ بأشدّه ركناً ، والعمر بِأبعده مدى ، تولاك المولى بحفظه وحياطته ، وحرَّسك تحت جناح السلامة بكلاءته ورعايته .

إن الله تعالى قد خَصَّك بالعزِّ المنيع ، والشرف الرفيع ، والخُلُقِ السنّى ، والفخر البهيمى ، والرأى والحزم ، والبلاغة والفهم ، والبراعة والكمال ، والبذل والنوال ، والجود والإفضال ، والحمد والثناء ، والكرم والوفاء ، والمذهب الجميل ، والقدرِ الجليل .

فأنت - أدام الله كرامتك ، وأكرمَ حياتك - معدن الفضائل وزين المحافل ، غياث اللاجى إليك ، وسند المعول عليك ، لا يُجحدُ فضلك ولا يُنسى ذكرك ، عَرَفك شائع ، وجودك واسع ، ومعروفك ذائع ، وفضلك شاملٌ ، ولُبُّك كامل ، سلِّمٌ لأولائك ، حَرَبٌ لأعدائك ، سحائبٌ كفيفك تمطرُ ديم

الإِنعام ، وشآبيبُ يَدِيكَ تفوق أفعال الكرام ، زَادَكَ اللهُ أَيُّهَا الرَّئِيسُ عَقْلاً
إِلَى عَقْلِكَ ، وفخراً إِلَى فخرِكَ ، وفضلاً إِلَى فضلِكَ ، وطولاً إِلَى طَوْلِكَ ،
وَسُوْدَدًا إِلَى سُودَدِكَ ، إِنَّهُ لَطِيفٌ كَرِيمٌ .

لَمَّا رَأَيْتُكَ - أَدَامَ اللهُ عُلُوَّكَ ، وَأَجْزَلَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ حَظَّكَ وَقَسْمَكَ -
تَغْنَى عَنِ التَّوَسُّلِ إِلَيْكَ بِكَرِيمِ أَخْلَاقِكَ ، وَشَرِيفِ أَعْرَاقِكَ ، جَعَلْتُ كَرَمَكَ
ذَرِيعَتِي إِلَيْكَ ، لَمَّا دَلَّنِي مِنْ فَضْلِكَ عَلَيْكَ ، وَكَفَى بِهِ عَنِ اللَّيْبِ شَاهِدًا ،
وَإِلَى الْكَرِيمِ قَائِدًا ، فَاطْمَعَنِي فِيكَ مَا رَأَيْتُ مِنْ جُودِكَ وَسِمَاحَتِكَ ، وَحُسْنِ
بِشْرِكَ وَطَلَاغَتِكَ ، وَلِئِنْ أَمَلْتُكَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، وَدَفَعْتَ بِكَ صَوْلَةَ النُّوَابِثِ
وَرَجَوْتُكَ لِكَشْفِ الْمَلَمَّاتِ ، وَالْحَوَادِثِ الطَّارِقَاتِ ، وَاسْتَغْنَتْ بِسَيِّبِكَ
وَجُدُوكَ عَلَى غَيْرِ شَافِعٍ ، أَطْمَعُ فِي شَفَاعَتِهِ إِلَيْكَ ، أَوْ مُتَوَسِّلُ فِي مَا لَدَيْكَ ،
فِيَنِ أَقُولُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبَ يُدْنِي كَفَى سَبَبًا لِلْحُرِّ أَنْ يَجْتَدِي حُرًّا بِلَا سَبَبٍ
وَلَمَّا كَانَتْ الْوَسِيلَةَ إِلَى السَّادَاتِ ، وَأَهْلِ الْأَخْطَارِ وَالْمُرُوءَاتِ ، إِنَّمَا هِيَ
وَكَيْدُ حُرْمَةٍ أَوْ قَدِيمِ خِدْمَةٍ ، وَكُنْتُ صَفْرًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، غَيْرِ دَاخِلٍ فِي جَمَلَةٍ
أَهْلِهِ ، تَوَسَّلْتُ بِكِتَابِي « جَوَاهِرِ الْأَدَبِ » ، فِي أَدَبِيَّاتٍ وَإِنْشَاءٍ لُغَةِ الْعَرَبِ ،
إِذْ كَانَ الْمُتَوَسِّلُ بِهَا عَلَى ثِقَةٍ مِمَّنْ عَرَفَ قَدْرَهَا ، لِأَنَّ الْآدَابَ عِنْدَ ذَوِي الْكَرَمِ ،
أَعْطَفُ مِنْ صِلَةِ الرَّحْمِ ، وَهُوَ سَبَبٌ بَيْنَ الْكَرَامِ مُوَصَّلٌ يَنْزَعُونَ إِلَيْهِ ، وَحَقٌّ
يَتَعَاطَفُونَ عَلَيْهِ ، وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ :

أَدَبٌ بَيْنَنَا تَوَلَّدَ مِنْهُ نَسَبٌ وَالْأَدِيبُ صِنُوهُ الْأَدِيبِ

وَقَالَ الْآخَرُ :

حَقُّ الْأَدِيبِ وَإِنْ لَمْ يُدْنِهِ نَسَبٌ فَرَضَ عَلَى كُلِّ مَنْ أَمْسَى لَهُ أَدَبٌ
وَقَدْ ضَمَنْتُ كِتَابِي هَذَا مِنَ الْآدَابِ أَظْرَفَهَا ، وَمِنَ الْأَشْعَارِ أَفْضَلَهَا وَأَجْمَلَهَا

وجعلته سبباً أمتُّ به إليك ، وهدية أضعها بين يديك . فتنازل دولتكم بشرف القبول ، يكون غاية مطلوبى ، ونهاية المأمول .

الفصل الرابع : فى رسائل الاستعطاف والاعتذار

كتب أبو منصور الثعالبي النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ :

الكريم إذا قدر غفر ، وإذا أوثق أطلق ، وإذا أسر أعتق ، قد هربت منك إليك ، واستعنت بعفوك عليك ، فأذقنى حلاوة رضاك عنى ، كما أذقتنى مرارة انتقامك منى الحر كريم الظفر ، إذا نال أقال (١) ، واللئيم إذا نال استطال (٢) ، قد هابك من استتر ، ولم يذنب إليك من اعتذر ، تكلف الاعتذار بلا زلة (٣) ، كتكلف الدواء بلا علة ، مولاي يوجب الصفح عند الزلة (٤) ، كما يلتزم البذل عند الخلة (٥) ، مولاي يوليتى صفيحة (٦) صفحه ، ويؤتيني العفو من عفوه ، زلت وقديزل العالم الذى لا أساويه ، وعثرت وقد يعثر الجواد الذى لا أجاريه ، لا تضيقن عنى سعة خلقك ، ولا تكدرن على صفو ودك ، مالى ذنب يضيئ عنه عفوك ، ولا جرم يتجافى تجافى تجاوزك وصفحك . والسلام .

وكتب عبد الله بن معاوية المتوفى سنة ١٣٤ هـ إلى أبى مسلم :

من الأسير فى يديه ، بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه . (أما بعد) فقد آتاك الله حفظ. الوصية ، ومنحك نصيحة الرعية ، وألهمك عدل القضية فإنك مستودع الودائع ، ومولى الصنائع ، فاحفظ. ودائعك ، بحسن صنائعك . فالودائع عارية . والصنائع مرعية . وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها . ولا بملوغ مداها . فنيه للتفكير قلبك . واتق ربك وأعط. من نفسك من هو تحتك . ما تحب

(١) ترك (٢) اتملك وتمسك (٣) بالفتح السقطه (٤) بالفتح
الفلظة (٥) بفتح الخاء الحاجة والفقر (٦) صفيحة - عريضة . أى
عظيم صفحه .

أن يعطيك من فوقك من العدل والرأفة ، والأمن من المخافة . فقد أنعم الله عليك ، بأن فوّض أمرنا إليك . فاعرف لنا لين شكر المؤدّة . واغتفار مسّ الشدة والرّضا بما رضيت والقناعة بما هويت . فإن علينا من سمك الحديد وثقله أذى شديداً ، مع معالجة الأغلال ، وقلة رحمة العمال الذين تسهيلهم الغلظة وتيسيرهم الفظاظة ، وإيرادهم علينا الغموم ، وتوجيههم إلينا الهموم ؛ زيارتهم الحراسة ، وبشارتهم الإياسة ! فيإليك - بعد الله - نرفعُ كربة الشكوى ، ونشكوشدة البلوى . فمتى تمل إلينا طرفاً ، وتولنا منك عطفاً تجد عندنا نصحاً صريحاً ووداً صحيحاً . لا يضيعُ مثلك مثله ، ولا ينفى مثلك أهله ؛ فارع حُرمة من أدركت بحرمة ، واعرّف حجة من فليجت بحجته (١) فإن الناس من حوضك روائاً ، ونحن منه ظمّاءً . يمشون في الأبراد ، ونحن في الأقياد ، بعد الخير والسعة ، والخفض والدعة ؛ والله المستعان ، وعليه التكلان .

وكتب بدر محمد بن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٩٩ هـ :

رفقاً بمن ملك الوجد قياده . وعظفاً على من أذاب الشوق فواده . مُتَمِّمٌ (٢)
أقلقه فرط . صدودك . ومغرماً أغراه بحبك قول حسودك . وسقيم لا شفاء له
دون مزارك . ومقيم على عهدك ولو طالتمدة نفارك . إلامَ هذا التناثي (٣) والنفور!
وعلام إذا القد العادل تجور ؟! لقد تضاعف الأسف والأسى ، وتطاول التعلل
بلعلّ ، وعسى :

هيني تخطيتُ إلى زلة ولم أكنُ أذنبتُ فيما مضى
أليس لي من بعدها حرمةٌ ؟ تُوجب لي منك جميل الرّضا ؟!
ولست ألوذ إلا بباب نعمك ، ولا أعتمد في محو الإساءة إلا على حلمك وكرمك
وما جل (٤) ذنب يضاف إلى صفحك ، ولا عظم جرّم (٥) يسند إلى عفوك .

ومثلك من يقيلُ العثراتِ ، ويتجاوز عن الهفوات :

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ جِبَالَ رِضْوَى (١) تَزُولُ وَأَنَّ وَدَكَ لَا يَزُولُ

ولكنَّ القلوبَ لها انقلابٌ وحالاتُ ابنِ آدمَ تستحيلُ

طالما آنتسنى بقربك ، وذنوتَ منى مفارقاً ظباءَ سربك ، وأنجزتُ

وُعُودى ، وأطعتَ نجومَ سعودى :

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ أَدْنَيْتُ مَجْلِسِى وَوَجْهَكَ مِنْ مَاءِ الْبِشَاشَةِ يَقْطُرُ

فَمَنْ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَىٰ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ

قيدت أُملى عن سواك ، وبهرتَ ناظرى بنظرة سناك (٢) ، وكسرت جيش

قرارى ، وتركتنى لا أفرقُ بين ليلى ونهارى ، أحوم حولَ الديار ، وأعوم

فى بحر الأفكار ، وأتمسك بعطف عطفك ، وأتعلق بأذيال مكارمك ولطفك .

أما علمت أن الكريم إذا قدر غفر ؟ وإذا صدرت من عبده زلة أسبلَ عليها رداء

العفو وستر ؟ وأن شفيح المذنب إقراره ؟ ورفض خطيئته عند مولاه استغفاره ؟

وَمَنْ كَانَ ذَا عُدْرِ لَدَيْكَ وَحِجَّةٍ فَعُدْرِى إِقْرَارِى بَأَنَّ لَيْسَ لِي عَذْرُ

لهنى على عيش بسلاف (٣) حديثك سلف ! وأوقاتٍ حلت ، ثم خلت

وأورثت التلّف ! وآهاً لأيام أنسك مضت ! وبروق ليالى لولا قُربك

ما أوَمّضت (٤) :

قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ فِي الْهَوَىٰ مَقْدَارَهَا رَحَلْتُ وَبِالْأَسْفِ الْمَبْرَحِ عَوَّضْتُ

كيف السبيل إلى إعادة مثلها وهى التى بالبعد قلبى أمرصتُ

فجُدُ بالتدانى ، واسمح بنيل الأمانى ، وألن قلبك القاسى ، وعد عن التثنائى

والتناسى ، وازع الود القديم وأبدل شقاء محبك بالنعيم ، ولا تعديل عن منهاج المعذلة ، وسلم فقد أخذت حقها المسألة ، وأعمد سيف حيف (١) صيرته مسلولاً ، وأوفى بالعهد إنَّ العهد كان مسؤلوا .

وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ :
ليس عندى - أعزك الله - سببٌ ولا أقدرُ على شفيحٍ ، إلا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة ، والتأميل الذى لا يكون إلا من نتاج حُسن الظن ، وإثبات الفضل بحال المأمول . وأرجو أن أكون من الشاكرين ، فتكون خير مُعتب (٢) ، وأكون أفضل شاكر ، ولعل الله يجعل هذا الأمر سبباً لهذا الإينعام ، وهذا الإينعام سبباً للانقطاع إليكم ، والكون تحت أجنحتكم (٣) ، فيكون لا أعظم بركة ولا أسمى بقيةً من ذنب أصبحت فيه ، وبمثلك (جعلت فداك) عاد الذنب وسيلةً والسيئة حسنةً ، ومثلك من انقلب به الشر خيراً ، والغرم غمًا (٥) .

من عاقب فقد أخذ حظه . وإنما الأجر فى الآخرة وطيب الذكْر فى الدنيا ، على قدر الاحتمال ، وتجرع المرائر . وأرجو أن لا أضيع (وأهلك) فيما بين كرمك وعقلك . وما أكثر من يعفو عن صغر ذنبه ، وعظم حقه . وإنما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة . وإن كان العفو العظيم مستطرفاً (٦) من غيركم فهو تلاد (٧) فيكم ، حتى دعا ذلك كثيراً من الناس إلى مخالفة أمركم ، فلا أنتم عن ذلك تنكلون (٨) ، ولا على سالف إحسانكم تندمون . ولا مثلكم إلا كمثل عيسى بن مريم ؛ حين كان لا يمر بملا من بنى إسرائيل إلا أسمعوه شراً ، وأسمعهم خيراً ، فقال له (شمعون الصفار) (٩) : ما رأيت

(١) الجور (٢) مسر بعد اساءة (٣) حمايتكم (٤) ما يلزم
أداؤه (٥) الفنيمة (٦) مستحدثا (٧) المال القديم (٨) ترجعوا
(٩) شمعون الصفار : هو أحد حوارى عيسى عليه السلام .

كاليوم ! كلما أسمعوك شراً ، أسمعتهم خيراً ؟ ! فقال : « كلُّ امرئٍ يُنفقُ مما عنده » وليس عندكم إلا الخير ، ولا فى أوعيتكم إلا الرحمة . وكل إناءٌ بالذى فيه ينضح .

وكتب ابن مكرم إلى بعض الرؤساء :

تَبَّتْ (١) بى غرَّةُ الحداثة ، فردتني التجربة ، وأفادتني الضرورة ؛ ثِقَّةٌ بإسراعك إلى وإن أبطأت عنك ، وقبولك لعذري وإن قصرت عن واجبك . وإن كانت ذنوبي سدت على مسالك الصفح عني ، فراجع في مجدك وسؤدذك (٢) وإني لا أعرفُ موقفاً أذل من موقفي ، لولا أن المخاطبة فيه لك ، ولا خطةً أذنأ من خطتي ، لولا أنها فى طلب رضاك - والسلام .

وكتب أبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٧٤٠ هـ :

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

كيف يقدر (يقى الله السيد) على الدواء ، من لا يهتدى إلى أوجه الداء ؟ وكيف يدارى أعداءه ، من لا يعرف الأصدقاء من الأعداء ، وكيف يعالج علة القرحة العمياء ؟ أم كيف يسرى بلا دليل فى الظلماء ؟ ! أم كيف يخرج الهارب من الأرض والسماء ؟ ! الكريم إذا قدر غفر ، وإذا أوثق أطلق ، وإذا أسر أعتق . ولقد هربت من السيد إليه ، وتسلمت (٣) بعفوه عليه ، وألقيت ربقة (٤) حياتي وماتى بيديه . فليذقنى حلاوة رضاه عنى كما أذاقنى مرارة انتقامه منى ، وتلح (٥) على حالى غرة عفوه ، كما لاحت عليها مواسم (٦) غضبه وسطوه . وليعلم أن الحر كريم الظفر إذا نال أقال ، وأن اللئيم لئيم الظفر إذا نال استطال . وليغتم التجاوز عن عشرات الأحرار ، ولينتهز فرص الاقتدار .

(١) أبعدتنى (٢) السيادة (٣) استعنت (٤) العروة التى

يربط بها والمراد بها الزمام (٥) تظهر (٦) العلامات .

وَلِيُحْمَدَ اللهُ الَّذِى أَقَامَهُ مَقَامًا مِنْ يُرْتَجَى وَيُخْشَى ، وَرَكَّبَ نَصَابَهُ فِي رُتْبَةٍ شَابَ الزَّمَانُ وَمَجَدَهَا فَتِيًّا ، وَأَخْلَقَ الْعَالَمَ وَذَكَرَهَا طَرِيًّا ، وَلِيَعْتَقِدَ أَنَّهُ قَدْ هَابَهُ مِنْ اسْتَتَرَ ، وَلَمْ يَذْنِبْ إِلَيْهِ مِنْ اعْتَذَرَ ، وَأَنْ مِنْ رُدِّ عَلَيْهِ عُذْرُهُ ، فَقَدْ أُخْرِجَ إِلَى الشُّجَاعَةِ بَعْدَ الْعُجْبَنِ ، وَأُخْرِجَ ذَنْبُهُ إِلَى صَحْنِ الْيَقِينِ مِنْ سُتْرَةِ الظَّنِّ . وَفَقَّ اللهُ السَّيِّدَ لَمَّا يَحْفَظُ عَلَيْهِ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ ، وَعَصْمَهُ مِمَّا يَزِيدُ بِهِ فِي عَدَدِ جَمَاجِمِ أَعْدَائِهِ .

وكتب بعضهم إلى رئيسه :

وَجَدْتُ اسْتِصْغَارَكَ لِعَظِيمِ ذَنْبِي أَعْظَمَ بِقَدْرِ تَجَاوُزِكَ عَنِّي ، وَلِعَمْرَى ! مَا جَلَّ ذَنْبٌ يُقَاسُ إِلَى فَضْلِكَ ، وَلَا عَظَمَ جُرْمٌ يُضَافُ إِلَى صَفْحِكَ ، وَيَعْوَلُ فِيهِ عَلَى كَرَمِ عَفْوِكَ . وَإِنْ كَانَ قَدْ وَسَّعَ حِلْمُكَ ، فَأَصْبَحَ جَلِيلُهُ عِنْدَكَ مُحْتَقَرًا ، وَعَظِيمُهُ لَدَيْكَ مُسْتِصْغَرًا ، إِنَّهُ عِنْدِي لِنِي أَقْبَحُ صُورِ الذُّنُوبِ ، وَأَعْلَى رُتْبِ الْعِيُوبِ . غَيْرَ أَنَّهُ لَوْلَا بَوَادِرُ (١) السُّفَهَاءِ ، لَمْ تَعْرِفْ فُضَائِلُ الْحُلَمَاءِ ، وَلَوْلَا ظُهُورُ نَقْصِ بَعْضِ الْأَتْبَاعِ ، لَمْ يَبَيِّنْ جَمَالَ الرُّؤَسَاءِ ، وَلَوْلَا إِمَامُ الْمَلَمِينِ بِالذَّنْبِ ، لَبْطَلَتْ تَطَوُّلُ الْمُتَطَوِّلِينَ بِالصَّفْحِ . وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَمْنَحَكَ اللهُ السَّلَامَةَ بِطَلْبِكَ لَهَا ، وَيُقِيلَكَ الْعَثْرَاتِ بِإِقَالَتِكَ أَهْلِهَا . وَمَا عَلِمْتُ أَنِّي وَقَفْتُ مِنْكَ عَلَى نِعْمَةٍ أَتَدَبَّرُهَا ، إِلَّا وَجَدْتَهَا تَشْتَمِلُ عَلَى فَائِدَةٍ فَضَّلْتُ ، تَتَّبِعُهَا عَائِدَةٌ عَقْلٌ .

وكتب فقيده اللغة الشيخ إبراهيم اليازجى المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ :

بِمَ يَعْتَدِرُ إِلَيْكَ مَنْ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ عُذْرًا ؟ ! وَكَيْفَ يَسْتَتِرُ مِنْ عَيْبِكَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ لَذَنْبِهِ سِتْرًا ؟ ! بَلْ كَفَانِي مِنَ الْعُتْبِ : تَعْنِيْفُ نَفْسِي عَلَى مَا أَلْقَيْتُ عَلَيْهَا مِنْ تَبَعَةٍ تَقْصِيرِي ، وَمَا حُلْتُ بِهِ مِنَ التَّفْرِيطِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَعَاذِيرِي . وَاللَّهُ

(١) جمع بادرة : وهى الحدة عند الغضب .

يعلم ما كان تقصيرى شيئاً أرذته وكان تفريطى أمراً قصدته ، ولكنها الأيام !
 إن صاحبتها لم تصحب ، وإن عاتبته لم تُعتب ، فلقد عبرتُ بى هذه البرهة كلها
 وأنا بين شواغلٍ لا يشغلها عنى شاغل ، وبلايلٍ (١) قد اختلط حابلها بالنابل ،
 فتنازعتها هذه النهضة (٢) اليسيرة ، أُجددُ فيها التذكرة ، إلى أن يمنَّ الله بصلة
 الحبل واجتماع الشمل ، وأسئزلُ أخرفاً من حظك يكتحلُّ بها الناظر ، ويأنسُ
 إليها الخاطر ، متوقفاً بعد ذلك أن أبقى بين يدي مودتك مذكوراً ، وألا يكون
 عجزى لديك شيئاً منظوراً ، وأن تجرى بى على عادة حلمك ، إلى أن يجمعَ
 الله الشيتيين ويغنى العين (٣) عن الأثر بالعين (٤) إن شاء الله تعالى . والسلام .

وكتب أيضاً :

وإفانى كتابك العزيز ، والنفسُ نازعة (٥) إلى ما يزيلُ نِفَارَهَا ، والقريحة (٦)
 تائقة (٧) إلى ما يشحذُ (٨) غرارها (٩) ؛ فكان روضةً باسمه (١٠) الكمام (١١)
 فاتحة التَّسَامِ ، وقد رَدَّتْ على النفس انبساطها وأحيلت البادرة فاستأنفت
 نشاطها ؛ فأنا منه ما بينَ وشى (١٢) يُخجلُ طِرَازَ العَبْقَرِيَّةِ (١٣) ، وَزُخْرُفِ (١٤)
 دُونِهِ نَضْرَةَ (١٥) السابرية (١٦) تُتَاجِئِنِي مِنْهُ رَشَاقَةٌ (١٧) أَلْفَاظِ تَفْضُحِ قُدُودِ (١٨)
 الحسان ، وَغَضَاضَةَ (١٩) أَنْفَاسِ يُغَارُ مِنْهَا وَرَدُّ الْجِنَانِ ، وَرَقَّةَ خَطَابِ يَشْفِ (٢٠)

(١) هموم ، والحابل : قيل ناصب الجباله للصيد ، وقيل : سدى
 الثوب . والنابل : صاحب النبال وقيل : لحمه الثوب ولفظ المثل «اختلط
 الحابل بالنابل» وهو مثل يضرب فى ارتباك الامر (٢) بضم النون
 الفرصة (٣) الباصرة (٤) الذات (٥) مشتاقه (٦) الملكة
 التى يقتدر بها على استنباط العلم بحده الطبع (٧) مشتاقه (٨) يحد،
 وأصله السكين (٩) بكسر الفين والمراد أن الملكة مشتاقه الى ما يجعلها
 قوية مصيبة (١٠) ضاحكة (١١) الزهر (١٢) نقش الثوب
 (١٣) ثياب تبلغ الغاية فى الحسن (١٤) كمال الحسن (١٥) الحسن
 (١٦) ثياب رقيقة جيدة وأصلها للدروع السابرية نسبة الى سابور كورة
 بفارس ، بينها وبين شيراز ستة عشر فرسخا (١٧) لطافة (١٨) جمع
 قد وهو القامة الرشيقه (١٩) الحسن (٢٠) يحكى .

عن ودّ صنّى ، ولطف خفى^(١) ، وكرمٍ وفّى ، وعتبٍ أَعذَبَ من الماءِ القراح^(٢) ،
وأرقّ من نسَمَاتِ الصبا فى الصَّبَاحِ ؛ حتى لقد حَبَّبَ إِلَىّ تقصيرى ،
وشفَعَ عند نفسى فى قبول معاذيرى . على أَنَّ ما عندى من الولاءِ
لا يعتريه - معاذ الله ! - وهن^(٣) ، ولا يخلفه^(٤) تَمَادى زمنٍ أو ترائى وطن .
ولكن صُرْفَ الأحداثِ^(٥) قد قَصَّرَتِ الجهد^(٦) ، وصرفت جواد العزيمة عن
القصْد . والله يعلم أنى لو نزلت على حكم نوازل الدَّهْرِ ، ولم أدافع طلائعها
ما بقى من ساقية^(٧) الصبر ، لما كان فى هِمَّتِي إِلا كَسْرُ البِرَاعِ^(٨) وهجرُ
المحابرِ والرِّقَاعِ^(٩) . وحسبى من العذر ما أَعرفه من حلمك المألوف ، وما
ألَفْتُهُ من كَرَمِكَ المعروف .

والله أسأل أن يبقيك لى من الدَّهْرِ نصيباً ، ويمتحنى بلقائك قريباً ،
بمنه وكرمه .

وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ :
أما بعدُ : فنعم البديلُ من الزلة الاعتذار ، وبِئْسَ العَوْضُ من التوبة
الإصرارُ ؛ فإنه لا عَوْضَ من إِيْخَاتِكَ ولا خلف من حُسْنِ رأيك . وقد انتقمت
منى فى زلتى بجفائك ، فأطلق أسيرَ تَشَوُّقِي إلى لقائك . فإننى بمعرفتى
بمبلغ حلمك وغاية عفوك ، ضمنتُ لنفسى العَفْوَ مِنْ زلتها عندك . وقد
مسنى من الألمِ ما لَمْ يشفِهِ غير مواصلتك .

وكتبت زبيدة زوجة الرشيد المتوفاة سنة ٢١٦ هـ إلى المأمون :

كلُّ ذنبٍ - يا أمير المؤمنين - وإن عظم صغير فى جنب عفوك . وكل

(١) ظاهر فهو من الاضداد (٢) بفتح القاف الخالص (٣) ضعف
(٤) لا يبليه (٥) كلاهما مصائب الدهر (٦) بفتح الجيم وضمها
أى الطاقة (٧) آخره (٨) الاقلام (٩) الرقاع بكسر الراء مفردة
رقعة وبضمها القطعة من الورق التى تكتب .

إِسَاءَةً وَإِنْ جَلَّتْ يَسِيرَةٌ لَدَى حَلْمِكَ ، وَذَلِكَ الَّذِي عَوَّدَكَ اللَّهُ أَطَالَ مَدَّتَكَ ،
وَتَمَّ نِعْمَتِكَ ، وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ ، وَكَدَّفَعَ عَنْكَ الشَّرَّ وَالضَّرِيرَ .

وبعد : فهذه رُقعة الولهي - التي ترجوك في الحياة لنوائب الدهر ،
رفى الممات لجميل الذكر - فإن رأيت أن ترحم ضعفى واستكانتى وقلة
حياتى ، وأن تصل رحمى ، وتحتسب فيما جعلك الله له طالباً ، وفيه راعياً -
فافعل - وتذكر من لو كان حياً لكان شفيعى إليك .

وكتب إليها المؤمن جواب المواساة الآتى :

وصلت رقعتك يا أماه - أحاطك الله وتولاك بالرعاية (١) - ووقفتُ
عليها ، وساءنى - شهد الله ! (٢) - جميع ما أوضحت فيها ، لكن الأقدار
نافذة (٣) ، والأحكام جارية ، والأمور متصرفة ، والمخلوقون فى قبضتها ،
لا يقدرُونَ على دفاعها (٤) ، والدنيا كلها إلى شتات (٥) ، وكل حى إلى ممات ،
والغدر والبغى حنف الإنسان (٦) ، والمكر راجع إلى صاحبه .

وقد أمرتُ برد جميع ما أخذ لك ، ولم تفقدى ممن مضى إلى رحمة الله
إلا وجهه ، وأنا بعد ذلك على أكثر مما تختارين (٧) . والسلام .

وكتب بعضهم :

إِنِّى وَإِنْ جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي ، وَخَرَجْتُ عَنْ حَدِّ الْأَدَبِ ، فِيمَا يَجِبُ عَلَى
العبد لسيده - فَإِنِّى عَبْدٌ نِعْمَتِكَ وَصَنِيْعُ إِحْسَانِكَ ، وَذَنبِي وَإِنْ عَظُمَ وَضَاقَ
باب التوبة عن قبول المعذرة ، فالعفو عنه بعض حسناتك التي فُطِرَتْ
عليها ، والإغضاء عني سرٌّ من أسراركَ التي تميل إليها . فاجعل العفو عني

(١) يعنى حفظك الله وصانك برعايته (٢) جملة معترضة يقصد
بها تأكيد ما يقول (٣) يعنى ما قدره الله لا يد أن يكون (٤) يعنى أن
المخلوقات مستسلمة لأحكام الله وأقداره (٥) مآلها التفرق (٦) يعنى
أن البغى فيه هلاك الباغى (٧) يعنى أقوم لك بجميع ما تحبين وزيادة

قُرْبَةً إِلَى مولى المولى ، واترك العبد عتيق مكارم الأخلاق ، وإلْفَضْعَ سَيْفِ
نَقْمَتِكَ ، فى نحر عبد نَعْمَتِكَ ، وَأَنْتَ حِلٌّ مِنْ دَمِ أَرَاقِهِ أَهْلِهِ ، أَوْ آلِ أَمْرِهِ إِلَى
وارث لايسعه إلا النزولُ عن المطالبةِ به ، أَلَا وَهُوَ مَقَامُ جَلالَتِكُمُ السامى .
وحاشاك أنْ تَعَدَمَ الصادق فى خدمتك بهفوة لم يقصدها ، وذنب أَلْقَعَ عَنْهُ .
وعلى كل فالعبدُ بين يديك ، وأَمْرُهُ مِنْكَ وَإِلَيْكَ ، فقد أتى إِلَيْكَ مَقاليدِ
الأَجَلِ ، فافعل ما تشاء ، وَأَتَقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

استعطاف أم جعفر (١) بن يحيى الرشيد

لأجل يحيى زوجها

قال سهل بن هارون :

كانت أم جعفر بن يحيى أَرْضَعَتِ الرَّشيدَ مع جعفر (٢) وربته فى
حجرها وغذته بِرِشْلِها (٣) وكان الرشيد يشاورها مظهرًا لِإِكْرَامِها ، والتبرك
برأيها . وكان آلى وهو فى كِفالَتِها أَلَا يَحْجُبُها وَلَا اسْتَشْفَعَتْه لِأَحَدٍ إِلا شَفَعَهَا .
وَأَلَّتْ أُمُّ جَعْفَرٍ أَنْ لا دَخَلَتْ عَلَيْهِ إِلا مَأْذُونًا لَهَا ، وَلا شَفَعَتْ لِأَحَدٍ مَقْتَرَفٍ
ذَنْبًا ؛ فَكَمْ أُسِيرَ فَكْتُ ، وَمُبْهَمَ عِنْدَهُ فَتَحَتْ ، وَمُسْتَغْلِقَ (٤) مِنْهُ فَرَجَتْ .
فلما قَتَلَ ابْنُها جَعْفَرًا وَحَبَسَ يَحْيى زَوْجَها وَسائِرَ أَهْلِ بَيْتِهِ طَلَبَتْ الإِذْنَ
عَلَيْهِ ، وَمَتَّ (٥) بِوَسائِلِها إِلَيْهِ ، فلم يَأْذُنْ لَهَا وَلا أَمَرَ بِشَيْءٍ فِيها ؛ فلما
طال بِها خَرَجَتْ كاشِفةً وَجْهَها ، وَاضعةً لِثامِها مُحْتَفِيَةً فى مَشِيَّتِها ، حَتَّى

(١) ذكر صاحب العقد أن اسمها فاطمة بنت محمد بن الحسين بن
حظبة ، وذكر الطبرى أن اسمها زينب بنت منير ، وذكر ابن خلكان أن
اسمها عنابة وكذا صاحب نجباء الأبناء . وذكر بعضهم أن اسمها عادة
والله أعلم (٢) كذا ذكر صاحب العقد وقال الطبرى أنها أرضعته مع
الفضل ويؤيده قول سليمان الأعمى يرثى جعفرًا ويستعطف الرشيد
للفضل :

أمين الله فى الفضل بن يحيى رضيعك ، والرضيع له ذمام
(٣) الرسل : اللب (٤) المستغلق : العسير فتحه (٥) مت
إليه : توسل بقربة أو نحوها .

صارت بباب قصر الرشيد ، فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب ، فقال :
ظئر (١) أمير المؤمنين بالباب ، فى حالة تقلب شماتة الحاسد ، إلى شفقة أم
الواحد ، فقال الرشيد : ويحك يا عبد الملك أوساعية ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين ،
حافية ، قال : أدخلها يا عبد الملك فرب كيدٍ غزتها ، وكربة فرجتها ، وعورة
سترتها ، فدخلت . فلما نظر الرشيد إليها داخله مُحْتَفِيَةٌ قام مُحْتَفِباً حتى تلقاها
بين عمَد المجلس وأكب على تقبيل رأسها ومواضع ثديها ثم أجلسها معه فقالت :
يا أمير المؤمنين أيعدو علينا الزمان ؟ ويجفوننا خوفاً لك الأعوان ؟ ويُحَرِّدك (٢) علينا
البهتان ، وقد رببتك فى حجرى ، وأخذت برضاعك الأمان من عدوى ودهرى ؟ فقال
لها : وما ذلك يا أم الرشيد ؟ فقالت : ظئرك يحيى وأبوك بعد أبيك ، ولا أصفه
بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين من نصيحته وإشفاقه عليه وتعرضه لِلْحَتْفِ فى
شأن موسى أخيه (٣) ، فقال لها : يا أم الرشيد أمر سَبَقَ وقضاء حُم (٤) وغضب
من الله نفذ ، قالت : يا أمير المؤمنين « يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم
الكتاب » (٥) قال : صدقت ، فهذا مما لم يحه الله ، فقالت : الغيب محجوب
عن النبيين فكيف عنك يا أمير المؤمنين ؟ فأطرق الرشيد ملياً ثم قال :
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تيمة لا تنفع (٦)
فقالت بغير روية : ما أنا ليحيى بتميمة يا أمير المؤمنين وقد قال الأول :
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال
هذا بعد قول الله عز وجل « والكاظمين الغيظ . والعافين عن الناس
والله يحبُّ المحسنين » . فأطرق ملياً ثم قال : يا أم الرشيد أقول :

(١) الظئر : المرصعة (٢) أحرده : أغضبه (٣) تشير إلى ما كان
أراده الهادى وهو موسى بن المهدي من حرمان أخيه الرشيد الخلافة من
بعده ونقلها إلى ولده واحتيال يحيى بن خالد فى رد الهادى عن عزمه بإذلا
فى ذلك جهده (٤) حم الأمر : قضى ونفذ (٥) أم الكتاب أصله أو
اللوح المحفوظ (٦) التيمة : ما يعلق للأولاد من كتابة أو غيرها دفعا
للعين أو للمرض .

إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكذب إليه بوجه آخر تُقبِلُ
فقلت : يا أمير المؤمنين وأقول :

سَتَقَطَّعَ فى الدنيا إذا ما قطعتنى يميناك فانظر أى كَفَّ تَبَدَّلَ (١)

قال هارون : رَضِيْتُ . قالت : فهبه لى يا أمير المؤمنين فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك شيئاً لله لم يُوجدْه (٢) الله لفقده » فأكب هارون مَلِيًّا ثم رفع رأسه يقول : « لله الأمر من قبل ومن بعد » قالت : يا أمير المؤمنين « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » واذكر يا أمير المؤمنين أَلَيْتِكَ (٣) . ما استشفعتك إلا شفعتنى ، قال : واذكرى يا أم الرشيد أَلَيْتِكَ أن لاشفعت لمقترفٍ ذنباً . فلما رأته صرح بمنعها ولاذ (٤) عن مَطْلَبِهَا ، أخرجت حَقًّا من زُمُرْدَةٍ (٥) خضراء فوضعت بين يديه ، فقال الرشيد : ما هذا ؟ ففتحت عنه قُفْلًا من ذهب فأخرجت منه خَفْضَه وذوائبه وثناياه قد غَمَسَتْ جميع ذلك فى المسك ، فقالت : يا أمير المؤمنين أستشفع إليك ، وأستعين بالله عليك وبما صار معى من كريم جَسَدِكَ ، وطيب جوارحك ليحى عبدك ، فأخذ هارون ذلك فَلَثَمَهُ ثم استعبر (٦) وبكى بكاءً شديداً وبكى أهل المجلس . فلما أفاق رى جميع ذلك فى الحق وقال لها . لحسن ما (٧) حفظت الوديعة ، فقالت : وأهل للمكافأة أنت يا أمير المؤمنين ، فسكت وأقفل الحق ودفعه إليها وقال : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » قالت : والله يقول : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ، ويقول : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » قال : وما ذلك يا أم الرشيد ؟ قالت : أو ما أقسمت لى أن لا تحجبنى ولا

(١) البيتان من قصيدة معن بن أوس الآتية فى باب العتاب .
(٢) أوجده : أحزنه (٣) الآلية : الحلف (٤) لا يلوذ : راغ وانحرف
(٥) الزمرد : من الاحجار النفيسة (٦) استعبر : جرت عبرته وهى
الدمعة قبل أن تفيض (٧) ما مصدرية .

وَلَا تَمْتَهِنِي (١) ؟ قال : أَحَبُّ يَا أُمَّ الرَّشِيدِ أَنْ تَشْتَرِيَهُ مُحَكَّمَةً (٢) فِيهِ .
 قَالَتْ : أَنْصَفْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ فَعَلْتَ غَيْرَ مُسْتَقْبَلَةٍ لَكَ وَلَا رَاجِعَةٍ
 عَنْكَ . قَالَ : بِكُمْ ؟ قَالَتْ : بِرِضَاكَ عَمَّنْ لَمْ يُسَخِّطْكَ . قَالَ : يَا أُمَّ الرَّشِيدِ أَمَالِي
 عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ مِثْلَ الَّذِي لَهُمْ ؟ قَالَتْ : بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ ، وَهَمُّ
 أَحَبُّ إِلَيَّ . قَالَ : فَتَحَكَّمِي فِي تَمَنِّيَةِ (٣) بغيرهم . قَالَتْ : كَلَّا . قَدْ وَهَبْتُكَ
 وَجَعَلْتُكَ فِي حِلِّ مِنْهُ . وَقَامَتْ عَنْهُ وَبَقِيَ مَبْهُوتًا مَا يَحِيرُ (٤) لَفْظَةً .
 قَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ . وَخَرَجَتْ فَلَمْ تَعُدْ ، وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ لَهَا عِبْرَةً .
 وَلَا سَمِعْتُ لَهَا أَنَّهُ .

استعطاف ابراهيم بن المهدي (٥) للمأمون

أمر المأمون بإبراهيم بن المهدي فأدخل عليه ، فلما وقف بين يديه قال :
 هيه (٦) ، يا إبراهيم ! فقال : يا أمير المؤمنين ولى الثأر مُحَكَّمٌ فى القصاص
 «والعفو أقرب للتقوى» وعن تناوله الاعتذار بما مدَّ له من أسباب الشفاء
 أمكن عادية الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب ، كما جعل
 كلَّ ذى ذنب دونك ، فإن أخذت فبحقك ، وإن عفوت فبفضلك . ثم قال :

ذنبى إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
 فَخُذْ بِحَقِّكَ أَوْ لَا فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ
 إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فَعَالَى مِنْ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

(١) امتهنة ابتذله : وأهانه (٢) يقول أن تطلبى ما تشائين اذاء
 هذا القسم (٣) التمنية والمنية : بمعنى واحد (٤) يقال : هو
 لا يحير جوابا أى لا يرد (٥) كان ابراهيم بن المهدي أخو الرشيد لاييه
 قد ادعى الخلافة بعد قتل الامين وقبل عودة المأمون من خراسان الى
 بغداد واعانه على ذلك كثير من أهل بغداد ثم خلع وغلب على أمره فاخفى
 حتى ظفر به المأمون . وكان ابراهيم بارعا فى الادب حسن الغناء جيد
 الشعر توفى سنة ٢٤٢ هـ فى خلافة أخيه المعتصم .
 (٦) هيه مثل ايه للاستزادة أو للاستنطاق فهى اسم فعل .

فقال المأمون : شاورت أبا إسحاق (١) والعباس فى قتلِكَ فأشارا به ، فقال :
 فما قلت لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال المأمون : قلت لهما نبذوه بإحسان ونستأمره (٢)
 فيه فإن غيرَ الله يغيرُ ما به . قال : أما أن يكونا قد نصحا فى عظيم بما جرت
 عليه السياسة فقد فعلا وبلغا ما يلزمهما وهو الرأى السديدُ ، ولكنك أبيت
 أن تستجلبَ النصر إلا من حيث عودك الله . ثم استعبرَ باكياً ، فقال له
 المأمون : ما يبكيك ؟ قال : جدلاً إذ كان ذنبى إلى من هذه صفته فى الإنعام ؛
 ثم قال : إنه وإن كان قد بلغ جرئى استحلالَ دى فحلُم أمير المؤمنين وفضله
 يبلِّغانى عفوه ولى بعدهما شفاعة الإقرار بالذنب ، وحق الأبوة بعد الأب . فقال
 المأمون : يا إبراهيم لقد حُيبَ إلى العفو حتى خفتُ أن لا أوجر عليه . أما لو علم
 الناس ما لنا فى العفو من اللذة لتقربوا إلينا بالجنيات ، لا تشريب (٣) عليك يغفر
 الله لك ، ولو لم يكن حق نَسبِكَ ما يُبلِّغ الصفحَ عن جرمك لبلَّغت ما أملت
 حسنُ تنصُّلِكَ ، ولُطف توصلِكَ ، ثم أمر بردُ ضياعه وأمواله ؛ فقال إبراهيم :

رددت مالى ولم تبخل عَلىَّ به وقبل ردِّكَ مالى قد حَقَّنت دى
 وقام عِلْمُكَ بى فاحتجَّ عندك لى مقامَ شاهد عدل غير متهم
 فلو بذلت دى أبغى رضاك به والمال حتى أسلَّ النعل من قدمى
 ما كان ذاك سوى عارية سلفت لو لم تهبَّها لكنت اليوم لم تلم

(١) أبو إسحاق هو المعتصم بن الرشيد ، والعباس هو ابن المأمون
 ولقد أحسن إبراهيم فى تصويب رأيهما لأن ذلك أنجع فى طلب الرضا
 وأبلغ فى دفع المكروه من الأزدراء عليهما فى رأيهما (٢) أصل الاستأمر :
 المشاورة : والمراد هنا التجربة (٣) التشريب : اللوم والتعيير بالذنب
 (٤) حقن الدم : صانه .

استعطاف اسحاق بن العباس للمأمون

قال المأمون لإسحاق بن العباس : تحسبني أغفلتُ أمر ابن المهدي وتأبيدك له وإيقادك لناره ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لأجرأُ قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من جرئى إليك ، ولرحمى بك أمتن من أرحامهم ، وقد قال لهم كما قال يوسف - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - لإخوته (لا تشربَ عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) وأنت يا أمير المؤمنين أحق وارث لهذه الأمة فى الطول ، ومُتمثلٌ (١) لخلال العفو والفضل .

قال : هيهات ، تلك أجرام جاهلية عفا عنها الإسلام وجرمك جرم فى أسلافك وفى دار خلافتك .

قال : يا أمير المؤمنين ، فوالله للمسلم أحق بإقالة العثرة وغفران الذنب من الكافر ، وهذا كتاب الله بينى وبينكم إذ يقول (سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين * الذين يُنفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ . والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) والناس يا أمير المؤمنين نسبة دخل فيها المسلم والكافر والشريف والمشروف .

قال المأمون : صدقت ، ورت (٢) بك زنادى ، ولا برحْتُ أرى من أهلك أمثالك .

(١) امثل طريقته : تبعها فلم يعدها . (٢) ورت بك زنادى ووقدت بك زنادى مثلان يقالان لمن أنجدك أو أرشدك . والمراد بهما اللعاء .

استعطاف الفصل (١) بن الربيع للمأمون

قال المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يا فضل ، أكان من حقى عليك
وحتى آبائى ونعمهم عند أبىك وعندك أن تثلبنى (٢) وتُسبى وتحرص
على دى ؟ أتحب أن أفعل بك ما فعلته بى ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عذرى يحقُّدك إذا كان واضحاً جميلاً ،
فكيف إذا أخفتُّه العيوب ! وقبَّحتُّه الذنوب ! فلا يضيق عنى من عفوك
ما وسع غيرى منك ، فأنت كما قل الشاعر (٣) فيك :

صَفُوحٌ عن الأجرام حتى كانهُ من العفو لم يعرف من الناس مجرماً
وليس يبالى أن يكون به الأذى إذا ما الأذى لم يغمس بالكره مسلماً

استعطاف تميم بن جميل للمعتصم

كان تميم بن جميل السدوسى (٤) قد خرج بشاطئ الفرات ، واجتمع إليه
كثير من الأعراب ، فعظم أمره ، وبعد ذكره ، ثم ظفّر به ، وحمل موثقاً إلى باب
المعتصم ، فقال أحمد بن أبى دؤاد : ما رأيت رجلاً عاين الموت ، فما هاله (٥)
ولا شغله عما كان يجب عليه أن يفعله إلا تميم بن جميل ، فإنه لما مثل بين

(١) هو الفضل بن الربيع بن يونس حاجب الرشيد ثم وزيره بعد
نكبة البرامكة ثم وزير الامين فى خلافته ويقال : انه هو الذى أوغر صدر
الرشيد على البرامكة حسدا لهم على منزلتهم وفيه يقول أبو نؤاس :
توفى الفضل سنة ٢٠٨ هـ . (٢) ثلبي : تنقصه وصرح بعبه . قال
الشاعر :

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

* لا يحسن التعريض الا ثلبي *

(٣) القائل هو الحسن بن رجاء (٤) سدوس : بطن من بنى
شيبان ثم من بنى بكر (٥) هاله : أفرعه .

يدى المعتصم ، فَأَحْضِرَ السيفَ والنَّطْعَ (١) وأوقف بينهما ، تَأَمَّلَهُ المعتصم -
وكان جميلاً وَسِيماً - فَأَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ أَيْنَ لِسَانِهِ وَجَنَانِهِ مِنْ مَنْظَرِهِ ، فقال :
تَكَلِّمْ يَا تَعِيم . فقال : أَمَّا إِذْ أذَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنَا أَقُولُ الْحَمْدَ لِلَّهِ الَّذِي
أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ
مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ، جَبَّرَ بِكَ صَدْعَ (٢) الدِّينِ ، وَلَمَّ بِكَ شَعَثَ (٣) الْمُسْلِمِينَ ،
وَأَوْضَحَ بِكَ سُبُلَ الْحَقِّ ، وَأَخَمَدَ بِكَ شَهَابَ الْبَاطِلِ . إِنَّ الدُّنُوبَ تُخْرِسُ
الْأَلْسِنَةَ الْفَصِيحَةَ ، وَتُعْيِي الْأَفْتِدَةَ الصَّحِيحَةَ ؛ وَلَقَدْ عَظُمَتِ الْجَرِيرَةُ ، وَانْقَطَعَتِ
الْحُجَّةُ ، وَسَاءَ الظَّنُّ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَفْوُكَ أَوْ انْتِقَامُكَ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَقْرَبَهُمَا
مِنْكَ وَأَسْرَعَهُمَا إِلَى أَشْبَهُهُمَا بِكَ وَأَوْلَاهُمَا بِكَرَمِكَ ، ثُمَّ قَالَ عَلَى الْبَدِيَةِ .

أرى الموت بين السيف والنَّطْعِ كَامِنًا يُلاحظنى من حيثما أَتَلَفْتُ
وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي وَأَىْ أَمْرِي مِمَّا قَضَى اللَّهُ يُفْلِتُ؟ (٤)
وَأَىْ أَمْرِي يَأْتِي بِعَذْرِ وَحُجَّةٍ وَسَيْفِ الْمَنَايَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصَلَّتِ
وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُوقَّتِ
وَلَكِنْ خَلْفِي صَبِيئَةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَتَفَتَّتِ
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أَنْعَى إِلَيْهِمْ وَقَدْ خَمَسُوا تِلْكَ الْوُجُوهُ وَصَوَّتُوا (٥)
فَإِنْ عَشْتُ عَاشُوا خَافِضِينَ بِغِبْطَةٍ أَذُودَ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مَوْتًا (٦)
وَكَمْ قَاتِلٍ لَا يُبْعِدُ اللَّهُ رُوحَهُ وَآخِرَ جَذْلَانَ يُسَرُّ وَيَشْمَتُ
فَتَبَسَّمَ الْمُعْتَصِمُ وَقَالَ : كَادَ وَاللَّهِ يَا تَعِيمُ أَنْ يَسْبِقَ السَيْفُ الْعَدْلَ ، قَدْ وَهَبْتُكَ

(١) النطع : بساط من الجلد يفرش تحت من يراد قتله حتى لا يسقط دمه على الأرض (٢) الصدع : الشق فى الحائط ونحوه (٣) الشعث : انتشار الامر والاشياء المتطرفة (٤) أفلت : تخلص ونجا (٥) أصلت السيف : استله من غموه (٦) خمس وجهه : لطمه وهو من اب ضرب ونصر (٧) موتوا : كثر فيهم الموت .

للصبية ، وغفرت لك الصبوة (١) . ثم أمر بفك قيوده وخلع (٢) عليه .
وكتب الجاحظ إلى ابن الزيات يستعطفه وكان قد تنكر (٣) له وتلون عليه :

أعاذك الله من سوء الغضب ، وعصمك من سرف (٤) الهوى ، وصرف
ما أعادك من الفوة إلى حب الإنصاف ، ورَجَّحَ فى قلبك إيثار الإنانة (٥) فقد
خفت - أيدك الله ! - أن أكون عندك عن المنسوبين إلى نزق (٦) السفهاء ،
ومجانبة سبل الحكماء ، وبعد فقد قال عبد الرحمن (٧) بن حسان بن ثابت :

وإن امرئاً أمسى وأصبح سالماً من الناس إلا ما جنى لسعيد

وقال الآخر (٨) :

ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

فإن كنتُ اجترأت - أصلحك الله ! - فلم أجترئ إلا لأن دوام تغافلك عنى
شبيهه بالإهمال الذى يورث الإغفال ، والعمو المتتابع يؤمن من المكافأة ، ولذلك
قال عيينة (٩) بن حصن بن حذيفة لعثمان رحمه الله : عمر كان خيراً لى منك
أرهبنى فاتقانى (١٠) وأعطانى فأغدانى ، فإن كنت لاتهب عقابى - أيدك الله ! -
لخدمة فهبه لأيديك عندي ، فإن النعمة تشفع فى النقمة ، وإلا تفعل ذلك
فعد إلى حسن العادة ، وإلا فافعل ذلك لحسن الأحدثوة (١١) ، وإلا فأت
ما أنت أهله من العفو دون ما أنا أهله من استحقاق العقوبة ؛ فسبحان من

(١) الصبوة : الزلة وجهلة الشباب (٢) خلع عليه خلعة : منحه
بعض ثيابه وقد يراد به مطلق العطاء (٣) تنكر له : تغير (٤) السرف :
مجازة الحد (٥) الإنانة : الحلم والوقار (٦) النزق : الخفة والطيش
(٧) هكذا يقول الجاحظ ، وغيره ينسب البيت لحسان نفسه . راجع
الآغانى (٨) من الناس من يروى هذا البيت فى جملة أبيات لكعب بن
زهير ، ومنهم من يرويه لمحمد بن حازم الباهلى ، راجع الآغانى (٩) هو
سيد بنى ذبيان فى صدر الإسلام وهى سلالة حذيفة بن بدر الفزارى
الذى كان السبب فى حرب داحس والفبراء (١٠) اتقاه : صيره تقياً
(١١) الأحدثوة : الحديث والسيرة . جمعها أحاديث .

جعلك تعفو عن المتعمد وتتجافى (١) عن عقاب المصير (٢) ؛ حتى إذا صرت إلى من هفوت ذكر (٣) ، وذنبه نسيان ، ومن لا يعرف الشكر إلا لك والإنعام إلا منك هجمت عليه بالعقوبة . واعلم - أيدك الله ! - أن شين غضبك على كزبن صفحك عني ، وأن موت ذكرى مع انقطاع سببى منك كحياة ذكرى مع اتصال سببى بك (٤) . واعلم أن لك فطنة عليم وغفلة كريم والسلام .

استعطاف رجل من أهل الشام للمنصور

يا أمير المؤمنين من انتقم فقد شفى غيظه وانتصف ، ومن عفا تفضل ، ومن أخذ حقه لم يجب شكره ، ولم يذكر فضله ، وكظم الغيظ . حلم والتشنى طرف من الجزع ، ولم يمدح أهل التقوى والنهى من كان حليماً بشدة العقاب ولكن بحسن الصفح والاعتذار وشدة التغافل . وبعد : فالمعاقب مستودع لعداوة أولياء المذنب (٥) والعاقب مسترع لشكرهم آمن من مكافأهم ، ولأن يُثنى عليك باتساع الصدر خير من أن توصف بضيقه ، على أن إقالتك عشرات عباد الله موجبة لإقالة عشراتك من ربهم موصولة بعفوه ، وعقابك إياهم موصول بعقابه . قال الله عز وجل : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .

روح بن زنباع يستعطف معاوية

أراد معاوية معاوية رُوح بن زنباع ، فقال : يا أمير المؤمنين أنشدك الله تعالى

(١) تتجافى : تتباعد (٢) أصر على الذنب استمر (٣) يقول : هفوته هى تذكر الهفوة أو جريها على لسانه (٤) التشبيه فى هاتين الفقرتين من قبيل قولهم فى التفضيل : العسل أحلى من الخل . يقول : ان مقدار قبح الغضب كمقدار حسن الصفح وان مقدار موت الذكر عند الانقطاع مثل مقدار حياته عند الاتصال (٥) الاولياء : الاهل والاقارب

أَلَا تَضَعُ مِنِّي خَسِيسَةً أَنْتَ رَفَعْتَهَا أَوْ تَنْقُصُ مِنِّي مَرِيرَةً (١) أَنْتَ أَبْرَمْتَهَا (٢)
أَوْ تَشْتُمُ بِي عَدُوًّا أَنْتَ كَبَبْتَهُ (٣) ، وَحَاسِدًا بِكَ وَقَمْتَهُ (٤) وَأَسْأَلُكَ بِاللَّهِ
إِلَّا أَرَبِي حِلْمَكَ عَلَى خَطِيءٍ وَصَفْحَكَ عَلَى جَهْلِي . فَقَالَ مَعَاوِيَةَ : إِذَا اللَّهُ سَنَى (٥)
عَقَدَ شَيْءٌ تَيْسِرًا ، وَعَفَا عَنْهُ .

وقد ألمَّ المتنبي بقول رَوْحٍ إذ يقول :

أَزَلَّ حَسَدَ الْحُسَادِ عَنِّي بِكِبْتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدًا
إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِي يَدِي [أ] ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مَغْمَدًا

ابن الرومى يستعطف القاسم (٦) بن عبيدالله

كتب ابن الرومى يستعطف القاسم بن عبيد الله :

تَرَفَعَ عَن ظُلْمِي إِنْ كُنْتُ بَرِيئًا ، وَتَفَضَّلَ بِالْعَفْوِ إِنْ كُنْتُ مُسِيئًا ؛ فَوَاللَّهِ
إِنِّي لِأَطْلُبُ عَفْوَ ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ ، وَأَلْتَمَسُ الْإِقَالََةَ مِمَّا لَا أَعْرِفُهُ ، لِتَزْدَادَ تَطَوُّلًا (٧)
وَأَزْدَادَ تَذَلُّلًا . وَأَنَا أُعِيدُ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرْمِكَ مِنْ وَاشٍ يَكِيدُهَا ، وَأَحْرُسُهَا
بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يُحَاوِلُ إِفْسَادَهَا ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ بِقَدْرِ
وُدِّي لَكَ ، وَمَحَلِّي مِنْ رَجَائِكَ بِحَيْثُ أَسْتَحِقُّ مِنْكَ . وَالسَّلَامُ .

(١) المريرة : الجبل الشديد الفتل (٢) أبرم الجبل : أجاد قتله ،
والامر : أحكمه (٣) كبته : أذله وغازله وصرعه لوجهه (٤) وقمه :
قهره (٥) سنى الشيء : فتحه وسهله ، وهذا شطر بيت وهو :
وأعلم علما ليس بالظن أنه إذا الله سنى عقد شيء تيسرا
(٦) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وبيته بيت وزارة وكتابة
وأدب ، فقد كان وزيرا ابن وزير اما الكتابة فهو فيها معرق لانه يرثها عن ثمانية
آباء متعاقبين منذ خلافة يزيد بن معاوية وكان عظيم الهبة شديد الاقدام
سفاكا للدماء وهو الذى دس لابن الرومى السم فى الطعام خوفا من لسانه
توفى سنة ٢٩١ هـ وعمره نيف وثلاثون (٧) التطول : الانعام .

وكتب إليه :

لو كان فى الصّمت موضع يسعُ حالى لَخَفَّفْتُ عَنْ سَمْعِ الوَزيزِ ونظَرَه ،
ولم أَشْغَلْ وجْهًا من فكره ، وما زالت الشكوى تُعربُ عن لسان البلوى .
ومن اختلت حالته كان فى الصّمت هَلَكْتَه (١) ، وقد كان الصّبر يَنْصُرُنِي عَلَى
سترِ أمرى حتى خذَلْنِي .

استعطاف للخوارزمي

لَوْ بغيرِ المَاءِ حَلَقِي شَرِقُ كُنْتُ كَالغِصَّانِ بِالمَاءِ اغْتِصَارِي (٢)
كيف يَقْدِرُ- أَبقى الله السيد! - عَلَى الدَّوَاءِ ، مَنْ لا يَهْتَدِي إِلَى أَوْجِه الدَّاءِ ؟
وكيف يُدَارِي أعداءه مَنْ لا يَعْرِفُ الأَعْدَاءَ مِنَ الأَصْدِقَاءِ ؟ أَمْ كيف يَسْرِى
بلا دليل فى الظلماء ؟ أَمْ كيف يَخْرُجُ الهَارِبُ مِنْ بَيْنِ الأَرْضِ والسَّمَاءِ ؟ الكَرِيمُ
- أَيَّدَ اللهُ مولاى ! - إِذَا قَدَّرَ غَفَرَ ، وَإِذَا أَوْثَقَ أَطْلَقَ ، وَإِذَا أَسْرَ أَعْتَقَ . ولقد
هَرَبْتُ مِنَ الشَّيْخِ إِلَيْهِ ، وَتَسَلَّحْتُ بِعَفْوِهِ عَلَيْهِ ، وَأَلْقَيْتُ رِبْقَةَ (٣) حَيَاتِي وَمَمَاتِي
بِيَدَيْهِ ، فَلْيَذِقْنِي حِلَاوَةَ رِضَاهِ عَنى كَمَا أَذَاقْنِي مَرَارَةَ انْتِقَامِهِ مِنى ، وَلْتُلْحَ (٤) عَلَى
حالى غِرَّة (٥) عَفْوِهِ كَمَا لاحت عَلَيْهَا مَواسِمُ (٦) غَضَبِهِ وَسَطْوِهِ ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ الحَرَّ
كَرِيمِ الظَّفَرِ إِذَا نال أَقَالَ ، وَأَنَّ اللَّئِيمَ الظَّفَرِ إِذَا نال اسْتَطَالَ (٧) ، وَلِيَعْتَمَ
التَّجَاوُزَ عَنِ عَثْرَاتِ الأَحْرَارِ ، وَلِيَنْتَهِزَ فِرْصَ الاقْتِدَارِ ، وَلِيَحْمَدَ الَّذِى أَقَامَهُ
مَقَامَ مَنْ يَرْتَجَى وَيَخْشَى ، وَرَكِبَ نِصَابِهِ فى رَتْبَةِ شَابِ الزَّمانِ وَمَجْدُهَا فِى ،

(١) الهلكة الهلاك (٢) الشرق بالماء كالفصّة بالطعام والاعتصار
معالجة الفصص بشرب الماء قليلا قليلا ، والبيت لعدي بن زيد العبادي
الشاعر الجاهلي من قصيدة يستعطف بها النعمان بن المنذر يقول ان
الانسان اذا غص بالطعام عالجه بالماء فماذا يصنع اذا كانت غصته بالماء
نفسه (٣) الريقة العروة التى يربط بها ويراد بها الزمام (٤) لاح
ظهر (٥) الغرة بياض فى وجه الحيوان والمراد هنا الاثر (٦) المواسم
العلامات (٧) استطال : تطاول واعتدى .

وَأَخْلَقَ الْعَالَمُ وَذَكَرَهَا طَرِيًّا ، وَلِيَعْتَقِدَ أَنَّهُ قَدْ هَابَهُ مِنْ اسْتَتَرَ ، وَلَمْ يَذْنِبْ إِلَيْهِ مِنْ اعْتَذَرَ . وَفَقَ اللَّهُ تَعَالَى الشَّيْخَ لَمَّا يَحْفَظُ . عَلَيْهِ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ ، وَعَصْمَهُ مِمَّا يَزِيدُ بِهِ فِي جَمَاعِمِ أَعْدَائِهِ .

اعتذار لسعيد بن حميد

كتب سعيد (١) بن حميد يعتذر :

أَنَا مِنْ لَا يَحَاجُّكَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلَا يُغَالِطُكَ عَنْ جُرْمِهِ ، وَلَا يَلْتَمِسُ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِ ، وَلَا يَسْتَدْعِي بِرِّكَ إِلَّا مِنْ طَرِيقَتِهِ ، وَلَا يَسْتَعْطِفُكَ إِلَّا بِالِاقْتِرَارِ بِالذَّنْبِ ، وَلَا يَسْتَمِيلُكَ إِلَّا بِالاعْتِرَافِ بِالْجُرْمِ . نَبَتْ بِي عَنْكَ غِرَّةُ الْحَدَاثَةِ ، وَرَدْتَنِي إِلَيْكَ الْحُنُكَةُ (٢) ، وَبَاعَدْتَنِي مِنْكَ الثِّقَةُ بِالْأَيَّامِ ، وَقَادَتَنِي إِلَيْكَ الضَّرُورَةُ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَسْتَقْبِلُ الصَّنِيعَةَ بِقَبُولِ الْعُذْرِ ، وَتَجِدُّ النِّعْمَةَ بِاطْرَاحِ الْحَقْدِ فَإِنَّ قَدِيمَ الْحَرَمَةِ وَحَدِيثَ التَّوْبَةِ يَمْحَقَانِ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِسَاءَةِ ، وَإِنَّ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَإِنْ طَالَتْ قَصِيرَةً ، وَالْمَتْعَةُ بِهَا وَإِنْ كَثُرَتْ قَلِيلَةً .

اعتذار لابي على البصير

كتب أبو على البصير يعتذر :

أَنَا أَحَدُ مَنْ أَسْكَنْتَهُ ظِلَّكَ ، وَأَعْلَقْتَهُ حَبْلُكَ (٣) ، وَحَبَوْتَهُ بِلَطِيفِ بَرِّكَ وَخَاصِ عَنَائِتِكَ ، وَانْتَصَفَ بِكَ ، وَلَا يَعْتَمِدُ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَلَا يَسْتَنْجِحُ (٤) طَلْبَهُ إِلَّا بِكَ ، وَوَقَدْ كَانَ فَرَطًا . مِنْنِي قَوْلُ إِنْ تَأَوَّلْتَهُ (٥) لِي أَرَاكَ وَجْهَ عُذْرِي وَقَامَ

(١) هو من أولاد الدهاقين ، كاتب شاعر مترسل حسن الكلام فصيح ، أخذ عن الإمام الاعرابي ويؤخذ عليه أنه كثير الاخذ للكلام غيره .
(٢) الحنكة : خبرة التجارب (٣) وصلته وقيدته بزمام مسودتك (٤) استنجح حاجة وتنجحها : تنجزها وطلب نجاحها (٥) أول الكلام وتأوله فسرره .

عندك بحجتي ، فأغثني عن توكيد الإيمان على حُسن نيتي ، وإن تأولته على أحاق (١) بي لا تمتك (٢) وحبسني على أسوأ حال عندك . وقد آتيتني معترفاً بالزلَّة ، مُستكيناً (٣) للموجدة (٤) عائداً بالصفح والإقامة ، فإن رأيت [أن] تُقرَّ عيناً قرت بنعمتك عندي ، ولا تسلبني منها ما ألبستني ، وأن تقتصر من عقوبتي على المكروه الذي نالني بسبب عتبك عليّ ، وتأمّر بتعريف رأيك بما يُطامن (٥) هلي ، وتَسْكُن إليه نفسي ، ويأمنُ به روعي (٦) ، فعلت ، إن شاء الله .

وكتب البديع إلى القاسم الكرخي يعتذر :

يعزُّ عليّ - أطال الله بقاء الشيخ الرئيس ! - أن ينوب في خدمته قلبي ، عن قدمي ، ويسعد برؤيته رسولي ، دون وصولي ، ويرد شرعة (٧) الأنسي به كتابي قبل ركابي ، ولكن ما الحيلة والعوائق جمّة :

وَعَلَى أَنْ أَسْعَى وَلَيْسَ عَلَيَّ إِدْرَاكُ النَّجَاحِ

وقد حضرت داره ، وقبّلت جداره ، وما بي حب الجدران ، ولكن شغفاً بالقُطان ، ولا عشق الحيطان ، ولكن شوقاً إلى السكان (٨) ، وحين عدت (٩) العوادى عنك أمليت ضمير الشوق على لسان القلم معتذراً إلى مولاي عن تقصير وقع ، وفُتور في الخدمة عرض ، ولكني أقول :

إن يكن تركي لقصدك ذنباً فكفي أن لا أراك عقاباً

(١) أحاق : أنزل (٢) اللائمة : اللوم (٣) استكان : خضع ، وهو من الكون فوزنه افتعال بزيادة الالف للشباع كما قالوا في انظر (انظور) ويرى بعض الناس أنه من الكون وليس بوجه لان المعنى لايعنيه (٤) الموجدة : الفضب (٥) يطامن : يخفض يخفف (٦) الروع القلب وهو أيضا الفزع والخوف (٧) الشريعة والشرعة والمرعة مورد الشاربة من الماء (٨) ألم البديع هنا بقول الشاعر :

أمر على الديار ديار ليلى

أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شققن قلبي

ولكن حب من سكن الديارا

(٩) منعت الموانع .

الباب الثاني

الفصل الثاني (١) في رسائل حسن التقاضى والطلب

كتب عبد الله بن سليمان أبو العيناء المتوفى سنة ٢٨٢ هـ :

أنا - أعزك الله ! - وعيالي زرعٌ من زرعك ، إن أسقيته راع (٢) وزكا ،
وإن جفوته ذبل وذوى (٣) ، وقد مسني منك جفاءً بعد بر ، وإغفالاً بعد
تعاهد ، حتى تكلم عدو ، وشممت حاسد ، ولعبت بي ظنون رجال كنت بهم
لاعياً ، ولهم مخرساً :

لا تهنى بعد أن أكرمتني وشديداً عادةً منتزعة

وكتب المرحوم عبد الخالق باشا ثروت :

إليك - يا من قد استأسرَ النفوسَ بكرمه ، واسترقَّ الأحرارَ بجميل صنعه ،
وأولى النعم والخيرات ، وأسدى المعروف والمبرات - أرفعُ كتاباً ، تبعثه إلى
ناديك العالى عواملُ الحاجة ، وتزجيهِ (٤) إلى ساحتك دواعى الشدة ، أمل أن
يكون تذكرةً بأمرى (والذكري تنفع المؤمنين) وتذكراً بحالى (والله لا يضيع
أجر المحسنين) فقد كان سيدى ، رفع الله قدره وأعلى مرتبته ، وعَدنى - ومثله
من يتمسك من الوفاء بالعروة (٥) الوثقى ، ويقطع حبل الإخلاف بسيف الوفاء ،
ويطرز خلعة الوعد بوشى العطاء - أن يُرسِلَ إلى من خيراته ويوليئى من آلائه
وحسناته ، ويضاعف لى من مننه ، ويزيدنى من عطائه ما أشدُّ به أزرى (٦) على
الزَّمان ، وأطاولُ به نوائب الحدثن (٧) ، فقد بارزنى الدهر بسيوفه ، ورمانى

(١) والفصل الأول في الرسائل التجارية التى أغفلناها في كتابنا
هذا لان لها مؤلفات خاصة بها فارجع اليها اذا شئت (٢) نما وزاد .
(٣) ذبل (٤) تدفعه (٥) من الحبل الوثيق المحكم (٦) ظهري .
(٧) بفتح الحاء والدال او بكسر الحاء وسكون الدال حوادث الدهر .

بسهامه ، وأناخ (١) على بكلا كِلِه (٢) ، وقد طال الأمدُ (٣) على حاجتى عند سيدي - أطال الله بقاءه ! - حتى شاب غراب شبابها ، وصاح بجانب ليلها ، فخفتُ أن تكون هبَّتْ عليها رِيحُ النسيان ، وعصفت (٤) بها عاصفة (٥) الجِدْثان (٦) . فكتبتُ إلى سيدي ومولاي تلك الرقعة ، أستعجلُ بها برّه ، وأستدِرُّ بها ضَرْعَ عَطَائِهِ ، علماً بأنَّ التعجيل يُكَبِّرُ العَطية وإن كانت صغيرة ، ويكثرها وإن كانت يسميرة ؛ فعسى أن يكونَ قد لآحَ نجم النجاح ، وهبَّ نسيم الفلاح فيُرْسَلُ إلى سيدي سحاب كرمه ، ويمطرنى من غِيَاثِ فضلِه ، فتَرِفُ (٧) غصون آمالى بعد ذُبُولِها ، وتضحك وُجُوهُ مطالبى بعد عُبُوسِها ، وأملَى فى ذلك فسيحٌ ، فإن سيدي من أكرم الناس نسباً وأشرفهم حساباً ، ومثله جديرٌ (٨) بحفظ العهد وإنجاز الوعد . فإن رأى سيدي أن يخفف ثقل الحاجة عني ، ويرُدَّ ما سلبه الدهر منى بقطرةٍ من بحر عطائه ، وَمِنَّةٍ (٩) من بعض آلائه (١٠) ، ويُجبرَ ما كسره الفقرُ من جَنَاحى ، ويرُدَّ عني النوائب لا تفتأ (١١) تتولانى ، عقدتُ لسانى على مدحه ، ووقفتُ نفسى على شكره ، فيَحْرِزَ من الله أجراً جزيلاً ، ومنى شكراً جميلاً ، إن شاء الله بمنه وكرمه .

وكتب المرحوم أحمد بك رأفت :

السيد الكامل - أدام الله علاءه ، وأطال بقاءه ، وجعله مؤثلاً (١٢) الكرم ، ومُسيدي النعم - قد غمرنى بنعمائه ، وطوقنى بآلائه ، حتى قصرتُ حَسَدِي عليه ، وأمسكتُ لسانى عن الشكر إلا إليه ، وكان من مننه على وأياديه البيضاء لدى أن

(١) مال (٢) مصائبه (٣) الغاية (٤) اشتدت (٥) الريح
(٦) حوادث الدهر (٧) تتلألا (٨) حقيق (٩) نعمة (١٠) آلائه:
أفضاله (١١) تستمر (١٢) ملجأ .

وعندى يُقلدنى فى أول العام وظيفَةً عاليةً ، ومرتبة سامية ، فاخضَلْ (١) رَوْضُ
الأمَل بعد ذبوله ، وبرزغ (٢) كوكبُه بعد أفوله (٣) واتسع نطاقه (٤) واستبشَرَ
القلْبُ بنيل أمْنِيته ، والحصول على طَلْبته . واشتدَّ أزرى (٥) على مقارعة
كتائب (٦) الزمان ، وقوى جنائى على صد جيوش الحدثنان ؛ وما زالت بي الأيام
حتى حان أولُ العام ، وما تحقَّق الرعدُ ، أو أوفى العهدُ . ومثل السيد من إذا
وعد وفى ، أو تعهد أوفى :

أوفى دين ذى المعروف يجمُلُ أننى تنوءُ بي البؤسى ويثقلُنِي العسرُ
وأنت الذى أعطى المكارم حقها ولم يحك جدِّواك السحاب ولا البخرُ
فعجِّل فخير البرِّ يُحمد عاجلاً وأوف فوعد الحر دين به الحرُّ

هذا ؛ ولكننى رجعت وحكمت العقل ، فعذرتُ السيد ، وحملتُ ذلك
على أنه إنما لم يعجِّل بانجاز وعده ، وإيفاء عهده ، إلا لتقليد عبده وظيفَةً
أسمى ومرتبةً أعلى ، علَّه يستدرك ما فات ، ويحسنُ إلى عبده فيما هو آت .

وكتب الفاضل عبد العزيز بك محمد :

عهدى بالسيد الجليل - أدامه الله مصدراً للمكارم تشتقُ منه صفاتها ،
ومظهراً للفضائل تتجلى فيه آياتها ، سباقاً إلى غايات المجد دَرّاً كما لمطالب الحمد ،
أريحيّاً (٧) لا يصبو (٨) إلا إلى إسداء المنن (٩) ، جواداً لا يطمع طرفه فى بث
عوارفه إلى ثمن ، ما أمه (١٠) أسيرُ فاقة (١١) إلا وألنى (١٢) لديه كهناً منيعاً ؛
وجاهاً ربيعاً ، وما قصدهُ ذو حاجةٍ إلا وصدر (١٣) عن مورد (١٤) فضله

(١) صار نديا (٢) طلع (٣) غيبته (٤) ثوبه (٥) ظهري
(٦) الجيوش (٧) يرتاح للعطاء (٨) لا يميل (٩) احسان
(١٠) قصد (١١) فقر (١٢) وجد (١٣) رجع (١٤) مكان
الورود .

شادياً (١) بثنائه ، معلناً بولائه . وإن لى إلى السيد حاجة إن لم يُسعف بقضائها .
 فياحسرة نفسى وطول شقائها . وليست هذه بأول مرة استمحت (٢) فيها على
 مروءته ، واستمطرت صيب (٣) همته ، فإنه طالما طوّفتى قلائد نعمه ، وأرسل
 على مدرار (٤) كرمه ، فليجر في هذه أيضاً عادته ويقابلنى بما عودنى من كرامته .
 ومعاذ الله أن أسأله ما ليس فى وسعه ، أو أن أستقضيه شيئاً يحرض على
 منعه . ولكننى :

أريدُ بسطةً كفُّ أستعين بها على قضاء حقوق للعلى قبلى

والذى يكفل لى البسطة : أن يقلدنى سيدى وظيفة مناسبة لحالى ، حتى
 تكون لى درعاً أتقى بها مهانة الفقر ، وسيفاً أكفُّ به عوادى الدهر ، ومالى
 والإقسام عليه فى إنالتى هذه البغية ، بنفيس وقت قضيته فى خدمة العلم ، واقتناء
 أبقاره ، وطويل عناء تحملته فى مزاوله (٥) الأدب واكتشاف أسراره ، ونفس
 ارتاضت (٦) بالفضل ، وآثرت (٧) غصة الفقر على منة البذل ، وله من سنيات (٨)
 الفضائل (٩) وعليات الفواضل (١٠) وجليات المآثر ، وجليات المفاخر - ما لو
 أقسم به عليه فى إنالة أعز المطالب ، لألزمه كرم سجاياه برّ ذلك القسم ،
 وإجابة دواعى الهمم ، وإنك لفاعل إن شاء الله تعالى .

وكتب فقيد الأدب حسن افندى توفيق العدل ، المتوفى ببلندن سنة

١٣٧٢ للهجرة :

كتابى إلى ربّ النعماء ، واليدِ البيضاء ، وقد أصبحت كما قال الحريرى :

(١) مترنما (٢) سأله العطاء (٣) السحاب (٤) ما يدبر بالمر
 (٥) معاناته (٦) تمرنت (٧) اخترت (٨) عاليات (٩) جمع
 فضيلة . وهى الدرجة (١٠) جمع فاضلة ، وهى النعمة الجليلة .

« خاوى (١) الوفاض (٢) بادی (٣) الإنفاض (٤) ، لا أملك بلغة (٥) ، ولا أجد فى جرابى مضنة (٦) - قد التوى على أمرى ، وثقل من حاجتى ظهري ومدّ الاحتياج إلى أطنابه (٧) ، وسربلى (٨) الافتقار إهابه (٩) ، والدنيا مكدوة بأحداثها (١٠) وقصورها منغصة بأحداثها (١١) نعيمها يصفو (١٢) ولكن لا يصفو. وأنت - كما أعلم - مفرج كُربى ، ومُنقذ من شدتى ، بطرفة (١٣) من طرف رفدك (١٤) ، ولحمة من لمحات برك (١٥) فإن استدررت (١٦) حلوبة (١٧) مالك ، فقد لاذ غيرى بجاهك ، ما يمت (١٨) غيرك . وكيف يقصد النهر ، من جاور البحر ، ويحتاج إلى النجم من يسرى فى ضوء البدر ؟ فاستهز عطف (١٩) جودك وأستمطر سحاب كرمك . كيف لا وأنت قبلة المعروف ! وملاذ الملهوف ! إليك تُشد الرِّحال ، وبك تُناط. الآمال ، أولياؤك منك فى ظل ممدود ، وهناك وسعود . أفأنت الشمس عمت بالإشراق ؟ ! أو الغيث والى الاندفاق ؟ ! - لكن :

مَنْ قَاسَ جِدْوَاكَ يَوْمًا بِالسَّحْبِ أَخْطَأَ مَدْحَكَ
فَالسَّحْبُ تَعْطَى وَتَبْكِي وَأَنْتَ تَعْطَى وَتَضْحَكُ

نسب الكرم بك عريق ، وروض المجد أنيق ، أصل راسخ ، وفرع شامخ ، تهتز للمكارم اهتزاز الحسام ، وتثبت أمام الشدائد بثغر بسم :

ترأه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله

حكمت الآمال فى أموالك ، واستعبدت الأحرار بفعالك ، ينابيع الجود من أملك تتفجر ، وربيع السماح بك ضاحك لا يضجر ، فلا زلت

(١) خالى (٢) بكسر الواو جراب الزاد (٣) ظاهر (٤) فناء الزاد والمال (٥) بضم الباء المؤنة القليلة (٦) انتهى كلام الحريرى (٧) حبال الخيمة (٨) البسنيه قميصاً (٩) جلدة (١٠) مصائبها (١١) حدوثها (١٢) يكسو (١٣) بنعمة (١٤) عطائك (١٥) احسانك (١٦) استحلبت (١٧) ما تحلب (١٨) ما قصدت (١٩) جانب

مولاي ممتعاً بشرف سجاياك وشيمك ، مستمداً الشكر من غراس نعمك ،
ولا زالت الأدام تنتفع بتلك الشيم وتجنى ثمار ذلك الكرم ، ودمت للمكارم
بلزيم لا يناله خسوف ، وشمس فضل لا يلحقها كسوف ، أطال الله لك
البقاء ، كتطول يديك بالعطاء ، آمين .

استمناح رجل لعبد الملك بن مروان

وَفَدَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَالَ :

وَاللَّهِ مَا نَدَرِي إِذَا مَا فَاِنَّا طَلَبَ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي نَتَطَلَّبُ ؟
فَلَقَدْ ضَرَبْنَا (١) فِي الْبِلَادِ فَلَمْ نَجِدْ أَحَدًا سِوَاكَ إِلَى الْمَكَارِمِ يُنْسَبُ ؟
فَأَصْبِرْ لِعَادَاتِنَا الَّتِي عَوَّدْتَنَا أَوْلًا ، فَأَرْشِدْنَا إِلَى مَنْ نَذْهَبُ ؟

فقال عبد الملك : إِيَّيَّ ! إِيَّيَّ ! وأمر له بألف دينار ، ثم أتاه فى العام

المقبل فقال :

يُرْبُّ (٢) الَّذِي يَأْتِي مِنَ الْخَيْرِ أَنَّهُ إِذَا فَعَلَ الْمَعْرُوفَ زَادَ وَتَمَمَّا
وَلَيْسَ كِبَانٍ حِينَ تَمَّ بِنَاؤُهُ تَتَّبَعَهُ بِالنَّقْضِ حَتَّى تَهْلُمَّا

فأعطاه ألفى دينار . ثم أتاه فى العام الثالث فقال :

إِذَا اسْتَمَطَرُوا كَانُوا مَغَازِيرَ (٣) فِي النَّدى يَجُودُونَ بِالْمَعْرُوفِ عَوْدًا عَلَى بَدءِ

فأعطاه ثلاثة آلاف دينار .

(١) ضرب فى الارض سافر (٢) رب : زاد وأصلح (٣) أغزر
المعروف جعله غزيرا . والمغازير لا يكون الا جمعا لغزار أو مغزير من صيغ
المبالغة ولم أجدهما فى اللسان والقاموس ، وفى المخصوص سحابة
مغزار : غزيرة فىكون جمعا لغزار (حتا) .

استمناح العتابي لاحد اصدقائه

كتب كلثوم (١) بن عمرو العتابي إلى صديق له :
 أما بعد - أطال الله بقاءك ، وجعله يمتد بك إلى رضوانه ، وألجنة - فإنك
 كنت عندنا روضة من رياض الكرم ، تبتهج النفوس بها ، وتستريح القلوب
 إليها ، وكذا نعيمها من النجعة (٢) استتماماً لزهرتها ، وشفقة على خضرتها .
 وادخاراً لثمرتها ، حتى أصابتنا سنة كانت عندي قطعة من سني يوسف ،
 واشتد علينا كلبها (٣) ، وغابت قطتها وكذبتنا غيومها ، وأخلفتنا بروقها ،
 وفقدنا صالح الإخوان فيها ، فانتجعتك ، وأنا بانتجاعى إياك شديد الشفقة
 عليك ، مع علمي بأنك موضع الرائد (٤) ، وأنت تغطي عين الحاسد ، والله
 يعلم أني ما أعدك إلا في حومة (٥) الأهل .

واعلم أن الكريم إذا امتحيا من إعطاء القليل ولم يمكنه الكثير لم يعرف
 جوده ولم تظهر همته ، وأنا أقول في ذلك (٦) :

إذا تكرمت عن بذل القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود
 بث النوال ولا تمنعك قلة فكل ما سد فقراً فهو محمود

قيل : فشاطره جميع ماله .

(١) من سلالة عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة ، وكان شاعراً مترسلاً
 بليفاً مطبوعاً متصرفاً في فنون الشعر من شعراء الدولة العباسية ومن
 شعره في الشكر :

فأو كان للشكر شخص يبين إذا ما تأمله الناظر
 لمثاته لك حتى تراه لتعلم أني امرؤ شاكر

وله مع الرشيد والمأمون والبرامكة أخبار ونوادر .

(٢) النجعة طاب الكلاب في موضعه (٣) الكلب : القحط وبلاء
 الشتاء ومرض يصيب الكلاب (٤) الرائد الطالب (٥) الحومة هنا
 الجماعة والطائفة (٦) كذا ذكر القالي في أماليه وقد حذفنا من روايته
 ثلاثة أبيات قليلة الاتصال بالفرض . هذا والمعروف أن هذه الأبيات
 لشاعر يسمى حماد عجرد أو لبشار بن برد لا للعتابي وتبعت هذا على
 القالي .

استمناح أعرابية لعبد الله بن أبى بكره

دخلت أعرابية على عبد الله بن أبى بكره (١) بالبصرة ، فوفقت بين السماطين (٢) ، فقالت : أصلح الله الأمير وأمتع به - حذرتنا إليك سنة اشتد بلاؤها ، وانكشف غطاؤها ، أقودُ صبية صغاراً ، وآخرين كباراً ، فى بلدة شاسعة تخفضنا خافضة ، وترفعنا رافعة ، للممات من الدهر أذهب لحمى وبرين عظمى ، وتركننى والهة (٣) أدور بالحضيض ، وقد ضاق بى البلد العريض ، فسألت فى أحياء العرب : من الكاملة فضائله ، الموعطى سائله ، الكافى نائله ؟ فدللت عليك - أصلحك الله تعالى ! - وأنا امرأة من هوازن (٤) ، قد مات الوالد ، وغاب الرافد ، وأنت بعد الله غيائى ومنتهى أملى ، فاصنع بى إحدى ثلاث خصال : إما أن تردنى إلى بلدى أو تحسن صفدى (٥) ، أو تقيم أودى (٦) .

فقال : بل أجمعهن لك ، ولم يزل يُجرى عليها كما يجرى على عياله حتى ماتت .

استمناح حكيم فارسى للمهلب

قال الهيم بن عدى : قدم حكيم من حكماء أهل فارس على المهلب بن أبى صفرة فقال : - أصلح الله الأمير ! - ما أشخصتنى الحاجة ، وما قنعت بالمقام ، ولا أرضى منك بالنصف إذ قمت هذا المقام . قال : ولم ذلك ؟ قال : لأن الناس ثلاثة : غنى ، وفقير ، ومُستزید . فالغنى من أعطى ما يستحقه ، والفقير من أُمِنَحَ حقه ، والمستزید الذى يطلب الفضل بعد الغنى ، وإنى نظرت

(١) هو ابن أخى زياد ابن أبيه (٢) السماط الصف (٣) الوالهة والولهى الشديدة الحزن (٤) هوازن قسم من قيس وعبد الله بن أبى بكره نسبه فى ثقيف وهم من هوازن فهى تريد أن تميله بعاطفة القرابة (٥) الصفد : العطاء (٦) الاود : الاعوجاج .

في أمرك فرأيتُ أنك قد أدَّيتُ إليَّ حتى ، فتأقت نفسي إلى استزادتك ؛
فإن منعتني فقد أنصفتني وإن زدتنى زادت نعمتك عليَّ . فأعجب المهلب
كلامه وقضى حوائجه .

تلطف رجل من أهل الشام في استمناح المنصور

قدم رجل من أهل الشام على أبي جعفر المنصور فتكلم كلاماً حسناً ،
فقال له أبو جعفر : حاجتك ؟ فقال : يُمليكَ اللهُ يا أمير المؤمنين . قال : حاجتك ،
فإنه ليس كلُّ ساعةٍ يمكنك هذا ولا تُؤمر به . فقال : والله ما أستقصر عمرك ،
ولا أخاف بُخلك ، ولا أعتنم مالك ، وإن سُؤالك لشرفٌ ، وإن عطاءك لزينٌ .
وما بامرئٍ بذل وجهه إليك نقضٌ ولا شينٌ . فأمر له المنصور بمنحة سنوية .

وقد ألمَّ الرجل في أكثر معانيه بقول أمية بن أبي الصلت يستمنح
عبد الله بن جُدعان (١) القرشي :

عطاوك زينٌ لامرئٍ إن حبوتهُ ببذلٍ وما كلُّ العطاء يزِينُ
وليس بشينٌ لامرئٍ بذل وجهه إليك كما بعض السؤال يشين

* * *

ومن ألطف الاستمناح قول أمية يخاطب ابن جُدعان أيضاً :

أذكر حاجتي أم قد كفاني حبؤك إن شيمتكَ الحباءُ
وعلمك بالأمر وأنت قَرم لك الحسب المهذب والسَّناء (٢)
كريم لا يُغيره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء

(١) عبد الله بن جُدعان من تيم رهط سيدنا أبي بكر الصديق ، وهو جواد مشهور . وكان أمية مداحا له منقطعا إليه ، وتوفى أمية بين يدي الإسلام .

(٢) القرم : الفحل والسيد ، والسناء : الشرف والسنا : الضوء .

تُبَارَى الرِّيحَ مَكْرُومَةً وَمَجْدًا إِذَا مَا الكَلْبُ أَجْحَرَهُ الشَّتَاءُ (١)
إِذَا أَتَيْتُ عَلَيْكَ الْمَرْءَ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّنَاءُ (٢)

استمناح عبد العزيز بن زرارة لمعاوية

قال العُتْبَى : وفدَ عبدُ العزيز بن زرارة على معاوية ، فلما أذِنَ له وقف بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين ! لم أزل أَهْزُ ذَوَائِبَ (٣) الرِّحَالِ إِلَيْكَ ، إِذْ لَمْ أَجِدْ مُعَوَّلًا إِلَّا عَلَيْكَ ، أَمَطَّيَ اللَّيْلَ بَعْدَ النَّهَارِ ، وَأَسَمَّ (٤) الْمَجَاهِلَ بِالْآثَارِ بِعُقُودُنِي إِلَيْكَ أَمَلٌ وَتَسُوقُنِي بِلَوْيِ ، وَالْمَجْتَهِدُ يُعَذَّرُ ، وَإِذَا قَدِ بَلَغْتَنكَ فَقَطْنِي (٥) فَقَالَ مُعَاوِيَةَ : أَحْطَطُ . عَنْ رَاحِلَتِكَ .

* * *

وَمَا وَلى الخَلِيفَةُ الْمُهْتَدَى سُلَيْمَانَ (٦) بِنَ وَهَبَ وَزَارَتَهُ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ ذَوَى حُرْمَتِهِ فَقَالَ : - أَعَزَّ اللَّهُ الْوَزِيرَ ! - أَنَا خَادِمُكَ الْمُؤْمِلُ لِدَوْلَتِكَ ، السَّعِيدُ بِأَيَّامِكَ ، الْمَنْطَوِيُّ الْقَلْبَ عَلَى وَدِّكَ ، الْمَنْشُورُ اللِّسَانَ بِمَدْحِكَ ، الْمُرْتَهَنُ بِشُكْرِ نِعْمَتِكَ ، وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَفِيَتْ كُلَّ صَدِيقٍ وَدَنَى ثَمْنًا إِلَّا مُؤْمِلَ دَوْلَاتِي وَأَيَّامِي

فِيَأْتِنِي ضَامِنٌ أَنْ لَا أَكْفَيْتُهُ إِلَّا بِتَسْوِيغِهِ فَضْلِي وَإِنْعَامِي (٧)

وَإِنِّي لَكُمْ قَالِ الْقَيْسِيُّ (٨) : مَا زَلْتُ أَمَطَّيَ النَّهَارَ إِلَيْكَ وَأَسْتَدِلُّ بِفَضْلِكَ

(١) أجحره : الجأه (٢) يقول : انك لا تجشم المحتاج مشونة السؤال لانك تستغنى بثنائه عن استجدائه (٣) الذوائب : جمع ذؤابة وهى الجلدة المتعلقة على آخر الرجل (٤) وسم الارض كوعد : ترك فيها أثرا (٥) قطنى اسم الفعل بمعنى يكفينى ومثلها قدنى (٦) سليمان ابن وهب من كبار وزراء الدولة العباسية ، وقد تقدم ذكر ابنه عبيد الله وحفيد القاسم . توفى سليمان سنة ٢٧٢ هـ (٧) تسوغه : أناله (٨) يريد بالقيسى عبد العزيز بن زرارة المتقدم ذكره لانه من بنم عامر ثم من قيس . وقد ذكر عبارته بمعناها لا بلفظها .

عليك ، حتى إذا اجتن الليل فغض البصر ، ومحا الأثر ، قام الرجاء يدنى
سائر أملى ، والنفس راغبة والاجتهاد عاذر ؛ وإذ قد بلغتك فقيدنى .

فقال سليمان : لا عليك ، فيانى عارف بوسيتك ، محتاج إلى اصطناعك
وكفائيتك ، ولست أؤخر عن يرمى هذا توليتك ما يحسن عليك أثره ،
ويطيب لك خبره .

وكتب رجل من أهل البصرة إلى أخ له :

أما بعد ، فإنه يسهل على طلب الحاجة أمران فيك ، وأمران لى ، وأمر
من قبل الله وبه تمامها . فأما اللذان فيك فاجتهادك فى النجح ، ومبالغتك فى
الاعتذار ، وأما اللذان لى فيانى أضييق عليك بمعدرى ، ولا أصون عنك شكرى ،
وأما الذى من قبلى الله عز وجل فيأمانى بأن كل مقدر كائن ، والسلام .

وكتب المرحوم السيد مصطفي لطفى المنفلوطى :

أنا إن سألتك حاجتى - أعزك الله ! - وبسطت إليك يد رجائى فقد
طرقت باب المكارم ، واستمطرت غيث المراحم ، ورجوت واحد الدهر همة
وحزماً ، وناذرة الوجود كرمأً وفضلاً . فإن أنجزتها فليست أولى الهمم ، ولا
واحدة النعم ، فلکم سبقتم إلى منك أيادٍ تخرس دونها ألسنة الشكر ، وتضيق
بها جرائد (١) الحضر ؛ ولقد مثلت - أيدك الله ! - بين [أن] أمتشفع إليك
بندوى العجاء عندك ، والزلقى (٢) لديك ، وبين (٣) أن أكمل ذلك إلى كرمك
وفضلك وما طبعت عليه نفسك الشريفة من خلال الخير وسجايا البر ،
فرايت أن الثانية بك أحرى ، وبفضالك أجدر ، والسلام .

(١) الجرائد : جمع جريدة وهى السفعة وكانت يكتب فيها ، فالمراد
الصحائف (٢) الزلقى : القربة والمنزلة . (٣) كرر الكاتب بين
توكيدا ، وهو جائز مسموع ، وأنا أستحسنه اذا اطال ما قبل المعطوف
كما هنا .

استمناح الصابىء لآحد الرؤساء

وكتب أبو إسحاق الصابىء (١) إلى بعض الرؤساء :

قد جرت العادة - أطال الله بقاء الأمير ! - بالتمهيد للحاجة قبل مَوْردها وإسلاف (٢) الظنون الداعية إلى نجاحها . وسالك هذه السبيل يُسَىءُ الظن بالمسئول ، فهو لا يلتبس فضله إلا جزاءً ، ولا يستدعى طوْله إلا قضاءً . والأمير بكرمه الغريب ، ومذهبه البديع ، يؤثر أن يكون السلف له ، والابتداء منه ، ويوجبُ على المهاجم برغبته إليه حق الثقة به . فالحمدُ لله الذى أفرّده بالطرائق الشريفة ، ووَحَّده بالخلالِ المنيقة ، وجعله عين زمانه البصيرة ، ولمعته (٣) الباقية المنيرة .

وكتب محمد بن عيَّاد إلى جعفر بن محمد وزير المعتز وكان يتقرب إليه :

ما زلتُ - أيدك الله تعالى ! - أذمُّ الدهر بِذمِّكَ إياه ، وأنتظرُ لنفسى ولك عُقباهُ ، وأتمنى زوال من لا ذنبَ له ، إلى عاقبه محمودة تكون بزوال حاله وأترك الإغذار (٤) فى الطلب على الاختلال (٥) الشديد ضناً بالمعروف عندى إلا عن أهله ، وحباً لرجائى إلا عن مستحقه .

ومن أرق الاستراحة (٦) ما كتبه عبيد بن طاهر إلى سليمان بن وهب :

أبى دهرنا إسعافنا فى نفوسنا وأسعفنا فىمن نحبُّ ونكرمُ

(١) الصابىء : هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال كاتب ديوان الإنشاء عن الخليفة ومن عز الدولة بن بويه ، وهو معدود من رجالات الكتابة ، توفى عام ٣٨٤ هـ (٢) الأسلاف : التقديم (٣) اللمعة : البقعة والقطعة من الجسد تبرق (٤) أعذر : بالغ (٥) الاختلال : الاحتياج (٦) الاستراحة : الاستمناح .

فقلتُ له : نِعْمَاكَ فِيهَا أُمَّهَا وَدَعَّ أَمْرَنَا إِنْ الْمُهْمُ الْمُقَدَّمُ

فَأَعْجَبَ سَلِيمَانَ بِلَطْفِ طَلْبِهِ فِي تَهْنِئَتِهِ وَقَضَى حَوَائِجَهُ .

وقال أعرابي لرجل : ما اتهمت حسن ظني بك ، منذ توجه رجائي نحوك ،

ولا قعدت بجد قاتل (١) باعتمادى عليك ، ولا استدعتني رغبة عنك إلى من

سواك ، ولا أراني الاختيار غيرك عوضاً منك .

وكتب البليديع الهمداني في بابهِ إلى بعض أصحابه :

لك - أعزك الله ! - عادة فضل في كل فضل ، ولنا شبه مقت في كل

وقت ، ولعمري أن ذا الحاجة مقيت (٢) الطلعة ، ثقيل الوطأة ، ولكن

ليسوا سواء .

الفصل الثالث : في رسائل الشكر

كتب أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ :

الشكر ترجمان النية ، ولسان الطوية ، وشاهد الإخلاص ، وعنوان

الاختصاص ، عندي من إنعامه ، وخاص برّه وعامّه ، ما يستغرق منه الشكر ،

ويستنفد قوة النشر ، شكر الأسير لمن أطلقه ، والمملوك لمن أعتقه ، شكر

كأنفاس الأحبار ، أو أنفاس الرياض غبّ الأمطار .

وكتب الحسن بن وهب المتوفى سنة ٤٨٢ هـ :

ومن شكرك على درجة رفعته إليها ، أو ثروة أفدرته عليها ، فإن شكركي

لك على مهجة أحبيتها ، وحشاشة أبقيتها ، ورمق أمسكت به ، وقمت بين

التلف وبينه ، فلكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهي إليه ، ومدى تقف عنده ،

وغاية من الشكر لا يسمو إليها الطرف ، خلا هذه النعمة التي فاقت الوصف

وأطالت الشكر وتجاوزت قدره .

(١) الجد : الحظ . والقاتل المخطيء (٢) المقيت والمقوت : البفيض

والمكروه .

وأنت من وراء كل غاية : رددت عنا كيد العدو وأرغمت أنف الحسود
فنحن نلجأ منك إلى ظل ظليل ، وكنف (١) كريم ، فكيف يشكر الشاكر ؟
وأين يبلغ المجتهد !

وكتب الأمير أبو الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ :

فأما الشكر الذى أعارنى رداؤه ، وقلدنى طوقه وسناؤه (٢) ، فهيهات أن
ينتسب إلا إلى عادات فضله وإفضاله ، أو يسير إلا تحت رايات عرفه (٣)
ونواله (٤) ! وهو ثوب لا يحلى إلا بذكر طرازه واسم حقيقته ، ولسواه مجازه ،
ولو أنه - حين ملك رقى بأبياديه ، وأعجز وسعى عن حقوق مكارمه ومساغيه -
خلى لى مذهب (٥) الشكر وميدانه ، ولم يجاذبنى زمامه وعنانه - لتعلقت فى
بلوغ بعض الواجب بعروة طمع ، ونهضت فيه ولو على وهن وظلوع (٦) ،
ولكنه يأنى إلا أن يستولى على أمد الفضائل (٧) ذرى (٨) الغوارب (٩) منها
والكواهل (١٠) ، فلا يدع فى المجد غاية إلا سبق إليها فارضاً (١١) ، وتخلف
سواه عنها حسيراً (١٢) ساقطاً ، لتكون المعالى بأسرها مجموعة فى ملكه ، منظومة
فى سلكه ، خالصة له من دعوى القسم وشركه (١٣) .

وكتب أستاذى الشيخ محمد عبده (١٤) يشكر للمرحوم حافظ إبراهيم

تعريبه كتاب البؤساء :

لو كان لى أن أشمرك لظن بالغت فى تحسينه ، أو أحمذك لرأى لك فينا

(١) جانب (٢) رفعته (٣) معرفة (٤) عطائه (٥) ريق
(٦) كلاهما الضعف (٧) يعلو (٨) أعالى (٩) جمع غارب ما بين
الظهر والعتق (١٠) جمع كاهل ما بين الكتفين (١١) سابقا (١٢) كليلا
(١٣) مشاركته (١٤) هو الاستاذ الامام مفتى الديار المصرية سابقا ولد
سنة ١٢٥٨ هـ وتوفى سنة ١٣٢٣ هـ وكتب هذا المكتوب شكراً لترجم كتاب
البؤساء وقد نظم قصيدة أثناء مرضه ومنها :

ولست أبالى أن يقال محمد أبل أو اكتظت عليه العمائم
ولكن دينا قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضى عليه العمائم

أبدعت فى تزيينه - لكان لقلمى مطمع أن يدنو من الوفاء بما يُوجِبُهُ حَقُّكَ ، ويجرى فى الشكر إلى الغاية كما يطلبه فضلُكَ ، لكنك لم تقف بعرفك (١) عندنا ، بل عَسَمْتَ به من حولنا ، وبسطتَهُ على القريب والبعيد من أبناء لُغَتنا ، زَفَقْتَ إلى أهل اللغة العربية عذراء من بنات الحكمة الغربية ، سحرت قومها وملكت فيهم يومها ، ولا تزال تُنَبِّهُ منهم خامداً وتهز فيهم جامداً ، بل لاتنفك تُحَيِّى من قلوبهم ما أماتته القسوة ، وتقوِّم من نفوسهم ما أعوزت فيه الأسوة (٢) حكمة أفاضها الله على رجلٍ منهم ، فهَدَى إلى التقاطها رجلاً منا ، فجردها من ثوبها الغريب ، وكساها حلة من نسيج الأديب ، وجلاها للناظر ، وحلاها للطالب ، بعد ما أصلح من حلقها وزان من معارفها ، حتى ظهرت مُحِبَّةً إلى القلوب ، شيقة (٣) إلى مؤانسة البصائر ، تهشُّ (٤) للفهم وتبش (٥) للطف الذوق ، وتسابق الفكر إلى موطن العلم ، فلا يكاد يلحظها الوهم ، إلا وهى من النفس فى مكان الإلهام .

حاول قومٌ من قبلك أن يبلغوا من ترجمة الأعجم مبلغك فوقف العجز بأغلبهم عند مبتدئ الطريق ، ووصل منهم فريق إلى ما يحبُّ من مقصده ، ولكنه لم يُعْنِ بأن يعيد إلى اللغة العربية ما فقدت من أساليبها ، ويردَّ إليها ما سلبه المعتدون عليها من متانة التأليف ، وحسن الصياغة ، وارتفاع البيان فيها إلى أعلى مراتبه .

أما أنت ، فقد وفيت من ذلك ما لا غاية لمزيد بعده ، ولا مَطْمَعٍ لطالب أن يبلغ حدَّه ، ولو كنتُ ممن يقول بالتناسخ ، لذهبتُ إلى أن روح «ابن المُتَفَعِّع» كانت من طيِّبات الأرواح ، فظهرت لك اليوم فى صورة أبداع ، ومعنى أنفع ،

(١) المعروف (٢) بالكسر والضم : القدوة (٣) لطيفة (٤) بفتح التاء : تصل إليه بسهولة (٥) بفتح الباء : من البشاشة .

ولعلك قد سننت بطريقتك فى التعريب سنة يعمل عليها من يحاوله بعد ظهور كتابك ويحملها الزمان إلى أبناء ما يُستقبلُ منه ، فتكون قد أحسنت إلى الأبناء كما أجملت فى الصُّنع إلى الآباء ، وحكمت للغة العربية أن لا يدخلها بعدُ من العُجْمَة سِوَى ما هو فى أسماء (الأسماء الأماكن والأشخاص ، لا أسماء المعانى والأجناس) ومثلَى من يعرف قدرَ الإحسان إذا عمَّ ، ويعلى مكان المعروف إذا شمل ، ويتمثل فى رأيه الحكيم العربى أبى العلاء المعرى :

ولو أنى حُببتُ الخلد فرُدًّا لما أَحْببتُ بالخلد انفرادا

فلا هَطَلتُ على ولا بَارضى سحائبُ ليس تنتظم البلادا

فما أعجز قلمي عن الشكر لك ! وما أحقك بأن ترضى من الوفاء باللقاء !
وكتب أيضاً فى الشكر مع توثيق المودة إلى أصحابه :

لك فى قلوبنا من المودة ما يزيكه سنأوك ، وفى مناطقنا من الحمد

ما يوجبه كمالك ، وفى صدورنا من الإجلال ما يرفعه بهاؤك !

وما بيننا من المودَّة لا تحدُّه مدة ، ولا تخلق جدَّة ، نعيذه من حاجة

للتجديد واستدعاء للمزيد ، فلا المواصلة تربيه ، ولا المجاهلة تُوهيه - نعم

إنَّ ما يحفظُ لك فى الأنفس هو تجلى فضلك ، ومثالُ علائك ونبلك ؛

وذلك الخالد بخلود الأرواح ، والباقي فى تفانى الأشباح .

وبعد - فقد تلقيت منك كتاباً يبُّوح بسرِّ المحبة ، وينشرُ طيَّ الصداقة ،

فيه تبيان وُجدانك مما وجدنا ، وتأثيرك على ما فقدنا ، فكان نبأ عما نعلم ،

وقضاء بما نحكم ، ولكن شكرنا لك فضلَ المراسلة ، وأريحية الجمالة ،

والله يتولى إيفاءك ، مثوبة تكافئُ وفاءك .

وكتب أيضاً فى الشكر لآخر :

لو كان فى الثناء ، وملازمة الدعاء ، وحفظِ الجميل ، والقيام بالخدمة

جهد المستطيع ما يبنى بشكر من يفتح باب المحبة ، ويبدأ بصنائع المعروف ،

لكنت والحمد لله من أقدر الناس عليه ، ولكن أنى يكون فى ذلك وفاءً؟ والمحبة سر نظام الأكوآن ! والإحسان قوام عالم الإمكان ! والقائم على كنهه جميعه قيوم السموات والأرض ! والمفتتحون لأبواب العرف على هذه النسبة الجليلة منه ، فليس لى إلا أن أَلجأ إلى الله فى مكافأة فضيلتكم ، على ما كان منكم أيام الإقامة بينكم ، ثم أسلى نفسى عن عجزى بما أتخيل أن كرمكم سيروى :

سيكفى الكريم إخاء الكريم ويقنع بالود منه نوالا

وبعد هذا أرجو عفوكم عن التقصير فى المبادرة إلى المكاتبة ، لأنى شغلت بما شغلتنى عن نفسى ، ولكن زالت العوارض (والحمد لله) وفاتنى لهذا العذر تهنتكم بالعيد ، وإنما للمؤمن فى كل يوم بربه عيد ، فنهنتكم برضا الله عنكم وتقبله صالح الأعمال منكم ، وسلامى على نجلكم ومن ينتمى إليكم .

الفصل الرابع : فى رسائل النصح والمشورة

كتب بديع الزمان الهمذانى المتوفى سنة ٥٣٩٨ هـ :

اسمع نصيحة ناصح جمع النصيحة والبيعة (١)

إياك واحذر أن تكو ن من الثقات على ثقه

صدق الشاعر وأجاد ، وللثقات خيانة فى بعض الأوقات : هذه العين تريك السراب (٢) شراباً ، وهذه الأذن تُسمعك الخطأ صواباً ، فلست بمعذور إن وثقت بمحذور ، وهذه حالة الواثق بعينه ، السامع بأذنه .

وأرى فلاناً يُكثر غشيانك (٣) وهو الدنيء دُخائته (٤) ، الرديء جملته ، السئ وصلته ، الخبيث كلمته ، وقد قاسمته فى زرك (٥) ، وجعلته موضع سرك ،

(١) المحبة (٢) ماتراه نصف النهار عند اشتداد الحر كالماء يلصق بالارض وهو مثل فى المخادع الكاذب (٣) اتيانك (٤) بتثليث الدال : نيته (٥) قوام القلب .

فَأَرَى مَوْضِعَ غَلْطِكَ فِيهِ ، حَتَّى أُرِيكَ مَوْضِعَ اِتِّلَافِيهِ (١) : أَفْظَاهِرُهُ غَرَّكَ ؟
أَمْ بَاطِنُهُ سَرَّكَ ؟ ؟

يا مولاى : يُورِدُكَ (٢) ثُمَّ لَا يُصَدِّدُكَ (٣) وَيُوقِعُكَ ثُمَّ لَا يَعْدُرُكَ ،
فَاجْتَنِبْهُ وَلَا تَقْرِبْهُ ، وَإِنْ حَضَرَ بِابِكَ ، فَانْكُسْ جَنَابِكَ (٤) ، وَإِنْ مَسَّ
ثَوْبِكَ فَاغْسِلْ ثِيَابِكَ ، وَإِنْ لَصِقَ بِجِلْدِكَ ، فَاسْلُخْ إِهَابِكَ ، ثُمَّ افْتَتِحِ الصَّلَاةَ
بِلَعْنِهِ ، وَإِذَا اسْتَعَدْتَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَاعْنِهِ (٥) .

وكتب الإسكندر المقدونى إلى أستاذه الحكيم أرسطو يستشيريه فيما يفعله
بأبناء ملوك فارس بعد أن قتل آباءهم وتغلب على بلادهم :

عليك أيها الحكيم منا السلام ، أما بعدُ فإن الأملاك الدائرة والعلل السماوية
وإن كانت أسعدتنا بالأموال التي أصبح الناس لنا بها دائنين - فإننا مضطرون
إلى حكمتك ، غيرُ جاحدين لفضلك والاحتباء (٦) لرأيك ، لما بلونا من إجداء (٧)
ذلك علينا ، وذُقنا من جنى (٨) منفعته ، حتى صار ذلك بنجوعه (٩) فينا ، وترسخه
فى أذهاننا ، كالغذاء (١٠) لنا ، فما ننفك نعوّل عليه ، ونستمد منه استمداد
الجداول من البحار . وقد كان مما سبق إلينا النصر ، وبلغنا من النكاية فى العدو
ما يعجزُ القول عن وصفه ، والشكرُ على الإنعام به ، وكان من ذلك أنا جاوزنا
أرض سورية والجزيرة ، إلى أرض بابل وفارس ، فلما نزلنا بأهلها ، لم يكن
إلا ريباً (١١) تلقانا نهرٌ منهر برأس ملكهم هدية ، وطلباً للحظوة عندنا ، فأمرنا

(١) تداركه (٢) يوصلك الى مكان ورد الماء (٣) لا يرجعك
(٤) الفناء والناحية (٥) أقصده (٦) الاختيار (٧) اعطاء (٨) ما
يجنى ويؤخذ من الثمر (٩) بتأثيره (١٠) بكسر الفين ما يتغذى به
(١١) مقدار .

يصلب من جاء به وشهرته ، لسوء بلائه وقلة ارعوائه ووفائه ، ثم أمرنا بجمع من كان هنالك من أولاد ملوكهم وأحرارهم ، وذوى الشرف منهم ، فرأينا رجالاً عزيمةً أجسامهم وأحلامهم (١) ، حاضرةً ألبابهم وأذهانهم ، راثقةً (٢) مناظرهم ومناطقهم ، دليلاً على أن وراء ذلك ما لم يكن معه سبيلٌ إلى غلبتهم ، ولولا أن القضاء أدالنا (٣) منهم ، وأظهرنا عليهم ، ولم نرَ بعيداً من الرأي في أن نستأصل (٤) شأفتهم (٥) ، ونجث (٦) أصلهم ، ونلحقهم بمن مضى من أسلافهم لتسكن القلوب بذلك إلى الأمن من جرائرهم (٧) وبوائقهم (٨) ، فرأينا أن لا نعجل ببادرة (٩) الرأي في قتلهم ، دون الاستظهار بمشورتك فيهم ، فارفع إلينا رأيك في ما استشرناك فيه صحته عندك ، وتقليبك إياه بجلي نظرك .

والسلام على أهل السلام ، فليكن علينا وعليك .

فكتب أرسطو المتوفى قبل الميلاد إلى الإسكندر المقدوني :

إن لكل تربة - ولا محالة - قسماً من كل فضيلة ، وإن لفارس قسماً من النجدة والقوة ، وإنك إن تقتل أشرافهم ، تخلف الوضعاء منهم على أعقابهم وتورث سفلتها (١٠) ، منازل عليتهم ، وتغلب أدنياءهم ، على مراتب ذوى أخطارهم ؛ ولم تبتل الملوك قط . ببلاء هو أعظم عليهم من غلبة السفلة وذلك الوجوه . واحذر الحذر كله أن تمكن تلك الطبقة من الغلبة ، فإنهم إن نجم منهم

(١) جمع حلم بكسر الحاء العقل ويضمها المنام ليلا (الرؤيا) (٢) زائدة
 (٣) جعل لنا الكرة عليهم (٤) تقطع (٥) عداوتهم (٦) نقلع
 (٧) كناية عن شرورهم (٨) الدواهي (٩) ما يظهر عند الغضب
 (١٠) يفتح السين وكسر الفاء السقاط من الناس ، وبعض المراب يخفف
 فينقل كسرة الفاء الى السين .

ناجِمٌ على جُنْدِكَ وأهل بلادك ، دهمهم مالا رَوِيَّة فيه ولا منفعة معه . فانصرف عن هذا الرأى إلى غيره ، واعمد إلى من قبلك من العظماء والأحرار ، فوزع بينهم مملكتهم ، وألزم اسم الملك كل من وُلِّيته منهم ناحية ، واعقد التاج على رأسه ، وإن صغر ملكه ، فإنَّ المُتَسَمَّى بالملك لازمٌ لاسمه ، والمعقود له التاج لا يخضع لغيره ، ولا يلبث ذلك أن يوقع بين كل ملك منهم وصاحبه ، تدابراً وتغالبا على الملك وتفاخراً بالمال والجند ، حتى ينسوا بذلك أضعفانهم عليك ، وتعود بذلك حربهم لك حرباً بينهم ، ثم لا يزدادون بذلك بصيرةً إلا أحدثوا هنالك استقامة لك ، فإن دنوت منهم كانوا لك ، وإن نأيت عنهم تعززوا بك ، حتى يثيب كل منهم على جاره باسمك ، وفى ذلك شاغلٌ لهم عنك ، وأمانٌ لأحداثهم بعدك - وإن كان لا أمان للدهر - وقد أدبت للملك ما رأيتُه خطأ ، وعلى حقاً ، والملك أبعد رَوِيَّة ، وأعلى عيناً فى ما استعان بي عليه .

والسلام الذى لا انقضاء له ولا انتهاء ولا غاية ولا فناء ، فليكن على الملك

ومن رسالة للإمام على المتوفى سنة ٤٠ هـ كرم الله وجهه :

دع الإسراف مقتصدًا ، واذكر فى اليومِ غداً ، وأمسك من المال بقدر ضرورتك ، وقدم الفضل (١) ليوم حاجتك ، أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين ؟ أو تطمع وأنت متعرج في نعم تمنعه الضعيف والأرملة ، أن يوجب (٢) لك ثواب المتصدقين ؟ وإنما للمرء مجزى بما أسلف (٣) وقادم على ما قدم ، والسلام .

(١) ما فضل عندك من مال وأعمال فقدمه .

(٢) أن ومدخلها مجرور بحرف جر محذوف متعلق بتطمع .

(٣) قدمه فى سالف أيامه .

وكتب أيضاً - كرم الله وجهه - إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما :
 أما بعد! - فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه فوت ما لم
 يكن ليُدركه ، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على
 ما فات منها ، وما نلت من دُنْيَاكَ فلا تُكثِرْ فيه فرحاً ، وما فاتك منها فلا
 تُأسفُ عليه جزعاً ، وليكن همك فيما بعد الموت .

وكتب بطل الوطنية السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ :

لا حول ولا قوة إلا بالله (اشتبه المراقب باللاه) (١) ! واستبدل الحلو بالمر ،
 وقدم الرقيق على الحر ! وبيع الدر بالخزف ! والخز بالخشف (٢) ، وأظهر كل
 لثيم كبره ! إن فى ذلك لَعِبْرَةٌ ! سمعاً سمعاً ، فالوشاة إن سَعُوا لا يعقلون ، ويحبون
 أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فكيف تشترون منهم القار (٣) فى صفة العنبر ؟ وقد
 بدت (٤) البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر ! وكيف تسمع الأحياب
 لمن نهى منهم وزجر ؟ ولقد جاءهم من الأنبياء (٥) ما فيه مُزْدَجَر ! (٦) عَجِبْتُ
 لهم وقد دخلوا دارنا وهم عنها معرضون ! فلما أحسوا بأَسْنَانِ إذا هم منها يركضون
 فقابلوهم بنبال الطرد فى الأعناق ، حتى إذا أَثَخَنَتْهُمُ (٧) فشدوا الوثاق (٨) ،
 أريدخلون بما لا ينفع ، فى بيوتِ أذن الله أن ترفع ! سيعلمون مقام الهبوط
 والعروج (٩) ، «يومَ يسمعون الصيحة بالحق ؛ ذلك يومُ الخروج» ويقولون
 إذا لم يجدوا ملاذاً يا ويلينا قد كنا فى غفلةٍ من هذا ! فإنهم عزموا على الإقامة مدة ،
 ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة (١٠) . وأنت عزيز العليا ، ووحيد الدنيا

(١) باللهى الذى يكون ملهيا - وغالبا الشيطان (٢) بفتح الخاء
 أو بضمها الردىء من الصوف (٣) الزفت (٤) ظهرت (٥) الاخبار
 (٦) النهى بشدة (٧) أكثرتم القتل فيهم (٨) ما يربط به (٩) الطلوع
 (١٠) ما أعده الانسان لحوادث الدهر من المال والسلاح .

قد بينتُ لك فعلهم ، فبما (١) رَحمة من الله لَنتَ لهم ، ولكنهم طمعوا فى عميم طَوْلِكَ (٢) ، ولو كنتَ فظاً (٣) غليظ. القلب (٤) لانفضوا (٥) من حولك أترأهم يعقلون كلامك أم يفهمون ؟ لَعَمْرُكَ (٦) إني سكرتهم يعمهون (٧) لهم قلوبٌ لا يدرُونَ بها للحسد قراراً ، لو اطَّعت عليهم لَوَلَّيتَ منهم فراراً . وإني قد شيدتُ (٨) لك بقلبي حصناً (٩) صعباً (١٠) ما استطاعوا أن يظهروه (١١) وما استطاعوا له نقباً (١٢) ، نسيتُ بالعاذل (١٣) جميل الصوت (١٤) وأنكره ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره (١٥) . رُميتَ أيها العاذل بسيف الغدر فى نحرِكَ ، أَجئتنا لتُخرِجَنَا من أرضنا بِسِحْرِكَ ! فإن لم ترجعْ عن السحرِ وفعله ، فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مثله ، كيف يسعى العاذلُ بين النديم وإلفه ، وقد خَلَّتِ النُذُرُ من بين يديه ومن خلفه ! فياسادقِ دعونى من المعجبِ والمطربِ ! لَيْسَ البرَّ أن تُؤكِّلُوا وجوهكم قِبَلَ المشرقِ والمغربِ ، واجعلوا سيفَ ثباتكم للعدالِ مسلولا ، وأوفُوا بالعهدِ إنَّ العهدَ كان مسئولا ، فإنهم إن قالوا كذبَ النديم أو بَطَر ، سَيَعْلَمُونَ غداً من الكذابِ الأَشِيرِ (١٦) ، وها قد صار أمرُ الحزبينِ عندك جلياً ، فأىَ الفَرِيقَيْنِ خيرَ مقاماً وأَحْسَنُ ندياً ! (١٧) أتظنُّ عهدَ العاذلِ عند غضبك لاينكثُ (١٨) مثله كَمَثَلِ الكَلْبِ إن تحمِلَ عليه يلهث ، إنه لكم

(١) فبرحمة وما للتوكيد وللدلالة على أن لينه ما كان الا برحمة من الله
 (٢) احسانك (٣) سىء الخلق (٤) قاسيه (٥) لتفرقوا (٦) لحياتك
 واللام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف وتقديره قسمى (٧) بتحيرون
 (٨) زينت (٩) موضعا حصينا (١٠) لا يقدر أحد أن يدخله والمراد
 البالغة فى حصين المحبة (١١) لا يقدرُونَ أن يعاوا ظهره لارتفاعه ونعومته
 (١٢) خرقا لصلابته وسمكه (١٣) اللائم (١٤) الذكر الجميل ولا
 يستعمل الصوت بهذا المعنى الا فى الجميل (١٥) أنساني ذكره (١٦) المتكبر
 (١٧) مجلس القوم (١٨) لا ينقض .

عندئذ كبير، ففرروا إلى الله إني لكم منه نذير، فإنه جمع لقتالك الأولاد، والأحفاد (١) وآخرين مُقرَّنين (٢) فى الأصْفاد (٣)، تركوا أمر الله بما لا يرضونه، فما عقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه . وظننى إن وصل إليك كتابى ، أنهم يُطردون ويُردعون ، وحرامٌ على قريةٍ أهلكتناها أنهم لا يرجعون ، أيعجبك إذا مشى هذا اللأه ، ثانى عطفه (٤) ليُضِلَّ عن سبيل (٥) الله .

وإنك وإن فرحت بعلم ما يجهلون ، قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون . فإن قلت إن اجتماعى بهم لأجل الصدقة أو شئ من هذا القبيل ، إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين (٦) عليها والمؤلفة قلوبهم (٧) ، وفى الرقاب (٨) ، والغارمين (٩) ، وفى سبيل الله (١٠) وابن السبيل (١١) ؛ على أنه لا تحل الصدقة لذميم (١٢) هماز (١٣) مشاء بنميم (١٤) ، وطباعهم كما تعلم منكراً مُستقدره ! كأنهم حمر (١٥) مستنفره (١٦) فرت من قسورة (١٧) .

وقد قال وفائى : خاطب عزيزك هذه المرة ، وإن لم يعمل فيك فكراً ، وما يدريك لعله يزكى (١٨) ، أو يذكر فتنتفعه الذكرى .

فقال لسانى : إن الود هو الرسول المأمون ، فأرسله معى ردءاً (١٩) يصدقنى ، إني أخاف أن يكذبون . فقلت : سيروا مع المحبة ذات

-
- (١) أولاد الإبناء (٢) مشدودين (٣) القيود (٤) لاوى عنقه تكبرا (٥) عن دين الله (٦) السعاة الذين يقبضون الصدقات بأمر الحاكم (٧) أشرف من العرب كان النبى صلى الله عليه وسلم يستألفهم للإسلام (٨) المكاتبون من العبد (٩) من تحملوا الدين (١٠) الفقراء فى الجهاد (١١) المسافر والمنقطع عن ماله (١٢) القبيح والمراد قبيح الفعال ذميم الخصال (١٣) عياب يعيب الناس (١٤) ساع بالنميمة والفساد (١٥) جمع حمار (١٦) نافرة (١٧) الاسد (١٨) يتظهر من الذنوب (١٩) معيناً .

الفتوة (١) ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة ، وقولوا له عند الغاية قد جئناك بآية . ولا تهابوا الجيش وإن كبر ، سيهزم الجمع ويولون الدبر (٢) ولا تنتظوا من ظاهر الأمر حول البلوى ، إذ أنتم بالعدوة (٣) الدنيا (٤) وهم بالعدوة القصوى (٥) ، بل قاتلوهم قتالَ المستشهدين ، وليجدوا فيكم غلظة ، واعلموا أن الله مع المتقين .

وإذا اشتبك القتال فليذب كل منكم عن مولاه (٦) ، وإن جنحوا (٧) للمسلم (٨) فاجنح لها وتوكل على الله ، فسيروا ودعوا الأولاد والجنة (٩) ، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة ، ولا تسألوا عن الميرة (١٠) من أصله ، وإن خضم عيلة (١١) فسوف يغنيكم الله من فضله ، فإن الله قد أثاركم (١٢) لقتال العذال العائنين ، ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكتبهم (١٣) ، فينقلبوا خائبين .

أحملوا عليهم فإنهم متى طعنوا فى جنوبهم رضوا أن يكونوا مع الخوالب (١٤) وطبع (١٥) الله على قلوبهم ؛ ولا تدبروا إذا رأيتموهم قدامكم (١٦) ، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم .

وإن أخذتم أسرى فقاتلوا أنصارها ، فإما منا (١٧) بعد وإما فداء حتى يضع الحرب (١٨) أوزارها (١٩) ، فإن أطعتم دفعتم وأصلح الله بالكم ، وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم .

(١) الكرم والتسامح (٢) الظهر (٣) بضم العين وكسرهما جانب الوادى (٤) القرية (٥) البعيد (٦) صاحبه (٧) مالوا (٨) الصلح (٩) المراد بها هنا النساء وأصلها لما تغطى بها المرأة وجهها (١٠) جلب الطعام (١١) فقرا (١٢) نشركم (١٣) يصرههم ويذلهم (١٤) النساء (١٥) كناية عن اعماء بصائرهم (١٦) سابقكم (١٧) تمنون عليهم باطلاقهم من غير شيء (١٨) أهل الحرب (١٩) أئقالتها من سلاح وغيره .

وسأتلو فى خطبتكم عند قدمكم سالمين : فقطع دابر^(١) القوم اللذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

* * *

وكتب أستاذنا الإمام الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٣٣هـ :

عرض لى مامنعى من قراءة الجرائد نحو أسبوع ، وكنت أسمع فيه بحادثة (ميت غمر) من بعض الأفواه ، أظنها من الحوادث المعتاد وقوعها ، حتى تمكنت من مراجعة الجرائد ليلة الخميس الماضى ، فإذا لهب ذلك الحريق يأكل قايي أكله لجسوم أولئك المساكين : سكان (ميت غمر) ، ويصهر^(٢) من فؤادى ما يصهره من لحومهم ، حتى أرقى^(٣) تلك الليلة ولم تغمض عيناي إلا قليلاً وكيف ينأم من بيت يتقلب فى نعم الله ، وله هذا العدد الجم من إخوة وأخوات يتقلبون فى شدة البأساء ؟ ! (٤) فأردت أن أبادر بما أستطيع من المعونة - وما أستطيعه قليل لا يغنى من الحاجة ولا يكشف البلاء - ثم رأيت أن أدعو جمعاً من أعيان العاصمة ليشاركوني فى أفضل أعمال البر فى أقرب وقت ، وكان ذلك يوم السبت فحضر منهم سابقون ، وتأخر آخرون ، وكتب بعضهم يعتذرون ، فشكر الله سعى من حضر ، وجزى خيراً من اعتذر ، وغفر لمن تأخر . على أنه ليس الحادث بذى الخطب اليسير ، فالمصابون خمسة آلاف ويضع^(٥) مئين منهم الأطفال الذين فقدوا عائلتهم^(٦) والتجار والصناع الذين هلك آلتهم ورؤوس أموالهم ، ويتعذر عليهم أن يبتدئوا الحياة مرة أخرى إلا بمعونة من إخوانهم ، وإلا أصبحوا متلصصين أو سائلين ، والذين

(١) أهلكوا عن آخرهم (٢) يذيب (٣) سهرت (٤) الضرر والفقير (٥) بكسر التاء أو بفتحها ما بين الثلاث الى التسع - وبالضم الفرج (٦) من ينفقون .

فقدوا بيوتهم ولا يجدون ما يأوون إليه ، ولا مال لهم يقيمون ما يؤويهم من مثل بيوتهم المتخرّبة - لهذا رأيتُ ورأى كلُّ من تفكّر في الأمر ، أن يُجمع مبلغٌ وافرٌ يُتمكّن به من تخفيف المصاب عن جميع أولئك المصابين .

وكتب أيضاً فى الغرض المذكور :

قد بلغكم - ولا ريبَ - من أخبار الجرائد ، ما عليه أهلُ (ميت غمر) بعد الحريق الذى أصابَ مدينتهم ، فهم بلا قوتٍ ولا ساترٍ ولا مأوى ، فليتصوّر أحدكمُ أن الأمرَ نزلَ بساحته ، أفما كان يتمنى أن يكون جميعُ الناسِ ، فى معونته ؟ فليطالب الآن كلُّ منا نفسه بما كان يطالبُ به الناسُ ، لو نزلَ به ما نزلَ بهم ، وليُنفِقْ مما له ما يدفع الله به عنه مكروه الدهر . . . فأرجو من همتكم أن تدفعوا شيئاً من مالكم فى مساعدة إخوانكم ، وأن تبدلوا ما فى وسعكم ليحث من عندكم على مشاركتكم فى هذا العمل المبرور والسلام .

الفصل الخامس : فى رسائل الملامة والعتاب

كتب بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٧ هـ :

لئن ساءنى أن نلتينى بمساءةٍ لقد سرّنى أنى خطرْتُ ببالكِ (١)

الأمير - أطال الله بقاءه - فى حالى برّه وجفائه متفضل ، وفى يومى إدنائه وإبعاده متطوّل ، وهنيئاً له من حمانا ما يحله (٢) ، ومن عراناً ما يحله (٣) ومن أعراضنا ما يستحلّه .

بلغنى أذنه - أدام الله عزّه ! - استزاد (٤) صنيعه (٥) ، فكنت أظنّنى

(١) هذا البيت لعبد الله بن عبيد الله أحد بنى عامر المشهور بابن الدمينه من قصيدة والخطاب لمؤنث (٢) ينزل فيه (٣) يفكه (٤) زاد (٥) معروفه واحسانه .

مجنياً (١) عليه مساءً إليه ، فإذا أنا فى قرارة الذنب ، ومشاركة (٢) العتب ، وليت شعرى (٣) أى محذور (٤) فى العشرة حضرته ، أو مفروض من الخدمة رفضته (٥) أو واجب فى الزيارة أهملته ! وهل كنت إلا ضيفاً أهده منزعاً (٦) شاسع (٧) وأداه أمل واسع ، وحداه (٨) فضل وإن قل ، وهده رأى وإن ضل ، ثم لم يلق إلا فى آل مكال رحله (٩) ولم يصل إلا بهم حبله ، ولم ينظم إلا فيهم شعره ، ولم يقف إلا عليهم شكره .

ثم ما بُعدت صحبةً إلا دنت مهانة ، ولا زادت حرمةً إلا نقصت صيانة ، ولا تضاعفت منةً إلا تراجعت منزلة ، ولم تزل الصفة بنا حتى صار وابل (١٠) الإِعظامِ قطره ، وعاد قميص القيام صدره (١١) ، ودخلت مجلسه وحوله من الأعداء كتيبة (١٢) ، فصار ذلك التقريبُ أزوَّاراً (١٣) ، وذلك السلامُ اختصاراً ، والاهتزازُ إيماءً ، والعبارةُ إشارة . وحين عاتبته أمل أعباه (١٤) ، وكاتبته أنتظرُ جوابه ، وسألته أرجو إيجابه ، أجاب بالسكوت فما ازددت له إلا ولاءً ، وعليه ثناءً ؛ ولا جرمَ (١٥) أنى اليوم أبيضُ وجه العهد ، واضحُ حُجَّةِ الوُدِّ ، طويلُ لسان القول ، رفيع حكم العذر . وقد حملتُ فلاناً من الرسالة ما تجافى القلم عنه .

والأمير الرئيس - أطال الله بقاءه - يُنعمُ بالإصغاء لما يوردهُ مؤفقا إن شاء الله تعالى .

(١) المؤاخذة بجنايته (٢) مكان الثوران (٣) ليتنى أشعر وأخبر بالحقيقة والواقع (٤) ممنوع (٥) أبطلته (٦) مصدر ميمى بمعنى العبد (٧) بعيد (٨) ساقه ودفعه (٩) ما يأخذه المسافر من الأثاث وحوائج السفر (١٠) المراد به الكثير من الأتعام وأصاه المطر (١١) ثوب يلبس فيفطى الصدر (١٢) جماعة (١٣) انحرافا (١٤) إزالة عتبه وملامته (١٥) كلمة كانت فى الاصل بمنزلة لابد ولا محالة فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت الى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا .

وكتب أيضاً إلى القاسم الكرجى المتوفى سنة ٤٠٠ هـ :

أنا - وإن لم ألق تطاول الإخوان إلا بالتطوُّل ، وتحامل الأحرار إلا بالتَّحْمُل - أحاسبُ مولاي - أيدهُ الله ! - على أخلاقه ، ضناً (١) بما عقدتُ يدي عليه من الظن به ، والتقدير فى مذهبه ، ولو لا ذلك ، لقلتُ فى الأرض مجالاً ، إن ضاقت ظلالُك (٢) ، وفى الناس واصلٌ ، إن رثتُ (٣) حبالك ، وآخذهُ بأفعاله .

فإن أعارنى أذناً واعية ، ونفساً مراعية ، وقلباً متعظاً ، ورجوعاً عن ذهابه ، ونزوعاً (٤) عن هذا الباب الذى بقرعهُ (٥) ، ونزولاً عن الصُّعود الذى يفرعهُ (٦) ؛ فرشتُ لمودتهُ خوآن (٧) صدرى ، وعقدتُ عليه جوامعَ خصرى ومجامع عمرى (٨) . وإن ركب من التَّعالى غير مركبه (٩) وذهب من التَّعالى فى غير مذهبه (١٠) أفضتُه خُطَّة (١١) أخلاقه ، ووَلَّيتُه جانبَ إعراضه .

لا أدودُ (١٢) الطَّير عن شجر قد بلوت المرَّ من ثمره

فإنى وإن كنتُ فى مقتبل السنِّ والعمر ، قد حلبتُ شطرى الدهر (١٣) وركبتُ ظهرى البرِّ والبحر (١٤) ، ولقيتُ وفدى (١٥) الخيرِ والشرِّ ؛ وصافحتُ يدي النفعِ والضرِّ ، وضربتُ إبطى العسرِ واليسرِ ، وبلوتُ

(١) بكسر الضاد وفتحها حرصاً (٢) أماكن الظل (٣) بليت وذابت (٤) انتهاء وتركها (٥) يده بيده ليفتح له (٦) يصعدده ويعلوه (٧) بضم الخاء أو بكسرهما ما يؤكل عليه الطعام ومراده تمكين مودته من صدره (٨) مراده التمسك بمودته مدة حياته (٩) مراده وأن تكبر (١٠) طريقه (١١) بضم الخاء الطريقة ، مراده أنه يتسركه وأن أخذ فى غير طريق طباعه (١٢) لا أطرد (١٣) مراده مرية من خيره وشره وجرب نفعه وضره (١٤) مراده أنه جرب الامور فى البرِّ والبحر (١٥) الوفد الجماعة التى ترد على الامير أو غيره ، ومراده أنه عرف الخير والشر .

طعمى الحُلو والمر ، وَرَضَعْتُ ضرعى العُرف والنكر (١) ؛ فما تكاد الأيام
تربنى من أفعالها غريباً وتسميعنى من أحوالها عجبياً ، ولقيتُ الأفراد ،
وَطَرَحْتُ الآحاد (٢) ، فما رأيتُ أحداً إلا ملأتُ حافتي (٣) سمعه وبصره ،
وشغلتُ حيزى (٤) فكره ونظره ، وأثقلتُ كتفه فى الحزن وكفته فى الوزن ،
ووددت لو بادر القرن (٥) صحيفتى (٦) أو لقي صفحتى (٧) فمالى صغرت
هذا الصغر فى عينه ، وما الذى أزرى (٨) بى عنده حتى احتجب وقد
قصده ، ولزم أرضه وقد حضرته .

وأنا أحاشيه (٩) أن يجهل قدر الفضل ، أو يجحد فضل العلم ، أو يمتطى (١٠)
ظهر التيه (١١) على أهليه ، وأسأله أن يختصنى من بينهم بفضل إعظام ، إن زلت
بى مرة قدم فى قصده . وكأنى به وقد غضب لهذه المخاطبة المجحفة (١٢) والرتبة
المتحيفة (١٣) وهو فى جنب جفائه يسير ، فإن أقلم (١٤) عن عادته ونزع عن
شيمته (١٥) فى الجفاء ، فأطال الله بقاء الأستاذ الفاضل ، وأدام عزه وتأييده .

وكتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ :

والله يا قلب : لولا أن كبدى فى هواك مقروحة (١٦) ، وروحى مجروحة
لساجلتك (١٧) هذه القطيعة وما ددتك حبل المصارمة (١٨) وأرجو أن الله تعالى
يديل (١٩) لصبرى من جفائك ، فيردك إلى مودتى وأنف القلى (٢٠) راغم .

(١) المعروف والمنكر ضده (٢) هذا والذى قبله كله بمعنى أنه
جرب الأيام واختبرها من أول نشأته (٣) جانبى (٤) ناجيتى
(٥) المقارن الكفاء عند ملاقة الأبطال (٦) كتابى (٧) وجهى معناه
تمنى لقائى (٨) حظ من قدرى وشانى (٩) أنزعه (١٠) يركب
(١١) الكبر والعجب (١٢) من الإجحاف وهو الذهاب بالشيء (١٣) من
التحيف وهو الظلم والجور (١٤) رجع (١٥) خلقه (١٦) مجروحة
(١٧) معناه لتقابلتك (١٨) المقاطعة (١٩) الغلبة والنصر (٢٠) أنف
صاحب البغض .

فتمد طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند اللقاء والسلام .

وكتب أبو بكر الخوارزمى المتوفى سنة ٣٧٣ هـ إلى تلميذه :

كتابى ، وقد خرجت من البلاء خروج السيف من الجلاء (١) ، وبروز
البدر من الظلماء ، وقد فارقتنى المحنة (٢) ، وهى مُفارقٌ لا يشتاقي إليه ،
وودعتنى وهى مودع لا يبكى عليه ، والحمد لله تعالى على محنة يجليها ، ونعمة
ينيلها ويوليها ، كنت أتوقع أمس كتاب مولاي بالتسليية ، واليوم بالتهنية ،
فلم يكتبني فى أيام البرحاء (٣) بأنها غمته ، ولا فى أيام الرخاء بأنها سرته !
وقد اعتذرت عنه إلى نفسى وجادلت عنه قلبى فقلت : أما إخلاله بالأولى ، فلأنه
شغله الاهتمام بها عن الكلام فيها . وأما تغافله عن الأخرى فلأنه أحب أن يوفّر
على مرتبة السابق إلى الابتداء ، بنفسه على محل الاقتداء ، لتكون نعم الله
سبحانه على موفورة من كل جهة ومحفوظة بي من كل رتبة ، فإن كنت أحسنت
الاعتذار عن سيدى ، فليعرف لى حق الإحسان ، وليكتب إلى بالاستحسان ، وإن
كنت أسأت ، فليخبرنى بعذره أعرف منى بسره ، وليرض منى بأن حاربت
عنه قلبى ، واعتذرت عن ذنبه ، حتى كأنه ذنبى ، وقلت يا نفس اعذرى
أخاك ، وكفالك منه ما أعطاك ، فمع اليوم غد - والعود أحمد .

وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر المتوفى سنة ٥٨٠ هـ :

أما بعد : فقد عاقبنى الشك فى أمرى ، عن عزيمة الرأى فيك . وذلك أنك
ابتدأتنى بلطفك عن غير خبرة ، ثم أعقبته جفاءً من غير ذنب ، فأطمعنى أولك

(١) صقله بازالة ما عليه حتى يرى له لمعان .

(٢) الية .

(٣) شدة الأذى .

فى إخوانك ، وأيأسنى آخرك من وفائك . فسبحان من لو شاء لكشف
بإيضاح الرأى فى أمرك عن عزيمة الشك فيه ، فاجتمعنا على ائتلاف وافترقنا
على اختلاف . والسلام .

وكتب صديقى زعيم الوطنية المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش :

سيدى : مالى أراك كمن نسى الخليط (١) وتجرد فى الصحبة عن المحيط .
والمخيط ؟ فإذا ما صادفتك (٢) صدفت (٣) أو أنصفتك مانصفت (٤) ، أتظن أنى قعيدة
بيتك (٥) أو رهين كيتك وذيبتك (٦) فوحقك إذا آذست (٧) من يدى مالا ، أو من
قدمى كلالا (٨) لنجزتها (٩) البتات (١٠) وكلت بنقضها الذات ، ولو أنى آذست من الزاد
نثرة (١١) أو من الشراب عُصرة ، لطعمت الطوى (١٢) واستقيت الجوى (١٣) فكيف
أذاعب (١٤) وتصاعب ؟ وأحالف وتخالف ؟ وأواصل وتفاصل ؟ وأجالب وتجانب ؟
لبئست مطيتك التى اقتدعت (١٥) وشرعتك (١٦) التى شرعت (١٧) . فوالله لولا
أن الحب حادث لايتقى بالثروس ، ومعنى لايدب إلا فى النفوس ، وسهام
لانرمى إلا من قسى الحواجب ، ونحو أوله المعية وآخره الجوازم ، لما افتترست
الظباء الأسود الصيد (١٨) ولا ملكت الأحرار العبيد . ولولا أنى كرعنت (١٩)
من صابه (٢٠) ، والتحفى ببيردة أو صابه (٢١) لتعودت منك بسورة الفلق ،
ونبذتك (٢٢) نبذ الرداء الخلق (٢٣) ، ولهان على أن أدعك أو أسمعك .

(١) الصحاب (٢) وجدتك (٣) أعرضت (٤) كلاهما بمعنى
ساعدتك (٥) المرأة التى فى البيت (٦) كلاهما بمعنى كذا وكذا
والمراد أنى لست رهين قولك : افعل كذا وكذا (٧) علمت (٨) اعياء
وضعفا (٩) قضيتها (١٠) القطع المستأصل (١١) ضعفا وقلة
(١٢) الجوع (١٣) الحرقه (١٤) أمازح (١٥) دفعت (١٦) مكان
الماء (١٧) دخلت (١٨) المترفعة (١٩) بكسر الراء وفتحها شربت
بمى (٢٠) مائه المر وأصله عصارة شجر مر (٢١) أمراضه (٢٢) رميتك
(٢٣) القديم البالى .

تَمْرُونَ عَلَى الدِيَارِ وَلَنْ تَعُوجُوا كَلَامِكُمْ عَلَيَّ إِذَا حَرَامُ (١)
 غَيْرَ أَنَّ لِي نَفْسًا شَبَّتَ عَلَى الْحَبِّ فَلَمْ أَفْطَمْهَا وَتَقَادَعْتَ (٢) نَارَهُ فَلَمْ
 أَعْصَمْهَا ، حَتَّى بَلَغَ السَّيْلُ الزَّبِي (٣) وَتَبَدَّدْتَ (٤) النَّفْسَ أَيْدِي سَبَابٍ (٥)
 إِلَّا حُشَّاشَةَ غَفْلٍ عَنْهَا الْوَجْدُ ، وَبَقِيَّةَ رَمَقٍ أَلْفَيْتَهَا (٦) مِنْ بَعْدِ . وَكَلِمَا
 رَأَيْتَ مِنْكَ الشُّطْطَ (٧) وَاعْتَسَافَ (٨) الْخَطْطَ (٩) عَمَدْتَ إِلَى أَنْ أَثْنِيَ (١٠)
 مِنْ رَسْنِهَا (١١) وَأَذُودِ (١٢) عَنْ عَطْنِهَا (١٣) وَشَخَصْتَ إِلَى الْمَكَافِحَةِ وَالْمَكَافَأَةِ ،
 وَأَنْ لَا أَكَيْلِكَ إِلَّا مَثَلًا ، وَلَا أَسْقِيكَ إِلَّا وَشَلًا (١٤) وَلَا أَزِيدُكَ إِلَّا فِشَلًا :

وَلَسْتُ أَجْزِيكَ الْجَزَاءَ الَّذِي آءَا عَلَى وَفَاءِ الصَّنْعِ لَا بِخَسْهِ
 وَلَيْسَ يَبْكِي صَاحِبًا مِنْ إِذَا أَهْمِينَ لَا يَبْكِي عَلَى نَفْسِهِ
 عَلَيَّ أَنِّي بِالرَّغْمِ أَصْبَحُ فِي نَهَارٍ أَحْلَكَ (١٥) مِنْ لَيْلٍ ، وَأَمْسَى فِي لَيْلٍ أَشَقَّ
 عَلَيَّ النَّفْسَ مِنْ وَيَل :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ (١٦) عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهَمُومِ لِتَبْتَلِي (١٧)
 فَإِنْ تَخَلَّصْتَ مِنْ لِقَائِكَ فَإِلَى الشَّقَاءِ ، وَإِذَا لَجَأْتَ مِنْ عَسْفِكَ فَإِلَى الْعَنَاءِ ،
 وَإِذَا اسْتَجَرْتَ بِفِرَاقِكَ ، فَقَدْ اسْتَجَرْتَ مِنَ الرَّمْضِ (١٨) ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَدْرَ أَنَّ دَوْلَةَ
 الْحَسَنِ سَرِيعةُ التَّقْوِيضِ (١٩) وَأَنَّهُ لَا بَدَمِنْ هَبُوطِ الْقَمَرِ إِلَى الْحَضِيضِ وَلَسَوْفَ تَبْلِي

(١) لَنْ تَقِيمُوا (٢) تَسَابَقْتَ (٣) مِثْلُ يَضْرِبُ لَمَّا جَاوَزَ الْحَدَّ
 (٤) ذَهَبَتْ (٥) هُوَ مِثْلُ يُقَالُ ، وَتَبَدَّدُوا أَيْدِي سَبَابٍ مَعْنَاهُ ذَهَبُوا مَتَفَرِّقِينَ ،
 وَأَصْلُهُ فِي الَّذِينَ ذَهَبَتْ جَنَاتُهُمْ وَغَرِقَ مَكَانُهُمْ وَقَدْ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ
 قَالَ « لَقَدْ كَانَ لِسَبَآ » إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ (٦) وَجَدْتُهُمْ (٧) يَجَاوِزُ الْحَدَّ
 (٨) الْمِيلُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمَأْلُوفِ (٩) الْأُمُورِ (١٠) أَرَدَ (١١) زَمَامَهَا
 (١٢) أَمْنَعُ (١٣) مَكَانَهَا (١٤) الْمَاءُ الْقَلِيلُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَالْمَاءُ الْكَثِيرُ
 فِي غَيْرِهِ (١٥) أَشَدُّ سَوَادًا (١٦) أَسْتَارَهُ (١٧) لَتَخْتَبِرُنِي
 (١٨) الْأَرْضَ الْحَارَةَ (١٩) التَّفَرَّقَ .

بعارض (١) بيد (٢) أنه غير ماطر ، وبساعة مقبلك فيها مدبر ، وستصبح عما قريب
 قد عفت (٣) رسومك (٤) ، ولم تجد فى سوق الصحة من يسومك . والعاقل من
 لا يختال بنفسه ، ولا يبني على غير أسسه (٥) فإنك مانضت (٦) لؤلؤة مبسمك ، ولا
 نضرت (٧) صورة معصمك (٨) ، ولا شئت فخلقت كما تشاء ، ولا اتخذت عند الله
 عهداً وهذا الوفاء . ولكن مثلك من أفرغه الله فى القالب الذى اختار ، وجعله
 مرتع النفوس ومسرح الأبصار ، وإني أيتها العزيز قد تقدمت إليك :
 ولى أمل قطعتُ به اللدالي أرانى قد فنيت به وداما

فلا تحرمنى من سائع العفو وسابغه ، ولا تجعلنى كباسط . كفيه إلى الماء
 ليبلغ فاه وما هو ببالغه :

فأشد ما لقيت من ألم الجوى (٩) قرب الحبيب وما إليه وُصولُ
 كالعيس (١٠) فى البيداء يقتلها الظما (١١) والماء فوق ظهورها محمولُ

فاعمل فى يومك لغدك ، واستجز غيرك ببسط يدك ، ولا تأخذنى بجرم
 الجانى المتلبس ، ولا تبتغ منى صحيفة المتلمس (١٢) بيد أنى أتشدك الذى بلى
 العاشق بالمعشوق وكلفه فى الحب بيض الأنوق (١٣) وسهد (١٤) طرفه بنواعس
 العيون ، وخول (١٥) للحسن إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، كما
 قرن الهوى بالنوى (١٦) ، والقلب بالجوى (١٧) وقضى على المحب ، ونشر
 العشق فلم يحتجب ، ما الذى أغرى بك إلى الاعتساف وعدم الإنصاف ؟

(١) السحاب الذى يعترض فى الافق (٢) غير أنه (٣) درست
 وذهبت (٤) آثارك (٥) أساسه (٦) ما ظهرت (٧) ولا حسنت
 (٨) موضع السوار من البد (٩) الحزن (١٠) الأبل البيض يخالط
 بياضها شقرة أو ظلمة خفية (١١) العطش (١٢) الطالب مرة بعد
 أخرى (١٣) الأنوق العقاب ، ولفظ المثل : هو أعز من بيض الأنوق .
 وهو مثل يضرب للمحال أو لما لا سبيل إليه (١٤) أسهره (١٥) ملكه
 (١٦) البعد (١٧) الحرقه .

أَلَيْنُ الْأَعْطَافُ ؟ أَمْ فُتُورٌ (١) الْأَجْفَانُ ؟ أَمْ تَكْسُرُ الْكَلَامَ ؟ أَمْ هَيْفُ الْقَوَامِ ؟ لَقَدْ شَدَّدْتَ أَرْزُكَ (٢) - وَاللَّهِ - بَضْعَافٍ ، وَاسْتَسَمَنْتَ تِلْكَ الْعَجَافَ ، وَهَلْ حَدَا (٣) إِلَى قَطِيعَتِي بِكَ أَنَّى خَشِنَ الْمَلْمَسُ ، رَثُّ الْمَلْبَسِ ؟ وَلَمْ أُمْنَحْ (٤) كَمَا مُنِحَتْ نَضْرَةٌ ، وَلَمْ أَلْبَسْ بَرَقِعَ الْبِيَاضِ وَالْحَمْرَةَ ؟ ! فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ أَبَدَرْتَنِي بَعِينِ الرِّضَا (٥) ، وَرَحِمْتَ فَوَادًا يَتَقَلَّبُ مِنْكَ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا (٦) فَسَتَجِدُنِي صَدِيقَكَ الَّذِي لَا يَبْطِرُهُ الْوَفَاءُ ، وَلَا يُثْنِيهِ الْجَفَاءُ ، أَمَلَّكَ لِكَ مِنْ لِسَانٍ ، وَأَطْوَعَ لِأَمْرِكَ مِنْ بَنَانٍ .

أَكْتُبُ ، فَأَيْنَ لِعَبْدِ الْحَمِيدِ الْكَاتِبِ قَلْمِي ، وَأَشْعِرُ ، فَأَيْنَ الشُّعْرَاءُ إِلَّا تَحْتَ عِلْمِي ؟ وَأَبْذُلُ ، فَأَيْنَ حَاتِمٌ (٧) مِنْ كَرْمِي ؟ وَأَحْلُمُ ، فَأَيْنَ الْأَحْنَفُ ابْنِ قَيْسٍ (٨) مِنْ حَلْمِي ؟

وَمَنْ يَحْتَمِلُ فِي الْحَبِّ مَا فَوْقَ كَاهِلِي فَحَسْبُكَ حَلْمًا أَنْ يَقِيمَ عَلَى الْهَجْرِ (٩) فَإِنْ أَصَحَّتْ (١٠) إِلَى الدَّاعِيَةِ (١١) وَوَعِيَتْ كَلِمَاتٍ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةِ (١٢) ، إِلَيْكَ الْجَزَاءُ وَعَلَى الْوَفَاءِ ، وَإِلَّا فَالْفَرَارُ إِلَى الْمَوْتِ أَمْرٌ يَسِيرٌ وَالْقَبْرِ لِلْعَشَاقِ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ .

وكتب معاوية إلى ابنه يزيد يؤنبه :

أَمَا بَعْدَ ، فَقَدْ أَدَّتْ أَلْسِنَةُ التَّصْرِيحِ إِلَى أُذُنِ الْعِنَايَةِ بِكَ ، مَا فَجَعَ الْأَمَلُ فِيكَ وَبَاعَدَ الرَّجَاءُ مِنْكَ ، إِذْ مَلَأْتَ الْعَيُونَ مَهْجَةً وَالْقُلُوبَ هَيْبَةً ، وَتَرَامْتَ إِلَيْكَ آمَالَ

(١) ذبولها (٢) ظهره (٣) ساق الى (٤) أعطى (٥) حسنا
 (٦) شجر خشبه فيه صلابه (٧) ابو عدى حاتم بن عبد الله بن سعد
 الطائى وبه يضرب المثل فى الكرم من شعراء الجاهلية (٨) الاحنف بن
 قيس يضرب به المثل فى الحلم (٩) ما بين الكتفين (١٠) استمعت
 (١١) مراده به الواشى العاذل (١٢) اللغو من الكلام .

الراغبين ، وهم المنافسين . فسخت بك فتیان قريش ، وكهول أهلك ،
فما يسوغ لهم ذكرك إلا على الجِرة المهوَّعة (١) والكظ. الجشء (٢) . افتحمت
البوائق (٣) وانقدت إلى المعابر ، واعتضتها من سمو الفضل ، ورفيع القدر .

فليتك - يزيد - إذا كنت لم تكن ، سررت يافعاً ناشئاً وأثقلت كهلاً
ضالماً (٤) ، فوا حزناً عليك يزيد ! وياحر صدر المثكل بك . ما أشمت
فتيان بنى هاشم وأذل فتیان بنى عبد شمس عند تفاوض المفاخر ودراسة
المناقب ! فمن لصلاح ما أفسدت ورتق ما فتقت ؟

هيهات ! خمشت (٥) الدربة (٦) وجه التصبر بك ، وأبت الجناية إلا تحدرأعلى
الألسن ! وحلاوة على المناطق ، وما أربح فائدة نالوها وفرصة انتهزوها ! انتبه
يزيد للعظة ، وشاور الفكرة ، ولا تكن إلى سمعك أسرع منها إلى عقلك ،
واعلم أن الذى وطأك وسوسة الشيطان وزخرفة السلطان ، مما حسن قبجه واحلولى
عندك مُرّة ، مُر شركك فيه السواد (٧) ونافسكه الأعبد ، فأضعت به من
قدرك ، وأمكنت به من نفسك ... فمن لهذا كله ؟ !

واعلم يا يزيد أنك طريد الموت وأسير الحياة ، بلغنى أنك اتخذت المصانع
والمجالس للملاهى والمزامير كما قال تعالى «أتبنون بكل ريع آية تعبثون
وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون (٨)» ، وأجهرت الفاحشة حتى اتخذت
سريرتها عندك جهراً .

اعلم يا يزيد أن أول سلبك السکر معرفة مواطن الشكر لله تعالى على نعمه

(١) الجرة : ما يفيض به البعير فيأكله ثانية ، وكذا غيره من النعم .
والمهوعة : من هوعه أى فيأه وهذا تمثل ، أى أنهم يستقلون ذكرك (٢) الكظ :
الامتلاء من الطعام ، والجشء : الكثير وهذا تمثيل أيضاً (٣) البوائق :
جمع بائقة وهى الداهية (٤) الضالع والضليع : القوى (٥) خمس :
لطم (٦) الدربة : التجربة (٧) السواد : العامة (٨) تقدم شرح
غريب الآية فى خطبة قطرى .

المتظاهرة وآلائه المتواترة ، وهى الجرحه العظمى والفجعة الكبرى ترك الصلوات المفروضات فى أوقاتها ، وهى من أعظم ما يحدث من آفاتهما ؛ ثم استحسنان العيوب وركوب الذنوب ، وإظهار العورة ، وإباحة السر ، فلا تأمن نفسك على سر ، ولا تعتقد (١) على فعلك ، فما خير لذة تعقب الندم ، وتعفى (٢) الكرم ، وقد توقف أمير المؤمنين بين شطرين من أمرك لما يتوقعه من غلبة الآفة واستهلاك الشهوة ، فكن الحاكم على نفسك ، واجعل المحكوم عليه ذهنك ترشد إن شاء الله تعالى . وليبلغ أمير المؤمنين ما يردُّ شارداً من نومه ، فقد أصبح نصب (٣) الاعتزال من كل مؤانس ودريئة (٤) الألسن الشامتة ، وفقك الله فأحسن .

وكتب أعرابى لابنه وسمعه يكذب :

يابنى ، عجبت من الكذاب المشيد بكذبه ، وإنما يدل على عيبه ، ويتعرض للعقاب من ربه . فالآثام له عادة ، والأخبار عنه متضادة ، إن قال حقاً لم يصدق ، وإن أراد خيراً لم يوفق ؛ فهو الجانى على نفسه بفعالة ، [والدال على فضيحته بمقاله ، وما صح من صدقه نسب إلى غيره ، وما صح من كذب غيره نسب إليه . فهو كما قال الشاعر :

حَسْبُ الكُذُوبِ مِنَ المَها نة بعض ما يُحكى عليه

فإذا سمعت بكذبةٍ من غيره نُسبت إليه

وكتب المرحوم حفى بك ناصف إلى سماحة السيد توفيق البكرى :

كتابى إلى السيد السند ، ولا أجشمه (٥) الجواب عنه ! فذلك ما لا أنتظره منه ، وإنما أسأله أن ينشط إلى قراءته ، ويتنزل إلى مطالعته ، وله الرأى بعد

(١) يقول : تفقد بالشراب الإرادة والعزيمة (٢) تعفى : تذهب
(٣) النصب هنا : الفرض والهدف (٤) الدريئة : التى يتعلم الرامى
الطعن والرمى عليها (٥) لا أكلفه .

ذلك أن يحاسب نفسه أو يزكيها ، ويحكم عليها أو لها :

قد تنفع الذكرى إذا كان هجرهم دلالاً فأمّا إن مَلَا فلا نفعاً
 زُرْتُ السيد ، ويعلم الله أن شوقى إلى لقائه كحرصى على بقاءه ، وكلفى
 بشهوده كشغفى بوجوده ، فقد بُعدَ - والله - عهدُ هذا التلاق ، وطال أمدُ
 الفراق ، وتصرّم الزمان ، وأنا من رؤيته فى حرمان . فسألت عنه ، فقيل لى :
 إنه خرج لتشييع (١) زائر ، وهو عما قليل حاضر ، فانتظرت رجوعه ،
 وترقبت طلوعه ، ولم أزل أعدُّ اللحظات وأستطيل الأوقات ، حتى بزغت
 الأنوار ، وارتج صحنُ الدار ، وظهر الاستبشارُ فى وجوه الزوّار ، وجاء السيد
 فى موكبه ، وجلالة محتده (٢) ومنصبه ، فقمنا لاستقباله ، وهينمنا (٣)
 بكماله . فمرّ يتعرّف وجوه القوم حتى حازانى ، وكبّرَ فى عينه أن يرانى ،
 فغادرنى (٤) ومنّ على يسارى ، وأخذ فى السلام على جارى ، وجرّ السلام
 الكلام ، وتكرّر القعود والقيام ، وأنا فى هذه الحال أوهم جارى أنى فى
 دارى ، وأظهر للناس أن شدة الألفة ، تُسقط الكلفة . ومرّ السيد بعد ذلك
 من أمبى ثلاث مرات ، ومن الغريب أنه لم يستدرك ما فات :

تمرون على الديار ولن تعوجوا كلامكم على إذن حرام

وكنت أظن أن مكاتبى عند السيد لاتنكر ، وأنَّ عهدى لديه لا يُخفّر (٥)
 فإذا أنا لست فى العير (٦) ولا فى النفير (٧) ، وغيرى عند السيد كثير ،
 وذهاب صاحب أو أكثر عليه يسير .

ومن مدّت العليا إليه يمينها فأكبر إنسان لديه صغير

(١) لتوديع (٢) أصله من جهة النسب (٣) تكلمنا بصوت خفى
 (٤) تركنى (٥) لا ينقض (٦) الجماعة (٧) الجماعة أيضا .

ولا أدعى أنى أوازى السيد - صانه الله - فى علوِّ حسبه ، أو أدانيه فى علمه وأدبه ، أو أقاربه فى مناصبه ورتبه ، أو أكاثره فى فضته وذهبه ؛ وإنما أقول : ينبغى للسيد أن يميز بين من يزوره ، لسمع الأغاني والأذكار ، وشهود الآوانى على مائدة الإفطار ، وبين من يزوره للسلام ، وتأييد جامعة الإسلام ، وأن يفرق بين من يتردد عليه استخلاصاً للخلاص ، ومن يتردد إجابة لدعوة الإخلاص ، وأن لا يشتبه عليه طلاب الفوائد بطلاب العوائد ، وقناص (١) الشوارد (٢) بنقباء الموالد ، ورواد الطرف (٣) ، بأرباب الحرف :

فما كل من لقيتَ صاحبَ حاجة ولا كل من قابلت سائلك العرفاً (٤)
فإن حسنَ عند السيد أن يغضى عن بعض الأجناس ، فلا يحسن أن يغضى عن جميع الناس ، وإلا فلماذا يطوف على الضيوف ، ويحييهم بصنوف من المعروف ويتخطى (٥) الرقاب « لصروف » (٦) ، ويخترق لأجله الصفوف ؟ فإن زعم السيد أنه أعلم بتصريف الأقالم ، فليس بأقدم هجرة فى الإسلام ، وإن رأى أنه أقدر منى على إطرائه (٧) ، فليس بممكن أن يتخذ من أوليائه !

ولا أرومُ بحمد الله منزلة غيرى أحق بها منى إذا راما
وإنما أصون نفسى عن المهانة والفضعة ، وأن أعرضها للضيقة وفى الدنيا سعة :
وأكرم نفسى إنى إن أهنتها وحقق لا تكرم على أحد بعدى
فلا يصعّر (٨) السيد من خده ، فقد رضيت بما ألزمنى من بعده ،
ولا يعغض عنى عينه (٩) ، فهذا فراق بينى وبينه ، وليتخذنى صاحباً من بعيد ، ولا يكلمنى إلى يوم الوعيد .

(١) جمع قانص بفتح القاف : الصائد (٢) المتفرقات والمراد طالبو متفرقات العلوم (٣) جمع طرفة : وهى ما ترى مليحة ، والمراد أهل المراتب العالية (٤) المعروف (٥) يتجاوز (٦) هو الدكتور يعقوب صروف المتوفى فى آخر يوليه سنة ١٩٢٧ م وهو أحد أصحاب مجلة المقتطف وجريدة المقطم اليومية (٧) الثناء عليه (٨) لا يميل خده كبرا وخيلاء (٩) لا يغمض .

كِلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مَتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيًّا
 وَمَنَى عَلَى السَّيِّدِ السَّلَامِ عَلَى الدَّوَامِ ، وَمُبَارَكٌ إِذَا لَبَسَ جَدِيدًا ، وَكُلُّ
 عَامٍ وَهُوَ بِخَيْرٍ إِذَا اسْتَقْبَلَ عِيدًا ، وَمَرْحَى (١) إِذَا أَصَابَ ، وَشَيْعَتَهُ (٢)
 السَّلَامَةَ إِذَا غَابَ ، وَقُدُومًا مُبَارَكًا إِذَا آبَ (٣) ، وَبِالرَّفَاءِ وَالْبَيْنِينَ (٤) إِذَا
 أَعْرَسَ (٥) ، وَبِالطَّالِعِ الْمَسْعُودِ إِذَا أَنْجَبَ (٦) ، وَرَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا عَطَسَ ، وَنَوْمِ
 الْعَافِيَةِ إِذَا نَعَسَ ، وَصَحَّ نَوْمُهُ إِذَا اسْتَيْقَظَ . وَهَنِيئًا إِذَا شَرِبَ ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ
 كَانَ إِذَا رَكِبَ ، وَنَعِيمَ صَبَاحِهِ إِذَا أَنْفَجَرَ الْفَجْرَ ، وَسَعْدَ مَسَاوَاهُ إِذَا أَذَّنَ
 الْعَصْرَ ، وَبِخٍ بِخٍ (٧) إِذَا نَثَرَ ، وَلَا فُضَّ (٨) فُوهُ إِذَا شَعَرَ (٩) ، وَأَجَادَ وَأَفَادَ
 إِذَا خَطَبَ ، وَأَطْرَبَ وَأَغْرَبَ إِذَا كَتَبَ ، وَإِذَا حَجَّ الْبَيْتَ فَحَجًّا مَبْرورًا ،
 وَإِذَا شَيَعَ جَنَازَتِي فَسَعِيًّا مَشْكورًا ، وَالسَّلَامَ .

وكتب القاضى الفاضل إلى أخيه عبد الكريم يؤنبه على إيذائه علم الدين

ابن النحاس :

سبب إصدار هذه المكاتبة إلى الأخ - أصلحه الله ! - إعلامه ما صح عندي
 من الأحوال التي أخفاها ، والله مبدئها ، فى حق علم الدين .
 وبالله أقسم لئن لم تُدَاوِ ماجرحت ، وتستدرك ما فعلت ، وتمح ما أثبتت ،
 وتستأنف ضد القبيح الذى كتبت به وشافهت ، وتعتذر بالجميل فيما
 قاطعت الله به وبارزت ، ليكونن الحديث منى بغير الكتاب ، ولأزيلن
 السبب الذى قدرت به على مضرة الأصحاب ، وما أشد معرفتى بأن الطباع
 لا تتغير ، وبأنك ستحوجنى بعد هذا الكتاب إلى ما لا يتأخر ، وبالجملة
 فاستدرك بفعلك لابيأيمائك لى وتنصمك إلى .

(١) كلمة تقال عند الإصابة فى الرمى مدحا للمصيب (٢) ودعته
 (٣) رجع (٤) كلمة تقال لمن تزوج ومعناه الدعاء بالانتقام وجمع الشمل
 (٥) تزوج (٦) ولد له (٧) كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء أو
 عند الفخر والمدح وكررها للمبالغة (٨) لا كسرت أسنانه (٩) قال
 الشعر .

* فالدم فى النصل شاهد عجب *

وويل لمن كانت غنيمته من الأيام عقد القلوب على البغضاء ، وإطلاق الألسنة بالمدام ، ولولا أننى شريكك فى كل ما تستوجه من الناس ، لألقيت جيلك على غاربك وتركتك وما اخترت لنفسك ، ولكن كيف بمن يرى وليس برام ؟ ولكن سكوت الناس عن قبيحك مقابلة لجميل كثير منى ، فإذا أنت لا تنفق إلا من كيسى ، فأشفق على نفسك ، إن كنت تنظر فى غد ، وعلى بيتك إن كنت تنظر فى أمس ، وعلى مكانك منى إن كنت لا تنظر إلا فى اليوم ، ولا تجاوبنى إلا بلسان الرجل شاكراً لك ، فإنه وإن كان - والله - ما ذمك فقد ذمته به عنه . وما أظن أنك تذكر أننى كتبت إليك كتاباً ، ولا كنت أؤثره ، ولولا حافظ. غليظ. ما كتبتة ، ولولا علمى أن الكثير مما قيل عنك فى أمر الرجل هو القليل مما فعلته ، لأضربت عن هذا كما أضربت عن غيره ، وستعرفك الأيام ما كنت تجهل .

والله يأخذ بناصيتك إلى رضاه ويغمد سيف حيلتك عن مقلتك ، والسلام .

الفصل السادس : فى رسائل الشكوى

كتب الأمير أبو الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ :

إنما أشكو إليك زماناً سلب ضعف ما وهب ، وفجع بأكثر مما متع ، وأوحش فوق ما آنس ، وعنف فى نزع ما ألبس ؛ فإنه لم يدقنا حلوة الاجتماع حتى جرّعنا مرارة الفراق ، ولم يمتعنا بأنس الالتقاء ، حتى غادرنا (١) رهن التلف ، والاشتياق .

والحمد لله تعالى على كل حال يسوء ويسر ، ويحلو ويمر ، ولا أيأس من روح (٢)

(١) تركنا (٢) من رحمة الله .

الله فى إباحة صنع (١) يجعل ربه (٢) مُناخى (٣) ، ويقصر مدة البعاد والتراخى ، فألاحظ. الزمان بعين راض ، ويقبل إلى حظى بعد إعراض ، وأستأنف (٤) بعزته عيشاً عذب الموارد (٥) والمناهل (٦) ، مأمون الآفات والغوائل (٧) .

وكتب عبد الحميد بن يحيى المقتول سنة ١٣٢ هـ إلى أهله ، وهو منهزم مع مروان (٨) :

أما بعد : فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور ، فمن ساعده الحظ. فيها سكن إليها ، ومن عضته (٩) بناها ذمها ساخطاً عليها ، وشكاها مستزيداً لها .

وقد كانت أذاقتنا أفويق (١٠) استحليناها ، ثم جمحت (١١) بنا نافرة ، ورمحتنا (١٢) مولية ، فملح عذبا ، وخشن لينها ، فأبعدتنا من الأوطان ، وفرقتنا عن الإخوان ، فالدار نازحة (١٣) ، والطيور بارحة (١٤) ، وقد كتبتُ والأيام تزيدنا منكم بعداً ، وإليكم وجداً ، فإن تمَّ البلية إلى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا ، وإن يلحقنا ظفرٌ جارحٍ من أظفار من يليكم ، نرجع إليكم بذل الأسار (١٥) ، والذلُّ شرٌّ جار .

(١) المعروف (٢) دار (٣) مكان النوم ومراده أنه لا يئأس من معروف يحظى به مدة حياته (٤) أجدد (٥) أمكنه اتيان الماء (٦) المواضع التى فيها والمراد أنه يجدد عيشاً هنيئاً لا حزن معه (٧) الدواهى (٨) هو مروان بن محمد بن الحكم بن أبى العاص الاموى آخر ملوك بنى أمية المعروف بالجعدى قتل سنة ١٣٢ هـ (٩) كناية عن تسلطها عليه بنوائها ومصائبها (١٠) البانها والمراد نعيمها وخيراتها (١١) اسرعت غالبية ايانا (١٢) طعننا برمحا والمراد مصائبها (١٣) بعيد (١٤) البارح من الطير ما يمر من اليمين الى الشمال والعرب تتشاءم به ، وذلك أنه كان من عاداتهم اذا أرادوا أمرا عمدوا الى الطير فأطاروها فان طارت شمالا يتشاءمون ويرجعون وتسمى بارحات وان طارت يميناً تفاءلوا باليمين ومضوا فى أمرهم وتسمى سانحات (١٥) الاسر هو القبض على الرجل وأخذه أسيراً .

نسأل الله الذى يُعز من يشاء ويذل من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة
جامعة فى دار آمنة ، تجمع سلامة الأبدان ، والأديان ، فإنه رب العالمين ،
وأرحم الراحمين .

وكتب أستاذنا الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده ، وهو مسجون
بسبب الحوادث العرابية :

تقلدتنى الليالى وهى مُدبِرَةٌ كَأَنى صَارِمٌ فى كَفِّ مُنْهَزِمٍ

عزيزى (هذه حالتى) اشتدَّ ظلام الفتن حتى تجسَّم بل تحجَّر ، فأخذت
صخوره من مركز (!) الأرض إلى المحيط. (٢) الأعلى ، واعترضت ما بين المشرق
والمغرب وامتدت إلى القطبين (٣) ، فاستحجرت فى طبقاتها طباع الناس إذ
تغلبت طبيعتها ، وامتدت على المواد الحيوانية أو الإنسانية ، فأصبحت
قلوب الثقلين (٤) كالحجارة أو أشد قسوة ، فتبارك الله أقدر الخالقين ،
انتشرت نجوم الهدى وتدهورت (٥) الشمس والأقمار ، وتغيَّبت الثوابت
النيرة ، وفرَّ كل مضى من عالم الظلام ، ودارت الأفلاك دورة العكس
ذاهبة بنيراتها إلى عوالم غير عالمنا هذا ؛ فولى معه آلهة الخير أجمعين ،
وتمحضت السلطة لآلهة الشر فقلبوا الطباع ، وبدَّلوا الخلق ، وغيروا خلق الله ،
وكانوا على ذلك قادرين .

رأيت نفسى اليوم فى مهمَّه (٦) لا يأتى البصر على أطرافه . فى ليلة

(١) وسط دائرتها (٢) الدائرة المحيطة بالكرة الأرضية (٣) الشمالى
والجنوبى وهما طرفا محور الأرض والمحور هو القطر الوهمى الذى تدور
عليه الأرض من المغرب إلى المشرق أثناء حركتها .
(٤) الانس والجن (٥) أدبرت (٦) مفازة واسعة .

داجية (١) غَطَّى فيها وجه السماء بغمام سوء فتكاثف (٢) رُكَّامًا رُكَّامًا (٣) لا أرى إنساناً! ولا أسمع ناطقاً! ولا أتوهم مجيباً! أسمع ذناباً تعوى! وسباعاً تزار! (٤) وكلاباً تنبح! (٥) كلها يطلب فريسة واحدة ، هى ذات الكاتب ، والتفَّ على رجلى تَنِينان (٦) عظيمان ، وقد خَوِيَتْ (٧) بطون الكل ، وتحكم فيها سلطان الجوع ، ومن كانت هذه حاله ، فهو لا ريب من الهالكين .

تَقَطَّعَ الأمل ، وانفصمت (٨) عروة الرَّجَاءِ ، وانحلت الثقة بالأولياء ، ووضُلَّ الاعتقاد بالأصفياء ، وبطل القول بإجابة الدعاء ، وانفطر (٩) من صدمة الباطل كَبِدُ السماء ، وحقت على أهل الأرض لعنة الله والملائكة والأنبياء وجميع العالمين .

سقطت الهمم ، وخربت الذمم ، وغاض (١٠) ماء الوفاء ، وطمست معالم الحق ، وحرفت الشرائع ، وبُدِّلَت القوانين ، ولم يبق إلا هوى يتحكم ، وشهوات تقضى ، وغيط. يحتدم (١١) ، وخشونة تنفذ (تلك سنة القدر) والله لا يهدى كيد الخائنين .

ذهب ذُوو السلطة فى بُحور الحوادث الماضية ، يغيصون لطلب أصداف من الشَّبَه ، ومقدوفات من التهم ، وسواقط. من اللمم (١٢) لِيُموَّهوها (١٣) بمياه السفسطة ويغشوها بأغشية من معادن القوة ، ليبرزوها فى معرض السطوة ويغشوا بها أعين الناظرين ، لا يطلبون ذلك لغامض يبينونه ، أو

(١) مظلمة (٢) كثر وتراكم (٣) السحاب المتراكم (٤) بفتح عينه أو بكسرها تصوت (٥) بفتح عينه أو بكسرها تصوت (٦) تثنية تنين وهو الحية العظيمة (٧) خلت (٨) انقطعت (٩) انشق (١٠) ذهب (١١) يتحرك ويشتد (١٢) المتقارب من الذنوب ، واللمم أيضا طرف من الجنون (١٣) من التمويه وهو التلبيس .

لمستور يكشفونه ، أو لحق خفي فيظهرونه ، أو خرّق بدا فيرقعونه ، أو نظام فاسد فيصلحونه ! كلاً ، بل ليثبتوا أنهم في حبس من حبسوا غير مخطئين ، وقد وجدوا لذلك أعواناً من حلفاء الدنائة ، وأعداء المروءة ، وفاسدى الأخلاق ، وخبثاء الأعراق (١) ، رضوا لأنفسهم قول الزور ، وافتراء البهتان ، واختلاق الإفك (٢) ، وقد تقدموا إلى مجلس التحقيق بتقارير محشوة من الأباطيل ليكونوا بها علينا من الشاهدين .

كل ذلك لم تأخذني فيه دهشة ، ولم تحل قلبي وحشة ، بل أنا على أتم أوصافى التي تعلمها ، غير مبال بما يصدر به الحكم أو يبرمه القضاء ، عالماً بأن كل ما يسوقه القدر ، وما ساقه من البلاء فهو نتيجة ظلم لا شبهة للحق فيه ، لأن الله تعالى يعلم كما أنت تعلم أنني برىء من كل ما رموني به ولو اطلعت عليه لوليت منه رعباً ، وكنت من المضاحكين .

نعم خنقنى الغم ، وأحمى فؤادى الهم ، وفارقنى النوم ليلة كاملة عندما رأيتُ اسمك الكريم ، واسم بقية الأبناء والإخوان ، تنسب إليهم أعمال لم تكن ، وأقوال لم تصدر عنهم ، لقصد زجهم في المسجونين .

لكن اطمأن قلبي ، وسكن جأشى (٣) عندما رأيت تواريخ التقارير متقدمة ، ومع ذلك لم يصلكم شرر الشر ، فرجوت أن الحكومة لم تُرد أن تفتح باباً لا يذر (٤) الأحياء ولا الميتين .

قدّم فلان وفلان تقريرين ، جعلاً فيهما تبعات الحوادث الماضية على عنقى ولم يتركاً شيئاً من التخريف إلا قالاه ، وذكرنا أسماءكم في أمور أنتم جميعاً أبعد الناس عنها ، لكن لاحرج عليهما ، فإني أراهما من المجانين ، ولم أعجب من

(١) الاخلاق (٢) الكذب (٣) اضطرا بالقلب عند الفرع

(٤) لا يدع ولا يترك .

هذين الشيخين إذ يعملان مثل ذلك الذنب القبيح ، ويرتكبان هذا الجرم الشنيع ! ولكن أخذني العجب - كلُّ العجب غاية العجبُ بالغ ما شئت في عجبى - إذ أخبرني المدافع عنى بتقرير قدمه فلان ، الذى أرسلت إليه السلام ، وأبلغته سرورى عند ما سمعت باستخدامه ، وأنا فى هذا الحبس رهين .

إلى هذا الوقت لم يصلنى التقرير ، ولكن سيصل إلى ، إنما فيما بلغنى أنه شهادة بأقبح شيء ، لا يشهد به إلا عدوٌ مبين .

هذا اللئيم الذى كنت أظن أنه يأنم لألمى ، ويأخذُه الأسف لحالى ، ويبذل وسعه إن أمكنه فى المدافعة عنى ! فكم قدمت له نفعاً ، ورفعت له ذكراً ، وجعلت له منزلة فى قلوب الحاكمين ! كم سمعنى أقاوم هجاء الجرائد ؟ ! وأوسع محرريها لوماً وتقريراً ؟ وأهزأ بتلك الحركات الجنونية ، وكان هو على فى بعض أفكارى هذه من اللائمين ! كان ينسبُ فلاناً لسوء القصد اتباعاً لرأى فلان ، وأعارضه أشد المعارضة .

ثم لم أنتقض له عهداً ، ولم أبخس له ودّاً ، وحقيقة كنت مسروراً لوجوده موظفاً ، فما باله أصبح من الناكثين ؟ !

آه ما أطيب هذا القلب الذى يملئ هذه الأحرف ! ما أشدَّ حفظه للولاء ، ما أغبره على حقوق الأولياء ! ما أثبتته على الوفاء ! ما أرقه على الضعفاء ! ما أشدَّ اهتمامه بشئون الأصدقاء ! ما أعظم أسفه لمصائب من بينهم وبينه أدنى مؤدّة وإن كانوا فيها غير صادقين ! ما أبعد هذا القلب من الإيذاء ولو للأعداء ! ما أشدَّه محافظة على العهد ! ما أعظم حذره من كل ما تُوبخ عليه الذم الطاهرة ! ما أقواه على العمل الحق ، والقول الحق لا يطلب عليه جزاءً !
وكم اهتم بمصالح قوم وكانوا عنها غافلين ؟ !

هذا القلب الذى يؤلمونه بأكاذيبهم ، هو الذى سرَّ قلوبهم بالترقية ،
وملأها فرحاً بالتقدم ، وأطفَّ خواطرهم بحُسن المعاملة ، وشرح صدورهم
بلطيف المجاملة ، ودافع عنهم أزماناً خصوصاً هذا اللثيم !

أفشرحُ الصدور وهم يُخرجون ؟ ونشفي القلوب وهم يؤلمون ؟ ونفرحها
وهم يحزنون ؟ تالله قد أضلوا وما كانوا مُهتدين . هذا القلب ذابَّ مُعظمه
من الأسف على ما يَلُمُّ بالهيئة العمومية من مصائب هذه التقلبات ، وما ينشأ
عنها من فساد الطباع الذى يجعل العموم فى قلق مستديم ، وما بقى من هذا
القلب فهو فى خوف على من يعرفهم على عهد مودته ، فإن تسللوا جميعاً
بمثل هذه الأعمال أصبحوا من مودته خالين ، واتخذوه وقاية لهم من المضرة ،
وجعلوه ترساً يُعرضونه لتلقى سهام النوائب التى يتوهمون تفويقها إليهم ،
كما اتخذوه قبل ذلك سهماً يصيبون به أغراضهم فينالون منها حظوظهم ،
فقد أراحوا تلك البقية من الفكر فيهم ، والله يتولى حسابهم وهو أسرع الحاسبين .
آه ! ما أظن أن تلك البقية تستريح من شاغل الفكر فى شؤون الأجابة
وإن جاروا فى تصرفهم .

إن طبيعة هذا القلب لطبيعة ناعم الخز إذا اتصل بذى الودِّ وإن كان خشناً ،
فصعبٌ أن ينفصل ولو مزقته خشونته ، وإن هذا القلب فى علاقة مع الأوداء
كالضياء مع الحرارة ، أيما حادث يحدث ، وأيما كيماوى يدقق ، لا يجد للتحليل
بينها سبيلاً . وأظنك فى العلم بثبوت تلك الطبيعة فيه كنت من المتحققين .

وكتب المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم (١) إلى الأستاذ الإمام الحكيم

الشيخ محمد عبده :

كتابى إلى سيدى : وأنا من وعده بين الجنة والسلسيل (٢) ، ومن

(١) يشكو إليه حاله وهو ضابط بالسودان .

(٢) عين فى الجنة وهو الشراب السهل فى الحلق .

تسهي (١) به ، فوق النثرة (٢) والإكليل (٣) وقد تعجلت السرور ، وتسلفت
الجبور (٤) ، وقطعت ما بيني وبين النوايب :

وَبَشَّرْتُ أَهْلِي بِالَّذِي قَدْ سَمِعْتُهُ فَمَا مَحْنَتِي (٥) إِلَّا لِيَالٍ قَلَائِلُ

وقلت لهم : للشيخ فينا مشيئة فليس لنا من دهرنا ما ننازل (٦)

وجمعت فيه بين ثقة الزبيدي (٧) بالصمصامة (٨) والحارث بالنعامة (٩) ،
فلم أقل فيه ما قال الهذلي (١٠) لصاحبه ، حين نسي وعده (١١) وحجب رفته (١٢) :

« يادارَ عاتكة التي أتززلُّ » بل أناديه نداءً الأحميدة (١٣) في عمورية (١٤) ،
شجاع الدولة العباسية ، وأمدُّ صوتي بذكر إحسانه ، مدُّ المؤذن صوته في أذانه
وأعتمدُ عليه في البعد والقرب ، اعتماد الملاح (١٥) على نجمة القطب (١٦) :

وَقَالَ : أَصِيحْبَانِي هَالِي النوى (١٧) وهالهم أمرى متى أنت قافل (١٨)

فقلت : إذا شاء الإمام فأوتى (١٩) قريب وربعي (٢٠) بالسعادة أهل

(١) عجبى (٢) كوكبان متقاربان بينهما قدر شبر وفيهما لطح
بياض كأنه قطعة سحاب (٣) من منازل القمر أربعة أنجم مصطفة
(٤) الفرع ومعنى تسلق : تسور أى أتى الفرع من غير بابه ويروى تسلفت
بالفاء (٥) محنتى : بليتى (٦) نضارب لأن الشيخ كفانا صدمات
الدهر (٧) أبو ربيعة عمرو بن معدى كرب ينتهى نسبه الى قحطان
صحابى من شجعان الجاهلية والاسلام وزبيدي نسبة الى زبيد بضم الزاى
قوم من اليمن (٨) اسم سيف عمرو (٩) اسم فرس للحارث بن عباد
البكرى شيخ من العرب (١٠) نديم الخليفة أبى جعفر المنصورى العباسى
كان لا يكلم الخليفة الا جوابا (١١) وعده ولم يوف ولما مرا على دار عاتكة
بنت عوف قال الهذلي هذه دار عاتكة التى قال فيها الشاعر - يادار عاتكة
الخ فعجب الخليفة كيف بدأه بالكلام على غير عادة ثم نظر الملك فى قصيدة
الشاعر فوجد فيها « وأراك تفعل ما تقول » فتذكر الخليفة الوعد (١٢) عطاء
(١٣) الأسيرة ويريد بها امرأة من بنى هاشم أسرها الروم فنادت وامعتصم
تفنى المعتصم من خلفاء بنى العباس فوصل الخبر الى المعتصم فقال: ليك!
ليك ! وهم فحاربهم وخلصها (١٤) بلدة من بلاد الروم (١٥) صاحب
السفينة (١٦) كوكب فى السماء تدور عليه الكواكب وهو ثابت مكانه
ينظر اليه صاحب السفينة فيعرف الجهة التى هو قاصدها (١٧) العبد
(١٨) راجع (١٩) رجعتى (٢٠) دارى

وها أنا متماسكٌ حتى تنحسر (١) هذه الغمرة (٢) ، وينطوى أجلُ تلك
 للفترة (٣) ، وينظر إلى سيدي نظرةً ترفعى من ذات (٤) الصدع (٥) إلى ذات (٦)
 الرجوع (٧) ، وتردنى إلى وكرى (٨) الذى فيه درجت (٩) ، ردَّ الشمس قطرة
 المزن (١٠) إلى أصلها ، وردَّ الوفى الأمانة إلى أهلها :

فإن شاء فالقربُ الذى قدرجوته وإن شاء فالعز الذى أنا آمِلُ
 وإلا فإني قافُ رؤبة (١١) لم أزل بقيد النوى حتى تغول الغوائلُ
 فلقد حللتُ السودان حلولَ الكليم (١٢) فى التابوت (١٣) ، والمغاضب (١٤)
 فى جوف الحوت ، بين الضيق والشدة والوحشة والوحدة ، لابل حلول الوزير (١٥)
 فى تنور العذاب ، والكافر فى موقف الحساب بين نارين : نار القيظ (١٦)
 ونار الغيظ

فناديتُ باسم الشيخ والقيظ. جَمْرَةٌ تذيب دماغ الضب والعقلُ ذاهل
 فصرتُ كائى بين رَوْضٍ وَمَنْهَلٍ تَهْبُ الصبا فيه وتشدو البلابل
 واليوم أكتب إليه وقد قعدت همة النجمين ، وقصرت يدا الجديدين (١٧)
 عن إزالة ما فى نفس ذلك الجبار العنيد ، فلقد نمتى صِبُّ (١٨) ضغنه (١٩) على ،
 وبدرت (٢٠) بوادر (٢١) السوء منه إلى ، فأصبحتُ كما سرَّ العدو وساء الحميم (٢٢)
 وآلامى كأنها جلود أهل الجحيم ، كلما نضج منها أديمٌ تجدد أديم (٢٣) وأمسيتُ
 ومُلك آمالى إلى الزوال ، أسرع من أثر الشهاب فى السماء ، ودولة صبرى إلى

(١) تنكشف (٢) الشدة (٣) يريد المدة بينهما (٤) الارض
 (٥) الشق (٦) السماء (٧) صوت الرعد (٨) يريد وطنه وأصله
 عش الطائر (٩) مشيت (١٠) المطر (١١) رجل من العرب كان أكثر
 روى أراجيزه على القاف الساكنة (١٢) سيدنا موسى عليه السلام
 (١٣) الذى وضعته أمه فيه وألقته فى البحر (١٤) سيدنا يونس بن متى
 عليه السلام (١٥) محمد الزيات وزير الخليفة مروان الحمار أدخله تنور
 العذاب الذى اصطنعه لتعذيب من يأمر بتعذيبه (١٦) شدة الحر
 (١٧) الليل والنهار (١٨) بكسر الضاد الفيظ (١٩) حقه (٢٠) أسرع
 (٢١) جمع بادرة الحدة عند الغضب (٢٢) القريب الذى يهتم لامره
 (٢٣) الجلد .

الاضمحلال ، أحثُّ (١) من حجابِ (٢) الماء ، فنظرتُ في وجوه تلك العباد ،
وإني لفارسُ العين والفؤاد ، فلم تقف فِرَاسَتِي على غير بابك .

وإني أهديكَ سلاماً لو امتزج بالسَّحَاب ، واختلطَ منهُ باللعب ،
لأصبحتُ تتهادى (٣) بقطره الأَكاسِرَة (٤) ، وأمستُ تدخر معه الرُهْبَان
في الأديرة ، ولأغنى ذات الحجاب عن الغالية (٥) والمالاب (٦) .

ولا بدع إذا جاد السيد بالردِّ ، فقد يُرى وجه المليك في المرآة ، وخيال القمر
في الإضاءة ، وإن حال حائلٌ ، دون أمنية هذا السائل ، فهو لا يذم يومك ، ولا
ييأس من غدك ، فإنت خيرٌ ما تكون حين لا تظنُّ نفسٌ بنفس خيراً ، والسلام .

الفصل السابع : في رسائل العيادة

كتب ابن الرومي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ إلى بعضهم :

أذن الله في شفائك ، وتلقى دأك بدوائك ، ومسح بيد العافية عليك ، ووجه
وفد السلامة إليك ، وجعل عِلَّتكَ ماحيةً لذُنُوبك مضاعفةً لِثَوَابك .

وكتب أبو بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣ هـ :

وصل كتابك ياسيدي ، فسرتني نظري إليه ، ثم غمّني أطّاعى عليه ،
لما تَضَمَّنَهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتكَ ، جعلَ اللهُ أولها كفارةً ، وآخرها عافيةً ،
ولا أعدمك على الأولى أجراً ، وعلى الأخرى شكراً .

وبودي لو قُربَ عَلِيٍّ متناولُ عيادتك ، فاحتملت عنك بالتعهد والمساعدة
بعضُ أعباء (٧) علتك ، فلقد خصّني من هذه العلة قسمٌ كقسّمك ، ومرض قلبي
فيك لمرض جسمك ، وأظنُّ أني أوالقيتك عليلاً لانصرفت عنك ، وأنا أعلُّ منك
فإني بحمد الله جلدتُ (٨) على أوجاع أعضائي ، غير جلد على أوجاع أصدقائي ،
شفاك الله وعافاك .

(١) أسرع (٢) ما يرى على وجه الماء من الفقاقيع (٣) تجعله
هدية (٤) الملك (٥) الطيب (٦) الزعفران (٧) جمع عبء
(٨) شديد .

الفصل الثامن : فى رسائل التهانى

كتب فى التهنة بميلاد الأولاد أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ :
أَهْلًا وَسَهْلًا بِعَقِيلَةِ (١) النِّسَاءِ ، وَأُمِّ الأَبْنَاءِ ، وَجَالِبَةِ الأَصْهَارِ ،
وَالأَوْلَادِ الأَطْهَارِ :

ولو كان النِّسَاءُ كمثل هذى لفضلت النِّسَاءُ على الرجال
فما التَّأْنِيثُ لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فَخْرٌ للهِلالِ
والله يُعَرِّفُكَ البركة فى مطلعها ، والسعادة بموقعها ، فالدنيا مؤنثة ، والناس
يخدمونها ، والذكور يعبدونها ، والأرض مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها
كثرت الذرية ، والسماء مؤنثة ، وقد زينت بالكواكب ، وَحَلَّتْ بالنجوم
الثواقب (٢) ، والنفس مؤنثة ، وهى قِوَامِ الأبدان ، وملاك الحيوان ، والحياة
مؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام ، ولا تحرك الأنام ، والجنة مؤنثة ، وبها
وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ، وفيها تنعم المرسلون فهنيئاً هنيئاً ما أوليت وأوزعك (٣) الله
شكر ما أعطيت ، وأطال بقاءك ما عُرِفَ النسل وبقي الأبد .

وكتب بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ إلى الداوردى يهنئه بمولود :
حَقًّا لَقَدْ أَنْجَزَ الإِفْئَالَ وَعَدَهُ ، وَوَأْفَقَ الطَّالِعِ سَعْدَهُ ، وَإِنَّ الشَّأْنَ لَفِيما بَعْدَهُ ،
وَحَبِذا الأَصْلُ وَفِرْعُهُ ، وَبِبُورِكَ الغَيْثُ وَصُوبِهِ (٤) ، وَأَيُّنَعُ الرُّؤُضُ وَنُورِهِ (٥) ،
وَحَبِذا سماءُ أَطْلَعَتْ فِرْقَدًا ، وَغَابَةَ (٦) أَبْرَزَتْ أَسْدًا ، وَظَهَرَ وَأَفَقَ سِنْدًا ،
وَذَكَرَ بِيَقِي أَبَدًا ، وَمَجْدٌ يُسْمَى وَلَدًا ، وَشَرَفٌ لِحِمَةِ وَسَدَى (٧) :

أَنْجَبَ (٨) كُلُّهُ مِنَ وَالِدِيهِ بِهِ إِذَا نَجَلَاهُ فَنَعْمَ مَا نَجَلَا
فَأَلْفِيَاهُ (٩) شِهَابَ ذِكَاةٍ ، وَبَدْرَ عِلَاءِ .

(١) كريمتهن (٢) المضيئات (٣) أقدرك (٤) مطره وهنا
كناية عن الولد (٥) زهرة الشجرة وهو كناية عن الولد أيضا (٦) موضع
الاسد الذى يالغه والمراد أصوله (٧) كلاهما من لحمة الثوب وسداه وهو
كناية عن الصرف ظاهرا وباطنا (٨) ولداه كريما (٩) وجداه .

وَوَجَدَاهُ ابْنَ جَلالاً (١) أَبْيَضَ (٢) يَدْعَى الْجَفْلَى (٣)
لمثله أولى فلا إذا الندى (٤) احتفلاً

وكتب فى التهئة بالقدوم أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ :
أَهْنِي سَيِّدِي ، وَنَفْسِي تَطِيبُ بِمَا يَسَّرَ اللَّهُ مِنْ قُدُومِهِ سَالِماً ، وَأَشْكُرُ
اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرًا دَائِمًا . جَعَلَ اللَّهُ قُدُومَكَ مَقْرُونًا بِالْخَيْرَةِ التَّامَةِ الْعَامَةِ ،
وَالْكَفَايَةِ الشَّامِلَةِ الْكَامِلَةِ .

غيبه المكارم مقرونة بغيبتك ، وأوبة النعم موصولة بأوبتك ، فوصل الله
قدومك من الكرامة ، بأضعاف ما قرن به مسيرك من السلامة ، وهذالك بإيابك
وبدلحك غاية محابك ، مازلت بالنية معك مسافراً ، وباتصال الذكر والفكر
ملاقياً إلى أن جمع شمل سُرُورِي بأوبتك وسكن نافر قلبي بعودتك .
وكتب أيضاً فى التهئة بـرمضان :

ساق الله إليك سعادة إلهاله ، وَعَرَّفَكَ بركة كماله ، لَقَّأكَ فِيهِ مَا تَرْجُوهُ وَرَقَّأكَ
إِلَى مَا تَحِبُّ فِيمَا يَتْلُوهُ ، جَعَلَ اللَّهُ مَا يَطُولُ مِنْ هَذَا الصُّومِ مَقْدَناً بِأَفْضَلِ الْقَبُولِ ،
مُؤَذِّناً بِدَرْكِ الْبَغِيَةِ وَنَجِّحَ الْمَأْمُولِ ، وَلَا أَخْلَاكَ مِنْ بَرِّ مَرْفُوعٍ ، وَدَعَاكَ مَسْمُوعٍ ،
قَابِلَ اللَّهِ بِالْقَبُولِ صِيَامَكَ ، وَيَعْظِيمُ الْمَثُوبَةَ تَهْجِدُكَ وَقِيَامَكَ ، أَعَادَ اللَّهُ إِلَى مَوْلَايَ
أَمْثَالَهُ ، وَتَقَبَّلَ فِيهِ أَعْمَالَهُ ، وَأَصْحَحَ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا أَحْوَالَهُ وَبَلَّغَهُ مِنْهَا آمَالَهُ .
أَسْعَدَ اللَّهُ مَوْلَايَ بِهَذَا الشَّهْرِ ، وَوَفَّاهُ فِيهِ أَجْرَ الْمَثُوبَةِ وَالْأَجْرِ .

وكتب أبو الفرج البغراء المتوفى سنة ٣٩٨ هـ تهنتته :

سَيِّدِي - أَيَّدَهُ اللَّهُ ! - أَرْفَعُ قَدْرًا ، وَأَنْبِيَهُ ذِكْرًا ، وَأَعْظِمُ نَبْلًا ، وَأَشْهَرُ

(١) واضح الامر (٢) نقى العرض شريفاً (٣) دعاهم بجماعتهم
وعامتهم (٤) مكان اجتماع الناس والاحتفال هو التجمع : أى ، لمثله
نصوغ التهاني أولى فلا يحسن أن تصاغ لغيره :
بشرى فقد انجز الاقبال ما وعدا وكوكب المجدفى أفق العلاصعدا

فضلاً ، من أن نهنته بولاية ، وإن جَلَّ خطرهما وعظم قدرها ، لأن الواجب تهنته الأعمال بفائض عدله ، والرعية بحمود فعله ، والأقاليم بآثار رياسته والولايات بسماة سياسته ، فعرفه الله يمين ما تولاه ورعاه فى سائر ما استرعاه ، ولا أخلاه من التوفيق فيما يعانيه ، والتسديد فيما يُبرمه ويمضيه .

وكتب أستاذنا الشيخ حمزة فتح الله :

أى جهابذة (١) الكنانة (٢) نُبَالُ الجَنَابَةِ (٣) مياه الإِجَانَةِ (٤) أَبْنَاءُ تلك اللغى صناديد هذه الوغى ، إليكم يُسَاقُ هذا الحديث ، فى القديم والحديث ، عن هذا النبأ العظيم والمجد الصميم ، مالى أرى فى لغتنا الشريفة - ويعلم أول النهى آية من اللغات أحقُّ بهذا النبر (٥) أن يُصْرَفَ إليها عند الإِطْلَاقِ - هُبُوباً غِيبَ خُمُولٍ ، وَتَرَةً (٦) بعد نحول ، ونوراً عقيب أفول ، ونوراً إثر ذبول ، وَصَباً وِراءَ قَبُولٍ ، وعدلا ولا حَيْفَ (٧) وقوة ولا ضعف ، وما يشاء المَطْرَى (٨) فى هذا القبيل من العطف ، آمنت بالقدر المقدور والبعث والنشور ، كذلك يحيى الله الموتى .

أليس رجلٌ وَاحِدٌ أسفرت (٩) عنه عناية التوفيق ، فألقت إليه المقاليد (١٠) ، بلى (١١) ، ولكنه الواحد الذى يقول فى مثله صاحب بنى ميكال :

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كوَاحِدٍ وَوَاحِدٌ كَالْأَلْفِ إِنْ أَمْرٌ عَنِ (١٢)

إى (١٣) ورب تلك البَيْتِيَّة (١٤) ، بارى (١٥) نسيم البرية ، إنه لرجلُ البلاد ، رجل الحزم والسادات : أَلَمْ نَرِ جَنَانَهُ (١٦) ، وحنانه وبنانه (١٧) وبيانه ، عوامل لهذه اللغة : لغة الفُرْقَان (١٨) ، لغة الأوطان ! لا - بل أمضى من العوامل حتى

(١) الحذاق ذوو النقد (٢) ما يوضع فيها السهم والمراد أنهم تقادون للمسائل (٣) بضم الجيم الترس التى يتقى بها (٤) الاجابة بالكسر اناء تغلى فيه الثياب وما حول الفراس شبه الاحواض والجمع اجاجين (٥) اللقب الرفيع (٦) امتلاء الجسم بالسمن (٧) الظلم والجور (٨) المدح (٩) ظهرت (١٠) المفاتيح (١١) حرف جواب تثبت المنفى (١٢) أهم الناس وأقلهم (١٣) حرف جواب مثل نعم (١٤) فتح الباء وزن غنية الكعبة (١٥) خالق (١٦) قلبه (١٧) أنامل أصابعه (١٨) لغة القرآن الكريم

ظلت (آدابها) فرائض ، وقد كانت وما بالعهد من قِدم (نوافل) ومن حُلِيِّها أجياد (١) اللهجات عواطل . اللهم إلا بقية ثمذ ، قد منيت (٢) صُحُفها الأود (٣) ، ففقدتُ الجِلْدَ والجِلْدَ (٤) وبعد أن راج سوق الرطانة (٥) ونضب (٦) ماء الإبانة ونجبت (٧) أنوارُ البلاغة ، وذوت (٨) أنوار (٩) النباغة وكسد البيان وقوَّض (١٠) منه البنيان ، وأصبحت العربية لُقى (١١) وبضاعة مُزجاة (١٢) ، فأيهذا اليراع (١٣) لا أقل من نفثات فى صَوْغ كَلِمَات تقدر هذه النعمة قدرها ، وتمنحها (١٤) شكرها . . .

ويَحْك ! (١٥) هُب (١٦) من سِنْتِكَ (١٧) فى حلية مِقْتِكَ (١٨) ، وانض (١٩) حسامك (٢٠) واشحذ كهامك (٢١) وانثل (٢٢) كِنَانَتِكَ (٢٣) واعمل بنانتك (٢٤) وصغ إن استطعت تهانى غرًّا ، بل عقوداً درًّا بل أنجماً زهراً ، مُشْتَاراً (٢٥) من خلايا ذلك الأرى (٢٦) الشهى (٢٧) الندى الزكى ، ما جَرَسَتْ (٢٨) نحلة الشيخ (٢٩) والخزأى (٣٠) وأطايب الثار ، وأزاهى الأزهار تهدين أولئك المصانع (٣١) شكراناً لتلك النعم تجميعاً لشواردها وتقييداً لأوبدها (٣٢) .

(١) الاعناق (٢) اختبرت (٣) الأود الكد والتعب ومراده اعتنى الناس بها لا عن بذل جهد (٤) القوة (٥) كل لسان يخالف العربية (٦) غار وذهب (٧) خفيت (٨) ذبلت (٩) جمع نور بالفتح الزهر (١٠) نقض (١١) بالقصر مطروحة (١٢) قليلة (١٣) القلم (١٤) تعطيها (١٥) كلمة رحمة (١٦) استيقظ (١٧) نومك (١٨) محبتك (١٩) سله من غمده (٢٠) السيف القاطع (٢١) شحذه حده ، والكهام بفتح الكاف السيف الكليل (٢٢) استخراج ما فيها من النبال (٢٣) الجراب الذى توضع فيه النبال والسهام (٢٤) أصبعك (٢٥) كثير الشرى (٢٦) العسل (٢٧) ما يشتهى (٢٨) أكلت وأصله جرس الشيء جرساً لحسه بلسانه (٢٩) نبت طيب الرائحة (٣٠) بضم الخاء نبت زهره أطيّب الأزهار (٣١) جمع مصقع البليغ (٣٢) لغرائبها .

كما شبهها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصطدوق ، وإشفاقاً عليها من الجماح (١) ، بعد ذلك من الارتياح .

فإليكم بنى هذه اللغة (كتابى هذا) تهنئة بتلك النهضة العربية فى إبان - كما تعلمون - وجهه مكفهر^(٢) وبدنه مقشعر^(٣) ، وثناء على العزمة (التوفيقية) والعناية (الرياضية) .

على أن لذلك الوزير سوى ذلك أيادى^(٣) مبرورة ، ومساعى مشكورة أكسبت الوطن وأهليه نهضات ، وأقالته كثيراً من العثرات .

لكننى آثرت (٤) تلکمُ النهضة العربية بتهنئتكُم بها ، أى بنى جلدتى (٥) ، وإخوان حرفتى ، لكونها فيما أخال لا بل فيما أتيقنُ ويتيقنُ أولو الحجج^(٦) أعظم النهضات وأيمن (٧) ما اجتازه (٨) الوطن من عقبات ، ولو كان فى نطاق الإمكان زيادة البيان فى هذا الشأن ، لأسهبتُ (٩) وأوسعتُ ، وأطربتُ (١٠) ، وأطنبتُ ، ولو لم يكن فى تلك النهضة إلا أن حياة الأمة حياة لُغتُها فحسب لكفالكِ وشفالكِ وأغناكِ ، وكان ذلك قُصاراكِ (١١) وحُماداكِ (١٢) .

وكتب المرحوم الأستاذ محمود بك أبو النصر :

إنسان عين الفضائل ، عزيزى فلان المحترم : نور على نور ، وشفاء لما فى الصدور شفاؤك أياها العزيز من ذلك الرمد . قد أنجز الإقبال ما وعد ، وابتهجت النفوس وتزينت الطروس ، واهتزت الأقلام وأعلنت بالسلام .

وكيف لا ! وأنت واحد الكتاب وإنسان عين الآداب ؟ ! رمدت فرمدت

(١) الذهاب بسرعة (٢) متعبس (٣) نعماً من ذلك الوزير الخطير مصطفى باشا رياض المتوفى سنة ١٣٣١ هـ (٤) اخترت (٥) بنى عشيرتى (٦) العقل (٧) أكثر بركة (٨) سلكه (٩) لاكثر الكلام (١٠) مدحت (١١) مبلغ جهدك وغايتك (١٢) غاية ما تحمد عليه .

وشفيت فاهتزت ورببت . وقد كان طرفها كليلا ، وفؤادها عيلا . واليوم
زال العناء ، وحق الهناء ووافى الشفاء ؛ فكان برداً وسلاماً على القلوب وقميص
يوسف فى أجفان يعقوب :

فلك الهناء بصحة ميمونة أبداً على مرّ الدهور تدومُ
وإن الله ما قضى بما قد مضى ، إلا ليُعرف سيدي ما عانت من القلوب ومنزلته
من الفضل . وهذه حال العافية قد خلعت عليك ، وثياب السلامة سبقت إليك
فوافى السرور ، وعم الحبور . والله يبيلغك بالصحة والأعمال . منتهى الآمال والسلام .
وكتب الوزير المرحوم عبد الله باشا فكرى المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ فى تهنئة العيد :
هذا يوم نشر البشر فيه أعلامه ، وأضاءت الدنيا وازدانت الآفاق ،
ببهبجة هذا العيد السعيد ، وأخذ الأحبة يتهادون رسائل البشائر فيما بينهم ،
وكل حزب فرحون بما لديهم ، بما أودع فيهم من روابط المحبة وعوامل
الاتحاد السارية فى النفوس ؛ أما أنا فعيدى ، وبهجة نفسى ، وسرور فؤادى
دوام إقبال الزمان عليك بوجه النصر وعود أعياد السرور على جنابك الرفيع
فمثلك تشرق الدنيا بطلعته ، وتفرح الأعياد برؤيته :

وأرى الحياة لذيذة بحياته وأرى الوجود مشرقاً بوجوده
لو أننى خيرت من دهرى المنى لاخترت طول بقائه وخلوده
أعاد الله عليك أيها الأخ أمثاله وأمثال أمثاله فى صفاء وهناء .

الفصل التاسع : فى رسائل التعازى والتأبين

كتب أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ :

خبر عز على مستمعه ، وأثر فى قلبى موقعه . خبر تستاء (١) له المسامع وترتج
منه الأضالع ، خبر يهد الرواسى (٢) ويفاق الحجر القاسى . كادت له القلوب
تطير ، والعقول تطيش ، والنفوس تطيح (٣) . خبر يشيب الوليد ، ويذيب

(١) تتألم وتتأثر من أجله (٢) الجبال (٣) تهلك .

الحديد ، قد كاد من الحزن أن تنقبض الألسن عن هذا النعى الفادح (١) وتخرس ، وتقصّر الأيدى عن التعزية بهذا الرزء الفادح (٢) وتيبس .

وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ :

إذا ما الدهر جرّ على أناس مصائبه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

أحسن ما فى الدهر عمومه بالنوائب ، وخصوصه بالرغائب ، فهو يدعو الجفلى (٣) إذا ساء ، ويخص بالنعمة إذا شاء . فليكفر الشامت : فإن كان أفلت (٤) فله أن يشمت . ولينظر الإنسان فى الدهر وصروفه ، والموت وصفوفه ، من فاتحة أمره إلى خاتمة عمره ، هل يجد لنفسه أثراً فى نفسه ؟ أو لتدبيره عوناً على تصويره ؟ أم لعمله تقدماً لأمله ؟ أم لحيله تأخيراً لأجله ؟ كلا . بل هو العبد لم يكن شيئاً مذكوراً ، خلُق مقهوراً ، فهو يحيا جبراً ، ويهلك صبراً ، وليتأمل المرء كيف كان قبلاً ؟ ! فإن كان العدم أصلاً ، والوجود فضلاً ، فليعلم الموت عدلاً .

والموت - أطال الله بقاء مولاي - خطب قد عظم حتى هان ، وأمر قد خشن حتى لان ، ولعل هذا السهم قد صار آخر ما فى كينانتها (٥) وأزكى (٦) ما فى خزانتها ، ونحن معاشر التابع نعلم الأدب من أقواله ، والجميل من أفعاله ، فلا نحثه على الجميل وهو الصبر ، ولا نرغبه فى الجزيل وهو الأجر ، فليبرَ فيهما رأيه .
وكتب أيضاً :

ياسيدى : المصاب لعمر الله كبير ، وأنت بالجزع جدير ، ولكنك بالصبر أجدر . والعزاء على الأعزة رشد كأنه الغى ، وقدمات الميت ، فليحى الحى .

(١) الذى يثقل الناس ويهمهم (٢) المصيبة (٣) يدعو الناس بعامتهم وجماعاتهم (٤) أطلق وخلص وسلم من نوائب الدهر (٥) الجراب الذى توضع فيه السهام (٦) أظهر وأنفس لانه لا يحرز الا ما كان نفيسا .

وكتب فقيده اللغة الشيخ إبراهيم اليازجى المتوفى سنة ١٩٠٦ م :
 أشباحٌ تروح وتجىء ، وآجال تسمى وتغتدى ، وأنفاس تتقطع من دونها
 حزناً وأسفاً ، وعبرات تتفطر وجداً ولهفاً . وما عمدت الأقدار إلى استنزاف
 مدمع ، ولا أرادت الأيام إيلام موجد . إنما هى سُنَّة الخلق : كون يليه زوال
 وعقد يسبقه انحلال . إن لكل شىء أجلاً موقوتاً . وإن لكل أجل سبباً
 مقدوراً ، وإن الإنسان لفي كل ذلك شاهدٌ يسمع لاهياً ويبصر ساهياً . وليس
 فى يده أن يسترد ماضياً ولا أن يرد آتياً . لقد وددت أن أعزبك ، لولا ما
 يُغالبنى على العزاء من كبد حرى ، ومُؤملة شمكرى ، وزفرة تترى . ثم وددت أن
 أستبكيك ، لولا أنى بكيت حتى لم أدع فى البكاء من واد ، وأحييت ليالى بالنوح
 حتى ألمَّ بى ما بالنجم من سهاد ، ثم لم يزدنى البكاء على سقم جسدى ، ولم
 يزدنى النوح على صفر يدى إلا من كبدى . وإن الأقدار سهام إذا انطلقت
 لم ترد ، وإن المتطلع إلى الفائق لطويل شقة الكمد ، وإن الخطوب لهي
 هى وإنما تتفاوت عند الجلد :

وإن الحصى عند الجزوع ثقيلة وضخم الصفا عند الصبور خفيف
 والله المسئول فى إطالة بقائك قررة للعيون وجبراً لخاطر المحزون بمنه وكرمه .
 تأبين الأحنف بن قيس (١) :

مات الأحنف بن قيس بالكوفة فمشى مصعب بن الزبير فى جنازته بغير
 رداء (٢) . وقال قوم : مات سيد العرب . فلما دفن قامت امرأة على قبره فقالت :

(١) اسمه الضحاك وكان سيد تميم فى عهده معروفاً بالعقل والدهاء
 والعلم والحلم الى ثبات جنان وحسن بيان ، وحياته مملوءة بجلال الاعمال
 وكريم الفعال توفى سنة ٦٧ هـ (٢) كانت عاداتهم فى جناز العظماء .

لله دَرَكٌ (١) من مِجَنٍّ (٢) فى جنن ومُدْرَج فى كفن . فنسأل الذى فَجَعَنَا بموتك وابتلانا بفقدك أن يجعل سبيل الخير سبيلك ، ودليل الرشد دليلك ، وأن يوسع لك فى قبرك ، ويغفر لك يوم حشرك . فوالله لقد كنت فى المحافل شريفاً ، وعلى الأرامل عطوفاً . ولقد كُنْتُ فى الحىِّ مُسَوِّداً وإلى الخليفة موفداً ، ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيتك متبعين .

ثم أقبلت على الناس فقالت : ألا إن أولياء الله فى بلاده شهود عباده وإنى لقائلة حقاً مُثنية صدقاً ، وهو أهل لحسن الثناء وطيب البقاء . أما والذى كنت من أجله فى عدَّة ومن الحياة إلى مُدَّة ومن المقدار إلى غاية ومن الآثار إلى نهاية ، الذى رفع عملك لما قضى أَجَلَكَ ، لقد عشت حميداً مودوداً ، ومت سعيداً منقوداً (٣) . ثم انصرفت وهى تقول :

لله دَرَكٌ يا أبا بحر ماذا تغيب منك فى القبر
 لله درك ! أى حشو ثرى أصبحت من عُرف ومن نكر
 إن كان دهر فيك جدًّا لنا حدثانه ووهت قوى الصبر (٤)
 فلكم يد أسديتها ويد كانت ترد جرائر الدهر

ثم انصرفت . فسئل عنها فإذا هى امرأته وابنة عمه (٥) فقال الناس : ما سمعنا كلام امرأة قط . أصدق ولا أبلغ منه .

تأبين الإسكندر :

لما جُعِلَ الإسكندر فى تابوت من ذهب تقدم إليه أحد الحكماء فقال :

(١) الدر : اللبن والعمل ، والله درك : كلمة تعجب (٢) أجنه : ستره والجنن : القبر ومن بدائع العربية أن مادة (جنن) تدل على السستر كالجن والجنون والجنة والمجن والجنان والجنين (٣) يقولون مات فلان غير حميد ولا فقيد أى غير مكترث لفقدانه فقولها : مفقوداً تريد يحزن الناس فقذك (٤) حدثان الدهر : نوابه (٥) ذكر صاحب بليغات النساء أن اسمها صفية بنت هشام المنقروية .

كان الملك يخبأ الذهب وقد صار الآن الذهب يخبؤه .

وتقدم إليه آخر والناس يبكون حوله فقال : حركنا بسكونه .

وتقدم إليه آخر فقال : كان الملك يعظنا فى حياته وهو اليوم أوعظ منه أمس (١) . وتقدم إليه آخر قائلاً : قد طوّف الأرض وتملكها ثم جعل منها فى أربعة أذرع . ووقف عليه آخر : انظر إلى حلم النائم كيف انقضى ، وإلى ظل الغمام وقد انجلى . ووقف عليه آخر : مالك لا تُقِلُّ عضواً من أعضائك وقد كنت تستقلُّ مُلْكَ العباد ؟ !

وقال آخر : مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان ، وقد كنت

ترغب بها عن رَحْبِ البلاد ؟ !

الفصل العاشر : فى رسائل الأجوبة

كتب عبد الله باشا فكرى المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ :

سَيِّدِي سَلِّمْكَ اللهُ وَحَيِّكَ وَأَسْعِدْنِي بِرُؤْيَا حُمَيْكَ ، وَزَادْ عَزَّكَ وَعُيَاكَ وَحَرَسْ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ ، وَجَمَعْنِي عَلَى بَسَاطَةِ الْمَسْرَةِ وَإِيَاكَ ، وَلا حَرَمْنِي دَوَامَ لِقِيَاكَ وَلا بَرَحَ مَبْتَسِمِ الثَّغْرِ بِمِحَاسِنِ مَعَالِيكَ ، مَبَاهِيَاً أَعْصَارَ الْأَوَائِلِ بِأَيَامِكَ وَلِيَالِيكَ مَحَلِيَاً أَجْيَادَ الْمَفَاخِرِ بِزَوَاهِرِ لآلِيكَ . وَرَدْ عَلَى كِتَابِكَ الْكَرِيمِ مَوْرِدَ إِعْزَازِ وَتَكْرِيمِ ، فَبَلِّ بَعْضَ مَا بِالْجَوَانِحِ مِنَ الصَّدَى ، وَأَنْعَشْ وَلا انْتَعَشْ الزَّهْرَ بِمَبَاكِرَةِ النَّدى ، وَجَلَا عَلَى مِنَ الْبِلَاغَةِ رَوْضاً غَضًّا ، وَأَدَارْ لَدَى صَفْوَاً مِنْ سُلَافِ الْمَحَبَّةِ مَحْضًّا ؛ وَهَزْنِي هِزَةَ النَّشْوَانِ شَوْقاً وَطَرِباً ، وَاسْتَفْزِنِي بِمَعْجَزِ آيَاتِهِ الْحَسَانِ عَجَباً ، وَعَجَباً وَنَشْرَ عَلَى مِنْ مِحَاسِنِ لَفْظِكَ الْحَرِّ وَكَلِمَاتِكَ الْغَرِّ ، مَا يَخْجَلُ الدَّرَارِي وَيَفْضَحُ الدَّرَّ .

(١) أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال :

وكانت فى حياتك لى عظات ، وأنت اليوم أوعظ منك حيا .

وكتب أيضاً وهو بالآستانة في يوم برد كثير الأمطار :

كُتِبْتُ إِلَيْكَ وَالْأَمَطَارُ سَاجِمَةٌ (١) بَطَّلَهَا (٢) وَوَبَّلَهَا (٣) وَعَسَاكِرُ الْبَرْدِ وَالْبَرْدُ
 هَاجِمَةٌ بِخَيْلِهَا وَرَجَلُهَا (٤) وَالسَّمَاءُ مُتَلَفَعَةٌ بِأَذْيَالِ السَّحَابِ ، وَكَأَنَّ الشَّمْسَ خَافَتْ
 مِنَ الطَّلِّ فَتَوَارَتْ بِالحِجَابِ ، وَالجَوُّ مَسْكِيٌّ الرِّدَاءِ ، عَنِيرِي الأَرَجَاءِ ، كَأَنَّهُ وَعَلِيهِ
 ثَوْبُ الغَيْمِ مَزْرُورٌ ، قَدْ وَجَلَّ (٥) مِنْ صَوْلَةِ البَرْدِ فلبسَ فَرَوَةَ السَّمُورِ وَالغَمَامِ قَدْ أَنَاخَ
 عَلَى الأفقِ بِكَلَاكِلِهِ (٦) ، وَهَزَمَ مِنَ البَرَقِ بِيضَ مَنَاصِلِهِ (٧) ، وَنَشَرَ فِي الجَوِّ طَرَائِقَ
 مَطَارِفِهِ (٨) ، وَجَادَ عَلَى الأَرْضِ بِتَلِيدِهِ (٩) ، وَطَارَفَهُ ، وَثَقَلَ عَلَى كَاهِلِ الهَوَاءِ كَالطَّيْرِ
 بَلَّ جَنَاحَهُ بِالماءِ ، وَقَرَّبَ حَتَّى كَادَ يُمَسِّكُ بِالْيَدَيْنِ وَيُعْتَصِرُ بِالرَّاحَتَيْنِ ، أَوْ كَأَنَّهُ
 مَرَأَةٌ مُذْهَبَةٌ تَبْدُو وَتَخْفَى ، أَوْ جَذْوَةٌ (١٠) مَلْتَهَبَةٌ تَوَقُّدُ وَتُطْفِئُ ، وَالرَّعْدُ يَهْدِدُ
 بِزَوَاجِرِ زَمَاجِرِهِ السَّحَابِ فَيُبْكِيهَا ، وَالطَّيْرِ يَتَلَوَّى سَطُورَ النَّدَى فِي طُرُوسِ
 الثَّرَى (١١) فَيُمْلِيهَا ، وَيُطْرِبُ بِأَفْئَانِ (١٢) الأَلْحَانِ أَفْئَانَ (١٣) البَانِ فَيُعْلِيهَا وَيثْنِيهَا
 وَيَقْرَأُ عَلَى رُؤُوسِ الأَغْصَانِ أَوْ رَأَدَهُ الحِسانِ فَيَقْرِبُهَا وَيُرْقِيهَا ، وَقَوْسُ السَّمَاءِ
 يرمى بِسَهَامِ وَبَلِّهِ (١٤) جَنُوبَ الشَّقَائِقِ (١٥) فَيُضْمِيهَا (١٦) وَيُدْمِيهَا ، وَالرِّيحُ تَمْسَحُ
 أَخْلَافَ (١٧) الغَمَائِمِ فُتْمُرِيهَا (١٨) ، وَتَرْضَعُ بِدُرِّهَا بَنَاتَ النِّبَاتِ فِي جُحُورِ أَرْضِيهَا
 فَتُرْبِيهَا وَتُرْبِيهَا ، وَتَرْضَعُ بِدُرِّهَا تَيْجَانَ القَضْبَانِ ، وَتَارَةَ تَجْعَلُهُ عَقُودًا فِي
 تَرَاقِيهَا (١٩) ، أَوْ دَمُوعًا فِي مَآقِيهَا ، وَكَأَنَّ الحَرَّ خَافَ مِنَ بِنَادِقِ البَرْدِ ، وَمَدْفَعِ

- (١) سائله (٢) الندى (٣) المطر الكثير (٤) المشاة على
 أرجلهم (٥) خف (٦) بجماعاته (٧) سيوفه (٨) ثياب من خز
 مربعة والمراد أنه كثر حتى غطى السماء (٩) المال القديم والطارف ضده
 والمراد كثر عطره (١٠) بتثليث الجيم الجمرة (١١) الأرض (١٢) جمع
 فن الغصن (١٣) الأغصان الناعمة (١٤) المطر الكثير (١٥) شقائق
 النعمان نبت أحمر (١٦) ليرميها ومراده أنه يرويها بالمطر حتى تزهو
 فتحمر (١٧) جمع خلف بالكسر الضرع (١٨) مري الناقة يمرها اذا
 مسح ضرعها لتدر اللبن (١٩) أعناقها .

الرَّعْد ، ففرَّ إلى مصر ونواحيها ، وأصبح نزيل من فيها ، لكرم أهلها ،
وكأن غيرها بخلت عليه فلم تقبله عندها ضيفاً ، أو غلط الناس في حساب
الفُصول فظنوا شتاها صيفاً .

وكتب حفي بك ناصف إلى الشيخ علي الليثي :

وصل يا مولاي إلى هذا الطَّرْف ، ما خصصت به العبد من الطَّرْف « قفص »
من عنب كاللؤلؤ في الصدف ، تتألق عناقيده كأنها من صناعة « النَّجف » ولعمر
الحق إنها تحفة من أحلى التحف لا يُعثر على مثلها إلا بطريق الصَّدْف فقابلناه لثماً
بالأفواه ورشفاً بالشفاه ، واحتفيناً (١) بقدمه كل الاحتفاء ، ولم نفرط في حبة
عند اللقاء ، بل حللنا له الحُبِّي (٢) ، وقلنا أهلاً وسهلاً ومرحباً ، وأوسعناهُ عضاً
ولثماً ، وتناولناه تخميشاً (٣) وضماً ، وحفظنا في صدورنا سره المكنون وطويناه في
غُضون (٤) البطون ، فطربت من تعاطيه الأرواح ، ولا غرؤ فهو أصلُ الرَّاح (٥) ،
وانتشيناً (٦) ولم نحمل وزراً ، وثملنا (٧) ولم نذق طعاماً مرّاً . فهو كبيان مُهديه
سِحْرٌ ولكنه حلال ، ولِعَبُّ إلا أنه كمال . فإن أكسبت الشمول شاربها قوة في
الجنان . ونفحت (٨) ذائقها طلاقة في اللسان ، فقد سرت في أجسامنا من حرارته
شجاعة « ليثية » ودبت في كلامنا من مذاقته فصاحة « علوية » وخلصت إلينا
منه فوائد لا يحيط بها العلم ، ونجمت (٩) عنه منافع ليس يصحبها إثم . فإن زعم
الأولون أن في الخمر معنى ليس في العنب ، فقد تغير الحال في هذه الهدية وانقلب ،
وانكشف للمتأخرين حقيقة الأمر أن في العنب معنى ليس في الخمر . وكان
الأحرى بهذا العنب أن يُنَاط (١٠) بالنُّحور أو تُزين به الصدور ، فما هو إلا
اللؤلؤ لكنه سلِّم من سجن البحار ، وما هو إلا الدرُّ لكن ليس فيه صغار (١١) .

(١) بالغنا في اكرامه وأظهرنا الفرح والسرور (٢) الجبال
(٣) المغازلة والملاعبة (٤) طيات البطون (٥) الخمرة (٦) شكرنا
(٧) شكرنا أيضاً (٨) أعطت (٩) أظهرت (١٠) يعلق (١١) بضم
الصاد الصغيرة .

وما ضره أن ضمّه القنص حصّةً من الحصص . فإن كريم الطير يودعُ فى الأقفاص ، والقلب ليس له من حنايا الضلع خلاص . فلا بدع أن تُستقلّ فى حباته حبات القلوب ، ويُسْتَمْلَح فى جنب حلاوته رُضاب (١) المحبوب . وكان الثريا لما أخذت شكله فغَرَ (٢) الهلالُ فاه لعنقودها يريد أكله فهو يطاردها فى السماء ويأخذ عليها الطريق من وراء ، وهى تجرى من الأمام مخافة الانتهام ؛ هذا لمجرد تشابه فى الشكل ، فكيف بالثريا لو أشبهته حلاوة ورياً (٣) فله تلك العناقيد وما أشدّ تألقها ! وأصنى ماءها وأحسن رونقها ! من كل عنقود تخاله عمود الصبح أحاطت به الدرارى ، أو غصن البان تعلقت به القمارى . فسقى الغيثُ أرضاً أنبتته ، ولا ثلّ (٤) الدهر عُروشاً حملته ، وأرضاً عرفتنا بأثمارها حلاوة الجنة ، وأبرزت لنا لمحةً من محاسنها المستكنة ، وأنسانا عنبها ذكرى دمشق (٥) وأزمير ، وأنباناً غارسها أن مصر خير مُستقر ، ولا ينبئك مثل خبير ، وعووساً كالعروس : تتيه (٦) فى الحلى والملبّرس تحسدها المجرة (٧) فى السماء وتودُّ لها هذه البهجة والرواء (٨) . ولا زال مولاي بُهدى ويهدى ، وصنائه تعيد فى ثنائه وتبدي .

فأجابه الشيخ على الليثى :

أما بعد . فقد وصل كتاب القاضى الفاضل ، فأرج الأرجاء بلطيف فواضله شريف الفضائل . ما كنت أظن أن يحصل من زيبية خمّاره ، حتى رأيتُ القاضى الفاضل سبكه فى قوالب شتى وصاغه ، وأتى بما أدهش اللب من أساليب البلاغة . فتارة عقداً فى النحور ، وتارة فى ميادين الطلب تطاردهُ البدور ،

(١) ريقه (٢) فتح (٣) منظرا حسنا (٤) لا هرم (٥) عاصمة الشام سميت باسم بانيتها دمشق بن دمشق بن كنعان (٦) تتبختر (٧) نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر وانما ينشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء (٨) بضم الراء حسن المنظر .

وأونة درأً مكبراً ، ومرةً خمراً معتبراً ، وساعة دوالى «نجفة» ، وساعة غصناً
تعلق به الهزار (١) وألفه :

تكاثرت الطباء على خراشٍ فما يدري خراش ما يصيد

عجباً لك أيها الفاضل ! هذا مع اشتغال بالك ، وإقبالك على ما لديك
من مراعاة عدلك واعتدالك ! فكيف لو تفرغت لهذا الأمر !؟ ولإراحة النفس ،
اعتصرت من العنقود قدحاً من خمر ، وامتطيت (٢) طرف اليراع منتهجاً
مناهج الطرس ، ودبجت (٣) بياض صفحاته بمحاسن حلى النفس (٤) فله
أنت من بليغ بلغ ما يريد ، وقلد فرائد آدابه كل جيد ! وأفاد السحر
منثوراً فى فواصله ، وأقام بعوامل أفلامه تثقيف عوامله ! وأوجب علينا الشهادة
له بالسبق ، فأدعنا مسلمين والحق أحق - هذا ، ولولا أن يقال فلان جفاً ،
وما احتفل بكتاب أخيه ولا احتفى (٥) ، وإن كان شيبى يلزمنى ذلك ،
كما أن شباب (البيك) يسلك به أقوم المسالك ، لسترت عيى وما أشرت ،
ورأيت طيبى خيراً لى مما نشرت ، وجعلت كتاب سيدى فى عنق تيممة (٦)
وروّحت النفس تيمناً (٧) بمس آياته الكريمة ، وقلت : كفانى ما أحاط
بالعنق من قلائده ، حيث العبد لا يبلغ الفخامة كمال سيده .

وهبنى قلت هذا الصبح ليل أيعمى العالمون عن الضياء ؟

لا زالت بردُ الترسل بيننا مُستمرّة ، ومدد التوسل على جناح التقرب
مستقرة ، ولا برح الجناب فى كل بداية : يترقى كما يجب من غاية إلى غاية والسلام .

الفصل الحادى عشر : فى رسائل الوصايا والشفاغات

من وصية عمر بن الخطاب لسعد بن أبى وقاص فى غزوة الفرس :

إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة ، وهو دين الله

(١) بفتح الهاء طائر يقال له العندليب (٢) علوت (٣) نقشت (٤) بكسر
النون العبر (٥) ولا سأل (٦) ما تكتب وتعلق فى عنق الصبيان للحرز (٧) تبركا

الذى أظهره وجُنْدُه الذى أعدّه وأمدّه ، حتى بلغ ما بلغ ، وطلع حينما طلع ، ونحن على موعد من الله ، والله مُنجزٌ وَعَدَه ، وناصرٌ جُنْدَه - ومكان التميم بالأمير مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه ، فإذا انقطع النظام تفرّق الخرز وذهب ، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً .

والعربُ اليومَ ، وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام ، عزيزون بالاجتماع ، فكن قُطباً ، واستندِرِ الرّحى بالعرب ، وأصلهم دونك نارَ الحرب ، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها ، حتى يكون ما تدعُ ورآءك مِنَ العورَات أهم إليك مما بين يديك .

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا هذا أصل العرب ، فإذا قَطَعْتُمُوهُ استرحتم ؛ فيكون ذلك أشدَّ لِكَلْبِهِمْ عليك وطعمهم فيك . فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين ؛ فإن الله سبحانه هو أكرم لمسيرهم منك ، وهو أقدر على تغيير ما يكره . وأما ما ذكرت من عددهم فإننا لم نكن نُقاتل فيما مضى بالكثرة ، وإنما كُنَّا نقاتل بالنصر والمعونة .

ومن وصية للنبي عليه الصلاة والسلام :

أما بعد ؛ فقد جعل الله لى عليكم حقاً بولاية أمركم ، ولكم على من الحق مثل الذى لى عليكم ، فالحق أوسعُ الأشياءِ فى التواصف ، وأضيقُها فى التناصف لايجرى لأحدٍ إلا جرى عليه ، ولايجرى عليه إلا جرى له ، ولو كان لأحد أن يجرى له ولايجرى عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه ، لقدرته على عباد ، ولعدله فى كل ماجرت عليه صُرُوف قضائه ، ولكنّه جعل حقه على العباد أن يطلعوهُ ، وجعل جزاءهم عليه مُضاعفةً الثواب تفضلاً منه وتوسعاً بما هو من المزيد أهله ، ثم جعل الله سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض ؛ فجعلها تكافؤاً فى وجوها ، ويوجب بعضها بعضاً ، ولا يُستوجب

بعضها إلا ببعض ، وأَعْظُمُ ما افترض سبحانه من تلك الحقوق ، حقُّ الوالى على الرَّعِيَّةِ ، وحقُّ الرَّعِيَّةِ على الوالى ؛ فريضة فرضها سبحانه لكلِّ على كلِّ ، فجعلها جمعاً لألْفَتَهُمْ وعزاً لدينهم ، فليست تصلح الرِّعيةُ إلا بصلاح الولاة ، ولا تصلح الولاةُ إلا باستقامة الرِّعيةِ . فإذا أدَّت الرِّعيةُ إلى الوالى حقه ، وأدَّى الوالى إليها حقه ، عزَّ الحقُّ بينهم ، وقامت مناهج الدين ، واعتدلت معالم العدل وجرَّت على إذلالها السننُ ، فصلح بذلك الزمان ، وطُبع في بقاء الدولة ، ويئست مَطَامِعُ الأعداءِ ، وإذا غلبت الرِّعيةُ واليها ، وأجحف الوالى برعيته ، اختلفت هنالك الكلمة ، وظهرت معالم الجور ، وكثُرَ الإدغال في الدين ، وتُرِكَتْ محاجُّ السننِ ، فعمل بالهوى ، وعطلت الأحكام ، وكثرت علل النفوس ؛ فلا يستوحش لعظيم حق عطل ولا لعظيم باطلٍ فُعل ؛ فهناك تذللُّ الأبرار وتعزُّ الأشرار ، وتعظمُ تبعاتُ الله عند العباد . فعليكم بالتناصح في ذلك وحُسن التعاون عليه ، فليس أحدٌ وإن اشتدَّ على رضاء الله حِرْصُهُ ، وطال على العمل اجتهادُهُ ، يبالغ حقيقة ما الله أهله من الطاعة ، ولكن من واجب حقوق الله على عباده ، النصيحة بمبلغ جهدهم ، والتعاون على إقامة الحق بينهم . وليس امرؤٌ وإن عظمت في الحقِّ منزلته ، وتقدّمت في الدين فضيلته ، بفوق أن يُعان على ما حمَّله الله من حقه ، ولا امرؤٌ وإن صغرته النفوس ، واقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك ، أو يُعان عليه .

فأجابه عليه الصلاة والسلام رَجُلٌ من أصحابه بكلام طويل يُكثِرُ فيه من الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته ، فقال عليه الصلاة والسلام : إنَّ من حقِّ من عظم جلالُ الله في نفسه ، وجلُّ موضِعُهُ من قلبه ، أن يصغرَّ عنده لعظم ذلك كلِّ ما سواه ، وإنَّ أحقَّ من كان كذلك لَمَنَ عظمت نِعْمَةُ الله عليه ولطفَ إحسانه إليه ، فإنه لم تعظم نِعْمَةُ الله على أحدٍ إلا ازدادَ حقُّ الله عِظْماً ، وإنَّ من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس ، أن يظنَّ بهم حبُّ

الفخر ، ويوضع أمرهم على الكبير ، وقد كرهت أن يكون جالاً فى ظنكم
أنى أحب الإطراء واستماع الثناء ، ولست بحمد الله كذلك ، ولو كنت أحب
أن يقال ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من
العظمة والكبرياء ، وربما استحل الناس الثناء بعد البلاء ، فلا تشنوا على
بجميل ثناء لإخراجى نفسى إلى الله وإليكم من التقيّة فى حقوق لم أفرغ من
أدائها ، وفرائض لا بدّ من إضاهاها ، فلا تكلمونى بما تكلم به الجبابرة ،
ولا تتحفظوا منى بما يتحفظ به عند أهل البادية ، ولا تخالطونى بالمصانعة ،
ولا تظنوا بى استثقلاً فى حق قبيل لى ، ولا التماس إعظام لنفسى ، فإنه من
استثقل الحق أن يقال له ، أو العدل أن يعرض عليه ، كان العمل بهما أثقل
عليه ، فلا تكفوا عن مقالة بحق ، أو مشورة بعدل ، فإنى لست فى نفسى
بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلى ، إلا أن يكفينى الله من نفسى ما هو
أملك به منى ؛ فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره ، يملك منى
ما لا تملك من أنفسنا ، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه ، فأبدلنا
بعد الضلالة بالهدى ، وأعطانا البصيرة بعد العمى .

ومن وصية له عليه الصلاة والسلام وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو :

فإذا نزلتم بعدو ، أو نزل بكم ، فليكن معسكركم فى قبيل الأشراف ،
وسفاح الجبال ، أو أثناء الأنهار . كما يكون لكم ردى ، ودونكم مرداً ،
ولتكن مقاتلكم من وجه واحد أو اثنين ، واجعلوا لكم رقباء فى صياصى
الجبال ، ومناكب الهضاب ، لئلا يأتىكم العدو من مكان مخافة أو أمن .
واعلموا أن مقدّمه القوم عيونهم وعيون المقدّمه طلائعهم . وإياكم والتفرق ،
فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً ، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً ، وإذا غشيتكم الليل
فاجعلوا الرماح كقمة ، ولا تدوقوا التّوم إلا غراراً أو مضمضة .

ومن وصية له عليه الصلاة والسلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات :
انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ، ولا تُروِّعَنَّ مسلماً ، ولا تتجارتَنَّ
عليه كارهاً ، ولا تأخذَنَّ منه أكثر من حق الله فى ماله . فإذا قدمت على الحى
فانزل بمائهم من غير أن تخالطَ. أبياتهم ، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار ،
حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ، ولا تخرج بالتحية لهم . ثم تقول : عباد الله ،
أرسلنى إليكم ولئى الله وخليفته . لاخذ منكم حق الله فى أموالكم ، فهل لله فى
أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه ؟ فإن قال قائل منهم : لا ، فلا تراجع .
وإن أنعم لك منعم ، فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده ، أو تعسفه أو
ترهقه ، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة ، فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها
إلا بإذنه ، فإن أكثرها له ، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط . عليه ،
ولا عنيف به ، ولا تنفرن بهيمة ، ولا تفرعنها ، ولا تسوعن صاحبها فيها ،
واصدع المال صدعين ثم خير ، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره ، ثم اصدع
الباقى صدعين ثم خير ، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره ، فلاتزال بذلك
حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله فى ماله فاقبض حق الله منه ، فإن استقالك
فأقله ، ثم اخلطها ثم اصنع مثل الذى صنعت أولاً حتى تأخذ حق الله فى ماله ،
ولا تأخذن عوداً ولاهرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار ، ولا تأمنن
عليها إلا من تثق بدينه رافقاً بمال المسلمين حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه
بينهم ، ولا تؤكل بها إلا ناصحاً شفيقاً وأميناً حفيظاً غير معنف ولا مجحف
ولا مغلب ولا متعب ، ثم احذر إلينا ما اجتمع عندك نصيرهُ حيث أمر الله ،
فإذا أخذها أمينك ، فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وبين فصيلها ، ولا
يمضرب لبيها فيضر ذلك بولدها ، ولا يجهدنهار كوباً ، وليعدل بين صواحبها
فى ذلك وبينها ، وليرفقه على اللأغب ، وليستان بالنقب والظالم وليوردها
ماتر به من الغدر ، ولا يعدل بها نبت الأرض إلى جواد الطرُق وليروحها فى

الساعات ، ولئيمهـلها عند التّطاف والأعشاب حتى تاتئينا بإذن الله بؤدنا منقـيات ، غير متعبات ولا مجهودات ، لنقسـمها على كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وعلى آله) فإن ذلك أعظم لأجرِك ، وأقرّ لرؤسـدك إن شاء الله .

وقال عليه الصلاة والسلام وقد سمع رجلاً يذم الدنيا :
 أيها الدّامُ للدنيا المغترُّ بغرورها ، المخدوعُ بأباطيلها ، أتغترُّ بالدنيا ثم تدمها ؟ ! أنت المتجرّم عليها أم هى المتجرّمة عليك ؟ ! متى استهوتك ؟ ! أم متى غرتك ؟ ! أبمصارع آباتك من البلى ؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى ؟ ! كم عللت بكفيك ؟ ! وكم مرّصت بيديك ؟ ! تبغى لهم الشفاء : وتستوصف لهم الأطباء ، لم ينفع أحدهم إشفاقك ، ولم تسعفه بطلبتك ، ولم تدفع عنه بقوتك ، وقد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك .
 إن الدنيا دارٌ صدق لمن صدّقها ، ودارٌ عافية لمن فهم عنها ، ودارٌ غنى لمن تزوّد منها ، ودارٌ موعظة لمن اتّعظ بها . مسجدُ أحبّاء الله ، ومُصلى ملائكة الله ، ومهبط وحى الله ، ومتجرّ أولياء الله ، اكتسبوا فيها الرّحمة وربّحوا فيها الجنة ، فمنّ ذا يذمّها وقد آذنت بيئنها ، وناذت بفراقها ، ونعت نفسها وأهلها ، فمثلت لهم ببلائها البلاء ، وشوقتهم بسرورها إلى السُّرور ، راحت بعافية ، وابتكرت بفجيعة ، ترغيباً وترهيباً ، وتخويفاً وتحذيراً ، فذمّها رجالٌ غداة الندامة ، وحمدها آخرون يوم القيامة ، ذكرتهم الدنيا فتذكروا ، وحدثتهم فصدّقوا ، ووعظتهم فاتّعظوا .

عهد الإمام على المتوفى سنة ٤٠هـ لمالك بن الحارث الأشتر النخعى ، حين ولاه مصر وجباية خراجها وجهاد عدوها وإصلاح أهلها وعمارة بلادها :

اعلم يامالكُ أنى قد وجهتكَ إلى بلادٍ قد جرّت عليها ذولٌ قبلك من عدلٍ وجور ، وأنّ الناس ينظرون من أمورك فى مثل ماكنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ، ويقولون فيك كما كنت تقول فيهم ، وإنما يستدلُّ على الصالحين

بما يجرى الله لهم على ألسنة عباده ، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح ، فأملك هواك ، وشح بنفسك عما لا يحل لك ، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت .

وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتנם أكلهم ، فإنهم صنفان : إما أخ لك فى الدين ، وإما نظير لك فى الخلق ، يفرط منهم الزلل ، وتعرض لهم العلل ويوقى على أيديهم فى العمد والخطأ ، فأعطهم من عفوك وصفحك ، مثل الذى تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فإنك فوقهم ، ووالى الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولأك ، وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم ، ولا تنصبن نفسك لحرب الله ، فإنه لا قبيل لك بنقمته ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ، ولا تندمن على عفوه ، ولا تبجنن بعقوبة . ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة ، ولا تقولن إني مؤمر أمر فأتطاع ، فإن ذلك إدغال فى القلب ، ومنهكة للدين ، وتقرب من الغير . وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة ، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك ، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فإن ذلك يطامن إليك من طماحك ، ويكف عنك من غريك ، وينبئ إليك بما عزب عنك من عقلك . وإياك ومساماة الله فى عظمته ، والتشبه به فى جبروته فإن الله يدل كل جبار ، ويهين كل مختال . أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيته ؛ فإنك إن لم تفعل تظلم . ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله أدخض حجبته ، وكان الله حربا عليه حتى ينزع ويتوب . وليس شئ أذى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم ، فإن الله سميع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد . وليكن أحب الأمور إليك أوسطها فى الحق وأعمها فى العدل وأجمعها لرضاء الرعية فإن سخط العامة يجحف برضاء الخاصة وإن

سخط. الخاصة يُتَغَفَّرَ مع رضاء العامة ، وليس أحدٌ من الرعية أثقلَ على الوالى مؤونة فى الرِّخاءِ وأقلَّ معونةً فى البلاءِ ، وأكْرَهَ للإِنصافِ ، وأسألُ بالإلحافِ ، وأقلُّ شكراً عند الإِعطاءِ وأبطأَ عُذْراً عند المنعِ ، وأخفَّ صبراً عند ملماتِ الدهرِ ، من أهلِ الخاصةِ . وإنما عماد الدينِ ، وجماع المسلمين ، والعدة للأعداءِ ، العامةُ من الأمةِ ؛ فليكنْ صفوكَ لهم وميلكَ معهم ، وليكنْ أبعدَ رعيتهِ منكِ وأشأنهمُ عندكِ ، أطلبهمُ لمعايبِ الناسِ فإن فى الناسِ عُيوباً ، الوالى أحقُّ مَنْ سترها ، فلا تكشفنَّ عما غاب عنك منها ، فإنما عليك تظهير ما ظهرَ لكِ ، والله يحكم على ما غاب عنك ، فاستُر العورةَ ما استطعتِ يستر الله منك ماتحب ستره من عورتك .

أطلق عن الناسِ عقدة كلِّ حقد ، واقطع عنك سبب كلِّ وتر ، وتغابَ عن كلِّ ما لا يصح لكِ ، ولا تعجلنَّ إلى تصديقِ ساع ، فإن الساعى غاشٌّ بالتأصحين ، ولا تدخلنَّ فى مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضلِ ويعدك الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزيّن لك الشرَّ بالجور ، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى ، يجمعها سوءُ الظنِّ . إنَّ شرَّ وُزرائك مَنْ كان قبلك للأشرار وزيراً ومَنْ شركهم فى الآثام ، فلا يكوننَّ لك بطانة ، فإنهم أعوان الأئمة ، وإخوان الظلِّمة ، وأنت واجدٌ منهم خيرَ الخلفِ ممن هوَ مثل آرائهم ونفادهم ، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ، ممن لا يُعاون ظالماً على ظلمه أو آثماً على إثمه ، أولئك أخفَّ عليك مؤونة وأحسن لك معونة ، وأخفى عليك عطفاً ، وأقلُّ لغيرك إلفاً ، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك . ثم ليكنْ آثرهمُ عندك أقولهم لك بمرُّ الحق ، وأقلهم مُساعدةً فيما يكون منك مما كرهه الله لأوليائه ، واقعاً ذلك هواه حيث وقع ، وألصقُ بأهل الورع والصدق . ثم رُضهم على أن لا يُطروك ، ولا يبججحوك بباطل لم تفعله ؛ فإن كثرة الإطراء تُحدث الزهو ، وتُدننى من العزة ، ولا يكوننَّ المحسن والمسيء

عندك بمنزلة سواء ، فإن فى ذلك تزهيداً لأهل الإحسان فى الإحسان ، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة . وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه . واعلم أنه ليس شئٌ يَأْدَعى إلى حُسْنِ ظَنِّ وَالٍ برعيته من إحسانه إليهم ، وتخفيفه المؤونات عليهم ، وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم ؛ فليكنْ منك فى ذلك أمرٌ يجمع لك حُسْنَ الظنِّ برعيّتك ، فإن حُسْنَ الظنِّ يقطعُ عنك نَصَباً طويلاً ، وإن أَحَقَّ مَنْ حُسْنَ ظَنِّكَ بِهِ . لمن حسن بلاؤك عنده ، وإن أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ ، لمن ساء بلاؤك عنده ، ولا تنقض سنة صالحه عمل بها صُدُور هذه الأمة ، واجتمعت بها الأئمة ، وَصَلَحَتْ عليها الرعية ، ولا تُحَدِثَنَّ سنة تَضُرُّ بشئٍ مما مضى من تلك السنين فيكون الأجر لمن سنها ، وَالْوِزْرُ عليك بما نقضت منها . وأكثر مُدَارَسَةَ العلماءِ ومناقشة الحكماءِ فى تشبيات ما صَلَحَ عليه أمرُ بلادك ، وإقامة ما استقام به الناس قبلك . واعلم أن الرعية طبقاتٌ لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غِنَى لبعضها عن بعض ، فمنها جنود الله ، ومنها كُتَّابُ العامة والخاصة ، ومنها قُضَاةُ العدل ، ومنها عُمَالُ الإنصاف والرفق ، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومُسَلِّمَةُ الناس ، ومنها التُّجَّارُ وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة ؛ وكلاً قد سَمَّى اللهُ سهمه ، ووضع على حده فريضةً فى كتابه ، أو سُنَّةَ نبيِّه صلى الله عليه وسلم عهداً منه عندنا محفوظاً . فالجنود بإذن الله حُصُونُ الرعية ، وزينُ الولاية ، وعز الدين وسُبُلُ الأمن ، وليس تقوم الرعية إلا بهم ، ثم لا قِوَامَ للجنود إلا بما يخرج الله تعالى لهم من الخراج الذى يَقْوُونَ به فى جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ، ويكون من وراء حاجتهم . ثم لا قِوَامَ لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتَّاب ، لما يحكمون من المعاهد ، ويجمعون من المنافع ، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وَعَوَامِهَا . ولا قِوَامَ لهم جميعاً إلا بالتجار وذوى الصناعات فيما

يجتمعون عليه من مرافقيهم ، ويقيمونه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ، ما لا يبلغ رفق غيرهم ، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفقهم ومعونتهم ، وفي الله لكل سعة ، ولكل على الوالى حق بقدر ما يصلحه . وليس يخرج الوالى من حقيقة ما ألزَمَهُ اللهُ من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزومه الحق والصبر عليه فيما خفَّ عليه أو نُقِلَ . فَوَلِّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك ، وأظهرهم جيباً وأفضاهم حاماً ممن يبطل عن الغضب ، ويستريح إلى العذر ، ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء ، ممن لا يثيره العنف ، ولا يقعد به الضعف ، ثم الصق بَدْوِ المروآت والأحساب ، وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والساحة ، فإنهم جُمَاعٌ من الكرم ، وشُعَبٌ من العُرف ، ثم تفقّد مِنْ أُمُورِهِم ما يتفقده الوالدان من ولدهما ، ولا يتفاقمَنَّ في نفسك شَيْءٌ قويتهم به ، ولا تحقِرَنَّ لطفاً تتعاهدهم به وإن قَلَّ ، فإنه داعيةٌ إلى بذل النصيحة لك وحُسن الظن بك ، ولا تدع تفقّد لطيف أُمُورِهِم اتكالا على جسيمها ، فإن لليسير من لُطْفِكَ موضعاً ينتفعون به وللجسيم مَوْقِعاً لا يستغنون عنه . وليكن أثر رُؤُوس جُنُودِكَ عندك من واساهم في معونته ، وأفضلَ عليهم مِنْ جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خُلوْفِ أهلهم حتى يكون همهم همّاً واحداً في جهاد العدو ، فإن عَطْفَكَ عليهم يُعَطِّف قلوبهم عليك ، وإن أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الوِلاَةِ استقامة العَدْلِ في البلاد ، وظهور مَوَدَّةِ الرعيَّةِ ، وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم ، ولا تصح نصيحتهم إلا ببحيظتهم على وِلاَةِ أُمُورِهِم ، وقلة استثقال دُولِهِم ، وترك استبطاء انقطاع مدتهم . فأفسح في آمالهم ، وواصل في حُسنِ الثناء عليهم ، وتعيد ما أبلى ذوو البلاء منهم ؛ فإن كثرة الذِّكْرِ لِحُسنِ فعالهم تهب الشجاع وتحرض الناكل إن شاء الله تعالى . ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى ، ولا تضيفن بلاء امرئ إلى غيره ، ولا تقصرن دُونَ غاية بلائه ، ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً

ولاضعةً امرى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً ، وارُدُّد إلى الله ورُسوله ما يُضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور ؛ فقد قال سبحانه لقوم أحبَّ إرشادهم « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأولى الأمرِ منكم ، فإن تنازعتم في شئٍ فردُّوه إلى الله والرسولِ » فالرَّد إلى الله الأخذ بمُحكَم كتابه ، والرَّد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة . ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته في نفسك من لا تضيقُ به الأمور ولا تمحكه الخصوم ، ولا يتأدى في الزلة ، ولا يحصر عن الفِئء إلى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفى بأدنى فهمٍ دون أقصاه ؛ أوقفهم في الشبهات ، وآخذهم بالحُجج ، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشيف الأمور ، وأصرمهم عند اتضاح الحكم ، مِمَّن لا يَزِدْهيه إطرأً ، ولا يستميله إغراءً ، وأولئك قليل . ثم أكثر تعاهد قضاائه ، وأفسح في البذل ما يزيد عنته وتقل معه حاجته إلى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ، لتأمن بذلك اغتياب الرجال له عندك . فانظر في ذلك نظراً بليغاً ، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار ، يُعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا . ثم انظر في أمور عمالك ، فاستعملهم اختباراً ، ولا تولهم محاباةً وأثرة ، فإن ذلك جماعٌ من شعب الجور والخيانة ، وتوخَّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدَم في الإسلام ، فإنهم أكرمُ أخلاقاً وأصح أعراساً ، وأقل في المطامع إشرافاً ، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً ، ثم أسبغ عليهم الأرزاق ، فإن ذلك قوَّة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحُجَّة عليهم إن خالفوا أمرَكَ أو خانوا أمانتَكَ . ثم تفقَّد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن تعاهدك في السرِّ لأموالهم حدوداً لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية . وتحفظ من الأعوان فإنَّ أحدٌ منهم بسط يدهُ إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك ، اكتفيت

بذلك شاهداً ، فبسطت عليه العقوبة فى بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة .

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله ، فإن فى صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله ، وليكن نظرك فى عمارة الأرض ، أبلغ من نظرك فى استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يُدرك إلا بالعمارة ؛ ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد ، وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلا قليلاً . فإن شكواً ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو حالة أرض اعتمرها غرق ، أو أجحف بها عطش ، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم ، ولا يثقلن عليك شىء خففت به المؤونة عنهم ، فإنه ذخر يعودون به عليك فى عمارة بلدك وتزيين ولايتك ، مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً على فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم ، والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم فى رفقك بهم ، فربما حدث من الأمور ما إذا عول فيه عليهم من بعد احتمالوه طيبة أنفسهم به ، فإن العمران يحتمل ما حملته ، وإنما يأتى خراب الأرض من إعواز أهلها ، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعبر .

ثم انظر فى حال كتابك فول على أمورك خيرهم ، واخصص رسائلك التى تدخل فيها مكائلك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ممن لا تُبطره الكرامة فيجتري بها عليك فى خلاف لك بحضرة ملا ، ولا تُقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك ، وإصدار جواباتها الصواب عنك فيما يأخذك ويعطى منك ، ولا يضعف عقداً اعتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك ، ولا يجعل مبلغ قدر نفسه فى الأمور ، فإن الجاهل بقدر نفسه ، يكون بقدر غيره أجهل ، ثم لا يمكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك ، فإن الرجال يتعرفون لفراست الولاة بتصنعهم وحسن

خدمتهم ، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شىء ، ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك ، واعمد لأحسنهم فى العامة أثراً وأعرفهم بالأمانة وجهاً ، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره ، واجعل لرأس كل من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ، ولا يتسلط عليه صغيرها ، ومهما كان فى كتابك من عيب تغابيت عنه أزمته .

ثم استوصى بالتجار وذوى الصناعات وأوصى بهم خيراً ، المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق بيده ، فإنهم مواد المنافع ، وأسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح ، فى برك وبحرك ، وسهلك وجبلك ، وحيث لا يلتم الناس لمواضعها ، ولا يجترئون عليها ، فإنهم يسلمون لا تخاف بائقته ، وصلح لا تخشى غائلته . وتفقد أمورهم بحضرتك وفى حواشى بلادك ، واعلم مع ذلك أن فى كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً ، واحتكاراً للمنافع ، وتحكماً فى البياعات ، وذلك بابٌ مضرة للعامة ، وعيب على الولاية ، فامنع من الاحتكار ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم منع منه ، وليكن البيع بيعاً سمحاً ، بموازين عدل ، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع ، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكّل به وعاقب فى غير إسراف .

ثم الله فى الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين ، والمحتاجين ، وأهل البؤسى والزمنى ، فإن فى هذه الطبقة قانعاً ومعتراً . واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت مالك ، وقسماً من غلات صوافى الإسلام فى كل بلد ، فإن للأقصى منهم مثل الذى للأدنى وكل قد استرعيت حقه ، فلا يشغلنك عنهم بطر ، فإنك لا تعدر بتضييعك التفاهة لإحكامك الكثير المهم ، فلا تشخص همك عنهم ، ولا تُصغر خدك لهم ، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تفتحهم العيون ، وتحتقره الرجال ، وفرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم .

ثم اعمل فيها بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه ، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم ، وكل فاعذر إلى الله تأدية حقه إليه ، وتعهد أهل اليم وذوى الرقة فى السن ممن لا حيلة له ، ولا ينصب للمسألة نفسه ، وذلك على الولاية ثقيل ، والحق كله ثقيل ، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم .

واجعل لذوى الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذى خلقك ، وتقعده عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك ، حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى غير موطن : « لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير متعتع » .

ثم احتمل الخرق منهم والى وسنح عنهم الضيق والأنف ، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ، ويوجب لك ثواب طاعته ، وأعط ما أعطيت هنيئاً ، وامنع فى إجمال وإعذار .

ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها ، منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك ، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تخرج به صدور أعوانك ، وأمض لكل يوم عمله ، فإن لكل يوم ما فيه ، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله تعالى أفضل تلك المواقيت ، وأجزل تلك الأقسام ، وإن كانت كلها لله إذا صلحت النية وسلمت منها الرعية ، وليكن فى خاصة ما تخلص لله به دينك إقامة فرائضه التى هى له خاصة ، فأعط الله من بدنك ، فى ليلك ونهارك ، ووف ما تقربت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص بالغاً من بدنك ما بلغ ، وإذا قمت فى صلاتك للناس فلا تكونن منفرداً ولا مضيعاً ، فإن فى الناس من به العلة وله الحاجة .

وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجهنى إلى اليمن : كيف أصلى بهم ؟ فقال : « صلُّ بهم كصلاة أضعفهم ، وكن بالمؤمنين رحيمًا » .

أما بعدُ ، فلا تطوّلن احتجاجك عن رعيتك ، فإن احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمر ، والاحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه ، فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل ، وإنما الوالى بشر لا يعرف ما نوارى عنه الناس به من الأمور ، وليست على الحق سيئات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب ، وإنما أنت أحد رجلين : إما امرؤ سخّت نفسك بالبذل فى الحق ، ففيم احتجاجك من واجب حق تعطيه ؟ أو فعل كريم تسديه ؟ أو مبتلى بالمنع فما أسرع كفت الناس عن مسألتك إذا أيسوا منك ، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤنة فيه عليك ، من شكاة مظلمة ، أو طلب إنصاف فى معاملة ؟

ثم إن للوالى خاصة بطانة فيهم استثثار وتطاؤل ، وقلة إنصاف فى معاملة ، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال ، ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وخاصتك قطيعة ، ولا يطمعن منك فى اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس فى شرب أو عمل مشترك ، يحملون مؤونته على غيرهم ، فيكون مهناً ذلك لهم دونك وعيبه عليك فى الدنيا والآخرة ، وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد ، وكن فى ذلك صابراً محتسباً ، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع ، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه ، فإن مغبة ذلك محمودة . وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرک ، وأعدل عنك ظنونهم بإصهارك ، فإن فى ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك ، وإعذاراً تبليغ به حاجتك من تقويم على الحق ، ولا تدفعن صلحاً دعا إليه عدوك ، والله فيه رضا ؛ فإن فى الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك ، وأماناً لبلادك ، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فإن العدو ربما قارب ليتغفل ،

فخذ بالحزم ، واتهم فى ذلك حسن الظن . وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة ، أو ألبسته منك ذمّة ، فحُطِّ . عهدك بالوفاء ، وارع ذمّتك بالأمانه ، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت ؛ فإنه ليس من فرائض الله شىء للناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم ، من تعظيم الوفاء باليهود ، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين ، لما استَوْبَلُوا من عواقب الغدر ، فلا تغدرن بدمّتك ، ولا تخيسن بعهدك ، ولا تختلن عدوك ، فإنه لا يجترى على الله إلا جاهل شقى ، وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته وحصناً يسكنون إلى منعته ، ويستفيضون إلى جواره ؛ فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ، ولا تعقد عقداً يجوز فيه الفلل ، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق ، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته ، خيرٌ من غدر تخاف تبعته ، وأن تحيط بك فيه من الله طلباً ، فلا تستقيم فيها دنياك ولا آخرتك .

إياك والدماء ، وسفكها بغير حلها ، فإنه ليس شىء أدمى لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ، ولا أحرى بزوال نعمة ، وانقطاع مدة ، من سفك الدماء بغير حقها ، والله سبحانه وتعالى يتولى الحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة ، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه ، بل يزيله ويثقله ، ولا عذر لك عند الله ولا عندى فى قتل العمد ، لأن فيه قود البدن ، وإن ابتليت بخطئ وأفرط عليك سوطك ، أو سيفك ، أو يدك ، بعقوبة ، فإن فى الوكرة فما فوقها مقتلة ، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك ، عن أن لا تؤدى إلى أولياء المقتول حقهم .

وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحُب الاطراء ، فإن ذلك من أوثق فُرْصِ الشيطان فى نفسه ، ليمحَقَ ما يكون من إحسان المحسنين .

وإياك والمن على رَعَيْتِكَ بإحسانك ، أو التزيد فيما كان من فعلك أو أن تَعِدَّهُمْ
فتتبع موعدك بخُلفك ، فإن المن يبطل الإحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق
والخلف يوجب المقت عند الله والناس ، قال الله سبحانه وتعالى : « كَبِيرٌ مَقْتًا
عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » .

وإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأَمْرِ قَبْلَ أَوَانِهَا ، أَوْ التَّسْقُطُ . فَمَا عِنْدَ إِمكَانِهَا ، أَوِ اللَّجَاجَةَ
فِيهَا إِذَا تَنَكَّرْتَ ، أَوِ الْوَهْنَ عِنْدَ إِذَا اسْتَوْضَحْتَ ، فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ وَأَوْقِعْ
كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ . وإِيَّاكَ وَالِاسْتِثْنَاءَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أَسْوَةٌ ، وَالتَّغَابِيَّ عَمَّا يَعْني بِهِ مَا
قَدْ وَضَحَ لِلْعَيُونَ ، فَإِنَّهُ مَا أَخُوذُ مِنْكَ لِغَيْرِكَ وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الْأُمُورِ ،
وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ ، وَأَمَّا حَمِيَّةُ أَنْفِكَ ، وَسُورَةُ حَدِّكَ وَسَطْوَةُ يَدِكَ ،
حَتَّى يَسْكُنَ لِسَانُكَ ، وَاحْتِرَاسُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَيْفِ الْبَادِرَةِ ، وَتَأْخِيرُ السَّطْوَةِ
حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكُ الْإِخْتِيَارَ ، وَلَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تَكْثُرَ
هُمُومُكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ . وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقْدَمُكَ
مِنْ حُكُومَةِ عَادِلَةٍ ، أَوْ سِنَةِ فَاضِلَةٍ ، أَوْ آثَرٍ عَنِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَسَلَّمَ أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مَا عَمَلْنَا بِهِ فِيهَا ، وَتَجْتَهِدُ
لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهَدْتَ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا وَاسْتَوْثَقْتَ بِهِ مِنَ الْحِجَّةِ
لِنَفْسِي دَلِيلًا لِكَيْلَا يَكُونَ ذَلِكَ عِنْدَ تَسْرَعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا ، وَأَنَا
أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ ، أَنْ يَوْفِقَنِي
وإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى الْعِذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ ، وَإِلَى خَلْعِهِ مِنْ حَسَنِ
الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ ، وَجَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْبِلَادِ ، تَمَامِ النِّعْمَةِ ، وَتَضْعِيفِ الْكِرَامَةِ ،
وَأَنْ يَحْتَمِيَ لِي وَلِكِ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ . إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ، وَالسَّلَامُ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ .

وكتب أبو بكر الصديق المتوفى في ٧ جمادى الثانية ١٣ هـ إلى بعض قواده
إذا سرت فلا تعنف أصحابك في السير ولا تغضبهم ، وشاور ذوي الآراء

منهم واستعمل العدل ، وباعد عنك الجور ، فإنه ما أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم (وإذا لقيتُم الذين كفروا زحفاً (!) فلا تولوهم الأدبار (٢) ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً (٣) لقتال ، أو متحيزاً (٤) إلى فئة ، فقد بآء بغضب من الله) ، وإذا نصرتم عليهم فلا تقتلوا شيخاً ، ولا امرأة ، ولا طفلاً ، ولا تحرقوا زرعاً ، ولا تقطعوا شجراً ، ولا تذبحوا بهيمة ، إلا ما يلبسكم للأكل ، ولا تغدروا إذا هادتم (٥) ولا تنقضوا إذا صالحتم ، وستمرون على أقوام في الصوامع ، ورهبان ترهبوا الله ، فدعوهم وما انفردوا إليه وما ارتضوه لأنفسهم ، فلا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهم - والسلام .

وكتب عمر بن الخطاب المتوفى في ٢٦ ذى الحجة سنة ٢٢ هـ إلى بعض قواده :

أما بعد : فإنني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وأن تكون أنت ومن معك أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استويننا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة « وإلا ننصر عليهم بطاعتنا ، لم نغلبهم بقوتنا » واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم .

وأقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة ، حتى تكون لهم راحة يُحيون فيها أنفسهم ، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ، ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تشق به . وليكن منك عند

(١) مجتمعين لكثرتهم يزحفون . (٢) الانهزام . (٣) متعطفاً .

(٤) منضماً الى جماعة يستنجد بها . (٥) صالحتم .

ذنوك أرض العدو أن تكثر الطلائع ، وتبث السرايا بينك وبينهم ، ثم أذك
أحراسك على عسكريك ، وتيقظ من البيئات جهديك . والله ولى أمرك ومن
معك ، وولى النصر لكم على عدوكم .

وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ إلى ابن أخته :
أنت وكلى ما دمت : والعلم شأنك ، والمدرسة مكانك ، والمجبرة حليفك ،
والدفتر أليفك ، فإن قصرت ولا إخالك ، فغيرى خالك ، والسلام .

ومن وصية ابن سعيد المغربي المتوفى سنة ٩٦٧ هـ لابنه ، وقد أراد السفر :

أودعك الرحمن فى غربتك	مرتقباً رُحماءه فى أوبتك
فلا تطلُ جبلَ النوى إنى	والله أشواق إلى طلعتك
واختصر التوديع أخذاً فما	لى ناظرٌ يقوى على فرقتك
واجعل وصاقى نُصبَ عين ولا	تبرح مدى الأيام من فكرتك
خلاصة العمر التى حنكت	فى ساعة زفت إلى فطنتك
فللتجاريب أمورٌ إذا	طالعتها تشخذ من غفلتك
فلا تم عن وعيها ساعة	فإنها عونٌ إلى يقظتك
وكل ما كابدته فى النوى	إياك أن يكسر من همتك
فليس يُدرى أصل ذى غربة	وإنما تعرف من شيمتك
وَأَشْرِى الهوىنا مظهراً عفة	وَأَبغِ رضا الأعين عن هيبتك
وانطق بـحيث العى مُستقبِح	واصمت بـحيث الخير فى سكتتك
ولج على رزقك من بابهِ	واقصد له ما عشت فى بكرتك
ووف كلاً حقه ولتكن	تكسير عند الفخر من حدثك
وحيثما خيمت فاقصد إلى	صحبة من ترجوه فى نصرتك
وللرزايا وثبةٌ ما لها	إلا الذى تذخر من عدتكَ

ولا تَقُلْ أَسْلَمْتُ لى وحدتى فقد تقاسى الذلَّ فى وحدتك
 ولتَجْعَلِ العَقْلَ مِحْكًا وخذ كَلًّا بما يظهر فى نقدتك
 واعتبر الناس بألفاظهم واصحب أخاً يرغب فى صحبتك
 كم من صديقٍ مُظهِرٍ نُصْحِهِ وفكره وَقَفَّ على عثرتك
 إياك أن تَقْرَبَهُ إِنَّهُ عَوْنٌ مع الدَّهْرِ على كربتك
 وَأَنْتُمْ نُمُو النَّبْتِ قد زاره غِيبَ النَّدى واسمُ إلى قدرتك
 ولا تُضَيِّعْ زَمَانًا مُمَكَّنًا تذكاره يذكى لظى حسرتك
 والشرُّ مهما امطعت لانتاتِهِ فإنه جَوْرٌ على مهجتك

يابنى ، الذى لا ناصح له مثلى ، ولا منصوح لى مثله - قد قدمت لك فى هذا
 النظم ما إن أخطرت به خاطرک فى كلِّ أوان رَجوت لك حسن العاقبة - إن شاء الله
 تعالى - وإن أخفَّ منه للحفظ ، وأعلق بالفكر ، وأحقَّ بالتقدم قولُ الأول :

يزينُ الغريبَ إذا ما اغتربَ ثلاثُ فمهنُ حسن الأدب
 وثانيةُ حُسن أخلاقه وثالثةُ اجتنابُ الريب

واصح يابنى إلى البيت الذى هو يتيمة الدهر ، وسلم الكرم والصبر :
 ولو أن أوطان الديار نبت بكم لكنتم الأخلاق والآداب

إذ حُسن الخلق أكرمُ نزيل ، والأدب أرحبُ منزل ، ولتكن كما قال
 بعضهم فى أديبٍ مُتَغَرَّبٍ : وكان كلما طرأ على ملك فكانته معه ولد ، وإليه
 لصد ، غير مُستريب بدهره ، ولا منكر شيئاً من أمره .

وإذا دعاك قلبك إلى صحبة من أخذ بمجامع هواه ، فاجعل التَّكَلُّفَ له
 سُلماً ، وهبَّ فى روض أخلاقه هَيُوبَ النسيم ، وحل بطرفه حلول الوسن ،
 وانزل بقلبه نزول المسرة ، حتى يتمكن لك ودأده ، ويخلص فيك اعتقاده

وطهر من الوقوع فيه لسانك ، وأغلق سمعك ، ولا تُرخص فى جانبه لحسود لك منه ، يريد إبعادك عنه لنفعة ، أو حسود له يَغَار لتجملهُ بصحبتك ، ومع هذا ، فلا تغتر بطول صحبته ، ولا تتمهد بدوام رقدته ، فقد يُنَبِّه الزمان ، ويتغَيَّر منه القلب واللسان ، وإنما العاقل من جعل عقله معياراً ، وكان كالمرآة يلقى كل وجه بمثاله ؛ وفى الأمثال العامة : « من سبقك بيوم سبقك بعقل » فاحتذ بأمثلة من جرب ، واستمع إلى ما خلد الماضون بعد جهدهم وتعبهم من الأقوال ، فإنها خلاصة عمرهم ، وزُبدة تجاربهم ، ولا تتكل على عقلك ، فإن النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم ، وأبتاعوه غالياً بتجاربهم ، يُربحك ويقع عليك رخيصةً ، وإن رأيت من له عقل ومروءة وتجربة ، فاستفد منه ولا تُضَيِّع قوله ولا فعله ، فإن فيما تلقاه تلقياً لعقلك ، وحتماً لك واهتداء . وليس كل ماتسمع من أقوال الشعراء يحسن بك أن تتبعه ، حتى تتدبره ، فإن كان موافقاً لعملك ، مصلحاً لحالك ، فراع ذلك عندك ، وإلا فانبذه نبذ النواة فليس لكلُّ أحد يُتَّبَع ، ولا كل شخص يُكَلِّم ، ولا الجود مما يُعْم به ، ولا حسن الظن وطيب النفس مما يُعَامَل به كلُّ أحد ، ولله درُّ القائل :

ومالٍ لا أوفى البرية قِسْطَها على قدرٍ ما يعطى وعقلى ميزان
 وإياك أن تعطى من نفسك إلا بقدر ، فلا تعامل الدُّون بمعاملة الكفاء ، ولا الكفاء بمعاملة الأعلى ، ولا تُضَيِّع عمرَك فيمن يعاملك بالمطامع ، ويُنْثَبِك على مصلحة حاضرة عاجلة ، بغائبة آجلة ، ولا تجف الناس بالجملة ، ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحق منه ملل ، ولا ضجر ، ولا جفاء ، فمتى فارقت أحداً ، فعلى حسنى فى القول والفعل ، فإنك لاتدرى هل أنت راجعٌ إليه ؟ ! فلذلك قال الأوَّل :

* ولما مضى سلمٌ بكيتُ على سلمٍ *

وإياك والبيت السائر :

وكنْتَ إذا حللتَ بدار قومٍ رحلتَ بخزية وتركتَ عاراً

واحرص على ما جَمَعَ قَوْلُ القائل : « ثلاثة تُبْقِي لك الوُدَّ في صدر أخيك أن تَبْدَأَهُ بالسَّلَام ، وتُوَسِّعَ له المجلس ، وتدْعُوهُ بأَحَبِّ الأَسْمَاءِ إليه » ، واحذر كل ما بَيَّنَّه لك القائل : « كل ما تغرسه تجنيه ، إلا ابن آدم ؛ فإذا غَرَسْتَهُ يقلعك » . وقول الآخر : « إن ابن آدم ذئب مع الضَّعْف ، أسدُّ مع القوَّة » وإياك أن تثبت على صحبة أحد قبل أن تُطِيلَ اختباره ، ويحكى أن ابن المقفع خطب من الخليل صُخْبَتَهُ ؛ فجاوبهُ : « إن الصُّحْبَةَ رِقٌّ ، ولا أضع رُفِّي في يديك حتى أعرف كيف ملكتك » واستمل من عين مَنْ تُعَاشِرُهُ ، وتَفَقَّدَ في فلتات الألسن ، وصفحات الأوجه ، ولا يحملك الحياء على السُّكُوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ أن لا تُبَيِّنَهُ ؛ فَإِنَّ الكلام سلاح السَّلْم ، وبالأنين يُعْرِفُ ألم الجرح ، واجعل لكل أمرٍ أخذت فيه غاية ، وتجعلها نهاية لك :

وخذ من الدهر ما أتاك به من قر عيناً بعيثه نفعه

إذ الأفكار تجلب الهموم ، وتُضَاعَفُ الغُموْمُ ، وملازمة القُطُوبِ ، عنوان المصائب والخطوب ، يستريب به الصاحب ، ويشمت العدو والمُجانِبُ ، ولا تضرَبْ بالوساوس إلا نفسك ، لأنك تنصر بها الدهر عليك - والله درُّ القائل :

إذا ما كنت للاحزان عوناً عليك مع الزمان فمن تلوم !؟

مع أنه لا يرد عليك الغائب الحزن ، ولا يرعون بطول عتبك الزمن . ولقد شاهدت (بغيرناطة) شخصاً قد ألفتة الهموم ، وعشقتة الغُموْمُ ، ومن صغره إلى كبره لا تراه أبداً خلياً من فكرة ، حتى لُقِّبَ « بصدر الهم » . ومن أعجب ما رأيته منه أنه يتنكَّدُ في الشدة ، ولا يتعلَّلُ بأن يكون بعدها فرج ، ويتنكَّدُ في الرِّخاءِ خوفاً من أن لا يدوم ، وينشد :

* توقَّع زوالاً إذا قيلَ تمَّ *

* وينشد : * وعند التناهي يقصر المتناول *

وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب ، ومثل هذا عمره محسور يمر ضياعاً

ومتى رفَعَكَ الزمان إلى قوم يذمون من العلم ما تحسب حسداً لك وقصداً
لتصغير قدرك عندك ، وتزهيدا لك فيه ، فلا يحملك ذلك على أن تزهد فى
علمك وتركن إلى العلم الذى مدحوه ؛ فتكون مثل الغراب الذى أعجبه مشى
الحجالة فرام أن يتعلمه فصعب عليه ، ثم أراد أن يرجع إلى مشيه فنسيه
فبقى مخبل المشى كما قيل :

إن الغراب وكان يمشى مشية فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطا وأراد يمشى مشيتها فأصابه ضربٌ من العقال
فأضل مشيته وأخطأ مشيتها فلذلك كنوه (أبا مرقال)

ولا يفسد خاطرك من جعل يذم الزمان وأهله ، ويقول : ما بقى فى الدنيا
كريم ولا فاضل ، ولا مكان يرتاح فيه ؛ فإن الذين تراهم على هذه الصفة
أكثر ما يكونون ممن صحبهم الحرمان ، واستحقت طلعتهم للهوان ، وأبرموا
على الناس بالسؤال فمقتوهم ، وعجزوا عن طلب الأمور من وجوها ؛
فاستراحوا إلى الوقوع فى الناس ، وأقاموا الأعدار لأنفسهم بقطع أسبابهم ،
ولا تزل هذين البيتين من فكرك :

لئن إذا ما نلت عزا فأخو العز يلين
فإذا نابك دهر فكما كنت تكون

والأمثال تُضرب لذى اللب الحكيم ، وذو البصر يمشى على الصراط المستقيم ،
والفطن يقنع بالقليل ، ويستدل باليسير . والله سبحانه خليفتى عليك لارب سواه .
وصية هارون الرشيد لمعلم ولده الأمين :

يا أحمر - إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمره قلبه ؛ فصير يدك
عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ؛ فكُنْ له بحيث وضعك أمير المؤمنين .
أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره

بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا فى أوقاته ، وخذّه بتعظيم بنى هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ؛ فإن أباهما فعليك بالشدّة والغلظة .

وصية بعض نساء العرب إلى ابنها وقد أراد السفر :

قال أبان بن تغلب ، وكان عابداً من عباد أهل البصرة : شهدت أعرابية وهى توصى ولدًا لها يريد سفرًا ، وهى تقول له :

أى بُنىّ : إجلس أمنحك وصيتى وبالله توفيقك ؛ فإن الوصية أجدى (١) عليك من كثير عقلك ، قال أبان : فوفقت مستمعًا لكلامها ، مستحسنًا لوصيتها فإذا هى تقول : أى بُنى إياك والنميمة ، فإنها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين ، وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضًا (٢) وخلق الأيثار الغرض على كثرة السهام وقلما اعتورت (٣) السهام غرضًا إلا كلمته (٤) حتى يهى (٥) ما اشتد من قوته . وإياك والجود بدينك ، والبخل بمالك ، وإذا هزرت فاهرز كريمًا يلن لهزتك ، ولا تهزز اللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها .

ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك ، فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فإن المرء لا يرى عيب نفسه .

ومن كانت مودته بشره ، وخالف ذلك منه فعله ، كان صديقه منه على مثل الريح فى تصرفها ، والعدو ما تعامل به الناس بينهم ، ومن جمع الحلم والسخاء ، فقد أجاد الحلة ريطتها وسربالها .

نصيحة رجل لهشام بن عبد الملك :

خرج الزهرى يوماً من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : ما رأيت كالיום ، ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهن رجل عندهشام ، دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين احفظ. عنى أربع كلمات ، فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك ، قال : ما هن ؟ قال : لاتعد عِدَّة ولا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يغرنك المُرْتقى ، وإن كان سهلاً إذا كان المنحدر وعراً ، واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب ، وأن للأُمور بغتات (١) ، فكن على حذر . قال عيسى بن دأب : فحدثت بهذا الحديث (المهدى) وفى يده لقمة قدر فَعَمَّهَا إلى فيه فأمسكها وقال : ويحك ! أعد على ، فقلت : يا أمير المؤمنين : أسغ (٢) لقمتهك ، فقال : حديثك أعجب إلى .

نصيحة أعرابي لسليمان بن عبد الملك :

قال أعرابي لسليمان بن عبد الملك : إني أُكَلِّمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله ، فإن وراءه إن قبلته ما تحبه ، قال : هاته يا أعرابي ، فنحن نوجود بسعة الاحتمال على من لانأمن غيبتة ، ولا نرجو نصيحتة ، وأنت المأمون غيباً الناصح جيباً (٣) ، قال : فإنى سأطلق لسانى بما خرست عنه الألسن تأدية لحق الله تعالى ، إنه قد اكتنفتك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، وابتاعوا (٤) دنياك بدينهم ، ورضاك بسخط. ربهم ، وخافوك فى الله ، ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للآخرة وسلم للدنيا فلا تأمنهم على ما آتت منك الله عليه ، فإنهم لم يألوا (٥) الأمانة تضييعاً ، والأمة كسفاً وخسفاً ، وأنت مسئول عما اجترموا ، وليسوا مسئولين عما اجترمت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس عند الله

(١) البغتات : جمع بفتة وهى الفجأة . (٢) أساغ اللقمة : ابتلعها .
 (٣) فلان ناصح الجيب : يراد به قلبه و صدره أى أمين ، قال الشاعر : *
 وحصنت صدراً جيبه لك ناصح * . (٤) ابتاع : اشترى . (٥) الا يألوا
 ألوا : قصر . يقال أبى لا آلوك نصحاً لا أقصره وقال تعالى : « لا يألونكم
 خبالاً » أى لا يقصرون فى خبالكم وفسادكم .

عَبْتًا مِنْ بَاعِ آخِرْتِهِ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ، فَقَالَ سَلِيمَانُ : أَمَا أَنْتَ يَا أَعْرَابِي فَقَدْ سَلَّمْتَ لِسَانَكَ وَهُوَ سَيْفُكَ . قَالَ : أَجَلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! لَكَ لَا عَلَيْكَ .

نصيحة فتاة لأبيها :

قالت أعرابية - تنصح أباهاً بمجانبة السرف - حبس المال أنفع للعيال من بذل الوجه فى السؤال ، فقد قل النوال ، وكثر التجال (١) ، وقد أتلفت الطارف والتلاد (٢) وبقيت تطلب مافى أيدي العباد ، ومن لم يحفظ ما ينفعه ، أوشك أن يسعى فيما يضره .

نصيحة البديع الهمذاني لوارث مال :

كتب البديع إلى بعض إخوانه يعزيه وينصح له :

وصلت رقعتك (ياسيدى) والمصاب لعمر الله كبير ، وأنت بالجزع جديو ولكنك بالصبر أجدر ، والعزائم عن الأحبة رشد كأنه الغنى ، قد مات الميت فليحى الحى ، فاشدد على مالك بالخمسة (٣) ، فأنت اليوم غيرك بالأمس . قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وكيلك ، تضحك ويبكى لك ، وقد مولك (٤) مما ألف بين سراه (٥) وسيره ، وخلفك فقيراً إلى الله غنياً عن غيره ، وسيعجم (٦) الشيطان عودك ، فإن استلانتك رماك بقوم يقولون : خير المال ما تنفقه بين الشراب والشباب ، وتنفقه بين الحباب (٧) والأحباب ، والعيش بين القداح والأقداح (٨) ، ولولا الاستعمال لما أريد المال ، فإن أعطتهم فاليوم فى الشراب وغداً فى الخراب ، واليوم واطرباً للكاس ، وغداً واحرباً (٩)

(١) النجال : جمع نجل وهو الولد . (٢) الطارف : المستحدث من المال وغيره ، والتلاد : جمع تلبد وهو عكس الطارف . (٣) يريد بالخمسة الأصابع وهى مؤنثة فى الأكثر . (٤) موله: اتخذ له مالا . (٥) السرى : سير الليل . (٦) عجم العود: عضه ليعرف مبلغ صلابته . (٧) حباب الماء والشراب : فقاقبعه التى تطفو كأنها القوارير . (٨) القداح: سهام المسرة ، واحدها قدح كقرد . والأقداح : جمع قدح ، كجبل وهو وعاء الشراب . (٩) الحرب : أن يسلب الرجل ماله ، وقد حرب ماله أى سلب ومن هذا قولهم : واحربا .

من الإفلاس . يامولاي : ذلك الخارج من العود يسميه الجاهل نَقْرًا ،
والعاقل فقراً ، وذلك المسموع من النَّاي (١) هو في الآذان زَمْرٌ ، وفي الأبواب
سَمْرٌ ، وإن لم يجد الشيطان مَغْمَرًا في عودك من هذا الوجه ، رماك بآخرين
يُمثلون الفقر حذاء عينيك ، فتجاهد قلبك ، وتحاسب بطنك ، وتناقش
عَرْسك (٢) ، وتمنع نفسك وتبوء في دُنْيَاك بوزرك ، وتراه في الآخرة في ميزان
غيرك ، لا - ولكن قصداً بين الطريقين ، وميلاً عن الفريقين لامنح ولا
إسراف ، والبخل فقر حاضر ، وضير عاجل ، وإنما يبخل المرء خيفة ما هو فيه .

ومن يُنْفِقِ الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر
فليكن لله في مالك قسم ، وللمرؤءة قسم ، فَصِلِ الرِّحْمَ ما استطعت وقدر (٣)
إذا قطعت ، فلأن تكون في جانب التقدير ، خير من أن تكون في جانب التبذير .

وصية الرياحي لقومه

قال الرياحي في خطبته بالمرید (٤) :

يا بني رياح - لا تُحَقِّرُوا صَغِيرًا تَأْخُذُونَ عَنْهُ ، فَإِنِّي أَخَذْتُ مِنَ اللَّيْثِ
بَسَائِلَهُ وَمِنَ الْحِمَارِ صَبْرَهُ ، وَمِنَ الْخِنْزِيرِ حِرْصَهُ ، وَمِنَ الْغُرَابِ بُكُورَهُ ،
وَمِنَ الثَّعْلَبِ رُوعَانَهُ (٥) ، وَمِنَ السَّنُورِ ضَرَعَهُ (٦) ، وَمِنَ الْقِرْدِ حِكَايَتَهُ ،
وَمِنَ الْكَلْبِ نُصْرَتَهُ ، وَمِنَ ابْنِ آوَى حَذْرَهُ ؛ وَلَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنَ الْقَمَرِ
سِيرَ اللَّيْلِ ، وَمِنَ الشَّمْسِ ظُهُورَ الْحَيْنِ بَعْدَ الْحَيْنِ .

(١) الناي : آلة للزمر ، فارسي معرب ، وقد تهمز ياءه ، وقد جمعه على
نابات .

(٢) العرس : الزوجة . (٣) التقدير : التروية والتفكير في تسوية
أمر .

(٤) المرید : الجرين ، ثم صار علما على موضع بالبصرة .

(٥) الروغان : الميل عن الشيء لتجنب الضرر . (٦) الضرع : الخضوع

وصية ذى الاصبع لابنه

لَمَّا اخْتَضَرَ ذُو الْأَصْبَعِ الْعُدَوَانِي (١) دَعَا ابْنَهُ (أَسِيدًا) فَقَالَ لَهُ :
 يَا بُنَيَّ : إِنْ أَبَاكَ قَدِ فَنِي وَهُوَ حَيٌّ ، وَعَاشَ حَتَّى سَمَّ الْعَيْشَ ، وَإِنِّي
 مَوْصِيكَ بِمَا إِنْ حَفِظْتَهُ بَلَغْتَ فِي قَوْمِكَ مَا بَلَغْتَهُ ، أَلَنْ جَانِبِكَ لِقَوْمِكَ يَحْبُوكُ
 وَتَوَاضِعَ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ يَطِيعُوكَ ، وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ
 بِشَيْءٍ يُسَوِّدُوكَ ، وَأَكْرَمِ صِغَارَهُمْ كَمَا تَكْرَمُ كِبَارَهُمْ يَكْرَمُكَ كِبَارَهُمْ ،
 وَيَكْبُرُ عَلَى مَوَدَّتِكَ صِغَارَهُمْ ، وَاسْمَحْ بِمَالِكَ ، وَاعْزِزْ جَارَكَ (٢) وَأَعْنِ مِنْ اسْتِعَانِ
 بِكَ ، وَأَكْرَمِ ضَيْفَكَ ، وَأَسْرِعِ النَّهْضَةَ فِي الصَّرِيخِ (٣) فَإِنَّ لَكَ أَجْلًا لَا يَعِدُوكَ
 وَصَنْ وَجْهَكَ عَنْ مَسْأَلَةِ أَحَدٍ شَيْئًا ، فَبِذَلِكَ يَتَمَّ سُوْدُوكَ .

وصية عبد الله بن شداد لابنه

قَالَ الْكَلْبِيُّ : لَمَّا حَضَرَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شَدَادٍ (٤) الْوَفَاةَ دَعَا ابْنًا لَهُ يُقَالُ
 لَهُ (مُحَمَّدٌ) فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، إِنِّي أَرَى دَاعِيَ الْمَوْتِ لَا يُقْلَعُ ، وَأَرَى مِنْ مَضَى
 لَا يَرْجِعُ ، وَمَنْ بَقِيَ فَإِلَيْهِ يَنْزِعُ (٥) ، وَإِنِّي مَوْصِيكَ بِوَصِيَّةٍ فَاحْفَظْهَا .
 عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَلِيَكُنْ أَوْلَى الْأُمُورِ بِكَ شُكْرُ اللَّهِ ، وَحَسَنُ النَّيَّةِ فِي
 السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنَّ الشُّكُورَ يَزِدُّادُ وَالتَّقْوَى خَيْرُ زَادٍ ، وَكُنْ كَمَا قَالَ الْحَطِيبَةُ :

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٌ وَلَكِنْ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ
 وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذَخْرًا وَعِنْدَ اللَّهِ لِللَّاتِقِ مَزِيدُ
 وَمَا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَرِيبٌ وَلَكِنْ الَّذِي يَمْضَى بَعِيدُ

(١) هُوَ حَرِثَانُ بْنُ الْحَارِثِ ، خَطِيبٌ حَكِيمٌ ، شَاعِرٌ فَارِسٌ ، وَهُوَ أَحَدُ
 الْمَعْمَرِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ (٢) الْجَارُ : الْمَجَاوِرُ وَالَّذِي أَجْرَتْهُ مِنْ أَنْ يَظْلَمَ .
 (٣) الصَّرِيخُ : صَوْتُ الْمُسْتَفِيثِ وَهُوَ أَيْضًا الْمَفِيثُ وَاحِدًا أَوْ أَكْثَرَ . - (٤) هُوَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَادِ بْنِ الْهَادِي اللَّيْثِيِّ كَانَ مِنْ رِجَالِ الْعِرَاقِ وَمِنْ ذَوِي الْمَكَانَةِ
 عِنْدَ الْحِجَابِ ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، وَيُقَالُ أَنَّهُ قَتَلَ سَنَةَ ٨٣ هـ .
 (٥) نَزَعَ إِلَيْهِ كَجَلَسَ : اشْتَقَ .

أى بُنى : لاتزهدن فى معروف ، فإن الدهر ذو صُروف ، والأيام ذات نوائب ، على الشاهد والغائب ، فكم من راغب قد كان مرغوباً إليه ، وطالب أصبح مطلوباً ما لديه ، واعلم أن الزمان ذو ألوان ، ومن يصحب الزمان يرّ الهوان ، وكُنْ أَى (بُنَى) كما قال أبو الأسود الدولى :

وعدّ من الرحمن فضلاً ونعمة عليك إذا ماجء للعُرف (١) طالبُ
وإن امرأ لا يرْتَجى الخير عنده يكن هيناً ثقيلاً على من يصاحب
فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالباً فإنك لا تدري متى أنت راغب
رأيت التِوَا (٢) هذا الزمان بأهله وبينهم فيه تكون النوائب

أى بُنى : كُنْ جواداً بالمال فى موضع الحق ، بخيلاً بالأسرار عن جميع الخلق فإن أحمد جود المرء الإنفاق فى وجه البرّ ، وإن أحمد بخل الحر الضن بمكتوم السرّ ، وكُنْ كما قال قيس بن الخطيم (٣) الأنصارى :

أجود بمكنون التلاد وإننى بسبرك عمّن سألنى لضمين (٤)
إذا جاوز الاثنين سر فإنه ينث وتكثير الحديث قمين (٥)
وعندى له يوماً إذا ائتمنتى مكان يسوداء الفؤاد مكين (٦)

أى بُنى : وإن غلبت يوماً على المال ، فلا تدع الحيلة على حال ، فإن الكريم يحتال ، والدنى عيال ، وكُنْ أحسن ماتكون فى الظاهر حالاً ، وأقلّ ما تكون فى الباطن مالاً ، فإن الكريم من كرمت طبيعته ، وظهرت عند الإنفاد (٧) نعمته ، وكُنْ كما قال ابن حذاق (٨) العبدي :

(١) العرف : المعروف . (٢) التوامصدر التوى وقصره للضرورة .
والتوى به الزمان : اعوج . وألوى به : أهلكه . (٣) شاعر من أهل يثرب
وبينه وبين حسان بن ثابت مناقضة . (٤) سهل الشاعر همزة سأل للوزن
(٥) قطع همزة اثنين للضرورة ونث الحديث : أفشاه . (٦) سوداء الفؤاد
أو القاب وسويداؤه وأسوده : حبته . (٧) الإنفاد : الفقر . (٨) اسمه
يزيد وهو شاعر قديم .

وجدتُ أباي قد أوزرته أبوه خلالاً قد تُعدُّ من المعالي (١)
فأكرم ما تكون عليّ نفسي إذا ما قلَّ في الأزمان مالي
فتحسن سيرتي وأصون عِرْضِي ويجمل عند أهل الرأي حالي
وإن نلتُ الغنى لم أغلُ فيه ولم أخصص بجنونِي الموالي (٢)

أى بُنى : وإن سمعت كلمة من حاسد ، فكن كأنك لست بالشاهد ،
فإنك إن أمضيتها حياها (٣) رجع العيب على من قالها ، وكان يقال :
الأريب العاقل هو الفطن المتغافل (٤) ، وكن كما قال حاتم الطائي :

وما من شيمتي شتم ابن عمي وما أنا مُخْلِيف من يرتجيني
وكلمة حاسد في غير جرم سمعت فقلت : مرى فانفذي (٥)
فعابوها عليّ ولم تسؤني ولم يعرق لها يوماً جيبني
وذو اللونين يلقاني طليقاً وليس إذا تغيب يأتلي (٦)
سمعت بعيبه فصفحت عنه محافظة على حسي وديني

أى بُنى : لا تواخ امرأة حتى تعاشره ، وتنفق موارده ومصادره ، فإذا
استطعت العشرة ، ورضيت الخبرة (٧) ، فواجهه على إقالة العثرة ، والمؤاساة
في العسرة ، وكن كما قال المُقنَّع الكندي (٨) :

أبُلُ الرِّجَالِ إِذَا أَرَدتْ إِخَاءَهُمْ وَتَوَسَّمتْ فِعَالَهُمْ وَتَفَقَّدتْ

(١) نقلت حركة الهمزة من اورث الى الواو وحذفت هي للوزن والخلال :
جمع خلة وهي الخصلة . (٢) غلا في الأمر غلو : جاوز الحد والموالي :
الأقارب . يقول : ان كثر مالي لم أجف أقاربي . (٣) خيال ظرف في معنى
ازاء أى تركتها تذهب في طريقها الخ . (٤) في معنى هذا قول الشاعر :

ليس الغنى بسيد في قوم لكن سيد قوم التغابي

(٥) نفذه : جازه . (٦) أثلى كالأى قصر : يقول اذا غاب عنى فلن يقصر
في نكايتي (٧) الخبرة ، وبغيرهاء ، العلم بالشيء كالاختبار (٨) هو محمد
ابن عمرة والمقنَّع لقب شاعر رصين المباني حكيم المعاني من شعراء الدولة
الاموية .

فإذا ظفرت بذى اللبابة والتقى فبه اليدين قرينَ عين فاشدد(١)
 وإذا رأيت ولا محالة زلة فعلى أخيك بفضل حلمك فاردد
 أى بنى : إذا أحببت فلا تفرط ، وإذا أبغضت فلا تشطط. (٢) ، فإنه قد كان
 يقال أحب حبيبك هوناً ما (٣) عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك
 هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما ، وكُن كما قال هُذَبة (٤) بن الخشرم العذرى :
 وَكُن مَعْقِلاً لِلحلم واصفح عن الخنا فإنك راء ما حييت وسماع
 واحبب إذا أحببت حبا مقارباً فإنك لا تدرى متى أنت نازع (٥)
 وأبغض إذا أبغضت بغضاً مقارباً فإنك لا تدرى متى أنت راجع

الفصل الثاني عشر : فى رسائل التنصل والتبرؤ

كتب أبو الحسن على بن الرومى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ إلى القاسم بن عبيد الله :
 ترفع عن ظلمى إن كنت بريئاً ، وتفضل بالعمو إن كنت مُسيئاً ،
 فوالله لأطلب عفوَ ذنب لم أجنه ، وألتمس الإقالة مما لا أعرفه ، لتزداد
 تطوُّلاً ، وأزداد تذللاً ، وأنا أعيد حالى عندك بكرمك من وأش يكيدها ،
 وأحرسها بوفائك ممن يحاول إفسادها .
 وأسأل الله أن يجعل حظى منك بقدر وُدِّى لك ، ومحلى من رجائك
 بحيث أستحقَّ منك ، والسلام .

(١) اللبابة مصدر لب أى صار ذالِب وهو العقل ، وكل ما قيل « فاشدد »
 من الشطر الثاني معمول له وتكررت الفاء للربط وكذا فى البيت التالى
 (٢) شط وأشط : جاوز الحد . (٣) الهون : الرفق ، وما : أما زائدة ، وأما
 صفة لهونا مثلها فى قوله تعالى : « ان الله لا يستحى أن يضرب مثلاً ما » .
 (٤) هو شاعر من شعراء الدولة الاموية جيد البديهة وهو القائل :
 ولست بمفراح اذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب
 ولا اتمنى الشر والشر تاركى ولكن متى أحمل على الشر أركب
 (٥) نزع عن الأمر نزوعاً : انصرف وانتهى عنه .

وكتب أبو الوليد أحمد بن زيدون الأندلسي ، المتوفى بأشبيلية سنة ٤٦٣ هـ :
 يامولاي (١) وسيدى الذى ودادى له ، واعتمادى عليه ، واعتمادى (٢) به ،
 وامتدادى (٣) منه ، ومن أبقاه الله ماضى (٤) حد العزم (٥) ، وارى (٦) زندق (٧)
 الأمل (٨) ، ثابت (٩) عهد (١٠) النعمة ، إن سلبتنى (١١) أعزك (١٢) الله لباس (١٣)
 نعمائك ، وعطلتنى (١٤) من حلى (١٥) إيناسك (١٦) ، وأظمأتنى (١٧) إلى برود (١٨)
 إسعافك (١٩) ، ونفضت (٢٠) بي كف حياطتك (٢١) وغضضت (٢٢) عنى طرف (٢٣)
 حمايتك ، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي (٢٤) لك ، وسمع الأصم ثنائى (٢٥)
 عليك وأحسن الجماد باستحمادى (٢٦) إليك .

(١) المولى له معان كثيرة والاليق منها هنا السيد أو المنعم ومنها العبد
 أيضا قال أبو تمام :

مولاك يا مولاي صاحب لوعة في يومه وصباية في أمسه
 دنف وجود بنفسه حتى لقد أمسى ضعيفا أن وجود بنفسه

(٢) عدنى ليوم حاجتى . (٣) مزيد خيرى . (٤) قاطع . (٥) قوة
 الإرادة لا يعزم على أمر الا مضاه . (٦) الورى : خروج النار من الزندق
 وقت الاقتداح . (٧) مقدحة . (٨) الرجا . (٩) متمكن وموثق .
 (١٠) ميثاق أى أن نعمته ثابتة ومحفوظة عليه أبدا وأن محبته مقصورة عليه
 وأنه يطلب من الله أن يقيه ، وعزمه سيف قاطع وأمله نور لامع وخيره
 غيث متتابع وأنه لحسن افتتاح وبراعة استهلال . (١١) انتزعت منى .
 (١٢) أعزك الله ، جملة اعتراضية الغرض منها الدعاء لسيدته بالعزة والاشارة
 الى ما يستلزمه سلب اللباس من المذلة وتنيبها له على ذلك . (١٣) ما
 يوارى الجسم أى جردتنى من نعمتك المحيطة بى . (١٤) العطل فى الأصل
 خلو جيد المرأة من القلائد . (١٥) ما يتحلى به . (١٦) أنسك ، أى حرمتنى
 من لديد أنسك . (١٧) أعطشتنى . (١٨) بارد . (١٩) انجداك .
 (٢٠) طرحت . (٢١) احاطتك أى طرحتنى من كف حوزكلى . (٢٢) خفضت
 (٢٣) نظر ، أى خفضت طرف وقايتك عنى فتركتنى عرضا لصائبات
 الحوادث . (٢٤) التأميل أمر معنوى لا يشاهد وانما ذلك مبالغة فى شدة
 التلبس والاتصاف به . (٢٥) مدحى ، مبالغة فى انتشار مدحه .
 (٢٦) استحمادى مبالغة فى تأثير حمده يشير الى تعداد ما حل به من
 المصائب واحدق به من كل جانب الا وهو تجريدته من نعم الامير المحيطة به
 احاطة الثياب وحرمانه من الأنس بذلك الجنب واعطاشه الى سريع اغائته =

فلا غرؤ (١) قد يغص (٢) بالماء شاربهُ ، ويقتلُ الدواءُ المستشفي به ، ويؤتى
الحذر (٣) من مأمته (٤) ، وتكونُ منية (٥) الممتنى في أمنيته (٦) ، والحين (٧)
قد يسبقُ جهداً (٨) الحريص :

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتي وتَهون غيرَ شمانه (٩) الحساد
وإني لآتجلد (١٠) وأرى للشامتين « أني لريب (١١) الدهر لا أتضعع » (١٢)
فأقول : هل أنا إلا يدُ آدمها (١٣) سيوارها (١٤) ، وجبينُ عَضُّ به إكليله (١٥)

= واخرجه من محيط دائرته وصرفه عنه نظر ملاحظته خصوصاً بعد أن
صبر تأمله فيه جسماً مخترعاً ولذا رآه الأعمى وجلاً مدحه بما جذب اليه
الأذان فدخلها بدون استئذان ولذا سمعه الأعمى وبذل قصارى جهده في
حمده حتى كان مؤتمراً في كل الكائنات ولذا أدركه الجماد وفيه من المبالغة
ما في قول المتن :

أنا الذي نظر الأعمى الى أدبي وأسمنت كلماتي من به صم
وانما أكثر من تعداد مصائبه ليكون ذلك أدل على توجعه وتألمه ، وأسرع
لتلبية نداءه وأمكن لجلب الصفاء وازالة الجفاء (١) فلا عجب : الغاء
واقعة في جواب أن من قوله ان أسليتني (٢) غصت بالماء أفص
غصا اذا شرقت به وأغصسته أنا . (٣) المتيقظ (٤) من حيث لا يتوقع
الضرر (٥) موت (٦) ما يتمناه (٧) الهلاك (٨) طاقة (٩) الفرح في
مصائب الغير ، يقول : ان أنترعت مني ما أعطيت ، وأحلات بي من المصائب
ما حللت : بعد غلوى في الثناء عليك . والتجائي في كل الامور اليك ، فليس
ذلك بالأمر العجيب ولا بالنادر بل كثير النظائر والأمثال فالماء الذي به زوال
الفصص قد يكون هو الفاص وأن الأمنية قد تكون فيها المنية وأنه يشير في
عبارته لقول بعضهم :

قد كنت عدتي التي أسطو بها وبدي، اذا اشتد الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما أملتة ، والمرء يشرق بالزلال البارد
ولقول آخر :

تجري الأمور على وفق القضاء ، وفي طي الحوادث محبوب ومكروه !
فربما سرنى ما بت أحذره ، وربما ساءنى ما بت أرجوه !
والبيت الذي ذكره لابن عيينة . (١٠) أتكلف الصبر والقوة (١١) ريب
الدهر : نوابه (١٢) أتزلزل : هذا حل بيت لأبي ذؤيب الهذلي وهو :
وتجلدى للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعع
(١٣) أسال دمها (١٤) نوع من الحلوى يلبس في الساعد (١٥) تاجه .

ومشرقاً^(١) ألقى بالارض صاقله^(٢) ، وسمهري^(٣) عرضه على النار مثقفه^(٤) ،
وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول :

فقسا ليزدجروا^(٥) ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم
هذا العتب^(٦) محمود عواقبه ، وهذه النبوة^(٧) غمرة^(٨) ثم تنجلي^(٩) ، وهذه
النكبة^(١٠) سحابة صيف عن قليل تقشع^(١١) ، ولن يريني^(١٢) من سيدى إن
أبطأ سيبه^(١٣) أو تأخر ، غير^(١٤) ضنين غناؤه^(١٥) ، فأبطأ الدلاء فيضاً^(١٦)
أملؤها وأثقل السحاب مشياً أحفلها^(١٧) وأنفع الحيا^(١٨) ما صادف جدباً^(١٩)
وألد الشراب ما أصاب غليلاً^(٢٠) ، ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب .

(١) سيف (٢) جاليه (٣) رمح (٤) مقومه (٥) يمتنعوا : يخاطب
نفسه ويساها ويضرب لها الأمثال ويمنيها ويسهل عليها ما تعانيه ،
ويجنبها ما تعاديه من مزيد استعطاف قلب سيده واستجلاب رحمته
حيث لم يستهجن فعاه وعمله معه فقد أنزل نفسه منزلة الحسناء التي
أجرى دمها السوار ، والجبين الذي أثر فيه تاج الافتخار ، والسيف الذي
وضعه على التراب صاقله لصقله لا لهوانه ، والرمح الذي وضعه على النار
مثقفه لتقويمه لا لاحتراقه ، والعبد الذي قسى عليه سيده رحمة به
واحساناً لا استخفافاً به وهواناً ، والبيت لأبى تمام . (٦) اللوم
(٧) الجفوة (٨) شدة (٩) تنكشف (١٠) المصيبة (١١) تقاع ، يقول :
أرجو أن يكون هذا الوم ختام الجفا ، ومبدأ الألفة والصفاء وأن هذه الجفوة
شدة وتحول وسحابة لا تلبث أن تزول ، يشير الى قول المتنبي :

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل
والى المثلين العربيين « غمرات ثم تنجلي » و« سحابة صيف عن قليل
تقشع » والأول يضرب في حصول اليسر بعد العسر والثاني في سرعة التغير .
(١٢) يجعلنى شاكا (١٣) عطلؤه (١٤) غير ضنين : احتراس يريد به حمل
سيده على العطف ودفع ما يتوهم من أن التأخير للايقاع به (١٥) نفعه .
(١٦) الفيض : صعود الماء على الضفة ، والمراد هنا مجرد الصعود ، أى أن
أبطأ الدلاء صعوداً أكثرها امتلاء (١٧) اماؤها (١٨) المطر (١٩) الارض
التي لا نبات بها (٢٠) العطش بحرارة ، لما ذكر أن هذا العتب محمود
العاقبة وأن ما حل به عن قريب يزول ، ورأى تأخير الرحمة به وعدم
انقاده من ورطته ربما يوهم الريبة في محمدة العاقبة ، دفع ذلك معتذراً عن
سيده فى هذا التأخير معللاً بقوله فأبطأ الدلاء فيضاً اماؤها وأثقل السحاب
مشياً أحفلها وغير ذلك مما يدل على أن فى التأخير ما يفعم البال ويقر الاعين =

لُ الحمدُ على اهتِباله (١) ، ولا عتب عليه في اغتفاله (٢) :

فإن يكن الفعلُ الذي ساءَ واحداً فأفعاله اللائى سررن ألوف
وأعود فأقول : ما هذا الذنبُ الذي لم يسعهُ عفوكُ ، والجهلُ الذي لم يأت
من ورائه حلمك ، والتناول (٣) الذي لم يستغرقه تطولك (٤) ، والتحمل (٥)
الذي لم يف به احتمالك (٦) ؟! ولا أخلو من أن أكون بريئاً فأين عدلك ؟
أو مسيئاً ، فأين فضلك ؟

إلا يكن ذنبُ فعدلكُ وأسعُ أو كان لى ذنبُ فضلكُ أوسعُ
فهبنى مسيئاً كالذى قلت طالباً قصاصاً (٧) فأين الأخذيا عز (٨) بالفضل
حنانيك (٩) ، قد بلغ السيل الزبى (١٠) ، ونالنى ما حسبى به وكفى .
وما أراى إلا ألو مرت بالسجود لآدم فأبیت (١١) واستكبرت !!

= ثم ختم عبارته بما هو أمثل فى التسلية وأدعى للتصبر من حيث يقول:
ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب

(١) اغتنامه (٢) تغافله : وهو تركه على ذكر منه بعد أن اعتذر من سيده
بما اعتذر وأخذ يمدحه على أيقاعه به وتغافله منه على أن يرأف به ويعطف
عليه والبيت للمتنبى (٣) الكبر (٤) فضلك (٥) التكليف بما لا يطاق
(٦) الاحتمال كالحمل الا أنه فى الأمور العظيمة ، قال النابغة الديباني *
فحملت برا واحتملت فجبارا * (٧) عقابا (٨) اسم امرأة ، رجع بعد
أن عود نفسه فى مخاطبة الأمير الصبر والانتظار التفت منه الى مافى ضميره
من بقايا العتاب فقال يستفهم مریداً بذلك الزامه بالصفح عنه بتصفير
ذنبه وتكبير عفو سيده فكأنه يقول : ما هذه الحركة التى زلزلت طودك ،
وما هذه الجيفة التى عكرت بحرك ، ولم لا يشملنى كرمك وجودك مع أن
فضلك وعدلك أكبر شفيح للعاصى والطيع ، وذكر البيتين تأييداً لما قاله فى
نثره ، والأول للبحترى والثانى مأخوذ من قول الحماسى :

هبنى ظلوماً نلته بمساءة قصاصاً فأين الأخذيا عز بالفضل

(٩) تشية حنان ، وهو الرحمة (١٠) جمع زبية ، وهى حفرة تحفر لصيد
الأسد فى مكان مرتفع لا يعاوه الماء فاذا وصل اليه السيل كان مجحفاً : يريد
بذلك مزيد استرحام سيده من حيث يقول له : حنانيك ، أى رحمة أتر
رحمة أطلبها منك فان الذل والهوان قد وصلا النهاية ، والصفار والاحتقار
قد بلغا الغاية : وقوله بلغ السيل الزبى مثل عربى يضرب فى بلوغ الشىء
غايته (١١) أمتعت : ولقد أحسن كل الاحسان وتلطف ماشاء فى عطف =

وقال لى نوح^١ : اركب معنا . فقلت : ساوى (١) إلى جبل يَعِصِمْنِي (٢) من الماء ، وَأَمَرْتُ بِنِجَاءِ صِرْح (٣) لَعْلَى أَطَّلَعَ إِلَهَ مُوسَى وَعَكَّفْتُ (٤) عَلَى الْعَجَل ، واعتديت (٥) فِي السَّبِّ ، وتعاطبت (٦) فَعَقَرْتُ (٧) ، وشربت من النهر الذى

= قلب سيده وطلب العفو عما اجترح من جريمته بأبلغ عبارة وأدق اشارة مبدا فى وصف ما لاقاه من العقاب والنكال ، وانه لو قسم على ذوى الذنوب من الأولين والآخرين لكان كافيا لتكفير تلك الذنوب جزاء وفاقا ، ملمحا الى ذوى الذنوب المشهورة ووقائع الآثام الماثورة . فقال : وما ارانى . الخ . يشير الى ذنب ابليس وهو امتناعه واستكباره عن السجود لآدم من حيث أمره الله بذلك « فأبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقال أنا خير منه خالقتنى من نار وخالقته من طين » .

(١) سألجأ (٢) يحفظنى ، يشير الى ذنب ابن نوح ، وهو مخالفته لأبيه من حيث قال له لما عم الطوفان وصعد السفينة هو ومن آمن معه : يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فخالف أباه وقال ساوى . الخ . (٣) قصر ، يشير الى ذنب فرعون ، وهو انكاره الاله وأدعأؤه أنه هو الاله الحقيقى ، وذلك حينما آتاه موسى عليه السلام بالايمان بالله ، فقال فرعون « يا أيها الملا ما علمت لكم من اله غيرى ، فأوقدلى باهامان على الطين فاجعل لى صرحا » : الآية . (٤) واظبت ، يشير الى ذنب بنى اسرائيل وهو عبادة العجل ، وذلك أنه لما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه قام رجل صائغ من قبيلة يقال لها سامرة كانت تعبد البقر يقال لبنى اسرائيل ان الحى الذى استعرتموه من المصريين وبقي معكم بعد غرقهم لا يحل لكم فادفونوه حتى يأتى موسى ويرى رأيه فيه ، ففعلوا ، فأخذه وصاغه عجلا ووضع فيه القبضة التى أخذها من اثر حافر فرس الحياة فرس جبريل عليه السلام ، فصار العجل يمشى ويخور ، فقال لبنى اسرائيل هذا الهكم واله موسى نسيه وذهب لطلبه ، فافتتن به كثير منهم وأتبعوه (٥) جاوزت ، يشير الى ذنب بنى اسرائيل وهو انتهاك حرمة السبت وذلك أنهم نهوا عن الاصطياد فيه وكانت الحيتان تأتى فيه بكثرة رافعة خراطيمها حتى تغطى الماء ولا تأتى فى غيره فتحيلوا بعمل حيضان متصلة بالبحر فاذا جاءت عشية الجمعة فتحوا الاتصال فتدخل الحيتان فى الحيضان فيأخذونها يوم الأحد ، ولما أمهل الله عقوبتهم استحلوا الصيد يوم السبت فحاق بهم العذاب .

(٦) تعاطى : قام على أطراف أصابع رجليه . ثم رفع يديه وضرب .
(٧) عقر البعير بالسيف فانعقر ، أى ضرب به قوائمه . يشير الى ذنب قدار وهو قتل ناقة صالح عليه السلام ، وذلك ان امرأة يقال لها عنبرة لها مال وبنات حسان ، وأخرى يقال لها صدوق بنت المحيا صاحب أوثانهم ، كان =

ابتلى الله (١) به جيش طالوت ، وقُدَّت الفيل لأبرهة (٢) ، وعاهدت (٣) قريشاً على ما فى الصحيفة ، وتأولت (٤) فى بيعة العقبة (٥) ، واستنفرت إلى العير (٦)

= زوجها أسلم وأنفق ماله على صالح وأتباعه ، وكانتا من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام ، فدعت صدوق مصدقا لنفسها على قتل الناقه ، ودعت عنبرة قدارا على ذلك ايضا فذهب شقيا ثمود وكمن كل منهما فى أصل صخرة ، ولما مرت الناقه رماها مصدق بسهم فأصاب ساقها ، وشد عليها قدار بسيفه فأبان عروقتها ، ثم نحروها .

(١) اختبر ، وهو يشير الى ذنب معظم جيش طالوت عايه السلام وهو مخالفتهم له حينما اشتكوا له قلة الماء ، وهم ذاهبون للقتال ، فقيل لهم : « ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ، ومن لم يطعمه فإنه منى الا من اغترف غرفة بيده » فخالقوا وشربوا الا قليلا منهم .

(٢) كان عامل اليمن من قبل النجاشى ، يشير الى ذنب أبرهة وهو ذهابه لهدم الكعبة ، وسبب ذلك أنه بنى كنيسة بصنعاء ليصرف الناس عن الكعبة فأتى رجل كنانى ولوثها بالعدرة ، وأتى أقوام من تجار قريش وأضرموا نارا بجانبها فهبت الريح فأحرقتها ، فغضب النجاشى لذلك ، وقام أبرهة وأخذ الفيلة وفى مقدمتها فيل النجاشى المسمى محمودا ليهدم الكعبة ارضاء له ، ولما وصل اليها وجه الفيل نحوها فأبى ، فوجهه الى اليمن فقام مهرولا ، وبعد ذلك أرسل الله عليهم طيرا ابا يبل ترميهم بحجارة من سجيل فأهلكتهم .

(٣) أعطيتهم عهدا وميثاقا ، يشير الى ذنب قريش ، وهو اتحادهم على عدم نصره الدين ، وذلك انهم لما رأوا ان الدين أخذ فى النمو وأن حمزة وعمر أسلما تعاهدوا على مهاجرة بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، وعلى قطع العلائق بينهم تماما وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى جوف الكعبة عهدا لذلك . (٤) خالفت .

(٥) طريق وعر فى الجبل . يشير الى ذنب من نقض بيعة العقبة ، وبيعات العقبة ثلاث ، ولم يتأول فيها أحد ، فذكره لها على سبيل الفرض ، أى هب انى خالفت الاجماع وتعديت الحد وفعلت ما لم يفعله أحد .

(٦) العير - بالكسر - الابل التى تحمل الميرة ، وهو يشير الى ذنب مضمم الغفارى وهو استنهاض قريش لأبى سفيان ، وذلك أن أباسفيان ابن حرب كان آتيا الشام فى عير ، فذهب رسول الله لقتاله ، ف شعر بذلك =

بيدر ، وانخذلت (١) بثلث الناس يوم أحد (٢) ، وتخلفت (٣) عن صلاة العصر في بنى قريظة (٤) ، وجئت بالإفك (٥) على عائشة الصّديقية ، وأنّفت (٦)

= أبو سفيان ، فاستأجر ضمضما المذكور ليخبر قريشا . فذهب وصرخ بطن الوادى واقفا على جمل قد جدعه ، وحول رحله وشق قميصه : يامعشر قريش اللطيمة اموالكم مع ابي سفيان قد عرض لها محمد واصحابه لا ارى ان تدركوها، الغوث الغوث ، فتجهزوا جميعا وذهبوا اليه ، وحصلت الواقعة الشهيرة المسماة بغزوة بدر الكبرى، وفيها انتصر النبي عليه الصلاة والسلام انتصارا باهر .

(١) خذله : ترك عونه ونصرته (٢) أحد : جبل بالمدينة . يشير الى ذنب ابن سلول رأس المنافقين ، وهو رجوعه من الجيش هو ومن معه من المنافقين ، وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام لما خرج الى أحد ومعه ألف من أصحابه لقتال أعدائه ، وكان من رأى ابن سلول أن يمكث النبي في المدينة ، فأبى عليه الصلاة والسلام قبول رأيه موافقا لمعظم الصحابة، فرجع هو ومن معه من المنافقين، وقال أطاعهم وعصاني (٣) تأخرت (٤) طائفة من اليهود يشير الى حادثة بنى قريظة ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام بعد رجوعه من غزوة الخندق قال : من كان سميعا مطيعا ، فليصل العصر في بنى قريظة، فبعض الصحابة أخذ بظاهر الحديث وصلى العصر هناك بعد مغيب الشمس، والبعض الآخر رأى ان المقصود الاسراع فصلى في الطريق ، ولما اختلف الفريقان في تعيين المصيب ، ترافعا الى الرسول فحكم باصابتها و اذا تكون عبارته كناية فداحة التخلف عن الذهاب (٥) الكذب ، يشير الى ذنب مسطح وحسان ومن معهما في مجاهرتهم بالسوء لزوجة عليه الصلاة والسلام : وذلك انه لما ذهب عليه الصلاة والسلام الى غزوة بنى المصطلق كانت معه السيدة عائشة ، حيث كانت قرعتها في العودة ذهبت السيدة لقضاء حاجتها ففاتها الركب ولم ينظر في هودجها فمر صفوان وكان قد تأخر لامر ما ، فأركبها بعيره وقاده فأشاع هؤلاء ما أشاعوا فبرأها الله تعالى بالآيات البينات (٦) استكبرت ، يشير الى بعض الصحابة ، من حيث استكبروا على أسامة وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام جهز جيشا ليذهب به الى الشام وقال له سر الى مقتل ابيك فتكلم قوم قائلوا : أيؤمر هذا الغلام على المهاجرين الأولين فغضب عليه الصلاة والسلام من ذلك وخرج في مرضه عاصبا وصعد المنبر وحمد الله واثني عليه وقال ما معناه : ولئن طعنتم في أسامة فقد طعنتم في أبيه من قبل وانه لأهل لها فاستوصوا به خيرا .

عن إمارة أسامة ، وزعمتُ أن خلافة أبي بكر كانت فلتة (١) ، ورويتُ رمحي من كتيبة (٢) خالد ، ومزقت (٣) الأديم (٤) الذي باركتُ يدُ الله عليه ، وَضَحَّيْتُ بِأَشْمَطِ (٥) عنوان السجود به ، وبذلتُ لقطام (٦) ثلاثة آلافٍ وعبدُ وقينة (٧) ، وَضَرَبُ عَلَى بالحسام المصمم .

(١) أى من غير احكام ولا روية يشير الى ذنب الشيعة وهو اعتقادهم أن عليا هو الأحق بالخلافة ، ومن سواه غاصب ويقولون ما تقدم . وفى حديث عمر : « ان بيعة أبي بكر كانت فلتة وقي الله شرها » فقيل : المراد بالفلتة الخلسة أى الامامة يوم السقيفة مالت الأنفس الى توليها وكثر فيها التشاجر فانزعها واختلسها أبو بكر اختلاسا ، ومثل هذه البيعة مهيجة للشر والفتنة فعصم الله تعالى من ذلك ووقى (٢) جيش ، يشير الى ذنب أبو شجرة السلمى وهو فتكه بجيش خالد فى حرب الردة ويشير الى قوله فى ذلك :

ورويت رمحي من كتيبة خالد وانى لارجو بعدها أن امرا (٣) قطعت (٤) الجلد ، يشير الى ذنب أبي لؤلؤة وهو قتل عمر عليه الرضوان وذلك أن ابا لؤلؤ طلب منه أن يخفف عنه جعل سيده فقال له : انه ليس بكثير وانك لصانع مجيد ، وأريد أن تصنع لى رحي . فقال : سأصنع لك رحي يسمع دويها أهل المشرق والمغرب وكن له حتى طعنه فى صلاة الصبح ومات بسبب ذلك ويشير الى ذلك ما قاله بعضهم فى رثائه :

جزى الله خيرا من امام وباركت يد الله فى ذاك الأديم الممزق (٥) مختلط شعر الرأس : يشير الى ذنب بعضهم وهو قتل عثمان عليه الرضوان وذلك أنه وفد عليه وفود كثيرة من الجهات يشكون عماله فأرضاهم وأرسل محمد بن أبى بكر ليكون واليا على مصر فبينما هو ذاهب اذ رأى عبدا على هجين يستحثه فأحضره وفتشه فوجد معه كتابا من الخليفة الى عامل مصر يقول : اذا أتاك محمد ومن معه فتحيل فى قتلهم ، فرجع محمد وأعطى الجواب لعثمان فأقر بانه خط كاتبه وهذا ختمه وعبده وهجينه وأنه لم يرسله ، فطلب منه احد أمرين : الاعتزال أو اعطاءه كاتبه الحكم فأبى فحصلت الفتنة وحاصروه الى أن قتل ويشير الى ما قاله بعض نعاته :

ضحوا بأشمت عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا (٦) اسم امرأة (٧) جارية : يشير بذلك الى ذنب ابن ملجم وهو قتل على كرم الله وجهه وذلك أن هذه المرأة أعجبت له لنضارتها فأراد أن يتزوجها فطلبت ما فى البيت فقال لها : لك ما طلبت وقال البيت وبعده : =

وكتبت إلى عمر بن سعد : أن جَمَعَ (١) بالحسين ، وتمثلت عندما بلغني من وقعة الحرة (٢) :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جَزَعَ الخزرج من وَقَع الأسل
ورجمت (٣) الكعبة ، وصلبت العائذ (٤) على الثنية (٥) ، لكان فيما جرى
عَلَى (٦) ما يحتمل أن يكون نكالا (٧) ، ويدعى لوعلى المجاز عقاباً :
وحسبك من حادثات بامرئ ترى حاسديه له رَاحِمِينَا

= فلا مهر أغلى من على وان غلا ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم
(١) ضيق : يشير الى ذنب عبيد الله بن زياد وهو تحريضه على قتل الحسين ، وذلك انه ابي مبيعة يزيد وأراد الذهاب الى الكوفة من حيث أنهم طلبوا مبايعته فأخبر يزيد عامله هناك عبيد الله بن زياد بذلك فأرسل لقتاله عمر بن سعد ولما أبطا جهز له « شمرا » وكتب عبيد الله له ما تقدم فانتشبت الحرب بينهما وانتهت باستشهاده رضى الله عنه .

(٢) أرض بظاهر المدينة كانت بها الوقعة بين عقبة بن مسلم وأهل المدينة يشير الى ذنب يزيد وهو تشفيه من أهل المدينة وذلك أنه أرسل عقبة بن مسلم الى محاربة أهل المدينة وابتاحتها ثلاثة أيام فقتل وأسرف وأباح . فلما بلغ يزيد ذلك قال بيت ابن الزبير المذكور مظهرا لما في الضمير المستتر وهو كراهة الأنصار والمهاجرين .

(٣) رميت بالحجارة (٤) المتاجيء (٥) طريق العقبة : يشير الى ذنب الحجاج وهو رجمه الكعبة وصلبه عبدالله بن الزبير وذلك أنه لما حاربه المتجاء عبد الله وأصحابه الى الكعبة فنصب الحجاج المنجنيق عليها ورحمها وبعدها انتصر عليه صلبه منكسا وآلى أن لا ينزله الا اذا شفعت أمه فيه فبعد سنة مرت عليه أمه وقالت أما أن لهذا الفارس أن يترجل فاعتبر قولها شفاعا وأنزله ومن قولها لابنها يوم مقتله : يا بنى لا تقبان منهم خطة تخاف منها على نفسك الذل مخافة القتل فوالله لضربة بالسيف في عز ، خير من ضربة بالسوط في مدلة . فقال لها : انما أخاف المثة . قالت : يا بنى ان الشاة لا يضرها سلعها بعد ذبحها (٦) حصل لى (٧) عذابا يريد أنى لو أتيت بهذه الذنوب كلها لكان ما حصل لى من التعذيب والاهانة والذل والاستكانة كافيا لتمحيص هذه الذنوب . كيف لا وقد صرت الى حالة يرثى لها العدو والحبيب والبعيد والقريب ، وذلك أدل على طلب الرحمة وأحكم في الاستعطاف والبيت الذى ذكره للعتبي .

فكيف ولا ذنب إلا نعمة^(١) أهداها كاشح^(٢) ! ونبأ^(٣) جاء به فاسق وهم الهمازون^(٤) المشاوون^(٥) بنميم ، والواشون^(٦) الذين لا يلبثون^(٧) أن يصدعوا^(٨) العصا ، والغواة^(٩) الذين لا يتركون أدياً^(١٠) صحيحاً ، والسعاة الذين ذكرهم الأحنف بن قيس فقال : « ما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم ! » .

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة^(١١) وليس وراء الله للمرء مطلب

والله ما غششتك بعد النصيحة ولا انحرفت^(١٢) عنك بعد الصاغية^(١٣) إليك ولا نصبت^(١٤) لك بعد التشيع فيك ولا أزمعت^(١٥) ياساً منك ، مع ضمان تكفلت به الثقة عنك ، وعهد أخذه حسن الظن عليك ، ففيم عبت^(١٦) الجفاء بأذمتي^(١٧)

(١) نقل الكلام للافساد (٢) مضمرة العداوة « أهداها كاشح » كناية عن حسن سبك هذه النعمة وأنه معتنى بها كما يعتنى بالهدية للامير (٣) خير (٤) المغتابون (٥) النمامون (٦) الذين يزيتون الحديث للافساد (٧) لبث بالمكان : أقام به (٨) يشقوا (٩) المضلون (١٠) الأديم : الجلد ، يريد سعى النمام وخبر الفاسق وتزيين الغواة والذين يشقون عصا الالفة ويمزقون أعراض الناس ويلمح في عبارته الى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » الآية ، والى قول كثير عزة :

ولا يابث الواشون أن يصدعوا العصا اذا هي لم يصاب على البرى عودها (١١) شبهة : يريد حلفت فلم أترك شبهة في نفسك من براءتي وليس بعد الله يصدق القسم به حتى أقسم به وأذهب اليه . والبيت للنابغة الذبياني من اعتذارياته للنعمان .

(١٢) ملت (١٣) الاصفاء (١٤) الناصبي في العرف من كان عدوا لعلي كرم الله وجهه وهو ضد الشيعي (١٥) خفت ، يقول أقسم بالله أنني مقيم على النصح لك ثابت على الميل اليك ولم أتخذ مذهب الناصبية مذهباً ولم يستفزني اليأس منك وتلعب بي أيدي الأهواء فان ثقتي بك وحسن ظني فيك قد ضمنا لي أن أطرد اليأس بالرجاء في عفوك ، وهذا الكلام من الاستقصاء البديعي بمكان فانه استوفى جميع عوارض المحبة بحيث لم يبق لقاتل قول (لو) ولا (ليت) استجلاباً للرحمة وطاباً للعفو . (١٦) لعب وهزل . (١٧) حرماتي .

وعاث (١) العقوق (٢) في مواتي (٣) ، وتمكن الضياع (٤) من وسائل (٥) ؟ ولم ضاقت مذاهبي (٦) ، وأكذت (٧) مطالبي ؟ وعلام رضيت من المركب (٨) بالتعليق (٩) ؟ بل من الغنيمة بالإياب (١٠) ؟ وأنى غلبني الغلب (١١) ، وفجر (١٢) على العاجز الضعيف ولطمتني (١٣) غير ذات سوار ؟ ومالك لم تمنع من قبل أن أفترس ؟ وتدركني ولما أمزق (١٤) ؟ ! أم كيف لا تضطرم (١٥) جوانح (١٦) الأكفاء (١٧) حسدا لي على الخصوص لك ؟ وتنقطع أنفسي (١٨) النظراء (١٩) منافسة (٢٠) لي على الكرامة فيك

(١) أفسد . (٢) ضد البر . (٣) وسائل . (٤) الهلاك . (٥) ما أتقرب به . (٦) طرقي . (٧) ردت . (٨) الركوب . (٩) المراد تعليق الأمتعة . (١٠) الأياب : الرجوع . (١١) الغاب : المغلوب مرارا (١٢) فجر : اجترا . (١٣) ضربتني على وجهي براحتها (١٤) اقطع ، يستفهم عن سبب افساد الجفاء والعقوق لما قدمه من وسائل للرضا حتى ضاقت عليه المذاهب وامتنت عليه المطالب وحتى رضى من عظيم الأمر بصغيره ومن الغنيمة بالرجوع سالما واجتراً عليه كل ضعيف وغلبه من كان له غلابا وظلمه من لم يكن له كفؤا . وقد ضمن عبارته من الأمثال ما هو كالسحر الحلال (أولها) ارض من المركب بالتعليق يضرب في القناعة بادراك بعض الحاجة (وثانيها) رضيت من الغنيمة بالأياب يضرب في القناعة بالسلامة وهو مأخوذ من قول امرئ القيس :

لقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالأياب
وثالثها ورابعها مأخوذان من قوله :

فانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغاب
وقد صحفه ابن زيدون وهو تصحيف حسن وخامسها (لو ذات سوار لطمتني) قاله حاتم حينما لطمته جارية وكانت العادة لبس السوار للحررة - والثلاثة تضرب عند العجز والدلة - ويشير الى قوله المتعب العبدى :

فان كنت مأكولا فكن خير آكل والا فأدركني ولما أمزق
وفي هذا الاستفهام تحضيض له على انجاده وسرعة انقاذه .

(١٥) تتقد . (١٦) أضلاع . (١٧) الأمثال .

(١٨) جمع نفس . (١٩) جمع نظير . (٢٠) رغبة شديدة .

وقد زانني اسم خدمتك ، وزهاني (١) وسم (٢) نعتك ، وأبليت (٣) البلاء الجميل في سباطك (٤) ، وقمت المقام المحمود على بساطك ؟ !

ألست الموالى (٥) فيك غرّاً قصائد هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجماً (٨) ثناءً يظل الروض منه منوراً ضحى ويخال الوشى (٦) فيه منمنماً (٧) وهل ليس الصباح إلا برداً (٨) طرّزته (٩) بفضائلك ، وتقلدت (١٠) الجوزاء (١١) إلا عقداً فصلته (١٢) بما أشرك ، واستملى (١٣) الربيع إلا ثناءً أملتته في محاسنك ، وبث (١٤) المسك إلا حديثاً أذعته (١٥) في محامدك ؟ (ما يوم حليلة بسر) وإن كنت لم أكسك سلبياً (١٦) ! ولا حليتك عطلاً ! ولا وسمنتك غفلاً (١٧) بل وجدت آجراً (١٨) وجصاً (١٩) فبنيت ، ومكان القول ذا سعة فقلت :

(١) الزهو : الكبر (٢) علامة (٣) جربت

(٤) السمط : الصف من الناس (٥) المتابع

(٦) ضرب من الحرير ذو ألوان (٧) ثوب موشى بألوان فيها البياض - لقد أتى ابن زيدون من كلام السحر وسحر الكلام بما يكبو دونه قلم البلغ - وذلك من الاعتراف لسعيده بأنه قد أوقد النار في قلوب الحساد والنظراء بتعهده له بالانعام بالصلاة حتى انطلق لسانه فيه بالمدائح التي طلعت من الليل أنجماً والثناء الذي زهرت به الرياض ووشيت به حلل الفضل والبيتان من قصيدة للبحترى يعاتب بها الفتح بن خاقان (٨) رداء (٩) علمته (١٠) لبست (١١) برج (١٢) تفصيل العقد : جعل خرزة بين كل لؤلؤتين (١٣) طلب الاملاء (١٤) نشر (١٥) أشعته : والمعنى أن فضائلك التي نشرتها في مدائحك ظهرت للعين ظهور الصباح حتى انه لا يضيء الا بسببها : وأن عقد الجوزاء لم ينشرها فيه الا لكونه استملى من الثناء المملوء بمحاسنك . ثم أثبت أن ما تقدم حقائق ثابتة بقوله «ما يوم حليلة بسر» وهو مثل عربي يضرب في فشو الأمر وانتشاره (١٦) مساويا (١٧) عادم العلامة (١٨) الطين المحرق (١٩) الجير : أراد دفع ما يتوهم من أنه يتفضل عليه باذاعة المحاسن ونشر المدائح وانه اخترع له هذه السجايا والخلال حيث يقول له : انى لم أمدحك الا بما هو فيك من خصائص الخصال وجميل الخلال وانما أنا صغتها في القالب الذى يلفت الأنظار ويجلي صدا الأفكار .

حاشيا (١) لك أن أعدّ من العاملة الناصبة (٢) ، وأكون كالذبالة (٣) المنصوبة ، تضىء للناس وهى تحترق ، فلك المثل الأعلى (٤) ، وهو بك وبى فيك أولى ، ولعمرك (٥) ما جهلت أن (صريح الرأى (٦) أن أتحوّل إذا بلغتنى الشمس ونبأ بى المنزل (٧) وأصفح (٨) عن المطامع التى تقطع أعناق الرجال فلا أستوطى العجز (٩) ولا أطمئن (١٠) إلى الغرور (١١) ، ومن الأمثال المضروبة : خامرى (١٢) أم عامر (١٣) .

(١) تنزيها لك (٢) من النصب : وهو التعب (٣) الفتيلة (٤) الصفة العليا - بعد أن عمل جهد المستطيع فى الثناء عليه أراد أن يستميله بلطف ليجعل لعمله فائدة ونتيجة فنزّهه عن أن يجعل مثله معه كمثل الكفار حيث عملوا وتعنوا فى الدنيا فيما لم يعد عليهم منه فائدة فى الأخرى ، ويشير الى قوله تعالى : (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة ، تصلى نارا حامية) الآية والى قول العباس بن الأحنف :

صرت كائى ذبالة نصبت تضىء للناس وهى تحترق

وبالغ فى التلطف بقوله : فلك المثل الأعلى والصفة العليا من التجاوز والصفح وأنت أولى من صفح عن زلة المسئء ، وأنا أولى من ادخرت مودته بالصفح عنه وما أحسن قوله وهو بك الخ . كأنه يقول هو بك أولى وهو بى كذلك اذا كان فيك فكلا الحالين مخصوص بك وما الطف ما ينسب الى الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى الامام أحمد بن حنبل :

قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله

أن زرتة فلفضله أو زارنى فأفضله فالفضل فى الحالين له

(٥) حياك (٦) شديدة (٧) نبأ بى المنزل : لم يوافقنى (٨) اعرض (٩) استوطىء العجز : أجده لينا سهلا (١٠) أميل (١١) ما يفتر به من متاع الدنيا (١٢) اشترى (١٣) كنية الضبع ، يقسم ب حياة سيده أنه جهل أن سديد الرأى وجوب التحول عن مقام الاهانة متى شعر بلحاقها به كما أنه لم يجهل أن الطمع مورد الهلكة وذريعة الخذلان ومقطع اعناق الرجال وأنه كان عليه أن يرحل ولا يستسهل العجز ولا يميل الى الغرور ولكن خابت آماله وانعكست أحواله فكان الفرور نصيبه والأمل قائده فاعتر كما اعتر الضبع بقول القائل خامرى أم عامر . يشير الى قول أبى تمام :

وإني مع المعرفة أن الجلاء (١) سبباً (٢) والنقلة (٣) مثلة (٤):

ومن يفترب عن قومه لم يزل يرى مصارعَ مظلوم مجراً ومحسباً
وتدفن منه الصالحاتُ وإن يسيءُ يكن ما أساء النار في رأس ككبكب (٥)
عارفٌ أن الأدب الوطن لا يخشى فراقه ، والغليط (٦) لا يتوقع زياله (٧)
والنسيب (٨) لا يخفى ، والجمان لا يُجفى (٩) .

ثم ماقران (١٠) السعد بالكواكب أبهى أثراً ، ولا أثنى خطراً (١١) من اقتران
غنى النفس به ، وانتظامها نسقاً (١٢) معه ، فإن الحائز (١٣) لهما الضارب
بسهم فيهما - وقليل ما هم (١٩) - أيما توجه ، ورد منهل (١٥) بر ، وخط في
جناب (١٦) قبول ، وضوحك قبل إنزال رحله ، وأعطى حكم الصبي على أهله

= وان صريح الرأي والحزم بامرئ اذا بلغت الشمس أن يتحولاً

والى المثل العربى « العجز وطىء » يضرب لمن استلان فراش العجز
وقعد عن طلب المكاسب وقوله خامرى الخ مثل يضرب لمن عرف الدنيا
وتقلباتها ثم يميل اليها ويفتر بها .

(١) الخروج عن الوطن (٢) أسر (٣) الانتقال (٤) تنكيل (٥) جبل
(٦) المخالط (٧) مفارقتة (٨) ذو النسب (٩) لا يهجر: بعد أن بين
لسيده انه لا يجهل أن الصواب التحول أراد أن يبين له انه يعرف أيضاً ان
الانتقال فيه التمثيل والنكال وأن الغربة كربة والنوى توى وأن حسنات
الغريب مهجورة وسيئاته منشوره فقال انى مع معرفتى بأن خسروجى من
وطنى قسر لى ودفن لمحاسنى وانتقالى منه الى غيره مع عدم معرفة أهل
هذه الجهات بما أنا متحل به من العلوم والاداب والكمالات تنكيل بمحاسنى
وتضييع لبهجة كمالانى فيجهل قدرى وتهضم حقوقى وتدفن منى الصالحات
وتشاع على قلتها السيئات غير انى لأعد ذلك البناء هو الوطن الحقيقى بل
وطنى الذى أعول عليه انما هو ملازم لى اينما حللت وارتحلت لاخشى فراقه
وهو سميرى الملازم لى فلا أتوقع غيابه وان النسيب اينما حل فهو معروف
واينما وجد فهو مألوف وحيث هو كذلك فلا يخشى من الانتقال بأسا ولا من
التحول ضيما - والبيتان للاعشى ، والنقلة مثلة - مثل مولد
(١٠) مصاحبة (١١) قدرا (١٢) النسق من الكلام وغيره ماجاء على نظام واحد
(١٣) الجامع (١٤) قليل ما هم . يريد بذلك التعريض لسيده بأنه لا
نظير له فى أخلاقه وآدابه (١٥) عين (١٦) ناحية . بعد أن بين أن الأدب
كبير النفع عظيم الفائدة حتى جعله وطنافى الغربة وفرجة عند الكربة بين =

وقيل له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيتٌ صالح ومقيل
غير أن الوطن محبوبٌ ، والمنشأ مألوفٌ ، واللبيبُ يحنُّ إلى وطنه ،
حنين النجيب (١) إلى عطنه (٢) . والكريمُ لا يجفو أرضاً بها قوابله (٣) ،
ولا ينسى بلداً فيها مراضه - قال الأول :

أحبُّ بلاد الله ما بين منعج (٤) إلى وسلمى أن يصوبَ سحابها
بلاد بها حل الشباب تئمي (٥) وأول أرض مس جلدى ترابها

= أنه يكون أكبر نفعاً وأعظم جدى إذا صاحبه غنى النفس فان المتحلى
بجلاهما القابض على زمامهما أينما يم فالسعد قرينه والناس أهله
يقبلون عليه من كل جانب ويعظمونه كل التعظيم لاول وهلة أين جرى نظره
يعطونه حكم الصبي على أهله يفعل ما يريد كالسيد بالعبيد ويقولون له لقيت
أهلاً ونزلت مكاناً سهلاً واسعاً رحباً فأنس ولا تستوحش وكن كما تحب
وتختار فانت رب الدار . وقوله ماقران السعد الخ أخذه من قول
البيستى :

وأتم الأشياء نورا وحسناً بكر شكر زفت الى صهرير
ماقران السعد بالحوت أبهى منظرًا من قران بر وشكر
وقوله أعطى حكم الصبي الخ : عبارة كانت تقولها العرب في مدح من نزلوا
عنده وأكرمهم وأصل البيت المذكور : فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا
البيت صالح وصديق .

(١) النجيب من الابل الفحل الكريم (٢) مبرك الابل حول الماء (٣) جمع
قابلة وهى من تتلقى المولود عند خروجه (٤) اسم مكان (٥) تميمة وهو
ما يعلق للطفل حفظاً له ، بعد أن بين له أن سديد الرأى الانتقال وانه لا يخاف
عاقبة ذلك لأدبه وغنى نفسه أراد أن يبين له السبب الحامل على المكث
فقال ان الوطن محبوب والمنشأ مألوف

ما من غريب وان أبدى تجلده الا سيذكر عند الغربة الوطننا
ولا غرو فهو أول أرض وجد بها وأول تربة تضحك به جسده وأول بقعة
نما فيها فكره وأول جهة قضى فيها الشباب مآربه مع اخوان وأحباب
وخلان وأتراب - فاذا تذكر هذه الجهات تخيل له رغد العيش وحسن الحال
ورأى أغصان شبابه تتمد على تلك الاوطان وتتمايل مع النسيم تمايل لابلان
فيحن اليها حنين الغريب الى وطنه . وانه ليس من كرم الاصل وشرف =

هذا إلى مغالاتى (١) بعقد جوارك ، ومُنافستى (٢) بلحظةٍ من قُربك واعتقادى
الطمع فى غيرك طبع (٣) والغنى من سواك عناء ، والبدل منك أعور ، والعوض
لغاء (٤) ، وكل الصيد فى جوفِ الفرا (٥) .

وإذا نظرتُ إلى أميرى زادنى ضنا به نظرى إلى الأمراء
وفى كل شجر نار ، واستحمد (المرح والعقار) (٦) ، فما هذه البراءةُ ممن

= المحتد أن يهجر الانسان قوابله ومراضعه لما لهن عليه من الخير العميم
والفضل الجسيم فى أثناء الصفر فالواجب عليه أن يصلهن فى ابان الكبرحتى
يجنين ثمرات أتعابهن ويسرن بحسن معاملته لهن والبيتان لبعض الاعراب .
(١) مجاوزتى الحد (٢) رغبتى فىك على وجه المبادرة (٣) دنس
(٤) خسيس (٥) حمار الوحش (٦) نوعان من الشجر سريعا الورى .
واستحمد : استفضل وقيل اقتدح على الهوينا - بعد أن بين محبة الوطن
والفة المنشأ ، وسبب ذلك الطبيعى : أراد أن يبين للامير أن ذلك ليس هو
السبب الوحيد الحامل على المكث بل انضم اليه ما هو أشد منه تأثيرا وأعظم
خطرا ألا وهو شدة محبته لجوارك وحظوتى بقربك ، وأنت أكرم من حفظ
للجوار حرمة ، وأوضح محبته . واعتقادى بأن الطمأنينة الى غيرك فرور
والثقة بخلافك خذلان وعدم رضائى بسواك بدلا ولا بغيرك عوضا وكيف
استبدل السمين بالغث والراحة بالتعب أم كيف أنظر الى غيرك من الأمراء ،
وغيرك فىك :

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد
نعم وان اشتركوا معك فى اللقب الا أنهم لم يشتركوا معك فى كمال الأدب
وفى كل شجر نار واستحمد المرح والعقار وفى ذلك من استمالة القلب ما
يدهش الأب وقد جمعت هذه العبارة من الأمثال ما يذرى باللال - فأولها
« رب طبع يجر الى طمع » وثالثها « كل الصيد فى جوب الفرا » وهو يضرب
لمن يفضل نفسه على أقرانه وثانيها « البدل منك أعور » يضرب لكل ما لا
يرتضى به ، وأصله أن يزيد بن المهلب لما صرف عن خراسان بقتيبة بن مسلم
الباهلى وكان شحيحا أعور قال الناس هذا بدل أعور - ورابعها « رضى
من الوفاء باللقاء » يضرب لمن يرضى بالقليل من الكثير - خامسها « وفى كل
شجر نار واستحمد المرح والعقار » يضرب فى تفضيل بعض المشتركين فى
صفة على بعض .

يتولاك (١) ؟ والميلُ عن لايميلُ عنك ؟ ! - وهلاً (٢) كان هواك (٣) فيمن
هواه فيك ؟ ورضاك فيمن رضاه لك ؟ !

يامن يعز علينا أن نْفارقهم وجداننا كلَّ شئٍ بعدكم عدمٌ
أعيذك ونفسي من أن أشيمَ (٤) خلِّباً (٥) ، وأستمطرَ جهاماً (٦) ، وأكليمَ (٧)
في غير مكدّم ، وأشكو شكوى الجريح إلى الغربان والرخم (٨) فما أبسستُ (٩)
لك إلا ليتدرّ ، ولا حركت لك الحوار (١٠) إلا لتحن ، ولا نبهتك إلا لأنام
ولا سرّيتُ إلا لأحمدَ السرى (١١) لديك .

(١) مضارع تولاه صار وليه (٢) كلمة تحضيض (٣) ميل النفس :
بعد أن بين له أنه لا يرضى سواه وأنه يفضل جواره على ماعداه وهو مع
ذلك يعرض عنه ولا يميل إليه رجوع ينكر عليه ذلك بطريق الاستفهام كما
هو الأدب من حيث يقول كيف تتبرأ مني وأنا أواليك وتميل عنى وتهجرني
وأنا لا أميل إلا إليك وهلا هويت من يهواك ورضيت من يرضاك والبيت
للمتنبي (٤) شام البرق : نظر إلى سحابته أين تمطر (٥) البرق الذي
لا يعقبه مطر . (٦) السحاب الذي لا ماء فيه . (٧) أعض (٨) طائر
ضعيف (٩) الإبساس : الرفق (١٠) ولد الناقة (١١) السير ليلا -
يطلب منه أن يجعل لأعماله نتيجة يجنى ثمرتها وأن يكون سيده غارس
دوحتها وأن لا يجعله كالمسيح الماء من الصخر ، والمستجير عند كربته بعمرو
والمستمطر الجهام والناظر إلى البرق الخلب بل يرسل عليه عطفه مدرارا ،
وأن يصل رحم الجوار بعد القطيعة ويقر عينها أرضها سهاد الجفوة وأن
يحمد إليه سراه ويحسن عقباه ، ولقد رضع عبارته بجواهر الأمثال
وصاغها في قالب غريب المثل ، يشير فيها إلى قولة معد يكره :

لا تهنى عادة أكرامك لي فشديد عادة منتزعه
لا يكن برقك برقاً خاباً ان خير البرق ما الفيث معه
والى المثل العربى « كدمت في غير مكدّم » يضرب لمن يطلب شيئاً من غير
أهله ، والى قوله المتنبي :

ولا تشكو الى خلق فتشمتهم شكوى الجريح إلى العقبان والرخم
والى الأمثال العربية : « الإبساس قبل الأيناس » وهو يضرب فى الرفق =

وإنك إن سنيت (١) عقد امرى تيسر، ومتى أعذرت (٢) فى فك أسرى لم يتعذر، وعلمك محيط. بأن المعروف ثمرة النعمة، والشفاة زكاة المروءة. وفضل الجاه (٣) يعودُ به صدقه.

وإذا امرؤ أهدى إليك صنيعاً من جاهه فكانها من ماله

لعلى ألقى العصا بذاك (٤) وتستقرُّ بى النوى (٥) فى ظلك، وأستأنف (٦) التآدب بأدبك، والاحتمال على مذهبك، فلا أوجدُ للحاسد مجال (٧) لحظه (٨) ولا أدعُ للقادح (٩) مساعً (١٠) لفظه.

= «حرك لها حوارها تحن» وهو يضرب فى استنهاض الهمة، و«لها عمرا ثم نم» يضرب فيمن يعتمد على غيره، و«عند الصباح يحمد القوم السرى» وهو يضرب عند حمد العاقبة.

(١) سهلت . (٢) بالغت فى طاب العذر (٣) المنزلة - يقول لسيده : انى ما كلفتك أيها السيد بارتكاب متون الأحوال ولا بمعاناة الأحوال ولا بعد نجوم السماء ولا رمال الدهناء، وانما هو أمر يكبر فى عين سائله ويصغر عند باذله وهو فى يدك وقبضتك وأنت قادر عايه وان سهلت عسيره سهل وان التمسيت المعذرة انتقت الصعوبة، وأنت تعلم - زادك الله علما - أن النعمة شجرة ثمرها المعروف وان المروءة مال زكاتها الشفاة وشفاة الاسان أفضل زكاة الانسان وبذل الجاه رقد المستعين - وأيد ذلك بالبيت بعده وقوله أن سنيت مأخوذ من قول بشار :

فبالله ثق ان عز ما تبتغى وقل اذا الله سنى عقد أمر تيسرا

(٤) كل ما استترت به . (٥) ماينويه المسافر من قرب أو بعد

(٦) ابتدى . (٧) جال : طاف . (٨) نظره . (٩) الطاعن .

(١٠) ساغ الشراب : سهل مدخله فى الحلق - يقول أرجو من سيدي أن يعفو عن ذنبى وتقصيرى ويأبى ندائى، هذا كى أسكن فى ظك وكتفك ولا أذهب الى غيرك وتكون غاية آمالى ومنتهى أسفارى وأتوب عما كنت مرتكبه و متمسكا به مما لا يرضيك وأتخلق بأخلاقك واتمسك بطريقتك وأحذو حذوك وتبع مذهبك وبذلك لا يجد عدوى فى مدار لحظه ولا الطاعن ما يسوغ من لفظه . وقوله لعلى ألقى الخ حل بيت للمعز بن أوس وهو :

والقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

والله مُسْرِكٌ من إِبْطالِي (١) بهذه الطُّلْبَةِ (٢) وإِشْكَائِي (٣) من هذه الشُّكْوَى ،
بصنِيعَةٍ تُصِيبُ مِنْهَا مَكَانَ المِصْنَعِ ، وتُسْتودِعُهَا أَحْفَظُ . مُسْتودِعٌ حَسْبَمَا أَنْتَ
خَلِيقٌ (٤) له ، وَأَنَا مِنْكَ حَرِيٌّ (٥) به ، وذلك بيده وهينٌ عليه .

مكاتبات متفرقة

كتب رئيس الجمهورية التركية إلى إحدى الدول الأوروبية :
أيها الوزير الأفخم - إن لفظة تقسيم (تركيا) إِفْكٌ لا يفوه به عاقل ،
ولا يتصوره إنسان ، تكاد تنفطر له السماء دهشة ، وترتج له الأرض وحشة ،
بل تخِرُّ دونه الجبال ، وتنفك عنده الآمال ، كأن أوروبا تستطيعه ، ولكنها
لم تفعله ولن تفعله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، ف«قل اللهم مالك
الملك ، تُؤْتِي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعزُّ من تشاء ، وتذلُّ
من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير» .

تقسيم تركيا : كلمة ليست أكبر من أوروبا فقط . بل هي أكبر من
منظومة هذا العالم الشمسي ، الذي تراه ، أو تسمع به ، إن كنت لا تراه ،
فلا يليق أن يفوه به إلا فم القدرة الإلهية «القائم ع كل نفس بما كسبت
والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون» .

تقسيم تركيا : ربما يكون ، ولكن متى يكون ؟ حينما يتحلّى وجه البسيطة
بدمائنا الطاهرة الزكية ، يوم ترى الأرض لابسة تلك الحلة الأرجوانية الثمينة
حيث تتمشى الدماء على فيروزج الفضاء ، محاطة كواكب الوجود بكتائب جنود

(١) اسعافى (٢) ما أطلبه (٣) ازاء ما أشكوه . (٤) جدير .
(٥) حقيق : يقول لسيدته والحمد لله الذى سهل لك مطلبى واسعافى وازالة
ما أشكوه من آلام السجن بمعروف تبذله لأهله وتحفظه عند أمين لوقته
حسبما يقتضيه كرم أخلاقك وجميل صفتك وأنا أحق الناس به لمودتى لك
واخلاصى فى ولانك وما ذلك عليك بعزير :
أن الصنِيعَة لا تكون صنِيعَة حتى تصيب بها مكان المصنع

العدم المطلق : لا أرض لمن تُقِلُّ ، ولا سماء لمن تُظِلُّ ، ولا قائم موجود ، ولا دائم مقصود - هنالك تتحدث شياطين الخيال في أندية المحال بحديث ذلك التقسيم المشئوم ، ولا من سميع ، ولا من مجيب ؛ فالويل ثم الويل يوم ذلك التقسيم الموهوم ، والثبور إذا تنزلت السماء بقضاء ذلك الهول المقسوم « إن في ذلك لبلاغاً لقومٍ يتفكرون » .

وكتب ابن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ هـ في شكر صديق له على مراسلته إياه :

وصل ما وصلتني به (١) - جعلني الله فداك (٢) - من كتابك ، بل نعمتك التامة ، ومنتك العامة (٣) فقرت عيني بوروده (٤) ، وشفيت نفسي بوفوده (٥) ، ونشرته فحكى نسيم الرياض غيب المطر (٦) ، وتنفس الأنوار في السحر (٧) ، وتاملت مفتحة وما اشتمل عليه من لطائف كلمك ، وبدائع حكمك (٨) ؛ فوجدته قد تحمل من فنون البر عنك (٩) ، وضروب الفضل منك (١٠) جداً وهزلاً (١١) ماملاً عيني ، وغمر قلبي (١٢) ، وغلب فكري ، وبهرلبي (١٣) ، فبقيت لا أدري ! أسموط . در خصصتني بها (١٤) ؟ أم عقود جوهر منحتنيها (١٥) ؟ ولا أدري : أجلك أبلغ وألطف ؟ أم هزلك أرفع وأظرف ؟ وأنا أوكل بتتبع ما انطوى عليه نفساً لا ترى

(١) ورد الى كتابك الذي ربطتني به معك (٢) فداك : أى وضعنى الله مكانك فى كل مكروه حتى تخلص منه (٣) أى الذى ورد الى هو خطابك الذى أعده بمنزلة نعمتك العمومية وجميلك الشامل . (٤) فاطمأن قلبى بوصوله الى (٥) وطابت نفسى بمجيئه الى (٦) ونشرته أى فتحته فحكى نسيم الرياض غيب بالمطر ، أى يشبه الريح التى تهب من البساتين بعد ما نزل المطر عليها . (٧) وأشبه تفتح الأزهار فى أواخر الليل . (٨) أى وتدبرت فى صدره رقى الكلمات الطيفة التى أودعتها فيه والحكم البديعة التى نثرتها فيه . (٩ و ١٠) أى شاهدت منه أنواعاً من الأكرام أثبتتها فيه ، وأصنافاً من الأفضال دونتها فيه . (١١) من الأمور الهامة الجديدة والأمور المفرحة المازحة . (١٢) ملاً عيني : يعنى صرفها عن النظر الى غير احسانك - وغمر قلبى أى : لم يدع له منصرفاً الى غير أفضالك . (١٣) وغلب فى فكري أى : استحوذ على عقلى ، وبهرنى أى راع عقلى وسباه (١٤) أى عقود در قصرتها على (١٥) ومنحتنيها أى أعطيتها .

إلا ما اقتنيته منه (!) ، ولا تعدّ الفضل إلا فيما أخذته عنه ، وأمتع بتأمّله عينا لا تقر إلا بمثله ، مما يصدر عن يدك ، ويرد من عندك ، وأعطيه نظراً لا يمله ، وطرفاً لا يطرف دونه (٢) ، وأجعله مثالا أرسمه وأحتديه (٣) ، وأمتع خلقى برونقه ، وأغذى نفسى ببهجته ، وأمزج قريحتي بقرته ، وأشرح صدرى بقراءته ، ولئن كنت عن تحصيل ما قلته عاجزاً ، وفي تعديد ما ذكرته متخلفاً ، لقد عرفت أنه ما سمعت به من السحر الحلال .

ومن كتاب للمرحوم السيد توفيق البكرى فى سفرته إلى الآستانة العلية :
 كتابى إلى السيد الأجل ، وأنا أحمد الله إليه ، وأدعوه أن يديمّ النعمة والسلامة عليه . وبعد : فلما اعتزمت على الرحلة هذا العام ، إلى قبة السلام ، ودار خلافة الإسلام ، وفارقت مصر ، وساكنها ، وأرباضها (٤) ، ومواطنها ، ركبت سفينة عدوكية (٥) إلى الثغور الفرنجية ؛ فجرت فى خضم (٦) عجاج ، ملتطم الأمواج ، له دوى من جرجرة (٧) الآذى (٨) أخضر الجلد ، كأنه إفرند (٩) تصخب (١٠) فيه النيمان (١١) ، وتجرى فى جوفه الدعاميص (١٢) والحيتان ، إذا مازجه الأصيل (١٣) بالعشى خلته كسرت (١٤) عليه الحلى ، أو مزج بالريحق (١٥) القطربلى (١٦) ، وإن لاحت به نجوم السماء ، خلته صفائح من فضة بيضاء سموت بمسامير صغار نضار (١٧) . وأخذت السفينة تشقّ عبابه (١٨) ، وتغلق حبابه (١٩) بين ریح رخاء (٢٠) ، أو عزع (٢١) هوجاء (٢٢) ، فهى تارة فى طريق معبد (٢٣) ،

- (١) اكتسبه . (٢) الطرف العين ، يطرف : يطبق جفنا على الآخر .
 (٣) أرسمه فى فكرى وأقتدى به . (٤) مساكنها . (٥) نسبة الى قرية عدولى بالبحرين أو نسبة الى صانعها ، والمقصود أنها أضخم سفينة
 (٦) البحر (٧) الصوت (٨) الموج (٩) جوهر السيف (١٠) تختلط أصواتها (١١) جمع نون وهو الحوت (١٢) جمع دعموص دودة لها رأسان ترى فى الماء اذا قل (١٣) الوقت بعد العصر حتى تغرب الشمس (١٤) رددت ووضعت (١٥) الخمر (١٦) بضم القاف وسكون الطاء وضم الراء وتشديد اللام الخمر المنسوب الى قطربل قرية بين بغداد وعكبرا مشهورة بالخمر الجيدة (١٧) الذهب (١٨) الموج (١٩) بفتح الحاء ما يعلو (٢٠) بضم الراء الريح اليبنة (٢١) بفتح الزاء بن الريح الشديدة (٢٢) بفتح الهاء الريح القوية تطلع الأشجار والبيوت (٢٣) مدلل ومسهل

ورميث (١) مُسَرَّد (٢) ، وطوراً فوق حَزَن (٣) وقرَدَد (٤) ، أو على صرح (٥) مُمَرَّد (٦) ، وكان معنا في الفلك ، رهط. من العرب والترك ، فكنا نتوارد معهم في جوائب (٧) الأخبار ، وطُرف (٨) الأحاديث والأسمار (٩) ، ما يُزرى (١٠) بالمنهل العذب ، واللؤلؤ الرطب ، إلى أن يميل ميزان النهار ، وتغرق ذُكَاة (١١) في البحار ، ويُسمى الكون من السواد في لبوس حديد (١٢) أو لباس حداد ، وتبرق نجوم السماء في أكذاف الظلماء ، كأنها سِكاك (١٣) دِلاص (١٤) ، أو فلق رصاص ، أو عيون جراد ، أو جمر في خلال رماد ، أو دُرٌّ في بحر أو ثُقب في قبة الديجور (١٥) ، يلوح منها النور ، ويبدو الهلال كأنه خنجر من ضياء ، يُشقُّ طيالس الظلماء ، أو قلادة أو دِمْلُج (١٦) غادة (١٧) ، أو سِنان (١٨) لواه الضراب ، أو الليل فيل وهو ناب ، فنأخذ مجلساً نسمه (١٩) الكافور ، وأرضه عنبر مذرور (٢٠) رُفِمت فيه زرابي مبعوثات (٢١) ، ومنايد (٢٢) ، وحُسيانات (٢٣) ، وأنماط (٢٤) مفروشة ، وبُسط. منقوشة :

بُسط. أجادَ الرسمَ صانِعُها وزها عليه النقش والشكلُ

فيكاد يُقَطِّفُ من أزهارها ويكاد يسقط. فوقها النحل

وحوله شموع تزهو ، وأضواء تبهر (٢٥) ، وقد دارت عليه سُقاة (٢٦) ،

-
- (١) الأرض السهلة . (٢) منتظم لا صعوبة فيه . (٣) الأرض الصعبة . (٤) الأرض المرتفعة الغليظة . (٥) القصر . (٦) مرد البناء : ملسه حتى صار ناعماً . (٧) الأخبار الطارئة (٨) المحاسن . (٩) الأحاديث وأصله لأحاديث الأيل (١٠) يعيب ويحقر (١١) بضم الذال ممنوعة من الصرف اسم الشمس (١٢) بفتح اللام الدرع (١٣) جمع سك المسمار (١٤) بكسر الدال الذي يبرق ويلمع (١٥) الظلام (١٦) بكسر الدال وزن درهم أو بضمها مع ضم اللام : حلى للنساء يابسه في أيديهن (١٧) المرأة الناعمة لينة الأعطاف (١٨) حديدة الرمح (١٩) نسيمه (٢٠) منشور (٢١) منشورات (٢٢) جمع منبذة وزن مكنسة الوسادة التي يتكأ أو ينام عليها (٢٣) جمع حسيانة الوسادة الصغيرة التي يتكأ عليها أيضا (٢٤) جمع نمط ، ثوب من صوف يطرح على الهودج ذو لون من الألوان . (٢٥) تزهو وتبهر كلاهما بمعنى تضيء وبأبهما منع . (٢٦) جمع ساق .

كجُمَاع (١) الثريا (٢) ، بأفداح الحُمَيَّا (٣) ، وأكواب (٤) الفانيذ (٥) ، المروِّق ، وقوارير (٦) الجلاب (٧) المصْفَق (٨) ، ثم تجىء قَيْنَةٌ (٩) في يدها ناي ، كأنه صور إسرائيل ، يُحِي الرفات (١٠) ، وَيَنْشُرُ (١١) الأموات ، حتى إذا بدا الضياء ، كابتسام الشفة اللمياء ، دخلنا المضجع لهجع ، وهلمَّ جرًّا (١٢) ، في أيامنا الأخرى .

وكتبت السيدة وردة اليازجية إلى السيدة عائشة تيمور المتوفاة سنة ١٣٠٠ هـ :

سيدتي ومولاتي - أعرض أنني بينا أنا ألهج بذكر أطفاكم السنية ، وأننسم شذا أنفاسكم العبقرية ، وأترقب لقاءً أثر من لذنكم يتعلل به الخاطر ، ويكتحل بإثمد مداده الناظر .

وصلّنتي مكاتبتكم ، فجلّت عن العين أقذاءها ، وردت إلى النفس صفاءها ، فتناولتها بالقلب لابلبنان وتصفحت ما في طيها من السحر البيان ، فقلت :

هذا الكتاب الذي هام الفؤاد به يا ليتني قلّم في كف كاتبه

ولعمري إنه كتاب حوى بدائع المنشور والمنظوم ، وتحلّى من درر الفصاحة فأخجلت لديه درارى النجوم ، وقد تطلعت على مقامكم العالى بهذا الجواب ناطقاً بتقصيري ، وضمّنته من مدح سجاياكم الغراء ، ما يشفع لدى مكارمكم في قبول معاذيري ، لازلم للفضل معدناً وذخراً ، وللأدب كنزاً وفخراً .

وكتبت السيدة عائشة تيمور إلى السيدة وردة اليازجية المتوفاة سنة ١٣١٣ هـ :

أستهلُّ براءة سلام حمل الشوق رسالته ، وتقلد الشفق ما نشقت ناشقة عرّف الوداد كفالاته ، ولورضيت المجال ، في صدق المقال ، لنطق بخالص الوفاء

(١) بالضم ما جمع وانضم بعضه الى بعض ومراده الغلمان (٢) سبعة
كواكب منضمة بعضها الى بعض . (٣) الخمر والمراد الشراب (٤) جمع
كوب الكوز المستدير الرأس لا عروة له أو لا خرطوم (٥) نوع من الحلوى
فارسي معرب بانيد . (٦) جمع قارورة : ما يوضع فيها الشراب من
الزجاج (٧) ماء الورد فارسي معرب (٨) المروِّق الصافي (٩) المغنية
(١٠) الحطام البالي ، والمراد الأموات (١١) يحييها (١٢) معناه اتصال
الأمر واستدامته

مداد حروفه ، وأقام بأداء التحية العاطرة قبل فض ختام مظهره ، ولِعمرى قد
تَوَجَّته أزهار الشفاء بالآئى غراء ، وكللته زواهر الوفاء ، من خالص الوداد إلى من
لانزال تَسْتَرُوح الأسماع بنسيم أنبائها صباح مساء ، وتشوق الأرواح إلى استطلاع
بدر إنسانها الكامل أطرافاً وآناء ، ومما زادنى شوقاً إلى شوق ، حتى لقد شبَّ فيه
طفل الشفق عن الطوق ، اجتلاى حديقة الورد القدسية ونافجة الأدب
المسكية ؛ فيالها من حديقة رمتها أحداق الأذهان ، فاقتبست نوراً ونوراً
وانتشقت مسامُ الأذان ، فتملت طرباً وسروراً ، ومنذ سَرَّحتُ في أرجاء تلك
اليانعة إنسان العيون ، وشرحت بأفكار البصيرة أسرار ذلك الدرّ المصون ،
لم أزل بين طرب أتوشح بوشاحه ، وأتعجبُ من حسن اختتامه وافتتاحه ،
وجعلت أغازل من نرجس تلك الروضة عيوناً ملكت منى الحواس وهَصَّرتْ
من غصون ألفافها كل مشوق أهيف مَيَّاس ، وأتأدب في حضرة وردها خوفاً من
شوكة سلطانها ، وأن حياتى بجميل الالتفات ضاحكة عن نفيس جُمانه ، وإذا
بالياسمين الغضُّ قد ألقى نفسه على الثرى ونادى بلسان الإفصاح : هل لهذه
النضرة نظيرة يأترى ؟! فأشار المنشور بكفه الخضيب أن لا نظير لتلك الغادة ،
ونطق الزنبق بلسان البيان : لا تكتموا الشهادة ، فعند ذلك صَفَّقَ الطير بأَكفِّ
الأجنجة وبَشَّرَ ، وجرى الماء لإذاعة نبي السرور فعثر بذيل النسيم وتكسَّرَ ،
وتمايلت أغصانها المورقة لسماع هذا الحديث ، وأخذت نسماها العاطرة في
السير الحثيث ، إذاعة لتلك البشائر في العشائر ، ونشراً لهذه الفضائل
التي سارت مسير المثل السائر ، فقلت بلسان الصادق الأمين ، بعد تحقيق
هذا النبي اليقين : هكذا تكون الحداثق وإلاً وكذلك لتكتب الفضائل وتعلمي :
وحدتني ياسعد عنهم فزدتني غراماً فزدني من حديثك ياسعد
فتحمل عنى أيها الصديق تحيةً إلى ربّة هاتيك الحديقة ، واشرح لديها
شغفى بفضلها الباهر على الحقيقة ، واعتذر عن كتابي هذا فقد جاء يمشى

على استحياء ، وكلما حركه الشوقُ يُبْطئه الحياء . وكيف وقد حلَّ في منبع
الفضائل والمقام لم يدع مقالا لقائل ، فكأنى أهدي التمر إلى هجر ، وأمنحُ
البحرَ الخِضَمَّ بالمطر ؛ أدام اللهُ معالي تلك الحضرة ، وزادها في كل بهجة
ونُصرة ، ما لاح جبينُ الهلال ، وبلغ غاية الكمال .

وكتب المرحوم السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ :
أستاذي وقُدوتي ، وملاذي وعُمْدتي - رَبَّيتَ فَأَحْسَنْتَ ، وَغَدَّيتَ
فَأَسْمَنْتَ ، مُؤَدِّيًّا لَيْثًا ، وَلَيْنتَ فَسَوَّدْتَ ، وَجُدْتَ فَعَوَّدْتَ ، مُهْدِبًا غَيْثًا ،
وَعَلَّمْتَ فَأَفْهَمْتَ ، وَأَشْرْتَ فَأَلْهَمْتَ غَرَضَ سَهْمِكَ ، وَقَدَنْتَ مَا أَمَلْتَ ،
فِيَمَنْ عَلَيْهِ عَوَّلْتَ بِحَسَنِ فَهْمِكَ :

غلامك الشهيرُ بالنديم من صار في البيان كالنسيم
وكيف لا يكون لساني قوس البديع ، وكلامي السهم السريع ، وأنت
باريه وراميه ! أم كيف لا يكون مقامي الحِصْنُ المنيع ، وقَدْرِي العزيز الرفيع ،
وأنت مُعْلِيهِ وبانيهِ ! فوجهُ جمالِ العلم أنت غرته ، وإنسانُ عينِ العلم أنت
قُرْتَهُ ، وحاليهِ وجاليهِ ! وجبينُ العقل أنت طرته ، وكتاب الفضل أنت
صورتَهُ ، وطاليهِ وتاليهِ :

على بابك العالی من الفضل رایةً
فعلمك جناتٌ وحلمك جنَّةٌ
أرى غصن من يدعو إلى الفضل نفسه
إذا رُمَتْ إنشاءً فعن صدق قريحةٍ
على رأس أرباب المعارف تخفق
وكلك خيراتٌ وغيثك مُغْدِقٌ
من الفضل عُرياناً وغصنك مورق
تهادي بكارٍ ، وغيرك يسرق
وكتب أيضاً في التودد :

بينما أنا راكب لجة بحر الفكر ، مُجِدُّ في طلب فريدةٍ بكر ، تارة أغوص
ومرة أسبحُ ، وآونة أقفُ وطوراً أصفحُ ، لا يقرُّ لي قرار ولا يمكنني الفرار ولا
يقصر عن طرْحِ شباكي ذراع ، ولا يُطوى لسفينتي شرع ، كلما أدركني الملل

هاجت على رياح الأمل حتى دخلت في بحر عجاج مُتلاطم الأمواج ، فافتحمت
 هذا المركب الصعب ، وتهت بين الجزائر والشعب ، فتعلقت أفكارى
 بالصوّارى والجمال ، وبتُّ بليلة نجومها كواحل ، لا يرمى فيها برّ ولا ساحل ،
 وقلتُ : اشتداد الأمر يستدعى ضده ، ولا يأتى الفرج إلا بعد الشدة ؛
 وعينيك ما سل سيفها على مفرق مساها ، حتى سمعتُ باسم الله مجريها
 ومُرْسَها ، فكان من تمام حظى وسُعودى أن تركتُ لُجّة اليمِّ واستوت على
 الجودى ، وانصرف خوفي وارتباكى ، وبادرت بطرح شيباكى ، فإذا هى قد
 مُرِئت بأصداف الجواهر وعلقت بها شجرة العنبر ، ففتتح الصدف عن درّ
 يستخدم الأقمار ، وفاح العنبر بما أذهب شدّى الأزهار .

وصرت ما بينهما كسرى الزمان له شمس تناديهُ في مجلس عطر
 ونلتُ أقصى أمان كنت آملها الأنس في خلدي والنور في نظرى
 ولما جلوت الظرف ، بما فيها من الظرف ، ووقعت عندى الموقع الحسن ،
 أردت أن أسومها بئمن ، فإذا هى دُرّة يتيمة ، لا يقدر لها أحد على قيمة ،
 فاستهديتها من ربا ، لشغفى بحبها ، وجعلت القلب لها كنزاً ، والفؤاد لها
 حرزاً ألا وهى محبة العزيز الحافظ . أبداع مرثى وأبلغ لافظ .

وكتب إبراهيم بك المويلحى يعزى محمود باشا سامى البارودى :
 أنت فوق أن تُعزى عن الأحبا ب وفوق الذى يعزىك عقلا
 وبألفاظك اهتدى فإذا عزاً ك قال الذى قلت قبلا
 وقتلت الزمان علماً فما يغرب ب قولاً ولا يُجدد فعلا

نعم ؛ إنك يا «محمود» الخصال و«سامى» الفعال . لأنت الشهم المُجرب
 لُصروف الحدّثان ، والعالم الخبير بأحوال الزمان . قد أعددت لنوازل المقدور
 نُزلاً من الصبر المُأجور ، وصرفت ضيف الشجون والنهموم ، إني فرى المضائل

والعلوم ، وأخذت بسنة السلف الصالح في مقابلة الخطوب الفوادح ، وأنت لاشك عندنا آخذ فيما دهمك اليوم من المصاب العظيم ، بسيرة ذلك الفيلسوف الحكيم بينما هو جالس يوماً في الدرس بين تلاميذه ، إذ جاءه من أخبره بأن ابنه الوحيد مات وهو رطب الشباب غض العمر ، فلم يتولّه الفزع ، ولم يظهر عليه الاضطراب ، ولم يبدُ على وجهه الكدر ، وما زاد على أن استرجع ، واستمر في قراءة درسه ، فلما انتهى بادره أحد الحاضرين من أصحابه ممن حيرتهم الدهشة في أمره يسأله : كيف لم يسلبه الحزن ثوب الثبات برهةً عند مفاجأته بالخبر ؟ فقال له « لو فاجأني النازلة على غرة مني لجزعتُ وحزنتُ ولكني ما زلت أُقدِّرُ لابني منذ يوم ولادته ، حُلُولَ أجله في كل يوم من أيام حياته ، ومثل هذا اليوم كنت أعده من زمان طويلٍ ، وكان كلما مضى عام من أعوامه اعتبرته خلسة اختلستها من الدهر ، حتى مضى على هذه العارية عشرون عاماً ، فشكوى لله اليوم على أن أباقها في يدي طول هذه المدة ، يقوم مقام الحزن عند غيري لدى استردادها » وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم . فيقول : أقبضتم ثمرة قلبه ؟ فيقولون : نعم . فيقول الله تعالى : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع فيقول : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة ، وسموه بيت الحمد » وأنت يا محمود ، صلوات الله عليك ورحمته لقوله تعالى : (ولنبلونكم بشيءٍ من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشّرِ الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون) أول من يمثل لحكم القضاء ، ويسترجع عند نزول البلاء ، ويعمل بأدب الدين في التجلد والتصبر ، ويأخذ بسيرة الحكماء في التدبر والتصبر :

ومن كان ذا نفس كنفسك حرّةً ففيه لها مغن ، وفيها له مُسل

وكتب سهل (١) بن هرون المتوفى سنة ٦٤٩ في البخل :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصلح الله أمركم ، وجمع شملكم ، وعلمكم الخير ، وجعلكم من أهله . قال الأحنف بن قيس : معشر بني تميم لا تسرعوا إلى الفتنة ، فإن أسرع الناس إلى القتال ، أقلهم حياء من الفرار . وقد كانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب جمّة ، فتأمل عياباً ، فإنه يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب . ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب ، وقبيح أن تنهى مرشداً ، وأن تغرّى بمُشفق ، وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويم فاسدكم ، وإبقاء النعمة عليكم ، وما أخطأنا سبيل حُسن النية فيما بيننا وبينكم ، وقد تعلمون أننا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لكم ، ولأنفسنا قبلكم ، وشهرنا به في الآفاق دونكم ، ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » فما كان أحقنا منكم في حرمتنا بكم ، أن ترعوا حق قصدنا بذلك إليكم على ما رعيناه من واجب حقكم ، فلا العذر المبسوط بلغتم ، ولا بواجب الحرمة قتم ، ولو كان ذكر العيوب يراد به فخر ، لرأينا في أنفسنا عن ذلك سُغلاً .

عبتموني بقولي لخادمي : أجيدي العجين فهو أطيب لطعمه ، وأزيد في ريعه (٢) ، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « املكوا (٣) العجين ، فإنه أحد الريعين » .

وعبتموني حين ختمت على ما فيه شيء ثمين من فاكهة رطبة نقيّة ، ومن

(١) هو من أبناء الفرس وكان من رجالات البلاغة والعلم والحكمة في دولتي الرشيد والمأمون وقد وضع كتابا حاكى به كتاب « كليلة ودمنة » وسماه « ثعلة وعفرة » وكان قيم بيت الحكمة (مدير دار الكتب) في عهد المأمون .

(٢) الريع النماء والزيادة . (٣) املاك العجين : انعام عجيبة .

رُطبة غريبة ، على عبدٍ نهم ، وصبي جَشِع ، وأمة لكُعاء^(١) ، وزوجةٍ مُضيعة .
وعبتموني بالختم ، وقد ختم بعض الأئمة على مزود سويق^(٢) وعلى كيس
فارغ . وقال : « طينه من طيه »^(٣) فأمسكتم عن ختم على لاشيء ، وعبتم
من ختم على شيء .

وعبتموني أن قلت للغلام : « إذا زدت في المرق فزد في الإنضاج ،
ليجتمع مع التأدم باللحم طيب المرق » .

وعبتموني بخُصْف^(٤) النعل ، وبتصدير^(٥) القميص ، وحين زعمت أن
المُخْصُوفة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالشد ، وإن الترقيع من العزم ، والتفريط-
من التضييع ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخْصِف نعله ويرقِّع ثوبه ،
ويقول : « لو أهدى إليّ ذِرَاع لقبلت ، ولو دعيت إلى كُرَاع لأجبت » .
وقالت الحكماء : لاجديد لمن لم يلبس الخلق ، وبعث زياد رجلاً يرتاد له
مُحدِّثاً واشتراط عليه أن يكون عاقلاً ، فأتاه به موافقاً ، فقال له : أكنت به ذا
معرفة ؟ قال : لا . ولكني رأيته في يوم قانظ . يلبس خلقاً ويلبس الناس
جديداً . فتفرست فيه العقل والأدب . وقد علمت أن الخلق في موضعه ، مثل
الجديد في موضعه ، وقد جعل الله لكل شيءٍ قدراً ، وسماه موضِعاً ، كما جعل
لكل زمان رجالاً ، ولكل مقام مقالاً . وقد أحيا الله بالسم ، وأمات بالدواء ،
وأغص بالماء . وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكاسيين ، كما زعموا أن قلة
العيال أحد اليسارين . وقد جبر الأحنف بن قيس يد عنز ، وأمر مالك بن
أنس بفرك النعل . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من أكل بيضة
فقد أكل دجاجة ، ولبس سالم بن عبد الله جلد أضحية . وقال رجل لبعض
الحكماء : أريد أن أهدى إليك دجاجة ، فقال : إن كان لابد فاجعلها بيوضاً .

(١) اللكاء : الحمقاء (٢) المزود : وعاء الزاد والسويق : شراب يتخذ
من الحنطة أو الشعير (٣) طينه من طان الشيء أى ختمه بالطين « طيه »
من الطوى وهو الجوع . (٤) خصف النعل : خرزها (٥) تصدير
القميص : أن يجعل صدره بطانة .

وعبتموني حين قلت : من لم يعرف مواضع السَّرَفِ في الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد في الممتنع الغالي . ولقد أتيت بما للوضوء على مبلغ الكفاية وأشد من الكفاية ، فلما صرّحت إلى تفريق أجزائه على الأعضاء ، وإلى التوفير عليها من وَضِيعَة (١) الماء ، وجذت في الأعضاء فضلا عن الماء ، فعلمت أن لو كنت سلكت الاقتصاد في أوائله لخرج آخره على كفاية أوّله ، وكان نصيب الأوّل كنصيب الآخر . فعبتموني بذلك وسنّعت عليّ ، وقد قال الحسن ، وذكر السرف : « أمّا إنه ليكون في الماء ، والكلأ » فلم يرض بذلك الماء حتى أردفّه الكلأ .

وعبتموني أن قلت : لا يَغْتَرَّنْ أَحَدُكُمْ بطول عمره ، وتقويس ظهره ، ورقّة عظمه ، ووهن قوّته . وأن يرى نحوه أكثر ذرّيته ! فيدعوه ذلك إلى إخراج ماله من يده ، وتحويله إلى ملك غيره ، وإلى تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ، فلعله يكون مُعَمَّرًا وهو لا يدري ، وممدودًا له في السن وهو لا يشعر . ولعله أن يُرْزَقَ الولد على اليأس ، ويحدث عليه من آفات الدهر ما لا يحظر على بال ولا يُدركه عقل ، فيستردّه ممن لا يرده ، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه ، أصعب ما كان عليه الطرب ، وأقبح ما كان به أن يُطلب ؛ فعبتموني بذلك . وقد قال الأوّل : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا » .

وعبتموني بأن قلت : بأن السرف والتبذير إلى مال المواريث ، وأموال الملوك ، وإلى ما لا يُعرّض فيه بذهاب الدين ، واهتِصام العرّض ، ونصب البدن واهتِصام القلب أسرع ، وأن الحفظ للمال المكتسب ، والغنى المحتلب أقرب ، ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله ، ومن لم يحسب الدخل ، فقد

(١) الوضيعة هنا : النقص .

أضاع الأصل ومن لم يعرف للغنى قدره ، فقد أُوذِنَ بالفقر ، وطاب نفسياً بالذل .
وعبتموني بأن قلت : إن كَسَبَ الحلال يضمن الإنفاق في الحلال ، وإن
الخبِيثَ يَنْزِعَ الخبيث ، وإن الطيب يدعو إلى الطيب ، وإن الإنفاق في الهوى
حجاب دون الهدى ، فعبتم على هذا القول ، وقد قال معاوية : لم أرَ تَبْذِيرًا قط .
إلا وإلى جنبه تَصْصِيع ، وقد قال الحسن : إن أردتم أن تعرفوا من أين أصاب
الرجل ماله ، فانظروا فيما إذا يُنْفِقُه ، فإن الخبيث إنما يُنْفَقُ في السرف ،
وقلت لكم بالشفقة عليكم ، وحسن النظر متى لكم ، وأنتم في دار الآفات ،
والحوائج غير مأمونات فإن أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع إلا إلى نفسه ،
فاحذروا التَّكْمُ باختلاف الأمكنة فإن البنية لا تجرى في الجميع إلا بموت الجميع ،
وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في العبد والأمة والشاة والبعير : فرّقوا بين
المنايا . وقد قال ابن سيرين لبعض البَحْرِيِّين : كيف تَصْنَعُونَ بأموالكم ؟
قالوا : نُفَرِّقُهَا في السفن ، فإن عَطِبَ بعض سلم بعض ، ولولا أن السلامة أكثر
ما حَمَلْنَا أموالنا في البحر ، قال ابن سيرين « تحسبها خرّقاء وهى صناع » (١)
وعبتموني بأن قلت لكم عند إشفاقى عليكم : إن للغنى لسُكْرًا ، وللمال
لنزوة (٢) ، فمن لم يحفظ الغنى من سكره ، فقد أضاعه ، ومن لم يربط
المال بخوف الفقر فقد أهمله .

فعبتموني بذلك ، وقد قال زيد بن جبلة : ليس أحد أقصر عقلاً من
غنى أمن الفقر ، وسُكْرُ الغنى أكثر من سُكْرِ الخمر ؛ وقد قال الشاعر في
يحيى بن خالد بن برمك :

وهوبٌ تِلَادَ المَالِ فيما يَنْوِبُه مَنُوعٌ إذا ما منعه كان أَحْزَمًا

وعبتموني حين زعمتم أني أقدم المال على العلم ، لأن المال به يفاد العلم ،

(١) هذا مثل يضرب لمن تظن فيه الغفلة وهو فطن يقظ .

(٢) النزوة الثورة أو الوثبة .

وبه تقوم النفس ، قبل أن تعرف فضل العلم ، فهو أصل ، والأصل أحقّ بالتفضيل من الفرع ، فقلتم : كيف هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟ قال : العلماء . قيل له : فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال ، وجهل الأغنياء بحق العلم . فقلت : حالهما هي القاضية بينهما ، وكيف يستوى شيء حاجة العامة اليه ، وشيء يعنى فيه بعضهم عن بعض ؟ ؟ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم ، والفقراء باتخاذ الدجاج . وقال أبو بكر رضى الله عنه : إني لأبغض أهل بيت يُنفِقُونَ نفقة الأيام في اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لولده : إذا بسط. الله لك الرزق فابسط . ، وإذا قبض فاقبض .

وعبتموني حين قلت : فضل الغنى على القوت إنما هو كفضل الآلة تكون في البيت إذا احتيج إليها استعملت ، وإن استغنى عنها كانت عُدَّة . وقد قال الحُصَيْن بن المُنْذِر : وَدِدْتُ أَنْ لِي مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا لَا أَنْتَفِعَ مِنْهُ بِشَيْءٍ . قيل له : فما كنت تصنع به ؟ قال : لكثرة من كان يخدمنى عليه ، لأنَّ المَال مَخْدُوم . وقد قال بعض الحكماء : عليك بطلب الغنى ؛ فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك وذل في قلب عدوك ، لكان الحظُّ فيه جسيماً والنفع فيه عظيماً . ولسنا ندع سيرة الأنبياء ، وتعليم الخلفاء ، وتأديب الحكماء ، لأصحاب اللهو ، ولستم على تردون ولا رأي تفننون ، فقدموا النظر قبل العزم ، وأدرِكُوا ما لكم قبل أن تُدرِكُوا ما لكم ، والسلام عليكم .

الكلام على الرسائل العلمية

الرسائل العلمية ، هي : مقالات في المطالب العلمية أو المسائل الأدبية ، وإنما سُميت بالرسائل ، لأن أصحابها يرسلونها إلى من اقترحها عليهم ، ويسلك فيها

صاحبها مناهج الاسترسال ، والمخاطبات البليغة . وقد أفردنا لها كتابنا «أسلوب الحكيم ، في منهج الإنشاء القويم» فارجع إليه إن شئت .

الفن الثاني في المناظرات

للمناظرة ثلاثة شروط : (الأول) : أن يُجمع بين خصمين متضادين ، أو متباينين في صفاتهما ، بحيث تظهر خواصها كالربيع ، والخريف ، والصيف ، والشتاء . (الثاني) : أن يأتي كلُّ من الخصمين في نصرته لنفسه ، وتفنيد مزاعم قرنه ، بأدلة من شأنها أن ترفع قدره ، وتحطُّ من مقام الخصم ، بحيث يميل بالسَّماع عنه إليه . (الثالث) : أن تُصاغ المعاني والمراجعات صوغاً حسناً ، وترتّب على سياق مُحكم ليزيد بذلك نشاط السَّماع ، وتنمى فيه الرّغبة في حلّ المشكل .

ولنذكر لك عليها شذرات من أقوال الكتاب فنقول :

مناظرة النعمان بن المنذر وكسرى أنوشروان في شأن العرب

روى ابن القطامي عن الكلبي قال : قدّم النعمان بن المنذر على كسرى ، وعنده وفود الروم ، والهند ، والصين ؛ فذكروا من ملوكهم وبلادهم ؛ فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارس ولا غيرها ، فقال كسرى ، وأخذته عزة الملك : يانعمان ، لقد فكرتُ في أمر العرب وغيرهم من الأمم ، ونظرت في حالة من يُقدّم عليّ من وفود الأمم . فوجدت للروم حظاً في اجتماع ألفتها ، وعظم سلطانها ، وكثرة مدائنها ووثيق بُنيانها ، وأن لها ديناً يُبين حلالها وحرامها ، ويرد سفهها ويقيم جاهلها . ورأيت الهند نحواً من ذلك في حكمتها وطيبها ، مع كثرة أنهار بلادها وثمارها ، وعجيب صناعتها ، وطيب أشجارها ، ودقيق حسابها ، وكثرة عددها . وكذلك الصين في اجتماعها ، وكثرة صناعات أيديها وفروسيتها ، وهمتها في آلة الحرب وصناعة الحديد ، وأن لها ملكاً

يَجْمَعُهَا - والترك والخزُرُ على ما بهم من سوء الحال في المعاش ، وقلة الرِّيفِ
والثَّارِ وَالْحُصُونِ ، وما هورأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس ، لهم ملوك
تضم قواصِيهِمْ ، وتُدبِّرُ أمرهم ؛ ولم أرَ للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين
ولا دنيا ، ولا حزم ، ولا قوة ، ومع أن مما يدلُّ على مهانتها وذلتها ، صِغَرُ هِمَّتِهَا ،
محلَّتِهم التي هم بها مع الوحوش النافرة والطيور الحائرة ، يقتلون أولادهم من الفاقة
ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، قد خرجوا من مطاعيم الدنيا وملابسها ومشاربها
ولهُوِّها ولذاتِها ، فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الإبل التي يعافها كثير من
السباع لثقلها ، وسوء طعمها ، وخوف دائها ، وإن قرى أحدهم ضعيفاً عدّها
مكرمةً ، وإن أطمع أكلة عدّها غنيمةً ، تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك
رجالهم ، ما خلا هذه التنوخية التي أسس جدِّي اجتماعها وشدت مملكتها ، ومنعها
من عدوِّها ، فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا ، وإن مع ذلك آثاراً وليوساً ،
وقرى وحصوناً ، وأموراً تشبه بعض أمور الناس (يعنى اليمن) .

ثم لا أراكم تستكثنون على ما بكم من المذلة ، والقلة ، والفاقة ، والبؤس ،
حتى تفتخروا ، وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس .

قال النعمان : أصلح الله الملك . حقُّ لأمةٍ الملك منها أن يسمو فضلها ، ويعظم
خطبها ، وتعلو درجتها . إلا أن عندى جواباً في كل ما نطق به الملك في غير ردِّ
عليه ، ولا تكذيب له ، فإن أمنتى من غضبه نطقْتُ به . قال كسرى : قل فأنت
آمن . قال النعمان : أما أمتك أيها الملك : فليست تنازعُ في الفضل لموضعها الذي
هى به من عقولها وأحلامها وبسطة محلها ، وبحبوحه عزها ، وما أكرمها الله به
من ولاية آبائك وولايتك . وأما الأمم التي ذكرت فآية أمة تقرنها بالعرب
إلا فضلتها . قال كسرى : بماذا ؟ قال النعمان : بعزها ومنعتها ، وحسن وجوهها
وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها ، وشدّة عقولها وأنفتها ووفائها .

فأمّا عزُّها ومنعتها ، فإنها لم تنزل مُجَاوِرَةً لآبائك الذين دوخوا البلاد

ووطدوا الملك ، وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ، حصونهم
 ظهور خيلهم ومهادهم الأرض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف ، وعُدَّتْهم
 الصبر - إذ غيرها من الأمم ، إنما عزها الحجارة والطين ، وجزائر البحور .

وأما حسن وجوها وألوانها : فقد يُعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من
 الهند المنحرفين ، والصين المنحفة ، والترک المشوَّمة ، والروم المُقشَّرة .
 وأما أنسابها وأحسابها : فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها
 وأصولها وكثيراً من أولها ، حتى إن أحدهم ليسأل عمَّن وراء أبيه دنيا فلا
 ينبه ولا يعرفه ، وليس أحد من العرب إلا يُسمي آباءه أباً فاباً ، حاطوا
 بذلك أحسابهم ، وحفظوا به أنسابهم ، فلا يدخل رجل في غير قومه ، ولا
 ينتسب إلى غير نسبه ، ولا يدعى إلى غير أبيه .

وأما سخاؤها : فإن أذنانهم رجلاً الذي تكون عنده البكرة والناب ،
 عليها بلاغه في حمولة ، وشعبه وريه ، فيطرِّقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ،
 ويجتزي بالشربة فيعقرها له ، ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها . فيما
 يكسبه حُسن الأحداث ، وطيب الذكر .

أما حكمة ألسنتهم : فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ، وروثق كلامهم
 وحسنه ووزنه وقوافيه ، مع معرفتهم بالأشياء وضربهم للأمثال وإبلاغهم في
 الصفات ، ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس . ثم خيلهم أفضل الخيل ، ونسأؤهم
 أعفُّ النساء ولبأسهم أفضل اللباس ، ومعادنهم الذهب والفضة ، وحجارة
 جبالهم الجزع ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سفرٌ ، ولا يُقطع بمثلها بلدٌ قفرٌ .
 وأما دينها وشريعته : فإنهم متمسكون به حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه
 أن لهم أشهراً حرماً محرماً ، وبيئاً محجوجاً ، ينسكون فيه مناسكهم ، ويذبحون
 فيه ذبائحهم ، فيلقتي الرجل قاتل أبيه أو أخيه ، وهو قادر على أخذ ثأره
 وإدراك رغمه منه ، فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى .

وَأَمَّا وَفَاؤُهَا : فَإِنَّ أَحَدَهُمْ يَلْحَظُ اللَّحْظَةَ ، وَيُؤَمِّيُ الْإِيمَاءَةَ ، فَهِيَ وَكَلْتٌ (أى عهدٌ) وَعُقْدَةٌ لَا يَحْلُهَا إِلَّا خُرُوجُ نَفْسِهِ ، وَإِنَّ أَحَدَهُمْ يَرْفَعُ عُوْدًا مِنْ الْأَرْضِ فَيَكُونُ رَهْنًا بَدِينِهِ ، فَلَا يَغْلِقُ رَهْنَهُ ، وَلَا تَخْفِرُ ذِمَّتُهُ . وَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَبْلُغُهُ أَنْ رَجُلًا اسْتَجَارَ بِهِ ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ نَائِبًا عَنْ دَارِهِ فَيُصَابُ فَلَا يَرْضَى حَتَّى يُغْنِيَنَّ تِلْكَ الْقَبِيلَةَ الَّتِي أَصَابَتْهُ ، أَوْ تَفْنَى قَبِيلَتَهُ لَمَّا أَخْضَرَ مِنْ جَوَارِهِ ، وَإِنَّهُ لَيَلْجَأُ إِلَيْهِمُ الْمَجْرِمُ الْمَحْدُثُ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ وَلَا قَرَابَةٍ ، فَتَكُونُ أَنْفُسُهُمْ دُونَ نَفْسِهِ ، وَأَمْوَالُهُمْ دُونَ مَالِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ يَتَّبِعُونَ أَوْلَادَهُمْ فَإِنَّمَا يَفْعَلُهُ مَنْ يَفْعَلُهُ مِنْهُمْ بِالْإِنَاثِ أَنْفَةً مِنَ الْعَارِ ، وَغَيْرَةٍ مِنَ الْأَزْوَاجِ .

وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنْ أَفْضَلَ طَعَامُهُمْ لُحُومَ الْإِبِلِ عَلَى مَا وَصَفْتَ مِنْهَا ، فَمَا تَرَكَوْا مَا دُونَهَا إِلَّا احْتِقَارًا لَهُ ، فَعَمِدُوا إِلَى أَجْلِّهَا وَأَفْضَلِهَا ، فَكَانَتْ مَرَآكِيهِمْ وَطَعَامُهُمْ ۚ مع أَنَّهَا أَكْثَرُ الْبِهَائِمِ شُحُومًا ، وَأَطْيَبُهَا لُحُومًا ، وَأَرْقَىهَا أَلْبَانًا ، وَأَقْلَهَا غَائِلَةً ، وَأَحْلَاهَا مُضْغَةً ، وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ مِنَ اللَّحْمَانِ يُعَالِجُ بِهِ لُحْمَهَا إِلَّا اسْتِبَانُ فَضْلِهَا عَلَيْهِ . ۚ وَأَمَّا تَحَارِبُهُمْ وَأَكْلَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَتَرَكَهُمْ الْإِنْقِيَادَ لِرَجُلٍ يَسُوْسُهُمْ وَيَجْمَعُهُمْ فَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ يَفْعَلُهُ مِنَ الْأُمَّمِ إِذَا أَنْسَتْ مِنْ نَفْسِهَا ضِعْفًا ، وَتَخَوَّفَتْ نُهُوضَ عَدُوِّهَا إِلَيْهَا بِالزَّحْفِ ، وَإِنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَظِيمَةِ أَهْلُ بَيْتٍ وَاحِدٍ يُعْرِفُ فَضْلَهُمْ عَلَى سَائِرِ غَيْرِهِمْ ، فَيَلْقُونَ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ ، وَيَنْقَادُونَ لَهُمْ بِأَرْمَتِهِمْ . وَأَمَّا الْعَرَبُ فَإِنَّ ذَلِكَ كَثِيرٌ فِيهِمْ ، حَتَّى لَقَدْ حَاوَلُوا أَنْ يَكُونُوا مُلُوكًا أَجْمَعِينَ مَعَ أَنْفَتِهِمْ مِنْ آدَاءِ الْخَرَاجِ وَالْوِطْثِ (أى الضَّرْبِ الشَّدِيدِ بِالرَّجْلِ عَلَى الْأَرْضِ) بِالْعَسْفِ .

وَأَمَّا الْيَمَنُ الَّتِي وَصَفْتَهَا الْمَلِكُ ، فَإِنَّمَا أَتَى جَدَّ الْمَلِكِ إِلَيْهَا الَّذِي أَتَاهُ عِنْدَ غَلْبَةِ الْجَيْشِ لَهُ عَلَى مُلْكِ مُتَسِقٍ ، وَأَمْرٍ مُجْتَمِعٍ ، فَأَتَاهُ مَسْلُوبًا طَرِيدًا مُسْتَصْرِخًا ، وَلَوْلَا

ما وُتِرَ به مَنْ يليه من العربِ لِمَالِ إِلَى مَجَالٍ ، وَلَوْجَدَ مَنْ يُجِيدُ الطَّعَانَ ، وَيَغْضِبُ لِلأَحْرَارِ ، من غَلْبَةِ العبيد الأَشْرَارِ .

قال : فعجب كسرى لما أجابه النعمان به ، وقال : إنك لأهلٌ لموضعك من الرياسة في أهل إقليمك ، ثم كساه من كسوته وسرَّحه إلى موضعه من الحيرة .
فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين أمرهم ، بعث إلى أكثم بن صيفي ، وحاجب بن زُرارة التميميين وإلى الحارث بن ظالم ، وقيس بن مسعود البكريين ، وإلى خالد بن جعفر ، وعلقمة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل العامريين ، وإلى عمرو بن الشريد السلمي وعمرو بن مغلي كرب الزبيدي ، والحارث بن ظالم المرِّي - فلما قدموا عليه في الخوزنق قال لهم قد عرفتم هذه الأعاجم ، وقرب جوار العرب منها ، وقد سمعت من كسرى مقالات ، تخوّفت أن يكون لها غورٌ ، أو يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولاً كبعض طماطمته في تأديتهم الخراج إليه ، كما يفعل بملوك الأمم الذين حولهُ - فاقترض عليهم مقالات كسرى ، وما ردّ به عليه . فقالوا : أيّها الملك وفقك الله ، وما أحسن ما ردّدت ، وأبلغ ما حجبته ، فمرنا بأمرك ، وادعنا إلى ما شئت .

قال : إنما أنا رجلٌ منكم ، وإنما ملكتُ وعزّزتُ بمكانكم وما يتخوّف من ناحيتكم ، وليس شيء أحب إليّ مما سدّد الله أمركم وأصلح به شأنكم وأدام به عزكم ، والرأي أن تسيروا بجماعتكم أيّها الرهط . وتنطلقوا إلى كسرى فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم أن العرب على غير ما ظنّ ، أو حدثته نفسه ، ولا ينطق رجل منكم بما يُغضبه ، فإنه ملك عظيم السلطان كثير الأعوان مُترَفٌ مُعجبٌ بنفسه ، ولا تنخذلوا له انخذال الخاضع الذليل ، وليكن أمرٌ بين ذلك ، تظهر به دماثة حلومكم ، وفضل منزلتكم ، وعظيم أخطاركم ، وليكن

أول من يبيدُ منكم بالكلام (أئمة بن صيفي) ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها فإنما دعاني إلى التقدمة إليكم علمي بميل كل رجل منكم إلى التقدم قبل صاحبه ، فلا يكونن ذلك منكم فيجد في آدابكم مطعناً ، فإنه ملك مُتَرَفٌ ، وقادر مُسَلِّطٌ . ثم دعا لهم بما في خزانته من طرائف حُلل الملوكة وأعطى كل رجل منهم حُلَّةً ، وعممه عمامة ، وختمه بياقوته ، وأمر لكل رجل منهم بنجيبه مَهْرِيَّةً ، وفَرَسٍ نجيبَةٍ ؛ وكتب معهم كتاباً :

أما بعد : فإن الملك ألقى إلي من أمر العرب ما قد علم ، وأجبتة بما قد فهم مما أَحْبَبْتُ أَنْ يكون منه على علم ، وَلَا يَتَلَجَّجُ في نفسه أَنْ أمة من الأمم التي احتجزت دونه بمملكته ، وحمى ما يليها بفضل قوتها ، تَبْلُغُهَا من الأمور التي يَتَعَزَّزُ بها ذُوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة . وقد أوفدتُ أيها الملك رهطاً من العرب ، لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم ، وعقولهم وآدابهم ، فليسمع الملك ، وليُغْمِضَ عن جفاء إن ظهر من منطقتهم ، وليكرمني بأكرامهم وتعجيل سراحهم .

وقد نَسَبْتَهُمْ في أسفل كتابي هذا إلى عشائرتهم .

فخرج القوم في أَهْبَتِهِمْ ، حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا إليه كتاب النعمان ، فقرأه وأمر بإنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم ؛ فلما أن كان بعد ذلك بأيام ، أمر مرزبته ، ووجه أهل مملكته فحَضَرُوا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله ، ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه وأقام التُرْجُمان لِيُؤدِّيَ إليه كلامهم ، ثم أذن لهم في الكلام .

فقام أئمة بن صيفي فقال : إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها وأفضل الملوك أعمها نفعاً ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها . الصدق منجاة ، والكذب مهوأة ، والشر لجاجة ، والحزم مركب صعب

والعَجْزُ مركب وطيء - آفةُ الرأى الهوى ، والعجزُ مفتاح الفقر ، وخير الأمور
 الصبر ، وحسن الظنُّ ورطة ، وسوء الظنِّ عصمة ، وإصلاح فساد الرعية خير
 من إصلاح فساد الراعى ، ومن فسدت بطانته كان كالغاصِّ بالماء .
 شرُّ البلاد لا أمير بها ، وشرُّ الملوك من خافه البرىء ، المرء يعجز لا المحالة ،
 أفضل الأولاد البررة ، خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة ، أحق الجنود بالنصر
 من حسنت سريرته ، يكفيك من الزاد ما بلغك المحل ، حسبك من شر سماعه ،
 الصمتُ حكيمٌ وقليل فاعله ، البلاغة الإيجاز ، من شدد نَفْرًا ، ومن تراخى تألَّف .
 فتعجب كسرى من أكنم ؛ ثم قال : ويحك يا أكنم ما أحكمك وأوثق كلامك !
 لولا وضعك كلامك فى غير موضعه ، قال أكنم : الصّدقُ ينبئُ عنك لا الوعيد ،
 قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكنى ، قال أكنم : ربّ قول أنفذ من صول .
 ثم قام حاجب بن زرارة التميمى وقال : ورى زَنْدُكَ ، وعلت يدُكَ ، وهيبَ
 سلطانك - إن العرب أمة قد غلظت أكبادها ، واستحصدت مرثها ، ومئعت
 درتها ، وهى لك وامقة ما تألفتها ، مسترسلة ما لا ينتها ، سامعة إن سامحتها ، وهى
 العلقم مرارة ، وهى الصاب غضاضة ، والعسل حلاوة ، والماء الزلال سلاسة .
 نحن وفودها إليك ، وألستها لديك ، ذمتنا محفوظة ، وأحسابنا ممنوعة ،
 وعشائرننا فينا سامعة مطيعة ، إن نشوب لك حامدين خيرا ، فلك بذلك عموم
 محمدينا وإن نذم لم نخص بالذم دونها ؛ قال كسرى : يا حاجب ، ما أشبه حجر
 التلال بألوان صخرها ، قال حاجب : بل زئير الأسد بصولتها ، قال كسرى : كفى
 ذلك ، ثم قام الحارث البكرى فقال : دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها ،
 وعلو سنائها ، من طال رشاؤه كثر متحه (١) ، ومن ذهب ماله قل منحه ، تناقل
 الأقاويل يعرف اللب ، وهذا مقام سيوجف (٢) بما تنطق به الركب ، وتعرف به
 كنه حالنا العجم والعرب ، ونحن جيرانك الأدنون ، وأعوانك المعينون ، خيولنا

جمعة وجيوشنا فخمه ، إن استنجدتنا فغير ربُّض ، وإن استطرقتنا فغير جهُض ،
وإن طلبتنا فغير غُمض . لانثنى لذر ، ولانتنكر لدهر ، رماحنا طوال وأعمارنا
قصار . قال كسرى : أنفس عزيزة وأمة ضعيفة . قال الحارث : أيها الملك ، وأنى
يكون لضعيف عزة أو لصغير مرّة ؟ (١) قال كسرى : لو قصر عُمرِكَ لم تستول
على لسنانك نفسك . قال الحارث : أيها الملك ، إن الفارس إذا حمل بنفسه على
الكتيبة مُغرراً بنفسه على الموت ، فهي منيةٌ استقبلها ، وجنان استديرها ،
والعرب تعلم أنى أبعث الحرب قُدماً ، وأحبسها وهي تصرّف بها (٢) حتى إذا
جاشت نارها ، وسعرت لظاها ، وكشفت عن ساقها ، جعلت مقادها رمحى ،
وبرقها سيني ، ورعداها زئيرى ، ولم أقصر عن خوض خضخاضها ، حتى
أنغمس في غمرات لُججِها وأكون فُلُكاً لفرسانى إلى بحبوحة كَبشِها ،
فأسمطرها هادماً ، وأترك حماتها جزر السباع وكل نسرقشعم .

ثم قال كسرى لمن حضره من العرب : أكذلك هو ؟ قالوا : فعاله أنطق
من لسانه ، قال : مارأيت كاليوم وفداً أحشد ولا شهوداً أوفد .

ثم قام عمرو بن الشريد السلمى فقال : أيها الملك ، نعم بالك ، ودام في السرور
حالك ، إن عاقبة الكلام مُتدبرة ، وأشكال الأمور مُعتبرة ، وفي كثير ثقله ،
وفي قليل بلغة ، وفي الملوك سورة العز ، وهذا منطلق له ما بعده : شرف فيه من
شرف ، وخمّل فيه من خمّل ، لم نأت لضمك ، ولم نقد لسخطك ، ولم نتعرض
ليرفدك ، إن في أموالنا مُستفداً ، وعلى عزنا معتمداً ، وإن أوزينا ناراً أثقبتنا ،
وإن أودد دهرنا اعتدلنا ، إلا أنا مع هذا لجوارك حافظون ، ولمن رامك كافحون
حتى يُحمد الصدر ، ويُستطاب الخبر . قال كسرى : ما يقوم قصدُ منطلقك
بإفراطك ولا مدحك بِذمك . قال عمرو : كفى بقليل قصدى هادياً ، وبأيسر

إفراطى مخبراً ولم يَلَمَّ من غربت عما يعلم ، ورضى من المقصد بما بلغ ، قال كسرى : ما كل ما يعرف المرء ينطق به ، اجلس .

ثم قام خالد بن جعفر الكلابي فقال : أحضر الله الملك إسعاداً ، وأرشدته إرشاداً ؛ إن لكل منطق فرصة ، ولكل حاجة غُصَّة ، وعيُّ المنطق أشدُّ من عى السكوت ، وعتار القول أنكأ من عثار الوعث ، وما فرصة المنطق عندنا إلا بما نهوى ، وغُصَّة المنطق بما لا نهوى غير مستساغة ، وتركى ما أعلم من نفسى ويعلم من سمعى أننى له مطيق ، أحبّ إلى من تكلفى ما أتخوف ويُتخوف منى ؛ وقد أوفدنا إليك ملكنا النعمان ، وهو لك من خير الأعوان ، ونعم حامل المعروف والإحسان ، أنفسنا بالطاعة لك باخعة ، ورقابنا بالنصيحة لك خاضعة ، وأيدينا لك بالوفاء رهينة . قال كِسرى : نطقت بعقل وسموت بفضل وعلوت بنبل .

ثم قام علقمة بن علاثة العامرى فقال : نهجت لك سُبُل الرشاد ، وخضعت لك رقاب العباد ؛ إن للأقابيل مناهج ، وللآراء موالج ، وللعويص مخارج ، وخير القول أصدقه ، وأفضل الطلب أنجح . إنا وإن كانت المحبة أحضرتنا ، والوفادة قربتنا ، فليس من حضرك منا بأفضل ممن عَزُب عنك ، بل لو قِسْت كل رجل منهم وعلمت منهم ما علمنا ، لو جدت له فى آبائه دنيا أنداداً وأكفاء ، كلهم إلى الفضل منسوب ، وبالشرف والسؤدد موصوف ، وبالرأى الفاضل والأدب النافذ معروف ، يحمى حماه ، ويروى نداماه ، وينود أعداه ، لاتخمدناره ، ولا يحترز منه جاره . أيها الملك ، من يبُلُّ العرب يعرف فضلهم ، فاصطنع العرب فإنها الجبال الرواسى عزاً والبحور الزواخر طمياً والنجوم الزواهر شرفاً والحصى عدداً ؛ فإن تعرف لهم فضلهم يعزوك ، وإن تستصرخهم لا يخذلوك . قال كِسرى ، وخشى أن يأتى منه كلام يحمله على السخط . عليه : حسبك ، أبلغت وأحسن .

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني فقال : أطاب الله بك المرشد ، وجنبك

المصائب . ووقاك مكروه الشدائد . ما أحقنا إذ أتيناك بإسماعك ما لا يُخنيقُ صدرك ولا يزرع لنا حقداً في قلبك ، لم نقدم أيها الملك لساماة ، ولم ننتسب لمعاداة ، ولكن لتعلم أنت ورعيتك ومن حضرك من وفود الأمم ، أنا في المنطق غير محججين ، وفي الناس غير مقصرين ، إن جورينا فغير مسبوقين ، وإن سؤمينا فغير مغلوبين . فقال كسرى : غير أنكم إذا عاهدتم غير وافين - وهو يعرض به في تركه الوفاء بضمانه السواد - قال قيس : أيها الملك ، ما كنت في ذلك إلا كواف غدير به ، أو كخافر أخضر بدمته . قال كسرى : ما يكون لضعيف ضمان ولا لدليل خفارة . قال قيس : أيها الملك ما أنا فيما أخضر من ذمتي أحق بالزامي العار منك فيما قتل من رعيتك ، وانتبهك من حرمتك . قال الملك : ذلك لأن من ائتمن الخونة واه تنجد الأئمة ، ناله من الخطأ ما نالني ، وليس كل الناس سواء . كيف رأيت حاجب بن زرارة لم يحكم قواه فيبرم ويعهد فيؤنى . ويعد فينجز ؟ قال : وما أحقه بذلك وما رأيتُهُ إلا لي ؛ قال : القوم بزل (١) فأفضلها أشدها .

ثم قام عامر بن الطفيل العامري فقال : كثر فنون المنطق . ولبس القول أعمى من حنسد الظلماء ، وإنما الفخر في الفعّال والعجز في النجدة والسوّد مطاوعة القدرة ، وما أعلمك بقدرنا وأبصرك بفضلنا ، والحرى إن دالت الأيام وثابت الأحلام ، أن تُحدث لنا أموراً لها أعلام . قال كسرى : وما تلك الأعلام ؟ قال : مجتمع الأحياء من ربيعة ومُضَر على أمر يُدكر . قال : وما الأمر الذي يُدكر ؟ قال : مالي علم بأكثر مما خبرني به مخبر . قال : متى تكاهنت يا ابن الطفيل ! قال : لست بكاهن ، ولكني بالرمح طاعن . قال : فإن أتاك آت من جهة عينك العوراء ، ما أنت صانع ؟ قال : ما هييتي في قفاى بدون هييتي في وجهي ، وما أذهب عيني عبث ، ولكن مطاوعة العبث .

(١) جمع بازل : وهو البعير سن ست سنوات .

ثم قام عمرو بن معديكرب فقال : إنما المرءُ بأصغريه قلبه ولسانه فبلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجدة الارتياح ، وعضو الرأي خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة ، فاجتهدْ طاعتنا بلفظك واكتظّمْ بادرتنا بحلمك وألنْ لنا كنفك يسلس لك قيادنا ، فإننا أناس لم يُوقَّس صفاتنا قِرَاعُ مناقير من أراد لنا قضا ، ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضمًا .

ثم قام الحارث بن ظالم المري فقال : إن من آفة المنطق الكذب ، ومن لؤم الأخلاق الملق ، ومن خطل الرأي خفة الملك المسلط . فإن أعلمناك أن مواجعتنا لك عن ائتلاف ، وانقيادنا لك عن تصاف ، فما أنت لقبول ذلك منا بخليق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق ، ولكن الوفاء بالعهود وإحكام وُلّت العقود . والأمرُ بيننا وبينك معتدل . ما لم يأت من قبلك ميلٌ أو زلل . قال كِسرى : من أنت ؟ قال : الحارث بن ظالم . قال : إن في أسماء آبائك لدليلاً على قلة وفائك وأن تكون أولى بالصدر وأقرب من الوزر . قال الحارث : إن في الحق مغضبة والسر في التغافل ولن يستوجب أحد الحلم إلا مع القدرة . فلتشبه أفعالك مجلسك . قال كِسرى : هذا فتي القوم .

ثم قال : قد فهمت ما نطقت به خطباوكم ، وتفنن فيه متكلموكم . ولولا علمي أن الأدب لم يُثقف أودكم ولم يحكم أمركم . وأنه ليس لكم ملك يجمعكم . فتنتطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة . فنطقتم بما استولى على ألسنتكم وغلب على طباعكم . لم أجز لكم كثيراً مما تكلمتم به . وإني لأكره أن أجبه وفودى أو أحقق صدورهم والذي أحب من إصلاح مدبركم وتآلف شواذكم ؛ والإعذار إلى الله فيما بيني وبينكم . وقد قبلت ما كان في منطقتكم من صواب وصفح عما فيه من خلل . فانصرفوا إلى ملككم فأحسنوا مؤازرته والتزموا طاعته . وارعوا سفهاءكم . وأقيموا أودهم . وأحسنوا أدبهم . فإن في ذلك صلاح العامة .

رؤى عن الكلبي أنه قال : كان كسرى يَحْفِلُ بالعرب ، ويستأنس بمشاهدتهم ويرغب في سماع محادثاتهم ، ومفاخراتهم ومنافراتهم ، ولم يدخر وسعاً إلا بذله للحصول على ذلك (ومما اتفق له) أن النعمان بن المنذر ، كان بمجلسه يوماً ، فقال له : هل في العرب من قبيلة تشرفُ على قبيلة ؟ قال : نعم ، قال : فبأي شيء ؟ قال : من كانت له ثلاثة آباء متوالية روساء ، واتصل ذلك بمزية رابعة ، فبيته أشرف بيت ، وإليه تنسب القبيلة ، وبه تعلق على غيرها ، قال : أحضر من هذه صفتهم فطلبهم النعمان فلم يُصِبْهم إلا في آل حذيفة بن بدر ، وآل ذى الجدين ؛ وآل الأشعث بن قيس بن كِنْدَةَ ؛ فأحضرهم في جملة من عشائرهم ؛ فعقد لهم كسرى مجلساً عاماً حضره الحكّام والعدول والأعيان ، ثم قال : ليتكلم كل منكم بماثر قومه وليصدق .

فانتصب حذيفة بن بدر قائماً وكان ألسن القوم فقال : قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم والفخر الأعظم ، فقبل له : لِمَ ذاك يا أخا فزارة ؟ قال : ألسنا الدعائم (١) التي لا ترام ؟ ! والعز الذي لا يضام ؟ فقبل له : صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال :

فزارةُ بيت العز والعز فيهمُ	فزارةُ بدرٍ حسبُ بدرٍ نضالها (٢)
لها العزة القعساء (٣) والحسب الذي	بناه لبدرٍ في القديم رجالها
فهيهات قد أعيأ القرون التي مضت	مآثر بدرٍ مجدها وفعالها
وهل أحدٌ إن مدَّ يوماً بكفه	إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها ؟
فإن يصلحوا يصلح لذك جميعنا	وإن يفسدوا يفسد على الناس حالها

ثم قام الأشعث بن قيس فقال : لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر ونقهر جمعها الأكبر وأنا غياثُ اللزيات (٤) وبناة المكرمات ، فقبل له لِمَ يا أخا

(١) الأركان (٢) محادثتها ودفاعها (٣) الرفيعة (٤) بتسكين الزاى :

كِنْدَةَ؟ قال: لَأَنَا ورثنا ملك كِنْدَةَ فاستظللنا بأفْيائِهِ وتقلدنا منكبه الأعظم؛
وتوسَّطنا يُحبِّبُوه (١) الأكرم ، ثم قام شاعرهم فقال:

إذا قِستَ أبياتَ الرجالِ ببيتنا وجدتَ له فضلاً على من يفاخرُ
فمن قال: كلاً أو أنا بخطة يُنافرنا يوماً فنحن نخاطرُ
تعالوا قفوا كي يعلم الناس أيننا له الفضل فيما أورثته الأكابر

ثم قام بسطام بن قيس؛ فقال: قد علمتُ العربُ أننا بُناة بيتها الذي لا
يزول ومغرُسُ عزها الذي لا يحول؛ فقليل له: ولمَ يا أبا شيبان؟ قال: لَأَنَا
أدركهم للثار وأضربهم للملك الجبار، وأقولهم للحق، وألدهم للخصم.

ثم قام شاعرهم فقال:

لعمري بسطامُ أحقُّ بفضلها وأول بيت العز عز القبائلِ
فسائل أبيت اللعن عن عز قومها إذا جدَّ يوم الفخر كل مناضل (٢)
فيخبرك الأقسام عنها فإنها وقائع جدُّ لا ملاعبُ هازل
ألسنا أعزَّ الناس قوماً وأسرةً وأضربهم للكيش يوم التخاذل
وقائع عزُّ كلها ربيعية (٣) تذللُّ لهم فيها رقابُ المحافل
إذا ذكرتُ لم يُنكر الناس فضلها وعاذ بها، من شرها، كل قائل
وأنا ملوك الناس في كل بلدةٍ إذا نزلت بالناس إحدى النوازل

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي، فقال: قد علمتُ العربُ أننا فرعُ دعائها
وقادة زحوفها؛ فقليل له: لِمَ ذلك يا أبا بني تميم؟ قال: لَأَنَا أكثر الناس عديداً
وأنجبيهم طراً وليداً، وأعظامهم للجزيل، وأحملهم للثقل.

ثم قام شاعرهم فقال:

لقد علمتُ أبناء خندف أنا لنا العز قدماً في الخطوب الأوائل
وأنا كرامُ أهلٍ مجدٍ وثرورة وعزُّ قديم ليس بالمتضائل
فكم فيهم من سيد وابن سيد أغر نجيب ذى فعال ونائل

فسائل أبيتَ اللعن (١) عنا فإننا دعائم هذا الناس عند الجلائل
ثم قام قيس بن عاصم السعدي فقال : لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات
وأثبتهم في النائبات ، فقيل له : لِمَ ذلك يا أخا بني سعد؟ قال : لأننا أدركهم للشار
وأمنعهم للجار ، لانتكل إذا حملنا ، ولانترام إذا حللنا ، ثم قام شاعرهم فقال :
لقد علمت قيسٌ وخنديفُ أننا وجُلُّ تميم والجموع التي ترى
بأننا ليوثُ البأس في كل مأزق إذا جزَّ بالبيض الجماجم والطلي
وأنا إذا داعٍ دعانا لنجدة أجبنا سِراعاً في العلائم من دعا
فهيها قد أعيا الجميع فعألهم وقاموا بيوم الفخر مسعاة من سعى
فقال كسرى حينئذ : ليس منها إلا سيد يصلح لموضعه ، ثم أعظم
صلاتهم أجمعين ، وردَّهم إلى أقوامهم مُعظمين .

مناظرات المهدي ومشاورته لأهل بيته في حرب خراسان

هذا ماتراجع فيه المهدي ووزراؤه ، ومادار بينهم من تدبير الرأى في حرب
خراسان ، أيام تحاملت عليهم العمال وأعنفت ، فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من
المكانة على أن نكثوا بيعتهم ونقضوا موثقتهم وطرردوا العمال ، والتوا بما عليهم
من الخراج ، وحمل المهدي ما يُحب من مصلحتهم ويكره من عنتهم ، على أن قال
عشرتهم واغتفر زلتهم واحتمل دالتهم تطولاً بالفضل واتساعاً بالعفو وأخذاً بالحجة
ورفقاً بالسياسة ، ولذلك لم يزل مدحمله الله أعباء الخلافة وقلده أمور الرعية رقيقاً
بمدار سلطانه ، بصيراً بأهل زمانه ، باسطاً للمعدلة في رعيته تسكن إلى كنفه
وتأنس بعفوه ، وتثق بحلمه ، فإذا وقعت الأفضية اللازمة والحقوق الواجبة ،
فليس عنده هوادة ولا إغضاء ولا مداهنة ، أثرة للحق ، وقياماً بالعدل ، وأخذاً بالحزم
فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمه والثقة بعفوه ، أن كسروا الخراج وطرردوا العمال

(١) أبيت اللعن : بغضته ومنعته أى انك لاتفعل ما يوجب لعنك بل تفعل
ما تحمد وتمدح به .

وسألوا ما ليس لهم من الحق ، ثم خلطوا احتجاجاً باعتذار ، وخصومة بإقرار ، وَتَنْصُلًا باعتلال . فلما انتهى ذلك إلى المهدي خرج إلى مجلس خلائه ، وَبَعَثَ إلى نَفَرٍ من لُحَمَتِهِ ووزرائه ، فَأَعْلَمَهُم الحال واستفهمهم للرعية ، ثم أمر المولى بالابتداء وقال للعباس بن محمد : « أَيَّ عَمٍّ » تعقب قولنا وَكُنْ حكماً بيننا . وَأَرْسَلَ إلى ولديه (موسى و هارون) فَأَحْضَرَهُمَا الأمر وشاركهما في الرأي ، وأمر محمد بن الليث بحفظ مَرَاجِعَتِهِمْ وإثبات مقالاتهم في كتاب . فقال سَلَامٌ صاحب المظالم :

أَيُّهَا المَهْدِيُّ ، إن في كل أمر غاية ، ولكل قوم صناعة ، استفرغت رأيهم ، واستغرقت أشغالهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها وذهبت بهم ، وَعُغِرُوا بها وَعُغِرَتْ بهم ، ولهذه الأمور التي جعلتنا فيها غاية ، وَطَلَبْتُ معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب ، وساسة الأمور ، وقادة الجنود ، وفرسان الهزاهز ، وإخوان التجارب وَأَبْطَالُ الوقائع ، الذين رشحتهم سِجَالُهَا ، وفيأتهم ظلالُهَا ، وعضتهم شِدَائِدُهَا وَفَرَمَتَهُمْ نَوَاجِدُهَا ، فلو عَجَمْتَ مَا قِيلَ لَهُمْ وَكَشَفْتَ مَا عِنْدَهُمْ لوجدت نظائر تويد أمرك ، وتجارب توافق نظرك وَأَحَادِيثُ تَقْوَى قَلْبِكَ ، فَأَمَا نحن معاشرَ عَمَّاك وَأَصْحَابِ دَوَاوِينِكَ فَحَسَنُ بِنَا ، وكثيرٌ منا أَن نَقُومُ بِثِقَلِ مَا حَمَلْتَنَا من عملك واستودعتنا من أمانتك وشغلتنا من إمضاء عدلك وإنفاذ حكمك وإظهار حَقِّكَ .

فَأَجَابَهُ المَهْدِيُّ : إن في كل قوم حكمة ، ولكل زمان سياسة ، وفي كل حال تدبيراً يُبْطِلُ الآخِرُ الأَوَّلَ ، ونحن على علم بزماننا وتدبير سلطاننا .

قال : نعم أَيُّهَا المَهْدِيُّ أَنْتَ مَتَّبِعُ الرَّأْيَ ، وثيق العُقْدَةِ ، قوى المنة ، بليغ الفِطْنَةِ ، معصوم النية ، محضور الروية ، مؤيد البديهة ، موفق العزيمة ، مُعَانَ بِالظفر ، مهدي إلى الخير ، إن هَمَمْتَ ففِي عِزْمِكَ مَوَاقِعُ الظن ، وإن اجتمعت صدع فَعَلَّكَ مُلْتَبِسُ الشك ، فاعزم يَدِ اللَّهِ إلى الصواب قلبك ، وَقُلْ يُنطقُ اللَّهُ بالحق لسانك ، فإن جنودك جَمَةٌ وخزائنك عامرة ، ونفسك سخية ، وأمرك نافذ .

فأجابه المهدي : إن المشاورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة ، لا يهلك عليهما رأى ولا يتغيبل معهما حزم ، فأشيروا برأيكم وقولوا بما يحضركم ، فإني من ورائكم ، وتوفيق الله من وراء ذلك .

قال الربيع : أيها المهدي ، إن تصارييف وُجوه الرأى كثيرة ، وإن الإشارة ببعض معاريض القول يسيرة ، ولكن خراسان أرض بعيدة المسافة ، متراخية الشقة متفاوتة السبيل ، فإذا ارتأيت من مُحكم التدبير ومبرم التقدير ولُباب الصواب رأياً ، قد أحكمه نظرك ، وقلبه تدبيرك ؛ فليس وراءه مذهب طاعن ، ولا دونه معلق لخصومة عائب ، ثم حَبَّت البُرد به ، وانطوت الرُّسل عليه كان بالجرى أن لا يصل مُحكمه ، إلا وقد حَدَث منهم ما يَنْقُضه ، فما أيسر أن ترجع إليك الرُّسل ، وتَرَدَّ عليك الكتب بحقائق أخبارهم وشوارد آثارهم ومصادر أمورهم فتُحَدِّث رأياً غيره وتبتدع تدبيراً سواه ، وقد انفرجت الحلق ، وتحلت العقد ، واسترخى الحجاب ، وامتد الزمان ثم لَعَلِمَكَ موقع الآخرة كمصدر الأولى ولكن الرأى أيها المهدي ، وفقك الله ، أن تصرف إجمالة النظر وتقلب الفكر فيما جمعتنا له ، واستشرتنا فيه من التدبير لحرهم والحيل في أمرهم إلى الطلب لرجل ذى دين فاضل وعقل كامل وورع واسع ليس موصوفاً بهوى فى سواك ، ولا متهماً فى أثره عليك ، ولا ظنيناً على دُخْلة مكروهة ولا منسوباً إلى بدعة محذورة ، فيقدح فى ملكك ويريض الأمور لغيرك ، ثم تُسند إليه أمورهم وتُفَوِّض إليه حربهم وتأمُرُه فى عهدك ، وصيتك إياه بلزوم أمرك ما لزمه الحزم ، وخلاف نبيك إذا خالفه الرأى عند استحالة الأمور واشتداد الأحوال التى ينقض (١) أمر الغائب عنها ، ويثبت رأى الشاهد لها ، فإنه إذا فعل ذلك ؛ فوائب

(١) ينقض : ينهدم .

أمرهم من قريب ، وسقط. عنه ما يأتي من بعيد ، تمت الحيلة ، وقويت
المكيذة ، ونفذ العمل وأُحد النظر إن شاء الله تعالى .

قال الفضل بن عباس :

أيها المهدي ، إن ولي الأمور وسائس الحروب ربما نحى جنوده وفرق
أمواله في غير ماضيق أمر حزبه ، ولا ضغطة حال اضطرته فيقعده عند الحاجة
إليها وبعد التفرقة لها عدياً مما فاقداً لها ، لا يتق بقوة ولا يصول بَعْدَهُ ، ولا يفرغ
إلى ثقة ؛ فالرأى لك أيها المهدي وفَّقك الله أن تعنى خزائنك من الإنفاق
للأموال وجنودك من مكابدة الأسفار ومقارعة الأخطار وتغيير القتال ، وتُسرع
للقوم في الإجابة إلى ما يطلبون ، والعطاء لما يسألون ، فيفسد عليك أدهم
وتجرئ من رعيتك غيرهم ، ولكن اغزهم بالحيلة وقاتلهم بالمكيذة وصارغهم
باللين وختلهم بالرفق وأبرق لهم بالقول وأرعد نحوهم بالفعل وابعث البعث
وجند الجنود وكتب الكتاب واعقد الألوية وانصب الرايات وأظهر أنك موجه
إليهم الجيوش مع أحنق قوادك عليهم وأسوئهم أثراً فيهم ، ثم أَدَسَسِ الرسل ،
وَابْثُ الكُتُبَ ، وضع بعضهم على طمع من وعدك وبعضاً على خوف من وعيدك ،
وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم واغرس أشجار التنافس بينهم ، حتى
تملأ القلوب من الوحشة ، وتنطوي الصدور على البغضة ، ويدخل كلا من كل
الحذر والهيبة . فإن مرام الظفر بالغيلة والقتال بالحيلة والمناسبة بالكتب ،
والمكايذة بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل في القلوب ، القوى
الموقع من النفوس ، المعقود بالحجج الموصول بالحيل المبني على اللين الذي يستميل
القلوب ، ويسترق العقول والآراء ، ويستميل الأهواء ، ويستدعي المؤاتاة ؛ أنفذ
من القتال بظببات السيوف وأسنة الرماح ، كما أن الوالي الذي يستنزل طاعة رعيتته
بالحيل ، ويُفرق كلمة عدوه بالمكايذة أحكم عملاً وأطف منظرًا وأحسن سياسة ،
من الذي لا ينال ذلك إلا بالقتال ، والاتلاف للأموال والتغريب ، والخطار .

وليعلم المهدي ، أنه إن وَجَّهَ لقتالهم رجلاً لم يسر لقتالهم إلا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة ، وتُقدِّم على أسفار ضيِّقة وأموال متفرقة وقواد غششة إن ائتمنَّهم استنفدوا ماله ، وإن استنصحهم كانوا عليه لا له . قال المهدي : هذا رأى قد أسفر نُورُهُ ، وأبرق ضوئُهُ ، وتمثل صوابه للعيون ومجد حقه في القلوب ، ولكن فوق كل ذي عِلْمٍ عِلْمُ عليم ، ثم نظر إلى ابنه على فقال : ما تقول ؟

قال على : أيها المهدي إن أهل خراسان لم يخلعوا عن طاعتك ولم ينصبوا من دونك أحداً يقدر في تغيير مُلكك ويريض الأمور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطب أيسر والشأن أصغر والحال أدل ، لأنَّ الله مع حقه الذي لا يخذله وعند مواعده الذي لا يخلِّفه ، ولكنهم قوم من رعيتك وطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم والياً وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً ، طلبوا حقاً وسألوا إنصافاً فإن أجبت إلى دعوتهم ونفست عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال ، أو يحدث من عندهم فتق ، أطعت أمر الربِّ وأطفأت نائرة الحرب ، ووفرت خزائن المال وطرحت تغرير القتال ، وحمل الناس محمل ذلك على طبيعة جودك وسجية حلمك وأسجاع خليقتك ، ومعدلة نظرك ، فأمنت أن تنسب إلى ضعف ، أن يكون ذلك فيما بقي دُرْبَةٍ ، وإن منعتهم ما طلبوا ولم تجبهم إلى ما سألوا اعتدلت بك وبهم الحال ، وساويتهم في ميدان الخطاب - فما أرب المهدي أن يعدُّ إلى طائفة من رعيتك مُقرِّين بمملكته مُذعنين بطاعته لا يخرجون أنفسهم عن قدرته ، ولا يبرئونها من عبوديته فيملكهم أنفسهم ، ويخلع نفسه عنهم ويقف على الحيل معهم ، ثم يجازيهم السوء في حدِّ المنازعة ومضمار المخاطرة - أيريد المهدي وفقه الله الأموال ؟ فلعمري لا ينالها ، ولا يظفر بها إلا بإنفاق أكثر منها مما يطلب منهم ، وأضعاف ما يدعى قبلهم ، ولو نالها فحُملت إليه أو وضعت بخرائطها بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها وطال عليهم بها ، (١٦ - جواهر الأدب ج ١)

لكان مما إليه ينسب وبه يعرف من الجود الذي طبعه الله عليه وجعل قرّة عينه ونهمة نفسه فيه ، فإن قال المهدي هذا رأى مستقيم سديد في أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا ، وتحامل ولاننا ؛ فأما الجنود الذين نقضوا موافيق العهود وأنطقوا لسان الإرجاف ، وفتحوا باب المعصية وكسروا قيد الفتنة ، فقد ينبغي لهم أن أجعلهم نكالا لغيرهم وعظة لسواهم ، فيعلم المهدي أنه لو أتى بهم مغلولين في الحديد ، مقرنين في الأصفاذ ، ثم اتسع لحقن دمائهم عفوّه ، وإقالة عشرتهم صفحه ، واستبقاهم لما فيه من حزبه ، أو لمن بإزائهم من عدوّه لما كان بدعاً من رأيه ولا مستنكراً من نظره .

لقد علمت العرب أنه أعظم الخلفاء والملوك عفواً وأشدها وقعاً وأصدقها صولةً وأنه لا يتعاضمه عفو ، ولا يتكأده صفح ، وإن عظم الذنب وجل الخطب ، فالرأى للمهدي وفقه الله تعالى أن يحل عقدة الغيظ. بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم وأن يذكر أولى حالاتهم وضيعة عيالاتهم براً بهم ، وتوسعاً لهم فإنهم إخوان دولته وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزتهم يصول ، وبحجّتهم يقول ، وإنما مثلهم فيما دخلوا فيه من مساخطه وتعرضوا له من معاصيه وانطوا فيه عن إجابته ، ومثله في قلة ماغيّر من رأيه فيهم أو نُقل من حاله لهم أو تغيّر من نعمته بهم ، كمثّل رجلين أخوين مُتناصرين متوازيين أصاب أحدهما جَبَلٌ عارض ولهو حادث فنهض إلى أخيه بالأذى وتحامل عليه بالمكروه ، فلم يزدد أخوه إلارقة له ولطفاً به واحتيالاً لمداواة مرضه ومراجعة حاله عطفاً عليه وبراً به ومرحمة .

فقال المهدي : أما على فقد نوى سمت اللّيان وفض القلوب من أهل خراسان ولكل نبأ مستقر . ثم قال : ماذا ترى ياأبا محمد (يعني موسى ابنه) فقال موسى :

أيها المهدي ، لا تسكن إلى حلاوة ما يجري من القول على ألسنتهم وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم ، الحال من القوم ينادى بمضرة شر وخفية

حقد قد جعلوا المعاذير عليها سترا واتخذوا العلل من دونها حجبا ، رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير ، والأمور بالتطويل ، فيكسروا حيل المهدي فيهم ويفنون جنوده عنهم ، حتى يتلاحم أمرهم ، وتتلاحق مادتهم ، وتستفحل حربهم وتستمر الأمور بهم ؛ والمهدي من قولهم في حال غرة ولباس أمنة ، قد فتر لها وأنس بها وسكن إليها ، ولولا ما اجتمعت به قلوبهم ، وبردت عليه جلودهم من المناصبه بالقتال ، والإضرار للقراع عن داعية ضلال أو شيطان فساد لرهبوا عواقب أخبار الولاة ، وغب سكون الأمور فليشد المهدي - وفقه الله - أزره لهم ويكتب كتائبه نحوهم ، وليضع الأمر على أشد ما يحضره فيهم ، وليؤقن أنه لا يعطيهم خطة يريد بها صلاحهم إلا كانت دربة إلى فسادهم وقوة على معصيتهم ، وداعية إلى عودتهم وسببا لفساد من بحضرته من الجنود ، ومن ببابه من الوفود ، الذين إن أقرهم وتلك العادة وأجراهم على ذلك الأرب ، ولم يبرح في فتق حادث وخلاف حاضر ، لا يصلح عليه دين ، ولا تستقيم به دنيا ، وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة ، واستمرار الدربة لم يصل إلى ذلك إلا بالعقوبة المفرطة والمؤونة الشديدة . والرأي للمهدي وفقه الله أن لا يُثقل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ، ويستحربهم القتل ويحدق بهم البلاء ويُطبق عليهم الذل ، فإن فعل المهدي ذلك كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم ؛ وهزيمة لكل بادرة شر منهم ، واحتمال المهدي في مؤونة غزوتهم هذه تضع عنه غزوات كثيرة ، ونفقات عظيمة .

فقال المهدي : قد قال القوم ، فاحكم يا أبا الفضل !

فقال العباس بن محمد :

أيها المهدي : أما (الموالي) فأخذوا بفروع الرأي وسلكوا جنبات الصواب وتعدوا أمورا قصر بنظرهم عنها أنه لم تأت تجاربهم عليها . وأما (الفضل) فأشار بالأموال أن لاتنفق ، والجنود أن لاتنفرق ، وبأن لا يعطى القوم ما

ما طلبوا ، ولا يبذل لهم ما سألوا ، وجاء بأمرٍ بين ذلك استصغاراً لأمرهم ، واستهانة بحربهم ، وإنما يهيج جسيات الأمور صغارها .

وأما (علي) فأشار باللين وإفراط الرفق ، وإذا جرّد الوالى لمن غمط. أمره وسفه حقه اللين بحثاً ، والخير محضاً ، لم يخلطها بشدّة تعطف القلوب عن لينة ، ولا بشر يحبسهم إلى خيره ، فقد ملكهم الخلع لعذرهم ، ووَسَّع لهم الفرجة لثنى أعناقهم ، فإن أجابوا دعوته وقبلوا لينة من غير خوف اضطهرم ولا شدة ، فنزوة فى رموسهم يستدعون بها إلى أنفسهم ، ويستصرخون بها رأى المهدي فيهم ، وإن لم يقبلوا دعوته ويسرعوا لإجابته باللين المحض والخير الصّراح ، فذلك ما عليه الظن بهم ، والرأى فيهم ، وما قد يشبهه أن يكون من مثلهم ، لأن الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم ، والمالك الكبير ما لا يخطر على قلب بشر ولا تُدرِكُه الفكر ، ولا تعلمه نفس ، ثم دعا الناس إليها ورغبهم فيها ، فلولا أنه خلق ناراً جعلها لهم رحمة يسوقهم بها إلى الجنة لما أجابوا ولا قبلوا .

وأما (موسى) فأشار بأن يُعصّبوا بشدّة لالين فيها ، وأن يرّموا بشر لاخير معه ، وإذا أضمر الوالى لمن فارق طاعته وخالف جماعته الخوف مفرداً ، والشرّ مجرداً ليس معهما طمع ولا لين يثنهم اشتدت الأمور بهم ، وانقطعت الحال منهم إلى أحد أمرين إما أن تدخلهم الحمية من الشدة ، والأنفة من الذلة ، والامتعاض من القهر ، فيدعوهم ذلك إلى التمادى فى الخلاف والاستبسال فى القتال والاستسلام للموت ، وإما أن ينقادوا بالكُرْه ويذعنوا بالقهر على بغضة لازمة وعداوة باقية تورث النفاق وتعقب الشقاق ، فإذا أمكنتهم فرصة أو ثابت لهم قدوة أو قويت لهم حال ، عاد أمرهم إلى أصعب وأغلظ. وأشد مما كان .

وقال فى قول الفضل : أيها المهدي أكفى دليل ، وأوضح برهان ، وأبين خبر بآن قد أجمع رأيه وحزم نظره على الإرشاد ببعثه الجيوش إليهم ، وتوجيه

البعوث نحوهم مع إعطائهم ماسألوا من الحق ، وإجابتهم إلى ماسألوه من العدل .
قال المهدي : ذلك رأى .

قال هارون : ما خُطت الشدة باللين ، فصارت الشدة أمرً فطام لما
تكره ، وعاد اللين أهدي قائد إلى ماتحب ، ولكن أرى غير ذلك .
قال المهدي : لقد قلت قولاً بديعاً ، وخالفت فيه أهل بيتك جميعاً ،
والمرء مؤتمن بما قال وظنين بما ادعى ، حتى يأتي ببينة عادلة وحجة ظاهرة ،
فاخرج عما قلت .

قال هارون :

أيها المهدي : إن الحرب خُدعة ، والأعاجم قوم مكرة ، وربما اعتدلت الحال
بهم ، واتفقت الأهواء منهم فكان باطن مايسرون على ظاهر ما يعلنون ، وربما
افترق الحالان ، وخالف القلب اللسان ، فانطوى القلب على محجوبة تبطن
واستسر بمدخولة لاتعلن ، والطبيب الرفيق بطبه ، البصير بأمره ، العالم بمقدم يده
وموضع ميسمه ، لايتعجل بالدواء حتى يقع على معرفة الداء ، فالرأى للمهدى
وفقه الله أن يفرّ باطن أمرهم فر المسنة ويمخض ظاهر حالهم مخض السقاء بمتابعة
الكتب ومظاهرة الرُّسل ، وموالة العيون ، حتى تُهتَكَ حُجُب عيونهم ، وتكشف
أغطية أمورهم ، فإن انفرجت الحال ، وأفضت الأمور إلى تغيير حال ، أوداعية
ضلال اشتملت الأهواء عليه ، وانقاد الرجال إليه وامتدت الأعناق نحوه بدين
يعتقدونه وإثم يستحلونه ، عَصَبهم بشدة لالين فيها ، ورامهم بعقوبة لاعفو
معها ، وإن انفرجت العيون واهتصرت الستور ورُفِعَت الحُجُب ، والحال فيها
مريعة والأمر بهم معتدلة في أرزاق يطلبونها وأعمال ينكرونها وظلامات يدعونها ،
وحقوق يسألونها ، بماتةٍ سابقتهم ودالةٍ مناصحتهم ، فالرأى للمهدى وفقه الله
أن يتسع لهم بما طلبوا ويتجافى لهم عما كرهوا ويشعب من أمرهم ما صدعوا ،
ويرتق من فتقهم ما قطعوا ، ويولى عليهم من أحبوا ويُدأوى بذلك مَرَض

قلوبهم وفساد أمورهم ، فإنما المهدي من أُمَّته وسواد أهل مملكته بمنزلة الطبيب الرفيق والوالد الشفيق والراعي المُجرب الذي يحتال لمرايض غنمه ، وضوال رعيته حتى يُبرئ المريضة من داءِ علتها ويردُّ الصحيحة إلى أنس جماعتها ثم إن خراسان بخاصة الذين لهم دالة محمولة ، ومائة مقبولة ، ووسيلة معروفة ، وحقوق واجبة ؛ لأنهم أيدي دولته وسيوف دعوته وأنصار حقه وأعوان عدله ، فليس من شأن المهدي الاضطغان عليهم ولا المؤاخذه لهم ، ولا التوعُّر بهم ولا المكافأة بإساءتهم ؛ لأن مبادرة حسم الأمور ضعيفة قبل أن تقوى ، ومحاولة قطع الأصول ضئيلة قبل أن تغلظ. أحزمُ في الرأي وأصح في التدبير من التأخير لها والتهاون بها حتى يلتئم قليلها بكثيرها وتجتمع أطرافها إلى جمهورها .

قال المهدي : مازال هارون يَقَعُ وَقَعَ الحيا حتى خرج خُروج القدح من الماء وانسل انسلال السيف فيما ادعى ، فدَعُوا ما سبق موسى فيه فإنه هو الرأي وثني بعده هارون ؛ ولكن من لأَعِنَّة الخيل وسياسة الحرب وقادة الناس إن أمعن بهم اللجاج وأفرطت بهم الدالة ؟ !

قال صالح بن علي : لسنا نبليغ أيها المهدي بدوام البحث وطول الفكر أدنى فِرَاسة رأيك وبعض لحظات نظرك ، وليس يَنْفَضُّ عنك من بيوتات العرب ورجالات العجم ذو دين فاضل ورأي كامل وتدبير قوى تقلده حربك وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ويضطلع بالأعباء الثقيلة ، وأنت ، بحمد الله ، ميمون النقية مبارك العزيمة ، مخبور التجارب ، محمود العواقب ، معصوم العزم فليس يقع اختيارك ولا يقفُ نظرك على أحد توليه أمرك وتسند إليه ثغرك إلا أراك الله ما تحب وجمع لك منه ما تريد .

قال المهدي : إني لأرجو ذلك لتقديم عادة الله فيه وحسن معاونته عليه ولكني أحب الموافقة على الرأي والاعتبار للمشاورة في الأمر المهم .

قال محمد بن الليث : أهل خراسان قومٌ ذوو عزةٍ ومنعةٍ وشياطين خدعةٍ ،
 زروع الحمية فيهم نابتة ، وملابس الأنفة عليهم ظاهرة ، فالروية عنهم عازبة
 والعجلة عنهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطرهم وسيوفهم عدلهم ، لأنهم بين سفلة
 لا يعدُّو مبلغ عقولهم منظر عُيونهم ، وبين رؤساء لا يُلجمون إلا بشدة ،
 ولا يفتنون إلا بالمر ، وإن ولى المهدي عليهم وضيعاً لم تنقل له العظماء ،
 إن ولى أمرهم شريفاً تحامل على الضعفاء ، وإن أخرج المهدي أمرهم ودافع
 حربهم حتى يصيب لنفسه من حشمه ومواليه أو بنى عمه أو بنى أبيه ، ناصحاً
 يتفق عليه أمرهم وثقة تجتمع له أملاؤهم بلا أنفة تلزمهم ولا حمية تدخلهم
 ولا مصيبة تنفرهم ، تنفست الأيام بهم وتراخت الحال بأمرهم ، فدخل بذلك
 من الفساد الكبير ، والضياع العظيم ما لا يتلافاه صاحب هذه الصفة وإن جد ،
 ولا يستصلحه وإن جهد ، إلا بعد دهر طويل ، وشر كبير ، وليس المهدي -
 وفقه الله - فاطماً عاداتهم ولا قارعاً صفاتهم بمثل أحد رجلين لاثالث لهما
 ولا عدل في ذلك بهما : أحدهما لسان ناطق موصول بسمعك ويؤدُّ ممثلة لعينك
 وصخرة لا تززع وبهمة لا تنثى ، وبازل لا يفزعه صوت الججلج ، نقي العرض
 نزيه النفس جليل الخطر ، قد اتضعت الدنيا عن قدره ، وسما نحو الآخرة
 بهمة فجعل الغرض الأقصى لعينه نصباً ، والغرض الأدنى لقدمه موطئاً ، فليس يقبل
 عملاً ، ولا يتعدى أملاً وهو رأس مواليك وأنصح بنى أبيك ، رجل قد غدَّى
 بلطيف كرامتك ونبت في ظل دولتك ونشأ على قوائم أدبك فإن قلده أمرهم
 وحملته ثقلهم وأسندت إليه ثغرهم ، كان قفلاً فتحه أمرك وباباً أغلقه
 نبيك ، فجعل العدل عليه وعليهم أميراً والإنصاف بينه وبينهم حاكماً .
 وإذا حكم المنصفة وسلك المعدلة فأعطاهم مالهم وأخذ منهم ما عليهم ، غرس
 لك في الذي بين صدورهم ، وأسكن لك السويداء داخل قلوبهم ، طاعة راسخة
 العروق بأسقة الفروع متائلة في حواشي عوامهم . متمكنة من قلوب خواصهم ،

فلا يبقى ريبٌ إلا انفوه ولا يلزمهم حقٌ إلا أدوه ، وهذا أحدهما . والآخر عودٌ من غيظتك ، أو نبيعةٌ من أرومتك ، ففى السن كهلُ الحلم راجح العقل محمود الصرامة مأمون الخلاف يُجرد فيهم سيفه ويبسط عليهم خيره بقدر ما يستحقون وعلى حسب ما يستوجبون وهو « فلان » أيها المهدي - فسلطه أعزك الله عليهم ، ووجهه بالجيوش إليهم ولا تمنعك ضراعة سنه وحادثة مولده فإن الحلم والثقة مع الحداثة خيرٌ من الشك والجهل مع الكهولة ، وإنما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه ، واختصكم به من مكارم الأخلاق ومحامد الفعال ومحاسن الأمور و صواب التدبير وصرامة الأنفس كفراخ عناق الطير (١) المحكمة لأخذ الصيد بلا تدريب ، والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب ، فالحلم ، والعلم ، والعزم ، والحزم ، والتؤدة ، والرفق ، ثابت في صدوركم مزروع في قلوبكم ، مستحكم لكم متكامل عندكم ، بطبائع لازمة ، وغرائز ثابتة .

قال معاوية بن عبد الله :

أفتاء (١) أهل بيتك أيها المهدي في الحلم على ما ذكر ، وأهل خراسان في حال عز على ما وصف ؛ ولكن إن ولى المهدي عليهم رجلاً ليس بقدر الذكر في الجنود ولا بنبيه الصوت في الحروب ولا بطويل التجربة للأمر ، ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة في الأعداء ، دخل ذلك أمران عظيمان ، وخطران مهولان أحدهما : أن الأعداء يغمزونها منه ويحتقرونها فيه ويجترئون بها عليه في النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه قبل الاختبار لأمره ، والتكشيف لحاله والعلم بطباعه . والأمر الآخر : أن الجنود التي يقود ، والجيوش التي يسوس إذا لم يختبروا منه البأس والنجدة ، ولم يعرفوه بالصيت والهيبة انكسرت شجاعتهم وماتت نجدتهم واستأخرت طاعتهم ، إلى حين اختبارهم

(١) عناق الطير : الجوارح منها .

(٢) أفتاء : اصحاب الفتوة من الشبان ، جمع فتى ، كيتيم وأيتام .

ووقوع معرفتهم ، وربما وقع البوار قبل الاختبار ، وبياب المهدي - وفقه الله -
رجل مهيب نبيه حنك صيت له نسب زاك وصوت عالٍ قد قاد الجيوش
وساد الحروب وتآلف أهل خراسان ، واجتمعوا عليه بالمقعة (١) ووثقوا به
كل الثقة ، فلو ولاه المهدي أمرهم لكفاه الله شرهم .

قال المهدي : جانبت قصد الرمية وأبيت إلا عصبية ، إذ رأيت الحدث من
أهل بيتنا كرأى عشرة حلماء من غيرنا ؛ ولكن أين تركتم ولي العهد ؟

قالوا : لم يمنعنا من ذكره إلا كونه شبيه جده ونسيح وحده ، ومن الدين
وأهله ، بحيث يقصر القول عن أدنى فضله ، ولكن وجدنا الله عز وجل حجب
عن خلقه وستر دون عبادته علم ماختلف به الأيام ، ومعرفة ما تجرى عليه
المقادير من حوادث الأمور ، وريب المنون المخترمة لخوالي القرون ، ومواضى
الملوك ، فكرهنا شسوعه عن محلة الملك ودار السلطان ، ومقر الإمامة والولاية ،
وموضع المدائن والخزائن ، ومستقر الجنود ومعدن الجود ، ومجمع الأموال
التي جعلها الله قطبا لدار الملك ، ومضيدة لقلوب الناس ، ومثابة لإخوان
الطمع وثوار الفتن ، ودواعي البدع ، وفرسان الضلال ، وأبناء الموت ؛ وقلنا :
إن وجه المهدي ولي عهده فحدث في جيوشه وجنوده ما قد يحدث بجنود
الرسول من قبله ، لم يستطع المهدي أن يعقبهم بغيره إلا أن ينهض إليهم
بنفسه ، وهذا خطر عظيم وهول شديد ، إن تنفست الأيام بمقامه واستدارت
الحال بإمامه ، حتى يقع عوض لا يستغنى عنه ، أو يحدث أمر لا بد منه
صار ما بعده مما هو أعظم هولاً ، وأجل خطراً له تبعاً وبه متصلاً .

قال المهدي : الخطب أيسر مما تذهبون إليه ، وعلى غير ما تصفون الأمر عليه .
نحن أهل البيت نجري من أسباب القضايا ومواقع الأمور على سابق من العلم ،

ومحتوم من الأمر، قد أنبأت به الكتب ونبأت عليه الرسل، وقد تناهى ذلك بأجمعه إلينا وتكامل بحذافيره عندنا، فيه ندبر وعلى الله نتوكل. إنه لا بُدَّ لِرِوَيْ عهدي وولي عهد عَقْبِي بعدى، أن يقود إلى خراسان البعوث ويتجه نحوها بالجنود؛ أمَّا الأوَّلُ فإنه يقدم إليهم رسله ويعمل فيهم حيله ثم يخرج نشيطاً إليهم حَنِقاً عليهم، يريد أن لا يدع أحداً من إخوان الفتن ودواعي البدع، وفُرْسَانَ الضلال إلا توطئه بحرَّ القتل وألبسه قِنَاعَ القهر، وقلده طوقَ الذلِّ؛ ولا أحداً من الذين عملوا في قص جناح الفتنة وإخماد نار البدعة ونُصْرَةَ ولاة الحق إلا أجرى عليهم ديمَ فضله وجداول نهاله، فإذا خرج مُزْمِعاً به مجمعاً عليه لم يسر إلا قليلاً حتى تائبه أن قد عملت حيله، وكدحت كُتْبُهُ ونفذت مكايده، فهذأت نافرة القلوب ووقعت طائرة الأهواء واجتمع عليه المختلفون بالرضا فيميل نظراً لهم وبراً بهم وتعطفاً عليهم إلى عدوِّ قد أخاف سبيلهم وقطع طريقهم ومنع حُجَّاجَهُم بيتَ الله الحرام، وسلب تجارهم رزقَ الله الحلال. وأمَّا الآخر، فإنه يُوجِه إليهم، ثم تُعقد له الحجة عليهم بإعطاء ما يطلبون وبذل ما يسألون، فإذا سمعت الفرق بقراباتها له وجنح أهل النواحي بأعناقهم نحوه، فأصغت إليه الأفئدة واجتمعت له الكلمة وقدمت عليه الوفودُ قصدَ الأوَّل ناحية بجعت بطاعتها وألقت بأزمتها، فألبسها جناحَ نعمته وأنزلها ظلَّ كرامته وخصها بعظيم حباته، ثم عمَّ الجماعة بالمعدلة وتعطف عليهم بالرحمة فلا تبقى فيهم ناحية ذاتية وما لا فرقة قاصية إلا دخلت عليها برِّكته ووصلت إليها منفعتها فأغنى فقيرها وجبر كسيرها ورفع وضيعها وزاد ربيعها، ما خلا ناحيتين: ناحية يغلب عليها الشقاء وتستميلهم الأهواء، فتستخف بدعوته، وتبطل عن إجابته وتتشاقل عن حقه، فتكون آخر مَنْ يبعث وأبطأ مَنْ يوجه، فيصطلي عليها موجدة ويبتغي لها علة، لا يلبث أن يجد بحق يلزمهم وأمر يجب عليهم فتستلحمهم الجيوش وتأكلهم السيوف ويستحرب بهم القتل ويحيط بهم الأسر ويُقنئهم التتبع حتى يُخرَّب

البلاد ويؤتمم الأولاد . وناحية لا يبسط . لهم أماناً ولا يقبل لهم عهداً ولا يجعل لهم ذمة لأنهم أول من فتح باب الفرقة وتدرع جلباب الفتنة وربض في شق العصا ولكنه يقتل أعلامهم ويأسر قوادهم ويطلب هربهم في لجج البوار وقُلل الجبال وحميل الأودية وبطون الأرض تقتيلاً وتنكيلاً حتى يدع الديار خراباً والنساء أيامي . وهذا أمر لا نعرف له في كتبنا وقتاً ولا نصح منه غير ما قلنا تفسيراً - وأما (موسى ولي عهدي) فهذا أو أن توجهه إلى خراسان وحلوله بجرجان وما قضى الله له من الشخصوص إليها والمقام فيها خير للمسلمين مغبة وله بإذن الله عاقبة بحيث يغمر لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا فيتصاغر عظيم فضله ويتداعب مشرق نوره ويتقلل كثير ما هو كائن منه ، فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس ؟

قال محمد بن الليث : أيها المهدي - إن وليّ عهدك أصبح لأمتك وأهل ملتك علماً قد تثنت نحوه أعناقها ومدت سمته أبصارها ، وقد كان لقرب داره منك ومحلّ جواره لك عطل الحال غفل الأمر واسع العذر ، فأما إذا انفرد بنفسه وخلا بنظره وصار إلى تدبيره ، فإن من شأن العامة أن تنفقد مخارج رأيه . وتستنصت لمواقع آثاره ، وتسأل عن حوادث أحواله في بره ومرحمته ومعدلته ، وتدبيره وسياسته ووزرائه وأصحابه ، ثم يكون ما سبق إليهم أغلب الأشياء عليهم وأمالك الأمور بهم وألزمها لقلوبهم وأشدّها استمالة لرأيهم ، وعظفاً لأهوائهم ، فلا يفتأ المهدي وفقه الله ناظراً له فيما يقوى عمد مملكته ، ويسدّد أركان ولايته ، ويستجمع رضاء أمته بأمر هو أزين لحاله ، وأظهر لجماله ، وأفضل مغبة لأمره ، وأجلّ موقعاً في قلوب رعيته ، وأحمد حالاً في نفوس أهل ملته ، ولا أدفع مع ذلك باستجماع الأهواء له ، وأبلغ في استعطاف القلوب عليه من مرحمة تظهر من فعله ، ومعدلة تنتشر عن أثره ، ومجبة للخير وأهله - وأن يختار المهدي وفقه الله من خيار أهل كل بلدة ، وفقهاء أهل كل مصر ، أقواماً

تسكن العامة إليهم إذا ذكروا ، وتأنس الرعية إذا وُصفوا ، ثم تسهل لهم
عمارة سبل الإحسان ، وفتح باب المعروف ؛ كما قد كان فتح له وسهل عليه .

قال المهدي : صدقت ونصحت ؛ ثم بعث في طلب ابنه موسى ، فقال له :

أَيُّ بُنَى - إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لِسَمْتِ وَجْهِهِ الْعَامَةِ نُضْبًا ، وَلِثَنِي أَعْطَافِ
الرَّعِيَّةِ غَايَةً ، فَحَسْبُنَا شَامِلَةٌ وَإِسَاءَتُكَ نَائِيَةٌ ، وَأَمْرُكَ ظَاهِرٌ ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ
وِطَاعَتِهِ فَاحْتَمِلْ سُخْطَ النَّاسِ فِيهِمَا ، وَلَا تَطْلُبْ رِضَاهُمَا بِخِلَافِهِمَا ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
كَافِيكَ مِنْ أَسْخَطِهِ عَلَيْكَ إِثَارُكَ رِضَاهُ ، وَلَيْسَ بِكَافِيكَ مِنْ يُسْخِطُهُ عَلَيْكَ إِثَارُكَ
رِضَا مِنْ سِوَاهُ - ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ فَتْرَةٌ مِنْ رِيسَالِهِ ، وَبِقَايَا مِنْ صِفْوَةِ
خَلْقِهِ وَخَبَايَا لِنُصْرَةِ حَقِّهِ يَجِدُّ حَبْلَ الْإِسْلَامِ بِدَعْوَاهُمْ وَيَشِيدُ أَرْكَانَ الدِّينِ
بِنُصْرَتِهِمْ وَيَتَّخِذُ لِأَوْلِيَاءِ دِينِهِ أَنْصَارًا ، وَعَلَى إِقَامَةِ عَدْلِهِ أَعْوَانًا ، يُسُدُّونَ الْخَلَلَ
وَيُتَمِّمُونَ الْمَيْلَ ، وَيُدْفَعُونَ عَنِ الْأَرْضِ الْفُسَادَ ، وَإِنَّ أَهْلَ خِرَاسَانَ أَصْبَحُوا أَيْدِي
دَوْلَتِنَا ، وَسِيُوفَ دَعْوَتِنَا ، الَّذِينَ نَسْتَدْفِعُ الْمَكَارِهِ بِطَاعَتِهِمْ ، وَنَسْتَصْرِفُ نَزُولَ
الْعَظَائِمِ بِمَنَاصِحَتِهِمْ ، وَنُدَافِعُ رِيْبَ الزَّمَانِ بِعِزَائِمِهِمْ ، وَنَزَاحِمُ رُكْنَ الدَّهْرِ بِبِصَائِرِهِمْ
فَهُمْ عِمَادُ الْأَرْضِ إِذَا أَرْجَفَ كَنْفُهَا وَخَوْفُ الْأَعْدَاءِ إِذَا بَرَزَتْ صَفْحَتُهَا ، وَحِصُونُ
الرَّعِيَّةِ إِذَا تَضَايَقَتِ الْحَالُ بِهَا ، قَدِمَتْ لَهُمْ وَقَائِعُ صَادِقَاتٍ ، وَمَوَاطِنُ صَالِحَاتٍ
أَخْمَدَتْ نِيرَانَ الْفِتَنِ ، وَقَسَمَتْ دَاعِيَ الْبِدْعِ ، وَأَذَلَّتْ رِقَابَ الْجَبَّارِينَ ، وَلَمْ
يَنْفَكُوا كَذَلِكَ مَا جَرَّوْا مَعَ رِيْحِ دَوْلَتِنَا ، وَأَقَامُوا فِي ظِلِّ دَعْوَتِنَا ، وَاعْتَصَمُوا
بِحَبْلِ طَاعَتِنَا الَّتِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا ذَاتَهُمْ وَرَفَعَ بِهَا ضِمَّتَهُمْ ، وَجَعَلَهُمْ بِهَا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ
الْأَرْضِ وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ ، بَعْدَ لِبَاسِ الذُّلِّ وَقِنَاعِ الْخَوْفِ ، وَإِطْبَاقِ الْبِلَاءِ
وَمُحَافَلَةِ الْأَسَى وَجَهْدِ الْبِئْسَ وَالضَّرْفِ ظَاهِرٍ عَلَيْهِمْ لِبِئْسَ كِرَامَتِكَ ، وَأَنْزِلُهُمْ فِي
حَدَائِقِ نِعْمَتِكَ ثُمَّ اعْرِفْ لَهُمْ حَقَّ طَاعَتِهِمْ ، وَوَسِيلَةَ دَوَائِلِهِمْ وَمَاتَةَ سَابِقَتِهِمْ ، وَحَرَمَةَ
مَنَاصِحَتِهِمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِثَابَةِ لِحَسَنِهِمْ وَالْإِقَالَةَ لِسَيِّئِهِمْ .

أى بُنىّ، ثم عليك العمامة فاستدع رضاها بالعدل عليها، واستجلب مودتها بالانصاف لها، وتحسن بذلك لربك، وتوثق به في عين رعيتك، واجعل عمال العذر وولاة الحجج مقدمة بين يدي عملك ونصفة منك لرعيّتك، وذلك أن تأسر قاضي كل بلد، وخيار أهل كل مصر أن يختاروا لأنفسهم رجلاً تولّيه أمرهم وتجعل العدل حاكماً بينه وبينهم فإن أحسن خدمت، وإن أساء عذرت، هؤلاء عمال العذر وولاة الحجج، فلا يسقطن عليك ما في ذلك، إذا انتشر في الآفاق وسبق إلى الأسماع من انعقاد السنة المرجفين وكبت قلوب الحاسدين وإطفاء نيران الحروب، وسلامة عواقب الأمور، ولا ينفكن في ظل كرامتك نازلاً، وبِعراً حبلك متعلقاً رجلاًن: أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب وأعلام بيوتات الشرف، له أدب فاضل وحلم راجح ودين صحيح والآخر له دين غير معموز، وموضع غير مدخول، بصير بتقليب الكلام، وتصريف الرأى، وأنحاء العرب ووضع الكتب، عالم بحالات الحروب، وتصاريف الخطوب، يضع آداباً نافعة وآثاراً باقية من محاسنك وتحسين أمرك وتحلية ذكرك فتستشيرهُ في حربك وتدخله في أمرك، فرجلٌ أصبته كذلك فهو يأوى إلى محلقى ويرعى في خضرة جناني، ولا تدع أن يختار لك من فقهاء البلدان وخيار الأمصار أقواماً يكونون جيرانك وسّمارك، وأهل مشاورتك فيما تُورد، وأصحاب مُناظرتك فيما تُصدر، فسِرْ على بركة الله، أصحبك الله من عونهُ وتوفيقه دليلاً يهدى إلى الصواب قلبك، وهادياً ينطق بالخير لسانك .

وفود بكاره الهلالية على معاوية

استأذنت بكاره الهلالية على معاوية بن أبى سفيان فأذن لها، وهو يومئذ بالمدينة فدخلت عليه، وكانت امرأة قد أسنت وعشى بصرها وضعفت قوتها، ترعش بين خادمين لها؛ فسلمت وجلست، فردّ عليها معاوية السلام، وقال:

كيف أنت يا خالة؟ فقالت: بخير يا أمير المؤمنين، قال: غيرك الدهر، قالت: كذلك هو ذو غيري، من عاش كبيراً، ومن مات قبيراً، فقال عمرو بن العاص: هي والله القائلة يا أمير المؤمنين:

يا زيدُ دونك فاحترف من دارنا سيفاً حُساماً في التراب دفينا
قد كنتُ أذخرُهُ ليوم كريبه فاليوم أبرزه الزمان مصونا
وقال مروان: وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين:

أترى ابن هِنْدٍ للخلافة مالكا هيهات ذاك وإن أراد بعيدُ
مَننتك نفسك في الخلاء ضلالةً أغراك عمرو للشقا وسعيدُ
وقال سعيد بن العاص: هي والله القائلة:

قد كنتُ أطمع أن أموت ولا أرى فوق المناير من أمية خاطبا
فالله آخر مدتي فتطاولت حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم لا يزال خطيبهم بين الجميع لآل أحمد عائبا
ثم سكتوا، فقالت: يا معاوية، كلامهم أعشى بصرى، وقصر حجتي،
أنا والله قائلة ما قالوا، وما خفي عليك مني أكثر، فضحك معاوية وقال: ليس
يَمْنَعُنَا ذلك من برك، اذكري حاجتك، قالت: أما الآن فلا.

مناظرة السيف والقلم

لزين الدين عمر بن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ

لما كان السيفُ والقلمُ عُدَّتِي العمل والقول، وَعَمَدَتِي الدُّول، فَإِنْ عَدِمْتَهُمَا
دولةٌ فلاحولٌ، وَرَكْنِي إِسْنَادُ الْمُلْكِ الْعَرَبِيِّينَ عَنِ الْمَخْفُوضِ وَالْمَرْفُوعِ، وَمُقَدِّمَتِي
نتيجة الجدل الصادر عنهما المحمول والموضوع فكُرتُ أيهما أعظم فخراً وأعلى
قدراً فجلستُ لهما مجلس الحكم والفتوى، ومثلتُهُمَا فِي الْفِكْرِ حَاضِرَيْنِ لِلدَّعْوَى
وسويتُ بين الخصميين في الإكرام، واستنطقتُ لسان حالهما للكلام. فقال

القلم : بسم الله مجريها ومُرْسَاهَا ، والنهار إذا جَلَّأَهَا والليل إذا يَغْشَاهَا ، أما بعد حمد الله خالق القلم ، ومشرفه بالقسم ، وجاعله أول ما خلق ، جَمَل الورق بغصنه كما جَمَل الغصن الورق ، والصلاة على القائل : جنت الأَقْلَامُ ، فإن للقلم قَصَبَ السباق ، والكاتبُ بسبعة أَقْلَامٍ من طبقات الكتاب في السبع الطباق ، جَرَى بالقضاء والقدر ، ونابَ عن اللسان فيما نهى وأمرَ ، وطالما أَرَبِي عَلَى البيض والسُّمْرِ في ضربها وطعناها ، وقاتل في البعد والصوارم في القُرْبِ ملء أَجْفَانِهَا ، وماذا يُشْبِه القلم في طاعة ناسه؟ ومشيه لهم على أمِّ راسه؟ قال السيف : بسم الله الخافض الرافع ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع ، أما بعد حمد الله الذي أنزل آية السيف فعظم بها حرمة الجرح وآمن خيفة الخيف ، والصلاة على الذي نفذ بالسيف سطور الطروس ، وخدمته الأَقْلَامُ ماشية على الرؤوس ، وعلى آله وصحبه الذين أُرْهِفَتْ سيوفهم ، وبنيت بها على كسر الأعداء حروفهم ، فإن السيف عظيم الدولة شديد الصَّوْلَةِ ، محاسن البلاغة ، وأساغ ممنوع الإِسَاعَةِ ، من اعتمد على غيره في قهر الأعداء تعب ، وكيف لا وفي حده الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ؟! فإن كان القلم شاهداً ، فالسيف قاض ، وإن اقتربت مجادلته بأمر مستقبل قطعهُ السيف بفعل ماض ، به ظهر الدين ، وهو العُدَّة لقمع المعتدين ، حَمَلْتَهُ دون القلم يد نبينا ، فَشَرَفَ بذلك في الأمم شرفاً بيئاً ، الجنة تحت ظلاله ، ولا سيما حين يُسَلُّ فتري ودق الدم يخرج من خلاله ، زينت بزينة الكواكب سماه غمده ، وصدَّق من قال « السيف أَصْدَقُ إنبَاءً من ضده » لا يعثب به الحامل ، ولا يتناوله كالقلم بأطراف الأنامل ، ما هو كالقلم المُشَبَّه يقوم عُرُوا عن لبوسهم ، ثم نكسوا كما قيل على رُمُوسهم ، فكأنَّ السيف خُلِقَ من ماءٍ دافق ، أو كوكب راشق مقدرًا في السرِّد ، فهو الجواهر الفرد ، لا يشتري كالقلم بثمن بخس ، ولا يبلى كما يبلى القلم بسواد وطمس ، كم لقائمه المنتظر ، من أشر في عين أو عين في أثر ، فهو في جراب القوم قوام الحرب ، ولهذا جاء مطبوع الشكل داخل الضرب ، قال

القلم: أَوْمَنْ يَنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ، يُفَاخِرُ وَهُوَ الْقَائِمُ عَنْ الشَّمَالِ ، وَأَنَا الْجَالِسُ عَلَى الْيَمِينِ ؟ ! أَنَا الْمَخْصُوصُ بِالرَّأْيِ وَأَنْتَ الْمَخْصُوصُ بِالصَّدَى ، أَنَا آلَةُ الْحَيَاةِ وَأَنْتَ آلَةُ الرَّدَى ، مَا لَيْتَ لِإِبْعَدَ دُخُولَ السَّعِيرِ ، وَمَا حُدِّدْتَ إِلَّا عَنْ ذَنْبٍ كَبِيرٍ ، أَنْتَ تَنْفَعُ فِي الْعُمْرِ سَاعَةً ، وَأَنَا أَفْنَى الْعُمْرِ فِي الطَّاعَةِ ، أَنْتَ لِلرَّهَبِ ، وَأَنَا لِلرَّغْبِ ؛ وَإِذَا كَانَ بَصْرُكَ حَدِيدًا فَبَصْرِي مَاءٌ ذَهَبٌ ، أَيْنَ تَقْلِيدُكَ مِنْ اجْتِهَادِي ، وَأَيْنَ نَجَاسَةُ دَمِكَ مِنْ تَطْهِيرِ مَدَادِي ؟ قَالَ السِّيفُ : أَمْثَلُكَ يُعْبِرُ مِثْلِي بِالْدَمَاءِ ؟ ! فَطَالَمَا أَمَرْتُ بَعْضَ فِرَاحِي - وَهِيَ السَّكِينِ - فَاصْبَحْتَ مِنَ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعَقْدِ يَامَسْكِينِ ، فَاخْلَتِ مِنَ الْحَيَاةِ جُمَّانَكَ ، وَشَقَّتْ أَنْفَكَ وَقَطَعَتْ لِسَانَكَ .

ويلك ! إِنْ كُنْتَ لِلدِّيْوَانِ فَحَاسِبُ مَهْمُومٍ ، أَوْ لِلانْشَاءِ فَخَادِمٌ لِمَخْدُومٍ ، أَوْ لِلتَّبْلِيغِ فَسَاحِرٌ مَذْمُومٍ ، أَوْ لِلْفِقِيهِ فَنَاقِصٌ فِي الْمَعْلُومِ ، أَوْ لِلشَّاعِرِ فَسَائِلٌ مَحْرُومٌ ، أَوْ لِلشَّاهِدِ فَخَائِفٌ مَسْمُومٌ ، أَوْ لِلْمُعَلِّمِ فَلِلْحَيِّ الْقَيُّومِ . أَمَا أَنَا فَلَئِي الْوَجْهَ الْأَزْهَرَ وَالْحَلِيَّةَ وَالْجَوْهَرَ وَالْهَيْبَةَ إِذْ أُشْهِرُ ، وَالصُّعُودَ عَلَى الْمَنْبَرِ . ثُمَّ إِنِّي مَمْلُوكٌ كَمَا لَكَ ، فَاتِكَ كَمَا نَسَاكَ ، أَسْلَكَ الطَّرِيقَ ، وَأَقَطَعَ الْعِلَاقَتِ .

قال القلم : أَمَا أَنَا فَابْنُ مَاءِ السَّمَاءِ ، وَأَلَيْفَ الْغَدِيرِ وَحَلِيفَ الْهَوَاءِ ، أَمَا أَنْتَ فَابْنُ النَّارِ وَالِدُخَانِ وَنَاثِرُ الْأَعْمَارِ وَخَوَّانُ الْإِخْوَانِ تَفْصَلُ مَا لَا يَفْصَلُ وَتَقْطَعُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَلَ ، لِأَجْرَمُ أَنْ صَعَرَ السِّيفُ خَدَّهُ وَصَقَلَ قَفَاهُ ، وَسُقِيَ مَاءَ حَمِيمًا فَقَطَّعَ مَعَاهُ ، يَا غُرَابَ الْبَيْنِ ، وَيَا عُدَّةَ الْحَيْنِ ، وَيَا مُعْتَلَّ الْعَيْنِ ، وَيَا إِذَا الْوَجْهَيْنِ ، كَمْ أَفْنَيْتَ وَأَعْدَمْتَ ؟ وَأَرْمَلْتَ وَأَيْتَمَّتْ ؟

قال السيف : يَا ابْنَ الطَّيْنِ ! أَلَسْتُ ضَامِرًا وَأَنْتَ بَطِينٌ !؟ كَمْ جَرَيْتَ بِعَكْسٍ وَتَصَرَّفْتَ فِي مَكْسٍ ، وَزَوَّرْتَ وَحَرَفْتَ ، وَنَكَرْتَ وَعَرَفْتَ ، وَسَطَّرْتَ هَجْوًا وَشَمًا ، وَخَلَدْتَ عَارًا وَذَمًّا ، أَبْشَرُ بِفِرْطِ رَوْعَتِكَ ، وَشِدَّةِ خَيْفَتِكَ ، إِذَا قِيسَتْ بِيَاضِ صَحِيفَتِي بِسَوَادِ صَحِيفَتِكَ ، فَالَيْنُ خَطَابِكَ فَانْتَ قَصِيرُ الْمُدَّةِ ، وَأَحْسَنُ

جوابك فعندى حده ، وأقلل من غلظتك ، وجبهك ، واشتغل عن دم في وجهي
بِقِيح في وجهك ، وإلا فأدنى ضربة منى تروم أرومتك ، فتستأصلك وتجتثُّ
جرثومتك ، فسقياً لمن غاب لك عن غابك ، ورعياً لمن لوأهاب بك لسلخ إهابك .
فلما رأى القلم السيفَ قد احتد ، ألان له من خطابه ما اشتد ، وقال : أما
الأدب فيؤخذ عنى ، وأما اللطف فيكتسب منى ، فإن لنتَ لنتُ ، وإن أحسنت
أحسنت ، نحن أهل السمع والطاعة ، ولهذا نجمع في الدواة الواحدة منا جماعة ،
وأما أنتم فأهل الحدة والخلاف ، ولهذا لا يجمعون بين سيفين في غلاف . قال
السيف : أمكراً ودعوى عفةٍ ؟ لأمر ماجدع قصير أنفه ! لو كنت كما زعمت ذا
أدب ، لما قابلت رأس الكاتب بعقدة الذنب ، أنا ذو الصيت والصوت ، وغرارى
لسان مشرقى يرتجل غرائب الموت ، أنا من مارج من نار ، والقلم من صلصال
كالفخار ، وإذا زعم القلم أنه مثلى ، أمرت من يدق رأسه بنعلى . قال القلم :
صه فصاحب السيف بلاسعادة ، كأعزل . قال السيف : مه فقلم البليغ بغير حظ .
مغزل ، قال القلم : أنا أركى وأطهر ، قال السيف : أنا أبهى وأبهر ؛ فتلا ذو القلم
لقلمه إنا أعطيناك الكوثر ، وتلا صاحب السيف لسيفه : فصل لربك وانحر .
فتلا ذو القلم لقلمه : إن شانئك هو الأبتر ، قال : أما وكتابى المسطور ، وبيتى
المعمور ، والتوراة والإنجيل ، والقرآن ذى التبجيل ، إن لم تكف عنى غريبك ،
وتبعد منى قُربك ، لأكتسبك من الصم البكم ، ولأسطرن عليك بقلمى سجلاً
بهذا الحكم . قال السيف : أما وسنى المتين ، وفتحى المثبين ، ولسانى الرطبين ،
ووجهى الصليبين ، إن لم تغب عن بياضى بسوادك ، لأمسن وجهك بمدادك ،
ولقد كسبت من الأسد فى الغابة ، توقيع العين والصلابة ، مع أنى ما ألوتك نصحاً
أننضرب عنكم الذكر صفحاً ؟ قال القلم : سلم إن كنت أعلى فأنا أعلم ، وإن
كنت أحلى فأنا أحلم ، وإن كنت أقوى فأنا أقوم ، أو كنت ألوى فأنا ألوم ،

أو كنت أطرى فانا أطرِبُ ، أو كنت أعلى فانا أغلب ، أو كنت أعنى فانا أعتبُ ، أو كنت أفضى فانا أفضب . قال السيف : كيف لأفضلك ، والمقرُّ الفلاني شاد أزرى . قال القلم : كيف لأفضلك وهو (عَرَّ نصره) ولى أمرى ؟ !
قال الحكمُ بين السيف والقلم : فلما رأيتُ الحجَّتين ناهضتين ، والبيئتين بينتين مُتعارضتين ، وعلمتُ أنَّ لكلِّ واحدٍ منها نسبةً صحيحة ، إلى هذا المقرِّ الكريم ، ورواية مُسنَّدة عن حديثه القديم ، لظفتُ الوسيلة ، ودققتُ الحيلة حتى رددتُ القلم إلى كنهه ، وأغمدتُ السيف فنام ملء جفنه ، وأخرتُ بينهما الترجيح ، وسكتَ عما هو عندى الصَّحيح ، إلى أن يحكم المقرُّ بينهما بعلمه ، ويسكن سورة غضبهما الوافر ولجاجهما المديد ببسط. حلمه .

مناظرة للامدى بين صاحب أبى تمام - وصاحب البحرى

صاحب أبى تمام : كيف يجوز لقائل أن يقول : إن البُحترى أشعرُ من أبى تمام ، ومن أبى تمام أخذ ، وعلى حذوه احتذى ، ومن معانيه استقى ! حتى قيل الطائى الأكبر ، والطائى الأصغر !

صاحب البحرى : أما الصحبة له فما صحبه ولا تتلمذ له ، ولا روى ذلك أحد عنه ولا نقله ، ولا رأى قط. أنه محتاج إليه ، ودليل ذلك الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند (أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى) وقد دخل عليه البحرى بقصيدته التى أولها * أفاق صب من هوى فأفبقا * وأبو تمام حاضر فلما أنشدها علق أبو تمام منها أبياتاً كثيرة ، فلما فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف فقال : أيها الأمير ، ما ظننت أن أحداً يُقدم على أن يسرق شعرى وينشده بحضورى حتى اليوم . ثم اندفع ينشد ما حفظه ، حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة . فبهت البحرى ، ورأى أبو تمام الإنكار فى وجه أبى سعيد . فحينئذ قال له أبو تمام : أيها الأمير والله ما الشعر إلا له ؛ وإنه أحسن فيه

الإحسان كله ، وأقبل يقرظه ويصف معانيه ويذكر محاسنه ، ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى ضاعف له الجائزة .

فمن كان يقول مثل هذه القصيدة التى هى من عين شعره وفاخر كلامه قبل أن يعرف أن أباً تمام جديرٌ به أن يستغنى عن أن يصحبه أو يتلمذ له أو لغيره من الشعراء ، على أنى لا أنكر أنه استعار بعض معانى أبى تمام ، لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البُحترى من شعره ، وليس ذلك بمقتضى أن يكون أبو تمام أستاذ البُحترى ، ولا بمانع أن يكون البُحترى أشعر من أبى تمام . فهذا « كثير » قد أخذ من « جميل » واستقى من معانيه ، فما رأينا أن أحداً قال إن « جميلاً » أشعر منه بل هو عند أهل العلم بالشعر والرواية أشعر من جميل .

صاحب أبى تمام : إن البُحترى نفسه يعترف أن أباً تمام أشعر منه ، فقد سئل عنه وعن أبى تمام فقال : إن جيده خيرٌ من جيدي ، وجيد أبى تمام كثيرٌ .

صاحب البُحترى : إن كان هذا الخبر صحيحاً فهو للبُحترى لاعليه لأن قوله هذا يدل على أن شعر أبى تمام كثير الاختلاف وشعره شديد الاستواء ، والمستوى الشعر أولى بالتقدمة من المختلف الشعر ، وقد اجتمعنا نحن وأنتم على أن أباً تمام يعلو علواً حسناً وينحط انحطاطاً قبيحاً ، وأن البُحترى يعلو بتوسط ولا يسقط ، ومن لا يسقط ولا يسقط أفضلٌ ممن يسقط . ويسف .

صاحب أبى تمام : إن أباً تمام انفراد بمذهب اخترعه وصار فيه أولاً ، وإماماً متبوعاً ، وشهر له حتى قيل هذا مذهب أبى تمام وطريقة أبى تمام ، وسلك الناس نهجه ، واقتفوا أثره ، وهى فضيلة عرى عن مثلها البُحترى .

صاحب البُحترى : ليس الأمر على ما وصفت ، وليس أبو تمام صاحب هذا المذهب ، ولا بأول فيه ولا سابق إليه ، بل سلك فيه سبيل مسلم بن الوليد

واحتذى حذوهُ ، وأفرط. في ذلك وأسرف ، حتى زال عن النهج المعروف ،
والسنن المألوف .

بل إن مُسلماً غير مبتدع ، ولكنه رأى هذه الأنواع التي وقع عليها اسمُ
البديع متفرقة في أشعار المتقدمين فقصدها ، وأكثر في شعره منها ، ولكنه حرص
على أن يضعها في مواضعها ، ولم يسلم مع ذلك من الطعن عليه ، حتى قيل إنه أول
من أفسد الشعر . فجاء أبو تمام على أثره واستحسن مذهبه ، وأحب أن يجعل كل
بيت من شعره غير خال من هذه الأصناف فسلك طريقاً وعراً واستكره الألفاظ.
والمعاني استكراهاً ، ففسد شعره وذهبت طلاوته ونشِف ماؤه . فقد سقط الآن
احتجاجكم باختراع أبي تمام لهذا المذهب وسبقه إليه ، وكلُّ ما في المسألة أنه
استكثر منه وأفرط. فكان إفراطه من أعظم ذنوبه ، وأكبر عيوبه .

أما البحتري فإنه فارق عمود الشعر ، وطريقته المعروفة على كثرة ما جاء في
شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة ، فكان انفراده بحسن العبارة وحلاوة
اللفظ وصحة المعنى والبعد عن التكلف والتعمل سبباً في إجماع الناس على استحسان
شعره واستجادته وتداوله ، ونفاق شعر الشاعر دليلٌ على علو مكانته ، واضطلاع
بما يلانم الأدواق ، ويؤلمس القلوب ، من أساليب الكلام ومناهجه .

صاحب أبي تمام : إنما أعرض عن شعر أبي تمام من لم يفهمه لدقة معانيه
وقصور فهمه عنه ، أما النقاد والعلماء فقد فهموه وعرفوا قدره ، وإذا عرفت
هذه الطبقة فضيلته لم يضره طعن من طعن بعدها عليه *

صاحب البحتري : لا يستطيع أحد أن ينكر منزلة ابن الأعرابي ، وأحمد بن
يحيى الشيباني ودُعبل الخزاعي من الشعر ، ومنزلتهم من العلم بكلام العرب . وقد علمتم
مذهبهم في أبي تمام وازدراءهم بشعره ، حتى قال دُعبل : إن ثلث شعره محال (١)

وثلثه مسروق وثلثه صالح ، وقال : ما جعل الله أبا تمام من الشعراء ، بل شعره
بالخطب والكلام المنشور أشبه بالشعر . وقال ابن الأعرابي في شعر أبي تمام :
إن كان هذا شعراً فكلام العرب باطلٌ . وهذا محمد بن يزيد المُبردي يقول :
ما علمناه دُونَ له كبير شيء .

صاحب أبي تمام : إن دُعِبَ كان يشنأُ أبا تمام ويحسده على ما هو معروف
ومشهورٌ فلا يقبل قول شاعر في شاعر . وأما ابن الأعرابي فكان شد يد التعصب
عليه لغرابة مذهبه ، ولأنه كان يرد عليه من معانيه ما لا يفهمه ولا يعلمه ، فكان
إذا سُئِلَ عن شيءٍ منها يأنف أن يقول لا أدري فيعدل إلى الطعن عليه .

ولا مانع أن يكون جميع من تذكرونا على هذا القياس .

صاحب البُحتري : لا عيبَ على ابن الأعرابي في طعنه على شاعر عدل في
شعره عن مذاهب العرب إلى الاستعارات البعيدة المُخرجة للكلام إلى الخطأ
والإحاطة ، والعيبُ في ذلك يلحقُ أبا تمام إذ عدل عن المحجة إلى طريقة
يجهلها ابن الأعرابي وأمثاله من المضطلعين بالسليقة العربية .

صاحب أبي تمام : إن العلم في شعر أبي تمام ، أظهرُ منه في شعر البُحتري
والشاعر العالم ، أفضل من الشاعر غير العالم .

صاحب البُحتري : كان الخليل بن أحمد عالماً شاعراً ، وكان الأصمعي شاعراً
عالماً ، وكان الكسائي كذلك ، وكان خلف بن حبان الأحمر أشهر العلماء ،
وما بلغ بهم العلم طبقة من كان زمانهم من الشعراء غير العلماء ، والتجويد في الشعر
ليست علته العلم ، والشائع المشهور أن شعر العلماء دُونَ شعر الشعراء ، وقد كان
أبو تمام يعمل على أن يدل في شعره على علمه باللغة وكلام العرب . أما البُحتري
فلم يقصد هذا ولا اعتمده ، ولا كان يعدّه فضيلة ولا يراه عالماً ، بل كان يرى أنه
شاعر ، لا بد له أن يقرب شعره من فهم سامعه ، فلا يأتي بالغريب إلا أن يتفق له
في اللفظة بعد اللفظة في موضعه من غير طلب له ولا حرص عليه ، على أن هذا

العلم الذى تؤثرُونَ به أباً تمام لم ينفعه ، فقد كان يلحن فى شعره لحناً يضيقُ العذر فيه ، ولا يجد المتأول له مخرجاً منه ، إلا بالحيلة والتحمل الشديد .
صاحب أبى تمام : لسنا نُنكر أن يكون صاحبنا قد وهم فى بعض شعره ، وعدل عن الوجه الأوضح فى كثير من معانيه ، وغير غريب على فكرٍ نتج من المحاسن ما نتج وولد من البدائع ما ولد ، أن يلحقه الكلال فى الأوقات ، والزلل فى الأحيان ، بل من الواجب لمن أحسن إحسانه أن يُسامح فى سهوه ، ويتجاوز له عن أخطائه ، وما رأينا أحداً من شعراء الجاهلية سلم من الطعن ، ولا من أخذ الرواة عليه الغلط والعيب ، وكذلك ما أخذته الرواة عن المحدثين المتأخرين من الغلط والخطأ ، واللحن أشهرٌ من أن يحتاج إلى أن نُبرهنه أو ندل عليه ، وما كان أحد من أولئك وهؤلاء مجهول الحق ولا مجرود الفضل ، بل عفا إحسانهم على إساءتهم وتجويدهم عن تقصيرهم .

صاحب البُحترى : أما أخذ السهو والغلط . على من أخذ عليهم من المتقدمين والمتأخرين فى البيت الواحد والبيتين والثلاثة . أما أبو تمام فلا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عدة أبيات ، يكون فيها مفسداً أو مُحيلاً أو عادلاً عن السنن أو مستعيراً استعارةً قبيحةً ، أو مخطئاً للمعنى بطاب الطباق والتجنيس ، أو مبهماً بسوء العبارة والتعقيد ، حتى لا يُفهم ولا يوجد له مخرج .

صاحب أبى تمام : تُنكرُونَ على أبى تمام من الفضل ما يعترف به البُحترى نفسه ، فقد رثاه بعد موته رثاء اعترف فيه له بالسبق وفضله على شعراء عصره .
صاحب البُحترى : لم لا يفعل البحترى ذلك ؟؟ وقد كان هو وأبو تمام صديقين متحابين ، وأخوين متصافيين ، يجمعهما الطلب والنسب والمكتسب ، فليس بمُنكر ولا غريب أن يشهد أحدهما لصاحبه بالفضل ، ويصفه بأحسن ما فيه وينحله ما ليس فيه ، على أن الميت خاصة يُعطى فى تأبينه من التقريظ . والوصف وجميل الذكر أضعاف ما كان يستحقه .

صاحب أبي تمام : كيفما كان الأمر لانستطيعون أن تدفعوا ما أجمع عليه الرواة والعلماء ، أن جيد أبي تمام لا يتعلق به جيد أمثاله ؛ وإذا كان جیده بهذه المكانة ، وكان من الممكن إغفال رديئه وإطراحه كأنه لم يَقله فلا يبقى ريب في أنه أشعر شعراء عصره ، والبحثرى واحد منهم .

صاحب البحترى : إنما صار جيد أبي تمام موصوفاً ومذكوراً لِنُدْرته ووقوعه في تضاعيف الردىء ، فيكون له رونق وماء عند المقابلة بينه وبين ما يليه ، وجيد البحترى كجيد أبي تمام ، إلا أنه في جيد مثله أو متوسط . فلا يفاجئ النفس منه ما يفاجئها من جيد صاحبه .

مناظرة بين الليل والنهار

لمحمد أفندى المبارك الجزائرى

لما أسفر النهار عن بياض الغرة قابله الليل بسواد الطرة ثم صار الهزل جدًّا ، واشتد النزاع بينهما جدًّا ، فاستنجد كلُّ منهما أميره ، وأفشى له سره وضميره ، وإذا بالليل حمل على النهار ، فصبغ حُمرته ورددته بصُفرة البهار ، وخطر يَجُرُّ ذبول تيهه وعجبه ، مُرَصِّعًا تيجان مفاخره بدرر شبهه ، ثم قال : « والليل إذا يَغْشَى » « إنَّ في ذلك لعبرة لمن يَخْشَى » ففتح باب المناقشة في هذا الفصل ، وعقد أسباب المنافسة بقوله الفصل « فإن الحرب أولها كلام » ثم تَنَجَّى عن قتيل ، أو أسير بكلام .

ولما بلغ الليل غايته بنزغ الفجر ورفع رايته ، وقال إذ جال في مُعترك المنايا « أنا ابن جَلَا وطلَّاع الشنايا » ، فتقدم في ذلك المكان وجلى ، تالياً قوله تعالى « والنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى » ثم استوى على عرش السنا والسناء ، وأطلع شمس طلعت في الأرض والسماء ، فأعْرَبَ عن غوامض الرقائق والحقائق ، وأغرب في نشر ما انطوى من الأسرار والدقائق ، وما انحدر من منبره حتى أيد دعوى خبره بشاهد

مخبره ، فانتدب إليه « الليل » ومال عليه كل الميل ، وقال : أحمد من جعلني
خلوة للأحباب ، وجلوة لعرائس العرفان ونفائس الآداب ، وخلقتني مثوى
لراحة العباد ، ومأوى لخاصة النساء والعباد ، والله در من قال فأجاد :

أيها الليل ظل بغير جناح ليس للعين راحة في الصباح
كيف لا أبغض الصباح وفيه بان عنى نور الوجوه الصباح

أتردد على أرباب المجاهدة بفتون الغرائب ، وأتودد إلى أصحاب المشاهدة
بعيون الرغائب ، تدور في ساحتهم بدور الحسن والبهاء ، وتدار من راحتهم
كوكوس الأنس والهناء فتحييهم نغمات السمر ، وتُحييهم نسائم السحر ،
فأحيان وصلي بالتهاني مقمرة ، وأفنان فضلى بالأماني مثمرة ، وحسبي كرامة
أنى للناس خير لباس أقيهم بلطف الإيناس من كل باس ، ومن وأصل
الإدلاج وهجر طيب الكرى قيل له (عند الصباح يحمد القوم السرى) .

وما الليل إلا للمجد مطية وميدان سبق فاستبق تبليغ المنى

فتفتن بمعاني بيانه البديع ، وتفنن في أفانين التصريح والترصيع ثم أتم
خطبته بالتماس المغفرة والعفو ، واستعاذ بالله من دواهي الغفلة ودواعي اللهو .
فوثب إليه (النهار) وصال عليه صولة ملك قهار ، وصعد على منبره ثانياً ،
وقد أضحى التيه لعظفه ثانياً ، فأثنى على من جلا ظلمة الحجاب ، وتجلي نه
باسمه النور وتوجه بسورة من الكتاب وزانه بأبهى سراج وهاج ، فأوضح بسناه
السييل والنهارج ثم صاح : أيها الليل ، هلاً قصرت من إعجابك الذليل ؟ ! ولئن
دارت رحى الحرب واستعرت نار الطعن والضرب ، فلا تسبين مخدراتك ، وهي
عن الوجوه حاسرة ، وأنت تتلو يومئذ « تلك إذا كرة خاسرة » . فما دعاك
إلى حلبة المفاضلة ؟ وما دهاك حتى عرضت بنفسك للمناضلة ؟ ! وهل دأبك
إلا الخداع والمكر ؟ ! وترقب الفرصة وأنت داخل الوكر ؟ ! أما حص القرآن

على التَعَوُّذِ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَنَدَبَ « مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ »
 فَبِرَبِّي يُسْتَعَاذُ مِنْ شَرِّكَ وَيَسْتَعَانُ عَلَى صُنُوفِ صُرُوفِ غَدْرِكَ ، وَهَبْ أَنْكَ
 تَجْمَعُ الْمَحَبَّ بِالْحَبِيبِ ، إِذَا جَارَ عَلَيْهِ الْهُوَى وَحَارَ الطَّبِيبُ ، فَكَمْ يُقَاسَى
 مِنْكَ فِي هَاجِرَةِ ، وَيَتَنُّ أَنْيْنَ الثُّكْلَى حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ؟ ! .

يَبِيْتُ كَمَا بَاتَ السَّلَامُ مُسَهَّدًا وَفِي قَلْبِهِ نَارٌ يَشْبُ لَهَا وَقْدٌ
 فَيُسَاهِرُ النُّجُومَ ، وَيُسَاوِرُ الْوُجُومَ ، وَقَدْ هَاجَتْ لَوَاعِجُ غَرَامِهِ ، وَتَحَرَّكَتْ
 سَوَاكِنُ وَجَدِهِ وَهِيَامِهِ ؛ فَأَنْشُدْ وَزَفِيرِهِ يَتَصَعَّدُ :

أَقْضَى نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمُّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
 نَهَارِي نَهَارِ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لَيْ اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ

عَلَى أَنَّ الْعَاشِقَ الْوَلَهَ ، يَشْكُو مِنْكَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، فَكَمْ قَطَعَ آذَانُكَ بِمَوَاصِلِهِ
 أَنْيْنِهِ مَتَمَلِّمًا مِنْ فِرْطِ شَوْقِهِ وَحَنِينِهِ ، فَلَمَّا أَنَّ حُطْبِي بِالْوَصَالِ تَمَثَّلَ بِقَوْلٍ مِنْ قَالَ :
 اللَّيْلُ إِنْ وَأَصَلْتُ كَاللَّيْلِ إِنْ هَجَرْتُ أَشْكُو مِنَ الطُّولِ مَا أَشْكُو مِنَ الْقِصْرِ
 وَلَتُنْ افْتَخَرْتَ بِبَدْرِكَ الْبَاهِرِ الْبَاهِي ، فَإِنَّمَا تَبَارَى بِبَعْضِ أَنْوَارِي وَتُبَاهَى ،
 وَهَلْ لِلبَدْرِ عِنْدَ إِشْرَاقِ الشَّمْسِ مِنْ نُورٍ ؟ أَوْ لَطَلْعَةِ حَسَنِهِ مِنْ خُلُورِ الْبَطُونِ
 ظُهُورٍ ! وَمَنْ ادَّعَى أَنْكَ تَسَاوِينِي فِي الْفَضْلِ وَالْقَدْرِ ! أَوْ زَعَمَ أَنَّ الشَّمْسَ
 تَقْتَبِسُ مِنْ مَشْكَاتِ الْبَدْرِ ! وَمَتَى اسْتَمَدْتَ الْأُصُولَ مِنَ الْفُرُوعِ « وَمَا أَغْنَى
 الشَّمْسُ عَنِ الشَّمْعِ » فَبِي تَنْجَلِي مَحَاسِنَ الْمَظَاهِرِ الْكُونِيَّةِ وَتَتَحَلَّى بِجَوَاهِرِ
 الْأَعْرَاضِ اللَّوْنِيَّةِ ، أَوْ يَخْفِي حَسَنِي وَجَمَالِي عَلَى مَشَاهِدٍ ؟ أَوْ يَفْتَقِرُ فَضْلِي وَكَمَالِي
 إِلَى شَاهِدٍ ! وَعِرْضِي عَارٍ مِنَ الْعَارِ ، وَجَمِيعَ الْحَسَنِ مِنْ ضِيَائِي مُسْتَعَارٍ !

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا احْتِاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ
 أَمَا كِفَاكَ بَيِّنَةٌ ، وَزَادَكَ ذِكْرِي أَوْ تَبْصِرَةٌ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَمَحْوَنًا
 آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً » وَ« هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ،

أم تستوى الظلمات والنور» وأين منزل أهل الغفلة من منزل أهل اليقظة والحضور! وإن كنت مغنى الأنس والأفراح ، تفعل بعقول الناس فعل الراح ، فهل حسبت أن السكوت خير من الحركة ، وقد أجمع العالم على أن الحركة بركة ، فإن لي بكل خطوة حَظوة وليس لجوادى كَبوة ، ولا لِصَارِي نَبوة ، وإن صرَّحتَ للذين يبيتون ليربِّهم سجداً وقياماً ، معرضاً بكل غافل لاه ، في كل مجال رجال لاثليهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وأين من احتجب بظلمات بعضها فوق بعض ، ممن أضحى ينظر بعين الاعتبار في ملكوت السموات والأرض ! وقد أتحنى الله بالصلاة الوسطى فأوتر بها صلواتي ، وشرع فيها الأسرار لأمرار اختصت بها أهل جلواتي ، وكفاني شرفاً « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » ، فمأثرى مأثورة في القديم والحديث ، ومفاخرى منشورة في الكتاب والحديث ، ومحاسني واضحة لأولى الأبصار ، وهل تخفى الشمس في دابعة النهار ! فاكفف عن الجدل وأمسك ، ولا تجعل يومك مثل أمسك ، وسالم من ليس لك عليه قُدرة ، فقد قيل : « ما هلك امرؤ عَرَفَ قُدْرَهُ » ، أقول قولي هذا وأستغفر الله من آفة العُجب والكبرياء . ولما انهار ركن النهار ، إِبْهَاراً (الليل) وتبرقع بالاكْفِهْرَار ، فسد ما بين الخافقين بسواده ، وطَفِقَ يَرْمِي بسهام جدله في جلاده ، وقدم بين نجواه سورة القدر ، آية على ما حازه من كمال الرفعة والقدر ، وثنى بقوله تعالى : « سبحانه الذي أسرى بَعْدَهُ لَيْلًا » فأشار إلى الحبيب حين تجلت له قوة عينه ليلاً ، ثم قال : « سُخِّقًا لك أيها النهار ، فقد أمسست بنياتك على شفا جُرْفِ هَارٍ ، ومنى كان انسلاخك وظهورك ، وتفاضلني وبى أرخت أعوامك وشهورك - ألم يأن لك أن تخشع للذكر (١) ! فتعترف برتبة التقديم في الذكر (٢) ، وكيف تُعيرني بلون السواد ! وهل يقبح السواد

(١) الذكر : القرآن .

(٢) الذكر هنا : الشرف .

إلا في الفواد؟! أو كيف تعيبنى بالخداع (والحربُ خُدعة) وليس الشيء في موطنه بغريب ولا بدعة؟! أما تشهد العوالم من هيبتي حيارى؟ «وترى الناس سكارى وما هم بسكارى» فكم أرقت (١) ملوكاً أكاسرة؟ وأرقت (٢) دماءً أسود كاسرة، وكم أوزيت نار الوغى تحت العجاج؟ وقد أوزرت اللحاظ واغبرت الفجاج، فأنا البطل الذي لا يضطلي بناره، ولا يأخذ منه الموتور بشاره، وأفتخارك على بالصلاة الوسطى، ليس إنصافاً منك ولا قسطاً، وهب أنك انفردت بتلك الصلاة الجليلة، فأين أنت مما أوتيت من الصلوات الجزيلة، أما كان افتراض الصلاة في ليلة العروج؟! فما بالك تدعى الارتقاء إلى هذه البروج؟!

وما أعجبتني قط. دعوى عريضة ولو قام في تصديقها ألف شاهد

وأما افتخارك على بفضل شهر رمضان، وما نزل فيه من السبع المثاني والقرآن، فهل صح لك صيامه إلا بي بدنة وختاماً؟! وقد تميزت عليك بفضيلة إحيائه تهجداً وقياماً، على أني محل النية «ونية المرء خير من عمله» لأنها بمثابة الروح له، وبها يحظى الراجي ببلوغ أمله، هذا: وإني أتكفل للصائم بمديد الراحة ووافر الأجر حتى يتبين له الخيط. الأبيض من الأسود من الفجر، وكيف تفتخر بالكتاب المنزه في مزاياه عن المشاركة؟ والله تعالى يقول فيه: «إنا أنزلناه في ليلة مباركة» وهل في مطالع سعودك أشرفت بدور العيدين؟! أم على جناح جُنحك أسرى بنور طلعة الكونين؟! عرج به عليه الصلاة والسلام إلى منزلة قاب قوسين، وهل في تجليات أسحارك يقول الرب: هل من سائل؟ فيناجيه العبد متضرعاً إليه بقلب خاشع ودمع سائل.

ومما اختصمت به من الفضائل والمفاخر، أنه في دولتي وُلد سيد الأوائل والأواخر، ونأهيك بليالي شهر الله رجب، وكيف لا وفي طالعهما السعيد حملت آمنة بسيد العجم والعرب.

(٢) أرقت: أسلت.

(١) أرقت: أسهرت.

فطلع (النهار) طلوع الأسد من غابه ، وكسر جيوش الدجى حين كَشَّرَ
 عن نابه ، وَشَمَّرَ للحرب العَوَانِ غيرَ نَاكِيلٍ ولا وَاِنٍ ، ناشراً في الأفق رايته
 البيضاء ، وَأَسِنَّتَهُ لامعة بين الخضراء والغبراء ، وقال : والذي كسانى حُلِّ
 الملاحه ، وأطلق لسانى بالبلاغة والفصاحة ، لأمحون سطور الدجى من طُرُوس
 الوجود ، ولأثبتن حسن أحوالى فى مقامات أهل الشهود : فإنى معروف بالوفاء
 وصدق الخير ، موصوف بالصفاء الذى لايشوب صفوه كَدْر ، كيف يُبَاهِنِي
 (الليل) بِنكارم الأخلاق ، ومحاسن الشِّيم ، وأنا أتحدث بنعم الله وهو
 موسوم بكُفْرَانِ النَّعْمِ ؟ أَلست مظهر الهداية والدلالة ، وهو مظهر الغواية
 والصلاة ؟! فكم أَرشدت مَنْ أضله ، وأعززت من أهانه وأذله ، وكم أظهرت
 منه عيباً كان غيباً ، فايضت عينه حُزناً « واشتعل الرأس شيباً » :
 ومن جَهَلتْ نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

وكيف يزعم هذا العبد الأبق أنه لسيده فى حلبة الشرف سابق ، وقد قال
 الواحد القهار : « ولا اللَّيْلُ سابقُ النَّهَارِ » إن هو وأيم الله كافر ، وبشموس
 أنوار الشهادة غير ظافر ، لو كان من السُّعداء لفاز بدار النعيم ، ولولا شفاؤه
 لماشابه سواد طبقات الجحيم ، وماذا يُؤمله من الجزاء ويرجوه « يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ »
 أما درى أن صحيفته سوداء مظلمة ، وصحيفتى تفسح عن نفس مؤمنة بالله
 مسلمة ! وأنى يرقى كتابه إلى عليين ، وهو من ظلمات الحجاب فى سِجِّين ! .
 ثم أقبل عليه ، وأنشد مشيراً إليه :

يا مُشْبِهاً فى فِعْلهِ لَوْنَهُ لم تَعُدْ ما أَوْجبت القِسْمَةَ
 خُلِّقك من خُلُقك مستخرجٌ والظلم مُشْتَقٌ من الظلمه

وقال : كيف تدعى فوق حالك ، وأى فضل لمن منظره أسود حالك !
 أما علمت أن الظاهر للباطن عنوان ، كما أن اللسان عن الجنان ترجمان ، قال
 أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام : « ابتغوا الخير عند حسان الوجوه » وقال الشاعر :

لا تسأل المرء عن خلائقه في وجهه شاهد من الخبر
فإننا مفتاح خزائن الأرزاق ، وبى يستفتح باب الكريم الرزاق ، وكفاني
دليلاً على الفضل والكمال « إن الله تعالى جميل يُحِبُّ الجمال » لقد سمعتُ
أقاويلك التي قدمتها بين يديك ، وزعمت أنها حجة عليك (١) ، ولا جرم أن
لسان الجاهل مفتاح حنّفه ، وكم من باغ قُتِلَ بصارم بغيه وحيفه . أما انسلاخي
منك فمن أَمَلَحَ الملح لى وَالغُرَّرَ ، وهل يحق لأصناف الأصداف أن تُنافس نفائس
الدُرَّرَ ؟ أليست « تَلِدُ الأُمَّةَ ربتها حُرَّةً نجية » وقد قالوا : « إن الليالى حبالى
يَلِدُنَ كل عجيبة » ، وأما تَقَدَّمَكَ عَلَيَّ فمن العادة تقدم الخدم بين يدي السادة :

أو ما يرى أن النبي محمداً فاق البرية وهو آخر مرسل
على أنه « أول ما خلق الله النور » كما ورد عن جابر في الخبر المأثور .
وأما تحلى صفوتك بتجلى الحق تعالى فى السحر ، فليس إلا لمن أحيأ أحيانك
بالمجاهدة والسهرة ، وأما زهُوك بقصة ظهور سيد ولد آدم الذى هو نتيجة مُقدمات
الكون وزُبدة العالم ، فهل وقع اتفاق الرواة على ذلك ؟ وأننى لك هذا ، وصُبح طاعته
تمحو سوادك الحالك ، وأما خبرُ الإسراء فعنَى روتَه الأُمَّةُ (٢) ثم بلغه الشاهد
للغائب بعد أمة (٣) ؛ فما لاحت أسراره إلا بمطالعى ، ولا راحت أسناره إلا بطوالعى ،
وما أشرتُ إليه من بقية معانيك التى أضاعت بها فى الخافقين نجومُ معاليك ، فأين
أنت من يوم عَرَفة ، الذى عرفه بأبهى الخصائص من عرفه ، وأين أنت من يوم
عاشوراء ، الذى يعظم فيه الشكر والصبر على السراء والضراء ! وناهيك بسُمُو شأن
العيدىن ، فما أجَلَّهُما من موسمين سعيدىن ، وكيف تُفأخرنى بساعة تبلو
منك مرة فى كل عام ، ولى كل أسبوع أمدٌ تمتد فيه موائد الجود والإنعام

(١) هكذا بالأصل والأصح أن يقال : « وزعمت أنها حجة لك مع أنها حجة عليك » .
(٢) الأمة : أهل الدين (٣) الأمة: الحين من الدهر ، أى مدة ، أو وقت .

فَأَخْبَارُ أَخْبَارِي سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ ، وَمَاسَتْ بِنَسِيمِ رِقَّتِهَا مَعَاطِفَ الْبِيَانِ ،
وقدرى فوق ماتصفه الألسن ، وعندى « ما تشتهيهِ الأَنْفُسُ وتلذذ الأَعْيُنُ »
فدع عنك قول الزور وَالْمَيِّنُ « فقد بين الصبح لذي عينين » .

ولمَّا أفاض (النهار) فى حديث يفضح الأزهار ، أبدع فى كنيته وتلويحه
وأعرب فى تعريضه وتصريحه . ابتدر إليه (الليل) وأجلب عليه بالرجل والخيل
وامتطى جواده الأدهم ، واعتم بعمامة سوداء وتلثم ، فأنسى بفتكاته عنتره بنى
عبس ، حين أمسى يتوعد عمارة بالقتل والرّمس ، ثم نشر فى الأفق ذوائبه
السود ، وعبس وبسر فأسر بسطوته الأسود ، وقال : « فلا أقسمُ بالشفق ،
والليل وما وسق ، والقمر إذا اتسق » لأسبين روى النهار ، ولأجعلنه عبرة
لذوى الاعتبار ؛ فلقد تزىى المملوك بزى الملوكة ، وأدعى مقام الوصول إلى
صاحب السير والسلوك ، أما كفاه ازدرائى وتحقيرى ؟ ! حتى حكم بتضليلى
وتكفيرى ! كم أسبلت على عوراته ذيل ستري ، وهو لا يبالى بهتك أستارى ؟
وكم أودعت مكنون سره فى خزانة سرى ، وهو يبوح بمصون أسرارى ! أف له
من فاضح ، أما يكفيه ما فيه من المفاضح ؟ !

أنتم بما استودعتم من زجاجة يرى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن
كيف احتج لتقدمه بحديث جابر ، مع أن مارواه لكسرى أعظم جابر ،
فإنه برهن على تقدمى عليه لو أدرك سر ما أوماً إليه ، وعلام جعل السواد على
النقص علامة ، وهو مشتق من السؤدد لدى كل علامة ؟ أما درى أنى حزت
من الكمال الحظ . الأوفر ، حتى تحلى ببديع وصفى العنبر والمسك الأذفر !
إن كنت عبداً فنفسى حرّة كرمأ أو أسود الخلق إنى أبيض الخلق
وهل يزرى بالخال سواده البارح ، أو يغرى بالبرص بياضه الناصع ،
وفى بياض المشيب عبرة وأى عبرة ، فكم أجرى من الآماق أعظم عبرة .

له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود أسفع

ومن عاب نعت الشباب ، وفضل وصف الشيب ، فقد غاب عن شهود العيب وعالم الغيب « فما كلُّ بيضاء شحمة ولا كلُّ حمراء لحمه » ؛ ولما أبهى مقاله ، ومل مقامه شمرَّ للرحلة أذياله ، وقوَّض خيامه . فتهلل وجه الصباح ، وهلل بذكر فائق الإصباح وازدهاه السرور والابتهاج ، كأنه ربُّ السرير والتاج :

فكأن الصبح لماً لاح من تحت الثريا
ملك أقبل في التاج يُمدى ويحيأ

برز إلى المبارزة من بابها ، إذ كان في فرسانها وأربابها ، فسلب (الليل) لباسه وأذاقه شدته وباسه ، وقال له : أيها المعجبُ بنفسه ، المغرب في نفسه صحيفة زوره بنقشه (١) « ما كل سواد تمر ، ولا كل صهباء خمرة » ألم تعلم أينأ أبهى محياً ، وشتان ما بين الثرى والثريا ، أين سوادك من بياضى ؟ ! وما زهر نجمك إن تلاًلاً من زهر رياضى ! وكم أطلعت بدوراً في مواكب السيارة ، فأضحت تزهو بجماله على الكواكب السيارة ، وهل لك مثل الغزاة ؟ التى انفردت في الملاحاة لامحالة ! فأننا الذى ضاء صباح الصبأحة من محياه ، وضاع عبير العنبر من نشر أنفاسه وطيب رياه ، ولولاي ما عرف الحسن والجمال ، ولا سعى على وجه الأرض بدر الكمال . فوجم (الليل) لبراعة تلك العبارة ، وبلاغ ملاح له من الرمز والإشارة ثم وثب للمقال كأنما أنشط من عقال ، وقال : « رب ملوم لا ذنب له » ، ومظلوم خيب الدهر أمه ، فإلى متى يسوءنى النهار؟ وحتام يسومنى عذاب النار؟ طالما أعرته أذناً صماء ، وعيناً عمياء ، وهو لا ينثنى عن المقابلة ، ولا يرعوى عن المحاربة والمقاتلة . أما تعلم أيها المغتر ببياضك أن السواد حلية أهل الزهد والصلاح ، وهل يسترق الأسود إلا سود أحداق

(١) النقش : ما يكتب به من مادة، يريد سواده .

المِلاح! بيد أن الحر لا يُبالي بالجمال الظاهر، وإنما يُباهى بالفعل الجميل، والقلب الظاهر، فإن تفاوتت المراتب، بحسب تفاوت المناقب.

وما الحسن في وجه الفتى شرف له إذا لم يكن في فعله والخلائق
وكم أعددت للأنس مقاعد، وفي الأمثال: «رُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ» فإن ظِلِّي
ظليل ونسيمي عليل بليل، تهدأ بي الأنفاس وتسكن الأعضاء والحواس. فقام
(النهار) يعثر بذيله، وقد كفكف وأكف سيله، فما لبث أن تنفّس
الصباح، وأظهر من سناه ما أخفى ضوء الصباح، ورُفرف بجناحه الأبيض
على الدجى، فاقتنصه من وكره بعد ما سكن وسجأ:

فكأن الصباح في الأفق باز والدجى بين مخليبه غراب
وقال: تبا لك أيها (الليل) فلقد أوتيت من المين أوفر نيل، أي حديث
لك صحيح وضعته، وأي حق لك صريح أضعته؟!

عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد
أنبع رضا الله فأعجب الورى من أسخط المولى وأرضى العبيد
نعم لك في السمر خبر مرفوع، بيد أنه مكروه في السنة موضوع، قد
اشتهرت لكن بأقبح الأوصاف، وعدلت لكن عن سبيل العدل والإنصاف، تكتم
عن المرء ما يُرديه «وتخفي في نفسك ما الله مُبديه» وفي المثل: «الليل أخفى
للويل» فما أصعب مراسك قبل افتتار سهيل، وهل يترنم بذكرك إلا غافل؟
وأني يغتر بك عاقل، ونجمك آفل؟ وكيف تفتخر على، وأنت تفتقر إلى؟
ولما سلب النهار بأساليب بيانه العقول، وسكت الليل مَلِيًّا أنشأ يقول:
فعين الرضا عن كل عيب كليله كما أن عين السخط تبتدى المساويا
كيف أتصدى للكذب، وأتردى باللهو واللعب!! وأنا المنعوت باللطف
والظرف والموسوم بالصمت وغض الطرف، كيف أورث الغرور، وأوثر الغفلة
على الحضور، وأنا الداعي لذكر الله وحده، والسامع في ردّ الكثرة الوهمية إلى عين

الْوَحْدَةَ وَأَنَا الموصوف بالَسْتَرِ الجميل ، والمعروف بشكر المعروف والجميل ، وهلم
أَحْجَبُ البصر عن شهود عالم الكثافة ، إلا لَأَكْشِفُ لعين البصيرة عن عالم
اللطافة ، وبذلك يتحقق العبد بفنائه عن وُجُودِه ، فيمده الرب تعالى بسر بقاءه
من خزائن جُودِهِ . ثم قال (النهار لليل) وقد هجم عليه هُجُوم السيل : أيها المدعى
مقام الدعوة إلى الله ، وهو في حال الغفلة عن مولاه لاه ، كيف تَسَنَّمْتُ ذَرْوَةَ
هذا العنبر ؟ كأنك تَكْتُبُ بالمِسْكِ وتختم بالعنبر ! لقد أَطَلْتُ فيما « لا طائل تحته »
ولا معنى ، فكم ذا « أَسْمَعُ جَعَجَعَةً ولا أرى طَحْنًا » فلو كنت ممن انتخب غُرر
الشِّيمِ وانتقى ، لا تَعَطَّظَ بقوله تعالى : « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتتى » .
فتنبه من غفلتك أيها « الليل » قبل أن تدعو بالثُبُورِ والويل ، وإلا فَارْقَتُ
طلائع سَوَادِكِ أى تفريق ، ومزقت سوابغ ظلامك أى تمزيق « فما كلُّ مَرَّةٍ
تَسَلَّمُ الجِرَّةَ » . فاسودَّ وجه الليل ، وانقلب « بحشيف وسوء كيل » وندم على
مناضلة النهار ، ندامة الفرزدق حين فارق النُّوَّارِ (١) ولما سُقِطَ في يده ،
ورزى في عدده وعُدده ، تردى بالسواد ، وليس ثياب الحداد ، ثم لاح
هلاله للعين ، كمنجَلٍ صيغ من لُجِينِ :

انظُرْ إلى حُسْنِ هلالِ بَدَا يَجْلُو سنا طَلَعَتِ الحنْدِسا

كمنجَلٍ قد صيغ من فِضَّةٍ يَحْضُدُ من زهر الدجى نرجسا

- (١) بنت مجاشع زوج الفرزدق طلقها فى مجلس عبد الملك بن مروان .
وذلك أن الفرزدق قال فى المجلس - وفيه جرير - النوار طالق ثلاثا أن لم
أقل بيتا لا يستطيع جرير أن ينقضه أبدا فقال عبد الملك : ماهو ؟ فقال :
فانى انا الموت الذى هو واقع بنفسك فانظر كيف انت مزاوله
فقال جرير : أم حرزة طالق منى ثلاثا ان لم أكن نقضته وزدت عليه .
فقال عبد الملك هات فأنشد :

انا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئتنى بمثل الدهر شيئا يطاوله
فقال عبد الملك : فضلك والله يا أبا فراس وطلق عليك .

وقال : من يُنصفني من هذا الجائر ؟ وينصتُ لي فأبته شكوى الواله الحائر ، فحتام أعانى حدَّ الظبا ، وقد بلغ السيل الزبى .

وكنت كالمُتمنى أن يرى فلماً من الصباح فلما أن رآه عمى فانتبه طرف (النهار) وازدهر سراحه أى ازدهار ، وشرع يتلو سورة النور بكمال الابتهاج ، والشمس ترقمُ آية جماله بالذهب الوهاج .

وقابل الصُّبحُ جُنحَ الليلِ فارتسمتْ سُطورهُ البيضُ في ألواحِه السود ثم قال : أيها « الليل » البهيم « تالله إنك لفي ضلالِك القديم » كيف تدعى أنك مظلوم ، وتشتكى من جورى وأنت الظلوم ؛ وهب أنى قاتلتك ظلماً فأنت البادى ، وهل قابلتك إلا بما واجهتني به في المبادى ، وها أنا برهننت على فضلى بشهود عدول ، ليس للمنصف على تزكية شهادتهم عدول ، فاستقل من دعوى المجد والفخر ، « فقد حصَّص الحق » ووضح الفجر ، وإن أبيت سلوك محجتي ولم تتضح لك أدلة حُجتي ، فهلم إلى « حضرة الأمير » ولا ينبئك مثل خبير . فأنكر الليل زعمه التفرد بالفضل وادعائه ، وأجاب في عرض أمرهما على (الأمير) دعاءه ، وقال : على الخبير ، سقطت ، وعند ابن بجدتها حططت .

وكتب أيضا في مناظرة بين الارض والسما

جالت السماء في ذلك المضمار وصالت ، ونوّهت برفيع قدرها وقالت : تبارك الذى جعل في السماء بروجاً ، ومنح أشرف الخلق إلى عُرُوجا ، وقدمنى في الذكر في محكم الذكر ، وشرفنى بحسن القسم ، وأتخضنى بأوفر القسم ، وقدمنى من النقائص والعيوب ، وأطلعنى على الغوامض والغيوب ، وقد ورد أن الرب ينزل إلى كل ليلة ، فيولى من تعرض لنفحاته بره ونيله ، فيالها من تحفة جليلة ومنحة جزيلة يحقُّ لى أن أجر بها ذبول العزة والافتخار ، وكيف لا الوجود بأسره باسطاً إلى أيدي الذلة والافتقار ، فلى العز الباذخ ، والمجد الأثيل الشامخ ، لتفردى بالرفعة والسمو وعلو المنزلة دون غلو . فقالت لها « الأرض » ويعحك لقد

أكثرت نزرأ وارتكبت بما فُهِتَ به وزراً، أما إنه لا يُعجَبُ بنفسه عاقل ،
ولا يَأْمَنُ مكر رَبِّه إلا غافل ، ومن ادَّعى ما ليس له بقوله أو فعله ، فهلاكه
أقربُ إليه من شراك نعله ، وقد قيل : « من سعادة جدك ، وقوفك عند حدك »
ومن فعلَ ما شاء لقي ما ساء ، أو ما كفاك أنْ خَطرت في ميادين التيه
والإعجاب ! حتى عرضت لشتى « إِنَّ هذا لشيءٌ عَجَاب » ! وهل اختصك
الله بالذكر ؟ أو أقسم بك دوني في الذكر ؟ أو آثرك بالتقديم ، في جميع
كلامه القديم ، حتى ترديت بالكبرياء وتعديت طَوْرَ الحياء !

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا وأبيك ما في العيش خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وكيف تزدرين أهلى بالذنوب والمعاصي ! وأنت تعلمين أن الله هو الآخذ
بالنواصي ؟ فقابلتها « السماء » بوجه قد قطبته ، ومجنٌ قد قلبته ، وقالت لها في
الحال أيتها القانعة بالمحال ، ما كنتُ أحسبُ أنك تجترئين على مُبارزة
مثلى ، وتنكرين على ما ترنمتُ به من شواهد مجدى وفضلى ، وهل خِلت أن
التحدث بالنعم مما يلام عليه ؟ مع أنه أمرٌ مندوبٌ إليه ؟ ومن أمثال ذوى
الفظنة والعقل « ليس من العدل سرعة العذل » وكيف جَحَدت ظهور شمس
كمالى ؟ وهل لك من الفضائل والفواضل كما لى ! ولكن لك عند عُذراً جلياً ،
وإن كنت « لقد جئت شيئاً فرياً » .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رَمَدٍ ويُنكرُ الفم طعم الماء من سَقَمٍ
ولورأيت ما فيك من المساوى عياناً ، لما ثنيت إلى حلبة المفاخرة عناناً . فأنى
تفوزين بأشرف الأقدار ، وأنت موضع الفضلات والأقذار ؟ وما هذا التناولُ
والإقدام ، ووجهك موطى النعال والأقدام ، إن هذا إلا فعل مكابر ، دَعوى
عريضة وعجز ظاهر ، وهل يحق للكثيف أن يتغالى على اللطيف ، أم ينبغى للوضع

أن يتعالى على الرفيع؟ فقالت لها «الأرض» أيتها المعتبرة بطوالع أقمارها والمعتبرة بلوامع أنوارها «ما كل بيضاء شحمة، ولا كل حمراء لحمه» فبم تزعمين أنك أتتني مني وأنقي، وما عند الله خير وأبقى، وأنت واقفة لي على أقدام الخدمة جارية في قضاء ما ربي بحسب الحكمة، قد كفلك الحق بحل مؤونتي، وكلفك بمساعدتي ومعونتي، ووكلك بإيقاد سراجي ومصباحي، ووكلك إلى القيام بشئوني في ليلي وصباحي، وليس علوك شاهداً لك بالرتبة العلية، فضلاً عن أن يوجب لك مقام الأفضلية - فما كل مرتفع نجد، ولا كل متعظم ذو شرف ومجد.

وإن علاني من دوني فلا عجب لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل فمن أعظم ما فقت به حسناً وجمالاً، وكذت بإخمصى أطأ الثريا فضلاً وكمالاً تكوين الله مني وجود سيد الوجود، فأفرغ عليّ به خلع المكارم فهو بدر الكمال وشمس الجمال:

وأجملُ منك لم تر قط. عينٌ وأكملُ منك لم تلد النساءُ
خُلقت مبرءاً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

فأكرم به من نبي أسرني به وأرضي، كيف لا ولولاه ما خلق سماء ولا أرضاً، وجعلني له مسجداً وطهوراً، وأقر به عيني بطوناً وظهوراً.

فأبرقت «السماء» وأرعدت، وأرغت وأزبدت، وقالت: إن لم تتخطني خطة المكابرة وتتخلى عن هذه المثابرة، لأغرقنك في بحر طوفاني، أو أحرقتك بصواعق نيران، وهل امتطيت السماكين، أو انتعلت الفرقدين، حتى تفتخرني عليّ، وتشيري بالدم إليّ، وتلك شهادة لي بالكمال، ولقد صدق من قال:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل

أم حسبت أن لك في ذلك حجة، فخاطرت بنفسك في ركوب هذه اللجة وكنت كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفه:

لكل داء دواء يُستطب به إلا الحماقاة أعيت من يداويها

أما دعواك أنى واقفة لك على أقدام الخدمة ، فهى مما يُوجبُ عليك شكر الفضل والنعمة ، فلو تفكرت أن خادم القوم هو السيد والمولى ، وعرفت الفاضل من المفضول ، أو تدبرت أن « اليد العليا خير من اليد السفلى » لاستقلت من هذا الفضول ، فإن قيامى بشئونك أوضح أمارة . وأما قولك منى سيد الوجود ومن اصطفاهم لحضرته الملك الودود ، فإن كنت تفتخرين بأشباههم الظاهرة ، فأنا أفتخر بأرواحهم الطاهرة ، أما علمت أنها فى ملكوتى تغدو وتروح ، وبواردى (١) بسطى وقبضى تشدو وتنوح ، فأنا أولى بهم ، وأحرى بالافتخار بحزبهم .

فلما سمعت الأرض من السماء مقالة تقطر من خلالها الدماء ، أطرقت لمحة بارقٍ خاطف ، أو نغبة (٢) طائر خائف ، ثم قنعت رأسها ، وصعدت أنفاسها وقالت : لقد أكثرت ياهذه اللغظ . وما آثرت الصواب على الغلط . فعلام تهزئين بي وتستخفين بحسبى ونسبى ؟ وإلام تنقضين عرى أدلتى ، ولانعاميلينى باللتى ؟ وحتام تقابلينى بأنواع التائب ، ولم لا تقفى على حقيقتى بالبحث والتنقيب ؟ أحسبت أن الجسم ما خلق إلا عبثاً ، ولا كان للنفس النفيسة إلا جدثاً ؟ وفى ميدانه تتسابق الفهوم ، وتُدرك عوارف المعارف والعلوم ، وبه تترقى الأرواح فى مراقي الفلاح ! وكيف لا يكون مقدساً من كل غى ومين ؟ وهو لا يفتر عن تسبيح بارئيه طرفة عين ! وإلى متى أنت على متحاملة ؟ وعن آية العدل والإحسان متماحلة ؟ وأنا لك أسمع من خادم ، وأطوع من خاتم ؛ على أن لى من الفضائل ما ثبت بأصح البراهين والدلائل ، أما فى بقعة من أشرف البقاع عن الإطلاق ، لضمها أعضاء من تمم الله به مكارم الأخلاق ! وفى روضة من رياض الجنة ، كما أفصحت عن ذلك السنة السنة ، ومنى الكعبة والمشعر الحرام والحجر وزمزم والركن والمقام ، وعلى بيوت الله تشد إليها الرحال ، ويسبح

(٢) النغبة : الجرعة .

(١) وارد : طريق .

فيها بالغُدُوِّ والآصال رجال ، وأخرج مني طيبات الرزق فأكرم بها عبادة ،
وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ فجعل الشكر عليها عبادة ؛ وناهيك بما اشتملت عليه من
الرياض والغياض ، ذات الأنهار والحياض ، التي تُشفي بنسيمها العليل ،
وتنفي ببرد زلالها حرَّ الغليل :

لِمَ لا أَهيمُ على الرياضِ وطيبها وأظلُّ منها تحت ظلِّ ضَافٍ
والزهْرُ يَضْحَكُ لي بثغْرِ باسِم والنَّهْرُ يَلْقَانِي بقلْبِ صافِي

فأسفرت عن بدر طلعتها « السماء » وهي تزهُو في بُرود السنا والسناء ، وقالت
تناجى نفسها عند مارق السمر ، حتّام أريها السهى وتُريني القمر ؟ ثم عطفت عليها
تقول ، وهي تسطو وتصول : أيتها المتعدية لمفاضلي ، والمتصدية لمناضلي متى قيس
التراب بالعسجد ؟ أو شبه الحصى بالزبرجد ؟ ! إن افتخرت بشرف هاتيك البقاع
التي زها بها منك اليقاع والقاع ، فأين أنت من عرش الرحمن ؟ الذي تعكف عليه
أرواح أهل الإيمان ؟ وأين أنت من البيت المعمور ؟ والكرسي المكلل بالنور ؟ !
وكيف تفتخرين على بروضة من رياض الجنة ، وهي على بأسرها فضلا من الله
ومنه ! أم كيف تزعمين أنه كتب لك بأوفر الحظوظ ، وعندى القلم الأعلى واللوح
المحفوظ ؟ وأما ازدهاؤك بالحياض والأنهار ، والرياض المبتهجة بوُرود (١) الورد
والأزهار ، فليت شعري هل حويت تلك المعاني إلا بنفحات غيوثي وأمطاري ؟ أم
أشرفت منك هاتيك المغاني إلا بلمحات شموسى وأقمارى ؟ ! فكيف تُباهينني
بما منحك إياه ، وعطرت أرجاءك بأريج نشره ورياه ؟ ! ويا عجباً منك كلما
لاح على شعار الحزن ، خطرت في أبهى حلة من حلل الملاحه والحسن ، وإن افترت
ثغور بدور أنسى ، وقرت ببديع جمالي عين شمسي ، زفرت زفرة القيظ . وكدت
أن تتميزي من الغيظ . ما هذا الجفاء يا قليلة الوفاء ؟ ! وهل صفت أوقاتك
إلابوجودي ، أو طابت أوقاتك إلا بوابل كرمي وجودي ؟ ! ولو قطعتُ عنك

(١) وردت الشجرة ورودا اذا اخرجت وردها .

لطائف الإمداد لخلعت ملابس الأنس وليست ثياب الحداد ! أو حجبتُ
عنك الشمس والأقمار لما ميّزت بين الليل والنهار ! كنت بفضل معترفة حيث
إنك من بحر فيض معترفة ؟ ! فنزعت « الأرض » عن مقاتلتها ، وعلمت
أنها لا يقبل لها بمقابلتها . وحين عجزت عن العوم في بحرها ، واستسلمت تمامها
لسحرها ، بسطت لها بساط العتاب ، مُتمثلة بقول ذي اللطف والآداب :

إذا ذهب العتابُ فليس وُدٌ ويَبقى الودُّ ما بَقِيَ العِتابُ

ثم قالت : اعلمى أيتها الموسومة بسلامة الصدر ، الموصوفة بسمو المنزلة
وَعُلُو القدر ، أن الله ما قارن اسمى باسمك ، ولا قابل صورة جسمي بجسمك
إلا لمناسبة عظيمة ، وألفة بيننا قديمة ، فلا تُسميني بنا الأعداء ، وتَسِيئِي
الأحبابَ والأوداءَ ، فإن ذلك من أعظم الرزايا ، وأشدَّ المِحَن والبلايا .

كلّ المصائب قد تمرُّ على الفتى فتهونُ ، غير شتاة الأعداء
ألا وإنَّ العبد محلُّ النقصِ والخلل ، وهل يسوغ لأحد أن يُبرئ نفسه
من الزلل ؟ ! وَمَنْ ذا الذي يسلم من القَدْح ، ولو كان أقوام من القَدْح (١) :
وَمَنْ ذا الذي تُرجى مزياءه كلها كفى المرءُ نُبلاً أن تُعدَّ معايبه
هذا ، وإن لي مفاخرَ لا تُنكر ، ومآثرَ تجل عن أن تحصر ، كما أنك في
الفضل أشهرُ من نار على عَلم ، وأَجَلُّ من أن يحصى ثناءً عليك لسان القلم ،
فإل متى ونحن في جدالٍ وجلاد ، نتطاعنُ بأسنة ألسنة حداد ، وهل ينبغي أن
يجرَّ بعضنا على بعض ذيلَ الكِبَرِ وَالصِّلَف ، عفا الله عما سلف ، وهذه
لعمرى ، حقيقة أمرى ، فانظري إلى بعين الرضا واصفحي بحقك عما مضى .

ولما سمعت السماء هذه المقالة ، التي تجنحُ إلى طلب السلم والإقالة ، قالت
لها : مآربُ لاحفاوة ، ومشربُ قد وَجَدْتُ له حلاوة ، وما ندبتُ إليه من المودة

(١) القَدْح : يكرس القاف السهم قبل أن يراش ويركب نصله .

والألفة ، فلأمر ماجدع قصير أنفه ، ولو لم تُلقي إلى القياد ، لعينت مني مادونه
 خرط القتاد ، ولكن لاجرح عليك ولاضير ، فإنك اخترت الصلح والصلح خير ،
 وكيف جعلت العتاب شرطاً بين الأحباب أو ما سمعت قول بعض أولى الألباب :
 إذا كنت في كلّ الأمور مُعاتباً صديقك لم تلقَ الذي لا تُعاتبه
 وإن أنت لم تشرب مِراراً على القدي ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
 وها أنا رادةٌ إليك عوائد إحساني ، وموائد جودي وامتناني ، فقرى عيناً
 وطيبى نفساً ، وتيهى ابتهاجاً وأنساً ، وأبشرى ببلوغ الوطر ، وزوال
 البؤس والخطر . فسجدت الأرض شكراً ، وهامت نشوة وسكراً ، وتهلل
 وجهها سروراً ، وامتلأت طرباً وحبوراً .

مناظرة بين فصول العام لابن حبيب الحلبي

المتوفى سنة ٤٠١ هـ

قال الربيع : أنا شباب الزمان ، وروح الحيوان ، وإنسان (١) عين الإنسان
 أنا حياة النفوس ، وزينة عروس الغروس ، ونزهة الأبصار ، ومنطق الأطيّار ،
 عرف (٢) أوقاتي ناسم ، وأيامي أعياد ومواسم ، فيها يظهر النّبات ، وتنشر (٣)
 الأموات ، وتُردُّ الودائع ، وتتحرك الطبائع ، ويمرح (٤) جنيب (٥) الجنوب (٦) ،
 وينزح (٧) وجيب (٨) القلوب وتفيض عيون الأنهار ويعتدل الليل والنهار ، كم
 لي عقدٌ منظوم ، وطراز وشي مرقوم ، وحلّة فاخرة ، وحليّة ظاهرة ، ونجم سعد
 يُدنى راعيه من الأمل ، وشمس حُسن تنشدنا (٩) : « بُعد ما بين بُرج
 الجدى (١٠) والحمل (١١) » عساكرى منصوره ، وأسلحتى مشهورة فمن سيف عُصن

(١) مايرى في سوادها (٢) الريح الطيبة (٣) تحيا (٤) ينشط (٥) مجنوب ،
 والجنوب ريح تخالف الشمال ، مهيهامن مطلع سهيل الى مطلع الثريا (٦) ريح
 تخالف الشمال ومنه اذا جاءت الجنوب جاء معها خير كثير (٧) يبعد ويذهب
 (٨) كثرة خفقاها (٩) تقول لنا من انشاد الشعر (١٠) برج في السماء وهو
 أحد البروج الاثنى عشر التي تمر بها (١١) برج في السماء أيضا .

مجوهر ، ودِرْع بنفسج مُشَهَّر ، ومِعْفِر (١) شَقِيْق (٢) أَحْمَر ، وتُرْس بهارٍ يَبْهَر ،
 وَسَهْم آس يرشَقُ فينشَق ، ورُمح سوسن (٣) سِنَانِه أَزْرَق ، تحرسها آيات ،
 وتكْنِفُهَا أَلْوِيَةٌ ورايات . بي تحمَّرُ من الورد خُدوده ، وتهتزُّ من البان قُدوده ،
 ويخضِرُ عذار الرِّيحان ، ويتنبه من النرجس طرفه الوسنان (٤) ، وتخرج الخبايا
 من الزوايا ، ويفترُّ ثغرُ الأُفْحوان (٥) قائِلاً (أنا ابنُ جَلَا وظلّاع الثَّنْايا) :

إِنَّ هَذَا الرَّبِيعَ شَيْءٌ عَجِيبٌ يُضْحِكُ الْأَرْضَ مِنْ بُكَاءِ السَّمَاءِ
 ذَهَبٌ حَيْثُمَا ذَهَبْنَا وَدُرٌّ حَيْثُ دُرْنَا وَفِضَةٌ فِي الْفِضَاءِ

(وقال الصيف) : أَنَا الخَلِّ المَوافق ، والصديق الصادق ، والطبيب الحاذق
 أَجْتهد في مصلحة الأَحْباب ، وأرفع عنهم كُلفة حَمَلِ الثياب ، وَأخَفُّ أَثْقَالَهُمْ ،
 وَأَوْفَرُ أَمْوَالَهُمْ ، وَأَكْفِيهِم المَؤنَةَ ، وَأَجْزِلُ لَهُم المَعونَةَ ، وَأَغْنِيَهُمْ عَن شِراءِ
 الفِرَا ، وَأَحَقُّ عِنْدَهُم (أَن كل الصيد في جَوْف الفِرَا) نُصِرْتُ بالصبا ، وَأوتيت
 الحكمة في زمن الصِّبا ، بي تتضحُ الجادة (٦) وتتضح من الفواكه المادة ، ويزهوَ
 البُسْرُ والرَّطْبُ وينصلحُ مِرْاج العنب ، ويقوى قلبُ اللوز ، ويلين عطف
 التَّينِ والموز وينعقدُ حَبُّ الرمان ، فيقمع الصفراء ، ويسكنُ الخفقان ، وتخضبُ
 وجنات التَّفَاحِ ويذهب عرف (٧) السَّفْرَجَل مع هُبوب الرياح ، وتسودُ
 عيون الزيتون وتخرجُ تيجان النَّارنج والليمون ، مواعدي منقودة ، وموائدي
 مَمْدُودَةٌ ، الخير موجود في مَقَامِي ، والرَّزْقُ مَقْسُومٌ في أَيامِي .

الفَقِيرُ يَنْصاع (٨) بملءِ مُده وصَّاعه ، والغني يرتعُ في ربيع مُلكه وإقطاعه ،
 والوحش تَأْتِي زرافاتٍ (٩) ووحداناً ، والطير تغدو خِصاصاً وتروح بطاناً (١٠) .

(١) زرد ينسج من الدروع على قند الرأس (٢) شقائق النعمان وهو
 نبت أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة (٣) نساب طيب الرائحة
 (٤) النسمان النفلان (٥) البايونج نبت طيب الرائحة حوالبه ورق أبيض
 ووسطه أصفر (٦) الطريق (٧) رائحته الطيبة (٨) يقفل راجعاً مسرعاً
 (٩) جماعات (١٠) تذهب جائعة وترجع ممتائة .

مصيفٌ له ظلٌ ظليلٌ على الورىِ ومَنْ حلا طعماً وحللاً أخلاطاً
يعالج أنواع الفواكه مُبدياً لصحَّتها حفظاً يُعجز بقراطاً (١)

(وقال الخريف) : أنا سائق الغيوم ، وكاسر جيش الغيوم ، وهازم أحزاب السموم (٢) ، وحادي نجائب السحائب ، وحاسر نقاب المناقب . أنا أصدُّ الصدى (٣) وأجود بالندى ، وأظهر كل معنى جليّ ، وأسمو بالوسمى (٤) والولى ؛ في أيامى تقطف الثمار ، وتصفو الأنهار من الأكدار ويترقرق (٥) دمع العيون ، ويتلون ورق الغصون ، طَوَّر يحاكي البقم ، وتارة يُشبه الأرقم ، وحيناً يبدو في حلته الذهبية فيجذبُ إلى خلته القلوب الأبية ، وفيها يُكنى الناس همَّ الهوامِّ ، ويتساوى في لذة الماء الخاص والعام ! وتقدِّمُ الأظيارُ مطربةً بنشيشها رافلةً في الملابس المجددة عن ريشها ، وتُعصرُ بنت العنقود وتوثقُ في سجن الدنِّ بالقيود ، على أنها لم تجترح إثمًا ، ولم تعاقب إلا عدواناً وظلماً ، بي تطيبُ الأوقات ، وتحصلُ اللذات ، وترق النسنيات ، وترمى حصى الجمرات ، وتسكن حرارة القلوب ، وتكثر أنواع المطعوم والمشروب ، كم لى من شجرة أكلها دائم ، وحملها للنفع المتعدى لازم ، ورقها على الدوام غير زائل ، وقدود أغصانها تُخجل كل رُمح ذابل :

إن فصل الخريف وافى إلينا يتهدى في حُلَّة كالعروس
غيره كان لليون ربيعاً وهو ما بيننا ربيعُ النفوس

(وقال الشتاء) ، أنا شيخ الجماعة ، ورب البضاعة ، والمقابل بالسمع والطاعة أجمع شمل الأصحاب ، وأسدل عليهم الحجاب ، وأتحفهم بالطعام والشراب ، ومَنْ ليس له نى طاقةٌ أغلق من دونه الباب ، أميلُ للمطيع ، القادر

(١) بقراط الحكيم اليونانى وهو لفظ يونانى معناه ناسك الصبح
(٢) الريح الحارة (٣) العطش (٤) المطر الذى يأتى فى الخريف ، والولى الذى يأتى بعده (٥) ترقرق الدمع فى العين تحرك .

المستطيع المعتضد بالبرود والفرا، المتمسك من الدينار بأوثق العرى، ومن يعش
عن ذكري، ولم يمتثل أمرى، أرجفته بصوت الرعد، وأنجزت له من سيف
البرق صادق الوعد، وسرت إليه بعساكر السحاب، ولم أقنع من الغنيمة بالإياب
معروفى معروف، ونيل نيلى موصوف، وثمار إحسانى دانية القطوف، كم لى
من (وابل) طويل المدى (وجود) وافر الجدا (وقطر) حلا مذاقه (وغيث)
هيد العفاة إطلاقه (وديمة) تطرب السمع بصوتها (وحياً) يحيى الأرض بعد
موتها، أيامى وجيزة وأوقانى عزيزة، ومجالسى معمورة بذوى السيادة، مغمورة
بالخير والمير والسعادة، نُقلها يأتى من أنواعه بالعجب، ومناقلها تسح بذهب
اللهب، وراحها تُنعش الأزواح، وسقاتها بجفونهم السقيمة تفتن العقول
الصَّحاح؛ إن رُدتها وجَدتْ مالا ممدودا، وإن زُرْتها شاهدت لها بئين شهودا .

مناظرة بين البر والبحر لبعض الأدباء

قال (البر): يا صاحب الدر، ومعدن الدر، أطرقت رياضى، ومزقت
قصورى وأحواضى، وأغرقت جثتى، ودخلت جنتى، وتلاطمت أمواجك على
جنتى، وأكلت جزائرى وجروفى، وأهلكت مرعى فصيلى وخروفى، وأهزلت
ثورى وحملى وفرسى وجملى، وأجريت سفنك على أرضى لم تجر عليها، ولم تمل
طرف غرابها إليها، وغرست أوتادها على أوتاد الأرض، وعرست فى مواطن
النفل والفرض، وجعلت مجرى مراكبك فى مجرى مراكبى، ومشى حوتك
على بطنه فى سعد أخبية مضاربى، وغاص ملاحك فى ديار فرحى، وهاجرت من
القرى إلى أم القرى وحملت فلاحى أنقاله على القرى، وقد تلقيتك من
الجنادل بصدري، وحملتك إلى برزخك على ظهري، وقبلى أمواجك بثغرى
وخلفت مقياسى فرحاً بقدمك إلى مصرى وقد جرت وعدلت وفعلت ما
فعلت، فملك تفيض، ولا يكون ذهابك عن ذهاب بغيض، أو تفارق هذه

هذه الفجاج ، وتختلط. بالبحر العجاج ، وإن لم تفعل شكونك إلى من أنزلك من السماء ، وأنعم بك علينا من خزائن الماء :

إذا لم تكن ترحم بلاداً ولم تُغثُ عباداً فمولاهم يُغيثُ ويرحمُ
وإن صدرت منهم ذنوبٌ عظيمة فغفواً الذي أجراك يا بحرُ أعظمُ
نُدُّ إليه أيدياً لم نَمُدّها إلى غيره والله بالحالِ أعلمُ

قال (البحر) : يا برُّ، يا إذا البرُّ، ومنبتُ البرِّ، هكذا تخاطب ضيفك وهو يخصك شتاءً وصيفك ، وقد ساقني الله إلى أرضك الجزُ، ومعدن الدرِّ والخرز لأبْهَج زرعها وخيلها ، وأخرج أبهاً ونخيلها ، وأكرم ساكنك ، وأنزل البركة في أماكنك ، وأثبت لك في قلب أهلك إحكام المحبة ، وأثبت بك لهم في كل سُنْبلة مائة حبة ، وأحييك حياة طيبة ، يبتهجُ بها عمرُك الجديد، وتتلو « كذلك يُحيي الله الموتى » . السنة العبيد ، وأطهرُك من الأوساخ ، وأحمل إليك الإبلِيز فأطيبك به من عرق السباخ ، وأنا هدية الله إلى مصرِك ، وملكُ عصرِك القائم بنصرِك ، ولولا برِّكاني عليك ، ومسيرى كل مسرئى إليك ، لكننت وادياً غيرى ذى زرع ، وصادياً غير ذى ضرع :

سَرَيْتُ أنا ماء الحياة فلا أذى إذا ما حفظتُ الصبحُ فاللال هينُ
فكن خضراً يا برِّ واعلم بأننى إلى طينِكَ الظمآن بالرى أحسنُ
وأسعى إليه من بلادٍ بعيدةٍ وأحسنُ أجرى بالتى هي أحسنُ
إذا طاف طوفانى بمقياسك الذى يُسرُّ باتيان الوفاءِ ويعلنُ
فقم وتلقاه ببسطتك التى لروّضتها فضلٌ على الروّض بينُ

ولعمري : لقد تلطف (البرُّ) في عتابه وأحسن ، ودفع (البحرُ) في جوابه بالتى هي أحسن ، وقد اصطلحا وهما بحمد الله أخوان مُتصافران على عمارة بلاده ، ونشر الثروة ونمو الخيرات بين عباده ، فالله تعالى يخصب مرعاها ويحرسها ويرعاها .

مناظرة بين الهواء والماء لبعض الأدباء

قال (الهواء) : الحمد لله الذى رفع فلك الهواء ، على عنصر التراب والماء .
« أما بعد » فأنا الهواء الذى أُولف بين السحاب وأنقلُ نسيم الأحياب ، وأهبُّ تارةً بالرحمة وأخرى بالعذاب ، وأنا الذى سُيرَ بي الفلكُ فى البحر كما تسير العيسُ فى البطاح ، وطاربى فى الجوِّ كل ذى جناح ، وأنا الذى يضطربُ منى الماء اضطراب الأنابيب فى القنا ، إذا صَفَوْتُ صفا العالم ، وكان له نَصْرَةٌ وزَهْوًا ، وإذا تَكَدَّرَتْ انكدرت النجوم وتكدر الجوُّ ، لا أتَلَوْنُ مثل الماء المتلون بلون الإناء ، لولائى ما عاش كل ذى نفس ، ولولائى ما طاب الجوُّ من بخار الأرض الخارج منها بعد ما احتبس ، ولولائى ما تكلم آدمى ولا صوت حيوان ، ولا غرَّد طائر على غصن بان ، ولولائى ما سُمع كتاب ولا حديث ، ولا عُرف طيب المسوم والمشموم من الخبيث ؛ فكيف يُفاخرنى الماء الذى إذا طال مُكثته ، ظهر خبيثه ، وعلت فوقه الجيف وانحطَّت عنده الآلىءُ فى الصدف .

فقال (الماء) : الحمد لله الذى خلق كلَّ حيٍّ « أما بعد » فأنا أول مخلوق ولا فخر ، وأنا لذة الدنيا والآخرة ويوم الحشر ، وأنا الجوهر الشفاف ، المشبه بالسيف إذا سُلَّ من الغلاف ، وقد خلق الله فىَّ جميع الجواهر حتى الآلىء والأصداف ، أُحْبِى الأرض بعد مماتها ، وأُخْرِجُ منها للعالم جميع أقواتها ، وأَكْسُو عرائس الرياض أنواع الحلل ، وأُنْثِرُ عليها لآئى الويل والطلل ، حتى يضرب بها فى الحُسن المثل ، كما قيل :

إِن السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكِ مُقْلَتُهَا لَمْ تَضْحَكِ الأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهْرِ
فكيف يُنْكِرُ فضلى مَنْ دَبَّ أَوْ دَرَجَ ؟ وأنا البحرُ الذى قيل عنه فى الأمثال « حدِّث عن البحر ولا حرج » وأما أنت أيها الهواء : فظالما أهلكت أُنْبَأُ بِسُمُومِكَ وَزَمْهَرِيرِكَ ، وَلَا تَقُومُ جَنَّتُكَ بِسَعِيرِكَ .

وأما قولك : لولايَ ما عاش إنسان ، ولا بقى على الأرض حيوان ، فجوابه :
 لو شاء الله تعالى لعاش العالم بلا هواء ، كما عاش عالم الماء في الماء ، وأنشدك الله
 أما رأيت ما حباني الله به عظيم المنّة ، حيث جعلني نهراً من أنهار الجنة ، وأنا
 أرفع الأحداث ، وأطهر الأخباث ، وأجلو النظر ، وأزيل الوصر ، أما رأيت
 الناس إذا غيبت عنهم يتضرعون إلى الله بالصوم والصلاة والصدقة والدعاء
 ويسألونه تعالى إرسالي من قبل السماء ؟ واعلم أنني ما نلت هذا المقام الذي
 ارتفعت به على أبناء جنسي إلا بانحطاطي الذي غيرتني به وتواضعي وهضم نفسي
 وقد كثرَ بينهما النزاع والجدال ، حتى حكم بينهما أميرٌ وقال :

إن كلاً منكما مُحِقٌ فيما يدّعيه ، فما أشبهكما في السماء بالفرقدين ، وفي
 الأرض بالعينين ، إلا أن مرآة الحقّ أرنتني فضيلةً تفضلُ بها أيها الماء أخاك
 الهواء ، وحققت لي بأنكما لسما في الفصل سواء ، وهي (أن الله تعالى خلق
 آدم من الماء) فاعترف لأخيه بالفضل والذكاء .

مناظرة بين الجمل والحصان للمقدسي المتوفي سنة ٨٧٥ هـ

قال (الجمل) : أنا أحمِلُ الأحمالَ الثقيلَ ، وأقطعُ بها المراحلَ الطوالَ ،
 وأكابِدُ الكلالَ ، وأصبرُ على مرِّ النكالِ ، ولا يعتريني من ذلك ملالُ ، وأصولُ
 صَوَلةِ الإدلالِ ، بلي أنقادُ للطفل الصغيرِ ، ولو شئتُ استصعبتُ على الأمير الكبيرِ
 فأنا الذَّلُولُ ، وللأثقالِ حَمُولُ ، لستُ بالخائن ولا الغلولُ ، ولا الصائل عند
 الوُصولِ ، أقطعُ في الوُحُولِ ما يعجزُ عنه الفحولُ ، وأصابِرُ الظلماءَ في الهواجرِ
 ولا أحوُلُ ، فإذا قضيتُ حقَّ صاحبي ، وبلغتُ ما ربي ألقىتُ حَبْلِي على غاربي ،
 وذهبتُ في البوادي أكتسبُ من الحلالِ زادي ، فإن سمعتُ صوتَ حاديِّ سلمتُ
 إليه قيادي ، وواصلتُ فيه سُهادي ، وطلقتُ طيِّبَ رُقادي ، ومددتُ إليه عُني
 ليلوغ مرادي ، فأنا إن ضللتُ فالدليلُ هادي ، وإن زلتُ أخذَ بيدي من إليه

انقيادى ، وإن ظمئت فذكرُ العجيب زادى ، وأنا المسخر لكم ، بإشارة « وتحمّلُ
أثقالكم » فلم أزل بين رحلة ومقام ، حتى أصل إلى ذلك المقام .

فقال (المحصان) : أنا أحمِلُ صاحبى على كاهلى فأجتهدُ به فى السير ، وأنطلقُ
به كالطير ، وأهجم هجومَ الليل ، وأقتحمُ اقتحامَ السيل ، فإن كان طالباً
أدركَ بى طلبه ، وإن كان مطلوباً قطعت عنه سببه ، وجعلت أسبابَ الردى
عنه محتجة ، فلا يُدركُ منى إلا الغبار ، ولا يُسمعُ عنى إلا الأخبار ، وإن كان
الجميلُ هو الصابرِ المجرَّب ، فأنا السابقُ المقرب ، وإن كان هو المقتصد اللاحق ،
فأنا المقربُ السابق ، فإذا كان يومَ اللقاء قدمتُ إقدامَ الوالِه ، وسبقتُ سبق
نباله ، وذلك مُتخلفٌ لثقلِ أحماله ، وإن أولقَ سائسى قيدى وأمنَ قائدى كيدى
أوثقتُ بشكالى ، لكيلا أحوّل على أشكالى ، وألجمتُ كيلا أكيلَ عن إقدامى ،
فأنا الموعودُ بالنجاة ، المعدودُ لنيلِ الجاه ، المشدودُ للسلامة ، المقصودُ للكرامة
قد أجزل المنعم على إنعامه ، أمضى بالعبادة الأزلية أحكامه « فإن الخير معقودُ
بنواصى الخيل إلى يوم القيامة » خلقتُ من الريح ، وألهمت التسبيح ،
وما برح ظهري عزاً ، وبطنى كنزاً ، وصهوتى حِرزا ، فكم ركضتُ فى ميدان
السباق وما أبديت عجزاً ، وكم حزرت رعووس أهل النفاق حزاً ، وكم
أخطيت منهم الآفاق (هل تحس منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزا) .

الفن الثالث فى الأمثال

المثل عبارةٌ عن تأليف لا حقيقة له فى الظاهر ، وقد ضمّن باطنه الحكيم
الشافية وهى ثلاثة أقسام مفترضةٌ ممكنة ، ومخترةٌ مستحيلة ، ومختلطة :
(١) الأمثال المفترضة الممكنة : هى ما نُسب فيها النطق والعمل إلى عاقل (١) .

(١) وتختلف عن الحكاية من وجهين : الأول أن لها مغزى ، والثانى
كونها غير واقعة وإن كانت فى حيز الامكان .

(٢) والمخترعة المستحيلة : ما جاءت على ألسنة الحيوانات والجمادات فيعزى لها النطق والعمل لإرشاد الإنسان .

(٣) والمختلطة : ما دار فيها الكلام أو العمل بين الناطق وغير الناطق .
وشروط المثل أربعة : (الأول) أن تكون روايته خالية من كل تعقيد ليُفْضَى المقصودُ منه إلى ذهن السامع . (الثاني) أن لا يكون مُسهباً مُملاً (الثالث) أن يُسهج السامع بطلوته ويفكه فكرته بهزل كلامه وابتكار معانيه ، ويضبط عقله في فهم الرواية المختلفة وفضُّ مُشكلها (الرابع) أن يُورد بصورة محتملة .
وفوائد المثل جمة ، منها نزهة البال وترويح خاطر ، ومنها استقصاء الحكم ؛ وهي قديمة العهد جداً ، ولا يعرف اسم أول من تكلم بها ، وكما تكون نثراً تكون نظماً - ونذكر لك من الأمثال ما طاب وراق فنقول :

أمثال القرآن الكريم

أمثال القرآن الكريم قسمان : ظاهرٌ مُصرَّحٌ به ، وكامنٌ لا ذكر للمثل فيه ، أما أمثاله الظاهرة : فكقوله تعالى في شأن المنافقين «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمُّ بُكْمٌ عُمى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ » .

وقوله سبحانه تعالى في شأن الذى يُنْفِقُ أمواله ابتغاءَ مرضاة الله ، والذى ينفقها رياءً : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ، كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ

صَفْوَانٍ (١) عليه ترابٌ فأصابه وَاِبِلٌ (٢) فتركه صَلْدًا (٣) لا يقدرُونَ على شيءٍ مما كَسَبُوا والله لا يهدي القوم الكافرين ، ومثلُ الذين يُنْفِقُونَ أموالهم ابتغاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وتثبيتاً من أنفسهم كمثلِ جَنَّةٍ بَرْبَوَةٍ (٤) أصابها وابلٌ فَآتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وابلٌ فَطَلُّ (٥) والله بما تعملون بصير ، أَيُودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ (٦) فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ .

وقوله تعالى في تمثيل الحق والباطل : « أنزل من السماء ماءً فسالت أوديةٌ بقدرها فاحتمل السَّيْلُ (٧) زبدًا رابياً ومما يوquدون عليه في النار ابتغاءَ حليةٍ أو متاعٍ زبدٌ مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً (٨) وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ .

وقوله تعالى في تمثيل الحكمة وضدها : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ، وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، ومثل كلمة خبيثةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ (٩) مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ .

وقوله جل شأنه في حال الكفار وما يعبدون من دون الله : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستمعوا له ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجتمعوا له وَإِنْ يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ » .
وقوله تعالى : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وَإِنَّ أَهْنَ الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعُنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » .

(١) حجر أملس (٢) مطر شديد (٣) صلدا نقيما من التراب (٤) مكان مرتفع (٥) مطر خفيف (٦) ريح شديد (٧) ما يعلو على وجه الماء من قدر ونحوه (٨) باطلا مرميا به (٩) قطعت من أصلها .

وقوله تعالى في أَنَّ عمل الكافرين يذهب هباءً تذرؤه الرياح :

« مثل الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ » .

وقوله تعالى: « وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ (١) بَقِيَعَةٍ (٢) يَحْسَبُهُ الظَّمآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فُوفًا حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ (٣) يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَاها ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ » .

وقوله تعالى في أَنَّ الدنيا ظلٌّ حائلٌ وخيالٌ باطلٌ :

« واضربْ لَهُمْ مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا (٤) تَذَرُوهُ الرِّيحُ » .

وقوله تعالى : « اعلموا أَنَّما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمِثْلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا » .

وأما أمثاله الكامنة ، فهي الآداب البارة ، والحكم الباهرة ، فمن ذلك

قوله تعالى :

٣ إنه كان صادق الوعد .	في الصدق
في الصبر والثبات	١ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
١ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ	وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ .
٢ فاصبر صَبْرًا جميلاً	٢ هذا يوم ينفعُ الصَّادِقِينَ صدقُهُمْ

(١) شعاع يرى مثل الماء حين اشتداد الحر نصف النهار .

(٢) جمع قاع وهو الأرض المستوية (٣) عميق (٤) يابس متفرقة أجزاءه

٣ فمن عفا وأصلح فأجره على الله

٤ عفا الله عما سلف

في الوفاء

١ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ

مستولا

٢ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ

إِلَىٰ أَهْلِهَا

في الاقتصاد

١ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ

وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ

مَلُومًا مَّحْسُورًا

٢ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ

٣ وَكَلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تَسْرِفُوا

في الأمر بالمعروف

١ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ

عن الجاهلين

٢ وَتُكِنُّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

٣ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا

تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

٤ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالبَغْيِ

٣ وَأصبر على ما أصابك إِنَّ ذَٰلِكَ

لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ

٤ فصبرٌ جميلٌ

٥ واصبر على ما يَقُولُونَ واهجرهم

هَجْرًا جميلًا

في العلم والاسترشاد

١ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

٢ وما يعقلها إِلَّا الْعَالِمُونَ

٣ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ

وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

٤ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ

في الاتحاد والوئام بعد الخصام

١ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا

واذكروا نعمة الله عليكم إِذْ كُنْتُمْ

أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ

بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا

٢ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ

٣ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا

مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَأَتَا

في العفو

١ فاصفح الصَّفْحَ الْجَمِيلَ

٢ وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ

- ٢ وقليلٌ من عبادى الشكور
 ٣ ومن شكرٍ فإنما يشكر لنفسه
 ٤ وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ

في الإغضاء والتغافل واللين

- ١ أولئك الذين يَعْلَمُ اللهُ ما في قلوبهم
 فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّمَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ
 فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا
 ٢ لا تشرِيبَ عليكمُ اليومَ يَغْفِرُ
 اللهُ لكم

- ٣ ادفع بالتي هي أحسن
 ٤ فاصبرْ على ما يَقُولُونَ واهجرْهُمْ
 هجرًا جميلًا
 ٥ ولو كنتَ فظًا غليظًا. القلبِ
 لا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ
 ٦ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ
 يُبْدِهَا لَهُمْ

- ٧ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا
 في المدح

- ١ ما هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ
 كريم

- ٢ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤَاؤًا مَنشُورًا
 ٣ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ

- بر الوالدين والقريب والجار والصاحب
 ١ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
 وبالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ
 عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا
 فَلاتنقل لهما أُنْفُوقًا ولاتنهرهما وَقُلْ
 لهما قولاً كريماً ، واخفض لهما
 جناح الذل من الرحمة وَقُلْ رَبِّ
 ارحمهما كما ربياني صغيراً
 ٢ وأولو الأرحام بعضهم أولى
 ببعض

- ٣ وبالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى
 وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي
 الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ
 بِالْجُنُبِ وابتن السبيل وما ملكت
 أمانكم إِنَّ اللهَ لا يحبُّ مَنْ كانَ
 مُخْتَلِئًا فخوراً

في النصيحة

- ١ إني لك من الناصحين
 ٢ وأنا لكم ناصحٌ أمين
 ٣ وَنَصَّحْتُكُمْ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ
 النَّاصِحِينَ

في الشكر

- ١ لئن شكرتم لأزيدنكم

- ٢ وصوركم فأحسن صوركم
 ٣ يزيد في الخلق ما يشاء
 ٤ فتبارك الله أحسن الخالقين
 ٥ صنع الله الذي أتقن كل شيء

في الكذب والزور

- ١ وإنهم ليقولون منكراً من القول
 وزوراً
 ٢ إن هذا إلا اختلاق
 ٣ كبرت كلمة تخرج من أفواههم
 إن يقولون إلا كذباً
 ٤ فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل
 لهم مما يكسبون
 ٥ فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي
 قيل لهم
 ٦ أنظر كيف كذبوا على أنفسهم
 وصل عنهم ما كانوا يفترون

في الخيانة ونقض العهد

- ١ أو كلماً عاهدوا عهداً نبهده فريق
 منهم
 ٢ وما وجدنا لأكثرهم من عهد
 ٣ إنهم لا أيمان لهم

٤ إن هذا لهو الفضل المبين

- ٥ وإنك لعلی خلقٍ عظیم
 ٦ ختامه مسك
 ٧ ذرية بعضها من بعض
 ٨ وبراً بوالديه ولم يكن جباراً
 عصياً

- ٩ ذلك خير وأحسن تأويلاً
 ١٠ أولئك هم خير البرية
 ١١ رضى الله عنهم ورضوا عنه
 ١٢ وكل من الأخيار
 ١٣ سيماهم في وجوههم
 ١٤ وكانوا أحق بها وأهلها
 ١٥ أولئك الذين هدى الله فيهداهم
 اقتده

- ١٦ إن خير من استأجرت القوي
 الأمين

في التبرئة والتنزيه

- ١ حاشا الله ما علمنا عليه من سوء
 ٢ أولئك مبرءون مما يقولون
 ٣ فبرأه الله مما قالوا
 في حُسن الخلق
 ١ ما شاء الله

جعلنا لوليِّه سلطاناً فلا يُسْرِفُ
 في القتل إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً
 ٣ ولا تلقوا بأيديكم إلى التَّهْلُكَةِ
 ٤ ولا تقتلوا أنفسكم إِنَّ اللَّهَ كَانَ
 بِكُمْ رَحِيماً

في الزنا

١ ولا تَقْرَبُوا الزَّنا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً
 وَسَاءَ سَبِيلاً
 ٢ ولا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ
 إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لْتَبْتَغُوا عَرَضَ
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

في الخمر والميسر

١ يسأَلونكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ
 فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ
 وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا
 ٢ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ
 وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ
 مِن عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ
 تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ
 يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ
 فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ
 ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ
 مُنتَهُونَ !؟

٤ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْتَكُثُ عَلَى نَفْسِهِ
 ٥ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا
 أَثِيماً
 ٦ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِنِينَ

في السُّخْرِيَّةِ وَالغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالجَهْرِ

١ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخِرْ قَوْمٌ
 مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا
 مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ
 يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا
 أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ
 ٢ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ
 بَعْضاً

٣ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ
 الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ
 ٤ وَيَبْلُ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لَمْزَةٌ
 ٥ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ

في القتل والانتحار

١ ولا تقتلوا أولادكم خشيةً إملاقٍ
 نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ
 كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا
 ٢ ولا تقتلوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ
 إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ

في البخل وحب المال

- ١ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَلَى نَفْسِهِ
وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ
- ٢ وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ
وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
- ٣ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ
أَنْ مَالَهُ أَخْلَدَهُ
- ٤ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وَتُحِبُّونَ
الْمَالَ حُبًّا جَمًّا

في الربا

- ١ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا
- ٢ يَسْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ

في العُجب والكبر

- ١ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ
بِغَيْرِ الْحَقِّ
- ٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى
- ٣ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
- ٤ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ
- ٥ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَا هُمْ
بِبَالِغِيهِ

٦ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ
فِي الْأَرْضِ مَرَحًا

في الاستبداد والآثرة

- ١ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ
وَإِنْ تَصَبَّهْمُ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى
وَبِمَنْ مَعَهُ
- ٢ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ
مُدْعِينَ

٣ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى

في التفرق والاختلاف

- ١ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى
 - ٢ كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ
 - ٣ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ
 - ٤ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ
- في الجبن والفرار

١ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا

٢ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ
الْعُدُو

- ٣ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ
رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ
أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغَشِّي عَلَيْهِ مِنْ
الْمَوْتِ إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ
بِالْأَسِنَّةِ جِدَادًا

٤ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَىٰ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَىٰ

٥ قَتِيلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ !؟

في الدم والإهانة والتهكم والتحقير

١ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا !!

٢ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ؟؟

٣ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ

٤ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مَّا تَقُولُ

٥ كَلِمًا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا

٦ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمُ جُوعٌ

٧ إِنْ نَا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ

٨ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ

٩ لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ

أَنْفُسِكُمْ

١٠ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيَاهُمْ

١١ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ

١٢ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ

بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ

١٣ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ

١٤ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

١٥ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ

١٦ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ

عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكهُ يَلْهَثْ

فَيَمْنَنَ يَاْمُرُ بِمَا لَا يَفْعَلُ وَيَعْلَمُ

وَلَا يَعْمَلُ

١ أَنْتُمْ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ؟

أَنْفُسِكُمْ

٣ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا

في الغفلة

١ لَعْمَرُكَ إِنَّهُمْ لِنِي سَكَرَتِهِمْ يَعْْمَهُونَ

٢ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي

عَمْرَةٍ سَاهُونَ

٣ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ

٤ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ

صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

٥ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ

٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ

في إنكار الجميل

١ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضُّهُ مَرَّ كَأَنَّ

لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ زُجْرٍ مَسَّهُ

٢ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ

زُجْرٍ لِلْجَوِّ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْْمَهُونَ

٣ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا

فِي الْأَرْضِ

٦ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا
فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا

فيمن عميت بصيرتهم وأضلهم هواهم

١ لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم

أعينٌ لا يبصرون بها ولهم آذانٌ

لا يسمعون بها أولئك كالأنعام

بل هم أضلُّ أولئك هم الغافلون

٢ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى

القلوب التي في الصدور

٣ أفرأيت من اتخذ إليه هواه وأضله

الله على علمٍ !؟

في قرناء السوء ، والغاوين ، والنهي

عن اتباعهم

١ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن

ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً

٢ يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه

لبئس المولى ولبئس العشير

٣ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا

فتمسك النار

٤ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون

٥ وإخوانهم يمددوهم في الغي ثم

لا يقصرون

١٧ كمثل الحمار يحمل أسفارا

١٨ أولئك هم شر البرية

١٩ هماز مشاء بنميم مناع للخير

معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم

٢٠ إنك لغوى مبين

٢١ إن شانئك هو الأبتر

٢٢ أولئك لا خلاق لهم في الآخرة

٢٣ أيما يوجهه لا يأت بخير

٢٤ أولئك حزب الشيطان

٢٥ اتخذوا أيمانهم جنة

٢٦ فما لهؤلاء القوم لا يكادون

يفقهون حديثاً

في الضالين والمضلين

١ إنهم ألفوا آباءهم ضالين ، فهم

على آثارهم يهرعون

٢ الشيطان سول لهم وأملى لهم

٣ وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم

بغير علم

٤ ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين

٥ وإخوانهم يمددوهم في الغي ثم

لا يقصرون

٥ وليخلفنَّ إن أردنا إلا الحُسنى

والله يشهدُ إنهم لكاذبونَ

٦ إن تَمَسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ

تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ، وَإِنْ

تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ

شَيْئًا

٧ مُدْبَذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ

وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ

٨ يبيغونكم الفتنة وفيكم سَاعُونَ لَهُمْ

٩ لقد ابتغوا الفتنة من قبلُ وقلبوا

لك الأمور حتى جاء الحق وظهر

أمرُ الله وهم كارهون

١٠ ويخلفون بالله إنهم لمنكم وما هم

منكم ولكنهم قومٌ يفرقون

تمثيل أعمال المرائين والمنافقين

١ فَمَثَاهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ

فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا

٢ أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريح

في يوم عاصف

٣ أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه

الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجدهُ

شَيْئًا

٦ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدُ الْمَشْرِقَيْنِ

فَبئسَ الْقَرِينِ

٧ يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا

في التنبيه على الخطأ والضلال

١ ما لكم كيف تحكمون ؟

٢ فأين تذهبون ؟

٣ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي

هو خيرٌ ؟

٤ تلك إذن قسمةٌ ضيزى

٥ تالله إنك لفي ضلالك القديم

٦ ذلك هو الضلالُ البعيد

٧ ويحسبون أنهم على شيء

٨ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا

في المنافقين والمرائين

١ قد بدت البغضاء من أفواههم

وما تخفى صدورهم أكبرُ

٢ وإذا خلوا غصوا عليكم الأنامل

من الغيظ.

٣ يقولون بألسنتهم ما ليس في

قلوبهم

٤ يرضونكم بأفواههم وتابى قلوبهم

- ١٥ إنه لقولٌ فصلٌ وما هو بالهزل
 ١٦ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم
 الأمل فسوف يعلمون
 ١٧ سيعلمون غداً من الكذاب الأشر
 ١٨ سيهزم الجمع ويولون الدبر
 ١٩ لتنبؤن بما عملتم
 ٢٠ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه
 مُزدرج
 ٢١ اعملوا ما شئتم
 ٢٢ فستعلمون من هو في ضلال مبين
 ٢٣ إن ما توعدون لواقع
 ٢٤ فستذكرون ما أقول لكم
 ٢٥ فليضحكوا قليلاً ولْيَبْكوا كثيراً
 ٢٦ فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب
 أصحابهم فلا يستعجلون
 ٢٧ اعملوا على مكانتكم إنا عاملون
 وانتظروا إنا منتظرون
 ٢٨ كلاً سيعلمون ، ثم كلاً سيعلمون
 ٢٩ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا
 أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا
 بهم وضربنا لكم الأمثال
 ٣٠ كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون
 ٣١ ولنخرجنهم منها أدلةً وهم
 صاغرون

في الإنذار والوعيد

- ١ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم
 ٢ فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به
 يستهزئون
 ٣ لكل نبياً مُستقراً وسوف تعلمون
 ٤ وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن
 تعودوا نعد . ولن تغني عنكم
 فئتكم شيئاً ولو كثرت
 ٥ فانتظروا إني معكم من المنتظرين
 ٦ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
 منكم خاصةً
 ٧ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض
 وفساد كبير
 ٨ ذلك وعد غير مكذوب
 ٩ وما هي من الظالمين ببعيد
 ١٠ هذا بلاغ للناس ولينذروا به
 ١١ عما قليل ليصبحن نادمين
 ١٢ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب
 ينقلبون
 ١٣ فسيعلمون من هو شرُّ مكاناً
 وأضعف جنداً
 ١٤ اعملوا على مكانتكم إني عامل
 فسوف تعلمون

٤ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ

وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ

٥ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا

أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ

يُصْلِحَا مَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ

٦ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

٧ وَاتَّقُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ

في آداب النساء

١ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَغْضُضٍ مِّن

أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ

وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا

وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ

٢ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ

تَبَرُّجُ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى

٣ مَحْضَنَاتٍ غَيْرِ مَسَافِحَاتٍ وَلَا

مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا

٤ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ

فِيَطْمَعِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ

قَوْلًا مَعْرُوفًا

في الصلح والسلام

١ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ

٣٢ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَن اسْتَعْلَى

٣٣ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا

٣٤ لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا

فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ

٣٥ وَلِيَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدِ حِينٍ

٣٦ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطومِ

٣٧ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن

قَبْلِهِ مَن الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ

قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا

٣٨ كَلَّا لَا وَزَرَ

٣٩ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ

٤٠ سَنُسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ

٤١ سَنَنْظُرُ أَصْدَقَتْ أُمُّ كُنْتِ مِّنَ

الكَاذِبِينَ

في الحياة الزوجية

١ وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ

أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً

٢ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى وَلَا

تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ

٣ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا

حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا

إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا

٥ وما تنفقوا من خير يُوفِّ إليكم
٦ وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ

في التحية والاستئذان

١ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ
منها أَوْ رُدُّوهَا

٢ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت

٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا

ببيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا
وتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا

٤ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا
تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ

٥ فَإِنِ اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنْ
لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ

في آداب المشي

١ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ
صَوْتِكَ

٢ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ
لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ
الجبال طولا

٣ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
الْأَرْضِ هَوْنًا

في التلطف والدعوة والطلب

١ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ

٢ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ

٢ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ
أَخَوَيْكُمْ

٣ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ

٤ وَإِنْ جُنَحُوا لِلِسَلْمٍ فَاجْنَحْ لَهَا

٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي
السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ
الشيطان

الناس بخير ما تباينوا

٦ وَلَوْ شَاءَ رَبِّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا
مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِلَّذِكِّ حُلُقُمُ

٢ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ
لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا
في الحث على الصدقة والنهي

عما يبطلها

١ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ
سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ

٢ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا
تَحِبُّونَ

٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا
صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى

٤ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ
صِدْقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى

٤ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ
٥ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ

في الجهاد

١ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ
وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ
عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ

٢ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ

٣ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ
أَجْرًا عَظِيمًا

٤ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسِ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ

في الإيمان

١ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ
٢ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ
٣ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا

في الكلام والاستماع

١ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً
طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ
وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ
حِينَ بِإِذْنِ رَبِّهَا

٢ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة
اجْتُنِثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا
مِنْ قَرَارٍ

٣ هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا
عَلِمْتَ رَشَدًا

٤ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى

٥ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ

٦ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِيكَ صِرَاطًا سَوِيًّا

في الشورى

١ وشاورهم في الأمر

٢ وأمرهم شورى بينهم

٣ أفوتوني في أمري

في الشفاعة

١ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ
نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً
سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا

في الخطأ والاضطرار

١ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ
بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ
٢ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ

في المسؤولية عن العمل

١ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى
٢ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى
٣ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ

٧ وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا دُونَ ذَلِكَ

وبضدها تمييز الأشياء

١ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ

ولو أعجبك كثرة الخبيث

٢ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى

من الله ورضوان خير أم من

أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ

هار فانهار به في نار جهنم

٣ مثلُ الفريقين كالأعمى والأصمِّ

والبصير والسميع هل يستويان

مثلاً

٤ وما يستوى البحرين هذا عذبٌ

فراثٌ سائغٌ شرابه وهذا ملحٌ

أجاجٌ

٥ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ

أَهْدَىٰ أَم مَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

٦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ

وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

في الحث على العمل والسعي

والتنافس والمهاجرة

١ ولكلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا

٣ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ

أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ

وَأُولَئِكَ هُمُ أَوْلُو الْأَبَابِ

٤ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا

٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ

وقولوا قولاً سديداً

٦ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ

٧ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا

في الجدل والمناظرة

١ وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ

٢ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ

في تباين المذاهب وتفاوت الدرجات

١ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا

٢ وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُّهَا

٣ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ

٤ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ

في الرزق

٥ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ

٦ وَفَوْقَ كُلِّ عِلْمٍ عِلْمٌ

٦ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

٧ للذين أَحْسَنُوا الحسنى وزيادة

٨ فاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

٩ وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا

١٠ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا

ما بأنفسهم

١١ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ

١٢ وما كان ربك ليهلك القرى

بظلم وأهلها مضاحون

١٣ جَزَاءَ وَفَاءً

شبيه الشيء منجذب إليه

١ الخبيثات للخبيثين والخبيثون

للخبيثات ، والطيبات للطيبين

والطيبون للطيبات

في الإفساد والبغى والنهي عنهما

١ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها

٢ ولا تبغ الفساد في الأرض

٣ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لِبِغْيٍ

بعضهم على بعض

٤ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانَ

في المفسدين الكابرين

١ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض

٢ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

٣ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا

فيها ؟ ؟

٤ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه

في الجزاء على العمل

١ ظَهَرَ الفسادُ في البرِّ والبحر بما

كسبت أيدي الناس لذيقتهم

بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون

٢ إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ

سعيكم مشكوراً

٣ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ

٤ وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى

وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يَرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ

الجزاء الأوفى

الجزاء من جنس العمل

١ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا

٢ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم

٣ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ

٤ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا

٥ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ

بمثل ما اعتدى عليكم

في سوء عاقبة الظالمين والشماتة

بما يصيبهم

١ فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين .

٢ انقلب على عقبيه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

٣ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين .

٤ فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق .

٥ فأتى الله بنيانهم من القواعد .

٦ فخر عليهم السقف من فوقهم

وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون .

٧ فأصابهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزئون .

٨ فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها .

الإعراض عن الدعوة

١ وإذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبراً

كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً

٢ كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة

٣ ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر

قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم

هم المفسدون ولكن لا يشعرون .

٢ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا

وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

٣ ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم

هم الكاذبون .

في غرور الظلمة واستدراجهم

١ يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً .

٢ يعدهم ويمنّيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً .

٣ بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً .

٤ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون .

٥ وأمل لهم إن كيدى متين .

٦ قدرهم في غمرتهم حتى حين .

٧ فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً

٨ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون

٩ درهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون .

- ٦ ولا تَسْأَلُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ .
 ٧ فلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ
 ٨ ولا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ
 مِمَّا يَمْكُرُونَ .
 ٩ ولا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ .
 ١٠ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا .

في الكيل والميزان

- ١ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ
 الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ
 الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
 أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ
 مَفْسِدِينَ .
 ٢ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا
 عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ
 أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ .

في النهي عن الرشوة

- ١ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ
 وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا
 فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ
 وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ .
 ٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا

- في التدخل في ما لا يعنى والنهي عنه
 ١ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
 ٢ لِتَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ
 تَسْوَأٌ .
 ٣ عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا يُضُرُّكُمْ مِنْ ضَلَّ
 ٤ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ .
 ٥ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ .

في الكرم والإكرام والضيافة

- ١ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ
 ٢ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا .
 ٣ فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا
 ٤ فَكُلِيْ وَاشْرَبِيْ وَقَرِّيْ عَيْنًا .
 ٥ وَفَاكِهِمْ مِّمَّا يَتَخَيِّرُونَ وَلِحْمِ طَيْرٍ
 مِمَّا يَشْتَهُونَ .
 ٦ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ
 بِهِمْ خَصَاصَةٌ .

في التعزية وتهوين الخطب

- ١ وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ .
 ٢ كُلْ نَفْسٌ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ .
 ٣ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ .
 ٤ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ .
 ٥ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ
 يُسْرًا .

على ألا تعدلوا ، أعدلوا هو أقرب للتقوى .

٤ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون .

في اتهام الأبرياء

١ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد اختل بهتاناً وإثماً مبيناً .

٢ ولولا إذ سمعتموه قلم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم .

٣ إذ تلقونه بالأسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم

٤ لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم .

في المكابرة في الحق والمعاندة

١ ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق .

٢ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً .

أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم

في مال اليتيم ومتاعه

١ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن .

٢ ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً .

٣ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً .

٤ فامأ اليتيم فلا تقهر .

في صك الدين وإنظار المعسر

١ يا أيها الذين آمنوا إذا تدانيتهم بدينٍ إلى أجلٍ مسمى فكتبوه .

٢ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة .

في الأحكام والحكام

١ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل .

٢ وإذا قلم فاعدلوا ولو كان ذا قربى .

٣ ولا يجرمكم شنآن قومٍ

٩ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك

بالحق وأحسن تفسيراً .

في أداء الشهادة

١ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين

بالقسط . شهداء لله ولو على أنفسكم

أو الوالدين والأقربين .

٢ ولا تكتنموا الشهادة ومن يكتنمها

فإنه آثم قلبه .

٣ فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا

عليهم .

٤ ولا ياب شهداء إذا ما دُعوا .

٥ وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار

كاتب ولا شهيد .

٦ وأنا على ذلكم من الشاهدين .

٧ وما شهدنا إلا بما علمنا .

||||| في الخبر اليقين

١ ما زاغ البصر وما طغى .

٢ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا

غائبين .

٣ نحن نقص عليك نبأهم بالحق .

٤ أحطت بما لم تحط به .

٥ ولا يُسبِّك مثل خبير .

٣ ما ضربوه لك إلا جدلاً .

٤ يُريدون أن يُطفئوا نور الله

بأفواههم .

٥ يجادلونك في الحق بعد ما تبين

٦ وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق

وهم يعلمون .

٧ أنظر كيف نصرف الآيات ثم

هم يصدفون .

في الحق والباطل

١ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ

ولو كره المجرمون

٢ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ .

٣ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ،

وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ

في الأرض .

٤ قَضَىٰ بِالْحَقِّ وَخَسَرَ هُنَالِكَ

الْمُبْطِلُونَ .

٥ الْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ .

٦ فماذا بعد الحق إلا الضلال .

٧ لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم

للحق كارهون .

٨ فوقع الحق وبطل ما كانوا

يعملون .

في الاستنكار والتعجب

١ إني لعملكم من القالين .

٢ لقد جئتم شيئاً إداً .

٣ لقد جئت شيئاً إمرأاً .

٤ لقد جئت شيئاً نكراً .

٥ مَا سَمِعْنَا بهذا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ .

٦ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ .

في المحاماة والدفاع عن الأئمة

١ ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يَجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَّنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ

وَكَيْلًا .

٢ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ

أَنْفُسَهُمْ .

٣ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ .

٤ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ .

في التحدي وعدم المبالاة

١ فاقضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ .

٢ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا

٣ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ

٤ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ .

٥ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ

لَنَا .

في النجوى والمؤامرة

١ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا

النَّجْوَى

٢ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ .

٣ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ

وَنَجْوَاهُمْ .

في الظن والشك

١ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ

لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا .

٢ وَإِنَّهُمْ لَنَى شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ .

٣ وَإِنَّا لَنَى شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ

مُرِيبٌ .

٤ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى

الْأَنْفُسُ .

٥ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ

بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ .

في التبرؤ والتنصل

١ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى

عَقْبَيْهِ ، وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ

إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ .

في الإفحام والإلزام

١ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم

عليك حسيباً .

٢ هذا كتابنا ينطقُ عليكم بالحق

إنا كنا نستنسخُ ما كنتم تعملون

٣ ووجدوا ما عملوا حاضراً

في اليأس والتهيبس

١ قُضِيَ الأَمْرُ الذي فيه تستفتيان

٢ فنادوا ولات حين مناص

٣ اضبروا أو لا تصبروا

٤ ولا تخاطبني في الذين ظلموا

٥ لا تعتذروا اليوم

في إمضاء الأمر

١ فإذا عزمْتَ فتوكل على الله

٢ وكان أمراً مقضياً

٣ إفعل ما تؤمر

٤ فافعلوا ما تؤمرون

في حال المجرمين وهم يعذبون

١ كلما أرادوا أن يخرجوا منها

أعيدوا فيها

٢ لهم فيها زفيرٌ وشهيقٌ

٢ أَنْتُمْ بَرِيثُونَ مَا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ

مِمَّا تَعْمَلُونَ

٣ فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ

في موقف الظلمة والمجرمين

أمام العدالة

١ وقضوهم إنهم مسئولون .

٢ هذا يومُ الفصلِ جمعناكم

والأولين

٣ مكانكم أنتم وشركاؤكم

٤ خذوه فغلوه

٥ ما لكم لا تنطقون

٦ مالكم لا تناصرون

٧ لا تختصموا لدي

في حيرة المجرمين وإشفاقهم

عند ظهور الحق

١ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ

فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ

٢ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا

فَهُمْ لَا يَنْتَقُونَ

٣ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمَجْرِمِينَ

مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ .

في صفات الإنسان الفطرية

- ١ إنَّ الإنسانَ لظَلُومٌ كَقَمَّارٍ
- ٢ وكان الإنسانَ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا
- ٣ خُلِقَ الإنسانُ مِنْ عَجَلٍ
- ٤ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا

لاتبديل لخلق الله

- ٥ وَخُلِقَ الإنسانُ ضَعِيفًا
- ٦ إنَّ الإنسانَ ليطغى أَن رآه اسْتَعْجَنِي
- ٧ إنَّ الإنسانَ خلقَ هَلْوَءًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا .
- ٨ قُتِلَ الإنسانُ مَا أَكْفَرَهُ !

في الخوف

- ١ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ
- ٢ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ
- ٣ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا ولملت منهم رعبًا
- ٤ ذلك الذي يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ
- ٥ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
- ٦ إِنَّا نَخَافُ أَن يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطغى .
- ٧ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُون
- ٨ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ

٣ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ

٤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ .

في الشيب والكبر والضعف

- ١ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا .
- ٢ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا .
- ٣ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ
- ٤ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا .

جزع الناس ومظاهرهم عند البلاء

- ١ مُهْطِعِينَ مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ
- ٢ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى .
- ٣ هَلْ تُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا .
- ٤ وَوَجْوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجِرَةُ
- ٥ فانطلقوا وهم يتخافتون

- ٩ إنا منكم وجِلُونَ
في التضجر والتحسر وإظهار الضعف
- ١ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا
٢ ياليتني كُنتُ معهم فَأَفُوزُ فَوْزًا عَظِيمًا
٣ ياليتني مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ
نَسِيًّا مَنَسِيًّا
٤ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ
مُضِلٌّ مُبِينٌ
٥ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ
٦ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ
٧ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي
في النفس الأمارة بالسوء
- ١ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا
أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ
٢ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسُ
لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي
في الخجل والاستحياء
- ١ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُنَّ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ
٢ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ
مَا بُشِّرَ بِهِ
في النسيان
- ١ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ
- ٢ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا
٣ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ
٤ وَلَا تَتَسَوَّا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ
٥ وَادْكُرْ رِيكَ إِذَا نَسِيتَ
٦ سَنُقْرِثُكَ فَلَا تَنْسَى
٧ لَا تَوَاحِدُنِي بِمَا نَسِيتُ
في الرؤيا والأحلام
- ١ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ
الْمُحْسِنِينَ
٢ أَفَتَوَفَى فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا
تَعْبُرُونَ
٣ أَضْعَافُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ
الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ
٤ أَنَا أُتَبِّعُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ
٥ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ
جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا
الفرح بزوال المكروه
- ١ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ
٢ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ
٣ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ
الظالمين
٤ فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
والحمد لله رب العالمين

٢ وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها
ومرّسها

٣ وهي تجري بهم في موج كالجبال
٤ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه

موج من فوقه موج من فوقه
سحاب ظلمات بعضها فوق
بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها
٥ فغشيهم من اليم ما غشيهم

٦ وحال بينهما الموج فكان من
المغرقين

٧ وله الجوار المنشآت في البحر
كالأعلام

في المطر والبرق والرعد والريح
١ يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار

٢ هذا عارض ممطرنا
٣ ريح فيها عذاب أليم

٤ وهو الذي يرسل الرياح بشري
بين يدي رحمته

في البساتين والروح والريحان
١ ودانية عليهم ظلالها وذلّت

قطوفها تذليلا
٢ فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام

٥ فوق الحق وبطل ما كانوا
يعملون

٦ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل
لم يمتسئسئهم سوء

٧ فوqاه الله سيئات ما مكروا
في النعيم والسرور والقصور
وما حوت

١ تعرف في وجوههم نضرة النعيم
٢ إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا

٣ وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة
مستبشرة

٤ فيها سرر مرفوعة وأكواب
موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي

مبثوثة
٥ متكئين على فرش بطائنها من

استبرق
٦ ويطاف عليهم بآنية من فضة

وأكواب كانت قواريرا
٧ متكئين فيها على الأرائك

في الجبال والبحار والسفن والأمواج
١ ومن الجبال جدد بيض وحمر

مخلف ألوانها وغرابيب سود

- ٩ فليُنظَرِ الْإِنْسَانَ مِمَّ خُلِقَ
 ١٠ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا
 ١١ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتِينَ فَمَحْوِنًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ
 ١٢ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ

فِي الْعِظَةِ وَالْعِبْرَةِ

- ١ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ
 ٢ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ
 ٣ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ
 ٤ لَنَجْعَلَنَّ لَكُمْ تَذَكْرًا وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاَعِيَّةٌ
 ٥ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى
 ٦ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِيَ الْأَبْصَارِ
 ٧ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ
 ٨ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لَأُولِيَ الْأَلْبَابِ

- وَالْحَبِّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ
 ٣ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنضُودٍ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ، وفاكهةٍ كثيرةٍ ، لا مقطوعة ولا ممنوعة
 في التَّفَكُّرِ وَالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالَ عَلَى الْخَالِقِ

- ١ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ
 ٢ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ .
 ٣ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ
 ٤ مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا بَعَثْنَاكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ
 ٥ لَخَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
 ٦ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ
 ٧ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ
 ٨ فليُنظَرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ

وصف الدنيا وتحقير متاعها

- ١ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ .
- ٢ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ .
- ٣ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ .

في التحذير من النفس والشيطان
وغرور الدنيا

- ١ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ .
- ٢ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ .
- ٣ فَلَا تَغْرُبَنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَبَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ .

في التسليم بقضائه تعالى وقدره

- ١ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا .
- ٢ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ .
- ٣ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا .
- ٤ إِنَّ اللَّهَ بِالْغَيْبِ أَمْرٌ .
- ٥ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ .
- ٦ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ .
- ٧ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ .
- ٨ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ بَعْدُ .

في نِعَمِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ

- ١ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ .
- ٢ يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ .
- ٣ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا .
- ٤ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا .
- ٥ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ .

ما استأثر الله بعلمه

- ١ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .
 - ٢ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي .
- في العمل لوجه الله
- لا لجزاء الناس
- ١ إِنَّمَا نُنْطَعِمُكُمْ لِيُوجِبَ اللَّهُ لَنَا رِزْقًا مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا .
 - ٢ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ .

٩ السوءَ بجهالةٍ ثمَّ يتوبونَ من قريبٍ .

٢ وليستِ التوبةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ .

٣ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْمِ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا .

في الدعاء والتضرع

إلى الله تعالى

١ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا .

٢ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ .

٣ رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ .

٤ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا .

٥ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا .

٦ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي .

٩ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ .

١٠ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ .

في الترغيب والتقوى والإحسان

١ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا .

٢ إِنْ الْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ .

٣ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .

٤ وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ .

• لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَى وَزِيَادَةٌ .

في الاعتماد على الله والتوكل

١ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ .

٢ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ .

٣ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

٤ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ .

٥ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ .

٦ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

في الموت وعدم تخلف الآجال

١ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ .

٢ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ .

في التوبة والإنابة

١ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

٢ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ؟ ؟

٣ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ .

٤ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى .

٥ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا .

في الضعف والعجز

١ فما استطاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا

مُتَّصِرِينَ .

٢ فما استطاعُوا أَنْ يظهَرُوهُ وَمَا

استطاعوا له نَقْبًا .

٣ وما ينبغي لهم وما يستطيعون .

٤ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا .

٥ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبُيْتُ الْعَنْكَبُوتِ .

٦ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ .

٧ فما له مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ .

٨ وَخَلِقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا .

في البلاء وما يصاب به الناس

١ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَمْ

بِالْأَمْسِ .

٢ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ .

٣ فَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ بِهَا الْبُرْهَانُ مِنَ اللَّهِ

٤ مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا

جَعَلْتَهُ كَالرِّمِيمِ .

في فضل القرآن الكريم

١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ

مِنْ مُدَّكِرٍ .

٢ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلتي هِيَ

أَهْوَمُ .

٣ فَاقْرَأُوا مَا تيسر مِنَ الْقُرْآنِ .

٤ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ

وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ .

في الإنبياء والامتناء

١ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ

الذي هم فيه مختلفون .

٢ فَاقْبَلْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ

يَتَسَاءَلُونَ .

٣ عَرَفَ بَعْضُهُمْ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ .

٤ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا .

٥ هل أتاك حديث الجنود .

في الكتب والكتابة والرسالة

١ إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ

٢ وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ .

٣ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ .

٤ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ .

في الاقتراب والدنو

١ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ .

- ٢ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ .
- ٣ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً .
- ٤ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ .

في الامتنان بالنعمة

- ١ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ .
- ٢ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى .
- ٣ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ .
- ٤ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ .
- ٥ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّرْنَا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا .

في التحدث بالنعمة

- ١ وَبَرًّا بوالدتي ولم يجعلني جبارًا شَقِيًّا .
- ٢ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِّينَ .
- ٣ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ .
- التسأمين والطمأنينة
- ١ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ .

- ٢ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

- ٥ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٌ .
- ٦ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا .
- ٧ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ .

في الاغترار بالمظاهر

- ١ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْتَنْدَةٌ .
- ٢ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا .
- ٣ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ .
- ٤ تَحْسَبَهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى .
- ٥ وَتَحْسَبُهُمْ آيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ .

في البشري والتهنئة

- ١ يَا بَشْرِي هَذَا غُلامٌ .
- ٢ بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ .
- ٣ بَشْرُنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ .
- ٤ وَبَشِّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ .

ما يقال عند الظفر بالحاجة

- ١ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي .

- ٣ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمْنِينَ .
 ٤ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي .
 ٥ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى .
 ٦ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ .
- ٧ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَخَزْنِي إِنَّا رَادُوهُ
 إِلَيْكَ .
 ٨ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ .
 ٩ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ
 وَاللَّهُ مَعَكُمْ .

أمثال مختارة للعرب

إِنْ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا (١) ، إِنْ الْبِلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ (٢) ، إِنْ الْمُؤَصِّصِينَ بَنُو
 سَهْوَانَ (٣) ، إِنْ الشَّقَى وَافِدَ الْبِرَاجِمِ (٤) ، إِنْ الْبُعَاثُ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ (٥) ، إِنْ الْجَبَانَ
 حَتَفَهُ مِنْ فَوْقِهِ (٦) ، إِنْ الْمَعَانِي غَيْرُ مَخْدُوعٍ (٧) ، إِنْ فِي الشَّرْحِيَارِ ، إِنْ الْحَدِيدُ بِالْحَدِيدِ
 يُفْلَحُ ، إِنْ الشَّفِيقُ بِسَوْءِ ظَنِّ مُوَلِّعٍ (٨) ، إِنْ وِرَاءَ الْأَكْمَةِ مَا وَرَاءَهَا ، إِنْ الْعَصَا مِنْ
 الْعَصِيَّةِ (٩) ، إِنْ الْعَوَانَ لَا تُعْلَمُ الْخَمْرَةُ (١٠) ، إِنْ الْغَنَى طَوِيلُ الذَّيْلِ مِيَّاسُ (١١) ، إِنْ
 اللَّيْلُ طَوِيلٌ وَأَنْتَ مُقْسِرٌ (١٢) ، إِنْ الْعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الْجِلْمِ (١٣) ، إِنْ الْحَبِيبُ إِلَى
 الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ ، إِنْ الْهَزِيلُ إِذَا شَبِعَ مَاتَ (١٤) ، إِنْ غَدًا لِنَظَرِهِ قَرِيبٌ ، إِنْ
 أَخَاكَ مَنْ آسَاكَ (١٥) ، إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشُّوكِ الْعَنْبِ ، أَتَتَكَ بِحَائِنِ رَجُلَاهُ ،

(١) يضرب في استحسان المنطق (٢) يضرب لمن أسىء إليه . (٣) يضرب
 لمن يسهو عن طلب شيء أمر به . (٤) البراجم : بطن من تميم ، يضرب لمن
 يوقع نفسه في هلكة طمعا . (٥) يضرب للضعيف يصير قويا . (٦) يضرب في
 أن الحذر لا ينجي من القدر . (٧) يضرب لمن يخدع فلا يخدع . (٨) يضرب لمن
 يفشى على نفسه أمرا مستورا . (٩) يضرب في مشاكلة الفرع للأصل .
 (١٠) العوان : المرأة النصف ، والخمرة : لبس الخمار . يضرب في استغناء
 المجرب عن الارشاد . (١١) أي لا يستطيع ذو الغنى أن يكتمه .
 (١٢) يضرب للامر بالتصبر في طلب الحاجة . (١٣) يضرب لمن اذنبه انتبه .
 (١٤) يضرب فيمن استغنى فتجبر على الناس . (١٥) يضرب في الحث على
 مراعاة الاخوان .

إِنَّمَا أَكَلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الثَّوْرَ الْأَبْيَضُ ، إِن يَبِغْ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبِغْ عَلَيْكَ الْقَمَرُ (١) ،
 إِن كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَارًا (٢) ، إِن تَرُدَّ الْمَاءَ بِمَاءِ أَكَيْسٍ (٣) ، إِحْدَى حُطَيَّاتٍ
 لِقَمَانٍ (٤) ، أَكَلْ عَلَيْهِ الدَّهْرَ وَشَرِبْ (٥) ، إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الْكَتْفُ (٦) تَكُلْ
 لِحْمِي وَلَا أَدْعُهُ لِأَكْلِ (٧) ، إِيَّاكَ وَمَا يُعْتَدِرُ مِنْهُ ، إِذَا زَلَّ الْعَالِمُ زَلَّ بِزَلَّتِهِ عَالِمٌ ، أَنْتَ
 تَتَّقُ وَأَنَا مَتَّقٌ فَمَتَى نَتَفَقُ (٨) ، إِيَّاكَ أَعْنِي وَأَسْمَعِي يَا جَارَةَ ، إِذَا حَانَ الْقَضَاءُ ضَاقَ
 الْفَضَاءُ (٩) ، أُمُّ الْجَبَانِ لَا تَفْرَحُ وَلَا تَحْزَنُ ، إِذَا جَاءَتِ السَّنَةُ جَاءَتْ مَعَهَا أَعْوَانُهَا (١٠) ، إِن
 حَالَتِ الْقَوْسُ فَهَيِّ صَائِبَ (١١) ، أَلَا مَن يَشْتَرِي سَهْرًا بِنَوْمٍ (١٢) ، إِذَا مَا الْقَارِظُ
 الْعَنْزِي آبَا (١٣) ، وَإِنْ كُنْتَ كَذُوبًا فَكُنْ ذُكُورًا (١٤) ، إِنَّمَا يَحْمِلُ الْكَلَّ عَلَى أَهْلِ
 الْفَضْلِ (١٥) ، إِذَا تَخَاصَمَ لِلصَّانِ ظَهْرَ الْمَسْرُوقِ (١٦) ، إِذَا تَفَرَّقَتِ الْغَنَمُ قَادَتِهَا الْعَنْزُ
 الْجَرِيءُ إِذَا عَابَ الْبِزَارُ ثَوْبًا فَأَعْلَمَ أَنَّهُ مِنْ حَاجَتِهِ (١٧) ، إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَطَاعَ فَسَلْ مَا يُسْتَطَاعُ
 إِنْ يَكُنِ الشَّغْلُ مُجَهَّدَةً فَإِنَّ الْفِرَاقَ مَفْسُودٌ ، إِذَا قَدِمَ الْإِخَاءُ سَمِحَ الثَّنَاءُ ، بَلَغَ السَّيْلُ
 الزُّبَى (١٨) بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ (١٩) ، بَلَغَ السَّكِينِ الْعَظْمَ (٢٠) بِأَقْعَةٍ مِنَ الْبُؤَاقِ (٢١)

(١) يضرب للامر المشهور . (٢) يضرب للمداهى الشديد يبلى بمن هو
 ادهى منه وأشد . (٣) يضرب للاخذ في الامور بالاحتياط . (٤) يضرب في
 الشر يصدر عن عرف به ، وحظيات لقمان : سهامه (وفي القاموس خطأ)
 (٥) يضرب لمن طال عمره . (٦) يضرب في المجرب المحنك . (٧) يضرب في
 الرجل ينصر قرينه وان كان عدوه . (٨) التثق : السريع الى الشر ، والمتثق :
 السريع الى البكاء يضرب للمختلفين أخلاقا . (٩) يضرب لمن يخاطب
 شخصا وهو يريد غيره تعريضا ، (١٠) السنة القحط وأعوانها الجراد
 والامراض ، يضرب في تجمع الشدائد . (١١) حالت القوس : زالت عن
 استقامتها . يضرب فيمن زالت نعمته ولم تزل مروءته . (١٢) يضرب لمن
 غمط النعمة وكره العافية . (١٣) يضرب في امتداد البعد والغيبة
 (١٤) يضرب الرجل يكذب ثم ينسى فيناقض نفسه . (١٥) الكل : الثقل .
 (١٦) يضرب في القوم يختلفون فيسود فيهم الاشرار . (١٧) البزار : بائع الثياب
 (١٨) الزبى : جمع زبىة وهى أعلى الجبل ، يضرب لمن جاوز الحد .
 (١٩) يضرب في الشرين يختار أهونهما (٢٠) يضرب لمن جاوز الحد .
 (٢١) الباقعة : الداهية يقال في الرجل يكون داهيا منكرا .

إيدأهم بالصراخ يَفِرُّوا (١) . أبدي الصريح عن الرغوة (٢) . بعض الجذب
أمرأ للهزيل (٣) . بنان كف ليس فيها ساعد (٤) . بعد البلاء يكون الشناء .
أبلغ من قس . أبخل من مادر . أبصر من زرقاء اليمامة ، ومن غراب .
أنقى من الدهر . أبقى من وحى في حجر (٥) . أبين من فلق الصبح . أبكر
من غراب . ترك الذنب أيسر من طلب التوبة . تجوع الحرّة ولاناكل بشديبها (٦) .
تسألني براهمتين سلجما (٧) تجشأ لقمان من غير شيع (٨) . تضرب في حديد
يارد . تلدغ العقرب وتصىء (٩) . تركتهم في حيص بيص (١٠) . تطلب أثراً
يعد عين (١١) . تسمع بالمعيدي خير من أن تراه (١٢) اتخذ الليل جملاً (١٣) . ترى
الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل (١٤) . التثبث نصف العفو . تقطع أعناق
الرجال المطامع . أتبع السيئة الحسنة تمحها . اتق شرّاً من أحسنت إليه (١٥)
تضرع إلى الطبيب قبل أن تمرض (١٦) . تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن .
التقدير أحد الكاسبين . التدبير نصف المعيشة . جزاء سنار . أسمع جعجعة
ولا أرى طحناً . جوع كلبك يتبعك (١٧) . جاوز الحزام الطبيين (١٨) جازيك من
يجنى عليك (١٩) . جليس السوء كالقمين (٢٠) ، إن لم يحرق ثوبك دخنه ،

(١) يضرب في الظالم يتظلم ليسكت عنه (٢) يضرب عند انكشاف الامر
وظهوره (٣) يضرب فيمن لا يحسن احتمال الغنى بل يطفى فيه (٤) يضرب
فيمن له همة ولا قدرة له على بلوغ ما في نفسه (٥) الوحى : الكتابة
(٦) أى لا تكون مرضعاً ، يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس
المكاسب . (٧) السلجم : اللفت ، يضرب لمن يطاب شيئاً في غير موضعه
(٨) يضرب لمن يدعى ما ليس يملك . (٩) يضرب لمن يتظلم وصاءت
العقرب : صوتت (١٠) يضرب فيمن وقع فيما لا مخلص له منه (١١) يضرب
فيمن ترك الشيء ثم طابه بعد ذهابه . (١٢) يضرب فيمن منظره دون مخبره
(١٣) أى أدى واجبه من العمل ليلاً (١٤) يضرب لذي المنظر لا خير فيه .
(١٥) يضرب في مقابلة الاحسان بالاساءة (١٦) يضرب فيمن بعد ولا يفى
(١٧) يضرب فيما ينبغي أن يعامل به اللئيم (١٨) يضرب في تفاسم الامر
(١٩) رأى لاتزر وازرة وزر أخرى (٢٠) القمين : الحداد .

جاءوا على بكرة أبيهم (١) ، أجود من حاتم ومن كعب بن مامة ، أجبن من صافر ومن نعامة (٢) ، أجهل من فراشة ، أجمع من نملة ، حال الجريض دون القريض (٣) ، حنّ قدح ليس منها (٤) ، حسبك من شرماعه ، حسبك من القلادة ما أحاط بالعتق (٥) . حبك الشيء يُعمى ويُصم ، الحديث ذو شجون (٦) ، حافظ على الصديق ولو في الحريق ، أحشفاً وسوء كيلة (٧) ، الحكمة ضالة المؤمن ، الحبارى خالة الكروان ، الحاجة تفتق الحيلة (٨) ، أحقق من هبّقة ، أحلم من الأحنف ، أحكم من لقمان ، أهدر من غراب ومن ذئب ومن ظليم (٩) ، أحفظ من الشعبي ، خذ من جذع ما أعطاك (١٠) ، خالف تذكر ، خرقاء وجدت صوفاً (١١) ، خير المال عين خرارة في أرض خواراة (١٢) ، أخطب من سبحان ومن قس ، أخون من ذئب ، دون ذا وينفق الحمار (١٣) ، أدهى من قيس بن زهير ومن عمرو بن العاص . ذهبوا أيدي سبا (١٤) ، الذئب خالياً أسد ، ذكرتني الطعن وكنت ناسياً (١٥) ، رمته بدائها وانسلت (١٦) ، رماه الله بثالثة الأثافي (١٧) ، ربّ قول أشد من

(١) أي جاءوا جميعاً (٢) الصافر من الطيور بغائها وضعافها (٣) الجريض الغصة والقريض : الشعر . يضرب في الأمر يتيسر حين لا ينفذ (٤) يضرب في الرجل يفتخر بقوم ليس منهم أو يتمدح بما ليس فيه (٥) يضرب في المقالة السيئة وما يخشى منها . (٦) الشجون : الفنون . يضرب في الحديث يتذكر به غيره (٧) يضرب في الجمع بين خصلتين مكروهتين . (٨) يضرب في مناسبة أحد الشئيين للآخر . (٩) الظليم : ذكر النعام (١٠) جذع : اسم رجل . يضرب في اغتنام ما يوجد به البخيل (١١) الخرقاء : التي لا تحسن العمل ، يضرب لمن يفسد عمله بسوء تصرفه (١٢) الخواراة : الأرض التي فيها لين وسهولة (١٣) يضرب في المبالغة في المدح بغير احتياج إليه (١٤) أي تفرقوا تفرقاً لا اجتماع معه كما تفرقت سبا . (١٥) يضرب في تذكر الشيء بغيره . (١٦) يضرب فيمن يعير صاحبه بعب وهو فيه . (١٧) الاتافي : جمع ثفية وهي الحجر توضع عليه القدر ، وهما اثنتان وثالثتهما الحبل ، والمراد بها الداهية العظيمة .

صَوْل (١) ، رُبْ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمَّكَ ، رَجَعَ بِخَفِي حَنِينٍ (٢) ، رُبْ رَمِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ رَامٍ ،
الرَّأْوِيَّةُ أَحَدُ الشَّاتِمِينَ (٣) ، رُبْ كَلِمَةٌ سَلَبَتْ نِعْمَةً ، رُبْ مَلُومٌ لَأَذْنَبَ لَهُ ، رُبْ
زَارِعٌ لِنَفْسِهِ حَاصِدٌ سِوَاهُ ، أَرَوَى مِنْ ضَبٍّ (٤) ، أَرَقٌ مِنَ التَّسِيمِ وَمِنْ رِقْرَاقِ
السَّرَابِ وَمِنْ غِرْقَى الْبَيْضِ (٥) ، الزَّيْتُ فِي الْعَجِينِ لَا يَضِيعُ (٦) ، زَكَاةُ النَّعْمِ
المَعْرُوفُ ، أَزْكَنُ مِنْ إِيَّاسٍ ، أَزْهَى مِنْ طَاوُوسٍ (٧) ، سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلُ (٨) ،
أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ إِيَّابَةً ، سَكَتَ أَلْفًا وَنَطَقَ خُلْفًا (٩) ، سُرِقَ السَّارِقُ فَانْتَحَرَ (١٠)
السَّلِيمُ لَا يَنَامُ وَلَا يَنِيمُ (١١) ، سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَنِ قَلِيلٍ تَقْشَعُ ، شَرُّ الرَّأْيِ
الدَّبْرِيُّ (١٢) ، شُخْبٌ فِي الْإِنَاءِ وَشُخْبٌ فِي الْأَرْضِ (١٣) ، شَنْشَنَةٌ أَعْرَفُهَا مِنْ
أَحْزَمٍ (١٤) ، شَرُّ مِنَ الْمَوْتِ مَا يُتَمَنَّى مَعَهُ الْمَوْتُ ، أَشْأَمُ مِنَ الْبَسُوسِ ، وَمِنْ
أَحْمَرِ عَادٍ ، وَمِنْ غَرَابِ الْبَيْنِ (١٥) ، أَشْكُرُ مِنْ كَلْبٍ ، صَدَقَنِي سَنٌّ بِكَرِهِ (١٦) ،
صَادَفَ دَرَّةً السَّيْلَ دَرَّةً يَصْدَعُهُ (١٧) ، صَدْرُكَ أَوْسَعُ لِسْرِكَ ، أَصْدَقُ مِنْ

(١) يضرب عند الكلام يؤثر فيمن يواجه به (٢) يضرب في الخيبة (٣) هذا
كقولنا شتمك من بلغك (٤) تزعم العرب أن الضب لا يحتاج الى شرب الماء يفتح
فء للهواء فيكون في ذلك ربه (٥) الفرقيء القشرة الرقيقة الملتزقة ببياض البيضة
(٦) يضرب في الاحسان الى الاقارب (٧) الزهو : العجب (٨) يضرب في الخطأ
يلام فاعله بعد وقوعه الخلف : الردى من القول (١٠) يضرب لمن تنتزع من
يده ما ليس له فيجزع عليه .

(١١) السليم : الملدوغ . يضرب فيمن لا يستريح ولا يريح غيره .

(١٢) الدبري ما يسنح بعد فوات الفرصة .

(١٣) الشخب : ما خرج من الضرع ممتدا من اللبن ، يضرب فيمن

يصيب مرة ويخطيء أخرى .

(١٤) الشنشنة : الطبيعة والعادة يضرب في مشابهة الفرع لأصله في الشر .

(١٥) البسوس : هي المرأة التي هاجت بسببها حرب بكر وتغلب ،

وأحمر عاد هو أحمر ثمود وهو الذي عقر الناقة فحل العذاب بثمود من
جزاء عمله .

(١٦) يضرب في الانسان يقول الحق على غير قصد منه .

(١٧) هذا كمن قال : لا يفل الحديد الا الحديد .

قطاة (١) ، أصعبُ من رد الشُّخْب في الضَّرْع ، ضَرَبَ أَخْمَاساً لِأَسْدَاسٍ (٢) ، أَضْيَقُ
 من ظِلِّ الرَّمْح ، أضعف من بَعُوضَةٍ ، أَضْبَطُ . من نَمْلَةٍ ، أَطْرَقَ كِرَا (٣) ، إِنَّ النِّعَامَةَ
 فِي القُرَى أَطْوَلُ صُحْبَةٍ مِنَ الفِرْقَدَيْنِ ، أَطْمَعُ من أَشْعَبِ ، طَبِيبٌ يُدَاوِي النَّاسَ
 وَهُوَ مَرِيضٌ ، طَفِيلِيٌّ وَمُقْتَرِحٌ ، طِئْرٌ رَعُومٌ خَيْرٌ من أُمِّ سَثُومٍ (٤) . عند الصَّبَاحِ
 يَحْمَدُ القَوْمَ السَّرَى (٥) ، عند جُهَيْنَةَ الخَبِرُ اليَقِينِ (٦) ، عَرَضَ عَلَيْهِ خَصْلَتِي
 الضَّبُعُ (٧) ، عِشْ رَجَباً تَرَعِجِباً ، أَعْطَى القَوْسَ بَارِيهَا ، أَعْرَضَ ثَوْبَ المَلْبَسِ ، العَوْدُ
 أَحْمَدُ ، عند الامْتِحَانِ يُكْرَمُ المرءُ أَوْ يُهَانَ ، أَعَزُّ من كَلِيبٍ وَائِلٍ ، أَعْيَى من بَاقِلٍ .
 أَعْدَى من الظِّلِمِ ، وَمن الشَّنْفَرَى ، وَمن السَّلِيكِ ، أَعْقُ من ذَنْبَةٍ ، أَعْقَدُ من ذَنْبِ
 الضَّبِّ ، وَأَعْجَزُ مَنْ قَتَلَ الدِّخَانَ (٨) ، غَدَّةٌ كغَدَةِ البَعِيرِ ، وَموتٌ فِي بَيْتِ
 سَلُولِيَّةٍ (٩) ، عَثْكَ خَيْرٌ من سَمِينِ غَيْرِكَ ، فِي الصَّيْفِ ضَيَّعَتِ اللَّبَنَ (١٠) فِي بَيْتِهِ
 يُؤْتِي الحَكْمَ ، فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ ، وَاسْتَحْمَدَ المَرْحَ والعَقَارَ (١١) ، أَفْرُسٌ من
 بَسْطَامٍ ، أَفْتَكُ من عَمْرُو بنِ كَلْثُومٍ ، قَطَعْتَ جَهِيْزَةَ قَوْلِ كُلِّ خَطِيبٍ (١٢) .
 قَدْ أَنْصَفَ القَارَةَ من رَامَاهَا (١٣) ، قَبْلَ الرَّمَاءِ تَمَلُّ الكِنَانِ (١٤) ، اقْتَلَوْنِي

(١) لأن صوت القطاة واحد لا يتغير (٢) يضرب فيمن يريد الشيء ويظهر غيره . (٣) الكرا : الكروان ، يضرب فيمن يتكلم بما لا يقدر عليه .
 (٤) الطئر : الحاضنة والرئوم : العطوف (٥) يضرب في تحمل التعب رجاء الراحة .
 (٦) يضرب في الرجل يعرف الشيء على وجهه كقولهم : على الخبر سقطت .
 (٧) تزعم العرب أن الضبع صادت ثعلبا وخيرته بين أن تأكله وأن تمزقه .
 يضرب فيمن يسوم غيره ما لا خيار له فيه من البلاء . (٨) يضرب فيمن إذا
 سألته عن أمر أبهم الجواب (٩) سلول قبيلة ذليلة ، يضرب في اجتماع خصلتين
 من الشر (١٠) يضرب لمن يطلب شيئا قد فوته على نفسه (١١) المرح والعقار :
 شجرتان قويتا النار . يضرب في تفضيل بعض الشيء على بعض .
 (١٢) يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحماقة يأتي بها (١٣) القارة :
 قبيلة من أبرع الناس في المراماة .

(١٤) يضرب في الاستعداد للأمر قبل الشروع فيه .

ومالكاً (١) ، القول ما قالت حذام ، كان كُرَاعَا فصار ذراعاً (٢) ، كلام كالعسل
وفعل كالأسل (٣) ، كل فتاةٍ ربابيها مُعجبة (٤) ، كطالبا القرن جُدِعت أذنه (٥) ،
كُمجِيرِ أمِّ عامر (٦) ، كيف أعادوك وهذا أثر فأسك (٧) ، كأن على رؤوسهم
الطير ، كالمستجير من الرمضاء بالنار ، لو ذات سوار لطمتنى (٨) ، لو خيَّرتُ
لاخترت ، لو ترك القطا ليلاً لنام (٩) ، لعل له عُذرا وأنت تلوم ، لأمر ما جدَّع
قصير أنفه ، لكل مقامٍ مقال ، لا مخبياً ليعطره بعد عروس (١٠) ، لا تعدمُ الحسناءُ
ذاماً (١١) ، لا تهرف بما لا تعرف (١٢) ، لا ناقتى فيها ولا جملى ، لافى العير ولا فى
النَّفير (١٣) لا يفيل الحديد إلا الحديد ، لا تأمن الأحمق وببيده سكين (١٤) ، لا
تجزعن من سنةٍ أنت سرتها ، ما ورائك يا عصام ، ما يوم حليلةٍ بسر (١٥) ، ما
أشبه الليلة بالبارحة ، مرعى ولا كالسعدان (١٦) ، ما كل بيضاء شحمة ، منك
أنفك وإن كان أجدع (١٧) ، من استرعى الذئب ظلم ، من مأمنه يؤقى الحذر ،

(١) يضرب فيمن يريد يصاحبه المكروه وان ناله هو منه ضرر
(٢) يضرب فى الذليل يصبح عزيزاً (٣) الأسل : الرماح (٤) يضرب فى
عجب الرجل رهطه وعشيرته (٥) أصل المثل فى النعام ، ويضرب فى طاب الأمر
يفضى بصاحبه الى التلف (٦) أم عامر الضبع وقد أكلت من أجارها .
يضرب فى الذى يجزى على احسانه بالسوء (٧) يضرب فىمن لا يفى بالعهد
(٨) يضرب فى الوضيع يقع منه العدوان (٩) يضرب فىمن حمل على مكروه
من غير ارادته (١٠) يضرب فىمن لا يدخر عنه نفيس (١١) يضرب فى
الشيء الحسن لا يخلو من عيب (١٢) يضرب لمن يتعجل فى مدح الشيء قبل
تمام معرفته .

(١٣) يضرب فى الوضيع ليس فيه شيء من خلال الشرف

(١٤) يضرب فى عسف الجاهل اذا قدر

(١٥) حليلة بنت ملك غسان ، يضرب للأمر المشهور الذى لا يكاد يجهل

(١٦) السعدان : نبت من أنفع الأعشاب للأبل ، يضرب فى الشيء يفضل

على أشكاله وأقرانه

(١٧) يضرب فىمن يلزمك خيره وشره .

مواعيدُ عرقوبٍ ، مُكره أخوك لا بطل (١) ، أَمْنَعُ مِنْ عُقَابِ الْجَوِّ ، نَفْسُ عِصَامٍ
سَوَدَتْ عِصَامًا (٢) نَعِيمٌ كَلْبٌ فِي بُؤْسِ أَهْلِهِ (٣) أَنْدَمٌ مِنَ الْكُسْعِيِّ ، وَافَقَ شَنْ
طَبِيقَةَ (٤) أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدُهُ شَمَلٌ (٥) ، أَوْفَى مِنَ السَّمَوِّالِ ، وَمِنَ الْحَارِثِ بْنِ عِبَادٍ ،
هُمَا كَفَرَسِيُّ رِهَانَ ، يَدَاكَ أَوْ كَتَا ، وَفُوكَ نَفَخَ (٦) ، الْيَوْمَ خَمْرٌ وَغَدَا أَمْرٌ (٧) .

الفن الرابع في الأوصاف

الوصف (٨) عبارة عن بيان الأمر باستيعاب أحواله وضروب نَعُوته الممثلة
له . وأصوله ثلاثة :

الأول : أن يكون الوصف حقيقياً بالموصوف مفرزاً له عما سواه .

الثاني : أن يكون ذا طلاوة ورونق .

الثالث : أن لا يخرج فيه إلى حدود المبالغة والإسهاب ، ويكتفى بما كان
مناسباً للحال . وأنواعه كثيرة ، ولكنها ترجع إلى قسمين : وهما وصف
الأشياء ووصف الأشخاص - أمّا الأشياء الحرة بالوصف فهي كالأمكنة
والحوادث ومناظر الطبيعة .

وأما وصف الأشخاص فيكون بوصف الصورة أو الطبع أو بوصفهما
معاً ، ولندكر لك فِقراً جارية على ألسنة البلغاء في صفات شتى ، ثم نتبعها
بمقالات في الوصف نشرّاً ونظماً .

(١) يضرب فيمن يحمل على ما ليس من شأنه (٢) يضرب في سؤدد الرجل
(٣) يضرب في التابع - كالخادم - يشغل سادته بمصيبته فيغتم ما قدر
عليه من أموالهم (٤) يضرب في تمام المشاكلة والاتفاق (٥) يضرب للمقصر
في الأمر (٦) يضرب لمن يجنى على نفسه (٧) يضرب في تقلب الأيام (٨) أحسن
طريقة للاجادة في الوصف أن ترسم أولاً في بدء وصفك منظراً عاماً جامعاً
لجمال الأمر الذي تحاول وصفه ثم تأخذ بايراد مختلف الأجزاء قسماً
فقسماً وذلك اما على تتابع ورود هذا الأجزاء ، أو ايثار ما كان يراه الكاتب
اشد مناسبة لغايته .

وصف البلدان

بَلْدَةٌ كَأَنَّهَا صُورَةٌ جَنَّةِ الْغُلْدِ ، مَنْقُوشَةٌ فِي عَرْضِ الْأَرْضِ . بَلْدَةٌ كَأَنَّ مَحَاسِنَ
الدُّنْيَا مَجْمُوعَةٌ وَمَحْصُورَةٌ فِي نَوَاحِيهَا . بَلْدَةٌ تُرَابُهَا عَنَبِرٌ ، وَحَصْبَاؤُهَا عَفِيقٌ ،
وَهَوَاؤُهَا نَسِيمٌ ، وَمَاؤُهَا رَحِيقٌ . بَلْدَةٌ مَعْشُوقَةُ السَّكْنِيِّ ، رَحْبَةُ الْمَثُورِيِّ (١) ،
كُوكِبُهَا يَمْقُظَانُ ، وَجُوهُهَا عُرْيَانٌ ، يَوْمُهَا غَدَاةٌ ، وَلَيْلُهَا سَحَرٌ . بَلْدَةٌ وَاسِعَةٌ
الرَّقْعَةُ ، طَيِّبَةُ الْبُقْعَةِ ، وَاسِطَةُ الْبِلَادِ وَسِرَّتُهَا ، وَوَجْهُهَا وَغُرَّتُهَا .

وصف القلاع

قَلْعَةٌ حَلَقَتْ (٢) بِالْجَوْتِ تَنَاجِي السَّمَاءَ بِأَسْرَارِهَا . قَلْعَةٌ تَتَوَشَّحُ بِالْغَيْومِ ، وَتَجْتَنِي
النُّجُومَ . قَلْعَةٌ مُتَنَاهِيَّةٌ فِي الْحِصَانَةِ ، مُتَنَعَةٌ عَنِ الطَّلَبِ وَالطَّالِبِ ، مَنْصُوبَةٌ عَلَى
أَضْيَاقِ الْمَسَالِكِ وَأَوْعَرِ الْمَنَاصِبِ ، لَمْ تَزِدْهَا الْأَيَّامُ إِلَّا نَبُوءًا (٣) أَعْطَافًا ، وَاسْتِصْعَابًا
جَوَانِبَ وَأَطْرَافًا ، قَدَمَلِ الْمُلُوكِ حِصَارَهَا ، فَفَارَقُوهَا عَنِ طَمَاحِ (٤) مِنْهَا وَشَمَاسِ (٥)
وَسَمَّتِ الْجِيُوشُ ظِلَّهَا ، فَغَادَرَتْهَا (٦) بَعْدَ قَنُوطِ . وَإِيَّاسِ ؛ فَهِيَ حَمِي لَأَيْرَاعِ (٧)
وَمَعْقِلِ لَا يُسْتَطَاعُ ، كَأَنَّ الْأَيَّامَ صَالِحَتْهَا عَلَى الْإِعْفَاءِ مِنَ الْحَوَادِثِ
وَاللِّيَالِي ، وَعَاهَدَتْهَا عَلَى التَّسْلِيمِ مِنَ الْقَوَارِعِ (٨) .

وصف الدور

دَارٌ قَرَارٌ تُوَسِّعُ الْعَيْنُ قُرَّةً ، وَالنَّفْسُ مَسْرَةً ، كَأَنَّ بَانِيهَا اسْتَسَلَفَ الْجَنَّةَ
فَعَجَّلَتْ لَهُ . دَارٌ تَغَارُ مِنْهَا الدُّورُ ، وَتَتَقَاصِرُ عَنْهَا الْقُصُورُ . دَارٌ اقْتَرَنَ الْيَمْنُ (٩)
بِيَمْنَاهَا وَالسَّرْبِيُّ سَرَاهَا ، الْجَسُومُ مِنْهَا فِي حَضْرٍ ، وَالْعَيْونُ عَلَى سَفَرٍ ، دَارٌ دَارٌ
بِالسَّعْدِ نَجْمُهَا وَفَازَ بِالْحَسَنِ سَهْمُهَا ، يَخْدُمُهَا الدَّهْرُ ، وَيَأْوِيهَا الْبَدْرُ ، وَيَكْنُفُهَا
لِنَصْرِ . هِيَ مَرْتَعُ النَّوَاطِرِ ، وَمَتَنَفَسُ الْخَوَاطِرِ ، أَخَذَتْ أَدْوَاتَ الْجَنَانِ ،
وَوَضَّحَتْ مِنَ الْعَبْقَرِيِّ (١٠) الْحَسَانَ .

(١) الإقامة (٢) ارتفعت (٣) بعدا (٤) كبر وفخر (٥) اباء وامتناع
(٦) تركتها (٧) لا يفزع ولا يخاف أحدا (٨) الحوادث والنوائب
(٩) البركة (١٠) البسط المعجب شكلها

وصف الديار الخالية

دار ليست البلي وتعطلت من الحلى ، صارت من أهلها خالية ، بعد ما كانت بهم حالية ، قد أنفذ البين سكانها ، وأقعد حيطانها . دار شاهد اليأس منها ينطق ، وحبل الرجاء فيها يقصر ، كأن عمرانها يطوى ، وخرابها ينشر ، أركانها قياماً وقعود ، وحيطانها رُكع وسجود .

بكت دارهم من بعدهم فتهللت دموعى فإى الجازعين ألوام
أستعبراً يبكى على اللهو والبلى أم آخر يبكى شجوه فيهم ؟

وصف أيام الربيع

يَوْمٌ جلابيب غيومه رواق (١) وأودية نسيمه رفاق ، يوم سماؤه فاخيتية ، وأرضه طاووسية ، يوم ممسك السماء ، معصفر الهواء ، معنبر الروض ، مصندل الماء ، يوم تبسم عنه الربيع ، وتبرج عنه الروض المريع ، يوم كأن سماءه محد تبأكى وأرضه عروس تتجلى ، يوم دجنه (٢) عاكف ، وقطره واكف (٣) .

وصف الرياض

رَوْضَةٌ رقت حواشيتها وتأنق واشيها (٤) ، روضة كالعقود المنظمة على البرود المنمنمة ، روضة قد راضتها أكف المطر ، ودبجتها أيدي الندى . رياض كالعرائس في حليها وزخارفها ، والقيان (٥) في وشيها ومطارفها (٦) ، باسطة زرابيها وأنماطها ، ناشرة برودها ورياطها ، زاهية بحمرائها وصفرائها ، تائهة بغيدانها وغدرانها ، كأنما احتفلت لوفد ، أوهى من حبيب على وعد . روضة قد تضوعت (٧) بالأرج (٨) الطيب أرجاؤها ، وتبرجت (٩) في ظلل العمام صحراؤها ، وتنافحت

(١) الكساء المرسل على مقدم البيت من أعلاه الى الارض (٢) الغيم
(٣) سائل

(٤) حانكها وناقشها (٥) جمع قين : المنية (٦) جمع مطرف رداء من خز مربع فيه أعلام والزرابى البسط ، والأنماط الأثواب التى تطرح على الهوادج ، الرباط الأثواب الرفاق (٧) تحركت (٨) النفع : الريح الطيب (٩) تزينت .

بنوافح المسك أنوارها ، وتعارضت بغرائب النطق أطيأرها ، بُسْتَانُ أَنهَارُهُ
محفوظة بالأزهار ، وأشجاره مُرَقَرَّةٌ بِالثَّيَّارِ ، أشجار كأن الحور أعارتها قُدودها
وكسبتها بُرودها ، وحلنها عُقودها ، شقائق كتيجان العقيق على رؤوس الزوج
كأنها أصداع المسك على الوججات الموردة ، كأن الشقيق جام (١) من عقيق
أحمر ، مُلِئَتْ قَرَارَتُهُ بِمَسْكِ أَذْفَرِ ، الأَرْضُ زُمُرْدَةٌ ، والأشجار وَشْيٌ ، والماء
سيوف ، والطيور قِيَانٌ (٢) قد غردت خطباؤها الأطيأار على منابر الأنوار والأزهار .

وصف طول الليل والسهر وما يعرض فيه من الهموم والفكر

ليلة قُصَّ جَنَاحُهَا ، وضل صباحها . ليالٍ لَيْسَتْ لَهَا أَسْحَارُ ، وظلمات لا
تتخللها أنوار . ليل ثابت الأطناب (٣) بطيئة الغوارب طامع الأمواج وافى الذوائب .
بات بلية ساورته (٤) فيها الهموم ، وسامرته النجوم ، واكتحل السهاد ، وافترش
القتاد ، واكتحل بماء السهر ، وتلملم على فراش الفكر ، قد أقض وهأذه (٥)
وقلق وساده ، هموم تفرق بين الجنب والمهاد ، وتجمع بين العين والسهاد .

وصف انتصاف الليل وتناهيه وانتشار النور وأقول النجوم

قد اکتھل (٦) الظلام ، قد نصفنا عمر الليل واستغرقنا شبابه ، قد شاب رأس
الليل ، كاديم النسيم بالسحر ، قد انكشف غطاء الليل وستر الدجى ، هَرَمَ الليل
وشمطت ذوائبه ، قُوِّضَتْ (٧) خيام الليل ، وخلع الأفق ثوب الدجى ، تبسم الفجر
ضاحكا من شرقه ، ونصب أعلامه على منازل أفقه ، اقتنص بازى الضوء غراب
الظلام ، وفَضَّ كافور النور من الغسق مسك الختام ، طرز قميص الليل بغرة
الصبح ، باح الصبح بسره ، خلع الليل ثيابه وحذر (٨) الصبح نقابه ، بث
الصبح طلائعه ، تبرقع الليل بغرة الصبح ، أطار منادى الصبح غراب الليل ،

(١) اناء (٢) مغنيات (٣) حبال الخيمة (٤) شغلته وقاومته
(٥) خشن وترب (٦) صار كهلا تشبيها بالرجل الكهل وهو من جاوز
الأربعين سنة . (٧) هدمت . (٨) أنزل .

عزلت نوافج الليل بجامات الكافور، وانهزم جيش الظلام عن عسكر النور،
مالت الجوزاء (١) للغروب، وولت مواكب الكواكب، وتناثرت عقود
النجوم، ووهى نطاق الجوزاء، وانطفأ قنديل الثريا.

وصف طلوع الشمس وغروبها

بدأ حاجب الشمس، ألقَت الغزاة (٢) لُعابها وضربت الضحى (٣) أطنابها،
انتشر جناح الضوء في أفق الجو، استوى شبابُ النهار على رونق الضحى،
أبلغت الشمس كبد السماء، قام قائمُ الهاجرة ورمت الشمس بجمرات الظهر.
اصفرت غلالة (٤) الشمس، وصارت كأنها الدينارُ يلمع في قرار الماء، نفضت تبراً
على الأصيل، وشدت رَحْلها للرَّحيل، جنحت الشمس إلى مغاريها، ذلكت (٥)
دلوح (٦) واغبر لَوْح اللوح (٧) تصوبت الشمس للمغيب، وتضيّفت للغروب،
فآذن جنبها بالوجوب (٨)، شاب النَّهار وأقبل شباب الليل. استتر وجه الشمس
بالنقاب وتوارت بالحجاب. وكان هذا الأمر من مطلع الفلق إلى مجمع الغسق.

وصف الرعد والبرق

قام خَطيبُ الرّعد. نَبِض (٩) عِرْق. سحابة ارتجزت (١٠) رُعُودها. وذهبت
ببروقها برُودها. نطق لسانُ الرّعد. وخفق قلبُ البرق. فالرعد ذو صخب (١١)
وانبرق ذو لهب. ابتمس البرق عن قهقهة الرعد. زارت أسود الرعد ولعت
سُيوف البرق. رعدت الغمام وبرقت. وانحلت عرى السماء فطبقت. هدرت
رواعدها، وتربت أبعادها. وصدقت مواعدها.

(١) برج في السماء (٢) الشمس (٣) الضحى جمع ضحوة، مؤنث
والضحى تذكر على أنها اسم (٤) الثوب الرقيق (٥) غربت (٦) السحابة
(٧) واللوح اللامع واللمعان من لاح يلوح لوحاً (٨) وجبت الشمس وجيباً
ووجوباً غابت (٩) تحرك (١٠) الرجز ضرب من الشعر ويقال رجز
الراجز وارتجز أيضاً
(١١) كثير اللفظ والجبابة.

وصف مقدمات المطر

ليست السماء سرباً لها ، وسحبت السحب أذيالها ، قد احتجبت السماء في سرادق الغيم ، لبس الجو مطرفه (١) الأدكن (٢) ، باحت الرياح بأسرار الندى ، ضربت خيمة الغمام ، ابتل جناح الهواء ، وأغرورقت مقله السماء ، هبت شمائل الجنايب ، لتأليف شمل السحائب ، تألفت أشتات الغيوم ، وألقت الستور على النجوم .

وصف الثلج والبرد وأيام الشتاء

مد الشتاء رواقه ، وألقى أوراقه (٣) وحل نطاقه . أناخ بنوازيله ، وأرسي بكلاكله ، وكلح بوجهه ، وكشر عن أنيابه ، قد عادت الجبال شيباً ، ولبست من الثلوج ملاء قشيباً (٤) . شابت مفارق البروج بتراكم الثلوج ، ألم الشيب بها ، وبيضت لممها (٥) ؛ برد يقضض (٦) الأعضاء ، وينقض الأحشاء ، برد يجمد الريق في الأشداق والدمع في الآماق ، يوم كان الأرض شابت لهوله ، يوم فضى الجلباب مسكى النقب ، عبوس قمطير (٧) ، كشر عن ناب الزمهير ، وفرش الأرض بالقوارير (٨) ، يوم أرضه بالقوارير اللامعة ، وهوؤه كالزنابير اللامعة .

وصف المطر والسحاب والماء والغدران

ماء إذا مسته أيدي النسيم (٩) ، حكى سلاسل الفضة ؛ غدیر ترقرت (١٠) فيه دموع السحائب ، وتواترت عليه أنفاس الرياح الغرائب ، انحل عقد السماء وانهل دمع الأنواء (١١) ، انحل سلك القطر عن دُر البحر ، سحابة تحدو من الغيوم جمالاً ، وتمد من الأمطار جبالاً . سحابة ترسل الأمطار أمواجاً

(١) رداء من خز مربع ذو اعلام (٢) المائل الى السواد (٣) جمع روق ، وهو والرواق بمعنى (٤) جديداً (٥) جمع لمة للشعر الذي يجاوز شحمة الآذان . (٦) يكسر ويضعف (٧) شديد مظلم (٨) جمع فارورة وهي الاناء من الزجاج (٩) شابته (١٠) تحركت (١١) جمع نوء : المطر

والأمواج أفواجاً . سحابةٌ يضحك من بكائها الروض ، وتخضر من سوادها الأرض ، سحابةٌ لا تجف جفونها ، ولا يخف أنينها ، ديمةٌ (١) روت أديم (٢) الثرى (٣) ، ونبهت عيون النور من الكرى (٤) ، سحابة ركبت أعناق الرياح ، وسحت كأفواه الجراح . مطرٌ كأفواه القرب

وصف القيظ. وشدة الحر

حرٌ يشبه قلب الصب ، ويذيب دماغ الضب (٥) قوى سلطان الحر ، ويسط. بساط الجمر ، أوقدت الشمس نارها ، وأذكت (٦) أوارها (٧) ، حرٌ يلفح حرّ الوجه ، هاجرةٌ كأنها من قلوب العشاق ، إذا اشتعلت فيها نار الفراق ، هاجرة تحكى نار الهجر ، وتذيب قلب الصخر ، حرٌ تهرب له الحرياء (٨) من الشمس ، قد صهرت (٩) الهاجرة الأبدان ، وركبت الجناذيب (١٠) العيدان ، حرٌ ينضج الجلود ، ويذيب الجلود ، أيام كأيام الفرقة امتداداً ، وحر كحرّ الوجه اشتداداً ، هاجرة (١١) كالسكير الهاجم ، يحز أذيال السمائم (١٢)

وصف الشيب

ذوى (١٣) غصن شبابه ، بدت في رأسه طلايع المشيب ، أقمر ليل شبابه ، ظهرت غرة القمر ، وأومض (١٤) البرق في ليل الشجر ، رمى فاحم العود (١٥) بضده واشتعل المبيض في مسوده ، لمع ضوء فرعه ، وتفرق شمل جمعه ، علاه غباره وقائع الدهر ، بينا هو راقدٌ في ليل الشباب ، إذ أيقظه صبح المشيب ، طوى مراحل الشباب ، وأنفق عمره بغير حساب ، جاوز من الشباب مراحل ،

(١) المطر بلا رعد (٢) وجه الأرض (٣) التراب (٤) النوم (٥) حيوان برى لا يعيش إلا في الجهات الشديدة الحر (٦) أوقدت (٧) نارها (٨) حيوان يستقبل الشمس ويدور معها كيفما دارت ويتاون الوانا بحر الشمس . (٩) أذابت . (١٠) الجراد . (١١) شدة الحر عند الزوال (١٢) الرياح الحارة (١٣) ذبل . (١٤) برق ولمع (١٥) معظم شعر الرأس مما يلى الأذن

وورد من الشيب مناهل ، فَلَّ (١) الدهرُ شبابه ، ومحاسن رُواته ، طار غراب شبابه ، انتهى شبابه ، وشاب أترابه ، استبدل بالأدهم (٢) الأبلق (٣) وبالغراب العَقْعَق (٤) ، استعاض (٥) من الغراب بقادمة النسر ، أسَفَرَ صبحُ المشيب ، علتُهُ أهبةُ الكبرِ ، نفص جبة الصبا ، وتولى داعية الحِجَا (٦) ، الشيب زُبدةٌ مَخضتها الأيام ، وفضة مَحضتها التجارب . سرى في طريق الرُشد بمصباح الشيب ، الشيبُ خطام المنية ، الشيب نذير الآخرة .

وصف آلات الكتابة

الدواة - المداد - الأقلام

الدواة من أنفع الأدوات ، وهي للكتابة عتاد (٧) ، وللخاطر زناد ، غدير لا يبردُ غير الأفهام ، ولا يمتح (٨) بغير أرشية (٩) الأقلام ، غدير تفيض ينابيع الحكمة من أقطاره ، وتنشأ سحب البلاغة من قراره .

مداد كسواد العين ، وسويداء القلب ، وجناح الغراب ، ولُعاب الليل ، وألوان دُهم الخيل ، مداد ناسب خافية الغراب ، واستعار لونه شرخ الشباب (١٠) . أقلام جَمَّة المحاسن ، بعيدة عن المطاعن ، أنابيب ناسبت رماح الخط- على أجناسها ، وشاكلت الذهب في ألوانها ، وضاهت الحديد في لمعانها ، أقلام كأنها الأميال استواءً ، والآجال مضاءً ، بطيئة الخفى قوية القوى . قلم لا ينبو (١١) إذا نبت الصَّفاح ، ولا يُحجِم (١٢) إذا أحجمت الرِّماح ، قلم يسكت واقفاً ، وينطق ساكتاً .

وصف الخطباء

جلَّوا بكلامهم الأبصار العلية ، وشحدوا بمواعظهم الأذهان الكليلة ، ونبهوا

(١) هزم (٢) الأسود (٣) الأبيض واصله للرخام (٤) طائر قدر للحمامة (٥) جعله عوضاً (٦) العقل (٧) ما يعده الانسان لحوادث الدهر (٨) لا يبرح (٩) حبال الدلاء (١٠) ربعانه (١١) لا يبعد (١٢) لا يتأخر

القلوب من رقدتها ، ونقلوها عن سوء عادتِها ، فشفوا من داءِ القسوة ، وغباوة الغفلة وداووا من العى الفاضح ، ونهجوا لنا الطريق الواضح ، خطيب لا تناله حبسة ، ولا ترتنه لكنة ، ولا تتمشى في خطابه رنة (١) ، ولا تتحيف (٢) بيانه عجمة ، ولا تعترض لسانه عقدة ، خطيب جواهر نفثاته صحاح ، وعرائس أفكاره صباح ، خطيب تزينت بذرر ألفاظه عقود المُلح ، لا عيب فيه إلا أن لفظه عطل الياقوت والدر ، خطيب مصقع ينشر لسانه اللؤلؤ المكنون ، هو الخطيب المصقع الذى أشخصَ بآيات خطبه الزاجرة عيون القوم وأبكاها ، هو الخطيب المصقع الذى تتلاعب بالعقول معانيه ، ويصاغ الدر من لفظه فيه ، هو الخطيب الذى تهزله المنابر ، وتنقاد إليه كلمات السحر متسابقة ، آخذاً بعضها برقاب بعض .

وصف العلماء

بذر العلوم اللائح ، وقطرها الغادى والرائح ، وشبيرها (٣) الذى لا يزحم ، ومنيرها الذى ينجلى به ليلها الأسحم (٤) ، أما فنون الأدب فهو ابن بجدها (٥) وأخو جملتها وأبو عذرتها ، ومالك أزميتها ، تستخرج الجواهر من بحوره ، وتحلى لمعات الطروس بقلائد سطوره ، وتآليفه عقائل أصبح الدهر من خطابها ، له بدائع مائسات (٦) الأعطاف ، بحر البيان الزاخر ، شيخ المعارف وإمامها ومن فى يديه زمامها ، لديه تنشُد ضوَال الأعراب ، وتوجد شوارد اللغة والإعراب ، ملك أعتة العلوم وناهج طريقها ، والعارف بترصيعها وتتميقها ، الناظم لعقودها الراقم لبردها ، المُجيد لإرهاقها (٧) العالم بجلائها وزفافها ، ملك رق الكتابة والإنشاء ، وتصرف فى فنون الإبداع كيف شاء ، عالم يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ،

(١) العجمة . (٢) بمعنى تنقص (٣) المثابر المواظب . (٤) الأسود .
(٥) العالم بها المتقن لها . (٦) متبخرات مائلات . (٧) لرققتها
ولطفها .

صاحب المصنفات التي دلت على وفرة اطلاعه ، وغزارة مادته ، وحسن بيانه ، لم يترك معنى مغلقاً إلافتح صياصيه (١) ، ولامشكلاً إلا أوضح مبانيه .

وصف الباغاء

فلان يحركُ الكلامَ على حسب الأمانى ، ويخيطُ الألفاظَ على قدود المعانى ، يجتنى من الألفاظ أنوارها ، ومن المعانى ثمارها ، يعبث (٢) بالكلام ويقوده بالئين زمام ، حتى كأن الألفاظ تتحاسد في التسابق إلى خواطره ، والمعانى تتغايرُ في الانثيال (٣) على أنامله . بليغ نسق (٤) من جواهر كلامه أكاليل دُرّ ، ما لمنظومها سلك بليغ تُفكُّ سهام أفكاره الزرد ، ناظم سلك البلاغة وقائد زمام البراعة ، إذا أوجز أعجز ، وإذا شاء أطل ، وأطلق من البلاغة العمقال ، إذا أذكى سراج الفكر ، أضاء ظلام الأمر ، يستنبط حقائق القلوب ، ويستخرج ودائع الغيوب .

وصف الشعراء والمنشئين ومحاسن النظم والنثر

مقدِّفُ حصى القريض وجماره ، ومطلعُ شموسه وأقماره ، نشره سحر البيان ونظمه قطع الجمان ، طلعت شمس الأدب من أفق أشعاره ، وتفجرت ينباعها من خلال آثاره ، شاعر توقدت لجمرات أفكاره ، شاعر عرائس أفكاره صباح ، إن نثر فالنجوم في أفلاكها ، أو نظم فالجواهر في أسلاكها ، أخذت بمجامع القلوب كلمه ، إذا كتب انتسب إليه السحر أصبح انتساب ، ونسق (٥) المعجزات نسق حساب ، وأرى البدائع بيض الوجوه كريمة الأحساب ، إن نشر رأيت بحراً يزخر ، وإذا نظم أزرى بنظم العقود بالجواهر ، وأتى بأحسن من رقم البرود ، إذا كتب ملاً المهارق (٦) بياناً ، وأرى

(١) جمع صيغة : الحصن المنيع (٢) يلعب (٣) الانصباب (٤) نظم

(٥) نظم (٦) جمع مهرق حرير ثوب أبيض ينقى الصمغ منه ويفسل ثم

يكتب فيه .

السحر عياناً ، هو الكاتب الذى تحسُدُ أرقام الطراز سطورَ قلمه ، ويود التبرُّ لو كان مداد كلمه ، هو الكاتب الذى تنقاد إلى يراعه (١) دقائق المعاني صاغرةً بزمام ، نشر كنشر الورد ، ونظم كنظم العقد ، نشر كالسحر أو أدق ، ونظم كالماء أو أرق ، نشر كما تفتح الزهر ، ونظم كما تنفس السحر ، رسالة تضحكُ عن غرر وزهر ، وقصيدة تنطوى على جبر وذُر ، كلام كما هبَّ نسيم السحر ، على صفحات الزهر . كتاب مطلعُه مطلع أهلة الأعياد ، وموقعه موقع نيل المراد ، كتاب حسبته يطير من يدي لِخِفته ، ويلطف عن حسي لقتلته ، صحائف انطوت المحاسن تحت رق منشورها ، وصدحت حمائم البلاغة على أغصان سطورها ، صحائف تنوب عن الصفائح ، وقراطيس تزفُّ إلى الأسماع عرائس القرائح ، صحائف ألبسها الجبر أثراً من الجبر (٢) ، ودبجها (٣) صوب (٤) الفكر ، لا صوب المطر .

وصف الأمراء والأشرف

فلان من شرف العنصر الكريم ، ومعدن الشرف الصميم (٥) ، أصل راسخ ، وفرع شامخ (٦) ، ومجد باذخ (٧) ، قد ركبَ الله دوحته (٨) ، فى قرارة المجد وغرس نبعته (٩) فى منبت الفضل ، المجد لسان أوصافه ، والشرف نسب أسلافه . دوحه رسب (١٠) عرقها وبسق (١١) فرعها وطلب عودها واعتدل عمودها وفيات ظلالها ، وتهللت (١٢) ثمارها وتفرعت أغصانها ، ويرد مقيلها (١٣) ، أمير جيشه الهمم ، دوحه مجده وريفة (١٤) الظل وريقة (١٥) أمير لا عيب فى نداءه (١٦) إلا أنه يستعبد كل حر . هو غرة الجمال ، وصورة

(١) أقلامه (٢) الجبرات التى تلبسها النساء المصريات اذا خرجن (٣) نقشها (٤) المطر (٥) الخالص (٦) المرتفع (٧) العالى (٨) الشجرة العظيمة (٩) الشجر أيضا (١٠) نبت (١١) ارتفع (١٢) تدلت (١٣) مكانها . (١٤) ممتدة متسعة (١٥) مورقة (١٦) عطائه وهذا نوع من أنواع البديع يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم كقول بعضهم :

ولا عيب فى معروفهم غير أنه يبين عجز الشاكرين عن الشكر
وفى الحقيقة ليس بعيب بل نهاية فى المدح .

الكمال . عقد المناصب به نضيد ، أميرٌ عبقت من شمائله نسَمَات الند ، وقطرت من سلسبيل أوصافه مياهُ المجد ، جامعٌ ماتشرق من شمل الفضائل ، ناظمٌ ما انتثر من عقد المآثر ، أنارت به نجوم المعالي وشموسها ، له شرف باذخ تعقد بالنجوم ذوائبه ، أَلقت إليه الرياسة مقاليدها (١) ، وملكته طريفها وتليدها (٢) . أميرٌ تفرَّعَ عن دَوْحَة سناء (٣) ، وتحدر من سُلالة أكابر ، ورُقاة أسرة ومنابر ، مُرْتَضِعٌ ثُدَى المجد ، ومفترش حِجر الفضل ، له صدر تضيق به الدهناء (٤) ، وتنزع إليه الدهماء (٥) ، له في كلِّ مَكْرَمَة غرّة الإصباح ، وفي كل فضيلة قادمة الجناح ، له صورة تَسْتَنْطِق الأفواه بالتسبيح ، ويترقرق فيها ماء الكرم . وتقرأ فيها صحيفة البشر ، ينباع الجود تتفجر من أنامله ، وربيع السماك يضحك من فواصله ، له أخلاق خلقت من الفضل وشيَم تشام (٦) منها بوارق المجد ، أَرَج (٧) الزمان بفضله ، وعِقم النساء عن الإنيان بمثله ، ماله للعفاة (٨) مباح ، وفَعَالُه (٩) في ظلمة الدهر مصباح ، مناقب تشدخ (١٠) في جبينها غرّة الصباح ، وتتهادى أنباءها (١١) وفود الرياح ، سألَت عن أخباره فكأنى حركت المسك فتيقاً ، أو صبحت الروض أنيقاً (١٢) هو رائش (١٣) نبيلهم ، ونبعة (١٤) فضلهم ، وواسطة (١٥) عقدهم ، له همة علا جناحها إلى عنان النجم ، وامتد صباحها من شرق إلى غرب ، همتُه أبعد من مناط (١٦) الفرقد ، وأعلى من منكب الجوزاء (١٧) ، موضعه من أهل الفضل موضع الوسطة من العقد ، وليلة التّم من الشهر ، بل ليلة القدر إلى مطلع الفجر ، هطلت على سحائب عنايته ، ورفرفت

(١) مفاتيحها . (٢) حديثها وقديمها (٣) مجد ورفعة (٤) الفلاة
الواسعة (٥) جماعة الناس (٦) تنظر (٧) فاحت منه رائحة طيبة
(٨) الطالبون للعطاء (٩) بفتح الفاء : كرمه (١٠) تفاق (١١) أخبارها
(١٢) معجبا (١٣) السهم ذى الريش (١٤) الشجرة (١٥) ما تكون وسط
العقد وهي أحسنه (١٦) محل علاقته (١٧) برج في السماء

حولى أجنحة رعايته ، وقد استظهرت على جَور الأيام بعده ، واستترتُ
من دهري بظله ، قد غرقتني نعمه حتى استنفدتُ شكر لسانى ويدي ،
وتتابعتُ نعمه تتابع القطر على القفر ، وترادفتُ منه ترادف اليسر إلى
ذوى الفقر ، له أياد قد عمّت الآفاق ، وطوقت الأعناق ، أياد قد حبستُ
عليه الشكر ، واستعبدت له الحر ، من توالى توالى القطر ، واتسعت سعة
البرِّ والبحر ، وأثقلت كاهل الحر .

وصف القلم

القلم أحد اللسانين ، وهو المخاطب للغيوب ، بسرائر القلوب ، على لغات
مختلفة من معان معقولة ، بحروف معلومة ، متباينات الصور مختلفات
الجهات ، لِقاحها التفكير ونتاجها التدبير ، تخرس منفردات ، وتنطق
مزدوجات بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسن محدودة ، ولا حركات ظاهرة ،
خلا قلم حرف باريه قَطَّته ، ليتعلق المداد به ، وأرهفَ جانبه ليرد ما انتشر
عنه إليه ، وشق رأسه ليحتبس المداد عليه ، فهناك استمد القلم بشقه ،
ونشر في القرطاس بخطه حروفاً أحكمها التفكير ، وأولى الأسماع بها الكلام
الذى سداه العقل ولحمته اللسان ونهسته اللهوات ، وقطعته الأسنان ، ولفظته
الشفاه ، ووعته الأسماع عن أنحاء شتى من صفات وأسماء ، قال البُحترى :
طعانُ بآطراف القوافى كأنه طعانُ بآطراف القنا المتكسر

وقال ابن المقفع : « القلم بريد القلب : يُخبر بالخبر ، وينظر بلا نظر » .

وقال أبو ذؤلف : « القلم صائغ الكلام يفرغ ما يجمعه العلم » .

وقال الجاحظ : « الدواة منههل ، والقلم ماتح ، والكتاب عطن » .

وقال سهل بن هارون : « القلم أنف الضمير ، إذا عرف أعلن وأبان آثاره »

وقال عمرو بن مسعدة : « الأقلام مطايا الفطن » .

وقال المأمون : « لله ذر القلم كيف يحوك وشى المملكة » .

- وقال جالينوس : « القلم طبيب المنطق » .
- وقال أحمد بن عبد الله : « القلم راقدٌ في الأفئدة ، مُستيقظٌ في الأفواه »
- وقيل : « عُقول الرجال تحت أقلامها » .
- وقال آخر : « القلم أصمٌ يسمع النَّجوى ، وأخرسٌ يفصح بالدعوى ،
وجاهلٌ يعلمُ الفحوى » .
- وقال أيضاً أحمد بن يوسف : « عبرات الأقلام في حدود كتبها أحسن
من عبرات الغواني في صُحون حدودها » .
- وقال أيضاً : « القلم لسان البصر يُناجيه بما استتر عن الأسماع ؛ إذا نسج
حلله ، وأودعها حكمه » .
- وقال العتابي : « الأقلام مطايا الأذهان » .
- وقال عبد الحميد : « القلم شجرةٌ ثمرتها الألفاظ ، والفكر بحرٌ لؤلؤه الحكمة »
- وقيل : « بيري القلم تروى القلوب الظميمة » .
- وقال ابن أبي دواد : « القلم سفير العقل ، ورسوله الأنبل ، ولسانه
الأطول ، وترجمانه الأفضل » .
- وقال أيضاً : « القلم الدنيا والآخرة » .
- وقال آخر : « بنو القلم تصوب الحكمة » .
- قال ابن ميثم : « من جلالة شأن القلم أنه لم يكتب لله تعالى كتاب قطُّ إلا به »
- وقالوا : « القلم قسيم الحكمة » .
- وقال يحيى بن خالد البرمكي : « الخط صورة روحها البيان ، ويدها
السرعة وقدمها التسوية ، وجوارحها معرفة الفصول » .
- ووصف أحمد بن إسماعيل خطأً حسناً فقال : « لو كان نباتاً لكان زهراً
ولو كان معدناً لكان تبراً ، أو مذاقاً لكان حلواً ، أو شراباً لكان صفواً » .

وقال إقليدس : « الخط. هندسة رُوحانية ، وإن ظهرت بآلة جسمانية ». أخذته النّظام فقال : « الخط. أصل في الروح وإن ظهر بالجسد » .
 وقال بعض الملوك اليونانية : « أمر الدين والدنيا تحت شيئين : قلم وسيف ، والسيف تحت القلم » .
 وقال أفلاطون : « الخط. عقَالُ العقل » .

وقال أرسططاليس : « القلم العلة الفاعلة والمداد العلة الهيولانية ، والخط. العلة الصورية ، والبلاغة العلة السامية » .

سئل بعض الكتّاب عن الخط. : متى يستحق أن يُوصف بالجودة ؟ فقال : « إذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألفه ولأمه ، واستقامت سطره ، وضاهى صعوده حدوره ، وتفتحت عيونته ، ولم تشبه راءه نونه ، وأشرق قرطاسه ، وأظلمت أنفاسه ، ولم تختلف أجناسه ، وأسرع إلى العيون تصوّره ، وإلى العقول ثمره ، وقُدّرت فُصوله ، واندمجت وصوله ، وتناسب رقيقه وجليله ، وخرج عن نمط. الوراقين ، وبعد عن تصنّع المحبرين ، وقام لكاتبه مقام النسبة والحلية » .

وقالوا : « القلم أحد اللسانين ، والعمُّ أحد الأبوين ، والتثبّت أحد العفوين ، والمطلُّ أحد المنعنين ، وقلة العيال أحد اليسارين ، والقناعة أحد الرزقين ، والوعد أحد الضربين ، والإصلاح أحد الكسبيين ، والراوية أحد الهاجيين ، والهجر أحد الفراقين ، واليأس أحد النّجحين ، والمزاح أحد السبابين » .

وقال آخر : « مساقُ الدنيا بسين وقاف فيقال سق » يريد السيف والقلم
 وقال آخر : « القلم لسانُ اليد » .

حدثني يحيى البحتري قال : حدثنا أبي عن ابن الترحمان - وكان الواصلُ أنفذه إلى ملك الروم هدايا - قال : وافقت لهم عيداً ، فرأيتهم قد علّقوا على باب بيعتهم كتباً بالعربية منشورة ، فسألّت عنها ، فقيل :

هذه كُتِبَ المأمون بخط. أحمد بن أبي خالد الأحول ، استحسِنُوا صُورَهُ وتقديره فجعلوه هكذا . فحدَّثْتُ أَنَا بهذا الحديث أبا عُبَيْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ فَقَالَ : هَذَا حَقٌّ ، قَدْ كَتَبَ سَلِيْمَانُ بْنُ وَهْبٍ كِتَابًا إِلَى مَلِكِ الرُّومِ فِي أَيَّامِ الْمُعْتَمِدِ فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ لِلْعَرَبِ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الشَّكْلِ ، وَلَسْتُ أَحْسِبُهُمْ عَلَى شَيْءٍ حَسَدَى إِيَّاهُمْ عَلَيْهِ ، وَالطَّاعِيَةَ لَا يَقْرَأُ الْعَرَبِيُّ ، وَإِنَّمَا رَاقَهُ اعْتِدَالُهُ وَهَنْدَسَتُهُ وَحُسْنُ مَوْقِعِهِ وَمِرَاتِبِهِ .

وقال هشام بن عبد الملك لأعرابي : انظر ، كم على هذا الميل من عدد الأميال ، وكان الأعرابي لا يحسن أن يقرأ فمضى ونظر ثم عاد فقال : رأيتُ كرأس المحجن مُتَّصِلًا بِحَلْقَةٍ صَغِيرَةٍ ، تَتَّبِعُهُ ثَلَاثَةٌ كَأَطْبَاءِ الْكَلْبَةِ ، تَفْضِي إِلَى هِنَةِ كَأَنَّهَا رَأْسُ قِطَاةٍ بَلَا مَنْقَارٍ . فَفَهَمُ بِوَصْفِهِ أَنَّهَا خَمْسَةٌ .

حدثني يعقوب بن بيان الكاتب قال : قال بعضُ الكُتَّابِ « الْقَلَمُ الرَّدِيُّ كَالْوَلَدِ الْعَاقِ » .

وقالوا : « رَدَاءَةُ الْخَطِّ . إِحْدَى الزَّمَانَتَيْنِ ، كَمَا أَنَّ حَسَنَةَ إِحْدَى الْبَلَاغَتَيْنِ » حدثني طلحة بن عبد الله قال :

اعتذر رجل إلى محمد بن عبد الله بن ظاهر من شيء بلغه عنه ، فرأى خطه قبيحاً ، فوقع في رقعة : « أَرَدْنَا قَبُولَ عُنْدِكَ ، فَاقْتَطَعْنَا عَنْهُ مَا قَابَلْنَا مِنْ قَبِيحِ خَطِّكَ وَلَوْ كُنْتَ صَادِقًا فِي اعْتِزَارِكَ لَسَاعَدْتِكَ حَرَكَةُ يَدِكَ ، أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ حَسْنَ الْخَطِّ . يَنَاضِلُ عَنْ صَاحِبِهِ بِوَضُوحِ الْحُجَّةِ ، وَيُمْكِّنُ لَهُ دَرَكَ الْبَغْيَةِ » ! وكان أبو هَفَّانَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْمُهْتَزِمِيَّ مِنْ أَقْبَحِ النَّاسِ خَطًّا وَكَانَ يَبْتَدِئُ الْخَطَّ . مِنْ رَأْسِ الْوَرَقَةِ وَيَعُوجُ سَطُورُهُ حَتَّى يَبْتَقِيَ آخِرَ سَطْرِ فِي الْوَرَقَةِ كَلِمَةً وَاحِدَةً فَرِثَاهُ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ فَقَالَ فِي مَرَثِيَّتِهِ :

مع خط. كأنه أرجل البط. أو الحط. في ذوى الفتیان !

قالوا : « رَدَاءَةُ الْخَطِّ . زَمَانَةُ الْأَدِيبِ » .

نظر عبد الله بن طاهر إلى خط. بعض كتابه فلم يرضه ، فقال : « نَحْوُ
هذا عن مرتبة الديوان فإنه عليل الخط. ، ولا يُومن أن يُعدى غيره » .

أنشدني العنزي بن علي في قبح الخط :

جزعت من قُبْحِ خطي وفيه وضعي وحطّي
رجعت من بعد حذقٍ إلى تعلم حطّي

حدثنا أبو العباس الرّيعي قال حدثنا الطلحي قال حدثني أحمد بن إبراهيم
قال : دخل على الرّشيد أعرابي فأنشده أرجوزة - وإسماعيل بن صبيح
يكتب بين يديه كتاباً ، وكان أحسن الناس خطاً ، وأسرعهم يداً -
فقال الرّشيد للأعرابي : صف هذا ، فقال له : ما رأيت أطيّش من قلمه ،
ولا أثبت من حلمه ، ثم قال :

له قلمٌ بؤسٍ ونعمى كلاهما سحابته في الحالتين درور
يُنَاجِيكَ عَمَّا فِي ضَمِيرِكَ لِحْظُهُ وَيَفْتَحُ بَابَ النَّجْحِ وَهُوَ عَسِيرٌ

فقال الرّشيد : « قد وجب لك يا أعرابي عليه حقٌ ، هو يقضيك إياه ،
وحق علينا فيه نحن أن نقوم به ، ادفعوا إليه دية الحر » فقال له : « على
عبدك دية العبد » .

جاء يوماً عبد الله بن المعتز في المسجد الجامع إلى أبي العباس أحمد
ابن يحيى ليسلم عليه فقام له وأجلسه مكانه ، فداس ابن المعتز قلماً
فكسره ، فلما جلس قال لمن حوله :

لَكْفَى شَأْرٌ عِنْدَ رَجُلِي لِأَنَّهَا أَثَارَتْ قَتِيلًا مَا لِأَعْظَمِهِ جَبْرٌ

فعجب الناس من سرعة بديته .

وأهدى رجل إلى إبراهيم بن المدبر قلماً وكتب إليه :

قد وجهت إليك أعزك الله بمفتاح العلوم ، بادٍ جمالها ، تام كمالها ،
فهى كما قال الشاعر :

ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كمالاً

كلّ جزءٍ من محاسنها كائنٌ من حسنه مثلاً

وقال أحمد بن إسماعيل :

وإذا نَمِنتُ بِذَنبِكَ خَطَاً مُعْرَباً عنِ إِصَابَةِ سَدَادِ

عَجَبَ النَّاسِ من بِيَاضِ مَعَانٍ يُجَنِّئُنِي من سَوَادِ ذَاكَ المِدَادِ

حدثنا أحمد بن يزيد المهلبى قال حدثنى أبو هقّان ، قال سألت وراقاً

عن حاله فقال :

«عَيْشِي أَضِيقُ من مَجْبَرَةٍ ، وَجِسْمِي أَدْقُ من مِسْطَرَةٍ ، وَجَاهِي أَرْقُ

من الزجاج ، وَوَجْهِي عند النَّاسِ أَشَدُّ سَوَاداً من الحبر ، وَحَظِّي أَحَقْرُ من

شَقِّ القلم ، وَبَدَنِي أَضْعَفُ من قِصْبَةِ ، وَطَعَامِي أَمْرٌ من العَفْصِ ، وَسُوءُ

الحالِ أَلْزَمُ لِي من الصَّبِغِ» فقُلتَ له عَبَّرْتَ عن بِلَاءٍ بِبِلَاءٍ (١) .

وَسُئِلَ وِراقٌ عن حاله فقال :

وَإِذَا كُنْتُ بِاللَّيْلِ لا أَكْتُبُ وَطُولُ النَّهَارِ أَنَا أَلْعَبُ

فَطَوْرًا يُبْطِئُنِي مَأْكُلٌ وَطَوْرًا يُبْطِئُنِي مَشْرَبٌ

فَإِنْ دَامَ هَذَا عَلَيَّ ما أَرَى فَبَيْتِي أَوَّلُ ما يَخْرَبُ

وصف الكتاب

الكتابُ نَعَمَ الأنيس في ساعة الوَحْدَةِ ، وَنَعَمَ المَعْرِفَةُ في دارِ الغُربَةِ ،

وَنَعَمَ القَرِينِ وَالذَّخِيلِ ، وَنَعَمَ الزَّائِرِ وَالنَّزِيلِ ، وَعَاءُ مُلَى عَلَمًا وَظَرْفًا ، وَإِنَاءُ

مُلَى مَرْحًا وَجَدًّا ، وَحَبْدًا بِسْتَانٍ يَحْمَلُ في خِراجِ ، وَرِوَضٌ يَقلِبُ في حِجْرِ ،

هل سمعت بشجرة توئى أكلها كل حين بألوان مختلفة وطعوم متباينة ؟

هل سمعت بشجرة لا تذوى وزهر لا يتوى (٢) وتغر لا ينفى ، ومن لك بجليس

(١) ومثله قول قائلهم :

تبالرزق نازل من شق هذى القصبه

تباله ، تباله ما اتعبه ، ما اتعبه

(٢) يتوى : يهلك .

يفيد الشيء وخلافه ، والعجنس وضده ، ينطق عن الموقى ويترجم عن الأحياء ،
 إن غضبت لم يغضب وإن عربدت لم يصخب (١) ، أكتم من الأرض وأنم
 من الرّيح وأهوى من الهوى ، وأخدع من المني ، وأمتع من الضحى ، وأنطلق
 من سحبان وائل ، وأعبي من باقل (٢) هل سمعت بعلم تحلّى بخلال كثيرة
 وجمع أوصافاً عديدة ، عربّي فارسيّ يونانيّ هنديّ سنديّ روميّ ، إن وعظ-
 أسمع ، وإن ألهى أمتع ، وإن أبكى أدمع وإن ضرب أوجع ، يفيدك ولا يستفيد
 منك ، ويزيدك ولا يستزيد منك إن جدّ فعبرة ، وإن مزح فزهوة . قبر
 الأسرار ومخزن الودائع ، قيد العلوم وينبوع الحكم ، ومعدن المكارم ومؤنس
 لا ينام . يفيدك علم الأولين ، ويخبرك عن كثير من أخبار المتأخرين .
 هل سمعت في الأولين أو بلغك أن أحداً من السالفين جمع هذه الأوصاف
 مع قلة مؤنته ؟ وخفة محمله ، لا يرزوك (٣) شيئاً من ذنيك ، نعم المدخر
 لعدة (٤) ، والمشتغل والحرفة ، جليس لا يطريك (٥) ورفيق لا يملك ،
 يطيعك في الليل طاعته في النهار ، ويطيعك في السفر طاعته في الحضر .
 إن أطلت النظر إليه أطل إمتاعك (٦) وشحذ (٧) طباعك ، وبسط لسانك
 وجود بيانك ، وفخم ألفاظك ، إن ألفتة خلد على الأيام ذكرك ، وإن
 درسته رفع في الخلق قدرك ، وإن نعتته نوه عندهم باسمك ، يُتعد العبيد
 في مقاعد السادات ، ويُجلس السوقة في مجالس الملوك ، فأكرم به من
 صاحب ، وأعزز به من موافق .

(١) لم يصوت (٢) رجل من اباد يضرب به المثل في العي ، ومن عيه انه
 اشترى طيبا فجعله على عاتقه، فسئل عن ثمنه ، فحل عنه يديه وفتح أصابعه
 وأشار بها ، وأخرج لسانه ، يريد أنه بأحد عشر درهما ، ولم يلهم أن يخبر
 عن سره بلسانه ، فصار عيه مثلا .

(٣) لا ينقصك (٤) ما يعده الانسان لحوادث الدهر من سلاح وغيره

(٥) لا يمدحك (٦) انتفاعك

(٧) أحدها وأقواها

وصف عاصفة لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ .

أتى عارض في ليلة الجمعة التاسعة من جمادى الآخرة ، وكانت فيه
ظلماتٌ متكاثفة وبروقٌ خاطفة ورياح عاصفة ، فقويت أهويتها ، واشتدَّ
هبوبها فتدافعت لها أعنةٌ مُطلقات ، وارتفعت لها صواعقٌ مُصعقات ، فرجفتُ
لها الجُدران واصطفقت ، وتلاقت على بعدها واعتنقت ، وثارَ بين السماء
والأرض عجاجٌ فقيل لعلَّ هذه على هذه أطبقت .

وتحسب أنَّ جهنمَ قد سالَ منها وادٍ وعدا منها عادٍ ، وزاد عصف الرياح
إلى أن انطفأت مصابيح النجوم ، ومزقَ أديمُ السماءِ ومُحى ما فوقه من
الرقوم ، لا عاصمَ من الخطف للأبصار ، ولا ملجأَ من الخطب إلا معاقل
الاستغفار ، وفرَّ الناسُ نساءً ورجالاً ، ونفروا من دُورهم خفافاً وثقالاً ،
لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلاً ، فاعتصموا بالمساجد الجامعة ، وأذعنوا
للنازلة بأعناق خاضعة ، ووجوه عافية ، ونفوس عن الأهل والمال سالية ،
ينظرون من طرف خفيٍّ ، ويتوقعون أيَّ خطبٍ جلي ، قد انقطعت من
الحياة عُلقهم وعميت عن النجاة طرُقهم ، ووقعت الفكرة فيما هم عليه
قادمون ، وقاموا إلى صلاتهم وودوا أن لو كانوا من الذين هم عليها دائمون ،
إلى أن أذن الله في الركود وأسعف الهاجدين بالهجود .

وأصبح كلُّ يسلمٍ على رفيقه ، ويهنئه بسلامة طريقه ، ويرى أنه قد
بعث بعد النفخة ، وأفاق بعد الصيحة والصرخة ، وأنَّ الله قد ردَّ له الكرة
وأدبه بعد أن كاد يأخذه على غرة ؛ ووردت الأخبار بأن كسرت المراكبُ
في البحار ، والأشجار في القفار ، وأُتلف خلقٌ كثير من السفار ، ومنهم
من فرَّ فلم ينفعه الفرار .

وصف العلم لبديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ

العلم شئٌ بعيد المرام ، لا يصادُ بالسَّهام ، ولا يقسم بالأزلام (١) ، ولا يرى في المنام ، ولا يُضبط. باللجام ، ولا يكتبُ للثام ، ولا يُورثُ عن الآباء والأعمام .
وزرع لا يزكو (٢) إلا متى صادفَ من الحزم ثرى طيباً ، ومن التوفيق مطراً صيباً ، ومن الطبع جواً صافياً ، ومن الجهد رَوْحاً (٣) دائماً ، ومن الصبر سُقياً نافعاً .
وَعَرَضُ لا يصاب إلا بافتراش المدر (٤) ، واستناد الحجر ، ورد الضجر ، وَرُكُوبُ الخطر ، وإدمان السَّهر ، واصطحاب السَّفَر ، وكثرة النَّظر ، وإعمال الفكر .

وصف رجل لحصمه

كان أحمدُ بن يوسف (٥) مُنصرفاً عن عَسَّان بن عباد ، وجرت بينهما هُنا (٦) بحضرة المأمون ، ثم قال المأمون يوماً لخاصة أصحابه : « أخبروني

(١) الأزلام : جمع زلم - بفتح الزاي أو ضمها مع فتح اللام - وهي سهام لا نصل لها ولا ريش . كان العرب اذا ارادوا القمار حضروا جزورا فنحروها وقسموا لحمها الى ثمانية وعشرين قسما ، ثم اتوا بعشرة ازلام ، فرسموا على واحد منها خطأ ، وعلى الثاني خطين ، وعلى الثالث ثلاثة ، وهكذا الى السابع ، فيكون عليه سبعة وهو المسمى بالقدح المعلى ، وتبقى ثلاثة غفلا لا يرسم عليها شيء ، ثم يضعون الجميع في خريطة ويدخل رجل يده فيها فيخرج زلما باسم واحد من المقامرين ، فان كان مرسوما له عليه شيء أخذ من اقسام اللحم بقدره ، وان كان غفلا غرم ثمن الجزور . والمقصود من هذه العبارة أن العلم لا ينال بطريق البحث والمصادفة ، كما ينال اللحم المقسوم .

(٢) يزكو : ينمو ويطيب . (٣) الروح - بفتح فسكون - نسيم الريح .
(٤) المدر : قطع الطين اليابس ، واقتراش المطر : نام عليه
(٥) كاتب بليغ من كتاب المأمون ، وكان بارعا في الرسائل ، ويكنى : ابا جعفر
(٦) الهنات : جمع هنة ، وقد تجمع على هنوات ، والمراد : أمون

عن غسان بن عباد ، فإنني أريده لأمر جسيم » وكان قد عزم على تقليده
السُّنْدَ . فتكلم كلُّ بما عنده في مدحه ، فقال أحمدُ بن يوسف : هو
يا أمير المؤمنين رجل محاسنه أكثر من مساويه ، لا يتطرق (١) إلى أمر
إلا تقدّم فيه ، ومهما تخوف عليه فإنه لن يأتي أمراً يعتذر منه . قسم أيامه
بين أفعال الفضل ، فجعل لكل خلق نوبة (٢) إذا نظرت في أمره لم تدر
أى حالاته أعجب : أما هداه إليه عقله ؟ أم ما اكتسبه بأدبه ؟ فقال له
المأمون : لقد مدحته على سوء رأيك فيه . قال : لأنني في أمير المؤمنين
كما قال الشاعر :

كفى ثمناً لِمَا أسديتَ أني نصحتك في الصديق وفي عدائي
وإنني حين تندبني لأمر يكون هوكاً أغلب من هوائي (٣)

وصف أبي دلف لعبد الله بن طاهر

دخل أبو دلف (٤) على المأمون بعد الرضا عنه ، فسأله عن عبد الله
ابن طاهر (٥) فقال : خلفته يا أمير المؤمنين أمين غيب ، نصيح جيب (٦)
أسداً عاتياً قائماً على برائته ، يسعد به وليك ، ويشقى به عدوك ، رجب

(١) تطرق الى الأمر : ابتغى اليه طريقاً .

(٢) النوبة : الفرصة والدولة والمرة ، جمعها نوب كغرف .

(٣) يريد هواي ، ومدته للضرورة .

(٤) أبو دلف - كعمر - هو القاسم بن عيسى البكري من قواد المأمون ثم
المعتصم ، وكان جواداً شجاعاً ، وفيه يقول الشاعر :

انما الدنيا أبو دلف بين ناديه ومحضره
فاذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

توفي سنة ٢٢٦ هـ .

(٥) هو عبد الله بن طاهر بن الحسن ، من كبار ولاة المأمون ولي مصر مدة
سنتين تقريباً . قال صاحب كتاب أدب الخواص : ان البطيخ العبدلاوي
الموجود بالديار المصرية منسوب اليه ، اهـ .

(٦) يقال : هو ناصح الجيب ، أي القلب والصدر .

الفداء لأهل طاعتك ، ذا بأيس شديد لمن زاغ عن قصد محجبتك ، قد فقّهه الحزم ، وأيقظه العزم ، فقام في نحر الأمور على ساق التشمير ، يبرمها بأيديه (١) وكيده ، ويفلّها بحده وجده ، وما أشبهه في الحرب إلا بقول العباس بن مرداس :

أكرُّ على الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أم سواها
فقال قائل : ما أفصحه على جبلتيه ! فقال المأمون : إن بالجبل (٢)
قوماً أمجاداً (٣) كراماً أنجاداً (٤) ، وإنهم ليؤفون السيف حظه يوم
النزال ، والكلام حقه يوم المقال .

وصف أعرابي لرجل

وصف أعرابي رجلاً فقال :

إن سأل ألعف ، وإن سئل سوف ، وإذا وعد أخلف ، وإذا صنع
أتلّف ، وإذا همّ بالفعل الجميل توقف ، ينظر بنظر الحسود ، ويُعرض
إعراض الحقود ، بينما هو خِلٌّ ودود ، إذا هو خِلٌّ ودود ، فناؤه شاسع ،
وضيفه جائع ، وشره شائع ، وسره ذائع ، ولونه فاقع (٦) ، وجفنه داعم ،

(١) الأيد : القوة .

(٢) الجبل . بلاد بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وبلاد الديلم .

(٣) الأمجاد - جمع ماجد أو مجيد ، كأشهاد في شاهد وشهيد - والمجاد

والمجيد : الحسن الخلق السمع .

(٤) الأنجاد - جمع نجد بكسر الجيم أو ضمها - وهو الشديد البأس ، ومن
كلام على : أما بنو هاشم فأنجاد أمجاد .

(٥) فناء البيت : الساحة أمامه ، وجمعه أفنية والشاسع : البعيد ،
والجملة كناية عن أنه بخيل ، لأن من عادة البخيل عندهم أن يبني خبائه
بعيدا عن الحي حتى لا يقصد ، ، قالت الفارعة :

ولا يحل إذا ما حل منتثيا يخشى الرزية بين الماء والبادي
(٦) الفاقع : الشديد الصفرة ، وربما أكد به الأبيض .

ودياره بلاقيع ، رَدِيءُ الْمَنْظَرِ ، سَيِّئُ الْمَخْبَرِ ، يَبْخَلُ إِذَا أَيْسَرَ ، وَيَهْلَعُ (١) إِذَا أَعْسَرَ ، وَيَكْذِبُ إِذَا أَخْبَرَ ، إِنَّ عَاهِدَ غَدَرَ ، وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ ، وَإِنْ حُوطِبَ نَقَرَ .

وصف الإمام العادل

كتب عُمرُ بنُ عبد العزيز رضى الله تعالى عنه لَمَّا وَلى الخِلافةَ إلى الحسن ابن أبي الحسن البصرى ، أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل . فكتب إليه الحسنُ :

اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف . والإمام العادلُ يا أمير المؤمنين كالرأعى الشفيق على إبله ، الرفيق الذى يرتاد لها أطيب المراعى ، ويدودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكنفها من أذى الحر والقر ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالأب الحانى على ولده ، يسعى لهم صغاراً ، ويعلمهم كباراً ، يكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعد مماته ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالأم الشفيقة ، البرة الرفيقة بولدها ، حملته كرهاً ، ووضعت كرهاً ، وربته طفلاً ، تسهر يسهره ، وتكن بسكونه ، ترضعه تارةً ، وتقطمه أخرى ، وتفرح بعافيته ، وتغنم بشكايته ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، وصى اليتامى ، وخبز المساكين ، يربى صغيرهم ويؤمّن كبيرهم ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالقلب بين الجوانح ، تصلح الجوانح بصلاحه ، وتفسد بفساده ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله

(١) الهلع : أشد الجزع .

وَيُسْمِعُهُمْ ، وينظرُ إلى الله ويُرِيهِمْ ، وينقادُ إلى الله وَيَقُودُهُمْ - فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملّكك الله كعبد ائتمنه سيده ، واستحفظه ماله وعياله ، فبدد المال ، وشرّد العيال ، فأفقر أهله وفرّق ماله .

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها من يليها ؟! وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص منهم ؟! واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده ، وقلة أشياعك عنده ، وأنصارك عليه ، فتزوّد له ، ولما بعده من الفزع الأكبر .

واعلم يا أمير المؤمنين ، أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه ، يطول فيه ثواؤك ، ويفارقك أحبّائك ، يُسلمونك في قعره فريداً وحيداً ، فتزوّد له ما يصحبك ، يوم يفتر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه - واذكر يا أمير المؤمنين ، إذا بعث ما في القبور ، وحصل ما في الصدور ؛ فالأسرار ظاهرة ، والكتاب لا يعادُر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الأجل ، وانقطع الأمل - لاتحکم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ، ولا تُسلط المستكبرين على المستضعفين ، فإتهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك ، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك ، ولا يعترتك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك ، ولا تنظر إلى قدرتك اليوم ، ولكن انظر إلى قدرتك غداً ، وأنت مأسور في حبال الموت ، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبیین والمرسلين ، وقد عنت الوجوه للحى القيوم . إني يا أمير المؤمنين ، وإن لم أبلغ بعظي ما بلغه أولو النهي من

قبلي فلم آلكَ شفقةً ونُصْحاً ، فأنزل كتابي إليك كمدأوى حبيبه ،
يسقيه الأدوية الكريمة ، لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة .

وصف عمرو بن العاص مصر لسيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
مصر تربةٌ غبراءُ ، وشجرةٌ خضراءُ ، طولها شهر ، وعرضها عشر (١) ،
يخطُ وسطها نهر ميمون الغدوات ، مبارك الروحات ، يجري بالزيادة
والتقصان كجرى الشمس والقمر ، له أوان تظهر به عُيون الأرض ويتابعيها ،
حتى إذا أصلح عجاجه ، وتعظمت أمواجه ، لم يكن وصول أهل القرى
إلى بعض إلا في خفافِ القوارب (٢) وصغار المراكب ، فإذا تكاملت زيادته
نكص (٣) على عقبه كأول ما بدأ في شدته ، وطما (٤) في حدته ، فعند
ذلك يخرجُ القوم ليحرثوا بطن أوديته وروابه فيبذرون الحبَّ ويرجون
الثمار من الرب ، حتى إذا أشرق وأشرف ، سقاه من فوقه الندى ، وغذاه
من تحته الثرى ، فعند ذلك يدُرُ حلابه ، ويعنى ذبابه - فبينما هي يا أمير
المؤمنين درةٌ بيضاء ، إذا هي عنبرةٌ سوداء ، فإذا هي زبرجدةٌ خضراءُ ،
فتبارك الله الفعال لما يشاء .

وصف حرب لأبي منصور الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هـ

عند ما دارت رَحا الحرب ، صمَّتْ الألسنةُ ، ونطقت الألسنةُ ،
وخطبت السُّيوف على منابر الرُّقاب ، وأقدمت الرماح على الخطط. الصُّعاب ،
وتلاصقت القنا والقنابل (٥) ، وتعانقت الصُّورم (٦) والمناصل ، وبلغت
القلوب الحناجر ، وأدركت السُّيوفُ المناحرَ ، وضاقَ المجال ، وتحكمت

(١) أى عشر ليال ، لأن عادة العرب السير في الليل .

(٢) السفن الصغيرة (٣) رجع (٤) ارتفع

(٥) القنا : الرماح ، والقنابل : جمع قنبل ما بين الخمسين فصاعداً من

الخيل (٦) السُّيوفُ القاطعة ، وكذا المناصل

الآجال ، فلا ترى إلا رُمُوساً تُندَرُ (١) وَدِمَاءً تَهْدُرُ ، وأعضاء تتطاير وتتناثر ،
وأجساماً تتزايل وتتايل حتى ثملت الرِّمَاحُ من الدِّمَاءِ ، فتعشرت في النحور ،
وتكسرت في الصدور ، فرجعوا الأعداء من جوانبهم ، وتمكَّنوا من فض
مواكبهم .

وصف المطر شعراً لأبي الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ

مع مقدمة لعمر بن علي المطوعى في وصف ذلك المطر نشرًا

حكى عمر بن علي المطوعى قال : رأى الأمير السيد أبو الفضل عبد الرحمن
ابن أحمد أدام الله عزه أيام مُقامه بجُوين (٢) أن يطالع قرية من قرى
ضياعه (٣) تدعى «بجباب» على سبيل التنزه والتفرُّج ، فكنت في جملة من
استصحبه إليها من أصحابه ، واتفق أن وصلنا والسماء مُصحية (٤) ، والجو
صاف ، لم يُطرز ثوبه بعلم الغمام (٥) والأفق فيروزج لم يعبق به كافور
السحاب (٦) . فوق الاختيار على ظل شجرة باسقة الفروع (٧) ، مُتسعة
الأوراق والغصون ، قد سترت ما حوَّالها من الأرض طولاً وعرضاً ،
فنزلنا تحتها مُستظلين بِسماوةٍ أفنانها (٨) مُستترين من وهج الشمس
بستارةٍ أغصانها (٩) ، وأخذنا نتجاذب أذيال المذاكرة (١٠) ، ونتسالب
أهداب المناشدة والمحاوراة (١١) ، فما شعرنا بالسماء إلا وقد أرعدت

- (١) تسقط (٢) كورة بخراسان ، وبلدة بسرخس من بلاد فارس .
(٣) والضياع : جمع ضيعة ، وهى العقار والأرض المغلة (٤) لا غيم
فيها (٥) عبارة عن خلو الجو من السحاب (٦) أى لونه مثل الفيروزج
وهو الزرقة ، ولم يعبق به : لم يلمصق به ، والكافور : طيب يستخرج من
شجر كبير ، ولون هذا الطيب يصير أبيض بعد عماية تعمل فيه . والمعنى :
أنه لا يرى شيء من السحاب فى الأفق (٧) طويلتها (٨) الأفنان : الغصون ،
وسماوتها : يعنى أوراقها المريضة المتلاحمة تلاحما يجعلها تشبه السقوف
(٩) وهج الشمس : شدة حرها وتوقدها
(١٠) عبارة عن تذاكرهم
(١١) عبارة عن تناشدهم الأشعار وتحاور بعضهم مع بعض تحاوراً أدبياً

وأبرقت (١) وأظلمت بعد ما أشرقَتْ ، ثم جادتْ بمطر كأفواه القرب ، فأجادت (٢) وحكت أرامل الأجواد ، بل أوفت عليها وزادت (٣) ، حتى كاد غيْثها يعود عيشاً (٤) وهم ويلها أن يستحيل ويلا (٥) فصبرنا على أذاها وقلنا سحابة صيف عن قليل تقشع (٦) فإذا نحن قد أمطرتنا بَرَد الثغور ، لكنها من ثغور العذاب (٧) لا من الثغور العذاب (٨) ، فأيقننا بالبلاء ، وسلمنا لأسباب القضاء (٩) ، فما مرت ساعة من النهار ، حتى سمعنا خريراً الأنهار (١٠) ورأينا السيل قد بلغ الزبى (١١) والماء قد غمر القيعان والربا (١٢) فبادرنا إلى حصن القرية ، لائذين من السيل بأفنيتهما (١٣) ،

(١) يقال : رعدت وبرقت ، أى جاءت بالرعد والبرق ، وأرعدت وأبرقت يعنى تهددت بالرعد وتوعدت بالبرق . (٢) جادت : تكمرت ، وأجادت : أحسنت (٣) حكى : شابهت : وأنامل الاجواد : المقصور أيدى الكرام ، ومحركاتها لأيدى الكريم يعنى مشابهتها لايديهم فى السخاء ، وأوفت وزادت بمعنى واحد .

(٤) الفيث : المطر ، والعيث : الافساد (٥) الويل : المطر العظيم القطرات والويل : الشر (٦) أى لا تمكث الا قليلا وتذهب (٧) البرد - بفتححات - قطرات المطر المتجمدة تنزل على الأرض كالحب فى شكل التاج أو الجليد ، تشبه به أسنان الفواتى وثناياها عند افترار الثغور ، والثغر : الفم ، وثغور العذاب : فتححاته .

(٨) من الثغور العذبة الريق . (٩) وخضعنا لحكم المقادير .

(١٠) يعنى جرى الماء بشدة ، فصارىسمع له صوت كصوت مياه الأنهار . (١١) السيل : الماء العظيم الذى يتجمع من المطر ، ويسيل بشدة ، والزبى - جمع زبية - وهى الأرض المرتفعة ارتفاعا عظيما بحيث لا يعاوها الماء عادة ، أو حفرة تحفر فيها ليصاد فيها الأسد .

(١٢) الربا - جمع ربوة - الأرض المرتفعة ارتفاعا ، والقيعان - جمع قاع - وهو الأرض السهلة المطمئنة التى انفرجت عنها الجبال والأكام .

(١٣) فبادرنا : أسرعنا ، والحصن : الموضع الحصين المنيع ، الذى لا يوصل الى جوفه ولائذين : محتمين متحصنين ، والأفنية - جمع فناء - وهو المتسع أمام الدار .

وعائذين من القطر بأبنيتهما (١) ، وأثوابنا قد صندل كافورها ماء الوبل (٢) ،
وغلف طرازها طين الوحل (٣) ، ونحن نحمد الله تعالى على سلامة الأبدان ،
وإن فقدنا بياض الأكمام والأردان (٤) ، ونشكره على سلامة الأنفس والأرواح ،
شكر التاجر على بقاء رأس المال ، إذا فجع بالأرباح (٥) فبتنا تلك الليلة
تحت سماء تكيف ولا تكف (٦) ، وتبكي علينا إلى الصباح بأدمع هوم (٧) ، وأربع
سجام (٨) ، فلما سئل سيفُ الصبح من غمد الظلام (٩) ، وصُرف بوالى الصحو
عاملُ الغمام (١٠) ، رأينا صواب الرأى أن نوسع الإقامة بها رفضاً (١١) ، ونتخذ
الارتحال عنها فرضاً ، فما زلنا نطوى الصحارى أرضاً فأرضاً ، إلى أن وافينا
المستقر ركضاً (١٢) ، فلما نفضنا غبار ذلك المسير (١٣) ، الذى جعلنا فى ربة
الأسير (١٤) ، وأفضيناً إلى ساحة التيسير (١٥) بعد ما أصبنا بالأمر العسير ،

(١) عائدين : ماتجئين ، والقطر : ما نزل من ماء المطر ، والأبنية : المباني
(٢) صندل : استعماله متعديا بمعنى جعل لون الصندل أحمر ضاربا الى
السواد ، والكافور والوبل تقدم معناهما (٣) غلف الشيء : جعل له غلافا
أى حجابا وسترا ، والطراز : رسم الثوب ، والمعنى : أن رسم الثوب
ستره الطين المتناثر من الوحل .

(٤) الأردن : أصول الأكام (٥) : أى أوجع بعدم الأرباح وفقد المكاسب
(٦) تكف : تمطر ، ولا تكف : لا ينقطع مطرها (٧) هوم - جمع هام - من
همى يهمى بمعنى سال (٨) لعله يريد أربع نواح يقطر منها الماء كثيرا .
(٩) أى الصبح الشبيه بالسيف ، والظلام الشبيه بالغمد (١٠) الوالى :
العامل أو الحاكم ، والمعنى أزال الصحو والغمام (١١) أى أن نرفض الإقامة
بها رفضا باتا

(١٢) وافينا : أتينا ، والمستقر : السكن ، وركضا : يعنى عدوا ، وجريا
على الأقدام .

(١٣) يعنى لمازلنا وسخ هذا السير بمعنى استرحنا (١٤) الربة :
عروة تجعل فى جبل مع عرى غيرها ، ويربط فى هذا الجبل (ويسمى الربق)
أولاد الضأن والمعز والبقر (١٥) أفضينا : وصلنا ، والساحة : رحبة
واسعة بين الدور ، والتيسير : بمعنى اليسر والتسهيل .

وتذاكرنا ما لقينا من التعب والمشقة ، في قطع ذلك الطريق وطى تلك الشقة (١) أخذ الأمير السيد أطال الله بقاءه القلم فعلق هذه الأبيات ارتجالاً :

- دَهَمْنَا السَّمَاءَ غَدَاةَ السَّحَابِ بَغِيثٌ عَلَى أَفْقِهِ مُسْبِلٌ (٢)
 فِجَاءٌ بَرَعْدٌ لَهُ رِنَةٌ (٣) كَرْنَةٌ ثَكْلَى وَلَمْ تَثْكَلْ (٤)
 وَثْنِي بِوَيْلٍ عِدَا طَوْرُهُ (٥) فِعَادٌ وَبِالَا عَلَى الْمُحَلِّ (٦)
 وَأَشْرَفَ أَصْحَابِنَا مِنْ أَذَاهُ عَلَى خَطَرٍ هَائِلٍ مُعْضَلٍ (٧)
 فَمَنْ لَأَنْذٍ بِفَنَاءِ الْجِدَارِ (٨) وَأَوْ إِلَى نَفْقٍ مُهْمَلٍ (٩)
 وَمَنْ مُسْتَجِيرٌ يُنَادِي الْغَرِيقَ هَذَاكَ وَمَنْ صَارِخٌ مَعُولٍ (١٠)
 وَجَادَتْ عَلَيْنَا سَمَاءُ السَّقُوفِ بَدْمَعٍ مِنَ الْوَجْدِ لَمْ يُهْمَلِ (١١)

(١) طى تلك الشقة : أى قطع تلك المسافة (٢) الغداة : أول النهار ،
 يعنى دهمتنا السماء بمطر فى أول النهار الذى كان فيه غيم ، والفيث : المطر ،
 والمسبل ، الهاطل يعنى دهمتنا السماء بمطر هائل على الأفق الذى كان
 السحاب مخيما عليه

(٣) له رنة : أى دوى وصوت هائل .

(٤) الثكلى : التى فقدت ولدها ، ولم تثكل : يعنى لم يفقدها الله ولدها
 والمعنى كصوت الغائب عنها ولدها ، مع أن الله لم يهلكه ، فهى تصوت على غيابه
 ولم ينقطع أملها من وجوده

(٥) الويل : تقدم تفسيره وهو المطر الشديد ، وعدا طوره : تجاوز حده .

(٦) فصار ثقيلًا وخيما على المكان المحل الجذب المنقطع عنه المطر .

(٧) أشرف على كذا : قرب منه ، والمعضل : الذى لا دواء له .

(٨ و ٩) فمن متحصن بالأراضى المجاورة للجدران ، ومن لاجئ الى
 سرب فى الأرض لم يتعهده احد

(١٠) ينادى الغريق : أى يدعو الناس ويقول الغريق لينقذوه ، والمعول :

الرافع صوته بالبكاء

(١١) همل الدمع : سال ، والمعنى : أنها جادت بدمع لم يكن السبب فى :

اسباله لا الغرام ولا الوجد

- كَأَنَّ حَرَامًا لَهَا أَنْ تَرَى يَبِيسًا مِنَ الْأَرْضِ لَمْ يَبْلُلِ (١)
 وَأَقْبَلَ سَيْلٌ لَهُ رَوْعَةٌ (٢) فَأَدْبَرَ كُلَّ عَنِ الْمُقْبِلِ (٣)
 يُقْلَعُ مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَةٍ (٤) وَمَا يَلْقَى مِنْ صَخْرَةٍ يَحْمِلُ (٥)
 فَمِنْ عَامِرٍ رَدَّهُ غَامِرًا (٦) وَمِنْ مُعَلِّمٍ عَادَ كَالْمَجْهَلِ (٧)
 كَفَانَا بَلِيَّتَهُ رَبُّنَا فَقَدْ وَجِبَ الشُّكْرُ لِلْمُفْضِلِ (٨)
 فَقَلَّ لِلسَّمَاءِ أَرْعَدَى وَابْرَقَى (٩) فَإِنَّا رَجَعْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ

وصف حديقة لابن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٩٧٧ هـ

لما صدأت امرأة الجنان (١٠) قصدت لجلائها بعض الجنان (١١) فدخلت إليها ، وما كدت أن أقدم عليها ، فإذا هي جنة عالية (١٢) قطوفها دانية (١٣) وطلحها منضود (١٤) ، وظلمها ممدود (١٥) ، وأعلام أشجارها مرفوعة (١٦) وفاكهتها

(١) كان حراما لها ، أى كان السماء محرم عليها أن ترى أرضا يابسة لم تبل بالماء .

(٢) الروعة : الفزعة . (٣) كل واحد يولى ويهرب ممن يقابله

(٤) يقتلع كل ما يريد من الشجر العظيم

(٥) يحمل كل ما يلقاه من الصخور الضخام

(٦) رده غامرا : صيره خرابا (٧) من معلوم صار كالمجهول

(٨) كفانا الله شره . فوجب الشكر له لأفضاله علينا

(٩) آيت بالرعد والبرق

(١٠) الجنان : القلب ، وصدئت مرآته علامة على الوسخ ، والمعنى : لما كل القلب ، ومل العمل .

(١١) لجلائها : أى ازالة الوسخ الذى علاها ، والجنان - جمع جنة - وهى الحديقة ذات النخل والشجر (١٢) أى مرتفعة (١٣) عناقيدها متدللية قريبة من الجانى .

(١٤) الطاح : الأشجار العظام ، ومنضود يعنى متراكم بعضه فوق بعض

(١٥) أى متسع (١٦) أى أغصانها مرتفعة .

كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة^(١) ، تجوس المياه خلال ديارها^(٢) وتُشرق
بآفاقها أنواراً نوّارها^(٣) ، نزهة النواظر^(٤) ، وشرك الخواطر^(٥) ، بها
أشجار لا تحصى^(٦) ، وثمار لا تُعدُّ ولا تُستقصى^(٧) .

وصف البيان لأمير المؤمنين ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ

البيان تُرجمان القلوب ، وصقيل العقول^(٨) ، ومُجلى الشبهة^(٩) ،
وموجب الحجة ، والحاكم عند اختصام الظنون ، والمفرق بين الشك واليقين ،
وخير البيان ما كان مصرحاً عن المعنى ، ليسرع إلى الفهم تلقيه ، أو موجزاً
ليخف على اللفظ. تعاطيه .

ووصف أيضاً المكارم فقال :

لن تكسب - أعزك الله - المحامد ، وتستوجب الشرف ، إلا بالحمل
على النفس والجل ، والنهوض بحمل الأثقال ، وبذل الجاه والمال ، ولو
كانت المكارم تُنالُ بغير مؤونة لاشارك فيها السفلى^(١٠) والأحرار ،
وتساهمها الوضعاء^(١١) وذوو الأخطار ، ولكن الله تعالى خصّ الكرماء الذين
جعلهم أهلها ، فخفف عليهم حملها وسوّغهم فضلها وحظرها^(١٢) على السفلة
لصغر أقدارهم عنها وبُعد طباعهم منها ، ونفورها عنهم وأقسعراها منهم .

ووصف أيضاً القرآن الكريم فقال :

فضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول ، وظاهر غير خفي

(١) لا تقطع عن الطالب ولا تمنع عنه (٢) أى تتردد بين بيوتها
(٣) النوار: الزهر (٤) تتنزه فيها العيون (٥) تصطاد الخواصر وتسبى
العقول

(٦) لا يمكن الاتيان على عددها (٧) لايتأتى ادراك آخرها (٨) جلاؤها
(٩) كاشفها (١٠) السفلى: جمع سفلة ، وهم طغام الناس وغوغاؤهم .
(١١) جمع وضيع : وهو الساقط (١٢) منعها

يشهد بذلك عجز المتعاطين ، وَوَهْنُ (١) المتكلفين ، وهو المبلِّغُ الذي لا يَمَلُّ ،
والجديدُ الذي لا يَخْلُقُ (٢) والحق الصادع ، والنور الساطع ، والمأحى لظلم
الضلال ، ولسان الصدق الذافي للكذب ، ومفتاح الخير ، ودليل الجنة -
إِنْ أُوجِزَ كَانَ كَافِيًا وَإِنْ أَكْثَرَ كَانَ مُدَكَّرًا ، وَإِنْ أَمَرَ فَنَاصِحًا ، وَإِنْ
حَكَمَ فَعَادِلًا ، وَإِنْ أَخْبَرَ فَصَادِقًا . سراجٌ تستضيءُ به القلوب ، وبحر
العلوم ، وديوان الحكم ، وجوهر الكلم .

وصف البلاغة لفحول البلغاء

(١) قال الجوهري : أحسن الكلام نظاماً ما ثقبته يد الفكرة ، ونظمته
الفتنة ووُصل جوهر معانيه في سُموط (٣) ألفاظه ، فاحتملته نُحورُ الرواة .
(٢) وقال العطار : أطيبُ الكلام ما عُجِنَ عنبرُ ألفاظه بمسك معانيه ،
ففاح نسيم نشقه (٤) وسطعت رائحة عبقه ، فتعلقت به الرواة ، وتعطرت
به السراة .

(٣) وقال الصائغ : خير الكلام ما أحميته بكبير الفكر ، وسبكته
بمشاعل النظر ، وخلصته من خبث الإطناب ، فبرزَ برُوزَ الإبريز ، في معنى
وجيز (٥) .

(٤) وقال الصيرفي : خير الكلام ما نقدته عين البصيرة ، وجلته يد
الروية ووزنته بمعيار الفصاحة ، فلا نظراً يزيفه (٦) ؛ ولا سماعاً يبهرجه (٧) .

(١) ضعف (٢) لا يبلى

(٣) السمط : الخيط الذي ينظم فيه (٤) النشق : الاستنشاق ،
العبق : لصوق الطيب بالشيء ، وتغلف الرجل بالطيب : ادهن به ، والسراة :
الأشرف .

(٥) الكير : زق ينفخ فيه الحداد ، والمشاعل : جمع مشعل وهو القنديل
وهو موضع شعل النار أي الهابها . (٦) زيف الدراهم : أي أنها زانفه أي
مفشوشة . (٧) وبهرجها : أبطالها

(٥) وقال الحداد : أحسنُ الكلام ما نصبت عليه منفحة القريحة ، وأشعلت عليه نار البصيرة ، ثم أخرجته من فحم الإفخام ورَّقَقْتَهُ بغطيس الأَفْهام (١) .

(٦) وقال النجار : خير الكلام ما أحكمت بحر معناه بقَدُومِ التقدير ، ونَشَرْتَهُ بمنشار التدبير ، فصار باباً لبيت البيان ، وعارضةً (٢) لِسَقْفِ اللسان .

(٧) وقال الحائك : أحسن الكلام ما اتصلت لُحمة أَلْفَاظِهِ ، بِسُدَى معانيه مفوقاً منيراً ، موشى محبراً (٣) .

(٨) وقال الجمال : البليغ من أخذ بخطام (٤) كلامه ، فأناخه في مبارك المعنى ، ثم جعل الاختصار له عِقْالاً ، والإِجَادَةَ له مجالاً ، فلم (٥) يند عن الآذان ولم يشذ عن الأذهان .

وصف عمر بن الخطاب

قال معاوية بن أبي سفيان لصعصعة بن صوحان : صِفْ لِي عُمَرَ بن الخطاب فقال : كان عالماً برعيته ، عادلاً في قضيته ، عارياً من الكبر قبولا للعدر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحريراً للصواب ، رفيقاً بالضعيف ، غير محاب للقريب ولا جاف للغريب .

(١) الغطيس كسكين المطرقة العظيمة (٢) العارضة : الخشبة العليا التي يدور فيها الباب وعوارض البيت خشب سقفه . (٣) المقوف : الرقيق من الثياب أو الذي فيه خطوط بيض ، والمنير : المنسوج على نيرين أي المضاعف النسج ، والموشى : المنقوش والمحبر : المحسن (٤) الخطام : كل ما وضع في أنف البعير ليقاد به ، وجمعه : خطم (٥) ند : هرب

وصف على بن أبي طالب

قال معاوية لضرار الصدائى : يا ضرار صف لى علياً قال : اعفى يا أمير المؤمنين قال : لتصفنّه ، قال : أما إذ لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى (١) شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن مع تقريبه إيانا ، وقربه منا ، لانكاد نكلمه لهيبته ، ولانبتدئه لعظمته ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله .

وصف كلام العرب لعتبة بن أبى سفيان

قال عتبة بن أبى سفيان : إن للعرب كلاماً هو أرق من الهواء ، وأعدب من الماء ، مرق من أفواههم مروق السهام من قسيها ، بكلمات مؤتلفات ، إن فسرت بغيرها عطلت (٢) ، وإن بدلت بسواها من الكلام استصعبت ، فسهولة ألفاظهم توهمك أنها لكنة إذا سمعت ، وصعوبتها تعلمك أنها مفقودة إذا طلبت (٣) .

(١) المدى : الفاية

(٢) التعطيل : ترك الشيء ضياعاً

(٣) هذا النوع من الكلام يسمى المتنوع

وصف الكتاب للجاحظ.

قال الجاحظ : الكتاب وعاءٌ مليءٌ علماً وظرفٌ حشى ظرفاً ، وبستان يحملُ في رُذُن(١) وروضةٌ تقلب في حجر ، ينطق عن الموتى ، ويترجمُ كلام الأحياء ، ولا أعلم جاراً أبر ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقاً أطوع ، ولا معلماً أخضع ، ولا صاحباً أظهر كفاية ، وأقل جناية ، ولا أقل إملالاً وإيراماً ، ولا أقل خلافاً وإجراماً ، ولا أقل غيبة ، ولا أبعد من عَضْبَهة(٢) ، ولا أكثر أعجوبة وتصرفاً ، ولا أقل صلفاً(٣) وتكلفاً ولا أبعد من مرء ، ولا أترك لشغب ، ولا أزهد في جدال ، ولا أكف عن قتال - من كتاب ، ولا أعلم قريباً أحسن مواتاة(٤) ، ولا أعجل مكافأة ، ولا أخصر معونة ، ولا أقل مؤونة ، ولا شجرة أطول عمراً ولا أجمع أمراً ، ولا أطيب ثمرة ، ولا أقرب مُجتنى ، ولا أسرع إدراكاً في كل أوان ، ولا أوجد في غير إبان - من كتاب ، ولا أعلم نتاجاً في حداثة سنه ، وقرب ميلاده ، ورخص ثمنه ، وإمكان وجوده يجمع من التدابير الحسنة ، والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأخبار اللطيفة ، ومن الحكم الرقيقة ، ومن المذاهب القديمة ، والتجارب الحكيمة والإخبار عن القرون الماضية والبلاد المتراخية والأمثال السائرة والأمم البائدة(٥) ما يجمع الكتاب .

وقيل لبعض العلماء : ما بلغ من سرورك بكتيبك ؟

فقال : هي إن خلوت لذتي ، وإن اهتممتُ سلوكي ، وإن قلت : إن زهر البستان ونور الجنان يجلوان الأبصار ، ويمتعان بحسنهما الأليحاط ، فإن

(١) الرذن : الكم ، وجمعه أردان . (٢) العضبَهة : البهتان والنميمة .
 (٣) الصلف : تمدح المرء بما ليس عنده . (٤) المواتاة : حسن المطاوعة
 والموافقة وأصاه بالهمزة وفي الحديث : خير النساء المواتية لزوجها .
 (٥) القديمة الهالكة .

بِسَانِ «الكتب» يَجْلُو العِقل ، وَيَشْحَدُ الذَّهْنَ ، وَيُحْيِي القلب ، وَيُقَوِّمُ القْرِيبَةَ ، وَيُعِينُ الطَّبِيعَةَ ، وَيُبْعَثُ نَتَائِجَ العُقُولِ ، وَيَسْتَشِيرُ دِفَائِنَ القُلُوبِ ، وَيُمْتَعُ فِي الخُلُوةِ ، وَيُونَسُ فِي الوَحْشَةِ ، وَيَضْحَكُ بِنِوَادِرِهِ ، وَيَسُرُّ بِغَرَائِبِهِ ، وَيُفِيدُ وَلَا يَسْتَفِيدُ ، وَيُعْطَى وَلَا يَأْخُذُ ، وَتَصِلُ لَدَّتُهُ إِلَى القلبِ مِنْ غَيْرِ سَأَمَةٍ تُذَكِّرُكَ ، وَلَا مَشَقَّةَ تُعْرَضُ لَكَ .

وصف التاريخ لابن الأثير

التاريخ : معاد (١) معنوي ، يعيد الأعصار وقد سلفت ، وينشر أهلها ، وقد ذهب آثارهم وعفت (٢) ، وبه يستفيد عقول التجارب من كان غراً ، ويلقى من قبله من الأمم وهلم جراً . فهم لديه أحياء ، وقد تضمنتهم بطون القبور ، وعنه غيبٌ وقد جعلتهم الأخبار في عداد الحضور ، ولولا التاريخ لجهلت الأنساب ونُسيت الأحساب ، ولم يعلم الإنسان أن أصله من تراب ، وكذلك لولاه لمانت الدول بموت زعمائها وعمى (٣) على الأواخر حال قدمائها ، ولم يحط علماء بما تداولته الأرض من حوادث سائها ، ولمكان العناية به لم يخل منه كتاب من كتب الله المنزلة ، فمنها ما أتى بأخباره المجللة ، ومنها ما أتى بأخباره المفصلة ، وقد ورد في التوراة مفرداً في سفر من أسفارها ، وتضمن تفصيل أحوال الأمم السالفة ومدد أعمارها .

وقد كانت العرب على جهلها بالقلم وخطه ، والكتاب وخطه ، تصرف إلى التواريخ جمل دواعيها ، وتجعل له أول حظ من مساعيها ، فتستغنى بحفظ قلوبها عن حفظ مكتوبها ، وتعتاض برقم صدورها ، عن رقم سطورها ،

(١) معاد : يقصد أنه كالיום الآخر . (٢) عفا الشيء : هلك .

(٤) عمى عليه الأمر : التبس وكذلك عمى عنه .

كل ذلك عناية منها بأخبار أوائلها ، وأيام فضائلها ، وهل الإنسان إلا ما أسسه ذكره وبناه ؟ وهل البقاء لصورة لحمه ودمه لولا بقاء معناه !!

وصف الرجل الكامل

كتب الحسن (١) بن سهل إلى محمد (٢) بن سماعة القاضي ، يصف له الرجل الكامل :

أما بعدُ : فإنني احتجت لبعض أمورى إلى رجل جامع لخصال الخير ، ذى عفة ونزاهة ، طعمة (٣) قد هذبت الآداب وأحكمته التجارب ، ليس بظنين (٤) في رأيه ، ولا بمطعون في حسبه ، إن أوتن على الأسرار قام بها ، وإن قلّد مهماً من الأمور أجزأ (٥) فيه ، له سن مع أدب ولسان ، وتقعده الرزانة ، ويسكنه العلم قد فر (٦) عن ذكاء (٧) وفطنة ، وعصّ على قارحة (٨) من الكمال ، تكفيه اللحظة وترشده السكينة ، قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها ، وقام في أمرهم فحمد فيها له أناة الوزراء ، وصوله الأمراء ، وتواضع العلماء ! وفهم الفقهاء وجواب الحكماء ، لا يبيع نصيب يومه بجرمان غده ، يكاد يسترى (٩) قلوب الرجال بحلاوة لسانه ، وحسن بيانه ، دلائل الفضل عليه لائحة ، وأمارات العلم شاهده .

(١) هو وزير المأمون وختنه أبو زوجه بوران توفى سنة ٢٢٦ هـ . (٢) من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة توفى سنة ٢٢٣ ، وقد بلغ مائة سنة وهو صحيح الحواس . (٣) الطعمة بالضم طريق الكسب وبالكسر هيئة الأكل والسير فيه . (٤) الظنين : المتهم (٥) اجرا : أغنى (٦) فر الدابة : كشف عن أسنانها ليعرف مبلغ عمرها (٧) الذكاء تمام السن واكتماله أو حدة الذهن . (٨) الفرس القارح الذى استكمل القوة باكتمال العمر ونظيره فى الإبل البازل ، والسن التى تنبت له عند قروحه تسمى قارحا وقارحة والجملة كلها كناية عن استيفاء صفات الكمال (٩) يستعبد .

مُضْطَلَعًا (١) بما استنهض ، مستقلاً (٢) بما حُمِّلَ ، وقد آثرتك بطلِّبه
وجبوتك بارتِيادِهِ (٣) ، ثِقَّةً بفضل اختيارك ، ومعرفةً بحُسنِ تَأْتِيكَ (٤) .

وصف قناة السويس

للمرحوم أحمد شوقي بك

مخاطباً ابنيه يوم أنْ عبرَ قناة السويس ميمماً الأندلس
حينما نَفَثَ الأحكام العُرفِيَّةَ إبانَ الحربِ العالِمِيَّةِ [الأولى]

يابنَيَّ : القناة لقومكما فيها حياة ، ذِكْرِي إِسْمَاعِيلَ وَرِيَّاهُ (٥) ، وَعُلْيَا
مَفَاخِرِ دُنْيَاهُ ، دولة الشرق المرجاة ، وسلطانهُ الواسِعُ الجَاهُ ، طريقُ
التُّجَّارَةِ ، والوسيلة والمَنَارَةُ ، ومُشْرَعُ (٦) الحضارة .

تعبِرائِها اليَوْمَ على مُزْجَاةِ (٧) كَأَنَّهَا فُلُكُ النَّجَاةِ ، خرجت بنا بين طوفان
الحوادث ، وطُغْيَانِ الكَوَاكِرِ ، تفارق براً مُعْتَصِبُهُ مُضْرِيٌّ (٨) الغَضْبَةُ . قد
أَخَذَ الأَهْبَةَ ، وَأَسْتَجْمَعَ كالأسد للوثبة ، وتَلَاقَى بحراً جُنَّتْ جواريه ،
ونزت (٩) بالشَّرِّ نوازيه ، وتمثلت بكل سبيل عواديه مملوءاً ببعثات الماء ،
مُترَعاً بفتحاءات السماء من نون (١٠) ينسِفُ الدواعِ ، أو طَيْرِ (١١) يَقْذِفُ
البيض مصارعاً ، فقلت : بِيْرِي ، عَوَّذْتُكَ بِوَدِيْعَةِ (١٢) التابوت ، وبِصاحب (١٣)

(١) يقال هو مضطلع لهذا الأمر وبه إذا كان قديراً عليه . (٢) استقل
بالحمل نهض . (٣) والارتياح : الطلب . (٤) تأتي الأمر : ترفق وأناه
من وجهه . (٥) الريا : الرائحة الطيبة (٦) المشرع : المورد . (٧) زجاء وأزجاه :
ساقه وسيره (٨) مضر فخذ من أفضاخ العرب ينسب لمضر بن نزار وهذا
مأخوذ من قول بشار :

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو فطر الدما
(٩) النزو : الوثب ، والنازية : حدة الرجل الوثاب الى الشر وجمعها
نواز . (١٠) النون الحوت والمراد الفواصة (٧) يريد بالطير الطائرات
وبالبيض ما يلقى منها من مهلكات القذائف (١٢) هو موسى كليم الله
(١٣) هو نبي الله يويس .

الْحُوتُ ، وبالْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَأَسْرَى يَا ابْنَةَ الْيَمِّ زَمَامُكُ الرُّوحِ (١) ،
وَرُبَّانِكُ (٢) نَرُوحُ ، فَكُمِ عَلَيْكَ مِنْ مَّنْكَوِبٍ وَمَجْرُوحٍ .

إِنَّ لِلنَّفِيِّ لِرَوْعَةٍ ، وَإِنَّ لِلنَّأْيِ لِلْوَعَةِ ، وَقَدْ جَرَتْ أَحْكَامُ الْقَضَاءِ ، بَانَ
نَعْبِرُ هَذَا الْمَاءَ ، حِينَ الشَّرُّ مُضْطَرِمٌ ، وَالْيَأْسُ مُحْتَدِمٌ ، وَالْعَدُوُّ مُنْتَقِمٌ ، وَالْخَصْمُ
مُحْتَكِمٌ ، وَحِينَ الشَّمَامَتِ جَدْلَانُ مُبْتَسِمٌ ، يَهْزَأُ بِالْدمَعِ ، وَإِنْ لَمْ يَنْسَجِمِ (٣) .
نَفَانَا حُكَّامٌ عُجْمٌ ، أَعْوَانُ الْعَدْوَانِ وَالظُّلْمِ ، خَلَفْنَاهُمْ يَفْرَحُونَ بِذَهَبِ اللَّجْمِ ،
وَيَمْرَحُونَ فِي أَرْسَانٍ يُسَمُّونَهَا الْحُكْمَ ، ضَرْبُونَا بِسَيْفٍ لَمْ يَطْبَعُوهُ ، وَلَمْ يَمْلِكُوا
أَنْ يَرْفَعُوهُ ، أَوْ يَضْعُوهُ ، سَامَحَهُمْ فِي حَقُوقِ الْأَفْرَادِ ، وَسَامَحُوهُ فِي حَقُوقِ
الْبِلَادِ ، وَمَا ذَنْبُ السَّيْفِ إِذَا لَمْ يَسْتَحِ الْجَلَادُ !!

مَاذَا تَهْمِسَانِ ! كَأَنِّي أَسْمَعُكُمْ تَقُولَانِ : أَى شَيْءٍ بَدَأَ لَهُ ، عَلَى هَذِهِ
الضَّاحِيَةِ (٤) ، وَمَاذَا شَجَا خِيَالَهُ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ ! أَى حَسَنِ أَوْ طَيْبِ لِلْمَلْحِ
يَتَصَبَّبُ فِي كَثِيبِ مَاءٍ عَكَرَ فِي رَمَلٍ كَدَرَ !!

قَنَاةُ حَمِيَّةٌ (٥) كَأَنَّهَا قَنَاةُ صَدِيئَةٍ ، بَلْ كَأَنَّهَا وَعَيْرِيئَهَا (٦) رَمَالَ بَعْضِهَا
مَتَاسِكٌ وَبَعْضِهَا مَنَهَالٌ ، وَكَأَنَّ رَاكِبَ الْبَحْرِ مُضْجِرٌ (٧) ، وَكَأَنَّ صَاحِبَ
الْبَرِّ مُبْحَرٌ ! رُوِيَ كَمَا : لَيْسَ الْكِتَابُ بِزِينَةِ جِلْدِهِ ، وَلَيْسَ السَّيْفُ بِحَلِيَّةِ
غِمْدِهِ . تِلْكَ التَّنَائِفُ (٨) مِنْ تَارِيخِكُمْ صَحَائِفُ ، وَهَذِهِ الْقَفَارُ كَتَبَ مِنْهُ
وَأَسْفَارُ ، وَهَذَا الْمَجَازُ هُوَ حَقِيقَةُ السِّيَادَةِ ، وَوَثِيقَةُ الشُّقَاءِ أَوْ السَّعَادَةِ ،
خَيْطُ الرِّقْبَةِ ، مِنْ اغْتَصَبَهُ اخْتَصَّ بِالْغَلْبَةِ ، وَوَقَفَ لِلْأَعْقَابِ عَقِبَةً ، وَلَوْ
سَكَتُ لَنْطَقَتِ الْعَبِيرُ ، وَأَيَّنَ الْعِيَانَ وَأَيَّنَ الْخَبِيرَ !

(١) جبريل . (٢) الربان رئيس الملاحين وجمعه ربانة . (٣) انسجم
الدمع : سال . (٤) الضاحية كل أرض بارزة للشمس . (٥) الحمئة :
التي فيها الحمأة أى الطين الأسود المنتن ، والقناة الأولى الترعَة والقناة
الثانية الرمح . (٦) عبر النهر شاطئه . (٧) أصحح سار في الصحراء
(٨) التنايف جمع تنوفة وهى المفازة .

انظرا : تريا العبرين عبرة الأيام ، حصون وخيام ، جنود قعود وقيام ، جيش غيرنا ، فرسانه وقواده ، ونحن بعرانه (١) وعلينا أزواده (٢) ، ديك على غير جداره خلا له الجوف فصاح ، وكلبٌ في غير داره انفرد وراء الدار بالتبّاح .

القنّاة وما أدراكما ما القنّاة ، حظّ البلاد الأغر من التيقّاء الأبيض والأحمر بيّد أنها أحلام الأول ، وأماني الممالك والدول : الفراعنة حاولوها ، والبطالسة زاولوها (٣) ، والقياصرة تناولوها ، والعرب لأمر ما تجاهلوا (٤) ، إلى أن جرى القدر لغابته ، وأتى « إسماعيل » بآيته ، فانفتح البرزخ بعنانيته ، والتقى البحران تحت رايته في جمع من التيجان لم يشهده إكايلاه (٥) ، قد كان يتوّج فيه ؛ لو شهدته جيوشه وأساطيله ، وما إسماعيل إلا قيصرٌ لو أنه وفق والإسكندر لو لم يخفق . ترك لكم عزّ الغد وكنز الأبد ، والمنجم الأحد ، والوقف الذي إن فات الوالد فلن يفوت الولد .

ماذا على الرّمال من لمحات جلال وجمال ؟ ارجعا القهقري بالخيال ، إلى العصر الخال واعرضا في حداثتها الأجيال ، تريا على هذا المكان وجوهاً تتمثل وركاباً تتنقل ، وتريا النبوة تهلل ، والآيات تنزل ، وتريا الملك يترجل ، حتى كأنكما بالزمان الأول فهاهنا وضع النبوة المهّد ، وابتدأ بها العهد ، فأقبل صاحب المقام ، ومحطم الأصنام ، وبناء البيت الحرام ، خليل ذى الجلال والإكرام (٦) .

هاجر إلى مصر أكرم من هاجر ، ثم انقلب منها بأمر العرب هاجر (٧) ، ومن هذه الثنّيات طلع يوسف في القيد ، وهو للسيارة صيد ، يسير من كيدٍ إلى كيدٍ ، قلبٌ جرحته الإخوة ، وجنبٌ قرّحته النسوة ، فيالك « يوسف » من

(١) البعران جمع بعير كابعر . (٢) الأزواد جمع زاد وهو الطعام .
 (٣) زاول الشيء : حاوله . (٤) يروي ان هارون الرشيد فكر في أن يصل البحرين بقناة وأنه استشار يحيى بن خالد البرمكى في ذلك فقال له :
 ياأمير المؤمنين « ان خرق السويس خرق في الاسلام » فعدل عن رأيه !
 (٥) الاكليل : التاج (٦) هو خليل الله ابراهيم (٧) هى جارية مصرية اهداها فرعون الى السيدة سارة زوج سيدنا ابراهيم فوهبتها له فاستولدها اسماعيل جد العرب المستعربة .

أسوة (١)؛ عزُّ بعد هَوْنٌ ، وذلة بعد المنزِلِ الدَّوْنِ ، وشُمُونٌ أَقْدَارٌ وشُجُونٌ ،
وسُهول حياة وحُزُونٌ ، وسجوف القُصُور بعد السجون إلى سجد الشمس
لك والقمر والكواكب الآخر .

وإلى هذا الفضاء خرج موسى حين زال زَوِيلُهُ (٢) ، وطلبه قتيله ، وزين له
الفرار خليله (٣) ، فحوته هذه الرمال ، فإذا الأَمْنُ سبيله ، والأَيْمَنُ دليله ، والسلامة
زاملته (٤) والسَّلْمُ زميله ، ولو أطلع الله على غيبه ، لَمَسَّ النبوة بين يديه وجيبه
إلى أن رُفِعَ له المنار ، واكتحل بالنور واقتبس من النار ، وقيل له : كُنْ من
الأحرار الأَحْبَارِ ، وارْجِعْ فسلط. الحقُّ على فرعون الجبار ، فكأن عليه
السلام أول من اقتحم على الفرد جبروته ، وهتك على المستبد طاغوته (٥) ،
وخطم (٦) المتألَّه (٧) وحطم عظموته ، ماء الحق على لُطفه ، ظفر بنار الباطل
على عُنفِهِ ، ظهر العدل على الحيف ، وكسرت العَصَا السيف .

وعلى هذه الأرض مَشَتِ السماءُ (٨) الطاهرة ، والنَّيرَةُ الزَّاهِرَةُ ، والآية
المتظاهرة أم الكلمة (٩) وطريدة الظلمة ، سرحوا في عرضها فأخرجوها من أرضها
فضربت في طول الأرض وعرضها ، يوسف حاديها ، وجبريل هاديها ، والقدس
ناديها ، والطهارة أرجاء واديها ، وعلى ذراعيها مصباح الحكمة وجناح الرحمة
والإصباح من الظلمة ، حتى هبطت به أكرم الأديم (١٠) فنشأ بين الحكيم والعليم

(١) الأسوة : القدوة ، وما يتأسى الحزين أى يتعزى (٢) زال زويله :
فزع وحذر (٣) يشير الى ما كان من امر موسى حين وجد قبطيا واسرائيليا
يقتتلان فاستنصره الاسرائيلى على القبطى فوكزه وكرة كانت القاضية ، فلما
أصبح وجد الاسرائيلى نفسه يقاتل قبطيا آخر فاستفاته فقال موسى انك
لغوى مبين . ثم هم بنصرته على القبطى فظن انه يريد بالاذى فصاح
الاسرائيلى ياموسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس فذاع امره ولم
يلبث ان جاءه رجل وقال يا موسى ان الملائمة ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك
من الناصحين فخرج منها الى بلاد مدين (٤) الزاملة ما يحمل عليه من
الابل وغيرها . (٥) الطاغوت : الشيطان وكل رأس ضلال (٦) خطمه :
قهره أو ضرب أنفه (٧) أراد المتكبر غير أن معناها اللغوى المتنسك
المتعبد . (٨) يريد السيدة مريم (٩) الكلمة سيدنا عيسى (١٠) الأديم:
وجه الأرض

وترعرع حيث ترعرع بالأمس الكليم . فيالك من دار لعبت على عُرَاصاتها
الأفدَار ، نائت (١) موسى القريب ، وآويت عيسى الغريب ، نبوت (٢) بالنبي
وَحَبَوْتُ الأَمْنَ عيسى وهو صبي ، عُذرك لا تنضى (٣) إليه المطى ، فإنما
أغضبت القبطى لابنك القبطى .

ثم انظرا تريا إبلا صعباً ، وخيلاً عرباً (٤) . وتريا الرعاة (٥) انقضوا على
الوادى ذئاباً ، فأخافوا القرى الآمنة ، وأخرجوا من مصر الفراعنة ، واستبدوا
بالمملك فيها آونة . وتريا الوحوش الضاربة والجوارح الكاسرة ، يقودها شر
الأكاسرة (٦) ، ملأت هذه الفجاج (٧) ، وكأنها حرجات (٨) الساج ، وأحركات
الأمواج ، ثم تدفقت تكتسح الديار ، باغية السيف طاغية النار ، تدك
الهايكل والمعازل ، وتهتك العقائد والعقائل .

وتريا الإسكندر الكريم ، قد لمع كالصارم من هذا الضريم (٩) ، يحمل
الحملاّت النَّجائب ويفتح بالكتب والكتائب .

وتريا ابن العاص والصّحابة ، مروا من هذه الأرجاء مرّ السحابة ،
يفتحون للحق ويفتكون بالرّق ، حتى أخلوا القُصور من القياصرة ، وأراحوا
مصر الصابرة من صلف الجابرة .

وتريا صلاح الدين يَخْتَفِي كالبدر ويبدو ، ويروح كالغيث وَيَغْدُو ، بعوث
بلا عدَد ، ومددٌ إثر مدد ، وذخائر وعدد ، وبشرى كل يوم بفتوح جدد .

وتريا نابليون قدركب طيشه ، وأركب الغرر جيشه . وتريا إبراهيم بن
علي مشهور الجراز ، موفور الجهاز ، ملك سورية وضبط الحجاز . وتريا إسماعيل

(١) ناواه ونواه : عاداه (٢) نبا به المكان : لم يوافق (٣) انضى المطية :
هزلها (٤) العرب من الخيل والأبل العربية (٥) العمالقة الذين ملكوا
مصر مدة من الدهر (٦) قمبيز (٧) الفجاج : الطرق الواسعة
(٨) الحرجة : الشجرة الملتفة والساج شجر يعظم جدا ويذهب طولاً وعرضاً
له ورق عريض جدا . (٩) الضريم : الرمل

بعث الحشرين ، وحشد الحافرين ، وقرب المسافة للمسافرين ، غير وجه .
السفر ، فليل : بلغ غاية الظفر ، وقيل : وقع الحافر فيما حفر .
ثم انظرا اليوم تريا القنأة في يد القوم إن أمنوا ركزوها ، وإن خافوا هزوها

وصف فرس

قال محمد بن الحسين يصف فرساً :

هو حسنُ القميص ، جيدُ الفُصوص ، وثيقُ القصب ، نقيُّ العصب ، يُبصر
بأذنيه ، ويتبوع بيديه ، ويُداخل برجليه ، كأنه موج في لُجةٍ أوسيل في حُدور
يناهب المشى قبل أن يبعث ، ويلحق الأرانب في الصعوداء ، ويجاوز جوارى
الظباء في الاستواء ، ويسبق في الحدود جري الماء ، إن عُطفَ جار ، وإن
أرسل طار ، وإن كُلف السير أمعن وسار ، وإن حبس صفن ، وإن استوقف
قطن ، وإن رعى أنن ، فهو كما قال تَابَط. شراً :

ويسبق وفد الريح من حيث تُنحى بمنخرق من شدة المتدارك

وصف العصا

لقى الحججاجُ أعرابياً ، فقال : من أين أقبلت ؟ قال من البادية قال : ما بيدك ؟
قال : عصاً أركزها لصلاتي ، وأعدّها لعداتي ، وأسوق بها دابتي وأقوى بها على
سفري ، وأعتمد عليها في مشي ، ليتسع بها خطوي ، وأعبر بها النهر فتؤمنني
وألقى عليها كساء فيسترني من الحرِّ ، ويقيني من القُرِّ ، وتدني ما بعدمني ، وهي
محملُ سُفرتي وعلاقة إداوتي (١) ومشجبُ ثيابي ، أعتمد بها عند الضراب وأقرع
بها الأبواب ، وأتقى بها عقور الكلاب ، تنوب عن الرُمح في الطعان ، وعن
الحربة عند مُنازلة الأقران ورثتها عن أبي ، وأورثها بعدي ابني ، وأمش بها
على غنمي ، ولي فيها مآرب أخرى ، كثيرة لا تحصى .

(١) الاداوة : وعاء ماء يتطهر به .

وصف كرة القدم لمولف الكتاب

قاتل الله الكرة: ما أعجب أمرها ، وما أدق سرها ، قد جمعت الأضداد واسترقت النجباء والأوغاد ، فهي كبيرة الحجم ، مَفُوقَة الجسم ، لكنها خفيفة الوزن ، سريعة الوثب ، وهي ناعمة اللمس ، مليحة الرقص ، لكنها تأتي الوخز ولا تطيق اللكز ، وهي تفرُّ من المداعبة والملاعبة ، ولكنها لا تمل من ضرب ولا تكل من دحرجة ، وهي محبوبة مألوفة ، تنقل على الأيدي والأحضان ، لكنها تطرد بالأرجل والعصى ، فهي عزيزة ذليلة ، حقيرة جليلة ، تُشبه القنابيل في صورها ، والدُّفوف في أصواتها ، والطير في امتطاء الهواء ، واختراق الفضاء .

وصف جيوش لابن الرومي المتوفى سنة ٢٨٢ هـ

وصار فلان في جيوش ، عليهم أردية السيوف ، وأقمصة الحديد ، وكان رماحهم قرون الوعول (١) ، وكان أذراعهم زبد السيول على خيل تأكل الأرض بحوافرها وتمد بالنقع سُرادِقها ، قد نُشرت في وجوها غرر (٢) كأنها صحائف الرق (٣) وأمسكها تحجيل (٤) كأنها أسورة اللجين وقرطت عذرا (٥) كأنها الشنوف تتلقف الأعداء أوائلها ، ولم تنهض أواخرها ، قد صب عليهم وقار الصبر ، وهبت معهم ريح النصر .

وصف الحسد للجاحظ. المتوفى سنة ٢٥٥ هـ

الحسد - أبقاك الله - داء ينهك الجسد ، علاجه عسيرٌ وصاحبه ضجر ، وهو باب غامض (٦) وما ظهر منه فلا يداوى ، وما بطن منه فمداويه في عناء ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « دَبُّ (٧) إليكم داءُ الأمم من قبلكم الحسد والبغضاء » الحسد عقيد (٨) الكفر ، وحليف الباطل (٩) وضد الحق ، منه تتولد

(١) جمع وعل وهو تيس الجبل (تيس الشاة الجبلية) وقرونه طويلة .
 (٢) جمع غرة وهي بياض في جهة الفرس (٣) الرق جلد رقيق أبيض يكتب فيه (٤) التحجيل بياض قوائم الفرس (٥) أى السبب عذرا وهو ما على خد الفرس من اللجام . (٦) أى مسالك خفي يصير الخروج منه (٧) سرى فيكم (٨) أى معاهدة ومخالفة (٩) ملازمة

العداوة ، وهو سبب كل قطيعة (١) ومُفَرَّق كل جماعة ، وقاطع كل رحم من الأقرباء (٢) ، ومُحَدَّثُ للتفرق بين القرناء (٣) ، ومُلَقَّح الشرب بين الحلفاء (٤) ووصف أيضاً أفضل الكلام - وقال :

أفضل الكلام ما كان قليله يُغني عن كثيره ، ومعناه ظاهراً في لفظه ، وكان الله قد ألبسه من ثياب الجلالة ، وغشاه (٥) من نور الحكمة ، على حسب نية صاحبه وتقوى قائله - فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه (٦) مُنْزَهاً عن الاختلال ، مَصُوناً عن التكلف ، صنع في القلوب صنيع الغيث (٧) في التربة الكريمة ، ومتى فُصِّلَت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة ، كساها الله من التوفيق ، ومنحها من التأيد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة .

وصف الشعراء المحدثين

قال ابن دُرَيْد : سألت أبا حاتم عن « أبي نواس » فقال : إن جدَّ أحسن وإن هزل ظرف ، وإن وصف بالغ ، يُلقَى الكلام على عواهنه لا يُبالي من أين أخذ ، قلت : « فبشار بن بُرد » قال : نظار غواص مطيلٌ مجيد يصف ما لم يره كأنه رآه على أن في شعره خللاً كثيراً ، قلت : « فمروان بن أبي حفصة » قال : شاعر راض عن نفسه يستحسن كل ما جاء منه معجبٌ به ، لا يرى أن من سبقه يتقدمه ، كثير الصواب ، كثير الخطأ ، ليس لشعره صنعة قلت : « فمسلم بن الوليد » ؟ قال : خليج صافٍ ينزع من بحر كدر ، كالزندیورى تارةً ويصلد أخرى ، قلت : « فأبو العتاهية » قال : غناء جَمٌّ ، واقتدار سهل وشعر كخرز الزجاج ، وربما أشبهه الياقوت والزبرجد ، قلت : « فعباس بن

(١) انفصال (٢) كل قرابة واتصال (٣) المناظر (٤) مولد الشرب بين المتحالفين (٥) كساء (٦) أي من احبار الفكر (٧) المطر

الأحنف» قال: يُلتقى دلوهُ فى الدلاء فيغترفُ الصفو أحياناً والحمأة أحياناً ، على أن كدره أكثر من صفوه ، قلت « فسلم الخاسر » قال : مُقِلُّ مَداح ، شعره ديباج وعهن ، يُموهُ الردىء حتى يشبهه الجيد ، قلت « فأبو الشيص » قال : جده كله فيه حلاوة وبشاعة كالسدرة التى نفضت فففيها المستعذب والمستبشع قلت « فعلى بن جبلة » قال : بَحَاثٌ عن الكلام الفخْم ، والمعنى الرائع ، لا ينالُ مرتبة القُدماء ، ويجل عن منزله النظراء . قلت « فأبو تمام » قال : سيل كثير الغناء ، غزير العَمار ، جم النظاف ، فإذا صفا فهو السلاف بالماء الزلال ، قلت : « فعبد الصمد بن المعذل » قال : خَرَّاجٌ ولَّاجٌ ، يعتسف تارة ويهتدى أخرى ، قلت « فعلى بن الجهم » قال كلام رصين ومسلكٌ وعر ، عقله أَعْلَبُ على شعره من طبعه ، قلت « فبكر بن النطاح » قال : تشبه بالأعراب فأفرط . وتجاوز حد المولدين فأسهب ، فهو الساقط . بين القريتين .

وصف ابن الأثير المتوفى سنة ٨٥٩ هـ أباً تمام والبُحترى والمتنبى

قال : لقد وقفت من الشعر فى كل ديوان ومجموع ، وأنفدت شطرا من العمر فى المحفوظ . منه والمسموع ، فألفيته بحرأ لا يوقف على ساحله ، وكيف يُحصى قول لم تُحص أسماء قائله ؟ فعند ذلك اقتصرت منه على ما تكثر فوائده ، وتشعب مقاصده ، ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم ، فى اتباع من قصر نظره على الشعر القديم ، إذ المراد من الشعر إنما هو إيداع المعنى الشريف ، فى اللفظ . الجزل اللطيف فمتى وجدت ذلك فكل مكان خيمت فهو بايل ، وقد اكتفيت من هذا بشعر أبى تمام ، والبحترى والمتنبى ، وهؤلاء الثلاثة هم (لآتُ الشعر وعزاهُ ومناته) الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومُستحسناته ، وقد حوتُ أشعارهم غرابة المحدثين وفصاحة القدماء ، وجمعت بين الأمثال السائرة ، وحكمة الحكماء . أما أبو تمام : فإنه ربُّ معان وصيقل أذهان ، وقد شهد له بكل معنى مُبتكر ، لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الإعراب ، الذى برز فيه

على الأضراب . ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ، ولم أقل ما أقوله إلا بعد التنقيير ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه ، وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام ، وكان قوله في البلاغة ما قالت « حذام » فخذ منى في ذلك قول حكيم وتعلم (ففوق كل ذي علم عليم) .

وأما البحترى : فإنه أحسن في سبك اللفظ . على المعنى ، ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الإطلاق ، فبينما يكون في شظف نجد ، إذ يتشبث بريف العراق ، وسئل المتنبى عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال : أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحترى . ولعمري إنه أنصف في حكمه ، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن البحترى أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، في اللفظ المصوغ من سلافة الماء ، فأدرك بذلك بُعد المرام ، مع قربه إلى الأفهام ، وما أقول إلا أنه أتى في معانيه بالنوادر الغالية ، ورقى في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية . وأما المتنبى فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام ، فقصرت عنه خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ولكنه حطى في شعره بالحكم والأمثال . واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال وأنا أقول قولاً لست فيه متاثماً ، ولا منه متلثماً ، وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها . وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى يظن أن الفريقين قد تقابلا ؛ والسلاحين قد تواصلوا فطريقه في ذلك تضل بسالكه ، وتقوم بعذر تاركة ، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ، ما أداه إليه عيانه ، ومع هذا فإن رأيت الناس عادلين عن سنن التوسط . فيما مفرط . في وصفه وإما مفرط . على أنه إذا كان انفراد بطريق صار أبا عذره ، ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لا تطلبن كريماً بعد رؤيته إن الكرام بأسخاهم يداً ختموا
ولا تبال بشعر بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمد الصمم

وصف المنفل الضبي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ مروره ببعض أحياء العرب

رَوَى المفضل الضبي قال : نزل علينا بنو ثعلبة في بعض السنين وكنتُ مشغوقاً
بسماع أخبار العرب وجمعها ، فأخذتُ أجولُ بين خيامهم ، وأتحمسُ من أحوالهم
وإذا أنا بامرأة واقفة في فناء خبائها آخذة بيد غلام قلماً رأيتُ مثله في
حسنه وجماله وهي تعاتبه بلسان رطب ، وكلام عذب ، يسترقه السمع ويترشفه
القلب ، فكان أكثر ما أسمعهُ منها (بنى - وأى بنى) وهو يتبسم في وجهها
وقد غلب عليه الحياء والخجل كأنه من ربات الحجال فلا يعجز جواباً ، ولا
يبدي خطاباً ، فاستحسنتُ ما رأيتُ ، واستحليتُ ما سمعتُ ، فدنوتُ فسلمت
فرد عليّ السلام ووقفتُ أنظر إلى المرأة والغلام ، فقالت لي : يا حضري ما حاجتك ؟
قلت : الاستكثارُ مما أسمعُ ، والاستمتاعُ بما أرى ، فابتسمت وقالت : يا هذا
إن شئتُ سقتُ إليك ما هو أحسنُ مما رأيتُ ، فقلتُ هات حفظك الله ، قالت :
ولد هذا الغلام فكان ثالث أبويه فربّي بيننا كانه شبلٌ ، وكنتُ أقيه برد
الشتاء وحرّ الهجير ، حتى إذا ماتت له خمس سنين ، أسلمته إلى المؤدّب فحفظه
القرآن فتلاه ، وعلمه الشعر فرواه ، ورغب في مفاخرة قومه ، وطلب ما أثر آبائه
وأجداده فلما اشتد عظمه وكمل خلقه ، حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس
ولبس السلاح ومشى لخيلاء بين بيوتات الحي ، وأصغى إلى أصوات ذوى
الحاجات ، فأخذ في قرى الضيف وإطعام الطعام ، وأنا عليه وجلة أحرصه من العيون
أن تصيبه ، ومن الألسن أن تعيبه ، إلى أن نزلنا في بعض الأيام منهالاً من المناهل
بين أحياء العرب ، فخرج فتيان الحي في طلب ثأر لهم وشاء الله تعالى أن أصابت
لغلام وعكة شغلته عن الخروج ، حتى إذا أمعن القوم ولم يبق في الحي غيره .
ونحن آمنون وادعون ، فوربك ما هو إلا أن أدبر الليل وأقبل الصبح
حتى طلعت علينا طلائع العدو وغرر الجياد ثواراً لا زواراً ، فما كان

إلا هنيهة حتى أحرزوا الأموال ، وهو يسألني ما الخبر؟ وأنا أستره عنه إشفاقاً عليه
وضناً به ، حتى إذا علت الأصوات وبُرُزَت المخدرات ، رمى دثاره وثار كما يثور
الضرغام إذا أُغْضِبَ ، فأمر بإسراج فرسه ، ولبس درجَ حربيه ، وأخذ رمحه
بيده ، وركب حتى لحق حماة القوم وأنا أنظر إليه فطعن أدناهم منه فرمى
به ، ولحق أبعدهم فقتله ، فانصرفت إليه وجوه الفرسان ، فرأوه غلاماً صغيراً
لا مدد وراءه ، فحملوا عليه ، فأسرع يوم البيوت ، حتى إذا خلفهم وراءه
وامتدوا في أثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقلل كثرتهم
ومزقهم كل ممزق ، ومَرَّق كما يمرق السهم من الرمية ، وناداهم خلوا عن المال
فوالله لا رجعت إلا به ، أو لأهلكن دونه ، فتداعت إليه الأفران ، وتمايلت
نحوه الفرسان ، وتميزت له الفتیان وحملوا عليه وقد رفعوا إليه الأسنة ، ومالوا
عليه بالأعنة ، فوثب عليهم وهو يزأر كالأسد ، وجعل لا يحمل على ناحية
إلا حطمها ، ولا كتيبة إلا هزمها ، حتى لم يبق من القوم إلا من نجا به
فرسه ، ففاز بالأموال وأقبل بها ، فكبرت القوم عند رويته ، وفرحوا فرحاً
عظيماً بسلامته ، فوالله ما رأينا قط يوماً كان أصبح صباحاً وأحسن رواحاً
من ذلك اليوم ، ولقد سمعته ينشد في وجوه فتيات الحى هذه الأبيات :

تأملنَ فعلى هل رأيتن مثله	إذا حشرجت نفس الكمي عن الكرب
وضاقت عليه الأرض حتى كأنه	من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
ألم أعط كلاً حقه ونصيبه	من السمهرى اللدن والصارم العضب
أنا ابن أبي هند بن قيس بن خالد	سليل المعالي والمكارم والسيب
أبي لي أن أعطى الظلامة مُرهفٌ	وطرف قوى الظهر والجوف والجنب
وعزم صحيح لو ضربت بحدده	شماريح رضوى لانحططن إلى الترب
وعرض نقي أنقى أن أعيبه	وبيت شريف في ذراً ثعلب الغلب
فإن لم أقاتل دونكن وأحتمى	لكن وأحميكن بالطنع والضرب

وأبذل نفساً دونكن عزيزة على لأطراف القنا وطبى القصب
 فلم تصدق اللاتي مشين إلى أبي يهنئنه بالفارس البطل الندب
 وصف نهج البلاغة للإمام المرحوم الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ
 أوفى لى حكم القدر بالإطلاع على كتاب (نهج البلاغة) صدفةً بلا تعمد ،
 أصبته على تغيّر حال ، وتبلبل بال ، وتزاحم أشغال ، وعطلة من أعمال ،
 فحسبته تسلية وحيلة ، فتصفحت بعض صفحاته ، وتأمّلت جملاً من
 عباراته من مواضع مختلفات ، ومواضيع متفرقات ، وكان يخيل لى فى كل مقام
 أن حروباً شبت ، وغارات شنت ، وأن للبلاغة دولة ، ولل فصاحة صولة ، وأن
 للأوهام عرامة (١) ، وللريب دعارة (٢) ، وأن جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة ،
 فى عقود النظام ، وصفوف الانتظام ، تنافح بالصفيح الأبلج (٣) والقويم الأملج (٤) ،
 وتمتلج (٥) المهج بروائع الحجج ، وتفل دعارة الوسوس وتصيب مقاتل الخوانس (٦)
 فما أنا إلا والحق منتصر ، والباطل منكسر ، ومَرَج الشك فى خمود ، وهَرَج
 الريب فى ركود ، وأن مدير تلك الدولة ، وباسل الصولة هو حامل لوائها الغالب ،
 أمير المؤمنين على بن أبى طالب ؛ بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع
 أحس بتغيّر المشاهد ، وتحول المعاهد ، فتارة كنت أجدنى فى عالم تعمره من المعانى
 أرواح عالية ، فى حلال من العبارات الزاهية ، تطوف على النفوس الزاكية ، وتدنو
 من القلوب الصافية تُوحى إليها رشادها ، وتقوم منها منادها ، وتنفر بها عن
 مداحض المزال إلى جواد الفضل والكمال ، وطورا كانت تتكشف لى الجملى عن
 وجوه باسرة ، وأنياب كاشرة ، وأرواح فى أشباح النمرور ، ومخالب النصور ،
 وقد تحفزت للوثاب ، ثم انقضت للاختلاب فخلبت القلوب عن هواها ، وأخذت

(١) العرامة : الشراسة (٢) الدعارة : سوء الخاق (٣) الصفيح :
 السيف ، والأباج : اللمع البياض (٤) الرمل الأملج : الاسمر (٥) تمتلج :
 تمتص (٦) الخوانس خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاه

الخواطر دون مرماها ، واغتالت فاسد الأهواء ، وباطل الآراء ، وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدياً فُصِّلَ عن الموكب الإلهي ، واتصل بالروح الإنساني ، فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى ، ونما به إلى مشهد النور الأجل ، وسكن به إلى عمار جانب التقديس ، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس ، وآفات كآني أسمع خطيب الحكمة ، يُنادى بأعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الأمة ، يُعرفهم مواقع الصواب ، ويُبصرهم بمواضع الارتباب ويُحذّرهم من زلق الاضطراب ، ويرشدّهم إلى دقائق السياسة ، ويهديهم طريق الكياسة ، ويرتفع إلى منصات الرياسة ، ويصعدهم شرف التدبير ، ويُشرف بهم على حسن المصير .

وصف حفلة للمرحوم المويلحي المتوفى سنة ١٩٣٠ م

لو كان لليالي لسانٌ ينطق بالفخار ، وجنانٌ يجرى بنظم الأشعار ، لأنشدت ليلة الحفلة (الخدوية) قصيدةً تسجل لها في ديوان العصور والدهور ، مالم تبلُغه ليلة قبلها في تكامل الفرح والسرور ، ولو كان الدهر يُفصح لنا يوماً عن انشراحه وابتهاجه ، لأنبأنا بأنه ادّخرها غرةً لعجبينه ، ودرةً لتاجه .

لا زالت أيام الجناب العالي ولياليه مُشرقةً بالسعد والهناء ، مُتألقة تآلق البدور في أفق السماء .

ووصف أيضاً متحفاً من مقامة له

قال عيسى بن هشام : زایلنا الأهرام وخليناها ، تندبُ من شادها وتنعي من بناها ، وملنا إلى دار التُّحف ومستودع الآثار ، لمشاهدة ما حفظته لنا من صنوف الطرف وعيون الأخبار ، وما أخرجته الأيام من عالم الخفاء إلى عالم الظهور ، بعد أن كان سراً مكتوماً في خواطر العصور والدهور ، وما صانته بطون القبور من الفناء والدثور ، وحمته أحشاء الرُموس من العفاء والدروس وما أخبته

أرحام المعابد والهياكل من بقايا الماضين وخبايا الأوائل ، وما انكشفت عنه سُجُوف الأحقاب وديعة الأسلاف للأعقاب ، من مكنون الدفائن ومكنوز الخزائن وعجائب الفن الدقيق ، وبدائع البدع الأنيق ، وغرائب الصنع العتيق ، بليتُ في اصطحابها بطون الأيام والليالي ، وانحنت في احتضانها ظهور العصور الخوالي ، وانقلبت البحار وهاداً ، وأصبحت الوهاد أطواداً ، وغدت الأغوار أنجاداً ، وأضحى العمارُ خراباً والخرابُ عماراً ، والغمارُ سراباً ، والسرابُ غماراً ، وتمدينتُ بواد ، وتبدتُ مدائن (١) ، وبادتُ مواطن وقامت مواطن (٢) ، ومضت دول ، وزهبت أولُ إثر أول ، وبدتُ أحوالٌ وحالت ، وظهرت أعمالٌ وزالت ، وهى كما تركها أهلها ، مَصُونٌ وَضَعُهَا ، محفوظٌ. شكلها ، خبرٌ صادق ، ولسانٌ ناطقٌ تخير بالعبير ، وتحدث عن غبر :

مضت غبرات العيش وهى غواير على الدهر مكتوبٌ عليها جبايس

وصف الفونوغراف « الحاكي » للمرحوم مصطفى بك نجيب المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ مثال القوة الناطقة ، من غير إرادة سابقة ، يقتطف الألفاظ. اقتطافاً ، ويختطف الصوت اختطافاً ، مطبعة الأصوات ، ومِرآة الكلمات ، ينقل الكلام من ناحية إلى ناحية ، نقل كلام عمر رضى الله عنه إلى سارية (٣) أشد من الصدى في إعادة الصوت على أصله ، كأنه الحروف على يد الطابع ، والوتر عن يد الضارب والقصب على فم القاصب ، يحفظ الكلام ولا يبيده ، ومتى استعدته منه يعيده ، من غير أن يبقى لفظاً في صدره ، أو يكتُم شيئاً من أمره ، كأنما حفظ. الوديعة في نفسه طبيعة ، فلو تقدم له الوجود في مرتبه الزمن لما احتجنا في الإخبار إلى عنعنة (٤) ، ولا في الدعاوى إلى بيئته ، بل كان يُسمِعنا كلام السيد المسيح في المهد ،

(١) البادية : الصحراء (٢) مواطن الأولى - جمع موطن - أى مكان الانسان ومقره ، ومواطن الثانية : مشاهد الحرب (٣) ابن زيد الذى ناداه عمر رضى الله عنه على المنبر (٤) مراده الأخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم التى تروى عن فلان عن فلان .

وصوت عاذر(١) من اللحد، وكانت استودعته الفلاسفة حكمتهم، وأنشدوه
كلمتهم، فرأينا غرائب اليونان وبدائع الرومان؛ وربما سمعنا خطب سحبان
وشعر سيدنا حسن بذلك اللسان، وأصبح وجود الإنسان غير محدود بزمن
من الزمان. لله دره من تلميذ يستوعب ما عند المعلم، ويستخلصه في لحظة
معيدا لقوله، زاقلا لصوته ونفظه:

لقد وجدت مكان القول ذا سعةٍ فإن وجدت لساناً قائلاً فقل
نديم ليس فيه هفوةٌ النديم، وسمير لا ينسب إليك تقصير، تُسكنه
وتستعيده تدمه وتستجيده، تنقصه وتستزیده، وهو في كل هذه الأحوال
راضٍ بما يقال، لا يكل من تحديث، ولا يملُّ من حديث، نمامٌ ينمُّ لك كما ينم
عليك، وينقلُ لغيرك كما ينقلُ إليك، فهو المصورُّ لكلِّ فن، المتكلمُ بكلِّ
لُغة، المتحدثُ عن كلِّ إنسان، المؤرِّخ لكلِّ زمان، الشاعر النائر، المغنى العازف
لا تعجزه العبارة، ولا يُجهدُه الأداء، ولا يضرُّه اختلافُ شكل، ولا تباينُ أصل
بل تعهدت شدة حفظه للبشرية من اللغات، إلى حفظ أصوات العجاوات
إلى اصطكاك الجمادات

وقال ووصف أيضاً نظارة ويشكر من أهداها:

ورد الكتابُ المطرُزُ بحلى الكرم. المحلى بجميل النعم، واستلمت الهدية
فسلمت يدُ أهدتها، وحفظتُ السجايا التي محاسن الأعمال هدتها، ودامت
رحابُ مثل هذه الحسنات فيها مجال، وللمحسنات بهاء وجمال، وللآمال محط
رحال، وللمقاصد كعبة إقبال، وطابت نفسُ تعالى الله أن تماثلها نفسُ عصام
فإنها نسخت آية الكرِّ والإقدام، بآية الجود والإكرام، وفعلت في القلوب
بالعطاء والنوال، ما قصرت عنه الرماح الطوال؛ وتاملتها فأرتنى الاعين رأت

(١) هو الذي أحياه عيسى عليه السلام.

وأظهرت من محاسن المناظر ما أمرت وقربت كلَّ منظور بعيد ، وتلت
« فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » وصفا وقتي بصفائها ، فلم
أشته شيئا إلا جمعت بينه وبينى ، وصحَّ علينا قولُ القائل : « رأيت بعينها
ورأت بعيني » ثم سرحت نظري في الأطلال والرُسوم ، حتى نظرتُ نظرة في
النجوم فلم تُخف عني شجراً ولا مدرّاً ، ولا نجماً ولا قمراً :

يزيد وجهها حسناً إذا ما زدته نظرا

ببهاء يخيل لي أنها صيغت من ضياء ، فلا عيب فيها غير أني نظرتُ
بها في سماء فضلك الباهر ، وأفق شركك الظاهر ، فلم ينكشف لي بها
لجودك آخر ، لا زال كرمك بعيداً حده على كلِّ ناظر وباصر ، وفضلُ
مناهلك غاية تقصدها الأوائل والأواخر .

وصف سان استفانو بالإسكندرية لمؤلف الكتاب

كتابي والقلم في البنان ، يُسَطَّر ما يمليه الجنان ، على محاسن ذلك المكان
المشهور ب (سان استفانو) . هناك ترى البحر كالمرآة تمثلت فيها السماء ،
فكأنما الماء سماء ، والسماء ماء ، وتنخال الشاطئ مرتعاً للظبيات الآنسات ،
أو سوق جمال تُباع فيه القلوب على الغانيات .

هناك الشبيبة واللعب ، والزهرُ والطرب ، وقد اعتلَّ الصبا ، وصحَّ
الصبا ، حورٌ وولدان يمرحون بنشاط. الشباب ، ويتهادون بنشوة الدلال
والإعجاب ، فمن « غادات » روائح وغاديات ، قُدودهن الرماح الطاعنات
ولحاظهن القاتلات المحييات .

ومن « ولدان » يلعبون بالكرة والصولجان ، فالكرة قلبُ المحبِّ المتيمِّ ،
والصولجان الذي يدفعها شوق العاشق المغرم ، هناك نغمات الأوتار تدعو إلى
اغتنام الأوطار ، تهدي الارتياح إلى الأرواح ، وتبديل الأفراح من الأتراح

هناك الكوؤس على قُطب الخلاعة تدور ، فهي برشقاتها الثغور ، وينورها
البدور تشرق من الحنان وتغرب في أفواه الندمان ، فيعلو الوجوه الشفق ،
فتبارك المبدع فيما خلق .

هناك فريق من أهل الهوى ، حلفاء الأسي والجوى ، يختلسون النظرات
وتحتها سهام صائبات ، تقصد قلوبهم ولا راحم لهم ، ينادون من يحبون فلا
يُجابون ، ويتذللون لعز الجمال على أنهم لا يُحَابُونَ ، يتمنون الرضا بعد الهجر
وحلو اللقاء بعد الصبر ، وفريق آخر قد وافاهم السعد فنادوا الأمانى ، تعلق وجوههم
نصرة النعيم بما زالوه من إشارة أو تسام ، يتبادلون التحيات بالحواسب ،
ويشفقون على القلوب فيضعون الأيدي فوق الترائب ، حتى إذا الليل سجا ،
وسترهم رداء من الدجى ، يتلاقون إلى جانب اليم ، ويتهامون والفم قريب
من الفم ، تراهم على الأرائك جنباً بجنب ، وعنقاً على كتف ، مبتعدين عن
العيون هنا وهنا ، وقد بلغوا الآراب والمئى ، يجتنون الثمر من السمر ، ويلثمونه
الراح بالراح ، ولا يزالون في مسرة وهناء وأنس وصفاء ، حتى يُنادى منادى
الموائد بحى على شهي الطعام ، وهلموا إلى رائق المدام ، فيجلسون مثنى وثلاث
ورباع محفوظين بيانع الأزهار ، مستضيئين بأزهى الأنوار ، والغلمان عن يمينهم
وشمالهم قائمون بحوائجهم ، وهم فى لباسهم كاقمار ، وفى خفتهم كلمح الأبصار
فياً كلون ويشربون ، ويضحكون وياعبون بين نغمة بالحديث الرحيم ، ونشوة
بالمدام القديم ، حتى إذا أخذت كل حاسة حظها ، وتلجلجت الألسنة فلا تفهم
لفظها ، هنالك تراهم كسرّب الطباء رائج وغاد ، هذه مائلة وهذا مُتهاد ، إلى أن
يتمشى النوم فى الجفون ، فتذبل العيون فينصرفون إلى المنام ، ويحملون
بلذيد الأحلام ، بعد أن يتعاهدوا على الأوبة ويحسنوا الختام بالتوبة .

وصف الشمس

الشمس كوكبٌ مضىء بذاته ، وهى أعظم الكواكب المرئية لنا منظراً ،

وأسطعها ضوءاً ، وأغزرها حرارةً ، وأجزلها نفعاً للأرض التي نسكنها ،
ولكثير من أخواتها ، سيارات الشمس وبناتها .

والشمس كرة متأججة ناراً ، حرارتها أشد من حرارة أى ساعور (١)
أرضي ، ويبلغ ثقلها ثلثمائة وزن من ثقل الأرض ، وهي أكبر منه جرمًا
بثلثمائة ألف وألف مرة .

وتدور الشمس على محورها من الغرب إلى الشرق مرة واحدة في نحو
خمسة وعشرين يوماً . وتبعد عنا بنحو اثنين وتسعين ألف ألف ميل
وخمسمائة ألف ميل وهي مع كل هذا العظم الهائل لاتعد في النجوم الكبرى ،
بل إن في أكثر ما نشاهد من النجوم الثابتة شمس أكبر من الشمس
بالألف الألف ، والشمس بسياراتها تابع من توابع أحدها .

وسطح الشمس مهب عواصف وزوابع نيرانية شديدة ، تشير في جوها
أشوطة (٢) هائلة تندلع (٣) ألسنتها المتأججة عن محيط . كرتها أميالاً ، وقد
وصف بعض العلماء لها ارتفاع من سطحها لأول وهلة نحو أربعين ألف
ميل في الفضاء ، ثم ازداد بريقاً (٤) ثم ارتفع بعد نصف ساعة إلى خمسين
وثلاثمائة ألف ميل ، ثم جعل يَضُول ويضعف ، فلم يمض ساعتان حتى اضمحل
اضمحلالاً ، غير أن ما وصفه هذا العالم ليس إلا من قبيل النوادر ، ولكن
ارتفاع اللهب نحو مائة ألف ميل ليس بغير العادى وكثيراً ما تبلغ سرعة اللهب مائة
ميل في الثانية ، وأكثر مادة الشمس من عنصر المُنخذي (الأيديروجين) المتقد .

وبرصد الشمس مراراً بالمرقب المغشى بالسواد شوهد في صفحة قرصها
نكت سود ، وكلف يشوه مجيها ، كأنما هي كرة سوداء الباطن غلفت

(١) الساعور : النار نفسها أو موقدها (٢) الشواظ اللهب

(٣) اندلاع اللسان خرج من الفم . (٤) تالوا

يَسْطَحُ اسطاع من الصعادات يَتَخَلَّلُهُ نَقَبٌ يَظْهَرُ تَحْتِهَا السَّوَادُ ، ولا تزال حقيقة هذه البقع موضوع البحث والتعليل عند الفلكيين ، ومن تنقل هذه النكت عرفت دَوْرَها على مَحْوَرِها .

وللشمس سياراتٌ أو أبناءٌ انفصلت منها منذ أزمانٍ سحيقة ، عَلِمَ منها إلى الآن نحو ثمانية ، هي على ترتيب الأقرب منها فالأقرب : عطارد ، فالزهرة ، فالأرض ، فالمریخ ، فالمشتری ، فزحل ، فأرانوس ، فنبوتون . ولم تعلم كل شئون هذه السيارات حق العلم ، وإنما أَلَمَّ العلماءُ بمعرفة مَوادِها وكثافتها وأبعادها .

ولكن أمر الحياة فيها لم يَزَلْ مبهماً مستغلقاً - اللهم إلا في الأرض وقمرها . أما مقدارُ النعم التي سخرها الله لنا بوجود الشمس مما لا يُحْصِيه العَد ، فهي مبعثُ حياتنا وحياة الحيوان الذي يعيش معنا ، ومصدرُ نورنا ونازنا وحرنا وبردنا ، وهي التي تحيل مياه البحار بخاراً ، وتقلها في الجو غيوماً ، وتنزلها على الأرض أمطاراً ، حيث تجرى جداول وأنهاراً ، فتروى زرعنا ، وتنمى غراسنا وتشيرُ الرياح ، وتطلعُ الأنواء ، وتزجي (١) السفنَ والبواخرَ في عباب الماء وتدفعُ القَطَرَاتِ الحديدية ، وتديرُ الآلات البخارية ، وتنيرُ المصابيحَ الدخانية والزيتية إذ ليس الفحمُ الحجري والزيتُ الأرضي إلا حرارة نارها المدخرة منذ قديم الدهور ، لينتفعَ بها أحياء هذه العصور ، وما النهار المبصرُ ، والليلُ المظلمُ إلا آيتان من آيات الله المسخرة لنا بتسخير هذا المخلوق العجيب ، ففي النهار نسعى في مناكب الأرض لابتغاء رزقنا ، وتديبير معاشنا ، وتنظيم شئون حياتنا ، ونسبح بحمد ربنا ونعتبرُ بآثار من سبقنا ، وفي الليل نسكنُ لإراحة أبداننا ، واستجماع (٢) قوانا ، واستيفاء حظنا من النوم الذي به نستديمُ صحتنا ، ونستعيضُ ما فقدناه بأعمالنا ، وننظر في

(١) تسير .

(٢) استجماع .

ملكوت السموات وما خلق الله من شيء في حركات الكواكب وانتقالها ،
 وبتدبير صورها وألوانها ، فتعنو وجوهنا ، ويتضاءل كبرياؤنا ، أمام قدرة
 خالقنا العظيم ، فسبحانه من إله حكيم .

وما الألوان التي نراها في نور الأزهار ، وريش الأطيوار ، ونفائس
 المصنوعات إلا أثر وقوع أضوائها على هذه المرئيات وانعكاسها (١) على أبصارنا ؛
 فإن نور الشمس الأبيض مؤلف من سبعة ألوان أصلية (٢) تنشأ منها كل
 الألوان الفرعية وهي : الأحمر ، والبُرْتُقَالِي ، والأصفر ، والأزرق ، والأخضر
 والتيلجى ، والبنفسجى . فمن الأجسام ما لا يمتص شيئاً من هذه الألوان ،
 بل يعكسها كلها على العين ، فيبدو أبيض ناصعاً كزهرة الياسمين ، ومنها
 ما يمتص بعضها ويعكس باقيها ، فيتلون بلون ما يعكس منها ، فإذا أبصرت
 ورقة الشجر خضراء عرفت أنها اختزنت من ضوء الشمس ستة ألوان ، وردت
 إلى عينيك سابعها وهو الأخضر لأن فيما ادخرته نفعاً لها ، وليس بها إلى
 ما لفظته افتقار ، ومنها ما يرد لونين أو أكثر ، فيبدو لونه مزيجاً بين
 هذه الألوان السبعة ، وهذه الألوان من عجائب صنع الله في الأرض لتمييز
 بعضها من بعض ، فقد يماثل الشيطان شكلاً وحجماً وصلابةً وليناً وشمماً ،
 ثم لا يتباينان إلا من حيث اللون فيكون اللون آيةً تباينهما ، وأكثر
 ما يكون ذلك في الأزهار .

وتنوع الألوان هو السرُّ في جمال المرئيات من مشاهد الطبيعة وبدائع
 الصناعة . وإن أعظم المصورين وأمهر النقاشين لم يبرزوا على غيرهم ، ويدلوا
 على ذكائهم ونبوغهم إلا ببراعتهم محاكاة ألوان الطبيعة المتلفة وأشكالها
 المتجانسة ، وإنما يتم لهم ذلك إذا عرفوا كيف يمزجون من الأصباغ ما
 يستخدمون به ألوان النور خيراً استخدام ، وينتفعون به أحسن انتفاع ،

(١) انعكس مضارع عكس كما في الأساس .

(٢) أمكن ارجاع هذه الألوان في الصناعة الى ثلاثة .

وقد سخر علماء الطب تباين الألوان في كشف النقاب عن حقائق الجراثيم ،
فإنَّ منها ما لا يتضح للعين في المِجْهَرِ إِلَّا إِذَا أُتِيَ عَلَيْهِ صَبْغٌ خَاصٌّ يُؤَثِّرُ
فيه فيُصْبِغُ به .

ولأمواج الشمس الضوئية سرعة معلومة تسيرُ بها ، فاذا انخفضت هذه
السرعة عما هي عليه لم تعد العينُ قادرة على رؤيتها ، لأنها تستحيل إلى مظهرٍ
آخر غير مظهر الضوء والحرارة ، وليس ينكر ما للضوء والحرارة معاً من الأثر
الحسن في تنقية المساكن مما يَقْطُنُها من الجراثيم القتالة ، والعفن المضني ، ولذلك
قيل إنَّ الدار التي تدخلها أشعة الشمس لا يدخلها الطبيب .

وصف القمر

القمرُ أجملُ الكواكب صورةً ، وأبينها منظرًا ، وأسهلها رصدًا ، وأكبرها
في رأى العين بعد الشمس جرماً ، وهو سيارٌ كرويٌّ أصغر من الأرض بنحو
تسع وأربعين مرةً ، انفصل منها زمن التكوين وصار تابعاً لها ، طائفاً حولها ،
مستمداً نوره من الشمس مثلها دائراً حول الشمس معها ، غير أنَّ طواف الأرض
بقمرها حولها يتم في سنة شمسية ، وطواف القمر حول الأرض يتم في شهر
قمرى : أى مئة تسع وعشرين يوماً ونصف يوم تقريباً ، ومع أنه خاضع لنظام
الأرض لا يقلُّ بعده عنها عن واحد وعشرين ألفاً ومائتى ألف ميل .

والذى يسترعى أنظارنا كما استرعى أنظار من قبلنا اختلاف أشكاله وتعدد
مطالعه ، مما جعله مبعث تخيل القُدَمَاءِ ، ومشار تفكر الحكماء ، ومقصداً لعبادة
الجُهَلَاءِ ، فتراه يلوح ليلة أول الشهر إثر غروب الشمس ضئيلاً مُقَوَّساً ، لا يلبثُ
أن يغرب ويغيب في شفق الشمس ، ثم يهل في الليلة الثالثة أبين صورة وأبقى
زمنًا لازدياد تأخره في الغروب عن الشمس ، ولا يزال نوره في تزايد ، ومطالعه
في تقدُّم نحو المشرق حتى يطلع من المشرق في الليلة الرابعة عشرة عند غروب

الشمس بدرًا كاملاً ، بهيّ الطلعة باهرَ الأنوار ؛ فتبارك الله أحسن الخالقين .
ولكنّ الكمال لله وحده ، فإنّ مُنتهى الزيادة مُبتدأ النقص ، ففي الليلة
الخامسة عشرة يتأخر طلوعه من المشرق ، وينقُص من حافة نوره التي كانت
موضع هلاله الأول زيقٌ لا يُشعرُ به إلا في الليالي التالية ، ولا تزال مطالعُه في
تقهقر ونوره في تناقص حتى قرب آخر الشهر فيشرق قبيلَ الفجر هلالاً ضئيلاً
يكادُ يكونُ منقلبَ الهلالِ الأول ، في الليلة الأخيرة يكونُ عند الصباح في
الأفق الشرقي مُظلمًا لا يرى منه شيء ، وهو ليلة المحاق أو السرار ويظل بعضُ
النهار كذلك ثم يتولدُ هلاله الجديد ، ولكنه لا يظهر إلا بعد أن يغيب
قرص الشمس فيلوح هلاله ، ثم يختفي كما قدمنا .

وعِلَّة ذلك : أن نورَ القمر كنور الأرض مُستفاد من الشمس ، وهو لا
يُقابل الأرض إلا بوجهٍ واحد لا يتغير ، وهذا الوجه بالنسبة إلى حركته مع
الأرض حول الشمس لا يقابل الشمس مقابلةً تامةً إلا في وضع واحد ومرة
واحدة هي الليلة الرابعة عشرة ، فيغشاه ، نورها ويصير بدرًا ، أما بقية الليالي
التي قبلها والتي بعدها فينحرفُ قليلاً أو كثيراً عنها ، حتى يصير كله ظلاماً
ليلة المحاق ، فيطوى خبره ويكون الوجه الآخر الذي لا يرى لنا بدرًا كاملاً ،
ثم يتولدُ هلاله خلقاً جديداً .

وكذلك شأن الأرض في استمداد نورها أو ما نسميه نهاراً ، ولو كان في
القمر سكان ، لكانت الكرة الأرضية في رأى أعينهم أكبر كوكب في السماء ،
ولشاهدوها أكبر من الجرم الذي نشاهد القمر عليه أضعافاً مضاعفة ولكانت
عندهم أروع جمالاً وأبداع من قمرهم في نظرنا تشكلاً ، فبدورانها على نفسها
يرونها كلها جزءاً فجزءاً ، وتظهر قاراتها ومحيطاتها واضحة عليها في وقت
الصحو ، ومُظلمةً بعضها بالغمام في وقت الدجن ، وتبدو أهلتها وبُدورها
ضخمة باهرة ، ولكن لا يراها إلا سكان النصف المقابل لنا أو الذين يريدون
التفرج برويتها من أهل النصف الثاني .

ولقرب القمر منا وخلو جوّه من الهواء سهل رصده علينا ، فترى في صفحته عند الشروق ليلة التمام كثيراً من المَحْو (١) يجعلُ صورته أشبه بوجه إنسان ذى أنف وفم وحاجبين وعينين إحداهما مُغضيةٌ ، ولا يزال كذلك حتى يتعدى خطّ زوال مكان الناظر . فإذا مال إلى المغرب انحرفت هذه الصورة حتى يصير عاليها سافلها ، وليس هذا المحو إلا ظلام بطون الأودية والسهول البعيدة الغور وظلال الجبال والهضاب الشاهقة الطول شهوقاً يكاد يمنع استدارته . أما قمم الجبال وسطوحها المقابلة للشمس فتترى لامعة ساطعة فتبين سلاسل الجبال طرائق مضيئة وقممها نقطاً لامعة وفوهات جبال ناره الشديدة السعة ، البعيدة الغور التي تعد بعشرات الألوف ، كأنها حلقات وسطها نقط سود .

وقد ظن القدماء في علّة المحو ظنوناً ، بعضها صادف الحقيقة ، وبعضها جانبها حتى ظهر غاليليو ، واخترع سنة ١٦٠٦ ، مرقباً يقرب الأشباح ثلاثين مسافة فأثبت وجود الجبال والأودية فيه ، وزاد عليه غيره في تحسين المراقب الكبيرة حتى أصبح القمر يرى كأنه على بُعد أربعين ميلاً منا ، على أن هذا القرب لا يجعلنا نرى الأشباح الصغيرة التي من نوع الحيوان لتتحقق أن للقمر سكانا كما للأرض أو لا ؟ ولكن قد أصبح من المرجح إن لم يكن من المحقق أنه خالٍ من الماء ومن السحاب والضباب الناشئين منه ومن النبات ، إذ لو كان به شيء منها لتغيّر شكله من حال إلى حال ، ويشك أن له هواءً ، وإن كان له هواءً فلعله لا يزيد على قمم جباله ، ولا شك أن الماء والهواء هما ينبوعا الحياة ، وتجرده منهما ، وخمود جبال ناره ، ويُبس جرمه يجعل برده شديداً جداً في الليل ، وحرّه عظيماً جداً في النهار على فرط طولهما البالغ فيه خمسة عشر يوماً مما يجعل الحياة فيه متعسرة بل مستحيلة ، اللهم إلا أن تكون حياة غير حياتنا .

(١) المحو : السواد في القمر .

وَيُرْجِحُونَ أَنَّ الْقَمَرَ كَانَ فِي أَزْمَانٍ سَحِيقَةٍ عَلَى طَبِيعَةٍ تَقْرُبُ مِنْ طَبِيعَةِ
أُمَّةِ الْأَرْضِ ، فَكَانَ آهِلًا بِالْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتِ ، إِلَّا أَنْ صَغَرَ جِسْمُهُ جَعَلَهُ يَسْبِقُ
الْأَرْضَ فِي الْيُبْسِ وَالْبُرُودَةِ فَتَقَبَّضَ وَبَرَدَ وَانْتَهَتْ دُنْيَاهُ ، وَأَصْبَحَ كِاسْفَنَجَةً
مَشَعَثَةً ذَاتِ شَعْبٍ وَنَخَارِيبٍ (١) تَكْوِينُهَا مِنْ جَنَسِ تَكْوِينِ الْأَرْضِ .

وَلَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْقَمَرَ مَسْخَرًا لِأَهْلِ الْأَرْضِ خَاصَّةً ، فَهُوَ يَعْكَسُ نُورَ الشَّمْسِ
عَلَيْهِمْ هَدَايَةً لَهُمْ فِي ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَلَقَدْ قَضَى الْإِنْسَانُ عُصُورًا وَدُهورًا
وَلَيْسَ لَهُ مَصْبَاحٌ فِي جُنْحِ الظَّلامِ غَيْرِهِ ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ لِأَهْلِ الْبَدْوِ وَقِبَائِلِ
الْهِمَجِ . وَهُوَ بِاخْتِلَافِ أَشْكَالِهِ تَقْوِيمُ فِطْرِيٍّ لَهُمْ فَبِإِهْلَالِهِ يُعْرَفُ أَوَّلُ الشَّهْرِ
وَبِالتَّرْبِيعِ الْأَوَّلِ يُعْرَفُ رُبْعُهُ ، وَبِإِدْرَاهِ (٢) يُعْرَفُ نِصْفُهُ ، وَبِالتَّرْبِيعِ الْآخِرِ
ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِهِ ، وَبِمَحَاقِهِ تُعْرَفُ نَهَائِيَّتُهُ .

وَإِذَا مَرَّ الْإِنْسَانُ عَلَى النَّظَرِ فِي تَقْدِيرِ ضَوْئِهِ ، وَأَوْقَاتِ مَطَالَعِهِ ، عَرَفَ
الشَّهْرَ يَوْمًا يَوْمًا ، وَاللَّيْلَ سَاعَةً سَاعَةً ، قَالَ تَعَالَى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ
قُلْ هِيَ مَوَاقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّجِ » .

وَبِاتِّحَادِ جَذْبِهِ مَعَ جَذْبِ الشَّمْسِ لِلْأَرْضِ يَنْشَأُ الْمَدُّ وَالْجَزْرُ ، وَفَائِدَتُهُمَا
فِي تَسْهِيلِ الْمَلَاحَةِ لِاتِّكْرَافِ ، فَكَمْ مَوَاقِفَ وَمَرَاقِفَ لَوْلَاهُمَا لَسُدَّتْ بِرِوَاسِبِ
الْأَنْهَارِ وَالسِّيُولِ .

وَلِضَوْءِ الْقَمَرِ فِي إِنْضَاجِ الثَّمَارِ وَالْبِقُولِ أَثَرٌ أَيْمًا أَثَرٌ حَتَّى إِنْ بَعْضُهَا لَا
يَنْمُو وَيَزْهُو لَوْنُهُ إِلَّا فِي لِيَالِيهِ الْبَيْضِ .

الفن الخامس : في المقامات

المقامة عبارة عن كتابة حسنة التأليف، أنيقة التصنيف، تتضمن نكتة

(١) جمع نخروب ، وهي الثقوب التي تكون في مثل خلايا النحل .
(٢) مصدر بدر البدر بيدر بدرا . وبالمصدر سمي هذا الكوكب عند تمام
نوره كأنه يبادر الشمس بالشروق في ليلة التمام عند غروبها .

أدبية ، ومدارها على رواية لطيفة مختلفة تُسندُ إلى بعض الرواة ، ووقائع شتى تُعزى إلى أحد الأدباء ؛ والمقصود منها غالباً جمعُ دُررٍ وغرر البيان ، وشوارد اللغة ونوادير الكلام ، منظوم ومنثور ، فضلاً عن ذكر الفرائد البديعية ، والرقائق الأدبية ، كالرسائل المُبتكرة ، والخُطب المُحبرة ، والمواعظ المبيكية والأصاحيك الملهية (١) ولنذكر منتخباتٍ من مقامات مختلفة فنقول :

قال الحريرى (٢) المتوفى سنة ٦١٥ هـ - المقامة التاسعة الاسكندرانية :

أخبر الحارث بن همّام قال : طحاني (٣) مَرَحُ (٤) الشباب وهوى الاكتساب (٥) إلى أن جُبِتُ (٦) ما بين فرغانة (٧) وغابة (٨) أخوضُ الغمار (٩) لأجنى الثمار وأقتحم الأخطار (١٠) لكى أدرك الأوطار (١١) ، وكنتُ لقفتُ من أفواه العلماء وثقفت (١٢) من وصايا الحكماء ، أنه يلزمُ الأديب الأريب (١٣) إذا دخلَ البلد الغريب ، أن يستميل قاضيه (١٤) ويستخلص مراضيه ليشد ظهره عند الخصام ، ويأمن في الغربة جور الحكام ؛ فاتخذتُ هذا الأدب إماماً وجعلته لمصالحى زماماً ، فما دخلت مدينة ، ولا ولجت عرينة إلا وامتزجت

(١) اعلم أن المقامات تعرف بالمكان الذى تجرى فيه فيقال المقامة الحلبية أو الموصلية بناء على أن محل وقوعها حلب أو الموصل ، وربما نسبت الى الروى عنه ، ويستحب فى راوى المقامة أن يمثل رجلاً ظريف النفس كثير الأسفار حسن الرواية متفرغاً لفنون الأدب جاداً فى طلب غرره كادا ذهنه فى تحصيل درره كالحارث بن همّام فى المقامات الحربية وعيسى بن هشام فى المقامات البديعية ، ومخترع هذا الفن هو بديع الزمان الهمدانى وبعده الحريرى ، واشتهر بعدهما كثيرون ممن نسجوا المقامات على منوالهما وان لم يبالغوا ساوهما .

(٢) تقدم أنه توفى سنة ٦١٥ هـ (٣) ذهب بى . (٤) هو النشاط وشدة الفرح (٥) أى محبة اكتساب المال (٦) قطعت (٧) بلد بأقصى المشرق (٨) مدينة بالمغرب (٩) بالكسر جمع غمرة : الماء الكثير ، وهنا الأمور الصعبة (١٠) أى أدخل فى القحمة بالضم وهى الشدة ، والأخطار : الأمور العظيمة . (١١) الحجاب (١٢) أدركت (١٣) العاقل (١٤) يرغبه ويتراضاه .

بحاكمها امتزاج الماء بالراح ، وتقويت بعنايته تقوى الأجساد بالأرواح ؛ فيبيننا
 أنا عند حاكم الإسكندرية ، فى عشية عرية (١) وقد أحضر مال الصدقات ،
 ليُقبضه (٢) على ذوى الفاقات (٣) إذ دخل شيخٌ عفرية (٤) تعتله (٥) امرأةٌ مُصبية (٦)
 فقالت : أيدٌ (٧) الله القاضى ، وأدام به التراضى (٨) ، إني امرأةٌ من أكرم
 جرثومة (٩) ، وأطهر أرومة (١٠) ، وأشرف خؤولة وعمومة ، ميسمى (١١)
 الصون (١٢) ، وشيمتى (١٣) الهون (١٤) ، وخلقى نعم العون (١٥) ، وببنى وبين
 جارتى بون (١٦) وكان أبى إذا خطبني بُناة (١٧) المجد وأرباب الجدد ، سكتهم (١٨)
 وبكتهم (١٩) وعاف وصلتهم (٢٠) وصلتهم (٢١) واحتج بأنّه عاهد الله تعالى بحلفه ،
 أن لا يُصاهر (٢٢) غير ذى حرفة (٢٣) ، فقيض القدر (٢٤) لنسبى ووصبى (٢٥) أن
 حضر هذا الخدعة (٢٦) نادى أبى (٢٧) فأقسم بين رهطه (٢٨) أنه وفق شرطه ،
 وادعى أنه طالما نظم دُرّة ، فباعها ببدره (٢٩) فاغتر أبى بزخرفة محاله ، وزوجنيه
 قبل اختبار حاله ، فلما استخرجني من كناسى (٣٠) ورحلني عن أناسى ، ونقلني إلى
 كسره (٣١) وحصلني تحت أهله ، وجدته قعدة جُثمة (٣٢) وألغيتّه ضجعة نُرمة (٣٣)

(١) أى شديدة البرد (٢) يفرقه (٣) أى الفقراء المحتاجين . (٤) أى
 شديد الدهاء (٥) تجره بعنف (٦) أى ذات صبيان (٧) قواه ونصره
 (٨) أراد رضا الخصوم بحكمه الغالب والمغلوب (٩) أى أصل (١٠) الأرومة:
 أصل الشجرة ثم استعير لأصل الحسب (١١) علامتى ، والميسم :
 الآلة التى يكوى بها (١٢) الحفظ والعفاف (١٣) خلقتى وعاداتى
 (١٤) الرفق (١٥) أى الرفيق الظهير (١٦) أى تفاوت فى الفضل
 (١٧) جمع بان (١٨) قال لهم كلاما لا جواب له (١٩) ألزمهم الحجة
 (٢٠) كره قربها (٢١) أعطاهم (٢٢) يزوج ابنته (٢٣) صناعته (٢٤) يعنى
 قدر الله تعالى (٢٥) لتسبى (٢٦) المخادع (٢٧) مجالس أبى (٢٨) قومه
 وعشيرته (٢٩) البدره عشرة آلاف درهم (٣٠) أى منزلى ، وأصله بيت
 الظبى (٣١) بفتح الكاف وكسرها جانب بيته (٣٢) كثير القعود كثير
 الجثوم أى يلزم الموضع الذى يقعد فيه (٣٣) الضجعة والنومة أصاه
 العاجز الذى لا يتصرف ، والمعنى انه عاطل عن العمل .

صحبتة برياش وزى وأثاث (١) ورى (٢) فما برح بيبيعه فى سوق الهضم (٣) ، ويتلف ثمنه فى الخضم والقضم (٤) إلى أن مزق مالى بأسره (٥) ، وأنفق مالى فى عسره ، فلما أنسانى طعام الراحة ، وغادر بيتى أنتق من الراحة (٦) قات له : يا هذا إنه لا مخبياً بعد بوس (٧) ولا عطر بعد عروس (٨) فانهض للاكتساب بصناعتك ، واجتن (٩) ثمرة براعتك (١٠) فزعم أن صناعته قد رُميت بالكساد (١١) لما ظهر فى الأرض من الفساد ولى منه سُلالة (١٢) كانه خلالة (١٣) وكلانا ما ينال منه شبعة (١٤) ولا ترقاً (١٥) له من الطوى (١٦) دمة ، وقد قدته (١٧) إليك وأحضرتة لديك ، لتعجم (١٨) عود دعواه وتحكم بيننا بما أراك الله - فأقبل القاضى عليه ، وقال له : قد وعيت (١٩) قصص عرسك ، فبرهن الآن عن نفسك ، وإلا كشفت عن لبسك (٢٠) وأمرت بحبسك . فأطرق إطراق الأفعوان (٢١) ثم شمر للحرب العوان (٢٢) وقال :

اسمع حديثى فإنه عجبٌ يضحك من شرحه وينتجب (٢٣)
أنا امرؤ ليس فى خصائصه (٢٤) عيبٌ ولا فى فخاره ريب
سُرُوج دارى التى ولدتُ بها والأصل غسان (٢٥) حين أنتسب

(١) رياش : مال ولباس فاخر ، زى : هيئة حسنة ، اثاث : متاع البيت .
(٢) حسن حال وكثرة نعمة وهو بكسر الراء وفى الأصل اسم من روى
(٣) المراد بييعه بأقل من القيمة (٤) الأكل بأطراف الأسنان وقيل الخضم
أكل بأطراف الاسنان والقضم بمقدمها وقيل الخضم أكل الرطب والقضم
أكل اليباس : تريد أنه يصرف ثمنه فى أكل الأكل واللذات (٥) أى فرق الذى
لى بأجمعه (٦) بطن الكف لقائه من الشعر (٧) أى فقر (٨) مثل قاتله
امراة من العرب مات عنها زوجها واسمه عروس فتزوجها رجل أبحر
وأمرها أن تتعطر فقالتة (٩) أى الجنى : جمع الثمار (١٠) أى فضلك
على أقرانك (١١) هو خمود السوق وقلة البيع ضد التفاق بالفتح
(١٢) يعنى ولداً (١٣) ما يتخلل به (١٤) قدر ما يشبع به مرة (١٥) أى
لا تسكن (١٦) الجوع (١٧) أتيت به (١٨) لتقضى وتختبر (١٩) فهمت
وحفظت ما قصته زوجها (٢٠) أظهر أشكالك وتعمية أمرك (٢١) ذكر
الأفاعى أو العظيم منها (٢٢) الحرب التى قبلها وهى تكون أشد من الأولى
(٢٣) الانتحاب رفع الصوت بالبكاء (٢٤) خصاله وطباعه (٢٥) اسم ماء
نزل عليه قوم من الأزرد فنسبوا اليه منهم أبو جفنة ورهط الملوك وقيل
غسان قبيلة .

وشغلى الدرُس والتبحرُ في الع
 ورأس مالى سحر الكلام (١) الذى
 أغوص فى لُجَّة البيان فاخ
 وأجتنى (٤) اليانع (٥) الجنى (٦)
 وآخذ اللفظ فضة فاذا
 وكنت من قبل أمترى نسباً (٨)
 ويمتطى (٩) أحمصى (١٠) لحرمته
 وطالما زفَّت الصَّلَات إلى
 فاليوم من يعلق الرجاء به
 لا عرض أبناؤه يُصان ولا
 كأنهم فى عراضهم (١٦) جيف
 فحار لُبى (١٧) لما منيت به (١٨)
 وضاق ذرعى (٢٠) لضيق ذات يدى
 وقادنى دهرى المليم (٢٢) إلى
 لم طلابى وحبذا الطلبُ
 منه يصاغ القريضُ (٢) والخطبُ
 تار الآلى منها (٣) وأنتخبُ
 من القول وغيرى للعود يحتطبُ
 ما صغته (٧) قيل إنه ذهبُ
 بالأدب المقتنى وأحتلبُ
 مراتباً ليس فوقها رتبُ
 ربيعى (١١) فلم أرض من يهبُ (١٣)
 أكسدُ شىء فى سوقه الأدب (١٣)
 يرقب (١٤) فيهم إل (١٥) ولا نسب
 يبعد من ننتها ويؤجتنبُ
 من اللبالي وصرفها (١٩) عجبُ
 وساورتنى (٢١) الهموم والكربُ
 سلوك ما يستشينه (٢٣) الحساب (٢٤)

(١) هو ما لطف مأخذه وراق (٢) الشعر (٣) أى أتعق فى بليغ المعانى
 وانتقى منه الملح (٤) اقتطف (٥) الزاهى (٦) الطرى من التمر الذى
 جنى حديثاً (٧) سبكته (٨) أى اكتسب مالا (٩) أى يركب (١٠) ما
 يرتفع من باطن القدم عن الأرض (١١) أى حملت الجوائز والهدايا الى منزلى
 (١٢) أى لم أكن تحت منة كل حد بل لم أنل الا من العظاماء (١٣) أى أن ما
 يتعلق به الأمل ويرجى منه النوال لا يستعمل الأدب والمعارف حتى صار
 ذلك كالسعة الكاسدة عنده . (١٤) يحفظ (١٥) بخفض الهمزة وتشديد
 اللام - العهد والقرابة والجوار (١٦) جمع عرصة وهى فناء الدار أى كأنهم
 فى مواضعهم (١٧) تحير عقلى (١٨) بليت به (١٩) تقلبها (٢٠) القبض
 قلبى (٢١) انتابتنى وغلبتنى (٢٢) الذى يأتى بما يلام عليه (٢٣) يستشعه
 (٢٤) ما يعد من مفاخر الاباء أو الدين وقيل الكرم .

فبعث حتى لم يبق لى لبد ^(١)	ولا بتات ^(٢) إليه أنقلب ^١
وَأَدْنَتْ ^(٣) حتى أثقلت سالفتى ^(٤)	بحمل دَيْنٍ من دونِهِ العطب ^١
ثم طويت الحشا على سغب ^(٥)	خمساً ^(٦) فلما أمضى ^(٧) السغب ^١
لم أَرَّ إِلَّا جهازها عرضاً ^(٨)	أَجولُ في بيعه وأضطرب ^١
فَجَلْتُ فيه والنفس كارهة ^١	والعين عبرى ^(٩) والقلب مكثب ^(١٠)
وما تجاوزت ^(١١) إذ عَبَّثْتُ ^(١٢) به	حَدَّ التَّرَاضَى ^(١٣) فيحدث الغضب ^١
فإن يكن غاظها توهمها ^١	أَنْ بنانى بالنظم تكتسب ^١
أو أَننى إذ عزمت خطبتها ^١	زخرفتُ قولى لينجَحَ الأرب ^(١٤)
فوالذى سارت الرفاق ^(١٥) إلى	كعبته تَسْتَحِثُّهَا ^(١٦) النُّجُبُ ^(١٧)
ما المكر بالمحصنات ^(١٨) من خلقي	ولا شعارى ^(١٩) التمويه ^(٢٠) والكذب
ولا يدي مُدُّ نَشَاتٍ نَيْطَ. بها ^(٢١)	إِلَّا مواضى اليرَاع ^(٢٢) والكتب ^١
بل فكرتى تنظم القلائد ^(٢٣) لا	كفى وشعرى المنظوم لا السُّخْبُ ^(٢٤)

(١) يقال ماله سبد ولا لبد أى لاشعر ولا صوف والمراد ذوات الشعر والصوف من المواشى ، وأراد الحريرى أنه لم يبق له كثير ولا قليل كناية عن شدة الفقر والحاجة (٢) الزاد ومتاع البيت (٣) تداينت (٤) صفحة العنق وقيل مقدمه (٥) جوع (٦) خمس ليال (٧) أحرقتى (٨) حطام الدنيا ، وهو المال قل أو كثر (٩) دامعة باكية (١٠) حزين (١١) تعديت (١٢) فعلت به ما لا يلبق فعله (١٣) أى حد الرضا (١٤) الحاجة (١٥) جمع رفقة ، وهو جمع رفيق (١٦) تستعجها (١٧) جمع نجبية ، وهى الكريمة من الأبل (١٨) جمع محصنة أى النساء العفاف . (١٩) تخلقى (٢٠) تزيين الكلام وأصله أن يطأى المعدن غير الذهب والفضة بأحدهما أو الفضة بالذهب (٢١) علق بها (٢٢) جمع يراعة وهى القصبة الجوفاء والمراد بها الأقلام (٢٣) جمع قلادة أصله ما تقلد به المرأة من الذهب والمراد ما ينظم من القصائد والأشعار (٢٤) جمع سخاب وهو القلادة من القرنفل والمسك ليس فيها من الجواهر شئ تجعل فى أعناق الأطفال .

فهذه الحرفة المشارُ إلى ما كنت أحوى بها وأجْتَلِبُ
فَأَذُنْ لشرحى كما أذنتَ لها وَلَا تُرَاقِبْ (١) واحكم بما يجبُ
قال : فلما أحكم ما شاده (٢) ، وأكمل إنشاده ، عطف القاضى إلى الفتاة ،
بعد أن شغف (٣) بالأبيات ، وقال : أما أنه قد ثبت عند جميع الحكام ، وؤلاة
الأحكام انقِرَاضُ (٤) جيل الكِرَام (٥) وميل الأيام إلى اللثام ؛ وإنى لإخال (٦)
بَعْلِكَ (٧) صدوقاً فى الكلام بَرِيّاً من الملام ، وها هو قد اعترف لك بالترض ،
وصرح عن المخض (٨) ، وَبَيَّنَ مُصْداقَ النظم ، وتبين أنه معروف العظم (٩) ،
وَإِعْتَنَاتُ المَعذِر مَلَامَةٌ (١٠) ، وحبس المعسر (١١) مَلَمَةٌ (١٢) ، وكتمان الفقر زهادة
وانتظار الفرج بالصبر عبادة ، فارجعنى إلى خدرك (١٣) ، واعذرى أبا عُدْرِكَ (١٤)
وَنَهْنِهِ من غَرَبِكَ (١٥) ، وسلمى بقضاء ربك - ثم إنه فرض لهما فى الصَّدَقَاتِ
حِصَّةً ، وناولهما من دارهما قبضة (١٦) . وقال لهما : تعلقا (١٧) بهذه العُلالَة (١٨) ،
وتنديا بهذه البلالة (١٩) وصبراً على كيد الزمان وكده ، فعسى الله أن يأتى بالفتح

(١) أى لا تنظر الى واحد منا والمراد لا تعدل عن الحق (٢) أى اتقن ما
بناه والانشاد من أشاد البناء اذا طلاه بالشيء وهو الجص . (٣) ويروى
بالعين المهملة من شغف الحب فؤاده أى علاه وشمله - وبالعين المعجمة أى
فتن وبلغ حبها شغافه ، وهو غلاف القلب . (٤) انقطاع وفناء (٥) أى
جماعة الكرم ، والجيل أهل زمان واحد (٦) بكسر الهمزة - أى لا أظن
(٧) زوجك (٨) الخالص (٩) كناية عن الهزال يقال عظم معروف اذا أخذ
ماعليه من اللحم (١٠) الاعتات : الحمل على المشقة الشديدة والمعذر
البالغ فى العذر أو هو الذى يأتى بما يعذر به ويطلق على المحقق العذر ،
وعلى الذى بان عذره والملامة اللؤم . (١١) العاجز عن قضاء الدين .
(١٢) ايلام (١٣) بيتك وسترك (١٤) أبو عذر المرأة أول زوج لها .
(١٥) أى كفى وازجرى نفسك عن الحدة (١٦) هى ما يتناوله الانسان
بأطراف أصابعه (١٧) تشاغلا وتلاهيا (١٨) ما يتعلل به وأصلها بقية الأبن
(١٩) قدر ما يبيل به الشيء واسم لبقية أيضاً

أو أمرٍ من عنده ؛ فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الإِسار (١). وهزّة الموسر بعد الإِعسار .

قال الراوى : وكنت عرفت أنه أبو زيد ، ساعة بزَعَت شمسه ، ونزعت (٢) عرسه وكدتُ أفصح عن افتنانه (٣) ، وأثمار أفنانه (٤) ثم أشفقت (٥) من عُثور (٦) القاضى على بُهتانه (٧) ، وتزويق (٨) لسانه ، فلا يرى عند عرفانه (٩) أن يُرشحه (١٠) لإِحسانه ، فأخجمت (١١) عن القول إحجامَ المرتاب (١٢) ، وطويت ذكره كطىّ السّجل للكتاب (١٣) ، إلا أنى قلت بعد ما فصّل (١٤) ووصل إلى ما وصل ، لو أن لنا مَنْ يَنْطلق فى أثره لأتانا بفصّ خبره (١٥) ، وما يُنشر من حَبْرِهِ (١٦) ، فاتّبعه (١٧) القاضى أحدُ أمثائه ، وأمره بالتجسّس (١٨) عن أنبيائه (١٩) ، فما لبث أن رجع مُتدهداً (٢٠) ، وقَهَقَر مُتَهقهاً (٢١) ، فقال له

(١) القيد الذى يشد به الأسير (٢) خبث والنزع الذكر بالقبيح والافساد بين الناس ومعناه خاصته عرسه (٣) يقال افتن الرجل فى حديثه اذا جاء بالافانين وهى الأساليب والمراد هنا تصرفه فى الفنون والمعارف (٤) جمع فنن بالتحريك وهو طرف الغصن (٥) خفت (٦) اطّلاع . (٧) كذبه (٨) التزويق التحسين ، والتزويق مأخوذ من الزاويق ، وهو الزئبق (٩) معرفته (١٠) الترشيح والتربية ، والتأهيل من ترشيح الطيبة ولدها ، لأنها اذا بلغ ولدها السعى سعت به حتى عرق فتقوى ، ويأتى بمعنى التقوية أيضا (١١) تأخرت (١٢) الشاك (١٣) السّجل : الصحيفة فيها الكتابة - أى كما تطوى الصحيفة الكتابة (١٤) ذهب . (١٥) بحقيقة حاله (١٦) الحبر أردية يمانية موشاة جمع حبرة وهى : ما تلبسه المرأة المصرية ، والمراد ما يذكره من الكلام المسجع الشبيه بالحبر فى الحسن . (١٧) أى أرسل وراءه من يتبعه (١٨) أى بالبحث سرا بحيث لا يشعر (١٩) أخباره (٢٠) التدهده : الاسراع من دهدت الحجر اذا درجته وتبدل الهاء الأخيرة ياء فيقال تدهدى تدهديا . (٢١) القهقرى المشى الى الوراء ، والقهقهة الضحك بصوت مرتفع .

القاضي : مهيم (١) يا أبا مريم (٢) ؟ فقال له : لقد عاينت عجباً ، وسمعت ما أنشأ
لي طرباً . فقال له : ماذا رأيت ؟ وما الذي وعيت ؟ قال : لم يزل الشيخ مذخرج
يُصَفِّقُ بيديه ، ويخالف بين رجليه (٣) ، ويُغَرِّدُ بملءِ شذقيه . ويقول :

كذتُ أَصْلِي (٤) بِبَيْتِهِ من وقاح (٥) شَمْرِيهِ (٦)
وَأزورُ السُّجْنَ لولا حاكم الإسكندريه

فَضَحِكَ القاضي حتى هوت (٧) لدنيتته (٨) . ودوت (٩) سكينته (١٠) . فلما
فَاءَ (١١) إلى الوقار . وَعَقَّبَ الاستغفار بالاستغفار ، قال : اللهم بحُرْمَةِ عبادك
المقربين حَرِّمْ حبسي على المتأدبين ، ثم قال لذلك الأمين : علي به (١٢) . فانطلق
مُجِدِّاً في مطلبه ، ثم عاد بعد لآيه (١٣) مخبراً بنأيه (١٤) ، فقال له القاضي :
أما إنه لو حضر لكُفْيَى الحذر (١٥) ، ثم لأوليتُهُ ما هو به أولى ، ولأريت
الآخرة خير له من الأولى . قال الحارث بن همام : فلما رأيت صَفْوَا (١٦) القاضي
إليه ، وفوت ثمرة التنبيه عليه غَشِيَتْنِي (١٧) ندامة الفرزدق (١٨) حين أبان

(١) أي ما الخبر ، وهي كلمة لأهل اليمن معناها : ما خبرك وما شأنك
(٢) يقال لعون القاضي أبو مريم (٣) أي يرقص (٤) احترق (٥) الوقاح :
قليلة الحياء بينة الفحة والوقاحة ، وحافر وقاح : صلب (٦) الشمري :
الماضي في الأمور الجاد فيما يحاول (٧) وقعت (٨) بتشديد النون والياء
جميعاً : فلنسوة طويلة يابسها القضاة كأنها منسوبة الى لندن (٩) ذبلت
وفترت (١٠) وقاره (١١) رجع (١٢) أي أتت به واحضره (١٣) اللأى
كالسعى : الإبطاء والاحتباس (١٤) أي يبعده (١٥) ما يختار منه ويخاف
(١٦) ميله (١٧) اتنتى وحضرتنى (١٨) هو همام بن غالب التميمي الشاعر

النوار (١) والكسعي (٢) لما استبان النهار .

المقامة البشرية لبديع الزمان الهمداني المتوفى سنة ٣٩٨ هـ

حدثنا عيسى بن هشام ، قال : كان بشر بن عوانة العبدى صعلوكا ، فأغار على ركب فيهم امرأة جميلة فتزوج بها ، وقال : ما رأيت كاليوم ، فقالت :

أَعْجَبَ بِبَشْرًا حَوَّرَ فِي عَيْنِي وَسَاعَدَ أَبْيَضَ كَاللُّجَيْنِ
وَدُونَهُ مَسْرُجٌ طُرْفَ الْعَيْنِ خَمَصَانَةٌ تَرْفَلُ فِي حَجَلَيْنِ
أَحْسَنَ مِنْ يَمْشِي عَلَى رَجَلَيْنِ لَوْ ضَمَّ بِبَشْرَ بَيْنَهَا وَبَيْنِي

لَأَسْفَرَ الصَّبْحَ لَذِي عَيْنَيْنِ

قال بشر : وَيَحْكُ مِنْ عَنَيْتِ ؟ فقالت : بنت عمك فاطمة ، فقال : أهي من الحسن بحيث وصفت ؟ فقالت : وأزيد وأكثر ، فأنشأ يقول :

(١) النوار - على وزن سحاب - اسم زوجة الفرزدق . وكان قد طلقها ثم ندم على ذلك ، ومن شعره في ذلك قوله :

ندمت ندامة الكسعي لما غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أني ملكت يدي وأمرى لكن على للقدر الخيار

(٢) الكسعي هو عامر بن الحارث نسبة الى كسع ، بضم الكاف وفتح السين ، حى من بنى ثعلبة ، كان راعيا وعمل قوسا بعد طول تعب ثم رمى عنها ليلا فنفدت في الرمية ووقع السهم في حجر ففقد منه الشر فظن أن السهم أخطأ الرمية ، فرمى ثانيا وثالثا الى آخر الأسهم وكانت خمسا ، وهو يظن خطأها فعمد الى قوسه فكسرها ، ثم بات فلما أصبح تبين أن أسهمه كلها أصابت فندم ندما شديدا فضربت العرب المثل به في الندامة .

وَيَحْكُ يا ذات الثنَايَا البيض ما خلَّتني منك بمُسْتَعِيزِ
 فالآن إذ لوحَت بالتعريض خلَّوتُ جَوْاً فاصْفِرِي وبيضي
 لا ضُمَّ جفْناي على تغميض مالم أَشْلُ عرضي من الحضيض
 فقالت :

كم خاطبٍ في أمرها أَلْحَا وهي إليك ابنة عمِّ لَحَا
 ثم أرسل إلى عمه يخطب ابنته ، ومنعه العمُّ أمنيته ، فألى ألا يرعى على
 أحد منهم إن لم يُزَوِّجْه ابنته ، ثم كثرت مضراته فيهم واتصلت معراته إليهم ،
 فاجتمع رجال الحي إلى عمه ، وقالوا : كُفْ عَنَّا مجنونك ، فقال : لا تُلبسوني
 عاراً وأمهلوني حتى أهلكه ببعض الحيل ، فقالوا : أنت وذاك . ثم أرسل إليه
 عمه : إني آليتُ أن لا أزوّج ابنتي هذه إلا من يسوق إليها ألف ناقة مهراً ،
 ولا أرضاها إلا من نوق خزاعة .

وكان غرض العم أن يسلك بشر الطريق بينه وبين خزاعة فيفترسه الأسد ،
 لأن العرب قد كانت تحامت عن ذلك الطريق ، وكان فيه أسدٌ يُسمَّى « داذاً »
 وحيّةٌ تُدعى « شجاعاً » يقول فيهما قائلهم :

أفتك من « داذ » ومن « شجاع » إن يكُ داذ سيّد السباع

فإنها سيّدة الأفاعي

ثم إن بشراً سلك ذلك الطريق ، فما نصفه حتى لقي الأسد ، وقمص مُهْرُهُ
 فنزل وعقره ، ثم اخترط سيفه إلى الأسد واعترضه وقطعه ، ثم كتب بدم الأسد
 على قميصه إلى ابنة عمه :

أفاطم لو شهدت ببطن خبّت وقد لاقى الهزبرُ أخاك بشراً
 إذا لرأيت ليثاً أم ليثاً هزبراً أغلباً لاقى هزبراً
 تبهنس حين أحجم عنه مهري محاذرة ، فقلت : عقرت مهراً

أَنِيلُ قَدَمِيَّ ظَهَرَ الْأَرْضَ إِنِّي
 وَقَلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبَدَى نِصَالاً
 يُكْفِكِفُ غِيلَةً إِحْدَى يَدَيْهِ
 يُدِلُّ بِمِخْلَبٍ وَبِحَدِّ نَابٍ
 وَفِي يُمْنَايَ مَاضِي الْحَدِّ أَبْغَى
 أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا فَعَلْتَ ظَبَاهُ
 وَقَلْبِي مِثْلُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَخْشَى
 وَأَنْتَ تَرُومُ لِلْأَشْبَالِ قَوْتاً
 فَفِيمَ تَسُومُ مِثْلِي أَنْ يُولَى
 نَصَحْتِكَ فَالتَّمِيسُ بِالْبَيْتِ غَيْرِي
 فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ الْغَشَّ نُصْحِي
 مَشَى وَمَشِيَتْ مِنْ أَسْدِينَ رَامَا
 هَزَزْتُ لَهُ الْحَسَامَ فَخَلَّتْ أُنَى
 وَجُدْتُ لَهُ بِجَائِشَةِ أَرْتِهِ
 وَأَطْلَقْتُ الْمُهَنْدَ مِنْ يَمِينِي
 فَخَرَّ مَجْنُوناً بِدَمٍ كَانِي
 وَقَلْتُ لَهُ : يَعْزُّ عَلَى أَنِّي
 وَلَكِنْ رُمْتُ شَيْئاً لَمْ يَرُمَهُ
 تُحَاوِلُ أَنْ تَعْلَمَنِي فِرَاراً
 فَلَا تَجْزِعُ فَقَدْ لَاقَيْتَ حُرّاً

رَأَيْتُ الْأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرَهَا
 مُحَدَّدةٌ وَوَجْهَهَا مَكْفَهْرَهَا
 وَيَبْسُطُ. لِلوُثُوبِ عَلَى أُخْرَى
 وَبِاللِحْظَاتِ تَحْسِبُهُنَّ جَمْرًا
 بِمَضْرِبِهِ قِرَاعِ الْمَوْتِ أَثْرًا
 بِكَاطِمَةِ غَدَاةٍ لَقَيْتُ عَمْرًا
 مُصَاوَلَةً ، فَكَيْفَ يَخَافُ دَعْرًا
 وَأَطْلُبُ لِابْنَةِ الْأَعْمَامِ مَهْرًا
 وَيَجْعَلُ فِي يَدَيْكَ النَّفْسَ قَسْرًا
 طَعَاماً إِنْ لَحِمِي كَانَ مُرّاً
 وَخَالَفَنِي كَأَنِّي قَلْتُ هُجْرًا
 مَرَاماً كَانَ إِذْ طَلَبَاهُ وَعْرًا
 سَلَلْتُ بِهِ لَدَى الظُّلْمَاءِ فَجْرًا
 بَانَ كَذَبَتَهُ مَا مَنَنْتَهُ عَدْرًا
 فَقَدَّ لَهُ مِنَ الْأَضْلَاحِ عَشْرًا
 هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْمَخِرًا
 قَتَلْتُ مُنَاسِبِي جَلْدًا وَفَخْرًا
 سَوَاكَ فَلَمْ أَطُقْ يَا لَيْثَ صَبْرًا
 لِعَمْرِ أَبِيكَ قَدْ حَاوَلْتُ نَكْرًا
 يَحَازِرُ أَنْ يُعَابَ فَمَتَّ حُرّاً

فلما بلغت الأبيات عمه ندم ، على ما منعه تزويجها ، وخشيت أن تغتاله

الحيه ، فقام في أثره وبلغه ، وقد ملكته سورة الحيه .

فلما رأى عمه أخذته حمية الجاهلية ، فجعل يده في فم الحية وحكّم سيفه فيها وقال :

بِشْرٌ إِلَى الْمَجْدِ بَعِيدِ هَمِّهِ لَمَّا رَأَى بِالْعِرَاءِ عَمَّهُ
 قَدْ ثَكَلَتْهُ نَفْسُهُ وَأُمُّهُ جَاشَتْ بِهِ جَائِشَةٌ تَهْمُهُ
 قَامَ إِلَى ابْنِ الْفَلَا يَوْمَهُ فغَاب فِيهِ يَدُهُ وَكُمُّهُ
 ونفسه نفسى وسمى اسمه

فلما قتل الحية قال عمه : إني عرضتك طمعاً في أمر قد ثنى الله عناني عنه ، فارجع لأزوجك ابنتي .

فلما رجع جعل بشر يملأ فمه فخراً حتى طلع أمرد كشق القمر على فرسه مدججاً في سلاحه . فقال بشر : إني أسمع حس صيد وخرج ، فإذا بغلام على قيد فقال : ثكلتك أمك يا بشر أن قتلت دودة وبهيمة تملأ ماضغيك فخراً ، أنت في أمان إن سلمت عمك ، فقال بشر : من أنت ؟ لا أم لك . قال : اليوم الأسود والموت الأحمر . فقال بشر : ثكلتك من سلحتك . فقال : يا بشر ومن سلحتك . وكر كل واحد منهما على صاحبه ، فلم يتمكن بشر منه ، وأمّكن الغلام عشرين طعنة في كلبية بشر ، كلما مسه شيا السنان حماه عن بدنه إبقاءً عليه ، ثم قال : يا بشر كيف ترى ، أليس لو أردت لأطعمتك أنياب الرمح ! ثم ألقى رمحه ، واستل سيفه فضرب بشراً عشرين ضربة بعرض السيف ، ولم يتمكن بشر من واحدة . ثم قال : يا بشر سلم عمك واذهب في أمان . قال : نعم . ولكن على شريطة أن تقول لي من أنت . فقال : أنا ابن المرأة التي دلتك على ابنة عمك فقال بشر :

تلك العصا من هذه العصية وهل تلد الحية إلا الحية

وحلف لا ركب حصاناً ، ولا تزوج حصاناً ، ثم زوج ابنة عمه لابنه .

الفن السادس : في الروايات

الرواية عبارة عن ذكر قولٍ أو فعلٍ حدثا ، أو أمكن حدوثهما .
 وخواصها أربعة : الإيضاح ، والإيجاز ، والإمكان ، والتلطف .
 فالإيضاح : يكون بتقديم فرش للحديث ، وتوطئة للخبر ، يُقرب مأخذ
 الرواية ، وبمراعاة الترتيب الطبيعي في إيراد ظروف الخبر ما لم يكن للراوي
 غرض لتجاوز هذا النظام ، وبالعدول عن كثرة الاستطرادات في إنشاء الحديث
 لأن ذلك يصرف العقل عن الرواية ويذهب برونقها .

والإيجاز : حذف فضول حشو الكلام مع انتقاء أخص الظروف وأنسبها
 للغاية ، ولا بناس بالإطناب إذا ما دعا إليه مقتضى الحال .

والإمكان : ترشيح الرواية للقبول في ذهن السامع .

والتلطف في الرواية : أن يبلغ الكاتب كنه القلوب ، ويأخذ بمجامع
 اللب بأن ينتقل فيها من حال إلى حال لأن النفس قد جُبلت على محبة
 التحول ، وطُبعت على إثارة التنقل .

وللرواية ثلاثة أجزاء : صدرها ، وعقدتها ، وختامها . فالصدر : التوطئة للواقع
 بحيث يقف السامع على أسماء الأشخاص وطباعهم ، وعلى مكان الواقع وسوابق العمل .
 والعقدة : هي الجزء الذي على محور تدور الرواية ، وهو المجال الأوسع الذي
 تتقابل فيه الأشخاص وتشتبك الأحوال وتضطرم في النفس لواعج الشوق
 للوقوف على عاقبة الأمر ، فتنتقل من الرجاء إلى الخوف ، ومن الفرح إلى الحزن .
 والختام : الجزء الأخير من الرواية الذي به تُفك الإزمة وتُحل ريباق الحديث
 فتنال النفوس بذلك مرآتها وتفوز بوطنها ، وسمته أن يكون فجائياً مُرتبطاً
 مع ما قبله ارتباطاً محكماً وافياً بالمراد بحيث ترضى به النفوس ، وترتاح
 إليه القلوب ، وشواهد الرواية كثيرة لأنطيل بذكرها ، أفردها الأدباء بالتأليف
 العديدة ، ولنذكر هنا بعض ملح لا يستغنى عنها المقام .

ليلى الأخيلية مع الحجاج

رَوَى بعضهم : أنه بينما كان الحجاج في مجلس ، ومعه عَنبَسَة بن سعيد ، إذ دخل الحجاب فقال : امرأةً بالباب ، فقال له الحجاج : أدخلها ؛ فدخلت فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذفته قد أصاب الأرض ، فجاءت حتى قعدت بين يديه فنظرت فإذا امرأة قد أسنت ، حسنة الخلق ، ومعها جاريتان لها وإذاهى ليلى الأخيلية ، فسألها الحجاج عن نسبها ، فانتسبت له ، فقال لها : يا ليلى ما أتى بك ؟ فقالت : إخلافُ النجوم وقلة الغيوم ، وكلب البرد ، وشدة الجهد ، وكنت لنا بعد الله الرفد ، فقال لها ، صني لنا الفجاج ، فقالت : الفجاج مُغبرة ، والأرض مَشْعِرَة ، والمبركُ معتل ، وذى العيال مختل ، والهالك للقل والناس مستنون ، رحمة الله يرجون ، وأصابتنا سنون مجحفة مُبلطة ، لم تدع لنا هُبُعاً ولا ربُعاً ، ولا عافطة ولا نافطة ، أذهبت الأموال ، ومزقت الرجال وأهلكت العيال ، ثم قالت : إني قلت في الأمير قولاً ، قال : هات ؛ فأنشأت تقول :

أحجاج لا يفلن سلاحك إنما المنايا بكف الله حيث يراها	أحجاج لا تعط. العصاة مناهم
إذا هبط. الحجاج أرضاً مريضة	تتبع أقصى دائها فشفاهها
شفاه من الداء العضال الذي بها	غلام إذا هز القناة سقاها
سقاها فرأواها بشرب سجاله	دماء رجالٍ حيث مال حشاها
إذا سمع الحجاج رز كتيبة	أعد لها قبل النزول قرأها
أعد لها مضمولة فارسية	بأيدي رجال يحلبون صراها
فما ولد الأبيكار والعون مثله	بيحر ولا أرض يجف ثراها

قال : فلما قالت هذا البيت ، قال الحجاج : قاتلها الله ، ما أصاب صفتي شاعرٌ منذ دخلت العراق غيرها ، ثم التفت إلى عَنبَسَة بن سعيد فقال : والله إني لأعد للأمر عسى أن لا يكون أبداً ، ثم التفت إليها فقال : حَسْبُكَ ، قالت : إني

قد قلت أكثر من هذا . قال : حسبك ، وَيَهَكَ حَسْبُكَ ، ثم قال : يا غلام اذهب بها إلى فلان ، فقل له اقطع لسانها ، فذهب بها فقال له : يقول لك الأمير اقطع لسانها . قال : فأمرَ بإحضار الحجّام ، فالتفتت إليه فقالت : ثَكَانَتِكَ أُمُّكَ أَمَا سمعت ما قال ؟ إنما أمرُكَ أَنْ تَقْطَعَ لِسَانِي بِالصَّلَةِ ، فبعث إليه يستثبته ، فاستشاط الحجاج غضباً ، وَهَمَّ بِقَطْعِ لِسَانِهِ ، وقال : ارددها ، فلما دخلت عليه قالت : كاد (وَأَمَانَةَ اللَّهِ) يَقْطَعُ مِقُولِي ، ثم أنشأت تقول :

حجّاج أنت الذى ما فوِّقَهُ أَحَدٌ إِلَّا الْخَلِيفَةُ وَالْمُسْتَغْفِرُ الصَّمَدُ
حجّاج أنت شهاب الحرب إن لقتحت وأنت للناس نور فى الدجى يقدُّ
ثم أقبل الحجّاج على جلسائه فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله أيها الأمير ، إنا لم نَرَ قَطُّ . أفصحَ لساناً ، ولا أحسنَ مُحَاوَرَةً ، ولا أملحَ وجهاً ، ولا أَرَضْنَ شعراً منها . فقال : هذه ليلي الأخيلىة التى ماتت توبة الخفاجى من حُبِّها ، ثم التفتَ إليها فقال : أنشدينا يا ليلي بعض ما قال فيك توبة ، قالت : نعم أيها الأمير هو الذى يقول :

وهل لَيْلِي تَبْكِيَنِي إِذَا مِتَ قِبَالِهَا	وقام على قبرى النساءِ النوائح
كما لو أصاب الموتُ ليلي بكيتها	وجاد لها دمعٌ من العينِ سافحُ
وَأَغْبَطُ . من ليلي بما لا أناله	بلى كل ماقرت به العينُ طائحُ
ولو أن ليلي الأخيلىة سلّمت	على ودونى جندلٌ وصفائحُ
لسلّمتُ تسليمَ البشاشةِ أو زقا	إليها صدى من جانب القبرِ صائحُ

ثم قال : سلى يا ليلي تعطى ، قالت : أعط . فمثلك أعطى فأحسن ، قال : لك عشرون ، قالت : زد ، فمثلك زاد فأجمل ، قال : لك أربعون ، قالت : زد فمثلك زاد فأكمل ، قال : لك ثمانون ، قالت : زد فمثلك زاد فتمم ، قال : مائة واعلمى أنها غم ، قالت : معاذ الله أيها الأمير ، أنت أجودُ جوداً ، وأمجدُ مجداً ، وأورى زنداً من أن تجعلها غمًا ، قال : فما هي ويحك يا ليلي ؟ قالت :

مائة من الابل برعاتها، فأمر لها بها، ثم قال: ألك حاجة بعدها؟ قالت: يدفع إلى النابغة الجعدي. قال: قد فعلت. وقد كانت تهجوه ويهجوها. فبلغ النابغة ذلك فخرج هارباً عائداً بعبد الملك، فأتبعته إلى الشام فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان فأتبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة بقومس ويقال بحلوان.

بنات الشاعر المقتول

كان لشاعر عدوً فبينما هو سائر ذات يوم في بعض الطرق إذا هو بعدوه؛ فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة؛ فقال له: يا هذا، أنا أعلم أن المنية قد حضرت ولكن سألتك الله إذا أنت قتلتني أن أمض إلى داري، ووقف بالباب وقيل: «ألا أيها البنتان إن أباكما» فقال: سمعاً وطاعة. ثم إنه قتله. فلما فرغ من قتله أتى إلى داره، ووقف بالباب وقال: «ألا أيها البنتان إن أباكما» فأجابته بضم واحد: «قتيلٌ خذاً بالثأر من أتاكما» ثم تعلقنا بالرجل. ورفعتاه إلى الحاكم فاستقرره فأقر بقتله فقتله.

المرأة المتكلمة بالقرآن الكريم

قال عبد الله بن المبارك: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيّه عليه الصلاة والسلام. فبينما أنا في بعض الطريق إذ أنا بسواد؛ فتميزت ذلك فإذا هي عجوزٌ عليها دِرْعٌ من صُوفٍ وخِمَارٌ من صُوفٍ. فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقالت: «سلام قولاً من رب رحيم» فقلت لها: يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان؟ قالت: «ومن يُضلل الله فلا هادي له» فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها: أين تُريدين؟ قالت: «سُبْحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى» فعلمت أنها قد قضت حَجَّتَها وهي تريد بيت المقدس. فقلت لها: أنتِ مُنذِكم في هذا الموضع؟ قالت: «ثلاث ليالٍ سَوياً» فقلت: ما أرى معك طعاماً تأكلين. قالت:

« هو يُطعمني ويستقيني » فقلت : فبأى شئ تتوضئين ؟ قالت : « فإن لم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً » فقلت لها : إن معى طعاماً فهل لك في الأكل ؟ قالت : « ثم أتموا الصيام إلى الليل » فقلت : ليس هذا شهر رمضان . قالت : « ومن تطوع خيراً فإن الله شاكرٌ عليم » فقلت : قد أبيع لنا الإفطار في السفر . قالت : « وأن تصوموا خيراً لكم إن كنتم تعلمون » فقلت : لِمَ لا تكلمينى مثل ما أكلمك ؟ قالت : « ما يلفظ . من قول إلا لديه رقيبٌ عتيد » فقلت : فمن أى الناس أنت ؟ قالت : « ولا تقف ما ليس لك به علمٌ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً » فقلت : قد أخطأت فاجعلينى فى حل . قالت : « لا تشربَ عليكم اليوم يغفر الله لكم » فقلت : فهل لك أن أحملك على ناقى هذه فتدركى القافلة ؟ فقالت : « وما فعلوا من خير يعلمه الله » قال : فأنخت ناقى قالت : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » فغضضت بصرى عنها ، وقلت : أركبى . فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة ، فمزقت ثيابها فقالت : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » فقلت لها : اصبرى حتى أعقلها ، قالت : « ففهمناها سليمان » فعقلت الناقة وقلت لها : أركبى فلما ركبت قالت : « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإننا إلى ربنا لمنقلبون » قال : فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسرع وأصيح ، فقالت : « واقصد فى مشيك واغضض من صوتك » فجعلت أمشى رويداً رويداً وأترنم بالشعر ، فقالت : « فاقرئوا ما تيسر من القرآن » فقلت لها : لقد أوتيت خيراً كثيراً قالت : « وما يدركك إلا أولو الألباب » فلما مشيتُ بها قليلاً قلت : ألك زوج ؟ قالت : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » فسكتُ ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة ، فقلت لها : هذه القافلة فمن لك فيها؟ فقالت : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » فعلمتُ أن لها أولاداً ، فقلت : وما شأنهم فى الحج ؟ قالت : « وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون » فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القياب والعمارات فقلت : هذه القياب فمن لك فيها ؟ قالت :

«وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا» «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» «يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ» فناديت يا إبراهيم يا موسى يا يحيى فإذا أنا بشُبَّانٍ كأنهم الأقمار قد أقبلوا، فلما استقرَّ بهم الجلوس، قالت: «فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه» فمضى أحدهم فاشتري طعاماً فقدموه بين يدي، وقالت: «كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية» فقلت: الآن طعامكم على حرام حتى تخبروني بأمرها. فقالوا: هذه أمنا منذ أربعين سنة لم نتكلم إلا بالقرآن، مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن، فسبحان القادر على ما يشاء، فقلت: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم».

مروان بن الحكم، وعبد الله بن الزبير

روى عقیل بن خالد عن ابن شهاب أنَّ مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير اجتمعا ذات يوم في حُجرة عائشة (والحجابُ بينهما وبينها) يُحدثانها ويسألانها، فجرى الحديث بين مروان وابن الزبير ساعة، وعائشة تسمع.

فقال مروان:

فمن يشأ الرحمن يحفِضُ بقدره وليس لمن لم يرفع الله رافعُ

فقال ابن الزبير:

فقوِّضْ إلى الله الأمور إذا اعترت وبالله، لا بالأقربين، أَدافعُ

فقال مروان:

وداؤِ ضميرَ القلب بالبرِّ والتقى فلا يستوى قلبان قاسٍ وخاشعُ

فقال ابن الزبير:

ولا يستوى عبدان هذا مُكذِّبٌ عُتْلٌ لأرحامِ العشيِّرة قاطعُ

فقال مروان:

وعبدٌ يُجافى جنبه عن فراشه يبيتُ يُنَاجي رَبَّهُ وهو راععُ

فقال ابن الزبير :

وللخير أهلٌ يُعرفون بهديهم إذا اجتمعت عند الخطوب المجمع

فقال مروان :

وللشر أهلٌ يُعرفون بشكلهم تُشيرُ إليهم بالفجور الأصابعُ
فسكت ابن الزبير ولم يُجب ، فقالت عائشة : يا عبد الله مالك لم تُجب
صاحبك ؟ فوالله ما سمعتُ تجاؤلاً في نحو ما تجاؤلتما فيه أعجب إلى من
تجاؤلكما ، فقال ابن الزبير : إني خِفتُ عوار القول فكففتُ .

عبيدُ بن الأبرص ، وامرؤ القيس

قيل : إنَّ عبيد بن الأبرص لقي امرأ القيس يوماً فقال له : كيف
معرفتك بالأوابد ؟ قال : ما أحبيتُ ، فقال :

ما حبةٌ قامتُ بميتتها دَرْدَاءُ ما أنبتتُ ناباً وأضراساً

فقال امرؤ القيس :

تلك الشعيرة تُسقى في سَنابِلها

قد أخرجت بعد طولِ المكثِ أكداساً

فقال عبيد :

ما السُّودُ والبيضُ والأسماءُ واحدةٌ لا تستطيعُ لهنَّ النَّاسُ تسماساً

فقال امرؤ القيس :

تلك السَّحابُ إذا الرَّحْمَنُ أنشأها رَوَى بهنَّ مُحول الأَرْضِ أيباساً

فقال عبيد :

ما مُرتجاتٌ على هَوْلِ مَرَاكبها يقطنُ بعد المدى سيراً وأمراساً

فقال امرؤ القيس :

تلك النُّجومُ إذا حانت مطالعها شَبَّهتها في سواد الليلِ أقباساً

- فقال عُبَيْد :
 ما القاطعاتُ لأَرْضٍ لا أَنيسَ بها تأتي سِرَاعاً وما يرجِعن أنكاسا
 فقال امرؤ القيس :
 تلك الرِّياحُ إذا هبَّت عواصِفُها كفى بأذيالها للترب كُنَّاسا
 فقال عُبَيْد :
 ما الفاجعاتُ جَهَّاراً في علانيةٍ أشدَّ من فيلق ملحومة باسا
 فقال امرؤ القيس :
 تلك المنايا فما يبقين من أحدٍ يأخذن حمقى وما يُبقين أكياسا
 فقال عُبَيْد :
 ما السَّابقاتُ سِرَاعُ الطير في مهل لا يشتكين ولو طال المدى باسا
 فقال امرؤ القيس :
 تلك الجياد عليها القوم مُذنتجت كانوا لهنَّ غداة الرُّوع أحلاسا
 فقال عُبَيْد :
 ما القاطعاتُ لأَرْضِ الجوّ في طلق قبل الصباح وما يسوين قرطاسا
 فقال امرؤ القيس :
 تلك الأمانى يتركن الفتى ملكاً دون السماء ولم تُرَفَع له راسا
 فقال عُبَيْد :
 ما الحاكمون بلا سمعٍ ولا بصيرٍ ولا لسانٍ فصيحٍ يُعجبُ النَّاسا
 فقال امرؤ القيس :
 تلك الموازين والرحمن أرسلها ربّ البرية بين الناس مقياسا

أبو تراب ، والشريف العباسي

اجتمع يوماً أبو تراب هبة الله بن السريجي ، والشريف العباسي وكانا شاعرين

فقال أبو تراب :

أَسْلُوتُ حَبَّ بُدُورٍ أَمَّ تَتَجَلَّدُ وسهرت ليلك أَمَّ جُفُونِكَ تَرَقُدُ

فأجاب الشريف بديهاً :

لَا بِلْ هُمُ الْإِفْوَا الْقَطِيعَةَ مِثْلَ مَا أَلْفُوا نَزُولَهُمْ بِهَا فَتَبَعَدُوا

فقال أبو تراب :

فِي الْإِمِّ تَصْبِرُ وَالْفُؤَادُ مُتِّمٌ وَلِظَى اسْتِيَاقِكَ فِي الْحَشَى يَتَوَقَّدُ

فأجاب الشريف :

مَا دَامَ لِي جِلْدٌ فَلَسْتُ بِجَازِعٍ إِذْ كَانَ صَبْرِي فِي الْعَوَاقِبِ يُحْمَدُ

فقال أبو تراب :

أَحْسَنْتَ ! كَمَا نَ الْهُوَى مُسْتَحْسَنٌ لَوْ كَانَ مَاءُ الْعَيْنِ مِمَّا يَجْمَدُ

فأجاب الشريف :

إِنْ كَانَ جَفْنِي فَاضِحِي بِدَمِوعِهِ أَظْهَرْتَ لِلْجُلَسَاءِ أَنِّي أَرْمَدُ

فقال أبو تراب :

فَهَبِ الدَّمُوعَ إِذَا جَرَتْ مَوَهْتَهَا فَيَقَالُ لِمَ أَنْفَاسُهُ تَتَصَعَّدُ

فأجاب الشريف :

أَمْشِي وَأَسْرَعُ كَيْ يَظُنُّوا أَنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْمَشَى السَّرِيعِ تُولَدُ

فقال أبو تراب :

هَذَا يَجُوزُ وَمِثْلُهُ مُسْتَعْمَلٌ لَكِنَّ وَجْهَكَ بِالْمَحَبَّةِ يَشْهَدُ

فأجاب الشريف :

إِنْ كَانَ وَجْهِي شَاهِدًا بِهُوَيِّ فَمَا يَدْرِي إِلَى مَنْ بِالْمَحَبَّةِ أَقْصِدُ

فقال أبو تراب :

إِخْضَعُ وَذَلِّ لِمَنْ تَحَبُّ فَلَيسَ فِي حُكْمِ الْهُوَى أَنْفٌ يَشَالُ وَيَعْقَدُ

فأجاب الشريف :

ذا لا يَكُونُ مع الحبيب وإنما مع ساقط. مُتَحِيلٌ يتعمدُ
المأمونُ والمرأة المتظلمةُ

جلس المأمون يوماً للمظالم فكان آخر من تقدم إليه ، وقد همَّ بالقيام امرأةً عليها هيئة السفر ، وعليها ثياب رثة فوقفت بين يديه فقالت : « السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » فنظر المأمون إلى يحيى (١) بن أكنم ، فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمة الله ، تكلمى في حاجتك ، فقالت :

ياخيرَ مُتَّصِفٍ يُهْدَى له الرشدُ ويا إماماً به قد أشرقَ البلدُ
تشكُّوْا إليك عميدَ القومِ أزملةُ عدا عليها فلم يترك لها سبداً (٢)
وابتزَّ مني ضياعي حتى منعتها ظلماً وفرق مني الأهل والولد
فأطرق المأمون حيناً ثم رفع رأسه إليها وهو يقول :

في دُونِ ما قلت زال الصبر والجَلْدُ عني وأقرح مني القلب والكَيْدُ
هذا أو أن صلاة العصر فانصرفي وأحضري الخضم في اليوم الذي أعدت
والمجلس السبت إن يقض الجلوس لنا ننصفك منه وإلا المجلس الأحد (٣)
فلما كان يوم الأحد جلس فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة فقالت :

« السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » فقال : وعليك السلام ، أين الخضم ؟ فقالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين ، وأومات إلى العباس ابنه فقال : يا أحمد بن خالد خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخضم ، فجعل كلامها يعلو كلام العباس . فقال لها أحمد بن خالد : يا أمة الله إنك بين يدي أمير المؤمنين وإنك تكلمين الأمير فاخفضي من صوتك . فقال المأمون : دعها

(١) يحيى بن أكنم قاضي اقصاة الدولة العباسية لعهد المأمون ومن سلالة أكنم ابن صيفى توفي سنة ٢٤٢ (٢) أصل السيد : القليل من الشعر . ويقال ما له سبداً ولا لبد أى لا قليل ولا كثير (٣) قوله : والا المجلس . اسقط منه فاء الجواب للضرورة .

يا أحمد، فإن الحق أنطقها وأخرسها، ثم قضى لها برد ضيعتها إليها، وأمر بالكتاب لها إلى العامل ببلدها أن يوفّر لها ضيعتها، ويحسن معونتها وأمر لها بنفقة .

عمر بن الخطاب ، والهريمان

لما أتى بالهريمان أسيراً إلى عمر بن الخطاب قيل له : يا أمير المؤمنين هذا زعيم العجم وصاحب رئيسهم ، فقال له عمر : أعرض عليك الإسلام نصحاً لك في عاجلك وآجلك ، قال : يا أمير المؤمنين إنما أعتقد ما أنا عليه ، ولا أرغب في الإسلام فدعا له عمر بالسيف فلما هم بقتله ، قال يا أمير المؤمنين شربة من ماء أفضل من قتلي على ظمأ ، فأمر له بشربة من ماء ، فلما أخذها قال أنا آمن حتى أشربها ؟ قال : نعم ، فرمى بها وقال : الوفاء يا أمير المؤمنين نور أبلج ، قال : صدقت لك التوقف عنك والنظر في أمرك ، ارفعوا عنه السيف ، فلما رفع عنه قال : الآن يا أمير المؤمنين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وما جاء به حق من عنده ، فقال عمر : أسلمت خير إسلام فما أنكرت ؟ قال : كرهت أن تظن أنني أسلمت جزعاً من السيف ، فقال عمر : إن لأهل فارس عقولاً بها استحقوا ما كانوا فيه من الملك ، ثم أمر به أن يبر ويكرم ، وكان بعد يشاوره في توجيه الجيوش لأهل فارس .

إبراهيم بن المهدي ، وابن بختيشوع

قال العنبي : تنازع إبراهيم بن المهدي وابن بختيشوع الطبيب بين يدي أحمد بن أبي دؤاد في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد ، فأربى (١) عليه إبراهيم وأغلظ. له (٢) فأغضب ذلك ابن أبي دؤاد فقال :

يا إبراهيم إذا نازعت في مجلس الحكم امرأة فلا أعلمن أنك رفعت عليه صوتاً ولا أشرت بيد ، وليكن قصدك أمماً (٣) وريحك ساكنة ، وكلامك معتدلاً ،

(١) أربى عليه : زاد . (٢) أحفظه : أغضبه ، والحفيظة : الحمية
(٣) الأمام : البين من الامر والوسط .

ووفَّ مجالس الخليفة حقوقها من التعظيم والتوقير والاستيكانة والتوجه إلى الواجب ، فإن ذلك أشبه بك ، وأشكل بمذهبك في محتدك (١) ، وعظيم خطرک ولا تعجلن فرُبَّ عجلة تهبُّ ريثاً (٢) ، والله يعصمك من خطل القول والعمل ، ويتم نعمته عليك كما أمَّها على أبويك من قبل إن ربك حكيم عليم .

فقال إبراهيم : أصلحك الله ، أمرت بسداد ، وخصّضت على رشاد ، ولست عائداً لما يثلم (٣) مروءتي عندك ، ويُسقطنِي من عينيك ، ويُخرجنِي من مقدار الواجب إلى الاعتذار ، فهأنذا معتذر إليك من هذه البادرة اعتذار مُقرِّ بذنبه مُعترف بجرمه ، ولا يزال الغضبُ يستفزني (٤) ببوادره ، فيردُّني مثلك بحلمه ، وتلك عادة الله عندك وعندنا منك ، وقد جعلت حتى في هذا العقار لابن بختيشوع فليت ذلك يكون وافياً بأرش (٥) الجناية عليه « ولم يتلف مال أفاد موعظة » حسبنَا الله ونعم الوكيل .

الأحنف بن قيس ، وقيس بن عاصم

قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقري رأيتُه قاعداً بفناء داره مُحتبياً (٦) بحمائل سيفه يُحدِّث قومه حتى أتى برجل مكتوف ، ورجل مقتول ، فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك ، فوالله ما حلَّ حبوته ولا قطع كلامه ، ثم التفت إلى ابن أخيه وقال له : يا ابن أخي أسأت إلى رحمك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك ، ثم قال لابن له آخر : قُمْ يا بُنَيَّ فحلَّ كتاف ابن عمك ووار أخاك ، وسق إلى أمه مائة ناقة دية ابنها ، فإنها غريبة ، ثم أنشأ يقول :

إني امرؤ لا يطبي حسبي دَنَس يَهَجُّهُ ولا أفن (٧)

(١) المحتد : الأصل (٢) الريث : الإبطاء والمقدار (٣) ثلم الاناء : كسره من حرفه (٤) استخفه وأزعجه (٥) الأرش : الدية وما يعطى تعويضاً (٦) احتبى : جمع بين ظهره وساقيه بعمامة أو نحوها ، والأسم من ذلك الحبوة (٧) أطباه : دعاه واستهواه . والأفن : ضعف الرأي وفعله كفرح

من منقبرٍ في بيت مكرمة والغصنُ ينبت حوله الغصنُ
خطباءً حين يقول قائلهم بيضُ الوجوه مصارعُ لسنٍ (١)
لا يفطنون لعيب جارهم وهم يحفظ. جواره فطن (٢)

معن بن زائدة وجاره بين يدي المهدي

قال سعيد بن مسلم : نذر المهدي دم رجلٍ من أهل الكوفة ، كان يسعى في فساد سلطانته ، وجعل لمن دل عليه أو جاء به مائة ألف درهم ، فأقام الرجل حيناً متوارياً ثم إنه ظهر بمدينة السلام (٣) ، فكان ظاهراً كغائب خائفاً مترقباً ، فبينما هو يمشي في بعض نواحيها إذ بصُرَّ به رجل من أهل الكوفة فعرفه ، فأهوى إلى مجامع (٤) ثوبه ، وقال : هذا بغية أمير المؤمنين فأمكن الرجل من قياده ، ونظر إلى الموت أمامه ، فبينما هو على تلك الحال ، إذ سمع وقع حوافر الخيل من وراء ظهره فالتفت فإذا معن بن زائدة ، فقال : يا أبا الوليد أجرني أبارك الله فوقف وقال للرجل الذي تعلق به : وما شأنك ؟ قال : بغية أمير المؤمنين الذي نذر دمه ، وأعطى لمن دلَّ عليه مائة ألف درهم ، فقال : يا غلام انزل عن دابتك واحمل أخانا ، فصاح الرجل يا معشر الناس يحال بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين ! قال معن : اذهب فأخبره أنه عندي ، فانطلق إلى باب أمير المؤمنين فأخبر الحاجب فدخل إلى المهدي فأخبره فأمر بحبس الرجل ، ووجه إلى معن من يحضره ، فأتته رُسل أمير المؤمنين وقد لبس ثيابه وقربت إليه دابته فدعا أهل بيته ومواليه ، وقال : لا يُخلصن إلى هذا الرجل وفيكم عين تطرف (٥) ، ثم ركب ودخل حتى سلم على المهدي ، فلم يرد عليه وقال : يا معن أتجير عليّ ؟ قال : نعم

(١) رجل لسن والسن فصيح ، ويجمع السن على لسن كأحمر وحمر
(٢) فطن : جمع فطن . كجون : جمع جون ، وهذا جمع نادر (٣) مدينة السلام : هي بغداد ، أو قسم منها (٤) مجامع الثوب : ما احاط بالجيب ويقال لها تلايب (٥) طرفت العين : تحركت

يا أمير المؤمنين ، قال : ونعم أيضاً ؟ واشتد غضبه ، فقال معن : يا أمير المؤمنين قتلت في طاعتكم باليمن في يوم واحد خمسة عشر ألفاً ، ولي أيام كثيرة قد تقدم فيها بلائي وحسن غنائى ، فما رأيتموني أهلاً أن تهبوا لى رجلاً واحداً استجار بى ؟ فأطرق المهدي طويلاً ثم رفع رأسه وقد سُرى (١) عنه فقال : قد أجزنا من أجرت ، قال معن : فإن رأى أمير المؤمنين أن يصله فيكون قد أحياه وأغناه ، فعل ، قال : قد أمرنا له بخمسة آلاف ، قال : يا أمير المؤمنين إن صلوات الخلفاء على قدر جنایات الرعية ، وإن ذنب الرجل عظيم فأجزل الصلة ، قال : قد أمرنا له بمائة ألف ، قال فتعجلها يا أمير المؤمنين بأفضل الدعاء ثم انصرف ولحقه المأل ، فدعا الرجل وقال له : خذ صلتك والحق بأهلك وإيالك ومخالفة خلفاء الله تعالى .

معن بن زائدة والأسود

روى مروان بن أبي حفصة عن معن بن زائدة أنه قال : لما جد المنصور فى طلبى ، وجعل لمن يحملنى إليه مالاً ، اضطرت لشدّة الطلب أن تعرضت للشمس حتى لوحت (٢) وجهى ، وخففت عارضى (٣) ، وليست جبة صوف ، وركبت جملاً وخرجت متوجهاً إلى البادية لأقيم بها ، فلما خرجت من باب حرب ، وهو أحد أبواب بغداد ، تبغى أسود متقلد سيفاً ، حتى إذا غيبت عن الحرس قبض على خيطام الجمل فأنزاهه وقبض على يدى ، فقلت له : ما بك ؟ فقال : أنت (٤) طلبية أمير المؤمنين ، فقلت : ومن أنا حتى أطلب ؟ فقال : أنت معن بن زائدة ، فقلت له : يا هذا ، اتق الله عز وجل ، وأين أنا من معن ؟ فقال : دع هذا ، فإنى والله لأعرف بك منك ، فلما رأيت منه الجد قلت له : هذا عقد جوهر ، قد حملته معى بأضعاف ما جعله المنصور لمن يجيئه بى فخذّه ولا تكن سبياً

(١) سرى عنه الهم : انكشف ، وقد يحذف المرفوع اكتفاء بالجار والمجرور
(٢) لوحه العطش والسفر : غيره ولوحت وجهه الشمس : غيرت لونه .
(٣) العارضان جانباً الوجه ، وما يكون عليهما من اللحية (٤) الطلبة : الحاجة وما يطالب .

لَسَفْكَ دَمِي، قال : هاته، فَأَخْرَجْتُهُ إِلَيْهِ . فنظر إليه ساعة وقال : صَدَقْتَ فِي قِيَمَتِهِ
ولست قابله منك حتى أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ صَدَقْتَنِي أَطْلَقْتِكَ ، فقلت : قل ،
قال : إِنَّ النَّاسَ قَدْ وَصَفُوكَ بِالْجُودِ ، فَأَخْبِرْنِي هَلْ وَهَبْتَ مَا لَكَ كُلَّهُ قَطُّ . ؟ قلت :
لا ، قال : فنصفه ؟ فقلت : لا ، قال : فَثُلْثَهُ ؟ قلت : لا ، حتى بلغ العُشْرَ ،
فاسْتَحْيَيْتُ وَقُلْتُ : أَظُنُّ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ هَذَا ، قال : ما ذاك بعظيم ؛ أَنَا وَاللَّهِ
راجل (١) ، ورزقي من أبي جعفر المنصور كلَّ شهر عشرون درهماً وهذا الجوهر
قيمته ألوف دنانير ، وقد وَهَبْتُهُ لَكَ وَوَهَبْتُكَ لِنَفْسِكَ وَالجودك المأثور بين الناس
ولتَعْلَمَنَّ أَنَّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَنْ هُوَ أَجُودُ مِنْكَ فَلَا تَعْجِبْكَ نَفْسُكَ وَلتَحْقُرْ بَعْدَ هَذَا
كُلَّ جُودٍ فَعَلْتَهُ وَلَا تَتَوَقَّفْ عَنِ مَكْرَمَةٍ ، فقلت : يا هذا قد والله فضحتني
ولسَفْكَ دَمِي عَلَى أَهْوَنِ مِمَّا فَعَلْتُ ، فخذ ما دفعته لك فَإِنِّي غَنِيٌّ عَنْهُ ، فضحك
وقال : أَرَدْتُ أَنْ تَكْذِبَنِي فِي مَقَالِي هَذَا ، وَاللَّهِ لَا أَخَذْتُهُ وَلَا أَخَذُ لِمَعْرُوفٍ ثَمْنًا
أَبَدًا ، ومضى لسبيله ، فوالله لقد طلبته بعد أن أَمَنْتُ ، وبذلت لمن يجيء
به ما يشاء ، فما عرفت له خبراً ، وَكَأَنَّ الْأَرْضَ ابْتَلَعَتْهُ .

معاوية والأعرابية

خرج معاوية مُتَنَزِّهاً ، فمرَّ بحواء (٢) ضَخْمٌ ، فقصد قُصْدَ بَيْتِ مَنْهُ ،
فإذا بفنائه امرأة بَرَزَةٌ (٣) ، فقال لها : هل من غداٍ ؟ قالت : نعم حاضر ، قال :
وما غداؤك ؟ قالت : خُبْزٌ خَمِيرٌ ، وماءٌ نَمِيرٌ ، وحييسٌ (٤) فطيرٌ ، ولبنٌ هَجِيرٌ (٥) ،
فَسَنِي وَرِكَهَ وَنَزَلَ ، فلما تَغَدَّى قال : هل لك من حاجة ؟ فذكرت حاجة أهل
الحواء ، قال : هات حاجتك في خاصة نفسك ، قالت : يا أمير المؤمنين
إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ تَنْزَلَ وَادِيًا (٦) فَيَرِفَ أَوْلُهُ وَيَقِفَ آخِرُهُ (٧) .

(١) الراجل : غير الراكب (٢) الحواء ككتاب : جماعة البيوت المتدانية
(٣) البرزة من النساء : الكهلة الجلييلة تبرز للقوم وتحديثهم مع العفة .
(٤) الحيس : تمر يخلط بسمن ولبن ممخوض (٥) الهجير : الخائر من
اللبن (٦) رف النبات : اهتز (٧) قف النبات : يبس

الأحنف بين يدي معاوية

وَقَدَّ الأَحْنَفُ بن قيس على مُعاوية مع أهل العراق ، فخرج الآذُنُ فقال
 إن أمير المؤمنين يَعزِمُ عليكم أن لا يتكلم أحدٌ إلا لنفسه ، فلما وصلوا إليه قال
 الأحنف : لولا عزيمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافّة دفت (١) ، ونازلة نزلت ،
 ونابته نبتت ، كلهم بهم حاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبرّه ، فقال
 معاوية : حَسْبُكَ يا أبا بَحرٍ فقد كفيت الشاهد والغائب .

الأحنف بين يدي عمر بن الخطاب

قدم الأحنف بن قيس التميمي على عمر بن الخطاب في أهل البصرة ، وأهل
 الكوفة ، فتكلموا عنده في أنفسهم وما يَنُوبُ كل واحدٍ منهم ، وتكلم الأحنف
 فقال : يا أمير المؤمنين ، إن مفاتيح الخير بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق
 وإخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخالية ، والملوك
 الجبابرة ، ومنازل كسرى وقيصر وبنى الأصفر (٢) ، فهم من المياه العذبة والجنان
 المختلفة في مثل حولاء السلي (٣) وحادقة البعير (٤) ، تأتيهم ثمارهم غضة (٥) لم تخضر
 وإنما أنزلنا أرضاً طَرفُ في فلاة ، وطَرفُ في ملح أجاج ، جانب منها منابت
 القصب وجانب سبخة نشاشة (٦) لا يجف ثراها ، ولا ينبت مرعاها ، يخرج الرجل
 الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة بمثل ذلك تُرثق (٧) لولدها
 ترثيق العنز ، تخاف عليه العدو والسبع فيلاترفع خسيستنا ، وتنعش (٨) ركيستنا

(١) يقال : دفت دافة أي أتت فئة مهاجرة (٢) بنو الأصفر عند
 العرب : هم الروم (٣) السلي غلاف رقيق يكون فيه المولود ، والحولاء :
 جلدة خضراء مماءة ماء تخرج مع الولد وهذا يكون به عن الخصب وكثرة
 الماء والخضرة (٤) قال في اللسان : وفي حديث الأحنف نزلوا في مثل حدقة
 البعير أي نزلوا في خصب وشبهه بحدقة البعير لأنها ربا من الماء (٥) غضة :
 طرية (٦) أرض سبخة نشاشة : لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها .
 (٧) رنق الماء : صفا (٨) نعشة : رفعه كأنعشه ، والركيسة الضعيفة

وتَجَبَّرُ فَاقْتَنَا ، وَتَزِدُّ فِي عِيَالِنَا عِيَالًا ، وَفِي رِجَالِنَا رِجَالًا ، وَتَصَغَّرُ دَرَهْمَنَا ، وَتَكْبُرُ قَفِينَنَا (١) ، وَتَأْمُرُنَا بِحَفْرِ نَهْرٍ نَسْتَعْتِذُ بِهِ مِنَ الْمَاءِ وَإِلَّا هَلَكْنَا ، فَقَالَ عَمْرٌ : هَذَا وَاللَّهِ السَّيِّدُ ؟ هَذَا وَاللَّهِ السَّيِّدُ ! ثُمَّ كَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنْ يَحْتَفِرَ لَهُمْ نَهْرًا .

أُسَيْدُ بْنُ عِنْقَاءٍ - وَعَمِيلَةُ الْفَزَارِيِّ

كَانَ أُسَيْدُ بْنُ عِنْقَاءٍ الْفَزَارِيُّ مِنْ أَكْبَرِ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَأَشَدَّهُمْ عَارِضَةً وَلِسَانًا ، وَطَالَ عَمْرُهُ ، وَنَكَبَهُ دَهْرُهُ ، وَانْخَلَّتْ حَالُهُ ، فَخَرَجَ عَشِيَّةً يَتَبَقَّلُ (٢) لِأَهْلِهِ ، فَمَرَّ بِهِ عَمِيلَةُ الْفَزَارِيَّةُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا عَمُّ مَا أَصَارَكَ إِلَى مَا أَرَى ؟ قَالَ بُخِلَ مِثْلَكَ بِمَالِهِ ، وَصَوْنٌ وَجَهِيٌّ عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ ، فَقَالَ : لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى غَدٍ لِأُغَيِّرَنَّ مَا أَرَى مِنْ حَالِكَ ، فَرَجَعَ ابْنُ عِنْقَاءٍ إِلَى أَهْلِهِ ، فَأَخْبَرَهَا بِمَا قَالَ لَهُ عَمِيلَةُ ، فَقَالَتْ لَهُ : لَقَدْ غَرَّكَ كَلَامُ غَلَامٍ ، فِي جَنَحِ ظِلَامٍ (٣) فَكَأَنَّمَا أَلْقَمْتَ فَاةَ حَجْرًا ، فَبَاتَ مُتَمَلِّمًا بَيْنَ رِجَاءٍ وَيَأْسٍ ، فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ سَمِعَ رُغَاءَ الْإِبِلِ وَثَغَاءَ الشَّاةِ وَصَهِيلَ الْخَيْلِ وَكَجَبَ الْأَمْوَالِ (٤) فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا : هَذَا عَمِيلَةُ ، سَأَقُ إِلَيْكَ مَالَهُ ، فَخَرَجَ ابْنُ عِنْقَاءٍ لَهُ ، فَفَقَسَمَ عَمِيلَةُ مَالَهُ شَطْرَيْنِ ، وَسَاهَمَهُ (٥) ، عَلَيْهِ ، فَأَنْشَأَ ابْنُ عِنْقَاءٍ يَقُولُ :

رَأَى عَلِيٌّ مَا بِي عَمِيلَةَ فَاشْتَكَى	إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسْرًا كَمَا جَهَرَ
دَعَانِي فَآسَأَنِي وَلَوْ ضَنْ لَمْ يُلِمْ	عَلَى حِينٍ لَابَدُوْهُ يَرْجِيْ وَلَا حَضَرَ
فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا وَأَثْنَيْتُ فَعَلَهُ ،	وَأَوْفَاكَ مَا أَبْلَيْتُ مِنْ ذَمٍّ أَوْ شَكَرَهُ
وَلَمَّا رَأَى الْمَجْدَ اسْتُعِيرْتُ ثِيَابَهُ	تَرَدَّى رِدَاءً سَابِغَ الذَّبِيلِ وَانْتَزَرَهُ (٦)
غَلَامٍ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ مُقْبَلًا	لَهُ سَيْمِيَاءٌ لَا تَشْقُ عَلَى الْبَصْرِ (٧)
إِذَا قِيلَتْ الْعَوْرَاءُ أَغْضَى كَأَنَّهُ	ذَلِيلٌ بِلَا ذُلٍّ وَلَوْ شَاءَ لَانْتَصَرَ (٨)

(١) القفيز : مكيال (٢) تبقل : خرج يطلب البقل (٣) جنح الليل أو الظلام الطائفة منه (٤) اللجب : الجلبة والسياح واضطراب موج البحر (٥) ساهمه : قارعه أي ضرب القرعة (٦) أنزر من الأزار - قلبت الهمزة تاء الافتعال (٧) السيمياء والسيماء ، والسيما والسيماء : العلامة يقول يفرح به من يراه للطف محياه . (٨) العوراء : الكلمة القبيحة ، وقرب من هذا البيت قوله :

يصم عن الفحشاء حتى كأنه إذا ذكرت في مجلس القوم غائب

الفضل وجعفر ابنا يحيى البرمكى

قال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي (١) : كانت أم جعفر بن يحيى تزور أمي وكانت لبيبة من النساء ، حازمة فصيحة برزة ، يعجبني أن أجدها عند أمي فأستكثر من حديثها ، فقلت لها يوماً : يا أم جعفر ، إن بعض الناس يفضل جعفرًا على الفضل ، وبعضهم يفضل الفضل على جعفر ، فأخبريني ، قالت : ما زلنا نعرف الفضل للفضل فقلت : إن أكثر الناس على خلاف هذا ، فقالت : هاأنا ذه أحدثك واقض أنت وذلك الذي أردت منها ، فقالت : كانا يوماً يلعبان في داري ، فدخل أبوهما فدعا بالغداء وأحضرهما ، فطعما معه ، ثم أنسهما بحديثه ، ثم قال لهما : أتلعبان بالشطرنج فقال جعفر وكان أجراًهما : نعم ! قال : فهل لاعبت أخاك بها ؟ قال جعفر : لا ، قال : فالعبا بها بين يدي لأرى لمن الغلب ؟ فقال جعفر : نعم ! وكان الفضل أبصر منه بها ، فجيء بالشطرنج فصفت بينهما ، وأقبل عليها جعفر ، وأعرض عنها الفضل فقال له أبوه : مالك لا تلاعب أخاك ؟ فقال : لا أحب ذلك ، فقال جعفر : إنه يرى أنه أعلم بها مني فيأنف من ملاعبتي ، وأنا ألاعبه مخاطرة ، فقال الفضل لا أفعل ، فقال أبوه : لاعبه وأنا معك ، فقال جعفر : رضيت ، وأبى الفضل ، واستغنى أباه ، فأعفاه . ثم قالت لي : قد حدثتك فاقض ، فقلت : قد قضيت بالفصل لجعفر على أخيه ، فقالت : لو علمت أنك لا تحسن القضاء لما حكمتك ، أفلا ترى أن جعفرًا قد سقط. أربع سقطات تنزه الفضل عنهن ؟

فسقط. حين اعترف على نفسه بأنه يلعب بالشطرنج ، وكان أبوه صاحب جدد . وسقط. في التزام ملاعبة أخيه وإظهار الشهوة لغلبيه والتعرض لغضبه . وسقط. في طلب المقامرة وإظهار الحرص على مال أخيه .

والرابعة قاصمة الظهر حين قال أبوه لأخيه لاعبه وأنا معك ، فقال أخوه لا ،

(١) هو محمد بن غسان بن عبد الرحمن صاحب صلاة الكوفة

وقال هو نعم؟ فذاصب صفًا فيه أبوه وأخوه؟ فقلت: أحسنت، والله وإنك لأفضى من الشعبي، ثم قلت لها: عزمت عليك أخبريني هل خفي مثل هذا على جعفر؟ وقد فطن له أخوه، فقالت: لولا العزيمة لما أخبرتك، إن أباهما لما خرج قلت للفضل خالية به: ما منعك من إدخال السرور على أبيك بملاعبة أخيك؟ فقال: أمران؛ أحدهما: لو أني لاعتبه لغلبيته فأخجلته، والثاني: قول أبي لآبئة وأنا معك فما يسرني أن يكون أبي معي على أخي، ثم خلوت بجعفر، فقلت له: يسأل أبوك عن اللعب بالشطرنج فيصمت أخوك وتعترف، وأبوك صاحب جد؟ فقال: إني سمعت أبي يقول: نِعْمَ لَهُوَ الْبِالِ الْمَكْدُودِ (١) وقد علم ما نلقاه من كد التعلم والتأدب ولم آمن أن يكون بلغه أنا نلعبُ بها، ولأن يُبادر فيُنكر فبادرت بالإقرار إشفافاً على نفسي وعليه. إن كان توبيخٌ فديته من المواجهة به. فقلت له: يا بني. فلم تقول لأعبه مخاطرة! كأنك تقامر أخاك وتستكثر ماله. فقال: كلا. ولكنه يستحسن الدواة التي وهبها لي أمير المؤمنين فعرضتها عليه فأبى قبولها، وطمعت أن يُلاعِبني فأخاطره عليها. وهو يغلبني فتطيب نفسه بأخذها. فقلت لها: يا أمّاه ما كانت هذه الدواة؟ فقالت: إن جعفرًا دخل على أمير المؤمنين، فرأى بين يديه دواة من العقيق الأحمر، محلاة بالياقوت الأزرق والأصفر، فرآه ينظر إليها فوهبها له. فقلت: إيه. فقالت ثم قلت لجعفر: هبك اعتذرت بما سمعت. فما عذرك من الرضا بمناصبة أبيك حين قال لآعبه وأنا معك! فقلت أنت: نعم. وقال هو: لا؟ فقال: عرفت أنه غالي. ولو فتر لآعبه لتغالبت له، مع ماله من الشرف والسرور بتحيز أبيه إليه. قال محمد ابن عبد الرحمن: بَخِ بَخِ (٢) هذه والله السيادة! ثم قلت لها: يا أمّاه، أكان منهما من بلغ الحلم؟ فقالت: يا بني، أين يُذهب بك! أخبرك عن

(١) كده: أجهده واتعبه

(٢) يقال: بَخِ بَخِ - وبَخِ بَخِ، اعجاباً بالشيء واطهاراً للسرور به

صبيين يلعبان ، فتقول : « أكان منهما من بلغ الحُلُم » ؟ ! لقد كنا ننهي الصبي إذا بلغ العشر ، وحضر من يُسْتَحَى منه ، أن يبتسم .

براعة الرشيد في الأدب

دخل سهل بن هرون على الرشيد وهو يضحك المأمون فقال : اللهم زده من الخيرات ، وابسط له من البركات ، حتى يكون في كل يوم من أيامه مُرَبِّياً على أمسه ، مقصراً عن غده .

فقال له الرشيد : يا سهل ، من روى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن الحديث أفصحهُ وأوضحه ، إذا رام أن يقول لم يعجزه القول .

فقال سهل : يا أمير المؤمنين ما ظننت أن أحداً تقدمني إلى هذا المعنى ، قال بل أعشى همدان حيث يقول :

رَأَيْتُكَ أَمَسَ خَيْرَ بَنِي لُؤَى وَأَنْتَ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكَ أَمَسٍ
وَأَنْتَ غَدًا تَزِيدُ الْخَيْرَ ضِعْفًا كَذَاكَ تَزِيدُ سَادَةَ عِبْدِ شَمْسٍ

الواثق وابن أبي دؤاد

قال أبو العيناء : دخل ابن أبي دؤاد على الواثق فقال له : ما زال اليوم قوم في ثلبك ونتمصك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لكل امرئٍ منهم ما اكتسب من الإثم ، والذي تولى كبيره منهم له عذابٌ عظيم ، والله ولى جزائه وعقاب أمير المؤمنين من ورائه ، وما ذلَّ يا أمير المؤمنين من كنت ناصره ، ولا ضاع من كنت حافظه ، فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت : يا أبا عبد الله :

وَسَعَى إِلَى بَعِيبٍ «عَزَّة» مَعْشَرٌ جَعَلَ الْإِلَهَ خُدُودَهُنْ نِعَالَهَا

المنصور والربيع بن يونس (١)

قال سعيد بن مسلم بن قتيبة دعا المنصور بالربيع فقال : سَلْنِي مَا تَرِيدُ؟
فقد سكت حتى نطقت (٢) وخففت حتى ثقلت ، وأقللت حتى أكثرت ،
فقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أَرْهَبُ بِخَلْكِ ، ولا أَسْتَقْصِرُ عَمْرَكَ ، ولا
أَسْتَصْغِرُ فَضْلَكَ ، ولا أَعْتَمُ مَالَكَ ، وإن يَوْمِي بِفَضْلِكَ عَلَيَّ أَحْسَنُ مِنْ أَمْسِي ،
وَعَدَاكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي ، ولو جاز أن يشكركَ مثلي بغير الخدمة
والمناصحة لما سبقني في ذلك أحد .

قال : صدقت ، علمي بهذا منك أحلك هذا المحل ، فسَلْنِي مَا شِئْتَ ؟؟

قال : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْرُبَ عَبْدَكَ «الفضل» وتؤثره وتُجِبْه .

قال : يا ربيع ، إن الحب ليس بمال يوهب ، ولا رُتْبَةٌ تُبَدَّلُ ، وإنما
تؤكده الأسباب .

قال : فاجعل لي طريقاً إليه بالتفضل عليه .

قال : صدقت ، وقد وصلته بألف ألف درهم ، ولما أصِلَ بها أحداً غير
عمومتي لتعلم ماله عندي ، فيكون منه ما يستدعي به محبتي ، وكيف سألت
له المحبة يا ربيع ؟

قال : لأنها مفتاح كل خيرٍ ، ومغلاق كل شرٍ ، تستتر بها عندك
عُيُوبُهُ وتصير حسناتٍ ذنوبه ، قال : صدقت ، وأتيت بما أردت .

الأعرابي السائل

وقف أعرابي يسأل ، فعَبِثَ بِهِ فَتَى ، وقال : مِمَّنْ أَنْتَ ؟

فقال الأعرابي : من بني عامر بن صعصعة قال : من أيهم ؟

(١) الربيع بن يونس هو صاحب المنصور توفي سنة ١٧٠ هـ
(٢) يقول : انك اطلت السكوت فنبهت بذلك على نفسك ، فقام
السكوت مقام الكلام ، وعلى هذا القياس ما بعده

قال : إن كنت أردت عاطفة القرابة فليكنك هذا المقدار من المعرفة فليس مقامى بمقام مجادلة ولا مُفاخرة ، وأنا أقول : فإن لم أكن من هاماتهم (١) فلست من أعجازهم .

فقال الفتى : ما رويت عن فضيلتك إلا النقص فى حسابك .

فامتعض (٢) الأعرابى لذلك ، فجعل الفتى يعتذر ، ويخلط. الهزل والدعابة (٣) باعتذاره ، وأطال الكلام ، فقال له الأعرابى : يا هذا ! إنك منذ اليوم أدبتنى بمزحك ، وقطعتنى عن مسألتى بكلامك واعتذارك ، وإنك لتكشِف من جهلك بكلامك ما كان السكوتُ يستره من أمرك ، ويحك ! إن الجاهل إن مزح أسخط ، وإن اعتذر أفرط . ، وإن حدث أسقط . (٤) ، وإن قدر تسلط . وإن عزم على أمر تورط . (٥) ، وإن جلس مجلس الوقار تبسّط . (٦) ، أعوذ منك ومن حال اضطررتنى إلى احتمال مثلك .

معاوية والأحنف بن قيس

لما عزم معاوية على البيعة ليزيد ، كتب إلى زياد أن يُوجّه إليه بوفد أهل العراق ، فبعث إليه بوفد البصرة والكوفة ، فتكلّمت الخطباء فى يزيد والأحنف بن قيس ساكت ، فلما فرغوا ؛ قال : قل يا أبا بحر فإن العيون إليك أشرع (٧) منها إلى غيرك ، فقام الأحنف فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

يا أمير المؤمنين ، إنك أعلمنا بيزيد فى ليله ونهاره ، وإعلانه وإسرااره ،

(١) الهامات : الرعوس (٢) امتعض : تألم (٣) الدعابة : اللعب والمزاح (٤) أسقط : أخطأ (٥) تورط فى الأمر : وقع وارتبك . (٦) تبسّط : أكثر من القول وجانب الاحتشام (٧) أشرع : أرفع وأكثر نظرا .

فإن كنت تعلمه لله رضاءً ، فلا تُشاور فيه أحداً ، ولا تُقيم له الخطباء والشعراء ، وإن كنت تعلم ببعده من الله ، فلا تزوده من الدنيا وترحل أنت إلى الآخرة فإنك تصير إلى يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، فكأنه أفرغ على معاوية ذنوب (١) ماءً بارداً .

فقال له : أقعد يا أبا بحر ، فإن خيرة الله تجرى ، وقضائه يمضى ، وأحكامه تنفذ ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه (٢) ، وإن «يزيد» فتى بكونه ولم نجد في قريش فتى هو أجدر بأن يجتمع عليه منه .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت تحكى عن شاهد ، ونحن نتكلم على غائب ، وإذا أراد الله شيئاً كان .

الحجاج ورسول المهلب

يروى أن المهلب (٣) لما فرغ من أمر عبد ربه الحروري (٤) ، دعا بشر بن مالك ، فأنفذه بالبشارة إلى الحجاج ، فلما دخل على الحجاج قال : ما اسمك؟ قال : بشر بن مالك ، فقال الحجاج : بشاراً ومُلك ، كيف خلفت المهلب؟ قال : خلفته وقد أمن ما خاف ، وأدرك ما طلب ، قال : كيف كانت حالكم مع عدوكم؟ قال : كانت البداة لهم ، والعاقبة لنا . قال الحجاج : العاقبة للمتقين ، فما حال الجند؟ قال : وسعهم الحق وأغناهم النفل (٦) ، وإنهم لمع رجل

(١) الذنوب : الدلو الملقى ، جمعه أذنية وذنائب (٢) أى لا راد لقضائه (٣) هو المهلب بن أبى صفرة الأزدى ، كان شجاعاً مهيباً وقائداً من أكبر قواد الجيوش فى الدولة الأموية ، وهو الذى شتت الخوارج ومزقهم كل ممزق . ويقال للبصرة بصرة المهلب لأنه حماها من الخوارج توفى ٨٣ . (٤) الحرورى : نسبة الى حروراء على غير القياس وهى بلدة بقرب الكوفة والحرورية : فرقة من الخوارج كالأزارقة (٥) كذا فى زهر الآداب . وفى تاريخ ابن خلكان أن اسم الرسول مالك بن بشير . (٦) النفل : الغنيمة وجمعه أنفال

يسوسهم بسياسة الملوك ويقاتل بهم قتال الصعلوك ، فلهم منه بر الوالد ، وله منهم طاعة الولد ، قال : فما حال ولد المهلب ؟ قال : رُعاة البيات حتى يأمّنوا ، وحماة السرح (١) حتى يرُدُّوه ، قال : فأَيُّهم أفضل ؟ قال : ذلك إلى أبيهم . قال : وأنت أيضاً ، فإني أرى لك لساناً وعبارة ، قال : هم كالحلقة المفرغة (٢) لا يُدْرِي أين طرفاها ، قال : ويحك ! ! أَكُنْتُ أَعَدَدْتُ لِهَذَا الْمَقَامِ هَذَا الْقَالَ ؟ قال : لا يعلم الغيب إلا الله ، فقال الحجاج لجلسائه : هذا - والله - الكلام المطبوع ، لا الكلام المصنوع .

حديث معاوية وليلى (٣) الأخيلية

قال بعض الرواة : بينا معاوية يسير إذ رأى راكباً فقال لبعض شُرَطِه اثنى به وإياك أن ترّوعه فأتاه فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : إياه أردت ، فلما دنا الراكب حذرَ لثامه ، فإذا ليلي الأخيلية ، فأنشأت تقول :

مُعَاوِيَ لَمْ أَكْدِ آتِيكَ تَهْوَى بَرَحَلِي نَحْوِ سَاحَتِكَ الرِّكَابُ
تَجُوبُ الْأَرْضَ نَحْوِكَ مَا تَأْبَى إِذَا مَا الْأَكْمِ قَنَّعَهَا السَّرَابُ (٤)
وَكُنْتُ الْمُرْتَجَى وَبِكَ اسْتَعَاذْتُ لَتَنْعَشَهَا إِذَا بَخَلَ السَّحَابُ

فقال : ما حاجتك ؟ قالت : ليس مثلي يطلبُ إلى مثلك حاجة ، فتخير أنت أعلى عيناً ، فأعطاها خمسين من الإبل ، ثم قال : أخبريني عن مُضَر ، قالت فاخر بمُضَر ، وحرِبْ بَقِيْس ، وكاثر بتميم ، وناظر بأسد (٥) .

فقال : ويحك يا ليلي ؟ أكما يقول الناس كان توبة ؟ قالت : يا أمير

(١) السرح : الماشية في المرعى (٢) الحلقة المفرغة : المصبوبة قطعة واحدة وهذه الجملة مثل : لا امرأة عربية (٣) ليلي الأخيلية : اشعر امرأة عربية بعد الخنساء (٤) الأكم : واحده أكمة - وسكنت الكاف لا وزن - تقول : أن ركابها تجول في الأرض قاصدة معاوية ، ولا تتأبى عند اشتداد الحر إذ تتغطى الأكام بالسراب (٥) مُضَر : أصل لقيس وتميم وأسد : تقول : إن مُضَر ذات مجد عظيم وقيس أهل البسالة والإقدام وتميم ذوو الكثرة والعدد وأسد أهل الحجة واللدد

المؤمنين ليس كل الناس يقول حقاً ، الناس شجرة بغى يحسدون النعم حيث كانت وعلى من كانت ، كان يا أمير المؤمنين : سبط. البنان ، حديد اللسان ، شجى الأقران ، كريم المخبر ، عفيف المئزر ، جميل المنظر ، وكان كما قلت ، ولم أبعُد عن الحق فيه :

بعيد المدى لا يبلغ القرم غوره ألد ملد يغلب الحق باطله (١)

فقال معاوية : ويحك يا ليلي ! يزعم الناس أنه كان عاهراً فاجراً :
فقال من ساعتها مرتجلة :

معاذ النهى قد كان والله توبة	جواداً على العلات جماً نوافله (٢)
أغر خفاجياً يرى البخل سبة	تحالف كفاه الندى وأزامله
عفيفاً بعيد الهم صلباً قناته	جميلاً محياً قليلاً غوائله (٣)
وكان إذا ما الضيف أرغى بغيره	لديه أتاه نيله وفواضله
وقد علم الحدب الذى كان سارياً	على الضيف والجيران أنك قاتله
وأنك رحب الباع ياتوب بالقرى	إذا ما لثيم القوم ضاقت منازلته
بييت قرير العين من كان جاره	ويضحى بخير ضيفه ومنازله

فقال لها معاوية : ويحك يا ليلي ! لقد جُزّت بتوبة قدره ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، والله لورأيتته وخبرته لعلمت أنى مقصرة فى نعته ، لا أبلغ كنه ما هو له أهل ، فقال لها معاوية : فى أى سن كان توبة ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين :

أته المنايا حين تم تمامه وأقصر عنه كل قرن يناضله
وصار كليت الغاب يحمى عرينه فترضى به أشباله وحلائله

(١) القرم السيد . والألد : الشديد الخصومة . والملد مبالغة فى الالذ .
نقول : لا يدرك غوره مع شدة عارضة تجعل باطله يغلب الحق (٢) عاى
العلات : أى على كل حال . والنوافل : العطايا (٣) الغوائل : الدواهى .
وفلان قليل الغوائل : أى ليس فيه ما يعيبه العشير .

عطوفٌ حَاميٌ حين يُطلبُ حلمه وُسْمٌ زُءافٌ لا تصابُ مقاتلته

فأمر لها بجائزة ، وقال : أى ما قلت فيه أشعر ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلت شيئاً إلا والذي فيه من خصال الخير
أكثر ، ولقد أجدتُ حيث أقول :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه فتى من عقيل ساد غير مكلف

فتى كانت الدنيا تهون بأسرها عليه فلم ينفك جَمَّ التصرف

ينال عليّات الأمور بهونة إذ هي أعيت كل خرق مسوف (١)

الحارث (٢) بن عوف المرى ومصاهرته أوس (٣) بن حارثة الطائى

يروى أن الحارث بن عوف المرى : قال يوماً لخارجة بن سنان المرى ، أترانى
أخطب إلى أحد فيردنى ؟ قال : نعم ، قال : ومن ذاك ؟ قال : أوس بن حارثة بن
لأم الطائى ، فقال الحارث لغلّامه : ارحل بنا ، ففعل ، فركبا حتى أتيا أوساً . فلما
رأى الحارث بن عوف قال : مرحباً بك يا حارث ، قال : وبك ، قال : ماجاء
بك ؟ قال : جئتك خاطباً ، قال : لست (٤) هناك ، فأنصرف ولم يكلمه ، ودخل
أوس على امرأته مغضباً - وكانت من بنى عبس (٥) - فقالت : من
الرجل الذى وقف عليك فلم يُطل ولم تكلمه ؟ قال : ذاك سيد العرب الحارث

(١) الهونة : التؤدة . والخرق : الفتى الحسن الكريم السجاييا
والمسوف : من يصنع ما شاء لا يردده أحد (٢) هو أحد عظماء ذبيان .
ومرة : بطن من ذبيان . والحارث أحد السيدين اللذين سعيا في الصاح
بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء التى دامت نحو أربعين سنة
وقد احتملا فى مالهما خاصة غرامة تلك الحرب (٣) هو سيد طيء فى
زمانه ، وفيه يقول الشاعر :

الى أوس بن حارثة بن لام ليضى حاجتى فيمن قضاها

فما وطىء الحصا مثل ابن سعدي ولا لبس النعال ولا احتذاها

(٤) أى لست كفؤا (٥) عبس وذبيان أبناء عم

ابن عوف المري ، قالت : فما لك لا تستنزله ؟ قال : إنه استَحَمَقَ (١) ، قالت : وكيف ؟ قال : جاءني خاطباً ، قالت : أفتريد أن تزوج بناتك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا لم تزوج سيد العرب ، فمن ؟ قال : قد كان ذلك ، قالت : فتدارك ما كان منك ، قال : بماذا ؟ قالت : تلحمته فترده ؟ قال : وكيف وقد فرط. مني ما فرط. إليه ؟ قالت : تقول له : إنك لقيتني مُقتضِباً (٢) بأمر لم يتقدم مني فيه قول ، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت ، فانصرف ولك عندي كل ما أحببت . فإنه سيفعل ، فركب في أثرهما . قال خارجة بن سنان : فوالله إني لأسيرُ إذ حانت مني التفاتةٌ ، فرأيتُه قاقبلت على الحارث وما يكلمني غمًا ، فقلت له : هذا أوس بن حارثة في أثرنا قال : وما نصنع به ؟ أمض ، فلما رأنا لا نقف عليه ، صاح : يا حارثُ أربع (٣) على ساعة ، فوقفنا له ، فكلّمنا بذلك الكلام ، فرجع مسروراً .

فبلغني أن أوساً لما دخل منزله قال لزوجته : ادعي لي فلانة - لأكبر بناته - فأتته ، فقال : يا بُنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب ، قد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردت أن أزوجه منه ، فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل ، قال : ولِمَه ؟ قالت : لأنني امرأة في وجهي ردة (٤) وفي خلقي بعض العُهدَة (٥) ، ولست بآبنة عمه فيرعى رحمى ، وليس بجارك في البلد فيستحي منك ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيُطلقني ، فيكون عليّ في ذلك ما فيه ، قال : قومي بارك الله عليك ادعي لي فلانة - لابنته الوسطى - فدعتها ، ثم قال لها مثل قوله لأختها فأجابته بمثل جوابها وقالت : إني خرقاء (٦) وليست بيدي صناعة ، ولا آمن أن يرى

(١) استحقمق : فعل فعل الحمقى (٢) الاقتضاب : المفاجأة (٣) ربع عليه : وقف أو مال إليه (٤) يقال في وجهه ردة ، أى قبح مع شيء من الجمال (٥) العهدة ، الضعف (٦) الخرقاء ، التي لا تحسن صنعة

منى ما يكره فيُطَلِّقنى ، فيكون على فى ذلك ما تعلم ، وليس بابن عمى فيرعى حتى ولا جارك فى بلدك فيستحيك ، قال : قومى بارك الله عليك ، ادعى لى « بهيسة » - يعنى الصغرى - فأتى بها ، فقال لها كما قال لهما ، فقالت : أنت وذاك ، فقال لها : قد عرضت ذلك على أختيك فآبتاه ، فقالت - ولم يذكر لها مقاتليهما : لكنى والله الجميلة وجهاً ، الصناعات (١) يداً ، الرفيعة خلقاً ، الحسينية أباً ، فإن طلقنى فلا أخلف الله عليه بخير ، فقال : بارك الله عليك .

قال خارجه : ثم خرج إلينا فقال : قد زوجتك يا حارث « بهيسة » بنت أوس ، قال : قبلت . ثم أمر أمها أن تهيبها ، وتصلح من شأنها ، ثم أمر بيت فضرب (٢) له ، وأنزله إياه ، فلما هبثت بعث بها إليه ، فلم يلبث عندها إلا هنيهة (٣) ثم خرج إلى ، فقلت : أبنيت بأهلك ؟ قال : لا والله ، فإني لما دنوت منها قالت : مه أعند أبى وإخوتى ؟ هذا والله ما لا يكون ، قال خارجه : ثم ارتحلنا بها فسيرنا ما شاء الله ثم انتحى بها ناحية ، ولم يلبث أن عاد إلى ، فقلت : أبنيت بأهلك ؟ قال : لا والله فقد قالت : أكما يفعل بالأمه الجليبية (٤) ! والسببية الأخيذة (٥) ! لا والله حتى تنحر الجزر ، وتذبح الغنم ، وتدعو العرب وتعمل ما يعمل لثلى ، قلت : والله إني لأرى همة وعقلاً ، وأرجو أن تكون المرأة منجبة إن شاء الله ، فرحلنا حتى قدمنا وأخضر الإبل والغنم ، ثم خلا بها ، ولم ينشب أن خرج فقلت : أبنيت بأهلك ! قال : لا - فقد قلت لها أحضرنا من المال ما قد تريدين ، فقالت : والله لقد ذكرت لى من الشرف ما لا أراه فيك ، قلت : وكيف ؟ قالت : أفرغ للنساء والعرب يقتل بعضها بعضاً - وذلك فى أيام حرب عبس وذبيان - قلت : فماذا تريدين ؟ قالت : اخرج إلى هؤلاء القوم

(١) امرأة صناعات : حاذقة فى الصناعات (٢) ضرب : اقيم ، وبنى له بيت
(٣) الهنيهة : الزمن اليسير (٤) الجليبية : الجابوبة (٥) الأخيذة :
الماخوذة

فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَلَنْ يَفُوتَكَ ، قَالَ خَارِجَةٌ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ
إِنِّي لَأَرَى هِمَّةً وَعَقْلًا ، قَالَ : فَأَخْرَجَ بِنَا فَخَرَجْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْقَوْمَ فَمَشِينَا
فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالصُّلْحِ ، فَاصْطَلَحُوا وَحَمَلْنَا عَنْهُمْ الدِّيَاتِ ، فَكَانَتْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ
يَعِيرُ فِي ثَلَاثِ سِنِينَ ، فَانصَرَفْنَا بِأَجْمَلِ الذِّكْرِ (١) :

ولو كان النساء - كمثل هذى - لفضلت النساء على الرجال

سودة بنت عمارة ومعاوية

قال عامر الشعبي : وفدت سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية على معاوية
ابن أبي سفيان ، فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلما دخلت عليه سلمت ، فقال لها :
كيف أنت يا ابنة الأشتر ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال لها : أنت
القائلة لأخيك :

شمرٌ لفعل أبيك يا ابن عمارة	يوم الطعان ومُلتقى الأقران
وانصُرْ علياً والحسين ورهطه	واقصد لهند (٢) وابنها بهوان
إنَّ الإمامَ أخا النبيِّ محمد	علمُ الهدى ومنازةُ الإيمانِ
فقدِ الجيوشَ وسِرِّ أمامَ لوائه	قُدماً بأبيض صارمِ وسنانِ

قالت : يا أمير المؤمنين مات الرأس وبُتر الذنب ، فدع عنك تذكاري ما قد
نسيتي ، قال : هيهات ، ليس مثل مقام أخيك نسيتي ، قالت : صدقت ، والله يا أمير
المؤمنين ، ما كان أخى خفى المقام ، ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء :
وإن صخرًا لتأتُم الهداة به كأنه علمٌ في رأسه نارُ

(١) وقد خلد زهير هذا الذكر الجميل في معلقته اذ يقول من أبيات
كثيرة :

يمينا لنعم السيدان وجدتما	على كل حال من سحيل ومبسر
نداركتما عسا وذيان بعدما	تفاتوا ودرقوا بينهم عطر منشم
(٢) هند : هي أم معاوية	

وبالله أسألك يا أمير المؤمنين إغفائي مما استعفيتهُ ، قال : فعلت ،
فقولي حاجتك ، قالت :

يا أمير المؤمنين ، إنك للناس سيد ، ولأموارهم مُتَقَدِّدٌ ، والله سائلك عما افترض
عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبسط بسطانك ،
فيحصدنا حِصَادَ السُّنْبُلِ ، ويدوسنا دِياسَ البقر ، ويسومنا الخسيصة (١) ويسألنا
الجيلية ، هذا ابن أُرطاة ، قدم بلادى وقتل رجالي ، وأخذ مالي ، ولولا الطاعة ،
لكان فينا عزاً ومنعاً ، فإما عزلته فشكرناك ، وإمّا لا تعرفناك ، فقال معاوية :
أأيام تُهددين بقومك ؟ والله لقد هممت أن أَرُدُّكَ إِلَيْهِ عَلَى قَتَبِ أَشْرَسَ (٢)
فَيُنْفِذَ حَكْمَهُ فِيكَ ، فسكنت ، ثم قالت :

صَلَّى إِلَهُ عَلَى رُوحِ تَضَمَّنَهُ قَبْرٌ فَأَصْبَحَ فِيهِ الْعَدْلُ مَدْفُونًا

قَدْ حَالَفَ الْحَقَّ لَا يَبْغِي بِهِ ثَمَنًا فَصَارَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ مَقْرُونًا

قال : ومن ذلك ؟ قالت : علي بن أبي طالب ، قال : ما أرى عليك منه أثراً ،
قالت : بلى ، أتيتهُ يوماً في رجل ولأه صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه ما بين الغث
والسمين ، فوجدته قائماً يُصَلِّيُ فأنفتل (٣) عن الصلاة ثم قال برأفة وتعطف : ألك
حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل ، فبكى ثم رفع يديه إلى السماء وقال : اللهم إني لم
أمرهم بظلم خلقك ، ولا ترك حَقِّكَ ، ثم أخرج من جيبه قطعةً من جِرَابٍ ،
فكتب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم « قد جاءتكم بيئة من ربكم فأوفوا الكيل
والميزان ولا تبخوسا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ، بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وما أنا عليكم بحفيظ . » إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ .
بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام . فعزله يا أمير المؤمنين ما خزمه
بخزام ولا ختمه بختام ، فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل عليها ،

(١) سلمه الأمر : كلفه إياه . تقول : يجشعنا دنايا الأمور (٢) القتب :
الرحل الصغير ، والأشرس : الخشن الغليظ (٣) أنفتل : انصرف

فقالت : ألي خاصة أم لقومي عامة ؟ قال : وما أنت وغيرك ؟ قالت : هي والله إذن الفحشاء واللؤم ، إن كان عدلاً فشاملاً ، وإلا يسعني ما يسع قومي ، قال : هيهات ، لمظكم (١) ابن أبي طالب الجرأة ، وغركم قوله :

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقوله :

ناديت همدان والأبواب مغلقة ومثل همدان سني فتحة الباب
كالهندواني لم تفلل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب
اكتبوا لها بحاجتها .

أم سنان بنت جشمة ومعاوية

قال سعيد بن أبي خذافة : حبس مروان وهو والي المدينة غلاماً من بني ليث في جناية جناها ، فأنته جدة الغلام - وهي أم سنان بنت جشمة المذحجية - فكلمته في الغلام ، فأغلظ مروان لها ، فخرجت إلى معاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرفها فقال : مرحباً بابنة جشمة ، ما أقدمك أرضنا ، وقد عهدتكَ تشتميننا وتحضين علينا عدونا ؟ قالت : إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة ، وأخلاماً وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسفهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو ، وإن أولى الناس باتباع ما سنن آباؤه لأنت ، قال : صدقت ، نحن كذلك ، فكيف قواك :

عزب الرقاد فمقلتي لا ترقد والليل يُصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمرُوا إن العدو لآل أحمد يقصد
هذا علي كالهلال تحفه وسط السماء من الكواكب أسعد

(١) لظه الشيء : منحه اياه

خَيْرُ الْخَلَائِفِ وَابْنِ عَمِّ مُحَمَّدٍ إِنَّ يَهْدِكُمْ بِالنُّورِ مِنْهُ تَهْتَدُوا
 مَا زَالَ مُدَّ شَهْدِ الْجُرُوبِ مُظْفَرًا وَالنَّصْرَ دُونَ لَوَائِهِ مَا يَعْقِدُ
 قَالَتْ : كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ لَنَا خَلْفًا ، فَقَالَ
 رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ : كَيْفَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ وَهِيَ الْقَائِلَةُ :

إِذَا هَلَكْتَ أَبَا الْحُسَيْنِ فَلَمْ تَزَلْ بِالْحَقِّ تُعْرِفُ هَادِيًا مَهْدِيًا
 فَادْهَبْ عَلَيْكَ صَلَاةَ رَبِّكَ مَا دَعَتْ فَوْقَ الْغُصُونِ حَمَامَةٌ قَمْرِيًا
 قَدْ كُنْتَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ خَلْفًا كَمَا أَوْصَى إِلَيْكَ بِنَافِكُنْتَ وَفِيًّا
 وَالْيَوْمَ لَا خَلْفٌ يُؤَمَّلُ بَعْدَهُ هِيَاهُ نَأْمَلُ بَعْدَهُ إِنْ سِيًّا

قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِسَانَ فِطْنٍ ، وَقَوْلَ صَدَقَ ، وَلَكِنَّ تَحَقَّقَ مَا ظَنَّنَا
 فَحِظُّكَ الْأَوْفَرَ ، وَاللَّهُ مَا وَرَثَكَ الشَّنَّانَ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا هَوْلًا ،
 فَادْحَضْ مَقَالَتَهُمْ ، وَأَبْعِدْ مَنْزِلَتَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ تَزِدُّ مِنَ اللَّهِ قُرْبًا
 وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ حُبًّا ، قَالَ : وَإِنَّكَ لَتَقُولِينَ ذَلِكَ ، قَالَتْ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَاللَّهُ
 مَا مِثْلَكَ مَدْحٌ بِبَاطِلٍ وَلَا اعْتِدَارٌ إِلَيْهِ بِكَذِبٍ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِنَا
 وَضَمِيرِ قُلُوبِنَا .

شكرًا لربي الذي أعانني على طبع الجزء الأول ، ويليه الجزء الثاني

وأوله : « الفن السابع في التاريخ »

جواهر الأديب

أدبيات وإنشاء لغة العرب

تأليف
المرحوم السيد أحمد الهاشمي

مدير مدارس فؤاد الأول
ومراقب مدارس فيكتوريا سابقا

الجزء الثاني

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى
بمصر ص.ب. ٥٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفن السابع في تاريخ أدب اللغة العربية

وفيه مقدمات عشر

المقدمة الأولى في التاريخ

التاريخ : هو معرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم ، وسياستهم ، واعتقادهم ، وأديبهم ، ولُغتهم .

والأدب : (كل رياضة محمودة يتخرجُ بها الإنسان في فضيلة من الفضائل) وهذه الرياضة كما تكون بالفعل ، وحسن النظر ، والمحاكاة ، تكون أيضاً بمزاولة الأقوال الحكيمية التي تضمنتها لغة أي أمة .

واللغة : ألفاظٌ يُعبرُ بها كل قوم عن أغراضهم ، وهي من الأوضاع البشرية . وأدبُ لغة أي أمة : هو ما أودع شعرها ونثرها من نتائج عقول أبنائها وصور أخيلتهم وطباعهم ، مما شأنه أن يهذب النفس ، ويثقف العقل ، ويُقوم اللسان . وتاريخ أدب اللغة : هو العلم الباحثُ عن أحوال اللغة ، نثرها ونظمها في عصورها المختلفة من حيث رفعتها وضعتها ، وعمّا كان لتأثيرها من التأثير البين فيها .

واللغة العربية : إحدى اللغات السامية ، وهي لغة أمة العرب القديمة العهد الشائعة الذكر ، التي كانت تسكن الجزيرة المنسوبة إليها في الطرف الغربي من آسيا . وهذه الأمة : منها القدماء ، وهم الذين يسكنون تلك الجزيرة ، وينطقون باللغة العربية سليقةً وطبعاً ، وهم ثلاث طبقات :

أولاهم - العرب البائدة : وهؤلاء لم يصل إلينا شيءٌ صحيح عن أخبارهم إلا ما قصة الله علينا في القرآن الكريم ، وإلا ما جاء في الحديث النبوي ، ومن أشهر قبائلهم : طسم ، وجديس ، وعاد ، وثمود ، وعمليق ، وعبد ضخم .

وثانيتها - العرب العاربة : وهم بنو قحطان الذين اختاروا اليمن منازل لهم ، ومن أمهات قبائلهم : كهلان وجمير .

وثالثتها - العرب المُستعربة : وهم بنو إسماعيل الطارئون على القحطانيين والمتزوجون بهم لغة ونسباً ، والمعروفون بعد بالعدنانيين ، ومن أمهات قبائلهم : ربيعة ، ومُضَر ، وإياد ، ونزار .

ومنها المُحدَثون : وهم سلائل هؤلاء الأقبام الممتزجون بسلائل غيرهم ، والمنتشرون بعد الإسلام فى بقاع الأرض من المحيط الأخر (الأطلنطى) إلى ماوراء بحر فارس ودجلة ، ومن أعلى النهرين إلى ما وراء جاوه وسومطرة .

المقدمة الثانية فى توضيح بعض ما فى المقدمة الأولى

اعلم أنه يُوجد فى الجنوب الغربى من آسيا إقليم واسع الأرجاء ، تبلغ مساحته ربع أوروبا تقريباً ، تساهل الأقدمون فسّموه (جزيرة العرب) مع أن الماء لم يحط به من جميع جهاته .

يتألف غربى هذا الإقليم من جزئين شهيرين : الحجاز شمالاً ، واليمن جنوباً . أما الحجاز فقطر فقير ، قلّت مياهه ، وأجذبت أرضه ، واشتدت حرارته ، يعتمد أهله على الأودية القليلة ، والآبار الشحيحة ، لم يستطيعوا أن ينتفعوا كثيراً بالماء الذى ينزل من السماء ، لأنهم لم يبلغوا من الفنون مبلغاً يمكنهم من اختزانه واستخدامه عند الحاجة إليه ، وأشهر مدنه مكة والمدينة والطائف . وأما اليمن فقد اشتهر قديماً بالغنى والخصب والحضارة ، كثرت أمطاره وسيوله وعرف أهله بما أوتوا من فن أن ينتفعوا بها ، فأنشأوا السدود يسيطرون بها على الماء جمعاً وتصريفاً ، وأشهر مدنه صنعاء ، وجران ، وعدن .

وهذان القطران - أعنى الحجاز واليمن - أبعد البلاد أثراً فى حياة العرب ، وفى تاريخهم السياسى ، والاقتصادى ، والأدبى .

وإذا وقع نظرك على (مصور) جزيرة العرب فأبئين ماترى فيها وأبعده مدى صحراؤها فى داخلها ، وهى متنوعة فى طبيعتها ، فسهلة لينة حيناً ، وصلبة انتشرت فيها الحصباء حيناً ، ومفروشة بحجارة سوداء تسمى الحرار حيناً . وهذه الصحراء فى جملتها قفر ، تسطع الشمس عليها فى الحر فتلحح أرضها وأهلها ، ويعتمد ساكنوها على ما تُنبته البقاع عقب المطر فترعاه إبلهم وشياهم ؛ وهم يأكلون من لحومها ، ويشربون من ألبانها ، ويلبسون من أصوافها وأوبارها .

المقدمة الثالثة فى نسب سكان جزيرة العرب

اعتاد النسابون أن يُقسِّموا الشعوب إلى أجناس ، ويُسموا كل جنس باسم خاص يجمعها فاعتادوا أن يُسموا الجنس الذى منه العرب (الجنس السامى) نسبة إلى (سام بن نوح) عليه السلام ، وعدوا من هذا الجنس البابليين والأشوريين والعبرانيين والفينيقيين والأرمينيين والحبشيين . ولكن هذا كله لا يزال موضع خلاف بين علماء الأنساب ؛ كما اختلفوا فى أن أصل (الجنس السامى) نشأ فى آسيا (فى جزيرة العرب أو أرمينية أو على شاطئ الفرات) أو نشأ فى إفريقية ثم نزع منها إلى آسيا .

ومن قديم وهؤلاء العرب ينقسمون إلى عرب الشمال (الحجازيين) وعرب الجنوب (اليانيين) ويذكر النسابون أن عرب الشمال يرجعون فى نسبهم إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ويُسمون النزاريين نسبة إلى نزار من نسل إسماعيل ، وعرب الجنوب من نسل قحطان ، ويُسمون اليانيين أو القحطانيين ، وبين هذين النوعين من العرب فروق ترجع فى جملتها إلى أن عرب الحجاز تغلب عليهم عيشة البداوة ، وعرب اليمن يعيشون عيشة حضارة .

ولسنا نقصد أن عرب الشمال كانوا يسكنون الحجاز فحسب وعرب الجنوب كانوا يسكنون اليمن ولا يتعدونها ، بل نعى أن كلامنا الحجازيين واليانيين

عُنصر يَخْتَلَفُ فى نَسَبِهِ ودمه عن العنصر الآخر ، ولكن كانت بين العنصرين صِلَاتٌ ، وَرَحَل قوم من كل فريق إلى موطن الآخر لأسباب يطول ذكرها ، فكان فى الحجاز عرب من اليمن وكان فى اليمن عرب من الحجاز .

وكل من اليانين والحجازيين ينقسمون إلى قبائل .

فاليانيون يتفرعون إلى فرعين كبيرين : شعب كهلان وشعب حمير .

فشعب كهلان : قبائله طيئ ، وهمدان . ولخم ، وكندة .

وشعب حمير : أشهر قبائله قُضَاعَة ، وتنوخ ، وكلب .

والحجازيون : كذلك ينقسمون إلى قسمين كبيرين : ربيعة ، ومُضَر .

فشعب ربيعة : أشهر قبائله بكر ، وتغلب .

وشعب مُضَر : أشهر قبائله قيس ، وتميم ، وهذيل ، وكنانة ، وقريش ،

وكل قبيلة من هذه القبائل تنقسم إلى بطون وأفخاذ يطول عددها ، وكان بين

هذه القبائل - حتى ما كان منها من أصل واحد - من الحروب ، والمنازعات ،

والتهاجى ما ملئت به كتب التاريخ والأدب .

المقدمة الرابعة فى اللغة العربية

وإذ قد ذكرنا قبلُ أن العرب والعبرانيين ومن إليهم يُعدُّون (ساميين)

فَلغاتهم التى يتكلمون بها تسمى (لغات سامية) فاللغة العربية إحدى اللغات

السامية وقد عرفت على النحو الذى نعلمه ، حول آخر القرن الخامس للميلاد .

ويذهب الباحثون فى علم المقارنة بين اللغات إلى أن اللغة العربية من أقرب

اللغات إلى اللغة الأصلية التى تفرعت منها اللغات السامية ، نظراً لاحتباس

العرب فى بلادهم وقلة النازحين منها والوافدين إليها ، وضعف العلاقة بين

أهلها وغيرهم من الأمم .

وكما انقسم العرب إلى حجازيين ويمنيين انقسمت لثنتهم إلى مُضَرِيَّة

وحميرية وكانت هناك فروق بين اللغتين عظيمة فى الألفاظ اللغوية ، وفى الصيغ وفى التراكيب ، وفى اللهجات ؛ ولكن حدث قبيل الإسلام أن أخذت لغة الحجاز ، وبعبارة أدق (لغة قريش) تسودوما زالت كذلك حتى ظفرت باللغة الحميرية ، وحتى صارت (لغة قريش) هى لغة جزيرة العرب جميعاً . وقد دعا إلى هذه الظاهرة أسباب سياسية ، ودينية ، واقتصادية ستأتى الإشارة إليها بعد .

المقدمة الخامسة فى تاريخ الأمة العربية

ليس تاريخ الأمة العربية قبل الإسلام معروفاً محققاً ، لأن أكثر الأمة كانوا أهل بدو لم تمكنهم بدواتهم من أن يدونوا تاريخهم ، أو ينقشوا حوادثهم حتى أن الذين تحضروا منهم كاليانين والحميريين لم يعثر الباحثون إلا على القليل من نقوشهم وآثارهم ، وإنما يعتمد الذين يؤرخون للعرب قبل الإسلام على هذا القليل من الآثار ، وعلى ما كتبه أهل عصرهم من الأمم الأخرى كاليونان ، والرومان ، والمصريين ، والعبريين ، والحبشيين ، وعلى ما يستنبطون من بعض نصوص أدبية . ولتقصر الآن كلامنا على حالة العرب قبيل الإسلام ، فإن اللغة العربية التى نعى بأدبها وتاريخها إنما عرفت فى هذا العصر .

هذا العصر سمّاه القرآن الكريم (الجاهلية) ونسبنا إليه فقلنا : العصر الجاهلى ، والأدب الجاهلى ؛ وقد يكون اشتقاق هذا الاسم من الجهل وهو ضد العلم لما كان يغلب فيه من السفه والفخر بالمال والأنساب والإمعان فى سفك الدماء والعصبية الحادة ونحو ذلك مما كرهه الإسلام ونفر منه ، وقد نقل إلينا كثير مما يدل على حالة هذا العصر الاجتماعية والسياسية من شعر وأمثال وقصص ، ولكنها كلها لم تدون فى الكتب إلا فى القرن الثانى والثالث للهجرة ؛ فكان بعضها مثاراً لنقد الناقدين وأخذ العلماء والأدباء من قديم يحصونها ، ويصححونها بعضاً ويكذبون بعضاً ، ولكن بجانب ذلك ورد كثير من آيات القرآن الكريم

وصحيح الحديث يروى لنا الشيء الكثير عن هذه الحياة الجاهلية ،
ويكشف لنا من غموضها .

ويدلنا ماصح من تاريخهم على أنه قد أنشئ على تخوم جزيرة العرب الشمالية
إمارتان كبيرتان : إمارة الحيرة في العراق بجوار الفرس ، وإمارة الغساسنة في
الشام بجوار الرومان ، وكان يحكم هاتين الإمارتين أمراء من العرب يتبعون في
نظامهم نظام الدول المجاورة لهم . فإمارة الحيرة تتبع في كثير من شئونها نظام
الفرس وإمارة الغساسنة تتبع في كثير من شئونها نظام الرومان .

وكان سكان هاتين الإمارتين وسكان اليمن في الجنوب يعيشون عيشة
حاضرة يزرعون ويصنعون ، وكثير من سادتهم مترفون . وقد روى لنا
الكثير عن ترف أمراء الغساسنة في الشام ، وعن حضارة الحيريين ، وما كان
لهم من خورنق وسدير .

أما داخل الجزيرة والحجاز ، إذا أنت استثنيت بعض سكان المدن المشهورة
- كمكة ويثرب والطائف - فكانوا أهل بدو يحتقرون الزراعة والصناعة
والتجارة ويعتمدون في معيشتهم على الإبل ، ويوغلون بها في الصحراء ،
ويتطلبون منابت العشب ، ومراعى الشجر ، وموارد الماء ، ويأكلون مما
تخرجه الأنعام .

المقدمة السادسة في حياة العرب الاجتماعية

كان سكان الجزيرة يعيشون عيشة قبائل ، فالقبيلة هي الوحدة التي بُني
عليها نظام حياتهم ، وأفراد القبيلة ينتسبون إلى أب واحد ، وقل أن ينتسب
إليها . من لم يسأهمها في نسبها إلا عن طريق الحلف أو الولاء (١) .

(١) كان الأسير من قبيلة أخرى إذا لم يستطع فداء نفسه يسمونه
بسمه القبيلة التي أسرته ، ويسمى حليفا لها . وكانوا يجيزون استرقاق
الأسرى ، فإذا عتق الأسير ظلت هناك صلة بين المعتق والمعتق . وهذه
الصلة تسمى الولاء .

وتسود أفراد القبيلة فكرة العصبية ، فكلُّ فرد يتعصب لقبيلته ويعنى بحفظ نسبه ويفتخر به ، ويحنو على من يُشاركه فيه ، ويسير على منهج قبيلته ، سواء أصابت أم أخطأت ، ومن هذه الظاهرة قول القائل :

وما أنا إلا من غزيرة إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

والقبيلة تحميه من العدوان ، وتطالب بدمه إن جنى أحد عليه ، ولكل قبيلة رئيس هو سيدها ، وهو مرجع الأفراد فى إقامة العدل بينهم على حسب عرفهم وتقليدهم .

وعلاقة القبيلة بغيرها من القبائل علاقة عداً غالباً - تُغیرُ عليها ، وتغنم من مالها ورجالها ، والأخرى تتربص بها الدوائر لتنتقم منها :

يُغار علينا واترين فيشتنى بنا إن أصبنا أونغير على وتر (١)

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضى إلا ونحن على شطر

ولم تكن للعرب فى الجاهلية عدا من ذكرنا قبلُ حكومة تسيطر عليهم جميعاً وتشرف على شئونهم ، لأن شرط قيام الحكومة انتساب الأفراد إلى المواطن ، لا إلى القبائل ، وانحلال العصبية وقيام الجامعة الوطنية الدينية مقام العصبية القبلية ، وهى أمور لم تتوافر للعرب فى جاهليتها .

كانت القبيلة تنقسم عندهم إلى أسر ، ونظام الأسرة كان فى هذا الطور هو المعروف عند علماء الاجتماع : بطور السلطة الأبوية ، إذ كان الأب فيها واسع السلطان نافذ الكلمة على كل أفراد الأسرة ، يتصرف فى مالهم وفى شئونهم ويقطع فى الأمور دونهم ، وهو المرجع الأعلى لهم جميعاً ، وكان بعض الأسر تمتاز بصفات وأعمال ، تجعل له الرياسة والشرف كبيت هاشم ، وبيت أمية فى قريش ، وبيت زرارة فى تميم ، وهكذا .

(١) الواثر القاتل ، والموتور الذى قتل له قتيل فلم يأخذ بدمه ، وواترين حال من الضمير فى علينا .

المقدمة السابعة في أخلاقهم

ترى أن أكثر العرب أهل بدو . ولأهل البدو صفات خاصة يتمدحون بها ويكثرون في شعرهم من ذكروها والتغنى بها ولعل من خير ما يمثل هذه الصفات ما جاء في قول «تأبط. شراً» أحد الشعراء الجاهليين (١) إذ يمدح ابن عم له بأنه قليل الشكوى من الهم ينزل به ، بعيد الهممة واسع الأمل يسير وحيداً لايهاب ، ويركب المهالك ولا يخشى مواجهتها ، (عداء) يسبق الريح السريعة ، إن نام فإنما تنام عينه ، ولا ينام قلبه ، وإن صحا كانت عينه ديدبان قلبه . وله سيف صارم ، إن أصاب به قرنا استقبلته المنايا مهللة ، لا يخشى الوحدة بل يأنس بها ، ويعرف مسالك الصحراء فلا يضل في سيره ، كما لا تضل الشمس ، وهذه الصفات كما ترى هي (المثل الأعلى) للبدوي لا للحضري .

وقد تمدحوا بالبرورة وأكثروا من ذكرها ، وهو لفظ . يجمع قانون الشرف عماده الشجاعة والكرم والوفاء ، وأكثر ما تتجلى فيه الشجاعة عندهم النزال والقتال والدفاع عن الأهل والقبيلة ونجدة المستصرخ . وأكثر ما يتجلى فيه الكرم إيقاد النيران ونحر الجزور ، وإضافة اللاجئ .

(١) قليل التشكى للهم يصيبه يظل بمومة ويمسى بغيرها ويسبق وفد الريح من حيث تنتحى إذا حاص عينيه كرى النوم لم يزل ويجعل عينيه ربيثة قلبه إذا هزه فى عظم قرن تهلت يرى الوحشة الأنس اللذيذ ويهتدى

المومة : المفازة التى لا ماء فيها ، وجحيشا : وحيدا ، ويعرورى ظهور المهالك : يركبها ، مأخوذ من قولهم اعروريت الفرس اذا ركبتة عاريا ليس عليه شئ ، ووفد الريح اولها والمعنى أنه يسبق الريح لخفته ، والمنخرق السريع والمتدارك المتلاحق ، حاص خاط ، والشيحان الحازم . والفاتك الذى اذا هم بشئ فعله ، ربيثة القلب ديدبانه - ويريد بالسلة السيف الذى يستل . ام النجوم : الشمس .

فَأَمَّا الشجاعة فيمثلها فى نظرهم قول عمرو بن معديكرب :

لما رَأَيْتُ نِسَاءَنَا يَفْحَصْنَ بِالْمِعْزَاءِ شِدَاً (١)
 وبدت «لؤيس» كأنها بدرُ السماءِ إِذَا تَبَدَّى
 وبدت محاسنها التى تخفى وكان الأمرُ جدًّا
 نازلتُ كبشَهُمْ ولم أرَ من نزالِ الكبشِ بُدَاً (٢)
 هم يُنذرون دمي وأنذرُ إن لقيتُ بآن أَشَدَّا
 كم من أَخٍ لِي صالحٍ بوأتهُ بيديَّ لَحْدَا
 ما إن جَزِعْتُ ولا هَلَعْتُ ولا يَرُدُّ بكأى زُنْدَا
 أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وخلقتُ يوم خلقتُ جلدًا
 أغنى غَنَاءَ الذاهبين أَعُدُّ للأعداءِ عَدَا
 ذهب الذين أَحَبُّهُمْ وبقيتُ مثل السيفِ فردا

وأما الكرم ، فمن خير ما يمثله فى نظرهم قول عتبة بن بجير :

فقالوا غريبٌ طارقٌ طوحتُ به متونُ الفيافي والخطوب الطوائح (٣)
 فقمْتُ ولم أَجِمْ مكاني ولم تقم مع النفسِ علات البخيلِ الفواضح
 وناديتُ شبلًا فاستجاب وربما ضمنا قِرَى عشر لمن لا تصافح (٤)
 فقام أبو ضيف كريم كأنه وقد حدم من فرط الفكاهة مازح (٥)
 إلى جِذمِ مالٍ قد نهكنا سوامه وأعراضنا فيه بواق صحائح (٦)

(١) المعزاء : الأرض الصلبة ذات الحجارة . ومعنى يفحصن بالمعزاء

شدا : أى أنهم يؤثرون فى الأرض الصلبة لشدة عدوهن .

(٢) كبش القبيلة رئيسها . (٣) الخطوب الطوائح : أى المصاب

المهلكة . وطوحت به حملته على ركوب المهالك . (٤) شبل اسم ابنه !

وقرى عشر أى ضيافة عشر ليال لمن ليس بيننا وبينه مصادقة توجب

مصافحته . (٥) أبو ضيف يريد نفسه . (٦) الى جذم . متعلق .

يقام فى البيت قبله ، ويريد بجذم المال أصل المال ، وهو النوق جمع ناقه .

جعلناه دون الذم حتى كأنه إذا عدّ مال المكثرين المنائح (١)
لنا حمد أرباب المؤمنين ولا يُرى إلى بيتنا مال مع الليل رائح (٢)
وقد أحبوا كثيراً ، وشربوا الخمر ، ولعبوا الميسر ، وشغفوا بالصيد .
وطربوا للغناء وتاقوا إلى السمر ، وكان هذا كله مادة لشعرهم وأديبهم .

المقدمة الثامنة فى دينهم

كان للعرب فى الجاهلية دينٌ ، ولكنه دين ضعيف ، لا يُخلصون له ولا يصل
إلى أعماق نفوسهم ، وحسبنا دليلاً على ذلك أننا ننظر فيما بين أيدينا من شعرهم
فنرى فيه الصيد كثيراً ، والخمر والنساء والميسر كثيراً ، والفخر والهجاء ووصف
القتال كثيراً ، ولكن قل أن نرى فيه شرحاً لعاطفة دينية ، وقل أن نرى فيه
ذكر الله وتمجيده ، وقل أن نرى فيه وصفاً لما كانوا يعبدون .

انتشرت اليهودية والنصرانية فى بعض بقاع جزيرة العرب ، فقد كان
فيها مستعمرات يهودية أشهرها « يثرب » وهى سميت بعدد « بالمدينة » ،
كذلك انتشرت اليهودية فى اليمن فى أوائل القرن السادس للميلاد ، ولكنها
كانت فى نزاع مستمر مع النصرانية .

وانتشرت النصرانية فى منازرة الحيرة ، وفى غساسنة الشام ، وسائر قبائله
وزاحمت اليهودية فى اليمن ، وكان أشهر مراكز النصرانية فى اليمن مدينة نجران .
وكان القسيسون والرهبان يردون أسواق العرب يعظون ويبشرون ويذكرون
البعث والحساب والجنة والنار ، واشتهر من شعرائهم وخطبائهم (عدى بن زيد
وقس بن ساعدة) ولكن اليهودية والنصرانية كانتا قليلتين إذا قيستا بالدين
السائد فى الجزيرة وهو الوثنية ، فقد عبد العرب الأصنام ، وعظموا الأوثان

(١) المنائح : جمع منيحة وهى الناقة أو الشاة تدفع الى الجار لينتفع
بلبنها مادام فيها لبن . (٢) يقول : ان مالنا قليل فابلنا باركة بفناء
الدار انتظارا للضيف وهى ليست كثيرة حتى تصير سارحة ورائحة ومع
ذلك لنا من الحمد والثناء مثل ما للمكثرين أصحاب المؤمنين .

ونصبوها فى الكعبة ، وقربوا لها القرابين ، وكان من أشهر هذه الأصنام (اللات والعزى ومناة) وكان تقديسها يكاد يعم قبائل العرب ، وإن كان ثم أصنام أخرى خاصة ببعض القبائل .

المقدمة التاسعة فى ثقافتهم

كانت المدن على التخوم واليمن مُتحضرة بعض تحضر ، فالآثار التى عُثر عليها فى اليمن والحيرة . وما نقل عن أهلها يدل دلالة صادقة على أنهم كانوا على حظ من الفن والعلم غير قليل : فأهل الحيرة تسرب إليهم شئ من علوم الفرس وآدابهم وعلوم اليونان وآدابهم والغساسنة فى الشام تسرب إليهم شئ من حضارة الرومان واليونان وآدابهم . واليمن أمة عريقة فى المدنية كانت تتصل بالفرس ، وتتصل بالحبشة وتتصل بالرومان ، ولها معهم جميعاً صلات تجارية— أما ما عدا هؤلاء من سكان الجزيرة فكان حظهم من العلم والفن قليلاً . وعلى الجملة كان للعرب معرفة بالأنساب ، وبشئ من أخبار الأمم ، وبشئ من الطب . ولكن ما كان عندهم من ذلك لم يعد أن يكون معلومات عملية أولية وتجارب ينقصها الاستقراء ، ونظرات عامة يعوزها التعمق والاستقصاء .

أما من الناحية الأدبية فكان لهم شعرٌ وقصصٌ وأمثال — وقد طبع كل ذلك بطابع عقليتهم التى أنتجها تاريخهم وبيئتهم كما سترى .

المقدمة العاشرة فى عصور اللغة العربية وآدابها

لما كان تاريخ لغة أى أمة وأدبها يرتبط . كل الارتباط . بالحوادث السياسية والدينية والاجتماعية التى تقع بين ظهرانى هذه الأمة . ناسب لذلك تقسيم تاريخ أدب اللغة العربية إلى خمسة أعصر :

الأول : عصر الجاهلية ، وينتهى بظهور الإسلام . ومدته نحو خمسين

الثاني : عصر صدر الإسلام ويشمل دولة بني أمية ؛ وابتدى بظهور الإسلام ، وينتهى بقيام دولة بني العباس سنة (١٣٢) هـ .

الثالث : عصر بني العباس ؛ وابتدى بقيام دولتهم وينتهى بسقوط بغداد في أيدي التتار سنة (٦٥٦) هـ .

الرابع : عصر الدول التركية ؛ وابتدى بسقوط بغداد وينتهى بمبدأ النهضة الأخيرة سنة (١٢٢٠) هـ .

الخامس : عصر النهضة الأخيرة ؛ وابتدى من حكم الأسرة المحمدية العلوية بمصر .

العصر الأول عصر الجاهلية

حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

لغة العرب من أغنى اللغات كلاً ، وأعرقها قدماً ، وأوسعها لكل مايقع تحت الحس ، وأيجول في الخاطر : من تحقيق علوم ، وسنّ قوانين ، وتصوير خيال ، وتعيين مرافق . وهي على هندمة أوضاعها ، وتناسق أجزاءها لغة قوم أميين ، ولا عجب إن بلغت تلك المنزلة : من بسطة الثروة ، وسعة المدى ، إذ كان لها من عوامل النمو ، ودواعي البقاء والرقى ، ما قلماً يتهبأ غيرها . وما رواه لنا أمة اللغة وجاء به القرآن الكريم والحديث النبوي هو نتيجة امتزاج لغات الشعوب التي سكنت جزيرة العرب ، ولا شك في أن من أسباب امتزاج هذه اللغات ما يأتي :

(١) هجرة القحطانيين إلى جزيرة العرب ومخالطتهم فيها العرب البائدة باليمن

ثم تمزقهم في بقاع الجزيرة كل ممزق بظلمهم أنفسهم وتخرب بلادهم بسيل العرم (١)

(١) العرم : جمع عرمة كفرجة وهي سد يعترض به الوادى أو هو جمع بلا واحد أو هو الأحباس والسدود تبنى في الوادى لحبس المياه خلفها وهي المسماة الآن بالخزانات وحادثه سيل العرم أنه كان لسباً في اليمن عرم تحبس الماء خلفها فتوزع بنظام فهدمت العرم بسيل عظيم أغرق البلاد ودمر القرى أمامه فكان هو مع كثير من الفتن والحروب الأهلية سبياً في تفرق قبائل سباً في أنحاء جزيرة العرب حتى ضرب بهم المثل في التفرق فقيل « تفرقوا أيدي سباً » .

(٢) هجرة إسماعيل عليه السلام إلى جزيرة العرب واختلاطه وبنيه بالقحطانيين بالمصاهرة والمجاورة والمحاربة والمتاجرة ، وأظهر مواطن هذا الامتزاج مشاعر الحج والأسواق التي كانت تقيمها العرب في أنحاء بلادها ومن هذه الأسواق : عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز .

وأهمها سوق عكاظ ، وكانت تُقام من أول ذي القعدة إلى اليوم العشرين منه ، وأقيمت تلك السوق بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة . وبقيت إلى ما بعد الإسلام حتى سنة تسع وعشرين ومائة . وكان يجتمع بهذه السوق أكثر أشراف العرب للمتاجرة ومُفاداة الأسرى ، والتحكيم في الخصومات ، وللمفاخرة والمنافرة بالشعر والخُطب ، في الحسب والنسب والكرم والفصاحة والجمال والشجاعة ، وما شاكل ذلك . وكان من أشهر المحكمين في الشعر « النَّابِغَةُ الذَّبْيَانِي » ، ومن أشهر خطبائها « قَس بن ساعدة الإيادي » . وقد لهج الشعراء بذكرها في شعرهم وحضرها منهم الرجال والنساء ولقرئش عظيم الأثر فيما نجم عن اجتماع العرب بتهذيب لغتهم .

كلام العرب

الغرض من كلام العرب كغيره الإبانة عما في النفس من الأفكار . ليكون مدعاة إلى المعاونة والمعاوضة ، ذريعة إلى تسهيل أعمال الحياة . ولما كانت هذه الأفكار لا تزال متجددة غير متناهية ، كانت صور الكلام المبين عنها لا تزال كذلك متجددة خاضعة لقوى الاختراع والابتداع وأنواع الإنشاء والتأليف على حسب ما يقتضيه المقام ؛ فقد تصل صورة الكلام إلى الغاية القصوى في البلاغة . وقد تنحط . صورة العبارة إلى الدرك الأسفل من الإبانة بحيث لو انحطت عن ذلك لكانت عند الأدياء بأصوات العجاوات أشبه وبين الحالين مراتب . وجلُّ بحث علم الأدب وتاريخه في التفاوت بين هذه المراتب ورجالها .

وكلام العرب بمراتبه العليا والدنيا وما بينهما تعتوره كغيره أحوال تتغير بتغير حياة أهله العقلية والمعاشية والدينية ، وتلك الأحوال تتمثل فى « أغراض اللغة ، ومعانيها ، وعباراتها » .

أغراض اللغة فى الجاهلية

- (١) كانت اللغة تستعمل فى أغراض المعيشة البدوية ، ووصف مرافقها من حل وترحال ، وانتجاع كلال ، واستدراغ غيث ، ونتاج حيوان .
- (٢) وفى إثارة المنازعات والمشاحنات ، وما يتبعها من الحض على إدراك الثأر ، والتفاخر بالانتصار ، والتباهى بكرم الأصل والنجار .
- (٣) شرح حال المشاهدات والكيفيات ، والإخبار عن الوقائع والقصص وغير ذلك .

معانى اللغة فى الجاهلية

تجمل معانى اللغة فيما يأتى :

- (١) فى قصر معانى المفردات على ما تقتضيه البداوة والبطرة الغضة الخالية من تكلف أهل الحضرة وتأنقهم .
- (٢) وفى انحصار أحكامهم فى (الخبر) ومطالبهم فى (الإنشاء) إما فى التعقل المستنبط. من الحس ، والمشاهدة ، أو الطبيعة ، أو التجربة ، أو الوجدان من غير مبالغة ولا إغراء ، وإما فى التخيل المنتزعة صورته من المحسوسات بحيث لا تخرج عن الإمكان العقلي والعادى .

عبارة اللغة فى الجاهلية

تلخص أحوال العبارة فى الجاهلية فيما يأتى :

- (١) استعمال الألفاظ. فى معانيها الوضعية ، أو معان مناسبة للمعنى الأصيل بطريقى المجاز الذى يصبح بعد قليل وضعاً جديداً .

(٢) كثرة استعمال المترادف، وقلة الأعجمي المعبر عنه بالمعرب، وخلو الكلام العربي من اللحن، وغلبة الإيجاز عليه، كما تراه واضحاً في شعرهم.

(٣) إرسال الأساليب الكلامية على حسب ما تقتضيه البلاغة بدون تكلف

تقسيم كلام العرب

ينقسم كلام العرب قسمين: نثراً، ونظماً.

فالنظم هو الموزون المقفى، والنثر ما ليس مرتبباً بوزن ولا قافية.

النثر - المحادثة - الخطابة - الكتابة

الأصل في الكلام أن يكون منثوراً: لإبانته عن مقاصد النفس بوجه أوضح وكلفة أقل: وهو إما حديث يدور بين الناس وبعض في إصلاح شؤون المعيشة، واجتلاب ضرور المصالح والمنافع، وذلك ما يسمى (المحادثة) أو (لغة التخاطب) وإما خطاب من فصيح نابه الشأن، يُلقيه على جماعة في أمر ذي بال، وهذا ما يسمى (الخطابة)، وإما كلامٌ نفسى مدلول عليه بحروف ونقوش لإرادة عدم التلفظ. به أو لحفظه في الخلف، أو لبعده الشقة بين المتخاطبين وذلك ما يسمى (الكتابة)، إذًا فاقسام النثر ثلاثة: محادثة، وخطابة، وكتابة.

وكلها إما أن تكون كلاماً خالياً من التزام التقفية في أواخر عباراته، وذلك ما يسمى «النثر المرسل» وإما أن تكون قطعاً ملتزماً في آخر كل فقرتين منها أو أكثر قافية واحدة وهذا ما يسمى «السجع» وهو نوع من الحلية اللفظية إذا جاء عفواً ولم يتعمد التزامه، ولحسن وقعه في الأسماع، وحوكه وتأثيره في الطباع، وكان أكثر ما يستعمل في الخطابة، والأمثال والحكم، والمفاخرات والمنافرات.

المحادثة، أو لغة التخاطب

لغة التخاطب عند عرب الجاهلية بعد أن توحدت لغاتها هي اللغة المعربة المستعملة في شعرها وخطبها وكتابتها، ولا فرق بينها في البلاغة إلا بقدر ما تستدعيه حال الخطابة والشعر والكتابة من نبالة الموضوع، والتأنق في العبارة.

وأكثر ما وصل إلينا ما كان شريف المعنى ، فصيح اللفظ .

الخطابة

لما كان جُلُّ العرب في جاهليتها قبائل مُتبدية لا يربطها قانون عام ولا تضبطها حكومة مُنظمة .

ومن شأن المعيشة البدوية شن الغارات لأوهى الأسباب ، والمدافعة بالنفس عن الرُوح والعرض والمال ، والمباهاة بقوة العصبية وكرم النجارٍ وشرف الخِصال وللقول في ذلك أثر لا يقلُّ عن الصول ، كانت الخطابة لهم ضرورة ، وفيهم فطرية . وإنما لم تصل إلينا أخبار خطبائهم الأوائل ، وشيءٌ من خطبهم كما كان ذلك في الشعر ، لحفلهم قديماً بالشعر دون الخطابة ، ولصعوبة حفظ النثر .

وما عني الرواة بنقل أخبار الخطباء وخطبهم إلا عندما حلت الخطابة بعد منزلة أسمى من الشعر لا يتدأله بتعاطى السفهاء والعامه له وتلوئهم بالتكسب به والتعرض للحرم ، فنبه بذلك شأن الخطابة ، واشتهر بها الأشراف .

وكان لكل قبيلة خطيب ، كما كان لكل قبيلة شاعر .

وأكثر ما كانت الخطابة في التحريض على القتال والتحكيم في الخصومات وإصلاح ذات البين ، وفي المفاخرات والمنافرات ، والوصايا ، وغير ذلك .

وكان من عادة الخطيب في غير خطب الإملاك والتزويج أن يخطب قائماً أو على نشز مرتفع من الأرض ، أو على ظهر راحلته ، لإبعاد مدى الصوت وللتأثير بشخصه ، وإظهار ملامح وجهه ، وحركات جوارحه ، ولا غنى له عن لوث وعصب العمامة ، والاعتماد على مخرصة أو عصا أو قناة أو قوس ، وربما أشار بإحداها ، أو بيده .

وخطباء العرب كثيرون (من أقدمهم كعب بن لؤي) وكان ذا نفوذ عظيم في قومه ، حتى أكبروا موته ، وذا الإصبع العدواني وهو حرثان بن محرث .

(ومن أشهرهم) قيس بن خارجة بن سنان خطيب حرب داحس والغبراء (١) ،
 وخويلد بن عمرو الغطفاني، خطيب يوم الفجار (٢) ، وقس (٣) بن ساعدة الإيادي ،
 خطيب عكاظ . ، وأكثم بن صيفي زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى :
 وهم أكثم بن صيفي ، وحاجب (٤) بن زرارة التميميان ، والحارث بن عباد (٥) ،
 وقيس بن مسعود (٦) البكريان ، وخالد بن جعفر (٧) ، وعلقمة بن علاثة (٨) ،
 وعامر بن الطفيل (٩) العامريون ، وعمرو بن الشريد السلمي (١٠) ، وعمرو

(١) داحس والغبراء فرسان لقيس بن زهير سيد عبس . راهنه
 حذيفة بن بدر الفزاري على أن يسابقه بفروسيه ، الخطار والخنفاء ،
 فوضعت فزارة كميناً في طريق السباق . فلطم وجه الغبراء وكانت
 سابقة . فهاجت الحرب بين عبس وفزارة ، ثم عبس وذبيان لئصرتها
 فزارة ، وفي القصة روايات أخرى . (٢) يوم الفجار حرب كانت
 بين قريش وهوازن حضرها النبي صلى الله عليه وسلم . (٣) ستأتى
 ترجمة قس وأكثم . (٤) سيد من سادات تميم . وهو الذي وفد
 على كسرى حين منع تميماً من ريف العراق حتى أصابهم القحط فأعجب
 به ومنحه مطلبه وتعهد له حاجب بحسن الجوار . ورهن عنده قوسه على
 ذلك فقبلها منه وبقيت عند كسرى حتى أخذها ابن حاجب ثم بيعت بعد
 بأربعة آلاف درهم . (٥) كغراب كان خطيباً مؤثراً . وشاعراً بليفاً .
 وله عمل جليل في الحرب التي نشبت بين بكر وتغلب لمقتل كليب بعد
 أن اعتزلها . وله فيها قصيدة مشهورة منها :

قرباً مربط النعامة منى لفتحت حرب وائل عن حيال

(٦) هو قيس بن مسعود بن خالد بن ذى الجدين كان كريماً عالي
 الهمة من أفضل العرب حسبا ونسبا وكانت تقر له كلها بذلك بل هي
 وكسرى أيضا . وكان له حظيرة فيها مائة من الابل لأضيافه إذا نحررت
 ناقة قيدت أخرى مكانها . (٧) سيد من سادات بنى عامر . خلص
 قومه من العبودية لطفان بعد أن قتل سيدها زهير بن خزيمة .

(٨) خطيب بليغ اشتهر في قومه بالعفة والمحافظة على الجوار
 والعقل الراجح والحسب الواضح . (٩) هو ابن عم لبيد الصحابي
 شاعر متين ، وفارس من أشهر فرسان العرب نجدة وأبعدهم أسماً . ولقد
 بلغ من شهرته أن قيصر كان إذا قدم قادم من العرب قال ما بينك وبين
 عامر ، فان كانت بينه وبينه رحم ووشيجة قربه وأكرمه . (١٠) هو أبو
 السيدة تماضر الخنساء يميل الى الفخر والصراحة في القول - ولقد بلغ
 من تغاليه في ذلك أنه كان يأخذ ابنيه معاوية وصخرأ في المواسم العامة .

ابن معديكرب (١) الزبيدي ، والحارث بن ظالم (٢) المرّي .

قس بن ساعدة الإيادي

هو خطيب العرب قاطبة ، والمضروب به المثل في البلاغة والحكمة ، كان يدين بالتوحيد ، ويؤمن بالبعث ، ويدعو العرب إلى نبذ العكوف على الأوثان ، ويرشدهم إلى عبادة الخالق . ويقال إنه أول من خطب على شرف ، وأول من قال في خطبته « أما بعدُ » وأول من اتكأ على سيف ، أو عصاً في خطابته ، وكان الناس يتحاكمون إليه ، وهو القائل : « البينة على من أدعى ، واليمين على من أنكر » وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يخطب في عكاظ . فأنى عليه وعمر قس طويلاً . ومات قبيل البعثة - ومن خطبه خطبته التي خطبها في سوق عكاظ . وهي - أيها الناس : اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هوات آت ، ليلٌ داج ، ونهارٌ ساج ، وسماؤُ ذات أبراج ، ونجوم تزخر ، وجبال مرساة ، وأرضٌ مدحاة ، وأنهارٌ مُجرأة ، إن في السماء لخبراً وإن في الأرض لعبراً ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا ؟ يُقْسِمُ قس بالله قسماً لا إثمَ فيه ، إن لله ديناً هو أرضى لكم وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكرًا .

في الناهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا للناس ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر

(١) خطيب شاعر وفارس قاهر وصحابي جليل شهد حربى اليرموك والقادسية وأبلى فيهما البلاء الحسن على كبر سنه وضعف جسمه .
(٢) كان شجاعاً فاتكاً وخطيباً شاعراً يميل الى معاقره الخمر وهو الذى قتل خالد بن جعفر غيلة لقتله أباه وكثيراً من قومه .

لا يرجع الماضى إلينا ولا من الباقين غابر
أيقنتُ أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

أكرم بن صيفى

هو أعرف الخطباء بالأنساب وأكثرهم ضرباً أمثال ، وإصابة رأى وقوة حجة ، وقُلَّ من جاراها من خطباء عصره ، وهو زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى ، ولقد بلغ من إعجابه به أن قال له : لو لم يكن للعرب غيرك لكنى وقد عمر طويلا حتى أدرك مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وجمع قومه وحشهم على الإيمان به ، وفى إسلامه روايات . وكان فى خطبه قليل المجاز ، حسن الإيجاز ، حلو الألفاظ ، دقيق المعانى ، مُولعاً بالأمثال (راجع خطبه فى فن المناظرات الآتية) .

الكتابة

يراد بالكتابة عند الأدباء : صناعة إنشاء الكتب والرسائل ، وإذا كانت الكتابة بهذا المعنى تؤدَّى بالنقوش المسماة بالخط . فأول حلقة من سلسلة الخط العربى هى الخط المصرى القديم ، ومنه اشتق الخط الفينيقي ، ومن هذا اشتق الآرامى ، والمسند بأنواعه ، والصفوى ، والشمودى واللحيانى ، شمالى جزيرة العرب ، والحميرى جنوبياً .

ورواة العرب يقولون : إنهم أخذوا خطهم الحجازى عن أهل الحيرة والأنبار . أما الكتابة : بمعنى إنشاء الكتب والرسائل ، فهى لازمة لكل أمة متحضرة ذات حكومة منظمة ، ودواوين متعددة ، وقد كان بعض ذلك موفوراً فى ممالك التبابعة جنوباً ومأثورا عن ممالك المناذرة الغساسنة شمالاً ، ولذلك استعمل الخط المسند الحميرى عند الأولين من عهد مديد ، والأنبارى الحيرى عند الآخرين ، وإنما لم يصل إلينا شئ من رسائل تلك الأمم . ولا من كتب فنونها ودينها غير قليل عثروا عليه لتقادم عهد أهلها ، وعدم استكمال البحث بعد فى بلادها .

ولم يُعرفنا التاريخ أيضاً بأحد من كتّاب هذه الصناعة إلا (بعدي بن زيد العبادي) الذي كان كاتباً ومترجماً عند كسرى .

أما البدو من سكان أواسط الجزيرة وهم جمهور مُضر ، وبعض القحطانيين فكانوا أميين - ومن المعقول أنهم لم يعرفوا الكتابة الإنشائية إلا بعد أن عرفوا الخط . (آخر عصور الجاهلية) ، وما نقل عنهم فيه أنهم كانوا يكتبون في بدء رسائلهم : باسمك اللهم ؛ ومن فلان إلى فلان ، وأما بعد .

ولم تقم لهم دولة بالمعنى السابق إلا بقيام الإسلام ، فهو الذي أفشى فيهم الخط . والكتابة .

ولما كانت علوم كل أمة لها الأثر العظيم في تكوين فكر الأديب ، وخيال الشاعر ، وكانت كتابتها قسماً قائماً بنفسه يسمى كتابة التدوين ، ناسب شرح ذلك .

علوم العرب وفنونها

العلوم والصناعات لازمة لحضارة الأمم ، ومن العرب أهل حضارة دلت عليها دولهم العظيمة وقدم تاريخهم ، وآثارهم الخالدة ، التبابعة في اليمن ، والمناذرة والغساسنة في الشمال - وإذا تكون هندسة إراواء الأرض وعمارة المدن ، والحساب والطب ، والبيطرة ، والزراعة ، ونحوها معروفة في الجنوب والشمال مدونة في الكتب ، وإن لم يحفظ . لنا الدهر صوراً منها - أما البدو منهم : وإن كانوا أميين يمتنون الصناعات فلا غنى لهم تجربة تُرشدهم إلى ما ينفعهم ، ليعرفوا متى تجود السماء ، وبم يتميز الأقرباء من البعداء ؟ فأكسبهم ذلك علم النجوم والطب الضروري ، والأنساب والأخبار ، ووصف الأرض ، والفراسة والعيافة ، والقيافة ، والكهانة ، والعرافة ، والزجر ؛ وقرض الشعر .

أما علم النجوم - وهو معرفة أحوال الكواكب - فقد كانوا أبرع ناظر

في هذا العلم منهم في كل علم سواه ، تعرفه عامتهم قبل خاصتهم للاهتمام به في ظلمات البر والبحر ، ومعرفة أزمنا الخصب والمحل ، وبعض معارفهم فيه مستمد من الكلدان لاختلاطهم بهم ولاتفاق اللغتين في كثير من أسماء الكواكب والبروج : ومن أشهرهم فيه (بنو حارثة بن كلب ، وبنو مرة بن همام الشيباني) .

الطب الإنساني والحيواني (البيطرة) ، وقد عاناه من العرب كثيرون . ومن مشهورهم (الحارث بن كلدة الثقفي ، وابن حذيم التيمي) .

الأنساب : علم تتعرف به القرابات التي بين بعض القبائل وبعض ، فتلحق فروعها بأصولها ، وإنما دعاهم إلى العناية به حاجتهم إلى التناصر بالعصبية ، لكثرة حروبهم ، وتفرق قبائلهم وأنفتهم من أن يكون للغريب عنهم سلطان عليهم وحبهم الافتخار بأسلافهم .

ومن اشتهر بمعرفة أنساب العرب (دغفل بن حنظلة الشيباني وزيد بن الكيس النمرى ، وابن لسان الحمرة) ولهذا يحفظون أنسابهم .

الأخبار والتاريخ والقصص : هي معرفة أحوال السابقين ، وكانوا يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم ، وبعض مجاورهم من الأحوال الماثورة ، ووقائع أيامهم المشهورة ، كقصة الفيل ، وحرب البسوس وحرب الفجار .

وصف الأرض : هو معرفة كل بقعة وما يجاورها ، وكيف يتهدى إليها . ومن قرأ شعر العرب في نسيبهم ، واطلع على وصفهم ، وكيف كانوا يحددون الحقيير منها بحدود قلما تحده مملكة عظيمة ، عرف شدة حذقهم بمعرفة بلادهم .

الفراسة : هي الاستدلال بهيئة الإنسان وشكله ولونه وقوله على أخلاقه وفضائله ورذائله ، وقد نبغ فيها من العرب من لا يحصى عددهم ، ولهم في ذلك نواذر شتى .

القيافة : ضرب من الفراسة وهي الاهتمام بآثار الأقدام على أربابها ، أو الاستدلال بهيئة الانسان وأعضائه على نسبه . فقد كانوا يميزون بين أثر الرجل

والمرأة ، والشيخ ، والشاب ، والأعمى ، والبصير ، والأحمق والكيس .
 وإذا نظر واعدة أشخاص ألقوا الابن بأبيه ، والأخ بأخيه ، والقريب بقربه
 وعرفوا الأجنبي من بينهم - ومن اشتهر بالقيافة (بنو مدلج ، وبنو لهب) .
 الكهانة والعرافة : وهما القضاء بالغيب ، وربما خصت الكهانة بالأهوار
 المستقبلية والعرافة بالماضية ، وطريقهم في ذلك الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على
 الحوادث الآتية ، لما بينهما من المشابهة الخفية ، وللعرب في الكهان اعتقاد عريض
 لزعمهم أنهم يعلمون الغيب ، فيرفعون إليهم أمورهم للاستشارة ويستفسرونهم عن
 الرؤى ، ويستطبونهم في أمراضهم - ومن اشتهر من الكهان (شق أنمار ،
 وسطيح الذئبي) ومن الكواهن (طريفة الخير ، وسلمى الهمدانية) ومن
 العرافين (عراف نجد الأبلق الأسدي ، وعراف اليمامة رباح بن عجلة) .
 الزجر : وهو الاستدلال بأصوات الحيوان ، وحركاته ، وسائر أحواله
 على الحوادث بقوة الخيال ، والاسترسال فيه .

ومن أشهر الزجاجيين : بنو لهب ، وأبو ذؤيب الهذلي ، ومرة الأسدي .
 ومن العرب من لم يعبأ بالزجر وما شاكله كلبيد بن ربيعة القائل :
 لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع
 وكضائب بن الحارث القائل :
 وما عاجلات الطير تدنى من الفتى نجاجا ولا عن ريثهن يخيب
 ورب أمور لاتضيرك ضيرة وللقلب من مخشاتهم وجيب
 ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

النظم ، والشعر ، والشعراء

النظم : عرفه العروضيون بأنه الكلام الموزون المقفى قصداً - ويرادفه الشعر
 عندهم - أما المحققون من الأدباء فيخصون الشعر بأنه الكلام الفصيح الموزون

المتفقين ، المعبر غالباً عن صور البديع ، ولما كان الخيال أغلب مادته أطلق بعض العرب (تجوزاً) لفظ الشعر على كل كلام تضمن خيالاً ، ولو لم يكن موزوناً مُقنًى ولجريه وفق النظام الممثل في صورة الوزن والتقنية كان تأثيره في النفس من قبيل إثارة الوجدان والشعور ، بسطاً وقبضاً وترغيباً وترهيباً ، لا من قبيل إقناع الفكر بالحجة الدامغة ، والبرهان العقلي ، ولذلك يَجْمَلُ أثره في إثارة العواطف وتصوير أحوال النفس ، لا في الحتمات النظرية ، ولا ريب أن ترتاع بصور المحسوس الباهر وما انتزع منه من الخيال الجلي لخفة مؤونته عليها ؛ وإراحتة لها من المعاناة والكد ؛ إذا انضم إلى نغم الوزن والقافية ، الشديد الشبه بتأثير الايقاع والتلحين الذي يطرب له الحيوان ، فضلاً عن الإنسان .

والعرب بفطرتهم مطبوعون على الشعر لبيداوتهم ، وملاءمة بيئتهم لتربية الخيال فالبدوى لحريته ، واستقلاله بأمر نفسه ، يغلب على أحكامه الوجدان ، ويسلك إليه من طريق الشعور ؛ ومعيشة البدوى فوق أرض نقية التربة ، وتحت سماء صافية الأديم ، ساطعة الكواكب ، ضاحية الشمس جلت لحسه مناظر الوجود وعوالم الشهود ، فكان لخياله من ذلك مادة لا يغور مأوها ، ولا ينضب معينها فهام بها في كل واد ، وأفاض منها إلى كل مراد ، وكان له من لغته ، وفصاحة لسانه أقوى ساعد وأكبر مُعاضد ، ويشعر الإنسان بطبعه أن الشعر متأخر في الوجود عن النثر ، وإن كانت هناك واسطة بين النثر والشعر ، فليست إلا السجع ، لما فيه من معادلة الفِقْر ، والتزام القافية ، والميل للتغنى به . فكان من ذلك المقطعات ، والأراجيز الصغيرة ، يحدون بها الإبل ، ويُعدون بها المكارم ثم لما نمت ملكة الشعر فيهم ، واتسعت أمامهم ، ونوعوا الأوزان ، وأطالوا القوافي وقصدوا القصيد .

وقد خفي علينا - كما أكثر الأمم - مبدأ قول الشعر ، وأول من قاله .

أما ما نسب من الشعر آدم ، وإبليس ، والملائكة ، والجن ، والعرب البائدة ، فهو حديث خرافة .

والشعر الذى صحت روايته منذ أواسط القرن الثانى قبل الهجرة تنتهى أقدم مطولاته (إلى مهلهل بن ربيعة) وأقدم مقطعاته إلى (نفر) لعلهم لم يبعدوا عنه طويلاً مثل : العنبر بن عمرو بن تميم ، ودريد بن زيد بن نهد ، وأعصر بن سعد بن قيس عيلان ، وزهير بن جناب الكلبي ، والأفوه الأزدي ، وأبو داود الإيادي ، وقد رووا أنه لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل فى حاجته ، وأن أول من قصد القصائد ، وذكر الوقائع (المهلهل بن ربيعة التغلبى) فى قتل أخيه كليب فهو أول من رويت له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً ، وتبعه الشعراء مثل (امرئ القيس) وعلقمة ، وعبيد ، ممن أخرجوا لنا الشعر العربى فى صورته الحاضرة .

هذا مجمل ما يتعلق بحقيقة الشعر ، ونشأته فى الجاهلية .

أما ما يتعلق بمادته وجوهره فإنه يرجع إلى أغراضه ، وفنونه ، ومعانيه ، وأخيلته وألفاظه ، وأساليبه ، وأوزانه ، وقوافيه .

(١) أغراضه وفنونه

نظم العرب الشعر فى كل ما أدركته حواسهم ، وخطر على قلوبهم من فنونه وأغراضه الكثيرة كالنسيب ويسمى (التشبيب والتغزل) وطريقته عند الجاهلية تكون بذكر النساء ومحاسنهن ، وشرح أحوالهن ، وكان له عندهم المقام الأول من بين أغراض الشعر، حتى لو انضم إليه غرض آخر قدم النسيب عليه وافتتح به القصيد ، لما فيه من كل اجتماع إنسانى - والبدو أكثر الناس حباً لفراغهم .

الفخر : هو تمدح المرء بخصال نفسه وقومه ، والتحدث بحسن بلائهم ومكارمهم وكرم عنصرهم ، ووفرة قبيلهم ، ورفعة حسبهم ، وشهرة شجاعتهم .

والمدح : وهو الثناء على ذى شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل ، والعفة ، والعدل ، والشجاعة ، ان هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه وبتعداد محاسنه الخلقية - وشاع المدح عندهما ابتذل الشعر ، واتخذه الشعراء مهنة ، ومن أوائل مداحيهم : زهير - والنابعة - والأعشى .

والرثاء : وهو تعداد مناقب الميت ، وإظهار التفجع والتلهف عليه ، واستعظام المصيبة فيه .

والهجاء : وهو تعداد مثالب المرء وقبيله ، نفي المكارم والمحاسن عنه .
والاعتذار : وهو درء الشاعر التهمة عنه ، والترفق في الاحتجاج على براءته منها ، واستمالة قلب المعتذر إليه واستعطافه عليه ، و (النابعة) في الجاهلية فارس هذه الحلبة .

والوصف : هو شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع ، كأنه يراه أو يشعر به ، ومن أشهرهم في ذلك (امرؤ القيس وأبو داود الإيادى) .

والحكمة والمثل : فالحكمة قول رائع يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً به ، والمثل مرآة تريك أحوال الأمم وقد مضت ، وتقف بك على أخلاقها وقد انقضت فالأمثال ميزان يوزن به رقى الأمم وانحطاطها وسعادتها وشقاؤها وأدبها ولغتها وأكثر ما تكون أمثال العرب وحكمها موجزة متضمنة حكماً مقبولاً ، أو تجربة صحيحة ، تمليها عليها طباعها بلا تكلف وأكثر الشعراء أمثالاً : (زهير والنابعة) .

(٢) معانيه وأخيلته

قصد الشاعر من شعره الابانة عما يخالغ نفسه من المعانى فى أى غرض من الأغراض السابقة ونحوها ، ومن هذه المعانى ما هو عادى فى البدوى

والحضري والعربي والعجمي كالأخبار الصادقة ، وأوصاف المشاهدات ، وشرح الوجدانات كما يملها خاطر بلا مبالغة ولا إغراق ؛ ومنها ما هو غريب نادر ، انتزعه الخيال من المرئيات البديعة والأشكال المنتظمة ، وذلك يسمى المخترع ، تتفاضل الشعراء بالإجادة فيه والاكثار منه .

وإذا قسنا الشعر الجاهلي بهذا المعيار وجدنا معانيه وأخياته تمتاز بالأمور

الآتية :

(١) جلاء المعاني وظهورها ومطابقتها للحقيقة . (٢) قلة المبالغة والغلو فيها بما يخرجها عن حد العقل ومألوف الطبع . (٣) قلة المعاني الغريبة المنزع ، الدقيقة المأخذ المتجلية في صور الخيال البديع ، والتشبيه الظريف ، والاستعارة الجميلة والكناية الدقيقة وحسن التعليل وغير ذلك . (٤) قلة تأنقهم في ترتيب المعاني والأفكار على النظام الذي يقتضيه الذوق ، فيدخلون معنى ، وينتقلون من غرض إلى آخر اقتضابا بدون تخيل ولا تلطف .

(٣) ألفاظه وأساليبه

ولما كانت العرب أمما بدوية تنظم الشعر بطبعها ، من غير معاناه صناعة ولا دراسه علم - غلب على شعرها صراحة القول وقلة المواربة فيه ، والبعد عن التكلف وصحة النظر ، والوفاء بحق المعنى - أضف إلى ذلك الأمور الآتية :

(١) جودة استعمال الألفاظ في معانيها الموضوع لها ، لإحاطة علمهم بلغتهم ومعرفتهم بوجود دلالتها . (٢) غلبة استعمال الألفاظ الجزلة ، واستعمال الألفاظ الغريبة التي هجرت عند المحدثين . (٣) القصد في استعمال ألفاظ المجاز ، ومقت استعمال الأعجمي إلا ما وقع نادرا . (٤) عدم تعمد المحسنات البديعية اللفظية ومتانة الأسلوب ، يحسن إيراد المعنى إلى النفس من أقرب الطرق إليها وأطرفها لديها وبإيثار المجاز ، أو قلة الإسهاب إلا إذا دعت الحال .

(٤) أوزانه وقوافيه

العرب لم تعرف موازين الشعر بتعلم قوانين صناعية ، وتعرف أصول وضعية ، وإذا كانت تنظم بطبعها على حسب ما يهيئها لها إنشادها ، وقد هدتهم هذه الفطرة إلى أوزان أرجعها الخليل إلى خمسة عشر وزناً سماها بحورا وزاد عليها الأخفش بحراً ، وقد أكثروا النظم من بعضها دون بعض .

راجع مؤلفنا «ميزان الذهب في بحور شعر العرب» .
وشعر العرب رجزه وقصيده يُبنى على قافية واحدة كيفما طال القول .

(٥) شعراء الجاهلية

شعراء الجاهلية : أكثر من أن يحاط بهم ، ومن جهل منهم أكثر ممن عرف وإنما اشتهر بعضهم دون بعض لنبوغته ، أو كثرة المروى من شعره ، أو قرب عهده من الإسلام زمن الرواية - وكان للشعراء عند العرب منزلة رفيعة ، وحكم نافذ ، سلطان غالب ، إذ كانوا ألسنتهم الناطقة بمكارمهم ومفاخرهم وأسلحتهم التي يذودون بها عن حياض شرفهم ، وكانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأها ، وصنعت الأظعمة ، وأتت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس ، ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذُبُّ عن حياضهم ، وتخليد لمفاخرهم ، وإشادة بذكورهم ، وكانوا لا يهنتون إلا بغلام يولد ، أو شاعر ينبغ ، أو فرس تنتج .

وكانت طريقة نظم الشعراء ارتجالية ، فتأنيهم ألفاظه عفواً ، ومعانيه رهواً ، كما وقع للحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم ، أما من اتخذهم منهم صناعة يستدرها ويلتمس به الجوائز ، وينشده في المحافل والمواقف العظام ، فإنه يتعهده بالتهذيب والتنقيح ، لجعله رقيق الحاشية ، حسن الديباجة ، يصبح أن يقال فيه إنه المثلى الأعلى للشعر الجاهلي كما ترى ذلك واضحاً في حوليات زهير ، واعتذريات النابغة ،

وقد عبر الناس دهرًا طويلاً لا يقولون الشعر إلا في الأغراض الشريفة ،
لا يمدحون عظيمًا طمعاً في نواله ، ولا يهجون شريفاً تشفيماً منه وانتقاماً ، حتى
نشأت فيهم فئة امتهنت الشعر وتكسبت به ، ومدحت الملوك والأمراء ،
كالنابغة الذبياني وحسان مع النعمان بن المنذر ، وملوك غسان ، وزهير بن أبي
سلمى مع هرم ابن سنان وأمّية بن أبي الصلت مع عبد الله بن جدعان أحد
أجواد قريش ، والأعشى مع الملوك والسوقه ، حتى قصد به الأعاجم ، وجعله
متجرّاً يتجربه ، فتحامى الشعر الأشراف ، وآثروا عليه الخطابة .

(٦) طبقات الشعر

طبقات الشعراء باعتبار عصورهم أربع : (١) طبقة الجاهليين . (٢) طبقة
المخضرمين ، وهم الذين اشتهروا بقول الشعر في الجاهلية والإسلام . (٣) طبقة
الإسلاميين . وهم الذين نشأوا في الإسلام ، ولم تفسد سليقتهم العربية وهم ،
شعراء بني أمية . (٤) طبقة المولدين أو المحدثين ، وهم الذين نشأوا زمن فساد
العربية وامتزاج العرب بالعجم ، وذلك من عصر الدولة العباسية إلى يومنا هذا .

والشعراء الجاهليون يقسمون باعتبار شهرتهم في الشعر للاجادة أو للكثرة إلى
طبقات كثيرة ، منها ثلاثاً : (١) الطبقة الأولى ، امرؤ القيس بن حجر وعمرو
ابن كلثوم وزهير بن أبي سلمى ، والنابغة الذبياني . (٢) الطبقة الثانية الأعشى
ولبيد بن ربيعة العامري ، وطرفة بن العبد . (٣) الطبقة الثالثة عنترة
ابن شداد ، وعروة بن الورد ، ودريد بن الصمة ، والمرقس الأكبر والحارث
ابن حلزة اليشكري - ومن الأدباء من يقدم ويزيد .

(١) امرؤ القيس

هو الملك أبو الحارث حنّج بن حجر الكندي شاعر اليمانية .
وآبائه من أشراف كندة وملوكها ، وكانت بنو أسد المضربة خاضعة لملوك كندة
- وآخر ملك عليهم هو حجر أبو امرؤ القيس - وأمه أخت مهلهل وكليب .

نشأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعية أبيه من أسد وسلك مسلك
المترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعبُ ويُعاقِر الخمر ويُعازِل الحسان فَمَقَّتَه
أبوه ولما لم ينجح فيه القولُ طرده عنه وأَقْصَاه ، حتى جاءَ نَبأُ ثورانِ بني
أسد على أبيه وقتلهم له لأنه كان يَعْسِفُ في حكمه لهم ، فقال : (ضيعني
صغيراً ، وحملني دمه كبيراً ، ولا صَحَوَ اليَوْمَ ولا سُكِرَ غَدًا ، اليومَ خمرٌ ،
وغدًا أمرٌ) وأخذ يجمع العدة ، وَيَسْتَنْجِدُ القبائلَ في إدراكِ ثأره ، فنازل
بني أسد وقتلَ فيهم كثيراً ، ثم اشتدَّت به علة قروح فمات منها ودُفِنَ
بأنقره ، وكان ذلك قبل الهجرة بقريب من قرن .

شعره : يُعتبرُ امرؤ القيس رأسَ فحول شعراء الجاهلية ، والمقدَّم في
الطبقة الأولى ، فهو أوَّل من أجاد القول في استيقاف الصحب ، وبُكاء
الديار وتَشْبِيه النساء بالطباء والمها والبيض ، وفي وصف الخيل بقيد
الأوابد ، وترقيق النسيب وتقريب مآخذ الكلام ، وتجويد الاستعارة ،
وتنوع التشبيه ، وذلك لسعة خياله بكثرة رحلاته .

وقد يُفحِّشُ في تشبيه النساء ، وتحذثه عنهنَّ ، ويُسْتَمُّ من شعره ،
رائحة النيل وتلمح فيه شارات السيادة والملك ، من ذلك قوله :

فَظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ المَقْتَلِ
وقوله : وظل طهاة اللحم من بين منضج صفيف شواء أو قديرٍ مُعْجَلِ
وقوله : ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجدٍ موثلي وقد يُدْرِكُ المجدِ الموثلِ أمثالِ

وشعره : وإن اشتمل بشملة البداوة في جفاء العبارة ، وخشونة الألفاظ
وتجهم المعاني ، تراه أحياناً يخطر في حُلل من حُسن الديباجة ، وبديع المعنى
ودقة النسيب ، ومُقارَبة الوصف ، وسهولة المآخذ ، مما كان لخلقهِ أَجْمَلِ
مِثَالِ في مُحَاكَاةِ وَلَمْ يَقْلِ الشعرِ كاسِبًا .

ومن شعره ، يذكر رحلته إلى قيصر مع عمرو بن قميئة الضبعي :

سمالكَ شوقٌ بعد ما كان أقصرًا وحلت سُليمى بطنَ ظبيٍّ فَعَرَعَرَا
فدعها وسلِّ الهمَّ عنها بحسرة ذَمُولٌ إذا صامَ النَّهارَ وهَجْرًا
عليها فتى لم تحمل الأَرْضُ مثله أبرَّ بميثاقٍ وأوفى وأصبرًا
إذا قلتُ هذا صاحبٌ قد رضيته وقرَّتْ به العينانِ بَدلتِ آخِرًا
كذلكَ جدى لا أصحابٌ صاحباً من النَّاسِ إلا خاننى وتغيَّرًا
ومن أبياته السائرة قوله :

إذا المرءُ لم يخزُنْ عليه لسانه فليس على شىءٍ سيوَاهُ بخزانٍ
وقوله : وقد طوفتُ في الآفاقِ حتى رضيتُ من الغنيمةِ بالإيابِ

معلقة امرئ القيس

[قفنا نبك من ذكري حبيبٍ ومنزل يسقط. اللوى بين الدخولِ فحومل (١)
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لِمَا نسجتُها من جنوبٍ وشمالٍ (٢)
ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها وكأنه حبُّ فلفل (٣)
كأني غداة البين يومَ تحمّلوا لدى سمراتِ الحى ناقفَ حنظل
وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون : لا تهلكُ أسي وتحمّل (٤)

(١) اللوى : ما التوى من الرمل ، أو استرق منه ، والجمع ألواء والوية ، وسقط اللوى منتهاه ، وهو مثلث السين . والدخول وحومل وتوضح والمقراة ! كلها أسماء أماكن يقع بينها سقط اللوى ، وفيه منزل الحبيب . (٢) لم يعف رسمها ، لم يمح أثرها والمراد من « جنوب وشمال » ريح الجنوب وريح الشمال . (٣) الآرام : جمع رثم وهو الظبي خالص البياض . والعرضات ! جمع عرصة ، وهى البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء . والقيعان : فناء الدار . (٤) أى وقوف صحبي على مطيهم بسمرات الحى ، ونصحوا لى بالتحمل والاحتمال .

- وإن شِفائِي عِبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فهل عِنْدَ رِسمِ دَارِسٍ مِنْ مُعْوَلٍ (١)
 كدأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحَوَيْرِثِ قَبْلَهَا وجَارَتِهَا أُمُّ الرِّبَابِ بِمَأْسَلِي (٢)
 إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بَرِيًّا القَرْنَفِل (٣)
 ففَاضَتْ دُمُوعُ العَيْنِ مِنْ صِبَابَةٍ عَلى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مَحْمَلِي (٤)
 أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لِي مِنَ البَيْضِ صَالِحٍ وَلَا سِيْمَا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلٍ (٥)
 وَيَوْمٍ عَقَرْتُ لِلْعَدَارَى مَطِيَّتِي فَيَا عَجَبًا مِنْ كُورِهَا المَتَحَمَّلِ (٦)
 فَظَلَّ العَدَارَى يَرْتَمِينَ بِلِحْمِهَا وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدُّمُقْسِ المَفْتَلِ (٧)
 تَدَارُ عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ صِحَافِهَا وَيُؤْتِي إلَيْنَا بِالعَبِيْطِ المَثْمَلِ (٨)
 وَيَوْمٍ دَخَلْتُ الخَدْرَ خَدْرَ عُنَيْزَةٍ فَقَالَتْ لِكَ الوِيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي (٩)
 تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الغَبِيْطُ بِنَا مَعًا عَقَرْتُ بَعِيرِي بِأَمْرِ القَيْسِ فَانزَل (١٠)
 فَظَلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْجِي زِمَامَهُ وَلَا تُبْعِدْنِي مِنْ جَنَّاكِ المَعْلَلِ (١١)
 دَعَى البَكْرَ لَا تَرْتِي لَهُ مِنْ رَدَافِنَا وَهَاتِي أَذْيَقِينَا جِنَاةَ القَرْنَفِلِ (١٢)
 بِشَعْرِ كَمِثْلِ الأَقْحَوَانِ مُنُورٍ نَقِي الثَّنَايَا أَشْنَبِ غَيْرِ أَثْعَلِ (١٣)

- (١) عبرة مهراقة دمعة مسكوبة . والمعول المستعان به .
 (٢) الداب : الشأن . (٣) تضوع المسك : انتشرت رائحته .
 والربا : الرائحة . والمراد أنه إذا قامت هاتان المرأتان بضوع منهما المسك
 كما يأتي النسيم بشدا القرنفل . (٤) المحمل على وزن منبر حمالة
 السيف . (٥) ابتداء الشاعر يذكر حوادث شبابه وملعب صباه ،
 وخص بالذكر أيامه بدارة جلجل ، وهي مكان بنجد ، وسيحدثنا عن لهوه
 أطيب الحديث . (٦) مطية الشاعر هنا ناقته . (٧) هداب
 الدمقس : أطراف الحرير ، والمفتل : المفتول . (٨) السديف : قطع
 السنام ، والصحاف جمع صفحة القصعة ، والعبيط لحم الذبيحة تنحر
 من غير علة ، والمثمل الشهي . (٩) الخدر هنا الهودج وعنيزة اسم
 لمحبيته ، أنك مرجلي : أي فاضحي بين رجالي . (١٠) الغبيط :
 الرحل ، عقرت بعيري دميت ظهره لثقلك . (١١) الجنى : الشهيد ،
 المعلل : الشهي . (١٢) البكر : البعير ، الرداف : هو أن يركب اثنان
 على دابة واحدة ، أذيقينا جناة القرنفل : أي مكينا من ثفرك العطر .
 (١٣) الأقحوان زهر أبيض جميل تشبه به الثفور العذاب ، أشنب :
 فيه برد ورقة وصفاء .

- فمثلك حُبلى قد طرقت ومرضع
 إذا ما بكى من خلفها انصرفت
 ويوماً على ظهر الكتيب تعذرت
 أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل
 أغرك منى أن حبك قاتلى
 وأنتك قسّمت الفؤاد فنصفه
 فإن تكُ قد ساءتلك منى خليقةُ
 وما ذرفت عيناكِ إلا لتضربى
 وبيضة خدر لا يرأمُ حياؤها
 تجاوزتُ أحراماً إليها ومعشراً
 إذا ما الثرىأ في السماء تعرضت
 فجتتُ وقد أنضت لنوم ثيابها
 فقالت : يمين الله ما لك حيلةُ
- (١) فألهيتها عن ذى تمائمٍ مُحَوَّل (١)
 له بشقٌّ وتحقُّ شقها لم يُحوَّل (٢)
 على وآلت حلفةً لم تحال (٣)
 وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى (٤)
 وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل
 قتيلٌ ونصف بالحديد مكبل (٥)
 فسلى ثيابى من ثيابك تنسل (٦)
 بسهميك في أعشار قلب مثل (٧)
 تمتعت من لهوها غيرُ مُعجل (٨)
 على حراساً لو يُسرونَ مقتلى (٩)
 تعرض أثناءً الوشاح المفصل (١٠)
 لدى الستر إلا لبسة المتفضل (١١)
 وما إن أرى عنك الغواية تنجلي (١٢)

- (١) محول مضى عليه حول . يريد أن يقول انى رجل أفتن النساء ، حتى لا تنجو منى الحبلى ولا المرضع ، مع أنها فى شغل بالحمل والرضاع .
 (٢) فى هذا البيت صورة فاتنة من صور الجماع . (٣) تعذرت : تمتعت . أى مضت فى عنادها وتحنيها - آلت حلفة . أقسمت يميناً ، لم تحلل ، لم تقيد اليمين يحلها هو ولم يستثن فيها .
 (٤) أزمع الأمر ، وأزمع عليه أثبت عزمه على امضائه والصرح بفتح الصاد وضمها الهجر والقطيعة والاجمال الرفق . (٥) مكبل : مقيد .
 (٦) الخليقة : السجية والطبيعة ، والثياب هنا القلب وتسسل تسقط والمعنى إذا ساءتلك خصلة من خصالى فسلى قلبى من قلبك .
 (٧) السهام : العيون ، قلب مقتل : أهلكه العشق (٨) بيضة الخدر كناية عن المرأة المخدرة المحجبة ، غير معجل غير مضطر الى العجلة .
 (٩) الأحراس : الحراس ، وحراس جمع حريص ، وأسر الأمر أضمره .
 (١٠) الوشاح أديم عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحتها . والوشاح المفصل : هو المرصع بالذهب أو الزبرجد .
 (١١) أنضى الثياب خففها . والمتفضل هو الذى يلبس ثوباً واحداً حين يأوى الى فراشه . (١٢) مالك حيلة : أى لا بصر لك بعواقب الأمور -

- خرجت بها أمشي تجرُّ ورأنا (١) على أثرنا ذيل مرطٍ مرحل (١)
- فلما أجزنا ساحة الحي وان تحت (٢) بنا بطن خبت ذى حفاف عقنقل (٢)
- هصرت بفودى رأسها فهايلت (٣) على هضيم الكشح ربا المخلخل (٣)
- مهفهفة بيضاء غير مفاضة (٤) ترائبها مصقولة كالسجنجل (٤)
- كبكر المقناة البياض بصفرة (٥) غذاها نمير الماء غير المحلل (٥)
- تصد وتبدي عن أسيل وتتنق (٦) بناظرة من وحش وجرة مطفل (٦)
- وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش (٧) إذا هي نضته ولا بمعطل (٧)
- وفرع يزين المتن أسود فاحم (٨) أثيث كقنو النخاة المتشكل (٨)
- غدائره مستشزرات إلى العلى (٩) تضل المدارى فى مثنى ومرسل (٩)
- وكشح لطيف كالجديل منحصر (١٠) وساق كأنبوب السقى المذلل (١٠)

- (١) المرط كساء من صوف أو خز ، مرجل : فيه صور رجال وبالحاء فيه صور رجال . (٢) جزت المكان : قطعتة وخلفته ، انتحت قصدت ، الخبت . الفضاء الواسع ، والعقنقل : الوادى العظيم .
- (٣) هصرت فوديتها : أملتها الى ، والفودان : جانب الرأس . هضيم الكشح : دقيقة الخصر ، ربا المخلخل : بضة الساق .
- (٤) مهفهفة : ضامرة البطن ، غير مفاضة : غير مسترخية اللحم ، الترائب موضع القلادة من الصدر ، والسجنجل : المرأة المجلوة .
- (٥) المقناة : الخلط (والشاعر يشبه خليلته ببيضة النعام لأول عهدها بمزج الصفر بالبياض) ، المحلل : الذى كدرته الابل ، يصف حببته بأنها لا تشرب الماء المحلل كسائر الأعرابيات ، وإنما هى سيدة مترفة تشرب الماء النمير . (٦) تصد : تتمنع ، تبدي : تعيد الصد ، أى تصد ، الأسيل : الرقيق ، صفة لموصوف محذوف هو الخد ، وجرة : مكان لتربية الوحوش بين مكة والبصرة ، ومطفل : ذات طفل والمعنى تصد عن خد أسيل وتتنق المحب بعين مملوءة بالعطف ، كما تنظر الى طفلها الطيبة الرعوم .
- (٧) الرئم : الطيبى ، نضته : رفعته ، معطل وعاطل : لا حيلة فيه .
- (٨) الفرع : الشعر . (٩) مستشزرات : مرتفعات ، والغدائر : خصل الشعر ، المدارى : الأمشاط . (١٠) الجديل : الوشاح ، والمذلل اللين ، ومنه شجرة مذلة معطفة الأغصان ، ينالها كل احد .

- وَيُضْحِي فَتِيَتْ الْمَسْكِ فَرَقَ فَرَاشَهَا
وتعطو برخص غير شثن كأنه
تضىء الظلام بالعشاء كأنه
إلى مثلها يرئو الحليم صبابة
تسلت عمايات الرجال عن الصبا
ألا ربَّ خصم فيك ألوى رددته
وليل كموج البحر أرخى سدوله
فقلت له لما تمطى بجوزه
ألا أيها الليل الطويل ألا أنجل
فيالك من ليل كأن نجومه
كأن الثريا علقت في مصامها
- نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل (١)
أساريع ظبي أو مساويك إسحل (٢)
منارة مسمى راهب مُبتل (٣)
إذا ما اسبكرت بين درع ومجول (٤)
وليس فؤادي عن هواها بمنسل (٥)
نصيح على تعذاله غير مؤتل (٦)
على بأنواع الهوم لبيتلى (٧)
وأردف أعجازاً وناءً بكلكل (٨)
بصبح وما الإصباح منك بأمثل (٩)
بكل مغار الفتل شدت بيذبل (١٠)
بأمراس كتان إلى صم جندل (١١)

- (١) انتطقت المرأة : لبست المنطق أو النطاق ، والتفضيل لبس الثوب الواحد . وعن هنا : بمعنى بعد ، أي لم تلبس المنطق بعد المفضل يريد أنها لم تكتس بعد عرى ، ونوم الضحى من عادات الترفات .
- (٢) العطو : التناول ، ورخص : لين ناعم ، وهو وصف للبنان : وشثن : خشن ، وأساريع جمع أسروع والاسحل شجر يستاك به .
- (٣) يقول : تضىء محبوبتى الظلام كأنها منارة الراهب فى المساء .
- (٤) اسبكرت : اعتدلت واستقامت ، ودرع المرأة : قميصها .
- (٥) تسلت : تكشفت وانزاحت ، عمايات : جمع عماية ، وهى الفواية والضلال ، ومنسل : سال ، ولم يسئل عن هواها فؤادى .
- (٦) ألوى : عسر ، والتعذال والعذل : اللوم ، غير مؤتل غير مقصر .
- (٧) السدول : الستور ، يبتلى : يختبر . وهو يصف الليل بتعمد أيدائه . (٨) تمطى الليل : طال ، والجوز : الوسط ، وفى رواية بصلبه ، ناء : نهض ، والكلكل : الصدر . (٩) أمثل : أفضل . يذكر أن همومه موصولة ، فليس الصبح خير من الليل . (١٠) مغار : محكم شديد ، ويذبل اسم جبل : يصف نجوم الليل بالثبات . (١١) فى مصامها : فى موضعها ، أمراس : جمع مرس ، وهو الحبل ، والجندل الأصم : الحجر الصلب .

- وقربة أقوام جعلت عصاهها على كاهل مني ذلول مرحل (١)
 وواد كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوى كالغليخ المعيل (٢)
 فقلت له لما عوى : إن شأننا قليل الغنى إن كنت لما تمول (٣)
 كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل (٤)
 وقد أعتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل (٥)
 مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل (٦)
 كميت يزلُّ اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل (٧)
 على العقب جيش كأن اهتزاه إذا جاش فيه حميه غلى مرجل (٨)
 مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن غباراً بالكديد المركل (٩)
 يزل الغلام الخف عن صهواته ويلوى بأثواب العنيف المثقل (١٠)
 دريد كخذروف الوليد أمره تتابع كفيه بخيط موصل (١١)

- (١) العصام : جبل تربط به القربة ، ومرحل : كثير الحمل والترحيل .
 (٢) يقال للموضع الذي لا خير فيه ، والمعيل : المسيب الذي القى حبله على غاربه . (٣) تمول : صار ذا مال (٤) أفاته : ضيعه ، ومن يحترث حرثي وحرثك : من هو مثلنا ، ويهزل : يضعف .
 (٥) وكنات : العش ، وفرس أجرد ومنجرد : قصير الشعر رقيقه ، الأوابد : الوحش النافر ، وقيد الأوابد : مبالغة في سرعة العدو ، والهيكل : الضخم من كل شيء . (٦) مكر مفر : سريع الكر والفر ، من عل : من فوق . [يصف عدو الفرس في كره وفره واقباله وادباره .
 بجلاميد الصخر تحطها السيول] . (٧) كميت خالط حمته سواد ، ويزل : يسقط ، عن حال متنه : عن وسط ظهره ، الصفواء : الملساء ، المتنزل : المطر ينزل من السماء . (٨) وجياش : إذا حركته بعقبك جاش كما يجيش البحر بالأمواج ، اهتزاه : صهيله ، المرجل : القدر ، [يشبه صهيل جواده حين يجيش حميه بالقدر حين تفور] .
 (٩) مسح : عداء السابحات ، والسوابح : الخيول ، الونى : الضعف ، والتعب الكديد الأرض تكدها بحوافرها الدواب ، المركل : المكدود .
 (١٠) الخف : الجلد ، أو الخفيف العنيف من لا رفق له بركوب الخيل ، المثقل : الثقيل [يريد أنه لا يذل لغير سيده وهو وصف بديع] .
 (١١) درير : كثير الجري ، الوليد : الصبي ، والخذروف : شيء يدوره في يديه بخيط فيسمع له دوى « نحلة » ، أمره : قتله .

- له أَبْطَلَا ظَنِي وَسَاقَا نِعَامَةً وَإِرْحَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَنْفُلٍ (١)
 ضَلِيْعٌ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجُهُ بِضَافٍ فَوْيْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلٍ (٢)
 كَأَنَّ سَنَا الْمُتَنِيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى مَدَاكَ عُرُوسٍ أَوْ صَلَايَةَ حَنْظَلٍ (٣)
 كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ يَنْجُرُهُ عُصَاةَ حِنَاءٍ بِشَيْبٍ مَرْجَلٍ (٤)
 فَعَنْ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلَائٍ مَذِيْلٍ (٥)
 فَادْبِرْنَ كَالْجِزْعِ الْمَفْصَلِ بَيْنَهُ بِيَجِيْدٌ مُعَمَّمٌ فِي الْعَشِيْرَةِ مُخَوَّلٍ (٦)
 فَالْحَقْنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ جَوَاحِرْهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزِيْلٍ (٧)
 فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ دِرَاكًا وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيَغْسِلُ (٨)
 قَطَّلَ طَهَاءَ اللَّحْمِ مَا بَيْنَ مُنْضَجٍ صَفِيْفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيْرٍ مُعْجَلٍ (٩)

- (١) الأيطل : الكشح ، السرحان الذئب ، والتقريب : رفع اليدين معا .
 (٢) ضليع : قوى الجنين ، استدبرته : نظرت اليه من خلف .
 (٣) المداك والمدوك الصلاة [يذكر أن الجواد اذا انتحى ناحية وهو غير مسرج رأيت ظهره براقا لامعا كما تلمع صلاة الحنظل ومداك العروس ، وانما خص صلاة الحنظل لما يترك بها من الدهن اللامع ، وخص مداك العروس لقرب عهده بالطيب ، وان امرأ القيس لشاعر فنان !]
 (٤) الهاديات : المتقدّمات [ويريد بها هنا الفرائس] ، مرجل : مسرج ، [يذكر ان دماء الفرائس ينجزه كعصارة الحناء بالشيب المرجل وكلاهما يلمع من الخضاب] . (٥) عن : عرض ، السرب : القطيع ، النعاج : البقر ، دوار : اسم صنم ، مذيل : طويل الأطراف .
 (٦) الجزع : الخرز [لأن لونه يجزع الى بياض وسواد] ، والمفصل بينه : اى الذى فصل بين حياته بالذهب أو الزبرجد ، الجيد : العنق ، العمم والمخول : كرام العم والخال : [يشبه النعاج بالجزع المفصل فى جيد من كرم عمه وخاله] . (٧) الهاديات : السابقات المتقدّمات ، الجواهر : المتخلفات ، فى صرة : فى صياح شديد ، لم تزيل : تتفرق .
 (٨) عادى عداة : جمع بين ثور ونعجة ، دراكاً : تباعا ، لم ينضح بماء : لم يعرق . (٩) الطهاة : جمع طاه وهو الطباخ ، لحم صفييف ، صف على النار ليشوى وفى الشمس ليقدد .

- ورحنا يكادُ الطرفُ يَقْصُرُ دُونَهُ متى ما تَرَقَّ العَيْنُ فِيهِ تَسْفَلُ (١)
 فباتَ عليه سَرَجُهُ ولجأهُ وباتَ بِعَيْنِي قائماً غيرَ مُرْسَلِ (٢)
 أَصْحاحٍ ؟ تَرَى بَرَقاً أُرِيكَ وَمِيضُهُ كَلَمَعَ اليَدِينِ فِي حَيِّ مَكَلَلِ (٣)
 يُضِيءُ سناهَ أوْ مِصَابِيحَ رَاهِبِ أَهَانَ السَّلِيطِ بِالذِّبَالِ المَقْتَلِ (٤)
 قَعَدْتُ وَأَصْحَابِي لَهُ بَيْنَ ضَارِحِ وَبَيْنَ العَذِيبِ ، بَعْدَ مَا مُتَّامَلِ (٥)
 عَلَي قَطَنِ بِالثَّمِيمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ وَأَيْسَرَهُ عَلَي السَّتَارِ فينْبِلِ (٦)
 فَأَضْحَى يَسْحُ المَاءِ حَوْلَ كَتِيفَةٍ يَكْبُ عَلَي الأَذْقَانِ دَوْحَ الكَنْهَبِلِ (٧)
 وَمَرَّ عَلَي القَنانِ مِنْ نَفِيانِهِ فَأَنْزَلَ مِنْهُ العَصْمَ مِنْ كُلِّ مَنْزِلِ (٨)
 وَتَيْمَاءٍ لَمْ يَتْرَكَ بِهَا جِدْعَ نَخْلَةٍ وَلَا أَطْمًا إِلَّا مَشِيداً بِجَنْدَلِ (٩)
 كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عِرَانِينَ وَبَلَهُ كَبِيرَ أَناسٍ فِي بَجادِ مُزْمَلِ (١٠)

- (١) يكاد الطرف يقصر دونه : أى أن العين لا تقدر على حصر محاسنه ، ترق : تنظر الى أعلى ، تسفل : تنظر الى أسفل . (٢) يريد انه بات مقيدا مسرجا ملجما ، ليستطيع الفارس امتطاه متى شاء .
 (٣) ومض البرق ومضا ووميضا وومضانا : لمع لما خفيا ، الحبي : الحباب المتراكم . (٤) السليط : الزيت الجيد ، الذبال : جمع ذبالة ، وهى فتيلة المصباح [وفى رواية : آمال] . (٥) ضارج : اسم ماء ببلاد طيء ، والعذيب : اسم ماء قريب منه ، ومتأمل : أى مأمول .
 (٦) قطن : اسم جبل ، الثسيم : النظر الى البرق ، الصوب : أى المطر ، والستار ويذبل : جيلان . (٧) يسح : الماء يسكبه ، وكتيفة : اسم أرض ، دوح : جمع دوحه ، وهى الشجرة العظيمة ، والكنهبل : نوع من الشجر الضخم . (٨) القنان : اسم جبل ابنى أسد ، نفيان المطر : رشاشه ، العصم : الوعول ، ومفردها أعصم [سميت بذلك لاعتصامها بالجبال] . (٩) تيماء : اسم أرض ، الاطم : القصر [يريد أن المطر لم يترك بتيماء الا جذوع النخل وما شيد بالصخر من الآطام والديار] .
 (١٠) ثبيرا : اسم جبل ، عرانيين وبله : فى طفيان وبله ، البجاد : كساء مخطط يلبسه كبار الأعراب ، مزمل : ملفف .

كَانَ ذُرّاً رَأْسَ المَجمِرِ غدوةً من السيل والغنّاءِ فلَكةٌ مَغزَلٌ (١)
 وَأَلْتِي بِصَحْرَاءَ الغَبيطِ . بعاة نزول اليباني ذِي العياب المَحْمَلِ (٢)
 كَانَ مُكَاكِيَّ الجِواءِ غديّةً صبجن سُلَافاً من رحيق مفلّ (٣)
 كَانَ سِباعاً فيه غرقى عشيّة بأرجائه القصوى أَنابيش عُصَلِ (٤)

(٢) النابغة الذبياني

هو النابغة الذبياني أبو أمامة زياد بن معاوية ، أحد فحول الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية ، وزعيمهم بعكاظ ، وأحسنهم ديباجة لفظ ، وجلاء معنى ، ولطف اعتذار - ولقب بالنابغة لنبوغه في الشعر فجاءة وهو كبير ، بعد أن امتنع عليه وهو صغير - وهو من أشرف ذبيان ، إلا أن تكسبه بالشعر غض قليلا من شرفه ، على أنه لم يتكسب بشعره إلا في مدح ملوك العرب ، وكان من أمره في ذلك أنه اتصل بملوك الحيرة ومدحهم ، وطالت صحبته للنعمان بن المنذر ، فأدناه منه إلى أن وثى به عند النعمان أحد بطانته ، فغضب عليه وهم بقتله ، فأسر إليه بذلك عصامُ حاجب النعمان ، فهرب النابغة إلى ملوك غسان في الشام ، المنافسين للمناذرة في ملك العرب في الحيرة ، فمدح عمرو بن الحارث الأصغر وأخاه النعمان ، غير أن قديم صحبته للنعمان جعله يحن إلى معاودة العيش في ظلاله ، فتنصل واعتذار إليه بقصائد عطف عليه قلبه ، وعمر النابغة طويلا ، ومات قبل البعثة .

(١) المجير : اسم جبل ، وذرا رأسه أعاليه ، الفناء : ما يخالط زيد السيل من ورق الشجر والحشيش . (٢) الغبيط : أراض لبني يربوع ، بعاة : نقله ، العياب : جمع عيبة [وهي ما يضع الرجل فيه متاعه] . (٣) المكاي : ضرب من الطير يصيح في القدوات ، صبجن ، شربن شراب الصباح السلاف والسلافة : صفوة الخمر ، الرحيق : الخمر مفلّ وضع عليه فلفل (يريد أنه لذاع) . (٤) الأنابيش : جمع أنبوش وهو أصل البقل ، والعنصل : البصل البري .

شعره : يمتاز برشاقة اللفظ. ووضوح المعنى ، وحسن النظم ، وقلة التكلف حتى عُدَّ عند المدققين من الشعراء كجبرير أنه أشعر شعراء الجاهلية ، وأغرام تكسبه بالشعر أن يفتن في ضروب المدح ، حتى مدح الشيء وضده .

ومن جيد قوله في الاعتذار :

أتاني (أبيت اللعن) (١) أنك لم تني
فبتُّ كأن العائدات (٤) فرشن لي
حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة
لئن كنت قد بلغت عني جناية (٧)
ولكنني كنت امرأً لي جانباً (٨)
ملوكاً (١٠) وإخوان إذا ما أتيتهم
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم
فلا تتركني بالوعيد كأنني
ألم تر أن الله أعطاك سورة (١٣)
ولست بمستبق أخاً لا تلمه

وتلك التي أهتم (٢) منها وأنصب (٣)
هراساً (٥) به يعلى فراشي ويقشب (٦)
وليس وراء الله للمرء مطلب
لمبلغك الواشي أغش وأكذب
من الأرض فيه مستراد (٩) ومذهب
أحكم في أموالهم وأقرب
فلم نرهم في شكرهم لك أذنبوا (١١)
إلى الناس مطلى به القار (١٢) أجرب
ترى كل ملكٍ دونها يتذبذب (١٤)
على شعث ، أي الرجال المهذب (١٥)

(١) جملة دعائية يخاطبون بها الملوك تحية ، ومعناها : أبيت أن تفعل شيئاً تلعن به ، وكانت هذه تحية ملوك لخم وجذام .

(٢) أصير لأجلها ذا هم . (٣) أتعب . (٤) الزائرات في المرض . (٥) شكوكا كأنه حسك . (٦) يخلط .

(٧) ذنبا وفي رواية : خيانة . (٨) الجانب : الناحية [وأراد به الشام] . (٩) موضع يتردد فيه لطلب الرزق .

(١٠) بدل من مستراد ومذهب - أو مبتداً بتقدير فيه ملوك .

(١١) قال الأصمعي : [كما فعلت أنت بقوم قربتهم وأكرمتمهم ، فتركوا

الملوك ولزموك ، فلم تر ذلك ذنباً عليهم] . (١٢) القطران .

(١٣) منزلة رفيعة وشرفاً . (١٤) يضطرب : [وأراد بهذا البيت والذي قبله تسليمة النعمان على ما حصل من مدحه لآل جفنة] .

(١٥) تلمه : تصلحه ، والشعث : الفساد ، والمهذب : المنقى من العيوب ،

[يعتذر بذلك عن زلته] .

فإن أك مظلوماً (١) فعبدٌ ظلمته وإن تك ذا عُتبي (٢) فمشلك يعتب (٣)
ومن أباغ المعلقات والمطولات أيضاً :

(٢) معلقة النابغة الذبياني

عوجوا فحيوا لنعمٍ دمنة الدار ماذا تحيون من نوى وأحجار ؟ (٤)
أقوى وأقفر من نَعْمٍ وَغَيْرِهِ هُوج الرياح بهابي الترب موار (٥)
وقفت فيها سراة اليومَ أسألها عن آل نَعْمٍ أموناً عبر أسفار (٦)
فاستعجمت دارُ نَعْمٍ ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار (٧)
فما وجدت بها شيئاً ألوذ به إلا الثامَ وإلا موقدَ النار (٨)
وقد أراني ونعماً لاهيين معاً والدهر والعيش لم يههمُ بامرار (٩)
أيامٍ تخبرني نَعْمٍ وأخبرها ما أكرمَ الناس من حاجي وأسارِي
لولا حباثل من نَعْمٍ علقتُ بها لأقصر القلب عنها أي إقصار (١٠)
فإن أفاق لقد طالت عمالته والمرء يخافُ طوراً بعد أطوار (١١)
نُبئت نَعْمًا على الهجران عاتبة سقياً ودعيماً لذلك العاتب الزاري
رأيت نَعْمًا وأصحابي على عَجَل والعيش للبين قد شدت بأكوار
فريع قابي وكانت نظرة عرضت حيناً وتوفيقَ أقدار لأقدار (١٢)
بيضاء كالشمس وافت يوم أسعدها لم تؤذِ أهلاً ولم تُفحش على جار

- (١) جعل غضبه ظلماً لأنه عن غير موجب . (٢) رضا .
(٣) يرضى . (٤) عوجوا : قفوا ، الدمنة : ما اجتمع من آثار
الديار ، النوى ما يكون حول الخباء لمنع المطر . (٥) أقوى : خلا ،
أقفر : صار قفراً ، هوج : جمع أهوج ، الريح تعصف بشدة ، هابي
الترب : سافيه ، موار : يجيء ويذهب . (٦) سراة اليوم : وسطه ،
والأمون : الناقة القوية المأمونة . (٧) استعجمت : عبت عن الجواب .
(٨) ألوذ به : أفرع إليه ، الثام : نوع من النبات الدقيق الضعيف .
(٩) أمر العيش امراراً صار مرا .
(١٠) الحباثل : جمع حباله [وهي الشرك] ، أقصر : كف وانصرف .
(١١) العمائة : الضلالة ، والطور : الحال ، ويخلق : يتغير .
(١٢) ريع : من الروع [وهو الفزع] ، والحين : الهلاك .

- تلوث بعد افتضال البُرد مثرها
والطيب يزداد طيباً أن يكون بها
تسقى الضجيع إذا استسقى بندى أشر
كأن مشمولة صرفاً بريقتها
أقول والنجم قد مالت أواخره
ألمحة من سنا برق رأى بصرى
بل وجه نعم بدا والليل مُعكر
إن الحمول التي راجت مُهجرة
نواعم مثل بيضات محنية
إذا تغنى الحمام الورق هيّجني
ومهمه نازح تعوى الذئاب به
جاوزته بعنادة مناقلة
تجتأ أرضاً إلى أرض بنى زجل
- (١) لوثا على مثل دعص الرملة الهارى
(٢) فى جيد واضحه الخدين معطار
(٣) عذب المذاقة بعد النوم مخمار
(٤) من بعد رقدتها أو شهد مُشطار
(٥) إلى المغيب : تثبت نظرة حار
أم وجه نعم بدا لى أم سنا نار
فلاح من بين أثواب وأستار
يتبعن كل سفيه الرأى مغيار
يحفزن منه ظليماً فى نقاً هار
وإن تغربت عنها أم عمار
نأى المياه عن الورد مقفار
وعر الطريق على الإحزان مضار
ماض على الهول هاد غير محيار

(١) تلوث : تلف ، وافتضال البرد : هو التوشح به ، والدعص : الكثيب الصغير ، والهارى : النهار . (٢) الجيد : العنق ، معطار : كثير العطر ووضوح الخد اشراقه . (٣) الأشر حسن الثغر وتحريز أطرافه مخمار عطر يقول وجدت خمرة الطيب أى رائحته . (٤) المشمولة : الخمر ، والصرف : الخالصة ، والريقة : الريق ، والمشتار : الذى ينزع العسل من بيوت النحل . (٥) حار : مرخم حارث . (٦) الحمول : الهودج] ويريد بها النساء راحت مهجرة سارت وقت الهجير] ، مغيار : غيور . (٧) المحنية والمخو : منعطف الوادى . (٨) الورق : جمع ورقاء ، وهى الحمامة تألف الشجر الوريق . وأم عمار : واقعة موقع البدل من الضمير فى] عنها] . (٩) المهمة : الوادى الوحش ، نازح بعيد الورد [جمع وارد] ، مقفار : لا أنيس به . (١٠) علنداة : شديدة] وهو وصف للناقة] ، مناقلة : سريعة نقل القوائم فى جرى بين العدو والخب ، الإحزان : المشى فى الحزن] وهو ما صلب من الأرض] ، مضمار : كثير الضمور . (١١) تجتأب : تقطع وتجوّب ، الزجل : الصوت ، محيار : شديد الحيرة .

- (١) إذا الركاب ونت عنها ركائبها
تشدرت ببعيد الفتر خطر (١)
- (٢) كأنما الرجل عنها فوق ذى جدد
ذب الرياد والارتباد : التحول . (٣) مطرد : مشرد ،
من وحش وجرة أو من وحش ذى قار (٣)
- (٤) مطرد أفردت عنه حلائله
مجرس وحده جاب أطاع له
نبات غيث من الوسمى مبكار (٤)
- (٥) سراته ما خلا لباته لهق
وفى القوائم مثل الوشم بالقار (٥)
- (٦) بيات له ليلة شهباء تسفعه
بحاصب ذات إشعان وإمطار (٦)
- (٧) «ويبات ضيفاً لأرطاة وألحاه»
مع الظلام إليها وابل سار (٧)
- حتى إذا ما انجلت ظلماء ليلته
وأسفر الصبح عنه أى إسفار
- (٨) أهوى له قانص يسعى بأكلبه
عارى الأشجاع من قناص أنمار (٨)
- (٩) محالف الصيد هباش له لحم
ما إن عليه ثياب غير أطمار (٩)

- (١) ونت من الونى [وهو الضعف] ، تشدرت : نشطت ، الفتر :
الضعف ، خطر : كثر الخطران برجليه على الناقة يحشها على المضى .
- (٢) ذو الجدد : هو ثور الوحش تعلو ظهره خطوط بيض وحمر ،
والذب : الدفع ، والرياد والارتباد : التحول . (٣) مطرد : مشرد ،
«وجرة وذوقار موضعان ، والوحش اذا أفردت عنه حلائله جن وأكثر من
العدو فى أرجاء الفضاء . (٤) مجرس : خائف وذلك أن يسمع
جرس الانسان أى صوته ، وحده : وحيد ، جاب ، صلب شديد تطاع له
«الكأ وأطاع : واذا اتسع وأمكن رعيه حيث شاء ، الوسمى : اول المطر .
ومثله المبكار . (٥) سراته : ظهره ، لباته : صدره ، لهق : أبيض ،
«القار : شئ أسود تطفى به السفن . (٦) ليلة شهباء ويوم أشهب :
تهب فيهما ريح باردة ، تسفعه : تلهفه وترميه ، والحاصب : الريح تقذف
بالحصباء وهو الحصى . (٧) الارطاة : شجرة مرة . والواابل المطر
«الغزير ، والسارى يسح بالليل . (٨) أهوى له : انقض عليه ، أكلبه :
كلايه ، الأشجاع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف ، وعريها
محمود فى الرجال أنمار : اسم لقبيلة مشهورة بالصيد .
(٩) هباش : كثير الهبش وهو الكسب يتكسب لهم ومعه هباشات ،
أى مكاسب ، أطمار : جمع طمر ، وهو الثوب الخلق .

- يسعى بعضب براها فهي طاوية^١ طول ارتحال بها منه وتسيار^(١)
حتى إذا الثورُ بعد النفر أمكنه أشلى وأرسل غطفًا كلها ضار^(٢)
فكرَّ محمية من أن يفر كما كَرَّ المحامي حفاظاً خشية العار^(٣)
فشك بالروق منه صدرٌ أولها شك المشاعب أعشاراً بأعشار^(٤)
ثم انثنى بعد للثاني فاقصده بذات ثغر بعيد القعر نعار^(٥)
وأثبت الثالث الباقي بنافذة من باسل عالم بالطعن كرار^(٦)
ووظل في سبعة منها لحقن به يكرُّ بالروق فيها كر إسوار^(٧)
حتى إذا ما قضى منها لباتته وعاد فيها بإقبال وإدبار^(٨)
انقض كالكوكب الدرى منصلتاً يهوى ويخط. تقريباً بإحضار^(٩)
فذاك شبه قلوصى إذ أضر بها طول السرى والسرى من بعد أسفار^(١٠)
لقد نهيت بنى ذبيان عن أقر وعن تربعمهم في كل أصفار^(١١)
فقلت يا قوم إن الليث منقبض على برائنه لوثة الضارى^(١٢)
لا أعرفن ربرباً حوراً مدامعها كأنهن نعاجٌ حول دوار^(١٣)

- (١) العضب جمع أعضب : وهو اللين الناعم ، طاوية : جائعة .
(٢) النفر : العدو ، أشلى تقول أشلى ، وتقول أشليت الكلب للصيد .
(٣) محمية : حفاظ والمحامي الذائد والمدافع .
(٤) الروق القرن ، المشاعب : الذى يشعب الفدح ويصدعه .
(٥) أقصده رماه بذات ثغر : أى بطعنة ذات ثغر والثغر هنا الشق ،
بعيد القعر : بعيد الفور ، نعار : له نغير (٦) نافذة : أى ماضية ،
باسل : من البسالة وهى الشجاعة . (٧) الاسوار : الرامى الحاذق .
(٨) لباتته : حاجته (٩) منصلتا : الانصلات هو المضى فى سرعة .
(١٠) القلووس : الناقة ، والسرى : السير بالليل .
(١١) أقر : واد خصيب حماه النعمان ، وبنى ذبيان : قوم النابغة .
(١٢) منقبض على برائنه : متحفظ للوثوب وثبة الأسد الضارى .
(١٣) الربرب : القطيع من البقر شبه به النساء ، حور : جمع حوراء ،
من الحور وهو شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها ،
والمدامع : العيون ، والنعاج : يريد بها هنا أيضا النساء ، ودوار : صنم كن
يظفن حوله .

- ينظرون شزرًا إلى من جاء عن عرض
 خلف العضاريط. لا يوقين فاحشة
 يذرفن دُمعًا على الأشفار منحدرًا
 إما عصيت فإني غيرٌ منفلت
 إذ أصنع البيت فى سوداء مظلمة
 تدافع الناس عنّا حين نركبها
 ساق الرفيدات من جوش ومن خرد
 قرمى قضاة حلا حول حجرته
 حتى استقل بجمع لا كفاء له
 لا يخفض الرزّ عن أرض ألم بها
 وعيرتني بنو ذبيان خشيتُهُ ،
- بأوجه منكرات الرق أحرار (١)
 مستمسكات بأقتاب وأكوار (٢)
 يا ملن رحلة حصن وابن سيار (٣)
 منى اللصابُ فجنبنا حرّة النار (٤)
 تقيدُ العير لايسرى بها السارى (٥)
 من المظالم تدعى أم صبار
 وماش من رهط. ربعى وحجار (٦)
 مدًا عليه بسلاف وأنفار (٧)
 يقنى الوحوش عن الصحراء جرار (٨)
 ولا يضل على مصباحه السارى (٩)
 وهل على بأن أخشاك من عار

- (١) النظر الشزر : هو النظر فى اعراض بمؤخر العين كنظر المبالغض ، العرض : الجانب منكرات الرق احرار صفة للنساء يرميهن السبى بالعبودية . (٢) العضاريط : الخدم ، لا يوقين فاحشة [يريد أن السبى عرضهن للمنكر أى للفحشاء] ، الأقطاب : جمع قتب ، وهو عود الرحل والأكوار الرحال . (٣) الأشفار منابت الهدب . (٤) اللصاب : جمع لصب وهو الشعب الضيق من الجبل ، والحرّة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها حرقت بالنار . (٥) سوداء مظلمة ، وصف لحرّة النار : تقيد العير : تمنعه من المشى . (٦) الرافيدات : بنو رفيده من كلب بن وبرة ، جوش : جبل ببلاد بنى القين ، ربعى وحجار : رجلان من قضاة (٧) قرمى قضاة : صفة لربعى وحجارة والمراد الرجل القوى المتين ، حلا : نزلا ، مدا عليه : أمدها ، السلاف : من يتقدمون العسكر ، والأنفار : من يتكون من الجيش من أفرادهم . (٨) استقل : نهض ، لا كفاء له : لا نظير له : والجرار : الجيش الكبير كأنما يجرب بعضه بعضا . (٩) الرز : الصوت ، ألم نزل : يعنى أنه لا يهاب أرضا ينزل بها حتى يخفض صوته .

(٣) زهير بن أبي سلمى المزني المضرى

هو زهير بن أبي سلمى : واسمه ربيعة بن رباح المزني ثالث فحول الطبقة الأولى من الجاهلية ، وأعفهم قولاً ، وأوجزهم لفظاً ، وأغزرهم حكمة ، وأكثرهم تهديباً لشعره .

نشأ في غطفان وإن كان من مزينة ، من بيت جل أهله شعراء ، رجلا ونساء ، واختص زهير بمدح هرم بن سنان الذبياني المري ؛ وأول ما أعجبه من فعله وحبب إليه مدحه حسن سعيه هو والحارث بن عوف في الصلح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء بتحملهما ديات القتلى التي بلغت ثلاثة آلاف بعير ، وقال في ذلك قصيدته ، وهي إحدى المعلقات السبع .

ثم تابع مدحه كما تابع هرم عطاءه حتى حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً ، فاستحيا زهير منه ، فكان إذا رآه في ملاء قال : أنعموا صباحا غير هرم ، وخيركم استثنيت ، وكان زهير سيداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع ، متديناً مؤمناً بالبعث والحساب ، كما يبدو من قوله :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفي ، ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم
وعمر زهير ، ومات قبل البعثة بسنة .

وكان زهير صاحب روية وتعمل وتهذيب لما يقول ، ولاسيا مطولاته ، حتى قيل : إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر ، ويهذبها في أربعة أشهر ، ويعرضها على خواصه في أربعة أشهر ، فلا يظهرها إلا بعد حول ، ولذلك يسمون بعض مطولاته الحوليات ، ومما سبق غيره قوله يمدح هرمأ :

قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرُقاً

من يلق يوماً على علاته هرمًا يلق الساحة منه والندى خلقا
لو نال حى من الدنيا بمكرمة أفق السماء لنالت كفه الأفقا
وشعره يمتاز أولاً بحسن الإيجاز وحذف فضول الكلام وحشوه ،
بحيث يودع اللفظ. اليسير والمعنى الكثير .

وثانياً بإجادة المدح وتجنب الكذب فيه .
وثالثاً بتجنب التعقيد اللفظى والمعنوى ، والبعد من وحشى الكلام وغريبه .
ورابعاً بقلة الهذر والسخف فى كلامه ، ولذلك كان شعره عفيفاً يقل
فيه الهجاء ولقد هجا قوماً فأوجع ، ثم ندم على ما صنع .
ومن أشهر المعلقات والمطولات أيضاً :

معلقة زهير بن أبى سلمى

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالنتلم (١)
ديار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم فى نواشر معصم (٢)
بها العين والآرام يمشين خلفه وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم (٣)
وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأياً عرفت الدار بعد توهم (٤)
أثافى سعفاً فى معرس مرجل ونؤياً كجذم الحوض لم يتلم (٥)
فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا أنعم صباحاً أيها الربيع واسلم
تبصر خليلي هل ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثم (٦)

(١) أم أوفى : امرأة زهير ، ودمنة الدار : الأثر ، لم تكلم : لم تظهر ،
أى ، أمن دمن أم أوفى دمنة لم تتكلم ، وحومانة الدراج موضع ،
وكذلك المنتلم . (٢) الرقمتان : اسم ، مراجع الوشم : خطوطه ،
ونواشر المعصم : عروقه . (٣) العين : البقر ، والآرام : الظباء
وأطلاؤها : أولادها ، والمجثم : المكان الذى يقمن فيه ، يمشين خلفه :
فوجاً بعد فوج وسرباً بعد سرب . (٤) حجة : سنة .
(٥) الأثافى : الحجارة وضع عليها القدر ، سفع : سود ، ومعرس
المرجل : الموضع الذى يكون فيه ، والنؤى : ما يحفر حول الخيام لمنع
السييل ، وجذم الحوض : أصله ، لم يتلم ، لم يتكسر .
(٦) الظفائن : الجمال عليها الهوادج ، العلياء وجرثم : موضعان ،
والتحمل : الارتحال .

- جعلنَ القنَّانَ عن يمينٍ وحزنهُ
 علونَ بأنمَاطٍ عتاقٍ وكلةٍ
 ظهرنَ منَ السوبانِ ثم جزعنهُ
 ووركنَ في السوبانِ يعلونَ متنهُ
 بكرنَ بكوراً واستحرنَ بسحرةٍ
 وفيهنَ ملهى للصديقِ ومنظرٍ
 كأنَّ فتاتِ العهنِ في كل منزلٍ
 فلما وردنَ الماءَ زرقاً جمامهُ
 تذكرني الأحلامُ ليلي ومن تطفٍ
 سعى ساعياً غيظَ بن مرةٍ بعد ما
 فأقسمتُ بالبيتِ الذي طاف حوله
 ميناً لنعمِ السيدانِ وجدتما
- (١) وكم بالقنَّان من محلٍّ ومحرم (١)
 (٢) ورَادَ حَوَاشِيهَا مَشَاكِهَةٌ الدَّم (٢)
 (٣) عَلَيَّ كُلِّ قَبِيئِي قَشِيبٌ وَمُقَامٌ (٣)
 (٤) عَلِيهِنَّ ذَلَّ النَّاعِمِ الْمُتَنَعِمِ (٤)
 (٥) فَهِنَّ وَوَادِي الرَّسِ كَالْيَدِ لِلْفَمِ (٥)
 أَنْيَقَ لَعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ
 (٦) نَزَلْنَ بِهِ حَبَّ الْفَنَاءِ لَمْ يَحْطَمِ (٦)
 وَضَعْنَ عَصِيبي الْحَاضِرِ الْمُتَخِيمِ (٧)
 عَلَيْهِ خَيَالَاتُ الْأَحْبَةِ يَحْلَمِ (٨)
 تَنْزِلُ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْدَمِ (٩)
 رَجَالُ بَنُوهُ مِنْ قَرِيْشٍ وَجَرَاهِمِ (١٠)
 عَلَيَّ كُلِّ حَالٍ مِنْ سَجِيْلِ وَمَبْرَمِ (١١)

- (١) القنَّان : اسم جبل ، الحزن : ما غلظ من الأرض .
 (٢) الأنمَاط : ثياب تفرش بها الهوادج ، وعتاق : جيدة الحوك ،
 والكلة : الستارة [الناموسية] ، وراد موردة ، مشاكهة ، مشابهة .
 (٣) السوبان : اسم واد ، جزعنه : قطعنه ، قشيب : جديد ، مقام :
 واسع . (٤) وركن في السوبان : عرجن عليه ، متنه : ظهره .
 (٥) استحرن : سرين سحرا كاليد للفم : يريد أنهم في قربهن من
 وادي الرس كاليد للفم ، لأنها لا تخطئه في قربها منه .
 (٦) العهن : الصوف ، الفنا : شجر له حب أحمر وفيه نقط سود .
 (٧) جمام الماء : ما اجتمع منه ، والجمام الزرق : المياه الصافية ،
 ووضع العصبي : كناية عن ترك السير ، الحاضر : النازل على الماء ،
 المتخيم : المقيم . (٨) في كتاب « مدامع العشاق » بحث مفصل
 عما قاله الشعراء في طيف الخيال . (٩) الساعيان في هذا الصلح
 هما الحارث بن عوف وهرم بن سنان واليهما يوجه زهير الشفاء .
 (١٠) البيت : هو الكعبة ، وجرهم : اسم لقوم كانوا ولاة البيت قبل
 قريش وأبادهم الله لبغيهم . (١١) السجيل : الخيط المفرد المبرم
 المفتول : والسجيل هنا والمبرم كناية عن الرخاء والشدة .

- تَدْرَاكْتُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانٍ بَعْدَ مَا تَفَانُوا وَدَقُوا بَيْنَهُمْ عِطْرًا مَنِشْمًا (١)
- وَقَدْ قَلَّمَا : إِنْ نُدْرِكِ السَّلْمَ وَأَسْعَا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ نَسْلَمَ (٢)
- فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمٍّ (٣)
- عَظِيمَيْنِ فِي عَلِيَا مَعَدَّ هُدَيْتُمَا وَمَنْ يَسْتَبِحُ كَنْزًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمُ
- وَأَصْبَحَ يَحْدَى فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزْنَمٍ (٤)
- تَعْفَى الْكَلُومَ بِالْمُثِينِ فَأَصْبَحَتْ يُنْجِمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمَجْرَمٍ (٥)
- يُنْجِمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ وَلَمْ يَهْرِيْقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مَحْجَمٍ (٦)
- أَلَا أَبْلَغُ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةٌ وَذُبْيَانٍ هَلْ أَقْسَمْتُ كُلَّ مَقْسَمٍ (٧)
- فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ لِيخْفَى ، وَمَهْمَا يَكْتُمُ اللَّهُ يَعْلَمُ
- يُؤَخِّرُ فَيُوضِعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخِرُ لِيَوْمِ حِسَابٍ أَوْ يَعَجَلُ فَيُنْقِمُ
- وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَقْتُمُو وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجَمِ
- مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةٌ وَتَضْرِي إِذَا ضَرَبْتُمُوهَا فَتَضْرَمُ (٨)
- فَتَعْرَكُكُمْ عَرَكَ الرُّحَى بِنَقْلِهَا وَتَلْقَحُ كِشَافًا ثُمَّ تَنْتَجُ فَنْتَمُ (٩)

- (١) منشم : امرأة تبيع عطرا. فاذا حاربوا اشتروا منها كما فوراً لموتاهم .
- (٢) واسعا خالصا من شوائب الأحقاد .
- (٣) العقوق : قطعة الرحم ، والمأتم : الائتم ، وهو العدوان .
- (٤) يحدى : يساق ، افال : جمع أفيل وهو الفصيل ، مزنم : معلم .
- (٥) تعفى : تمحى ، الكلوم ، الجروح ، ينجمها : يؤديها أقساطا .
- (٦) المحجم : وعاء يتلقى فيه الحجام الدم عند الفصد .
- (٧) أى : هل حلفتكم لو تعملون شيئا ينقض ما تحالفتكم عليه .
- (٨) يقال ضربته فضرى : أى هجته فهاج : تضرم : تشعل .
- (٩) الثفال : جلد بسيط تحت الرحى عند الطحن .

- فتنتج لكم غلمان أشام كلهم
فتغلل لكم مالا تغل لأهلها
لحى حلال يعصم الناس أمرهم
كرام فلا ذو الضغن يدرك نبله
رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم أوردوا
فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا
لعمرى لنعيم الحى جر عليهم
وكان طوى كشحاً على مستكنه
وقال ساقضى حاجتى ثم أتى
فشد ولم ينظر بيوتاً كثيرة
لدى أسد شاكى السلاح مقذف
جرىء متى يظلم يعاقب بظلمه
- كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم (١)
قُرى بالعراق من قفيز ودرهم (٢)
إذا طرقت إحدى الليالى بمعظم (٣)
ولا الجارم الجانى عليهم بمسلم (٤)
غماراً تفرى بالسلاح وبالدم (٥)
إلى كلالٍ مستوبل متوخم (٦)
بما لا يؤاتيههم حصين بن ضمضم
فلا هو أنداها ولم يتجمجم (٧)
عدوى بألف من ورائى ملجم (٨)
لدى حيث ألفت رحلها أم قشعم (٩)
له لبد أظفاره لم تقلم (١٠)
سريعاً وإلا يبد بالظلم يظلم

- (١) غلمان أشام : غلمان شؤم ، واحمر عاد : هو عاقر الناقة .
(٢) القفيز : اسم مكيال .
(٣) حى حلال : حالون فى مكان واحد متجاورون ، يعصم الناس أمرهم : يسلم الناس برأيهم ، والمعظم : الحادث الرهيب .
(٤) النبل : الثأر ، الجارم : المجرم .
(٥) الظماً : الهدنة بين الحربين ، والفمار : جمع غمر ، وهو الماء الكثير ، تفرى : انفجر .
(٦) الكلال : العشب ، أصدروا : رجعوا ، مستوبل : متوخم ، مستثقل مردوم .
(٧) الكشح : الجنب . مستكنة : مضمرة .
(٨) ألف ملجم : يريد ألف فارس الجموا خيولهم .
(٩) لم ينظر : لم ينتظر ، والبيوت الكثيرة : قومه وأنصاره ، يزيد أنه لم يستعن بأحد ، وأم قشعم : هى المنية .
(١٠) شاكى السلاح : شاهر السلاح ، مقذف : يسرع به كثيراً الى الحروب ، لبد : الشعر الملبد على منكبى الأسد .

لعمرك ما جرّت عليهم رماحهم
 ولا شاركوا القوام في دم نوفل
 فكلاً أراهم أصبحوا يعقلونه
 ومن يعص أطراف الزجاج فإنه
 ومن يوف لا يندم ومن يفض قلبه
 ومن هاب أسباب المنايا ينلنه
 ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
 ومن لا يزل يسترحل الناس نفسه
 ومن يغترب بحسب عدواً صديقه
 ومن لا يند عن حوضه بسلاحه
 ومن لم يصانع في أمور كثيرة
 ومن يجعل المعروف من دون عرضه
 ومهما تكن عند امرئ من خليقة
 وكان ترى من صامت لك معجب
 لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
 وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده
 سئمت تكاليف الحياة ومن يعش

دم ابن نهيك أو قتيل المثلم
 ولا وهب منهم ولا ابن المخزم
 علالة ألف بعد ألف مُصم
 يُطيع العوالي ركبت كل لهدم (١)
 إلى مُطمئن البر لا يتجمجم
 ولو رام أسباب السماء بسلم
 على قومه يُستغن عنه ويُندم
 ولا يعفها يوماً من الذل يندم
 ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
 يُهدم ومن لا يظلم الناس يُظلم (٢)
 يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم (٣)
 يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
 وإن خالها تخفى على الناس تعلم
 زيادته أو نقصه في التكلم
 فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
 وإن الفتى بعد السفاهة يحلم
 ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

- (١) الزجاج : أسفل الرمح ، والعوالي : جمع عالية : وهى أعلاه ،
 اللهدم : اللسان الطويل ، والمعنى : من عصى زجاج الرمح وهى لا تقتل .
 أطاع عواليه وهى قتالة : أى من لم يطع باللين يطع بالشدّة .
- (٢) الدود : هو الدفع ، ومن لا يظلم يظلم : [يريد به أنه طمع الناس
 أن يبطشوا بالضعيف وأن يظلموا من لا يقدر على الظلم يعنى من لم يدفع
 الظلم بمثله يظلم] .
- (٣) المصانعة : المداراة ، يضرس : يمضغ بالأضراس ، والمنسم : الحافر .

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غدٍ عم
 رأيت المنايا خبط عشواء من تصبتمه ومن تخطى يُعمر فيهم
 سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتُم ومن يُكثر التسال يوماً سيُحرم

(٤) عنتره العبسي

هو عنتره بن عمرو بن شداد العبسي أحد فرسان العرب وأغزبتها
 وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة .

وكانت أمه أمة حبشية تسمى زبيبة ، وأبوه من سادات بني عبس .
 وكان من عادات العرب ألا تلحق ابن الأمة بنسبها ، بل تجعله في عداد العبيد ،
 ولذلك كان عنتره عند أبيه منبوذاً بين عبدانه ، يرعى له إبله وخيله فرباً بنفسه
 عن خصال العبيد ، ومارس الفروسية ومهر فيها ، فشب فارساً شجاعاً هماماً ، وكان
 يكره استعباد أبيه له وعدم إلحاقه به ، حتى أغار بعض العرب على عبس ، واستاقوا
 إبلهم ، ولحقتهم بنو عبس ، وفيهم عنتره لاستنقاذ الإبل ، فقال له أبوه : كر
 يا عنتره ، فقال : العبد لا يحسن الكر ، إنما يحسن الحلاب والصر ، فقال : كر
 وأنت حر ، فقاتل قتالاً شديداً حتى هزم القوم واستنقذ الإبل ، فاستلحقه
 أبوه ، ومن ذلك الوقت ظهر اسمه بين فرسان العرب وساداتها .
 وطال عمر عنتره حتى ضعف جسمه ، وعجز عن شن الغارات ، ومات
 قبيل البعثة .

شعره - لم يشتهر عنتره أول أمره بشعر غير البيتين والثلاثة ، وإنما غلبت
 عليه الفروسية مكتفياً بها حتى عيره يوماً بعض قومه بسواده وأنه لا يقول الشعر
 فاحتج لسواده بنخلقه وشجاعته ، واحتج لفصاحته بنظم معلقته المشهورة التي
 كانت تسمى المذبة أيضاً ، وقد ضمنها خصاله ومكارم قومه ، وحسن دفاعه عنهم
 ووفرة جوده معرجا فيها على أوصاف أمور شتى ، وهي من أجمل الملاحظات .

معلقة عنتره العبيسي

- هل غادرَ الشعراءُ من متردَمٍ ؟ أم هل عرفتِ الدارَ بعد توهم^(١)
يا دارَ عِبلَةَ بالجِواءِ تكلمى وعمى صباحاً دارَ عِبلَةَ واسلمى^(٢)
دارُ لآنسَةَ غَضِيضَ طرفُها طوعَ العنانَ لذِيذَةِ المتبسمِ
فوقفتُ فيها ناقتى - وكانها فدن - لأقضى حاجَةَ المُتَلوِّمِ^(٣)
وتحلُّ عِبلَةَ بالجِواءِ وأهلُنا بالحزنِ فالصَّمانَ فالمتثلِّمِ^(٤)
حييتَ مِن طللٍ تقادمَ عهدُهُ أقوى وأقفرَ بعدَ أمِ الهيثمِ^(٥)
حلتَ بأرضِ الزائرِينَ فأصبحتَ عسراً على طلابِكِ ابنةَ مخرمِ^(٦)
عُلقتَها عرضاً وأقتلَ قومَها زعماءَ لعمرِ أبيكِ ليسَ بمزعمِ^(٧)
ولقد نزلتُ ، فلا تظنى غيرَه ، مِنى بمنزلةِ المحبِّ المكرمِ^(٨)
كيفَ المزارُ وقد تربعَ أهلُها بعُنيزَتَينِ وأهلُنا بالغيِّمِ^(٩)
إن كنتَ أزمعتِ الفراقَ فإنما زمتَ ركابِكُم بلبيلِ مظلمِ^(١٠)
ما راعنى إلا حمولةَ أهلِها وسطِ الديارِ تسفُ حَبَّ الخمخِمِ^(١١)

- (١) غادر : ترك ، متردَم : أى شىء يصلح لم يكونوا أصلحوه .
(٢) الجِواء : بلد ، تكلمى : أفصحى وأخبرى ، وعمى وانعمى : أى نعم
الله صباحك وأدامك سالمة . (٣) الفدن : القصر ، والمتلوم : المترقب
المنتظر : وعنى بالمتلوم نفسه . (٤) تحل : تترك ، والصوان والصمان
بمعنى واحد وهو معروف عند العرب (٥) حييت : لك منى التحية ،
من طلل : المكان تقادم عهدهِ ، أقوى : خلا من السكان ، أقفر : خرب ،
الهيثم : الصقر (٦) الزائرِينَ بالهمزة : الأعداء ، والزائرِ بالياء : من
الزيارة للأحباب والأصدقاء . (٧) عُلقتَها : أحببتها ، عرضاً :
من غير قصد ، زعماء : ظنا . (٨) نزلت حلت من نسي منزلة المحب
المكرم . (٩) تربع القوم : نزلوا فى الربيع ، والعُنيزتان ، والغليم :
موضعان ، يقول : كيف أزورها وقد بعدت عنى بعد قربها .
(١٠) أزمع : نوى وصمم ، زمت الركاب : شددت
(١١) راعنى : أفزعنى ، والحمولة : الإبل ، تسف حَب الخمخِم : تأكل
بقلة لها حَب أسود إذا أكلته القنم قلت البانها وتغيرت .

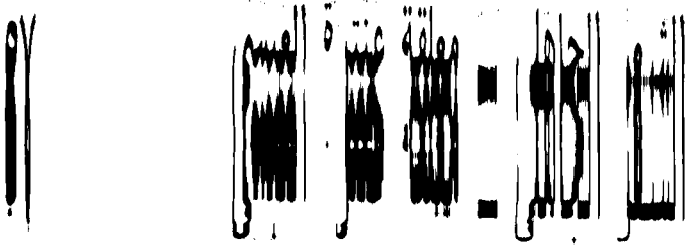
فيها الشنان وأربعون حلوبة
 إذ تستبيك بذي غروب واضح
 وكأن فارة تاجرٍ بقسيمة
 أو روضة أنفاً تضمّن نبتها
 جادت عليه كلُّ بكرٍ حرة
 سحاً وتسكاباً فكلُّ عشية
 وخلا الذباب بها فليس ببارح
 هزجاً يحك ذراعهُ بذراعهِ
 تسمى وتصبح فوق ظهر حشية
 وحشيتي سرجٌ على عبل الشوى
 هل تبلغني دارها شدينةً
 سوداً كخافية الغراب الأسعم (١)
 عذب مقبله لذيذ المطعم (٢)
 سبقت عوارضها إليك من الفم (٣)
 غيثٌ قليلُ الدمن ليس بمعلم (٤)
 فتركن كلَّ قرارة كالدرهم (٥)
 يجري عليها الماء لم يتصرّم (٦)
 غرداً كفعل الشارب المترنم (٧)
 قح المكب على الزناد الأجدم (٨)
 وأبيت فوق سراة أدم ملجم (٩)
 نهد مراكله نبيل المحزم (١٠)
 لعنت بمحروم الشرابٍ مُصرّم (١١)

- (١) الحلوبة : الناقة في ضرعها لبن ، الأسعم : شديد السواد .
 (٢) تستبيك : تذهب بعقلك ، غروب : حد ، وغروب الأسنان حدها .
 (٣) فارة : الفارة هنا وعاء .
 (٤) الروضة : الحديقة ، والأنف : التام في كل شيء ، والدمن : المطر الخفيف ، والمعلم : ذو العلامة .
 (٥) البكر : السحابة في أول الربيع وفي عاداتها أن لا تمطر .
 (٦) لم يتصرم : ينفذ ولم ينقطع [وخص مطر العشى لأنه أكثر ما يكون صيفا . (٧ ، ٨) خلا : انفرد ، ببارح : أى بتارك ، غردا : مترنما والتغريد الترنيمة ، الهزج : سريع الصوت ، يحك ذراعه بذراعه : أى يمر أحدهما على الأخرى ، قح المكب : الذى أكب على الزناد يقدحه على التوالى ، الأجدم : الزناد القصير . [وكلها نعوت لفناء الذباب وترنيمة فوق الغدير] (٩) الحشية : الفراش المحشو ، يعنى أن حبيسته تسمى وتصبح مستريحة ناعمة ، وأما هو فيبيت فوق ظهر جواده حارسا لها ومدافعا عن القبيلة . (١٠) حشيتى : فراشى ، سرج : السرج ما يوضع على الجواد ، عبل الشوى : غليظ القوائم يريد جواده .
 (١١) تبلغنى : توصلنى دارها منزلها ومقامها .

- خطارة غب السرى زيافة تطس الآكام بذات خف ميم (١)
 وكأنا أقص الآكام عشية بقريب بين المنسمين مُصلم (٢)
 تأوى له قلس النعام كما أوت حزق يمانية لأعجم طمطم (٣)
 يتبعن قلة رأسه وكأنه حرج على نعش لهن مخيم (٤)
 صعل يعود بذى العشيرة بيضه كالعبد ذى الفرو الطويل الأصلم (٥)
 شربت بماء الدحرضين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم (٦)
 وكأنا تنأى بجانب دفاها الوحشى من هزج العشى مؤوم (٧)
 هر جنيب كلما عطف له غضبى تلقاها باليدين وبالقم (٨)

(١) خطارة : تحرك ذنبها وترفعه وتضرب به حادياها ، غب السرى : اى بعد السرى ، زيافة : تسرع فى مشيها .
 (٢) أقص : أكثر ، والآكام : المرتفع من الأرض ، المنسمان : الظفران المقدمان فى الخف ، مصلم : مقطوع الأذنين .
 (٣) تأوى : ترجع وتسكن ، قلس : جمع قلوص وهى الناقة الشابة .
 حزق : جماعات . (٤) يتبعن : يحطن به ، قلة الرأس : اعلاه ، والحرج : سرير يحمل عليه المريض أو الميت .
 (٥) صعل : صغير الراس دقيق العنق ، يعود : يأتى الى بيضه ، ذو العشيرة : اسم مكان ، شبه ذكر النعام بالعبو الأسود عليه فروة طويلة .
 (٦) الدحرضان : اسم مورد من موارد الماء ، زوراء : عوجاء مائلة من النشاط ، والديلم : الأعداء ، والمعنى أنها تجافت عن الحياض لخوفها منها .

(٧) ينأى : يبعد ، والدفا : الجنب ، والوحشى : الجانب الأيمن من البهائم ، وسمى الجانب الأيمن وحشيا لأنه لا يركب منه الراكب ولا يحلب منه الحالب ، هزج العشى : صوت الهر الذى يخذشها لأن السنانير أكثر ما تصيح فى العشيات ، والمؤوم : عظيم الرأس .
 (٨) هر جنيب : مجنوب كلما مالت له غاضبة اتقاها وردها باليدين وبالقم ، والمعنى أنها كثيرة النشاط فى ساعة العشى وهى ساعة الفتور عند سواها من الإبل فكأنها من نشاطها يخذشها هو تحت ابطها .



أَبَقِيَ لَهَا طُولُ السَّفَارِ مُتَمَرِّدًا سِنْدًا وَمِثْلَ دَعَائِمِ التَّنَجِيمِ (١)

بَرَكْتَ عَلَى مَاءِ الرِّدَاعِ كَأَنَّمَا
وَكَنَّ رِبَا أَوْ كَحَيْلًا مَعْقِدًا
يَنْبَاعُ مِنْ ذَفْرَى غَضُوبِ جَسْرَةٍ
إِنْ تَغْدَقِي دُونَ الْقِنَاعِ فَإِنِّي
أَتْنِي عَلَى بَمَا عَلِمْتُ فَإِنِّي
فَإِذَا ظَلَمْتُ فَإِنْ ظَلَمْتُ بِأَسْلُ
وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمَدَامَةِ بَعْدَمَا
بِزَجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسْرَةٍ
فَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ
وَإِذَا صَحُوتُ فَمَا أَقْصِرُ عَنْ نَدَى
وَحَلِيلِ غَايَةِ تَرَكْتُ مَجْنَدِلًا

- (١) أبقي : ترك ، طول السفر : طول السفر وامتداده ، والمقرمذ : المبنى بالاجر ، أراد به سنامها وقد أراد أنه انكمش وتماسك وصلب كما يتماسك الاجر وهو الحجارة الخشنة اللمس .
- (٢) الردع : مورد لبني سعد ، الأجنس : الذى فى صوته خشونة ، المهضم : المخرم ، وقيل المكسر .
- (٣) الرب : ما بقى من عصارة الثمار ، الكحيل : القطران ، معقدا : أوقد تحته حتى انعقد .
- (٤) ينباع : ينفعل ، والذفران : العظمان الثنائان خلف الأذنين ، زيافة : متبختره فى سيرها ، والفنيق : الفحل من الابل ، والمكدم : المضعض ، والكدم : العض ، وفى رواية المقرم .
- (٥) تغدقي : ترخي القناع على وجهك . طب : أى خبير حاذق ، والمستلثم : الذى لبس اللامة وهى الدرع .
- (٦) الأسرة : الخطوط والطرائق التى فى وسطها ، قرنت : شددت بكأس أخرى ، أزهر : ابريق من فضة ، والمقدم : المصطفى .
- (٧) شربت : سكرت ، مستهلك : مستنفد .
- (٨) صحا : أفاق من سكره . (٩) الحليل : الزوج .

سبقت يدي له بعاجل ضربة
 هلا سألت الخيل يا ابنة مالك
 إذ لا أزالُ على رحالة سابح
 طوراً يُعرض للطعان وتارة
 يخبرك من شهد الوقائع أننى
 فأزى مغنم لو أشاء حويتها
 ومُدجج كره الكماة نزاله
 جادت يداى له بعاجل طعنة
 برحبية الفرعين يهدى جرسها
 فشككت بالرمح الأصم ثيابه
 فتركه جزر السباع ينشئه
 ومشكَّ سابعة هتكت فروجها
 ربذ يده بالقداح إذا شتا

ورشاش نافذة كلون العندم
 إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
 نهد تعاوره الكماة مُكلم (١)
 يأوى إلى حصد القسي عرمرم (٢)
 أغشى الوغى وأعف عند المغنم
 فيصدنى عنها الحيا وتكرى
 لا ممن هرباً ولا مستسلم (٣)
 بمثقف صدق الكعوب مقوم
 بالليل مغتس الذئاب الضرم (٤)
 ليس الكريم على القنا بمحرم (٥)
 ما بين قلة رأسه والمغصم
 بالسيف عن حامى الحقيقة معلم (٦)
 هناك غايات التجار ملوم (٧)

- (١) تعاوره : يطعنه ذا مرة وذاك اخرى . الكماة : الشجعان ،
 مكلم : مجروح . (٢) الحصد : الكثير المحكم ، والقسى : جمع قوس ،
 والعرمرم : الشديد ، وقيل الكثير .
 (٣) المدجج : الكامل السلاح ، كره الكماة : خافوا منه .
 (٤) الرحبة : الواسعة ، جرسها : الصوت ، والمغتس والمتقى :
 الطالب ، والضرم : الجياع .
 (٥) فشككت : شققت ، ثيابه : درعه وقيل قلبه .
 (٦) المشك : الدرع ، السابعة : السابلة أضافها لنفسه وهو جائز ،
 هتكت : فضحت وكشفت ، فروجها : جمع فرجة ، وهى الخروق النافذة ،
 الحقيقة : الراية، والمعلم : الذى قد علم نفسه بعلامة فى الحرب
 (٧) الزبد : السريع الضرب بالقداح الحاذق فى لعبها ، إذا شتا :
 لأن القحط أكثر ما يأتى العرب فى الشتاء .

- لما رآني قد نزلت أريده أبدي نواجذه لغير تبسم (١)
 فطعنته بالرمح ثم علوته بمهند صافي الحديدية مخذم (٢)
 عهدى به مدّ النهار كأنما خضب البنان ورأسه بالعظم (٣)
 يبطل كأن ثيابه في سرحةٍ يحذى نعال السبب ليس بتروأم (٤)
 ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وببيض الهند تقطر من دى لمعت كبارق ثغرك المتبسم
 فوددت تقبيل السيوف لأنها حرمت على وليتها لم تحرم (٥)
 فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي فتجسسى أخبارها لي واعلمي
 قالت : رأيت من الأعادي غرة والشاة ممكنة لمن هو مُرتم
 وكأنما التفتت بجيد جداية رشأ من الغزلان حرّ أرثم (٦)
 نبئت عمراً غير شاكر نعمتي والكفر مخبئة لنفس المنعم
 ولقد حفظت وصاة عمي بالضحي إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم
 في حومة الحرب التي لا تشتكي غمراتها الأبطال ، غير تغمغم
 إذ يتقون بي الأسنة لم أخيم عنها ولكني تضايق مقدمي (٧)

(١) أبدي نواجذه الخ : كلح في وجهي فبدت أضراسه .

(٢) المخذم : من الخدم وهو القطع .

(٣) خضب : طلى ، والعظم : شجر أحمر .

(٤) يبطل : لأنه يبطل العظام بسيفه ، وقيل : هو الذي تبطل عنده

دماء الاقران فلا يأخذ الناس منه أو ممن فعل في حمارة ثأراً ،
 والسرحة : شجرة لا ثمرة لها وإنما يستظل بها ، وتعرف عند العرب
 بطول ساقها . (٥) الشاة هنا المرأة ، وهو يعنى جارته لأن من كانت

له جارة فهي في حماه ، وكانت محرمة كالأم والأخت .

(٦) الجيد : العنق ، والجداية بكسر الجيم وفتحها : الظبية اتى

عليها خمسة أشهر أو ستة ، والرشأ : الغزال الصغير .

(٧) يتقون بي : يجعلونني وقاية بينهم وبينها بأن يقدموني للموت

لم أخم : لم أنكص ، تضايق : ضاق .

لما سمعتُ نداءً مرةً قد علا
 ومحلّم يسعون تحت لوائهم
 أيقنتُ أن سيكون عند لقائهم
 لما رأيتُ القوم أقبِلَ جَمْعهم
 يدعون عنترَ والرِّمَّاح كأنها
 مازلت أرميهم بغيره وجهه
 فازوراً من وقع القنا بلبانه
 لو كان يدري ما المحاوره اشتكى
 والخيل تقتحم الغبار عوابساً
 ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها
 ذُلُّ ركابي حيث شئتُ مُشايعى
 ولقد خشيتُ بأن أموت ولم تكن
 الشاتى عِرضى ولم أشتمهما

وابنى ربيعة فى الغبار الأقم (١)
 والموتُ تحت لواء آل محلم (٢)
 ضرب يطيرُ عن الفراخ الجثم
 يتذاكرون كررتُ غير مُدَم
 أشطان بئر فى لبان الأدهم (٣)
 ولبانه حتى تسربل بالدم
 وشكا إلى بعبرة وتحمحم (٤)
 ولكان لو علم الكلام مُكلمى
 من بين شيطمة وأجرد شيطم (٥)
 قيل الفوارس «ويك» عنتر أقدم (٦)
 قلبى ، وأحفزه بأمرٍ مُبرم (٧)
 للحرب دائرة على ابنى ضمضم (٨)
 والناذرين إذا لم القهما دى

- (١) النداء : الصياح ، الأقم : الأسود الحالك .
- (٢) هو ابن عوف الشيبانى الذى يضرب به المثل فى الوفاء والعزة يقال « لا حر بوادى عوف » .
- (٣) الأشطان : جمع شطن وهو جيل البئر ، شبه الرمح به لظوله ، واللبان بالفتح : الصدر . (٤) أزور : مال ، وشكا : لو كان يستطيع الشكوى ، والعبرة بفتح العين : البكاء والاشفاق .
- (٥) تقتحم : تخوض ، والعوابس : الكوالح ، والشيطم والأجرد : القصير الشعر . (٦) ويك : كلمة يقولها المتندم اذا ندم على ما فرط منه ، ولكثرة استعمالها ألحقت بها الكاف ، وقيل « وى » بمعنى أعجب أى عجباً لك يا عنتره .
- (٧) ذلل : جمع ذلول ، الذلول من الابل وغيرها سهلة القيادة ، وركابى : ما أركبه ، وأحفزه : أذفعه ، والمبرم : المحكم .
- (٨) والدائرة : ما ينزل بالناس من بلوى ، وابنا ضمضم : هما هرم وحصين ابنا ضمضم ، المريان : قتلها ورد بن حابس العنسي ، وكان عنتره قتل اباهما ضمضاً فكانا يتوعداه .

إِنْ يَفْعَلَا فَلَقَدْ تَرَكْتَ أَبَاهُمَا جَزْرَ السَّبَاعِ وَكُلَّ نَسْرِ قَشْعَمِ (١)

(٥) عمرو بن كلثوم التغلبي

هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي ، وأمه ليلى بنت مهلهل أخي كليب . نشأ عمرو في قبيلة تغلب بالجزيرة الفراتية ، وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقاد الجيوش مظفراً ، وأكثر ما كانت فتن تغلب مع أختها بكر بن وائل بسبب حرب البسوس ، وكان آخر صلح لهم فيها على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة من آل المنذر . ولم تمض مدة حتى حدث بين وجوه القبيلتين مشاحة في مجلس عمرو بن هند ، قام أثناءها شاعر بكر (الحارث بن حلزة اليشكري) وأنشد قصيدته المشهورة ، وما فرغ منها حتى ظهر لعمرو بن كلثوم أن هوى الملك مع بكر ، فانصرف ابن كلثوم وفي نفسه ما فيها ؛ ثم خطر في نفس ابن هند أن يكسر من أنفة تغلب بإذلال سيدها وهو عمرو بن كلثوم فدعاه وأمه ليلى بنت مهلهل وأغرى هنداً أمه أن تستخدمها في قضاء أمر ، فصاحت ليلى واذلاه ، فثار به الغضب وقتل ابن هند في مجلسه ، ثم رحل تَوّاً إلى بلاده بالجزيرة ، وأنشد معلقته الآتية ، وعاش مائة وخمسين سنة ، ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن . شعره - لم يشتهر عمرو إلا بمعلقته الواحدة التي قامت له مقام الشعر الوفير لحسن لفظها ، وانسجام عبارتها وعلو فخرها ، ولعل شهرته بالخطابة لاتقل عن شهرته بالشعر الجيد ، ومن سأمي الفخر البليغ :

معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا وَلَا تَبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا (٢)

(١) يقول مهما يندرانى ومهما يشتمانى فلن يلبغا منى مناها فلقد قدمت أباهما طعمة للسباع والنسور ، والقشعم : الكبير من النسور .
(٢) هبى : استيقظى ، الصحن : القلح العريض ، فاصبحينا : أى اسقينا الصبوح ، وهو شرب الخمر فى الغداة ، والأندرينا جمع الأندر : وهى قرية بالشام جمعها بما حوالها .

- مشعشة كأن الحصن فيها
تجور بنى اللبانة عن هواه
ترى اللحز الشحيح إذا أمرت
صددت الكأس عنا أم عمرو
وما شرُّ الثلاثة أم عمرو
وكأسٌ قد شربت ببعلبك
إذا صمدت حمياها أريباً
فما برحت مجالَ الشرب حتى
وإننا سوف تدركننا المنايا
وإن غداً وإن اليوم رهن
قنى قبل التفريق ياظعينا
بيوم كريمة ضرباً وطعناً
قنى نسألك هل أحدثتِ صرماً
أفى ليل يُعاتبني أبوها
تريك إذا دخلت على خلاء
ذراعى عيطل أدماء بكرٍ
- إذا ما الماء خالطها سخين (١)
إذا ما ذاقها حتى يلينا (٢)
عليه لئله فيها مهينا (٣)
وكان الكأس مجراها اليمينا (٤)
بصاحبك الذى لا تصبحينا (٥)
وأخرى فى دمشق وقاصرينا
من الفتيان خلت به جنونا (٦)
تغالوها وقالوا : قد روينا (٧)
مقدرة لنا ومقدرينا
وبعد غد بما لا تعلمينا
نخبرك اليقين وتخبرينا
أقرّ به مواليك العيونا (٨)
لوشك البين أم خنت الأميّنا (٩)
وإخوتها وهم لى ظالمونا ؟
وقد أمنت عيون الكاشحين
تربعت الأجارع والمتونا (١٠)

- (١) مشعشة : ممزوجة ، سميت بذلك لأنه يظهر لها شعاع كالشمس ، والحصن : الروس : سخينا : أى جدنا وتكرمنا من السخاء .
(٢) تجور بمعنى تعدل وتميل ، واللبانة : الحاجة .
(٣) اللحز الضيق ، الشحيح : البخيل .
(٤) صددت : أى صرفت (٥) أى لست أنا شر الثلاثة فتعدل عنى الكأس .
(٦) حمياها : سورتها ، أريباً : عاقلاً .
(٧) الشرب : جمع شارب ، المجال : موضع المحاولة .
(٨) الكريمة : موضع الحرب ، أقر : أى أمكن ، مواليك : هنا بنو عمك .
(٩) الصرم : القطيعة ، والوشك : السرعة ، والبين : هنا الفراق ، والأمين : الوفى بالعهد (١٠) العيطل : الناقة طويلة العنق ، والأدماء : من الابل ، والظباء : البيضاء بكر : لم تلد ، تربعت : رعت الربع ، الأجارع : جمع أجرع ، وهو الرمل .

- وثدياً مثل حق العاج رخصاً
 ونحراً مثل ضوء البدر وافي
 ومتنى لدنة طالت ونالت
 ومأكمة يضيق الباب عنها
 وسالفتي رخام أو بلنط.
 تذكرت الصبا واشتقت لما
 وأعرضت اليمامة واشمخرت
 فما وجدت كوجدى أم ثقب
 ولا شمطاء لم يترك شقاها
 أباً هند فلا تعجل علينا
 بأننا نورد الرايات بيضاً
 فإن الضغن بعد الضغن يفشو
 وأيام لنا غر طوال
 وسيد معشر قد توجه
 تركنا الخيل عاكفة عليه
 وقد هرت كلاب الحى منا
- (١) حصاناً من أكف اللامسينا
 باتمام أناساً مدلجيناً (٢)
 روادفها تنوء بما يلينا (٣)
 وكشحاً قد جنت به جنونا (٤)
 يرن خشاش حليهما ريننا (٥)
 رأيت حمولها أصلاً حديننا (٦)
 كأسياف بأيدي مصلتيننا (٧)
 أضلته فرجعت الحيننا
 لها من تسعة إلا جنينا (٨)
 وانظرنا نخبرك اليقيننا (٩)
 ونصدرهن حمراً قد روينا
 عليك ويخرج الداء الدفيننا (١٠)
 عصينا الملك فيها أن ندينا
 بتاج الملك يحمى المحجريننا
 مقلدة أعتها صفوننا (١١)
 وشذبنا قتادة من يلينا (١٢)

- (١) العاج : عظم الفيل ، والرخص : اللين ، الحصان : العفيفة ،
 واللامس : المباشر . (٢) النحر : أعلى الصدر .
 (٣) لدنة : أى لينة ، تنوء : بمعنى تثقل . (٤) المأكمة : رأس الورك .
 (٥) السالفتان : صفتنا العنق ، والرغام والبلنط : حجارة بيض ،
 الخشاش : صوت الحلى . (٦) أصلاً : أصيلاً ، وهو العشى .
 (٧) أعرضت : قابلت ، اشمخرت : ارتفعت ، مصلت : مجرد .
 (٨) شقاها : يعنى شؤمها . (٩) يعنى عمرو بن هند
 (١٠) الضغن : الحقد ، ويفشو : يكثر ، الداء الدفين : الكامن .
 (١١) صفوننا : جمع صافن ، وهى من الخيل .
 (١٢) هرت : نبحت ، وشذبنا : أى قطعنا ، القتادة : واحدة القناد
 وهو الشوك .

وَأَنْزَلْنَا الْبُيُوتَ بِذَى طَلُوحٍ إِلَى الشَّامَاتِ نَنْفَى الْمُوَعِدِينَا (١)
 نَعْمُ أَنْاسِنَا وَنَعَفَ عَنْهُمْ وَنَحْمَلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا
 وَرَثْنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمْتَ مَعُدُّ نَطَاعِينَ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا (٢)
 وَنَحْنُ إِذَا عَمَادُ الْحَرْبِ خَرَّتْ عَلَى الْأَخْفَاضِ نَمْنَعُ مِنْ يَلِينَا (٣)
 نَطَاعِينَ مَا تَرَاحَى النَّاسُ عَنَا وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غَشِينَا (٤)
 بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا الْخَطَى لَدُنْ ذَوَابِلٍ أَوْ بَبِيضٍ يَعْتَلِينَا (٥)
 نَشُقُّ بِهَا رُءُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا وَنَخْلِيهَا الرِّقَابَ فَتَخْتَلِينَا (٦)
 تَخَالُ جَمَاجِمُ الْأَبْطَالِ مِنْهُمْ وَسَوْقًا بِالْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا (٧)
 نَجْدُ رُءُوسَهُمْ فِي غَيْرِ وَتَرٍ وَلَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا (٨)
 كَأَنَّ ثِيَابَنَا مَنَّا وَمِنْهُمْ خُضْبِنَ بَأَرْجُونَ أَوْ طَلِينَا (٩)
 كَأَنَّ سِيوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ مَخَارِيقُ بَأَيْدِي لَاعِبِينَا (١٠)
 إِذَا مَا عَى بِالْإِسْنَفِ حَتَّى مِنْ الْهَوْلِ الْمَشْبَهِ أَنْ يَكُونَا (١١)
 نَصِينَا مِثْلَ رَهْوَةِ ذَاتِ حَدٍ مَحَافِظَةَ وَكُنَا السَّابِقِينَا (١٢)
 بِفَتِيَانٍ يَرُونَ الْقَتْلَ مَجْدًا وَشَيْبَ فِي الْحُرُوبِ مَجْرَبِينَا
 يَدْهَدُونَ الرُّءُوسَ كَمَا تَدْهَدَى حَزَاوِرَةٌ بِأَبْطَحِهَا الْكُوِينَا

- (١) يقول وأنزلنا بيوتنا بمكان يعرف بذي طلوح الى الشامات نبفى من هذه الأماكن أعداءنا الذين كانوا يوعدوننا . (٢) يبين : يظهر . (٣) الأخفاض : عمد الأخبية . (٤) تراخى : تباعد . (٥) السمر : الرماح . والخطى : منسوب الى الخط قرية على ساحل البحر ، لدن : لينة . (٦) نخليها : أى نقطع بها ، فختلينا : أى تقطع والضمير راجع الى السيوف أيضا . (٧) تخال : تظن ، وسوق . جمع وسق ، وهو المكيال . بالأمايز : جمع أمعز وهو المكان الفليظ . (٨) نجد : نقطع . الوتر الدخل وفي رواية « وبر » (٩) الأرجوان : صبغ أحمر . (١٠) مخاريق : ثياب صفار يلعب بها الصبيان . (١١) الإسناف : التقدم . (١٢) الرهوة : رأس الجبل ، وذات حد أى كثيرة السلاح .

- حديثاً الناس كلهمُ جميعاً مقارعة بنيهمُ عن بنينا (١)
 فأما يومَ خشيتنا عليهم فتصبح خيلنا عصبا ثبينا (٢)
 وأما يومَ لا نخشى عليهمُ فنمُعن غارة مُتليينا (٣)
 برأس من بني جشم بن بكر ندقُّ به السهواة والحزونا (٤)
 بأى مشيئة عمرو بن هند؟ نكون لقيلكم فيها قطينا (٥)
 بأى مشيئة عمرو بن هند؟ ترى أنا نكون الأردلينا
 بأى مشيئة عمرو بن هند؟ تطيع بنا الوشاة وتزدرينا (٦)
 تهدنا وتوعدنا ! رويداً متى كنا لأمك مقتورينا؟ (٧)
 وإن فناننا ياعمرؤ أعيت على الأعداء قبلك أن تلينا (٨)
 إذا عض الثقافُ بها اشمأزت وولته عشوزنة زبونا (٩)
 عشوزنة إذا غمزت أرنت تشج قفا المثقف والجينا (١٠)
 فهل حدثت عن جشم بن بكر؟ بنقص في الخطوب الأولينا (١١)
 ورثنا مجد علقمة بن سيف أباح لنا حصون المجد دينا (١٢)
 ورثت مهلهلاً والخير منه زهيراً نعم ذخر الذاخرينا (١٣)

(١) الحديا : التحدى فى القتال ، وهو طلب المبارزة . مقارعة : من القراع فى القتال وهو اصطدام الفارسين . (٢) ثبين : جمع ثبة ، وهى الجماعة .

(٣) نعمن : نسرع . المتليب : المتحزم . (٤) الرأس السيد ، وهو هنا الجماعة . (٥) القيل : السيد . والقطين : الخدم . (٦) الازدراء : الاحتقار . (٧) المقتوى : الذى يخدم بقوة .

(٨ ، ٩) القنائة هنا : العزة . والثقاف : خشبة تقوم بها الرماح ، وشمأزت ارتفعت والعشوزنة : الشديدة الصلبة الزبونة : الدفع .

(١٠) غمزت : أى لبت ، أرنت أى صوتت - تشج : أى تجرح ، والمثقف : المصلح للرمح والقوم . (١١) جشم بن بكر : جد ، الخطوب

الأمور العظيمة . (١٢) دينا : أى طاعة لها ، وهو علقمة بن سيف ابن شرحبيل بن مالك بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن غنم بن جشم

ابن تغلب بن وائل . (١٣) مهلهل : يعنى عديا أخا كليب ، وسمى مهلهل لأنه أول من رقق الشعر .

وَعَتَابًا وَكَلْثُومًا جَمِيعًا بهم نلنا تراث الأكرمين^(١)
 وذا البرة الذي حُدِّثُ عنه به نُحَمَى وَنَحْمَى المَجْرِينِ^(٢)
 ومنا قبلة الساعى كليب فأىُّ المجدِ إلا قد ولينا؟^(٣)
 متى تعقد قرينتنا بحبل تحدُّ الحبلَ أو تعصِّ القرينا^(٤)
 ونوجد نحن أمنعهم ذمارًا وأوفاهم إذا عقدوا يمينا^(٥)
 ونحن غداة أُوقدَ في خزازى رقدنا فوق رقد الرافدين^(٦)
 ونحن الحابسون لذي أراط تسف الجلة الخور الدرينا^(٧)
 فكنا الأيمنين إذ التقينا وكان الأيسرين بنو أبينا^(٨)
 فصالوا صولة فيمن يليهم وَصُلْنَا صولة فيمن يلينا^(٩)
 فأبوا بالنهاب وبالسيايا وأبنا بالملوك مصفدينا
 إليكم يا بنى بكر إليكم أَلَمَّا تعلموا منا اليقينا
 أَلَمَّا تعلموا منا ومنكم كَتَّابٌ يَطْعَنُ ويرتمينا
 نقود الخيل دامية كلاها إلى الأعداء لاحقة بطونا
 علينا البيض واليلب اليانى وأسيافٌ يقمن وينحنينا^(١٠)
 علينا كلُّ سابعة دِلاص ترى تحت النجاد لها غصون^(١١)

(١) كلثوم: أبوه، وعتاب: جده. (٢) ذا البرة: كعب بن زهير ابن تيم، وسمى بهذا لشعرات كانت تحت أنفه مدورة كالبرة فى أنف البعير. (٣) قبلة الساعى: ضربه مثلا كالكعبة فى كثرة من يختلف إليه. (٤) القرينة: أصلها أن يقرن جمل صعب الى جمل ذلول. وتعص: تكسر، وهذا مثل ضربه. (٥) الذمار ما يحق على الانسان أن يحمله. (٦) خزازى: موضع واقعة كانت بين ربيعة واليمن وكانت قضاة اذ ذلك وربيعة أحلافا. (٧) أراط: موضع واقعة كانت لهم، وتسف: تأكل. (٨) بنو أبينا: يعنى مضر بن نزار وربيعة بن نزار. (٩) الصولة: الحملة. (١٠) اليلب: جلود تنسج على هيئة الدروع وتلبس. (١١) السابفة: الدرع الطويلة، دلاص: براءة، والنجاد: النطاق، والغصون: التثنى.

إذا وُضعت عن الأبطال يوماً رأيت لها جلود القوم جونا (١)

كأن متونهن متون غدري
وتحملنا غداة الروع جرد
وردن دوارعا وخرجن شعثا
ورثناهن عن آباء صدق
وقد علم القبائل غير فخر
بأنا العاصمون إذا أطعنا
وأنا المنعمون إذا قدرنا
وأنا الحاكمون بما أردنا
وأنا التاركون لما سخطنا
وأنا الطالبون إذا نقمنا
وأنا النازلون بكل ثغر
ونشرب - إن وردنا - الماء صفوا
ألا سائل بني الطماح عنا
نزلتم منزل الأضياف منا
قريناكم فجعلنا قراكم
متى ننقل إلى قوم رحاها

تصنفقها الرياح إذا جرينا (٢)
عرفن لنا نقائد وافتلينا (٣)
كأمثال الرصائع قد بلينا
ونورثها إذا متنا بنينا
إذا قبب بأبطحها بُنينا
وأنا الغارمون إذا عُصينا
وأنا المهلكون إذا أُتينا
وأنا النازلون بحيث شينا
وأنا الآخذون لما هوينا
وأنا الضاريون إذا ابتلينا
يخاف النازلون به المنونا (٤)
ويشرب غيرنا كدرا وطينا
ودُعِمياً فكيف وجدتمونا (٥)
فأعجلنا القرى أن تشتمونا (٦)
قبيل الصبح مرادة طحونا (٧)
يكونوا في اللقاء لها طحيننا (٨)

(١) جونا : سودا . (٢) المتون : الأعلى ، شبه أعلى الدروع في بياضها ولعانها بالقدرة وهي الحياض إذا حركتها الرياح .
(٣) الروع : الحرب ، والجرد : قصيرة الشعر . (٤) الثغر : المكان المخوف . (٥) بنو الطماح ودعيمي : حيان من بني أسد بن ربيعة ابن نزار . (٦) نزلتم حيث نزل الأضياف : أي جئتم للقتال فعاجلناكم بالحرب ولم تنتظر أن تشتمونا . (٧) قريناكم : جعلنا قراكم الحرب لما نزلتم بنا ولقيناكم فطحناكم طحن الرحي والمرادة : الحجر وكل ما يكسر به الشيء فهو مرادة . (٨) أصل الرحي ما استدار من الشيء والرحي هنا الحرب ، تشبيها بالرحي .

يكون ثقالها شرقى نجد ولهوتها قضاة أجمعيناً (١)
 على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تفارق أو تهونا (٢)
 طعائن من بنى جُشم بن بكر خلطنَ لميسم حسباً وديننا (٣)
 أخذن على فوارسهن عهدا إذا لاقوا فوارس معلمينا (٤)
 ليستلبن أبداناً وبيضاً وأسرى فى الحديد مُقرنيننا (٥)
 إذا ما رخن يمشين الهوينا كما اضطربت مُتون الشاريينا
 يقتن جياندا ويقلن لسم بُعولتنا إذا لم تمنعونا (٦)
 إذا لمْ نعمهن فلا بقينا لشيء بعدهن ولا حيننا (٧)
 وما منع الطعائن مثل ضرب ترى منه السواعد كالقلينا (٨)
 إذا ما الملك سام الناس خسفاً أبينا أن يُقر الخسف فينا (٩)
 ألا لا يجهان أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
 ونعدوا حيث لا يُعدى علينا ونضرب بالمواسى من يلينا
 ألا لا يحسب الأعداء أننا تَضعضعنا وأنا قد فنينا
 ترانا بارزين وكل حى قد اتخذوا مخالفتنا قرينا
 كأننا والسُيوفُ مسلات ولدنا الناس طرا أجمعينا
 ملأنا البر حتى ضاق عنا كذاك البحرُ نملؤه سفينا
 إذا بلغ الرضيع لنا فطاماً تخر له الجبابر ساجدين

(١) الثقال : جلدة توضع تحت الرحي للطحين . ولهوتها : أى مقدار ما يطرح فى فم الرحي من الحب . (٢) أى نساءنا اللواتى خلفنا نقاتل عنهن ونحذر أن نفارقهن أو يصرن الى غيرنا . (٣) الميسم : الحسن أى لهن مع جمالهن حسب ودين . (٤) المعلم : الذى يعلم نفسه فى الحرب بعلامة . (٥) الأبدان جمع بدن وهى الدروع . (٦) يقتن : من القوت ، وهو الطعام . جياندا : جمع جواد . (٧) نعميهن : ندافع عنهن . ما بقينا : ما حيننا . (٨) القلون : جمع قلة ، وهى الخشبة التى يلعب بها الصبيان يضربونها بالمقلاء . (٩) يقول اننا اعزاء لا تصل الملوك الى ظلمنا .

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبِطش حينَ نَبِطشِ قَادِرِينَا
تنادى المصعبانِ وآلُ بكر وَنَادَاوَا يَا لِكُنْدَةَ أَجْمَعِينَا
فإن نَغلب فغَلَابُونَ قَدَمًا وَإِن نَغلب فغَيْرُ مُغْلَبِينَا

(٦) طرفة بن العبد البكري

هو عمرو بن العبد البكري : أقصر فحول شعراء الجاهلية عمراً ، ومال إلى الشعر والوقوع به في أغراض الناس ، حتى هجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة مع أنه كان يتطلب معرفه وجوده ، فبلغ عمرو بن هند هجاء طرفة له فاضطغنها عليه ، حتى إذا ما جاءه هو وخاله التلمس يتعرضان لفضله أظهر لهما البشاشة وأمر لكل منهما بجائزة ، وكتب لهما كتابين ، وأحالهما على عامله بالبحرين ليستوفيا منه ، وبينما هما في الطريق ارتاب التلمس في صحيفته ، فخرج على غلام يقرؤها له ، ومضى طرفة ، فإذا في الصحيفة الأمر بتمتله ، فألقى الصحيفة ، وأراد أن يلحق طرفة فلم يدركه وفر إلى ملوك غسان ، وذهب طرفة إلى عامل البحرين وقتل هناك ، وعمره ست وعشرون سنة .

شعره - يجيد طرفة الوصف للناقة في شعر مقتصرأ فيه على بيان الحقيقة مع قصد في الغلو ، ومعاظلة في بعض التراكيب ، واسترسال في وحشى اللفظ. ونحو المعنى وكذلك كان هجاؤه الملوك على شدة وقعه ، ومن أبلغ المقطعات والمعلقات أيضاً :

معلقة طرفة بن العبد البكري

لخولة أطلالٌ ببرقة شهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد (١)
وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد (٢)
كأن حدوج المالكية غدوة خلا ياسفين بالنواصف من دد (٣)

(١) خولة . امرأة من بنى كلب . وشهد : اكمة في بلاد خثعم .
تلوح : تظهر . (٢) وقوعا : واقفين ، أسى : حزنا ، تجلد : تجمل .
(٣) المالكية نسبة الى مالك بن صبيعة ابن عم عمرو ،

- عدوليةٌ أو من سفين ابن يامن
يشقُّ حباب الماء حيزومها بها
وفى الحى أحوى ينفض المردشادنُ
خذول تراعى ربرباً بخميلة
وتبسم عن ألمى كأن منورا
سقته إياة الشمس إلا لثاته
ووجه كأن الشمس ألقنت رداءها
وإنى لأمضى الهم عند احتضاره
أمون كالأواح الإران نساها
- (١) يجور بها الملاحُ طورا ويهتدى
(٢) كما قسم الترب المفايل باليد
(٣) مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد
(٤) تناول أطراف البرير وترتدى
(٥) تخلل حرَّ الرمل دعص له ند
(٦) أسفٌ ولم تكدم عليه بائمداً
(٧) عليه نقى اللون لم يتخذد
(٨) بهوجاء مرقال تروح وتغتدى
(٩) على لاحب وكأنه ظهر بوجد

= والحدوج : الهودج والقباب ، والخلايا : جمع خلية : السفينة الكبيرة : والتواصف : مجارى الماء الى البحر .

(١) عدولية : قديمة ، وهى الكبيرة من السفن وهى تنسب الى موضع يقال له عدول ، ابن يامن : ملاح أو تاجر من اهل البحرين . (٢) حباب الماء طرائفه وما ارتع منه والحيزوم الصدر . والمفايل الذى يجمع ترابا ويخبىء فيه شيئاً مثل الحلقة ويقسم التراب نصفين ويطلبه فى أحدهما فان أصاب ظفر وان أخطأ قهر . (٣) أحوى : فى لونه سواد فى والمراد شجر الأراك والشادن ولد الظبية اذا قوى . (٤) الخذول : الملتحفة من الظباء ، والربرب : القطيع من الظباء ، الخميلة : الشجر الملتف . البرير : المدرك من ثمر الأراك . (٥) تبسم : يفتر ثفرها وألمى سواد فى الشفة : والمنور : الأحقوان . تخلل : دخل فيه . حر الرمل : النقى منه (٦) الإياء : ضوء الشمس . اللثة مغرز الأسنان . يقول : أسنانها بيض ، ولثاتها زرق . أسف : أى ذر عليه بائمد هو الكحل . (٧) ألقنت وفى رواية حلت : رداءها . أى بهاءها لم يتخذد : أى يضطرب حتى تصير فيه شقوق .

(٨) الهوجاء : الخفيفة الفؤاد . مر قال : وصف للناقة بشدة السير .

(٩) الأمون : التى أمنت من ان تكون ضعيفة . والاران : التابوت

الذى يحمل فيه الموتى ، نساها : أى زجرتها . واللاحب : الطريق ، والبرجد : كساء من أكسية العرب .

سَفْنَجَةٌ تَبْرَى لِأَزْعَرٍ أَرْبِدِ	جُمَانِيَةٌ وَجَنَاءٌ تَرْدِي كَأَنَّهَا
وِظِيْفًا وَوِظِيْفًا فَوْقَ مَوْرٍ مَعْبِدِ (١)	تَبَارَى عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتَبَعَتْ
حَدَائِقِ مَوْلَى الْأُسْرَةِ أَغْيِدِ (٢)	تَرَبَّعَتْ الْقَفِيْنَ فِي الشَّوْلِ تَرْتَعِي
بِنْدَى خِصْلِ رَوْعَاتٍ أَكْلَفِ مَلْبِدِ (٣)	تَرِيْعٌ إِلَى صَوْتِ الْمَهِيْبِ وَتَتَقِي
حَفَافِيْهِ شَكًّا فِي الْعَسِيْفِ بِمَسْرَدِ (٤)	كَأَنَّ جَنَاحِيْ مُضْرَجِيٌّ تَكْنِفَا
عَلَى حَشْفِ كَالشَّنِّ ذَاوٍ مَجْدِدِ (٥)	فَطَوْرًا بِهِ خَلْفَ الزَّمِيْلِ وَتَارَةً
كَأَنَّهَا بَابَا مَنِيْفٍ مَمْرَدِ (٦)	لَهَا فَيَخْذَانِ أَكْمَلَ النَّحْضِ فِيْهِمَا
وَأَجْرَنَةٌ لَزَتْ بَدَأَى مَنْضِدِ (٧)	وَطَىُّ مَحَالٍ كَالْحِنَى خُلُوفَةٌ
وَأَطْرَقَسَى تَحْتَ صَلْبِ مَوْبِدِ (٨)	كَأَنَّ كِنَاسِيْ ضَالَّةً يَكْنِفَانَهَا

(١) تبارى : تشابه ، والعتاق : الابل الكرام . والناجيات : السرعات فى السير والوظيف : ساق البعير ، والمور : الطريق . (٢) تربعت : رعت أيام الربيع ، والقفان . موضعان موصوفان بالرعى لوجودتهما ، والشول . بفتح الشين من الابل التى جف لبنها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر . (٣) تريع : تصفى ، والروعة الفرع . والأكلف : الذى فى وجهه لون يخالف لونه وهو صفة من صفات الفحل . (٤) المضرجى : النسر ، تكنفا : أحاطا ، حفافيه : جوانبه . (٥) الطور : المرة الأولى والتارة : المرة الثانية ، والزميل : الرديف ، والحشف : الضرع الذى لا لبن فيه وهو المنقبض ، والشن : القربة الخلقة ، والداوى : هو اليابس ، والمجدد الضرع الذى لا لبن فيه ولا لبن .

(٦) النحض : اللحم ، والمنيف : المشرف ، والمرد : الملس .
(٧) المحال : فقار الظهر ، والحنى ، القسى خلوفه : مؤخر أضلاعه : وأجرنة : باطن عنق البعير ، لزت : قرب بعضها الى بعض فانضمت واشتدت ، بدأى : أعالى الاضلاع ، منضد أى بعضه فوق بعض .
(٨) الكناس : بيت الطباء والضأن ، شبه تباعد ما بين مرفقها وزورها بكناس الطبى حول الشجر : وأطرقسى أى عطنها وانحناؤها . والصلب : الظهير والمؤيد : الموثق ، والأيد القوة .

- لها مرفقان أفتلان كأنها تمر بسلمى دالج متشدد (١)
كقنطرة الرومى أقسم ربا لتكتنفن حتى تشاد بقمرمد (٢)
صهايبة العثنون موجدة القرا بعيد وخذ الرجل مواراة اليد (٣)
جنوحٌ دفاق عندل ثم أفرعتُ لها كتفاها فى معالى مصعد (٤)
أمرت يداها فتل شزر وأجنحت كأن علوب النسع فى دأياتها (٥)
تلاقى وأحياناً تبين كأنها بنائق غر فى قميص مقدد (٧)
وأتلع نهاضٌ إذا صعدت به كسكان بوصى بدجلة مُصعد (٨)
وجمجمة مثل العلاة كأنما وعى الملتقى منها إلى حرف مبرد (٩)

- (١) المرفق : مفصل العضد ، أفتلان : مفتولان ، تمر وفى رواية أمرا : فتلا ، السلم : الدلو له عروة . الدالج : من يمشى بالدلو من البئر الى الحوض ، متشدد : متكلف للشدة ، ومعنى ذلك أن الذى يسقى الابل يجعل الحوض بعيدا عن البئر ، فاذا أخرج الدلو من البئر مشى به الى الحوض .
(٢) القنطرة : الجسر ، الرومى : أحد البنائين من الروم تكتنفن أى يحاط حولها بالبناء ، وتشاد : ترفع . (٣) صهايبة : بياض شيب .
(٤) جنوح : مائلة فى سيرها عن النشاط ، دفاق متدفقة فى السير ، عندل : عظيمة الرأس ، وأفرعت : رفعت ، فى معالى : مرتفع .
(٥) أمرت فتلت فتلا محكما ، والشزر : القتل الى اليسار ، وأجنحت : أميلت ، والسقيف : هنا صدرها . ومسند فى رواية منضد بعضه على بعض .
(٦) العلوب : الآثار ، والنسع : حزام الرجل . والدأيات : مآخير الأضلاع ، موارد : طرق الماء ، والخلفاء : الصخر المساء ، والقردد . الأرض الصلبة .
(٧) تلاقى : يتصل بعضها ببعض وتتلاقى الطرق من أعلاها وتنترق من أسفلها .
(٨) الأتلع : الطويل يعنى عنقها ، نهاض : كثير الارتفاع . صعدت : ارتفعت ، السكان . الدقل ، وهو مؤخر السفينة ، والبوصى . ضرب من السفن ، بدجلة . نهر مصعد قاصد الى العراق .
(٩) الجمجمة . غطاء الرأس ، وهو يعنى رأس الناقة ، والعلاة . السندان يضرب عليه الحداد ، وعى الملتقى يعنى جمع ملتقى الرأس شبهه بحرف المبرد لصلابته .

- وَحُدَّ كَقَرطاسِ الشَّامِي ومِشْفَر
 وعينان كما ماويتين استكنتا
 طحوران عوار القذى فتراهما
 وصادقتا سمع التوجس للسرى
 مؤلتان تعرف العتق فيهما
 وأروع نباض أخذ مللم
 وإن شئت سامى واسط الكور رأسها
 وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت
 وأعلم مخروط من الأنف مارن
- (١) كسبت الياني قدّه لم يجرد (١)
 بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد (٢)
 كمكحولتي مذعورة أم فرقد (٣)
 لهمس خفي أو لصوت مند (٤)
 كسامعتي شاة بحومل مفرد (٥)
 كمرداة صخر في صفيح مصمد (٦)
 وعامت بضبعيها نجاء الحفيد (٧)
 مخافة ملوى من القد محصد (٨)
 عتيق متى ترجم به الأرض تزدد (٩)

(١) المشفر من البعير كالشفة من الانسان ، والسبت : جلود البقر اذا دبغت بالقرظ .

(٢) الماويتان : المرأتان المصقولتان . أسكنتا : دخلتا .

(٣) طحوران : دفوعان ، العور الخيث الذي يقع في العين وكذلك القذى ، كمكحولتي : أى عيني . مذعورة خائفة طردها القناص وأفزعها ، والفرقد : ولدها .

(٤) وصادقتا سمع يعنى أذنيها ، والتوجس : الشمع ، والهمس الصوت الخفى : والمندد المرتفع .

(٥) مؤلتان : محدتان كالحرية ، والعتق : الكرم ، والشاة : بقرة الوحش وتسمى نعجة ، وحومل : موضع معروف ، ومفرد : وحيد .

(٦) أروع : فزع ونباض فؤادها . أخذ : قليل الشعر ، مللم : أى مجتمع ، كمرداة كصخرة تردى بها الحجارة لصلابتها . الصفيح : الحجارة العريضة . مصمد : مصلب .

(٧) سامى ساوى ، واسط : وسط ، الكور : الرجل عامت مدت يدها كهيئة السابح فى الماء : الضبعين : العضدان ، نجاء : سرعة ، الحفيد : الظلم . وهو ذكر النعام .

(٨) الارقال : ضرب من السير ، والملوى من القد : السوط ، المحصد :

المحكم القتل .

(٩) الأعلم : المشقوق المشفر الأعلى . المارن . مالان من الأنف وهو

مقدمة ، عتيق : كريم ، متى ترجم به الأرض : أى تضربها به يريد أنها اذا حطت رأسها الى الأرض أسرع فى السير وذلك لنشاطها وحدتها .

- على مثلها أمضى إذا قال صاحبي
وجاشت إليه النفس خوفاً ونخاله
إذا القوم قالوا من فتى؟ خلت أننى
أحلت عليها بالقطيع فأجذمت
فذالت كما ذالت وليدة مجلس
ولست بحلال التلاع مخافة
فإن تبغى فى حلقة القوم تلقى
تى تأنى أصيحك كأساً روية
وإن يلتق الحى الجميع تلاقى
ندامى بيض كالنجوم وقينة
جيب قطاب الجيب منها رفيقة
وما زال تشرابى الخمر ولذنى
بلى أن تحامتنى العشيرة كلها
رأيت بنى غبراء لا ينكرونى
- ألا ليتنى أفديك منها وأفتدى
مصاباً ولو أمسى على غير مرصد
عُنيت ، فلم أكسل ولم أتبلد
وقد خب آل الأمعر المتوقد (١)
ترى رها أذيان سحل ممدد (٢)
ولكن متى يسترفد القوم أرفد (٣)
وإن تفتننى فى الحوانيت تصطد (٤)
وإن كنت عنها غانياً فاغن وازدد (٥)
إلى ذورة البيت الرفيع المصعد (٦)
تروح علينا بين برد ومجسد (٧)
لجس الندامى بضة المتجرّد (٨)
وبيعى وإنفاقى طريقى ومتلدى (٩)
وأفردت أفراد البعير المعبد (١٠)
ولا أهل هناك الطرف الممدد (١١)

- (١) أحلت : وثبت ، القطيع : السوط ، أجذمت : أسرعت ، وخب : ارتفع ، آل : ما يكون فى أول النهار مثل السراب ، الأمعر : الأرض الغليظة التى فيها حصى ، والمتوقد : المشتعل . (٢) ذالت : تبخترت الناقة ، والوليدة انفتية ترى رها : أى مولاها أذيال : أطراف الثوب التى يصل الى الأرض ، والسحل : الثوب القطن والممدد : المسوط .
(٣) التلعة : من أسماء الأضداد تكون للمرتفع والمنخفض .
(٤) حاقة القوم : مجالس أشرافهم ، والحوانيت : بهوت الخمارين .
(٥) تأنى : تجئنى . (٦) ذروة : الذروة أعلى الشئ
(٧) الندامى أصحابى على الخمر ، والقينة : الجارية ، والبرد : الثوب الأبيض ، والمجسد : المصبوغ بالزعفران .
(٨) رحيب ، واسع : قطاب الجيب أى مجتمع الجيب . يصف صدرها الرحب والسعة .
(٩) الطريف الحديث المكتسب . (١٠) المعبد : المذلل المطلى بالقطران . (١١) بنى غبراء اللصوص ، والطراف بيت من جلد : يعنى أنه لا ينكرم أحد .

- أَلا أَمَهاذا اللائمي أَحضِرُ الوَغى
فإن كنت لاتستطيعُ دفعَ مَنيتي
فلولا ثلاثٌ هنَّ من عيشةِ الفتى
فمنهن سبق العاذلات بشرية
وكرى إذا نادى المضافُ مُحسنا
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
كَانَ البرين والدماليج علقَت
فذرني أرى هامتي في حياتها
كريمٌ يروى نفسه في حياته
أرى قبر نحامٍ بخيلٍ بماله
ترى جُثوتين من ترابٍ عليهما
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى
أرى الدهر كنزاً ناقصاً كل ليلة
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى
- وَأَن أَشهد اللذات هل أنت مخلدي (١)
فدعني أبادرها بما ملكت يدي
وجدك لم أحفل متى قام عودي
كسيت متى ماتعل بالماء تزيد (٢)
كسيد الغضا والنايه المتورد (٣)
ببهكنة تحت الطراف المعمد (٤)
على عشرٍ أو خروجٍ لم ينخضد (٥)
مخافة شرب في الحياة مصدر (٦)
ستعلم إن متنا غداً أينما الصدى (٧)
كقبر غوى في البطالة مفسد (٨)
صفائح صم من صفيح منضد (٩)
عقيله مال الفاحش المتشدد (١٠)
وما تنقص الأيام والدهر ينغد
لكالطوك المرخي وثنياه باليد (١١)

- (١) اللائمي : اللاحي ، وفي رواية الزاجري . (٢) كميت : خمر
تضرب الى السواد ، تعل : أى يصب الماء عليها . (٣) كرى : عطفي ،
والمضاف الذى أضافته الهموم . (٤) الدجن : المطر الخفيف ، يعجب
من رآه ، والبهكنة : المرأة التامة الخلق . (٥) البرين : الخلاخل في
أنف الناقة ، على عشر : العشر شجر أملس مستو ضعيف العود شسبه به
عظامها وساعديها للاسته واستوائه . (٦) الشرب بكسر الشين وضمها
اسم للمشروب : والمصدر : المقلل . (٧) يروى نفسه من الخمر في
حياته والصدى : العطشان . (٨) النحام : كثير السعال عندما
يسأل ، والغوى : الذى يتبع هواه ولذاته . والبطالة : اتباع الهوى والجهل
(٩) الجثوة : التراب المجموع ، صفائح صم صلبة . المنضد : المجموع
بعضه على بعض . (١٠) يعتام : يختار ، الكرام : الخيار والأماجد ،
ويصطفى : ينتخب ، وعقيله كل شيء خيرته والفاحش : القبيح السييء
الخلق والمتشدد : كثير البخل (١١) الطول : الحبل ، وثنياه أى
طرفاه ، ومعناه أن الانسان وان يطل عمره الا أنه كالفرس لصاحبها اذا
أرادها جذب الحبل اليه .

- فمالي أَرَانِي وابن عمي مالكا
يلوم وما أَدْرِي علامَ يَلُومُنِي !؟
وَأَيَّاسُنِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتَهُ
عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ قَلْتَهُ غَيْرِ إِنِّي
وَقَرَّبْتِ بِالْقَرَى وَجَدُّكَ أَنَّنِي
وَإِنْ أَدْعَ فِي الْجَلِيٍّ أَكُنْ مِنْ حَمَاتِهَا
وَإِنْ يَقْدِفُوا بِالْقَدْعِ عَرْضَكَ أَسْقَهُمْ
بِلا حَدَثٍ أَحَدْتَهُ وَكَمْ حَدَثٌ
فَلَوْ كَانَ مَوْلَايَ امْرَأً هُوَ غَيْرُهُ
وَلَكِنَّ مَوْلَايَ امْرُؤٌ هُوَ خَانَتِي
وَظَلَمَ ذَوِي الْقَرْبَى أَشَدَّ مِضَاضَةً
فَذَرْنِي وَخَلْقِي إِنَّنِي لَكَ شَاكِرٌ
فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بْنِ خَالِدٍ
- مَتَى أَدْنُ مِنْهُ يَنَاءً عَنِّي وَيَبْعُدُ (١)
كَمَا لَأَمْنِي فِي الْحَيِّ قَرطُ بْنُ أَعْبِدِ (٢)
كَأَنَا وَضَعْنَاهُ إِلَى رَمْسٍ مَلْحِدِ (٣)
نَشَدْتُ فَلَمْ أَغْفَلِ حَمُولَةَ مَعْبِدِ (٤)
مَتَى يَكُ أَمْرٌ لِلنَّكِيثَةِ أَشْهَدُ (٥)
وَإِنْ يَأْتِكَ الْأَعْدَاءُ بِالْجَهْدِ أَجْهَدِ (٦)
بِكَأْسِ حِيَاضِ الْمَوْتِ قَبْلَ التَّهْدُدِ (٧)
هَجَانِي وَقَدْفِي بِالشُّكَاةِ وَمَطْرَدِي (٨)
لِفَرَجِ كَرْبِي أَوْ لَأَنْظَرَنِي غَدِ (٩)
عَلَى الشُّكْرِ وَالتَّسَالِ أَوْ أَنَا مُفْتَدِي (١٠)
عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحَسَامِ الْمَهْنَدِ (١١)
وَلَوْ حَلَّ بَيْتِي نَائِيًا عِنْدَ ضَرْغَدِ (١٢)
وَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ عَمْرُوَ بْنِ مَرثَدِ (١٣)

(١) ابن عمي علي خلافي ، اتقرب اليه فيبعد عني . (٢) ويبالغ ابن عمي في الحفاء فيلومني علي ما لا أستحق اللوم عليه كما يفعل قرط بن أعبد . (٣) أياسني جعلني يأسا والرمس القبر : والملحد ، اللحد . (٤) وكل ما أنقاه لا سبب له الا اني نشدت : طلبت (٥) النكيثة : بلوغ الجهد ، وقيل انقاض الأمور . (٦) الجلي : الأمر العظيم ، والحماة الذائدون . (٧) القدع : الشتم والقيح . (٨) أي هو متعد علي بلا حدث أحدثته ، هجاني وطردي ، والمطرذ : الطريد . (٩) يقول لو أن مولاه رجلا آخر لفرج كربه وانظره ولم يتعجله بما تعجله به ابن عمه من القدح والذم .

(١٠) خانتي : مكرهني علي شكره علي ما لم يفعله ، والا فانا هدف سهامه . (١١) أما أنا فقد ضقت بهذا التجني لأن الظلم من الاقربين لا يحتمل . (١٢) ضرغد : جبل بعيد . (١٣) قيس بن خالد : من بني شيبان ، وعمرو بن مرثد : ابن عم طرفة قيل لما بلغ هذا عمرو ابن عم طرفة وجه الي طرفة فقال له أما الولد فالله يعطيكم وأما المال فلك فيه مالنا ، ثم دعا ولده وكانوا سبعة فأمر كل واحد فدفع لطرفه عشرة من ابله ، ثم أمر ثلاثة من بني بنيه فدفع كل واحد منهم الي طرفة عشرة من الابل .

فأصبحت ذا مالٍ كثيرٍ وزارني
أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه
فآليت لا ينفك كشحي بطانة
حسام إذا ما قمت منتصراً به
أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة
وبرك هجود قد أثارت مخافتي
فمرت كهأة ذات خيف جلالة
يقول وقد تر الوظيف وساقها
وقال ذروه إنما نفعها له
فظل الإماماء يمتلن حوارها
فإن مت فأنعيني بما أنا أهله
ولا تجعليني كامرئٍ ليس همه
بطئٍ عن الجلى سريع إلى الخنا
فلو كنت وعلا في الرجال لضرني
ولكن نني عنى الأعادى جرأتى

بنون كرامٌ سادةٌ للمسود
خشاش كراس الحية المتوقد
لعضب رقيق الشفرتين مهند
كفى العود منه البدء ليس بمعضد
إذا قيل مهلاً ؛ قال حاجزه قدي
نواديها أمشى بعضب مجرد (١)
عقيلة شيخ كالوبيل يلندد (٢)
ألست ترى أن قد أتيت بمؤبد (٣)
وإلا تردوا قاصي البرك يردد (٤)
ويسعى علينا بالسديف المرهد (٥)
وشق على الجيب يا ابنة معبد (٦)
كهمي ولا يغني غنائى مشهدى (٧)
ذليل بإجماع الرجال ملهد (٨)
عداوة ذى الأصحاب والمتوحد
عليهم ، وإقدامى وصدقى ومحتدى (٩)

- (١) انبرك : الأبل الكثيرة الباردة ، والهجود النيام . (٢) الكهأة : الناقة السمينة ، والخيف الضرع ، والجلالة الكبيرة ، والوبيل العصا .
(٣) تر : بمعنى انقطع والوظيف مستندق الساق من الأبل والخيل .
(٤) ذروه : اتركوا عناده
(٥) الحوار : الصغير من الأبل ، والسديف : السنام ، والمرهد : الملقط صفاراً (٦) أنعيني : اذكرى من الأفعال ما أنا أهل له وهو يخاطب ابنة أخيه وشق الجيب معروف ، ويراد به التنويه بشدة المصاب .
(٧) واحذرى أن تجعليني هينا كرجل لا يغني مثل غنائى ، ولا يقوم في الحرب مقامى ولا يشهد مشهدى في المجالس والخصومات .
(٨) البطيء : الكسول المتقاعد ، والجلى : الأمر الخطير العظيم ، والخنا : الفساد . (٩) يقول ان الجرأة والإقدام والصدق وكرم الأصل منعت عنه أعداءه من الإساءة إليه .

- لعمرك ما أمرى على بغمه
ويوم حبست النفس عند عراكه
على موطن يخشى الفتى عنده الردى
وأصفر مَضْبُوحٍ نظرتُ حوارهُ
أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى
ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأنبياء من لم تبع له
لعمرك ما الأيام إلا معارة
عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه
لعمرك ما أدرى وإنى لواجل
فإن تك خلقى لا يفتها سواديا
إذا أنت لم تنفع بودك أهله
- نهارى ولا ليلي على بسرمد (١)
حفاظا على روعاته والتهدد (٢)
متى تعترك فيه الفرائض ترعد
على النار واستودعته كف مجمد (٣)
بعيدا غدا ما أقرب اليوم من غد
ويأتيك بالأخبار من لم تزود (٤)
بتاتا ولم تضرب له وقت موعد (٥)
فما اسطعت من معروفها فتزود (٦)
فإن القرين بالمقارن مقتد (٧)
أفى اليوم إقدام المنية أم غد؟ (٨)
وإن تك قدامى أجدها بمرصد (٩)
ولم تنك بالبوسى عدوك فابعد (١٠)

(١) الغمة : الأمر الذى لا يهتدى له ، والمعنى أنى لا اتحير فى أمرى نهارا ولا ليلا فيطول على الليل ، والسرمد الطويل . (٢) العراك : الازدحام ، أى صبرت النفس عند ازدحام القول فى الحرب والخصومات على روعات اليوم وهن قرعاته . (٣) الأصفر هنا الأسود : المجدد الذى يأخذ بكلتا يديه ولا يخرج من يديه شيء . وقيل الذى يضرب بالسهم أو الأمين فى القمار . (٤) ستبدى : ستظهر ، ما كنت جاهلا ، يعنى ما لم تسمع من قبل ، ويفيدك بها من لم تسأله عنها . (٥) تبع له بتاتا تشتري له زادا . (٦) لعمرك : وحياتك ليست الأيام الا معارة أى عارية تسترد وتسترجع فاحرص على عمل الخير وصنع المعروف وتزود من ذلك كثيرا .

(٧) الرواية المحفوظة لهذا البيت :

- عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى
(٨) وأنا وانت وغيرنا لا يدري ولا يعرف متى يحين حينه .
(٩) فان تك خلفى : فهى جادة ورأى ، ولن أغرب عن عينها ، وان تك قدامى فهى رقيقة مترصدة .
(١٠) اذا لم تنفع بترك الأقرين والأصدقاء ولم تلحق العطب بالأعداء ببطشك فاتخذ مكانا قريبا .

(٧) معلقة أعشى قيس

هو أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل القيسي — نشأ في بدء أمره راويةً لخاله (المسيب بن علس) وقد عمى الأعشى وطال عمره ، حتى انبلج فجر الإسلام وعظم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بين العرب ، فأعد له قصيدة يمدحه بها وقصده بالحجاز ، فلقبه كفار قريش وصدوه على وجهه على أن يأخذ منهم مائة ناقة حمراء ، ويرجع إلى بلده لتخوفهم أثر شعره ففعل ، ولما قرب من اليمامة سقطت عن ناقته فدقت عنقه ومات ، ودفن ببلدته (منفوحة) باليمامة .

شعره : يُعدُّ (الأعشى) رابعاً للثلاثة الفحول : امرئ القيس ، والنابغة ، وزهير ؛ وإن كان يمتاز عنهم بغزارة شعره ، وكثرة ما روى له من الطوال الجياد وتفننه في كل فن من أغراض الشعر ؛ واشتهر من بينهم بالمبالغة في وصف الخمر حتى قيل : أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب .

ولشعره طلاوة وروعة ، ليست لكثرة من شعر غيره من القدماء ، ولقوة طبعه وجلبة شعره سُمي (صناجة العرب) حتى ليُخيل إليك إذا أنشدت شعره أن آخر يُنشد معك .

ولجلالة شعره كان يرفع الوضيع الخامل ، ويخفض الشريف النابه ، ومن الذين رفعهم شعر الأعشى (المحلّق الكلابي) وقد كان أبا ثمانى بنات عوانس رغبت عن خطبتهن الرجال لفقرهن ، فاستضافه على فقره ، فمدحه الأعشى ونوه بذكره في (سوق عكاظ) فلم يمض عام حتى لم تبق جارية منهن إلا وهى زوجة لسيد كريم ، وكان الأعشى يتطرف في شعره ، ويتكسب به ، وعده بعضهم من أصحاب المعلقات ، وذكر قصيدته اللامية التي يمدح بها الأسود الكندي ، ومطلعها :

ما بكاء الكبير بالأطلالِ وسؤالي وما تردُّ سؤالي

ومن جيد شعره قصيدته التى أعدها لينشد بها بين يدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمدحه فيها ، فلم يفز بذلك ، أولها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليمُ مُسهدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهددا
ولكن أرى الدهر الذى هو خائن إذا أصلحت كفاى عاد فأفسدا
شباب وشيبُ وافتقارُ وثرورة فلهذا هذا الدهر كيف ترددا
وقصيدته التى أنشدتها فى مدح الملقق أولها :

أرقتُ وما هذا السُّهاد المورقُ وما بى من سُقم وما بى تعشق
ومنها :

لعمرى لقد لاحت عيونٌ كثيرة إلى ضوء نار فى اليفاع تحرق
تشبَّ لمقرورين يصطليانها وبات على النارِ الندى والمحلُق
رضيعى لبان ثدى أم تقاسما بأسحم داجٍ عوض لا نتفرقُ
ترى الجودى جرى ظاهراً فوق وجهه كما زان متن الهندوانى رونقُ
يداه يدا صدقٍ فكفٌ مبيدةٌ وأخرى إذا ما ضنَّ بالمال تنفقُ
وقيل إن معلقته هى التى أولها :

ودعْ هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل (١)
عراءُ فرعاءٍ مصقولُ عوارضها تمشى الهويتى كما يمشى الوجى الوحل (٢)
كأنْ مشيتها من بيت جارتها مرُّ السحابة ، لا ريثٌ ولا عجل (٣)

(١) هريرة اسم قبيلة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أهداها قريب
له فولد خليدا الآتى ذكره فى شعره .

(٢) الفرعاء : البيضاء الواسعة الجبين ، والفرعاء : الفرع أى الشعر ،
والعوارض هنا الرباعيات والأنياب من الأسنان ، يريد أنها نقعة الأسنان ،
الوجى : الذى يشتكى حافره ولم يشف بعد ، فيكون مشيه متثاقلاً فكيف
إذا كان وحلاً ؟ أى يمشى فى الوحل ، يعنى أن هذه الجارية لسمنها وتدلها
تمشى متمهلة متمائلة . (٣) الريث : البطء .

- تسمع للحلى وسواساً إذا انصرفت
كما استعان بريحٍ عشرق زجل (١)
- ليست كمن يكره الجيران طلعتها
ولا تراها لسر الجار تختتل (٢)
- يكادُ يصدعها — لولا تشددُها —
إذا تقوم يَضوع المسكُ أصورةً (٣)
- ماروضةٌ من رياض الحزن مُعشبة
والزئبق الورْدُ من أردانها شمل (٤)
- يضاحك الشمس منها كوكب شرق
خضراءُ جاد عليها مُسبلٌ هطل (٥)
- يوماً بأطيب منها نشر رائحة
مؤزرٌ بعيم الثبت مكتهل (٦)
- صدت «هريرة» عنا ما تكلمنا
ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل (٧)
- أئن رأَتْ رجلاً أعشى أضرب به
جهلاً بأُم خليلد، حبل من تصل؟ (٨)
- ريب المنون ودهر مفندٌ خبل (٩)

(١) الوسواس : صوت الحلى ، والعشرق : شجرة مقدار ذراع لها أكمام فيها حب صفار اذا جفت فمرت بها الريح تحرك الحب فيسمع له خشخشة على الحصى .

(٢) تختتل : أى تتسمعه استراقاً . (٣) يصفها بالسمن والترف ، وكانوا يمدحون الثريات بالكسل وقلة العمل في البيت لأنهن مخدمات متنعمات .

(٤) يضوع المسك : أى تذهب رائحته هناك ، وأصورة : جمع صوار بالضم وهو نافجة المسك أو حقه ، والزئبق عند العرب : زيت الياسمين ، وأكمله ما كان يميل الى حمرة ولذلك وصفه بالورد . (٥) الحزن : الأرض الفليضة ، والحزن المراد هنا : موضع ببلاد بنى يربوع من اليمامة فيه رياض وقلاع . (٦) كوكب كل شيء : معظمه ويريد به هنا جماعة الزهر . أى يضاحك الشمس منها ويدور معها حيث دارت زهرها . أو يتفتح ويشرق عند شروقها ، وهذا الزهر مؤزر أى يكتنفه نبات تام النمو ملتف عليه كالتفاف الازار . (٧) الأصل : جمع اصيل وهو من العصر الى الظلام وخص هذا الوقت لأن الجو يبرد فيه فيهب النسيم حاملاً رائحة الأزهار يعنى أن رائحة الروضة الموصوفة بهذه الصفات الحسنة ليست بأفضل من رائحة هريرة .

(٨) أم خليلد : كنية هريرة وقوله (حبل من تصل ؟) استفهام تعجيبى . يعنى اذا هجرتنا ولم تكلمنا فمن تكلم اذا .

(٩) الأعشى : الذى لا يبصر بالليل ، والمفند : الآتى بالفند وهو السفه فى الراى ، ومثله الخبال .

- قالت هريرة لما جئت زائرها : ويل عليك وويلي ! منك يارجل^(١)
 إما تريننا حفاة ؛ لا نعال لنا إنا كذلك ما نحفي ومنتعل^(٢)
 وقد أقودُ الصبا يوماً ، فيتبعني وقد يُصاحبني ذو الشرّة الغزل^(٣)
 وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاو مثلّ شلولُ شلشلُ شول^(٤)
 في فِتيّة كسيوف الهند قد علموا أنّ هالكُ كلُّ من يحفي وينتعل^(٥)
 نازعتهم قُضبُ الريحانِ متكئاً وقهوةٌ مرّةٌ راووقها خُضلُ^(٦)
 لا يستفيقون منها ، وهى راهنة إلا بهاتِ ، وإن علوا ، وإن نهلوا^(٧)

- (١) ويل عليك وويلي منك : أى أتفجع عليك لأنك تسعى بزيارتك لى فى هلاك نفسك وأتفجع منك لأن زيارتك لى تجر الى هلاكى .
 (٢) ثم أخذ يعاتبها ويدفع عن نفسه بأن الصفات التى صلدت عنه من أجلها طارئة عليه بفعل الموت والزمان ، وأنه كان شابا غنيا طروبا غزلا يشرب الخمر مع فتيان مثله ويستمتع للقيان وينعم بهن فقال : (اما ترينا حفاة لا نعال لنا . . . الخ) أى أن ترينا نتبذل مرة فتمشى حفاة فليس هذا دأبنا فاننا أيضا منتعلون فطورا نفتقر وطورا نفتنى .
 (٣) اقود الصبا الخ : أى اتصابى ، وآتى بأفعال الفتيان ويصحبني منهم الغزل ذوى الشرّة وهى : نشاط الشباب .
 (٤) الحانوت : بيت الخمار ، والشاوى : الذى يشوى اللحم ، والمثل : السواق الخفيف ، والشلول والشلشل : الفلام الحار الرأس الخفيف الروح النشيط فى عمله ، والشول : من يشول بالشىء الذى يشتريه المشتري ، فيحمله له ويرفعه .
 (٥) أى كالسيوف فى المضاء والصرامة أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف وجعله « هالك كل من . . الخ » خبرها فهناك خبر مقدم وكل مبتدأ مؤخر .
 (٦) الريحان : كل زهر طيب الرائحة ، ونازعتهم قُضب الريحان : أتناولها مرة ويتناولونها أخرى ، والقهوة : الخمرة ، الراووق : الوعاء الذى تروق فيه الخمر . وخضل : دائم الندى لا يخف لكثرة شربهم .
 (٧) راهنة دائمة امامهم أى لا ينتهون الا اذا ابطأ عليهم الساقى فصاحوا به (هات) ولو شربوا عللا بعد نهل أى مرة بعد أخرى .

يسعى بها ذو زجاجات له نطف مقلص أسفل السربال مُعتمِل (١)
ومستجيب تخال الصنج يُسمِعه إذ ترجع فيه القينة الفضل (٢)

(٨) الحارث بن حلزة اليشكري

هو الحارث بن حلزة اليشكري البكري ، يتصل نسبه إلى يشكر رهط. من بكر ابن وائل ولم يوتر عنه غير قطع يسيرة ، ومعلقته الآتية التي كان من أمرها أن عمرو ابن هند أحد ملوك الحيرة أصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البسوس ، وأخذ من كلا الفريقين رهائن من أبنائهم ، ليكف بعضهم عن بعض وليقيد منها للمعتدى عليه من المعتدى ، فحدث أن سرح الملك ركباً من تغلب في بعض المفازة فماتوا عطشاً ، وتزعم بكر أنهم سقوهم وأرشدوهم الطريق فتأهوا وهلكوا ، وذهب الفريقان يتدافعان عند عمرو بن هند ، وكانت ضلعه مع تغلب ، فهاج ذلك الحارث ابن حلزة وكان في المجلس مستوراً عن الملك بستارة لما فيه من البرص ، فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً يفتخر فيها بقومه وفعالهم وحسن بلائهم عند الملك وعظم أيامهم معه ، فما أتم قصيدته حتى انقلب الملك إلى جانب البكريين ، وقرب الحارث من مجلسه ، وعمر الحارث طويلاً حتى قيل إنه أنشد هذه القصيدة وعمره خمس وثلاثون ومائة سنة ومات قبل الهجرة بنحو خمسين سنة .

(١) النطف : القرط من اللؤلؤ ، ومقلص : مشمر ، والسربال : القميص والمعتمِل النشيط (المعنى) يسعى بالخمر ساق يحمل زجاجتها مقرط الأذن بلؤلؤ مشمر ذيله معتمِل نشيط .

(٢) ومستجيب : أى ورب عود طرب مستجيب لصوت الصنج كأنه يسمعه النغم فيجيبه بمحاكاته . أى أن العود والصنج متفقان في النغم لا يشذ أحدهما عن الآخر . والصنج : دوائر رفاق من صفر يصفق بأحدهما على الأخرى وهى التى نسميها فى زماننا (الكاسات) وهو أيضاً نوع من الآلات الوترية ، وترجع : تردد النغم ، والقينة : الأمة وقيل إذا كانت مغبية ، والمرأة الفضل : التى تلبس ثوبا واحدا كأنها متبذلة .

وشعره: تغلب عليه الجزالة مع الإيجاز، واطراد التعبير من طريق الحقيقة والتشبيه في الغالب، وكذلك ما فيه من الطابع البدوي الذي يكاد يمتاز به شعر الجاهليين، ومعلقته هي:

- آذنتنا ببينها أسماء رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ (١)
 يَعْدُ عَهْدٍ لَنَا لِبَرْقَةِ شِمَاءٍ فَادِنِي دِيَارَهَا الْخُلْصَاءُ (٢)
 لَا أَرَى مِنْ عَهْدَتِ فِيهَا فَبَأْبَكِي الْيَوْمَ دَلَهَا وَمَا يَحِيرُ الْبَكَاءُ
 غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَسْتَعِينُ عَلَى الْهَمِّ إِذْ خَفَّ بِالثَوَى النَّجَاءُ (٣)
 بِزَفُوفِ كَأَنَّهَا هِقْلَةٌ أَمَّ مِ رِثَالٍ دَوِيَّةٍ سَقْفَاءُ (٤)
 آنَسْتُ نَبَاءَةً وَأَفْزَعَهَا الْقِنَاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَى الْإِفْسَاءُ (٥)

ثم قال:

- وَأَتَانَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْأَنْبَاءِ خَطْبٌ نَعْنَى بِهِ وَنِسَاءُ (٦)
 إِنْ إِخْوَانُنَا الْأَرَاقِمُ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا فِي قَبِيلِهِمْ إِحْفَاءُ
 يَخْلُطُونَ الْبَرِيَّةَ مِنْ بَدْنِي الذَّنْبِ وَلَا يَنْفَعُ الْخَلَى الْخَلَاءُ (٧)
 زَعَمُوا أَنْ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعِيْرَ مَوَالٍ لَنَا ، وَأَنَا الْوَلَاءُ (٨)

(١) آذنتنا أعلمتنا، ببينها: بفراقها لنا. وثاو: مقيم. أي كثيرا ما تكره إقامة المقيم بين قوم لتقل كلفته أو لشره، وأسماء ليست من هؤلاء ففراقها شاق علينا.

(٢) برق شماء: مكان، والخلصاء كذلك، الثوى: المقيم.
 (٣) النجاء: الإسراع. (٤) الزيف اسراع النعامة في سيرها والمراد المبالغة في وصف الناقة بالسرعة والهقلة الناعمة والريثال أولادها والواحد رال، والدو: المفازة والدوية المنسوية إليها والسقفاء الطويلة مع انحناء (٥) آنست: أحست، والنباة: الصوت الخفى، والقناص: الصيادون. (٦) نعنى به: نقصد به نحن دون غيرنا، ونساء به يصيبا منه سوء، والأراقم: أحياء من تغلب معادية لبني بكر قبيلة الشاعر، ويفلون علينا: يتجاوزن الحد في التقول علينا، والقبيل: القول والاحفاء: شدة الإلحاح والاستقصاء. (٧) الخلى هنا الخالى من الذنب. والخلء: الخلو من الذنب كذلك، أي لا تنفع عندهم البريء براءته من الذنب فهم يأخذونه بذنب المجرم. (٨) أي فهم يلزموننا ذنوب الناس ولو لم تكن ذنوبهم مما يؤخذ عليها فعندهم أن كل من ضرب حمرا مثلا مذنب.

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ
 مِنْ مُنَادٍ ، وَمِنْ مَجِيبٍ ، وَمِنْ تَصَدُّعٍ خَيْلٍ خِلَالَ ذَاكَ رِغَاءٍ (١)
 أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمَرْقَشُ عَنَا عِنْدَ عَمْرٍو ، وَهَلْ لِدَاكَ بَقَاءُ ؟ (٢)
 لَا تَخْلُنَا عَلَى غِرَاتِكَ ، إِنَّا قَبْلَ مَا قَدَّ وَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ (٣)
 فَبَقِينَا عَلَى الشَّنَاءِ تَنْمِيْنَا حِصُونًا وَعِزَّةً قَعْسَاءُ (٤)
 قَبْلَ مَا الْيَوْمِ بِيَضَتْ بَعْيُونَ النَّاسَ فِيهَا تَغِيظُ وَإِبَاءُ (٥)
 وَكَانَ الْمُنُونُ تَرْدَى بِنَا أَرُّ عَنِ جُونًا يَنْجَابُ عَنْهُ الْعِمَاءُ (٦)
 مَكْفَهْرًا عَلَى الْحَوَادِثِ لَا تَرُّ نُوهُ لِدَهْرٍ مُوْبِدِّ صَمَاءُ (٧)
 أَيُّمَا خَطَّةٍ أَرَدْتُمْ فَادُّوْا هَا إِلَيْنَا تَمْشِي بِهَا الْأَمْلَاءُ (٨)

(١) أى يتلمسون أى ذنب ، ويتشاورون فى الليل فى امر حربنا ، والتعبئة له فلا يصبح الصباح حتى تكون لهم جلبة وضوضاء من مناد الخ قيل ان هذين البيتين أوجز ما قيل فى وصف التأهب للارتحال وأصدقه وأوضحه تصويراً للحقيقة . (٢) المرقش : المزين القول بالباطل ، وهل لذلك الخ : أى لتزيينك الباطل دوام . (٣) لا تخلصنا : أى لا تحسبنا ، والغرة : اسم مصدر من الاغراء ، وما زائدة والمفعول الثانى محذوف . (٤) الشنءة : البفض وتنمينا : ترفعنا ، والقعساء : الثابتة ، أى فبقينا على بفضك لنا فى عزة ثابتة وحصون منيعة من أن يصيبنا منكم مكروه .

(٥) قبل ما اليوم : أى قبل اليوم وما زائدة ، وبيضت بعيون الناس : يبيضها أى أعمتها والباء زائدة والتغيط الترفع والاباء .

(٦) تردى : ترمى وترجم ، والباء فى (بنا) للتجريد نظير قولهم : لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد ، أى لتلقين الأسد ، أى هو كالأسد ، والأرعن هنا الجبل الذى له حدود وأطراف تخرج عن معظمه ، والجون الأسود ، وبنجاب منه : ينشق عنه ، والعماء : السحاب الأبيض (٧) وصف هذا الجبل بأنه مكفهر ، والمكفهر من الجبال الصلب المنيع . ولا ترنوه لا تنقصه وتزال منه ، والمؤبد : الداهية ، وصماء : لا تسمع اعتذارات . أى أن هذا الجبل منيع على حوادث الدهر لا تنال منه الدواهي الصماء .

(٨) الخطئة : الأمر يقع بين القوم ، أو الاقدام على الأمر ، والأملاء جمع

ملأوهم الأشراف والرؤساء .

إن نبشتم ما بين ملحّة فالصا قب فيه الأموات والأحياء (١)
 أو نقشتم ، فالنقش يُجشمه النا س ، وفيه الصلاح والإبراء (٢)
 أو سكتم عنا ، فكنا كمن أغـ مضّ عيناً فى جفنها أقداء (٣)
 أو منعم ما تسألون فمن حد ثتموه له علينا العلاء ؟ (٤)
 هل علمتم أيام ينتهب النا س غواراً لكل حى عواء (٥)
 إذ اركبنا الجمال من سعف البحد رين سيراً حتى نهاها الحساء (٦)
 ثم ملنا على تميم فأحره نا وفينا بنات مرّ إماء (٧)
 لا يقيم العزيز بالبلد السه ل ، ولا ينفع الدليل النجاء (٨)
 ليس ينجى مؤاتلا من حذار رأس طودٍ وحرّة رجلاء (٩)
 فملكنا بذلك الناس حتى ملك المنذر بن ماء الساء

(١) ملحّة والصاقب : موضعان ، أى إن كانت الخطة التى ترضونها أن
 تثيروا القتال الذى وقع بيننا فى هذين المكانين نفيه أموات وأحياء أى
 فكانت عاقبته قتلى وأسرى منكم لم تدركوا منا ثأرهم ، وحذفت الفاء
 الواقعة فى جواب الشرط « وهو فيه الأموات الخ » للضرورة . أو أن
 جواب الشرط محذوف تقديره فلنا الفخار بذلك أو أن جواب الشرط
 الآتى له . (٢) أو نقشتم أى دققتم الاستقصاء ويجشمه : يتكلفه على
 مشقة (٣) وإن سكتم عنا فانا نسكت ، ونفضى أعيننا على القذى لأن
 الحق فى جانبنا . (٤) وإن منعم ما تسألون فيه من الصلح والتراضى
 فمن الذى أخيرتم أن له العلو علينا ؟ حتى تطمعوا فينا ، وحدث هنا تعدت
 الى ثلاث مفاعيل . (٥) غواراً . أى مغاورة بعض على بعض ، والعواء
 الصياح . (٦) يريد بالسعف . النخل ، والحساء جمع حسى ، وهو
 الرمل يكون الماء تحته قريباً أى علمتم إذ ركبنا الجمال من نخل البحرين
 حتى انتهينا الى الحساء .

(٧) فأحرنا أى دخلنا فى الأشهر الحرام فامتنعنا عن قتالهم وفيها
 بناتهم سبايا ، ومر أبو تميم .

(٨ و ٩) النجاء : الاسراع والفرار . والمواتل الذى يطلب موثلاً أى
 ملجأ ، والطود ، والجبل ، والحرّة الأرض ذات الحجارة السوداء ، والرجلاء
 الغليظة .

(٩) لبيد بن ربيعة العامرى

هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى أحد أشراف الشعراء المجيدين . وهو من بنى عامر بن صعصعة إحدى بطون هوازن مضر ، وأمه عيسية ، نشأ لبيد جواداً شجاعاً فاتكاً ، أما الجود فورثه عن أبيه الملقبُ بربيعة المعتزِّين وأما الشجاعة والفتك فهما خصلتا قبيلته . إذ كان عمه ملاعب الأسنة أحد قرسان مضر فى الجاهلية ، وكان بين قبيلته وبين بنى عبس أخواله عداوة شديدة ، فاجتمع وفداهما عند النعمان بن المنذر ، وعلى العبسيين الربيع بن زياد ، وعلى العامرين ملاعب الأسنة ، وكان الربيع مقرباً عند النعمان أعرض عنه فشق ذلك عليهم ، ولبيد يومئذ صغير ، يسرح إبلهم ويرعاها ، فسألهم عن خطبهم فاحتقروه لصغره ، فألح حتى أشركوه معهم ، فوعدهم أنه سينتقم لهم منه غداً عند النعمان أسوأ انتقام ، بهجاء لا يجالسُه بعده ولا يؤاكله فكان ذلك ، ومقت النعمان الربيع ولم يقبل له عذراً ، وأكرم العامريين وقضى حوائجهم ، فكان هذا أول ما اشتهر به لبيد ؛ ثم بعد ذلك المقطعات والمطولات ، وشهد النابغة له وهو غلام بأنه أشعر هوازن ، ولما ظهر الإسلام وأقبلت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم جاء لبيد فى وفد بنى عامر وأسلم ، وعاد إلى بلاده ، وحسن إسلامه وتنسك وحفظ القرآن كله ، وقال :

الحمد لله إذ لم يأتينى أجلى حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

وهجر الشعر حتى لم يرو له فى الإسلام غير بيت واحد ، هو :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

وبعد أن فتحت الأمصار ذهب إلى الكوفة زمن عمر بن الخطاب واختارها

دار إقامة . وما زال بالكوفة حتى مات فى أوائل خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، وقد قىل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة .

شعره : نبغ فىه وهو غلام ، وجرى فىه على سنن الأشراف والفرسان .

فمن قوله يرثى أخاه أربىد :

بلىنا وما تبلى النجوم الطوالع	وتبقى الديار بعدنا والمصانعُ
وقد كنت فى أكناف جار مضنة	ففارقتى جارُ بأربىد نافعُ
فلا جزع إن فرق الدهر بيننا	فكل امرئٌ يوماً به الدهر فاجعُ
وما الناس إلا كالديار وأهلها	بها يوم حلوها وراحوا بلاقعُ
وما المال والأهلون إلا ودائعُ	ولا بد يوماً أن تردَّ الودائعُ
لعمرك ما تدرى الضواربُ بالحصى	ولا زاجرات الطير ما الله صانعُ
وما الناس إلا عاملان : فعامل	يتبر ما يبنى وآخر رافعُ
فمنهم سعيدٌ آخذ بنصيبه	ومنهم شقيٌّ بالمعيشة قانعُ
ومن جىد الشعر وأبلغه أيضاً :	

معلقة لبىد بن ربىعة العامرى

عفتِ الديار محلها فمقامها	بمنى تأبد غولها فرجاهها (١)
فمدافعُ الرىان عرى رسمها	خلقاً كما ضمن الوحى سلامها (٢)
دمنٌ تجرم بعد أنيسها	حجج خلونٌ حلالها وحرأماها (٣)

(١) عفت : درست ، والمحل والمقام : موضع الحلول والاقامة : تأبد .
توحش . الفول والرجام : حبلان .

(٢) الرىان : واد بحمى ضرىة ، ومدافع : مجارى المياه به حيث ىندفع
السىل وعرى : رسمها خلقاً : أى ظهر بالىا وانسلام : الحجارة . ىذكر

أن مدافع الرىان لم تبقى منها الا آثار تشبه آثار الكتابة على الأحجار .

(٣) الدمن ما اجتمع من آثار ، تجرم : مضى .

- رزقت مرابع النجوم وصابها ودق الرواعد جودها فرهامها (١)
 من كل سارية وغاد مدجن وعشية متجاوب إرزامها (٢)
 فعلا فروع الأبهان وأظفلت بالجهتين ظبؤها ونعامها (٣)
 والعين ساكنة على أطلائها عودًا تأجل بالفضاء بيهامها (٤)
 وحلا السيول عن الطلول كأنها زبرٌ يخذ متونها أقلامها (٥)
 أو رجع واشمة أسف نؤورها كففاً تعرض فوقهن وشامها (٦)
 فوقفت أسألها؟ وكيف سألنا صماً خوالد ما يبين كلامها (٧)
 عريت وكان بها الجميع فأكروا منها وغودر نؤيها وثامها (٨)
 شافتك ظعن الحي حين تحملوا فتكنسوا قطناً تصر خيامها (٩)
 من كل محفوف يظل عصية زوج عليه كله وقرامها (١٠)

- (١) المرابع : أوائل الأمطار في الربيع . والنجوم : الأنواء ، وصابها : مطرها والودق : المطر : وجوده : غزيره . ورهامه لينه وصغيره .
 (٢) السارية : السحابة وغاد : يسير بالعداء . مدجن : مظلم ، لأن المقيم إذا انتشر ملأ الجو بالدجنة وهي الظلمة والارزام : صوت الرعد .
 (٣) الأبهقان : النبات أظفلت : أصبحت ذات أطفال ، الجهتين الجهتين (٤) العين : البقرة وأغلاؤها أولادها ، والعود : حديثة النتاج لأن ولدها يعوذ بها ، تأجل : تجمع وصار أجلا ، والأجل القطيع . (٥) يريد أن السيول كشفت عن الطلول فظهرت كالكتب تجدد ظهورها الأقلام .
 (٦) الواشمة : من تحلى الأيدي بالوشم .
 (٧) الصم البواقى وهي الأثافي ، ما يبين : لا يظهر . (٨) عريت : خلت أبكروا : ساروا في البكرة ، وغودر : ترك ، والنؤى : حفرة حول الخباء تمنع السيل والشمم نيت ضعيف . (٩) الظعن . الجمال عليها الهودج ، أو هي النساء في الهودج ، تكنست الظباء . سكنت الكناس والقطن . الهودج ، تصر خيامها ، يسمع لها صرير . يريد أن ظعن الحي تركوا وطنهم وأسكنهم الرحيل رحالا يصفق بها الريح . (١٠) محفوف صفة للهودج يجف بالديباج ويزدان به جانباه ، يظل . يغطى أو يظلل والعصى هنا أعواد الهودج ، والزوج ، بساط يفرش على الهودج والكلبة ستر رقيق ، والقرام . ثوب ملون منقوش .

- زجلا كأن نِجاج توضح فوقها
 حَفِزَتْ وَزَايِلُهَا السَّرَابُ كَأَنَّهَا
 بِلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ «نَوَارٍ» وَقَدْنَاتٌ
 مَرِيَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدٍ وَجَاوَرَتْ
 بِمَشَارِقِ الْجَبَلِينَ أَوْ بِمَحْضَرِ
 فَصَوَائِقِ إِنْ أَيْمَنْتَ فَمِظْنَةٌ
 فَاقْطَعِ لِبَانَةَ مَنْ تَعْرُضُ وَصَلَهُ
 وَأَحْبَبِ الْمَجَامِلَ بِالْجَزِيلِ وَصَرْمُهُ
 بِطَلِيحِ أَسْفَارِ تَرْكُنِ بَقِيَّةِ
 فَإِذَا تَغَالَى لِحْمِهَا وَتَحَسَّرَتْ
- وِظِيَاءُ وَجِرَةٌ عَطْفًا آرَامَهَا (١)
 أَجْزَاعُ بَيْشَةَ أَثْلَهَا وَرِضَامَهَا (٢)
 وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابَهَا وَرَمَامَهَا (٣)
 أَهْلَ الْحِجَازِ فَايْنُ مِنْكَ مَرَامَهَا (٤)
 فَتَضَمَّنْتَهَا فَرْدَةً فَرِخَامَهَا (٥)
 مِنْهَا وَحَافُ الْقَهْرِ أَوْ طَلْخَامَهَا (٦)
 وَلِشْرٍ وَاصِلُ خَلَّةِ صِرَامَهَا (٧)
 بَاقٍ إِذَا ظَلَمْتَ وَزَاغَ قَوَامَهَا (٨)
 مِنْهَا وَأَحْنَقُ صَلْبِهَا وَسَنَامَهَا (٩)
 وَتَقَطَّعْتَ بَعْدَ الْكِلَالِ خَدَاعَهَا (١٠)

(١) زجل : الجماعة ، توضح ووجرة : موضعان ، النجاج : البقر ، عطفت الغلبة تعطف جيدها اذا ربضت ، يذكر أن النساء فوق الهوادج كأنهن النجاج أو الأرام والأعلام . (٢) حفزت : حثت على المسير ، وزايلها : فارقتها ، بيشة : واد ، والأجزاء منعطف الوادى . الأثل : نوع من الشجر ، والرضام : صخور عظام .

(٣) نوار : اسم حبيبتة ، الرمام : القطعة من الحبل البالى ، يريد أن الوصل تقطعت به الأسباب ، (٤) مريّة : تنسب الى مرة بن عوف فيد : موضع فى طريق مكة مرامها : منالها . (٥) الجبلان أجا وسلمى ، محجر : جبل فى بلاد طيبء ، فردة اسم أرض ، الرخاء : موضع كثير الأشجار (٦) الصوائق : جبل قرب مكة وتروى فصعائد ، وأيمنت : سارت نحو اليمن . وحاف : الصخرة السوداء ، والقهر . اسم موضع ، والطلخاء : القيلة .

(٧) البانة : الحاجة ، تعرض : تفيير .

(٨) واحب : أعطى المجامل المكافىء وصرمه باق : أى وقطيعته باقية — اذا ظلمت : اذا مالت مودته عنك وزاغ قوامها أى ملاكها .

(٩) الطليح : الناقة المعيبة . وأحنق بمعنى ضمير .

(١٠) تغالى : ارتفع من الهزال ، وتحسرت : تقطعت ، والكلال : الاعياء

- فلها هبابٌ في الزمامِ كأنها
أو ملمعٌ وسقت لأحقب لاحه
يعلو بها حدب الأكام مسحج
بأحزة الثلبوت يربأ فوقها
حتى إذا سلخا «جمادى» ستة
رجعا بأمرهما إلى ذى مرةٍ
ورمى دوايرها السفا وتهيجت
فتنازعا سبطاً تطير ظلاله
مشمولة غلثت بنابت عرفج
فمضى وقدمها وكانت عادة
فتوسطا عرض السرى وصدعا
صهباء راح مع الجنوب جُهامها (١)
طرد الفحول وضوبها وكدامها (٢)
قد رابه عصيانها ووحامها (٣)
قفر المراقب خوفها أرامها (٤)
جزءاً فطال صيامه وصيامها (٥)
حصد ونجح صريمة إبرامها (٦)
ريح المصايف سومها وسهامها (٧)
كدخان مشعلة يشبُّ ضرمامها (٨)
كدخان نار ساطع أسنامها (٩)
منه إذا هي عردت إقدامها
مسجورةً متجاوزا قلامها (١٠)

- (١) الهباب النشاط : والصهباء : السحابة التي لم يكن فيها ماء ، والجهام الذي لا ماء فيه ، والجنوب : هي الريح اليمانية . (٢) الملمع الأتان التي قد بان حملها واسودت حملاتها (٣) يعلو : يرتفع . الحدب : ما ارتفع من الأرض المسحج : المضعف رابه أى شككه . والعصيان : الامتناع . والوحام الكراهية لشيء . (٤) الأحزة : ما غلظ من الأرض . الثلبوت : موضع في نجد . يربأ : يرفع . قفر المراقب : على موضع الارتقاب . والأرام : الأعلام . (٥) أراد ستة أشهر أولها المحرم وآخرها جمادى ، جزءاً : أى استغنيا بالرطب من الكلا عن الماء ، والصيام : عن الماء ، وسلخا : أى مضى عليهما . (٦) رجعا : الأتان والحمار . بأمرهما : برأيهما ، ذى مرة . قوة ، يعنى الحمار ، حصد : محكم وصريمة : عزيمة ، والإبرام . الاحكام . (٧) الدواير : مآخير الجوافر ، والسفا . شوك البهى هنا ، المصايف : المرعى أيام المصيف ، سومها : مرها . السهام : وهج الصيف وشدة حره . (٨) تنازعا : تجاذبا . (٩) اسم الدخان . إذا ارتفع وكثر ، غلثت : خلطت ، العرفج : كثرة الدخان ، ساطع . مرتفع . (١٠) توسطا : دخلا وسطه عرض السرى : ناحية النهر . وصدعا : شققا . مسجورة : أى عينا مملوءة .

- محفوفة وسط. اليراع يظلمها
أفتلك؟ أم وحشية مسبوعة
خنساء ضيبت الفرير فلم يرم
لمعفر قهدٍ تنازع شلوه...
صادفن منها غرةً فأصبنها
باتت وأسبل واكف من دمة
تجتاف أصلاً قالصاً متنبذاً
يعلو طريقة متنها متواتراً
وتضى فى وجه الظلام منيرة
حتى إذا انحسر الظلام وأسفرت
- منها مُصرعُ غاية وقيامها (١)
خذلك وهادية الصور قواها (٢)
عُرض الشقائق طوفها وبغامها (٣)
غبس كواسب ما يمن طعامها (٤)
إن المنايا لا تطيش سهاها (٥)
يروى الخمائل دائماً تسجامها (٦)
بعُجوب أنقاء يميل هيامها (٧)
فى ليلة كفر النجوم ظلامها (٨)
كجمانة البحرى سل نظامها (٩)
بكرت تزل عن الثرى أزلامها (١٠)

(١) محفوفة: محوطة من جميع جوانبها، يعنى العين، مصرع: بعضه فوق بعض والغابة: الأجمة وهي الشجر الملتف. (٢) أفتلك: الأتان، أم وحشية: بقرة الوحش مسبوعة: أكل السبع ولدها، خذلت: تأخرت عن البقر والخذول: المتخلفة، وهادية متقدمة. (٣) خنساء: قصيرة الأنف، الفرير: ولد البقرة، يرم: يبرح، عرض أى ناحية، الشقائق: جمع شقيقة وهي ما بين الرملتين وطوفها، أى دورانها وتردها وبغامها: صوتها. (٤) المعفر ولد البقرة، والقهد: الأبيض تنازع: تجاذب، شلوه واحد الأشلاء وهي الأعضاء وغبس الذئب القبر وكواسب: تكسب ما تأكل، ما يمن طعامها ليس أحد يمن به عليها. (٥) صادفن وجدن، غرة: غفلة، فأصبتها: أوقعتها، لا تطيش: لا تخطيء.

(٦) أسبل: هطل، الواكف: المطر يقيم أياماً لا ينقطع، الخمائل الشجر الملتف والتسجام: كثرة المطر. (٧) تجتاف: تدخل جوفه، أصلاً قالصاً، يعنى أصل شجرة، بعجوب: أصل الذئب، يعنى أطراف الرمال، منتحياً. (٨) الطريقة، الخطة، متواتراً: متتابعاً، كفر: غطى والغماب: السحاب.

(٩) تضىء: تنير والجمانة: الحبة من اللؤلؤ، سل نظامها: وهو الخيط الذى يسلك فيه اللؤلؤ. (١٠) انحسر الظلام: انكشف، أسفرت: دخلت فى الاسفار وهو الصبح، بكرت: غدت بكرة، تزل: تسرع، الثرى: التراب، أزلامها: قوائمها.

- علّمت تبلد في نهاء صعائد سبغاً توؤماً كاملاً أيامها (١)
 حتى إذا يئست وأسحق حائقٌ لم يبله إرضاعها وفضامها (٢)
 وتسمعت رز الأنيس فراعها عن ظهر غيب والأنيس سقامها
 فعدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها (٣)
 حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا غضباً دواجن قافلاً أعصامها (٤)
 فلحقن واعتكرت لها مدريةٌ كالسمهرية حدها وتمامها (٥)
 لتذودهنّ وأيقنت إن لم تزد أن قد أحم مع الحتوف حماها (٦)
 فتقصدت منها كساب فضرجت بدم وغودر في المكرّ سخامها (٧)
 فبتلك - إذ رقص اللوامع بالضحي واجتنب أردية السراب إكامها (٨)
 أقضى اللبانة لا أفرط ريبة أو أن يلوم بحاجة لوامها (٩)
 أو تكن تدرى « نوارٌ » بأننى وصال عقد حباتل جذامها ؟ (١٠)
 تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حماها (١١)
 بل أنت لاتدرين كم من ليلة طلق لذيذ لهوها وندامها

(١) علّمت : تحيرت ، تبلد : تتردد ، وتتحير ، فى نهاء : غابئة ، الصعائد : المكان توؤماً : أى متتابعة لياليها . (٢) أسحق : ارتفع ، والحائق المرتفع وهو ضرعها ، والحائق : الجبل المرتفع . (٣) الفرجان ما بين القوائم ، مولى المخافة : صاحب المخافة . (٤) الغضب : جمع أغضب وهى الكلاب .

(٥) اعتكرت : اجتمعت ورجعت . مدرية : محددة ، والسمهرية : الرماح المنسوبة الى سمهر وهو رجل كان يقوم الرماح باليمن . (٦) تذودهن : أى تطردهن ، وأن قد أحم : قدر ، الحتوف : جمع حتف وهو الموت والحمام : الموت . (٧) فتقصدت : قصدت يعنى قتلت ، كساب : اسم كلبه ، فضرجت : خلطت ، وغودر : ترك ، فى المكر : موضع القتال ، سخامها : اسم كلب (٨) فبتلك : البكرة ، رقص : ارتفع ، اللوامع بالضحي : الآل ، واجتنب : لبس ، أردية : جمع رداء . (٩) اللبانة : الحاجة ، لا أفرط : لا أترك ، والريبة : الشك والمخافة . أو أن لا يلوم .

(١٠) وصال : أى أصل ولا أقطع .

(١١) تراك أمكنة يقول اذ رأى ما يكره تركها ، أو يرتبط : يتلف ،

وبعض بمعنى كل .

- قد بت سامرها وغاية تاجر
أغلى السبأ بكل أدكن عاتق
بصبوح صافية وجذب كرينة
باكرت حاجتها الدجاج بسحرة
وغداة ريح قد وزعت وقره
ولقد حميت الخيل تحمل شكتي
فعلوت مرتقياً على مرهوبة
حتى إذا ألفت يداً في كافر
أسهلت وانتصبت كجذع منيفة
رفعتها طرد النعام وفوقه
قلقت رحالتها وأسبل نحرها
ترقى وتطعن في العنان وتنتجى
وكثيرة غرباؤها مجهولة
- (١) وافيت إذ رفعت وعز مدأها
(٢) أوجونة قدحت وفض ختامها
بموتر تأناله إبهامها
لأعل منها حين هب نيامها
إذ أصبحت بيد الشمال زمامها
(٣) فرط وشاحي إذ غدوت لجامها
(٤) حرج إلى أعلامهن قتامها
(٥) وأجن عورات الثغور ظلامها
(٦) جرداء يحصر دونها جرامها
حتى إذا سخنت وخف عظامها
(٧) وابتل من زبد الحميم حزامها
(٨) ورد الحمارة إذ أجد حمامها
(٩) ترجى نوافلها ويخشي ذامها
(١٠)

- (١) بت سامرا: أي فيها وغاية تاجر يريد راية تاجر يبيع الخمر .
ويضع الراية ليعرف موضعه بها فرفعها لذلك . عز: غلا . مدامها: خمرها
وسميت مدامة لداومتها في الدن . (٢) السبأ: شراء الخمر .
وجونة: سوداء . والأدكن: الزق . قدحت غرقت . (٣) فرط: من
صفة الفرس السابق . وشكتي: سلاحي . (٤) فعلوت: طلعت مرتقياً
الحرج: الضيق . والأعلام: الصوت . والقمام: الفبار .
(٥) ألفت يدا . يعني الشمس . والكافر: البحر . وأجن: ستر .
العورات: جمع عورة . موضع المخافة . والثغر، موضع المخافة أيضاً .
(٦) أسهل . نزل السهل وانتصبت يريد الفرس . ومنيفة، يريدنخلة
طويلة: الجرام: الصرام . (٧) ركضها في المسير كما تطرد النعام
وفوقه: فوق الطرد وسخنت جمعت، وخف عظامها: وأسرت . فاذا
عرقت جاد جريها . (٨) الرحالة: سرج . والحميم: العرق، وأسبل
نحرها: جرى . (٩) إلى الماء وهو الورد . وترقى تعتمد . وتنتجى
تقصد . كأنها حمام أجهد نفسه . (١٠) يريدكم من خطة وحالة عظيمة
مشهورة حضرتها وكنت المقدم فيها . ترجى قوافلها: فضلها، ويخشي
عيها .

غلب تشذر بالدخول كأنها جن البدى رواسياً أقدامها (١)
 أنكرت باطلها وبوت بحقها يوماً ولم يفخر على كرامها (٢)
 وجزور أيسارٍ دعوت لحتفها بمغالق متشابه أعلامها (٣)
 أدعو بهن لعافر أو مطفل بذلت لجيران الجميع لحامها
 فالضيف والجار الغريب كأنما هبطا تبالة مخصباً أهضامها (٤)
 تأوى إلى الأطناب كل رزية مثل البلية قالص أهdamها (٥)
 ويكثلون إذا الرياح تناوحت خلجاً تمد شوارعاً أيتامها (٦)
 إنا إذا التقت المجامع لم يزل منا لزاز عظيمة جشامها (٧)
 ومقسم يعطى العشيرة حقها ومغذمر لحقوقها هضامها (٨)
 فضلاً، وذو كرم يعين على الندى سمح كسوب رغائب غنامها
 من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها
 إن يفزعوا تلق المغافر عندهم والسّن يلمع كالكوكب لامها
 لا يطبعون ولا يبور فعالهم إذ لا يميل مع الهوى أحلامها
 فبنوا لنا بيتاً رفيعاً سمكه فسا إليه كهلها وغلامها (٩)

- (١) تشذر: تهبأ للقتال . الدخول . الأحقاد ، البدى مكان معروف بالجن ، رواسياً: يعنى أنها ثابتة . (٢) بؤت: أقررت . (٣) الأيسار: الذين يحضرون القسمة ويضربون بالقداح ، والمغالق السابغ من سهام الميسر . (٤) يقول عنده من الخصب مثل ما عند أهل تبالة من الرطب (٥) الرزية: المرأة متى أهزلها أهلها . والبلية: ناقة الرجل تعقل عند قبره وتفقد عينها وي طرح حفتها ويلزون وجهها فلا تزال عند قبره حتى تموت ويحضر لها قدر ما بقيت قوائمها . الأطناب: حبال الفساطيط . والإهدام: الخلقان وقائص: قصير مرتفع . (٦) التكليل أن يوضع اللحم بعضه على بعض ، الخلج: الجفان ، شوارع جمع شارعة وهى من صفات الأيدى ، أى أيديهم ممدودة للأكل . (٧) المحافل: المجامع . لزاز: قرن ، لكل عظيمة جشامها أى متجشم لها ، متكفل بها . (٨) المقسم: يريد عامر بن الطفيل ، والمغذمر: الذى يأخذ من هذا ويعطى هذا ، والهضم: النقصان . (٩) بنوا: يعنى آباءه وأجداده ، السمك: المرتفع من الشيء .

فانفع بما قسم المليك فإنما
وإذا الأمانة قسمت فى معشر
فهم السعاة إذا العشيرة أفظعت
وهم ربيع للمجاور فيهم
وهم العشيرة إن يبطأ حاسد
ومنه قوله فى النعمان يرثيه :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول
أرى الناس لا يدرون ما قدر أسرهم
ألا كل شىء ما خلا الله باطل
وكل أناس سوف تدخل بينهم
وكل امرئ يوماً سيعلم غيبة
ويعتبر لبيد من رثى نفسه قبل
موته بقوله لابنتيه وهو محتضر :

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما
فإن حان يوماً أن يموت أبوكما
وقولا هو المرء الذى لاحليفه
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فلا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
ومن يبك حولاً كاهلاً فقد اعتذر

(١٠) علقمة بن عبدة التميمى

هو علقمة الفحل بن ناشر التميمى ، شاعر جاهلى مجيد من أقران امرئ
القيس ، مات قبل الإسلام بزمان طويل ، وإنما قيل له (الفحل) من أجل

(١) السعاة جمع ساع وهو المصلح ، وأفظعت : ابتليت بالأمر الفظيع .
وهو المهم .

(٢) السؤال بمعنى الاستفهام ، والمحاولة : استعمال الحيلة ،
والنحب : النذر .

(٣) الواسل الطالب والراغب الى الله ، أى أرى الناس لا يعرفون ما
هم فيه .

أن يتميز في الأخبار من شاعر آخر في قبيلته أيضاً يسمى علقمة الخصى بن سهل ويكنى أبا الوضاح أدرك الإسلام وأسلم ، وقيل سمي (الفحل) لأنه خلف امرأ القيس على زوجته بعد أن طلقها ، لأنما فضلت علقمة عليه حين حكماها في الشعر .

(١٠) معلقة علقمة الفحل بن عبدة التميمي

- طحابك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب (١)
تكلفني ليلي ، وقد شط. وليها وعادت عواد بيننا وخطوب (٢)
منعمة ، ما يستطاع كلامها على بابها من أن تزار رقيب (٣)
إذا غاب عنها البعل لم تفتش سره وترضى إياب البعل حين يؤوب (٤)
فلا تعدل بيني وبين مغمر سقتك روايا المزن حين تصوب (٥)
سقاك يمان ذو حبي وعارض تروح به جنح العشي جنوب (٦)

(١) طحابه قلبه : ذهب به كل مذهب ، والطروب : من الطرب ، وهو خفة السرور والشوق الى الشيء . وبعيد : تصغير بعد . حان المشيب : قرب أوانه ، أى أضلك قلبك الطروب في حبك الحسان بعد ما ذهب الشباب وقرب المشيب ، والخطاب لنفسه ، ثم التفت وتكلم عن نفسه فقال : تكلفني الخ .

(٢) شط وليها : بعد عنك قربها ودونها ومواصلتها ، عادت : شفت ، وصرفت مقلوب عداه عن الأمر صرفه ، والعوادي : جمع عادية ، وهى الأمر الشاغل عن الشيء والخطوب : جمع خطب وهو الأمر العظيم من حوادث الدهر .

(٣) منعمة : من النعيم فهى محجبة يعنى بحراسة أهلها لها . (٤) لم تفتش سره : كناية عن أنها لم تخنه ، ولذلك هى ترضى إياها فلا يعجبها غيره ، وإذا قرىء وترضى - بالضم - كان المعنى وتجعل إياها ، رضيا حميدا بالأشك فى صونها .

(٥) فلا تعدلى : فلا تسوى ، والمغمر من الرجال : المحقق من الرجال الذى يستجهله الناس ، سقتك الخ . يدعو لها بأن تسقيها المزن الروية أى تروى حين تمطر ، يريد أنه رجل عاقل نبيل ينبغى لها أن تحرص عليه ثم عاد الى الدعاء لها فقال ، سقاك الخ .

(٦) أى سقاك سحاب يمان يأتى من ناحية جنوبى نجد ، أصله يمتنى خففوا ياء النسب ، وزادوا الألف عوضا عنها ، فعومل المنسوب معاملة المنقوص ، الحبي : السحاب المتراكم =

- وما أنت ؟ أم ما ذكرها ربعةً يخط. لها من ثرمداء قليب (١)
 فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طيب (٢)
 إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له من وذهن نصيب
 يرذن ثراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب (٣)
 فدعها ! وسلّ الهم عنك بجسرة كهمك فيها بالرداف خبيب (٤)
 إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتي بكلكلها والقصريين وجيب (٥)

وقال أيضاً علقمة الفحل بن عبدة التميمي :

- والحمد لا يشتري إلا له ثمن مما يضمن به الأقسام معلوم (٦)
 والجد نافية للمال مهلكة والبخل مبق لأهليه ومذموم (٧)

= بعضه على بعض فيكون سيره بطيئا كأنه يحبو ، ويكون لذلك مطره غزيرا ، والعارض السحاب المعرض في الأفق ، والجنوب : الريح الجنوبية .

- (١) وما أنت : ما استفهامية للتعجب وأم للاضراب بمعنى بل ، أي ما شأنك ؟ بل ما الداعي لذكرك ليلى ، وهي ربعة وأنت تميمي ، وقد رحلت إلى بلادها حيث حط لها في ثرمداء قليب ، والقليب : البئر وثرمداء موضع ، ثم أخذ يصف النساء وطباعهن ، فقال فان تسألوني الخ .
 (٢) الأدوية : جمع داء ، أي بطباعهن المعينة التي بمنزلة الأمراض فيهن .
 (٣) الثراء : الكثرة أي يحبين من يعلمن عنده مالا ، وشرخ الشباب أوله ، وعجيب : معجب . (٤) الجسرة : الناقة القوية الماضية ، وكهمك أي مثل همتك في المضاء والقوة ، والرداف جمع رديف والرديف والردف كل شيء يكون خلف الراكب ولو حقائب ، والخبيب : السير السريع .
 (٥) والحارث الوهاب : يريد به الحارث بن جبلة بن أبي شمر الفسائي ، وكان أسر أخاه شاسا فرحل إليه يطلب خلاصه وفكه ، وأعمل الناقة : وجهها وأجهدا ، والكلكل : الصدر وما بين الترقوتين ، وهو المناسب هنا والقصريان : ضلعان يليان الترقوتين . والوجيب خفقان القلب أي أنه لشدة اجهادها في السير اشتد نبض قلبها . وبان ذلك في كلكلها وقصريها تقرب القلب منهما . (٦) يقول : أن الحمد لا يشتري إلا بأثمان تضن بها النفوس ، والحمد : الثناء والمدح . (٧) نافية أي مبيد ومهلك ، والبخل ، الخ . أي : أن البخل يوفر المال وأهله مأمونون وأدخل الهاء في نافية للمبالغة مثل علامة ونسابة .

- والمالُ صوف قرار يلعبون به على نقادته واف ومعلوم (١)
 ومطعمُ الغنم يوم الغنم مُطعمه أفي توجه ، والمحروم محروم (٢)
 والجهلُ ذو عرض لا يُستتراد له والحلم آونةٌ في الناس معدوم (٣)
 ومن تعرَّض للغربان يزررها على سلامته - لا بد - مشوم (٤)
 وكل حصن وإن طالت سلامته على دعائمه - لا بد - مهدوم (٥)

أمية بن أبي الصلت

هو أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي شاعر خطير من أشرف ثقيف ، وأحد الملتسمين للدين في الجاهلية ، وأمه رقية بنت عبد شمس بن عبد عناف .

منشؤه - نشأ بالطائف ، وكان أبوه شاعراً مشهوراً ، وروى الكثير من أخبار اليهود والنصارى وما بقي في رعموس شيوخ الجاهلية من ملة إبراهيم وإسماعيل وحدث عن خلق السموات والأرض والملائكة والجن وشرائع الأنبياء والرسل ، وخاض في التوحيد وأمر الآخرة ، وتعبد ولبس المسوح ، وحرّم الخمر على نفسه وشك في الأوثان ، ورأى في الكتب ما يبشر ببعثة نبي من العرب ، فطمع أن يكونه ؛ فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كُسف باله ، وحمله الحسد والكمد أن

(١) القرار : النقد . وهي غنم صفار الأجرام قصار الواحدة نقدة ، يلعبون به . أي يتداولونه ويعشون به ، واف : كثير ، ومعلوم : مجزوز بالجم أي المقص ، يريد أن منهم من يعطى القليل ومنهم من يعطى الكثير كما أن الصوف على النقد قليل وكثير . والنقادة : جمع لاسم الجمع .
 (٢) المعنى : أن الذي جعل الفتم له طعمة فسيطعمه في يوم الفتم أينما توجه . ومن حرّمه فلن يناله فقضاء الله كائن لا محالة .

(٣) ذو عرض لا يستتراد له ، أي : لا يراد ولا يطلب ، فانت لا تحبه ولا تريده ، آونة : أحياناً ، ومفرده : أوان . (٤) المعنى أن من يزررها الطير وان سلم فلا بد أن يصيبه شوم . والغربان يتشاءم بها . فمن تعرض لها يزررها ويطردها خوفاً من أن يصيبه الشوم فلا بد أن يقع ما يخاف ويحذر . (٥) يقول : كل حصن دامت سلامة أهليه فيه فلا بد أن يهلكوا ويخرب الحصن ، ودعائمه : أركانه التي يقوم بها .

ينابذه ، ويكفر بدينه على علمه بصحته ، ويحرض عليه قريشا ، ويرثى قتلاهم
 فى وقعة بدر ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رواية شعره فى ذلك وروى أنه
 هو الذى نزلت فيه آية « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه
 الشيطان فكان من الغاوين » وكان عليه الصلاة والسلام إذا سمع شعره فى
 التوحيد والإيمان والثناء على الله يقول : آمن لسانه ، وكفر قلبه .

ومن آخر شعره ما قاله عند موته :

كل عيش وإن تطاول دهرًا منتهى أمره إلى أن يزولا
 ليتنى كنت قبل ما قد بدا لى فى رُموس الجبال أروعى الوعولا
 فاجعل الموت نصب عينيك واحذر غولة الدهر إن ذا الدهر غولا

واختص بأكثر مدائحه فى الجاهلية « عبد الله بن جدعان أحد سراة
 قريش وأجوادها » حتى كان منه بمنزلة زهير مع هرم ، وأقام بقية حياته
 بالطائف إلى أن مات بها كافرا سنة تسع للهجرة .

شعره : يعد أمية من أكبر شعراء القرى على قلة الشعر فيهم ، غير أن الذى
 أزرى بشعره فى نظر بعضهم كثرة استعماله للدخيل من العبرية والسريانية فى شعره
 وكان أمية يسمى السماء : صاقورة ، وحاقورة ، ويزعم أن للقمر غلافاً يدخل فيه إذا
 خسف ويسميه (الساهور) ويسمى الله فى شعره السلطيظ . والتغرور ، ونحو ذلك .

ويمتاز شعره ببعض السهولة فى لفظه ، وبذكره بعض العجائب من
 القصص الخيالية ، والأساطير الخرافية ، وخلق العالم وفنائه ، وأحوال الآخرة
 وصفات الخالق والخشوع له ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء
 قبله ، ويتخلل ذلك شئ من الحكم والأمثال ، ومن شعره :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربى ومسانا
 رب الحنيفة لم تنفذ خزائنه مملوءة طبق الآفاق سلطانا
 ألا نبى لنا منا فيخبرنا ما بعد غايتنا من رأس محيانا

وقد علمنا لو أن العلم ينفعنا أن سوف تلحق أآخرانا بأولانا

الرواية والرواة

قد علمنا مما تقدم أن عامة المروى من كلام العرب شعرها ونثرها وأخبارها معزو إلى أهل البدو الأميين ، ولذلك لم يصل إلينا كتاب يجمع بين دفتيه الكثير منها ، وما روى لنا من كلام فصحاء العرب ليس إلا النزر اليسير بوجود مختلفة ، وبالطبع لا يحفظ. هذه الوديعة إلا أهل الحفاظ عليها ، والاعتداد بها وهم الشعراء والمتأدبون ، فقد كان امرؤ القيس راوية أبي داود الإيادي ، وزهير راوية أوس ابن حجر . والأعشى راوية المسيب بن علس . واشتهر من قريش أربعة بأنهم رواة الناس للأشعار وعلماءهم بالأنساب وهم مخزومة بن نوفل وأبو الجهم حذيفة ، وحويطب بن عبد العزى ، وعقيل بن أبي طالب .

العصر الثاني ، عصر صدر الإسلام ، ويشمل بنى أمية (١)

حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

كانت العرب أمماً بدوية ، ليس لها من وسائل العمران وأسباب الرخاء ما يحملها على تبخر في علم ، أو تبصر في دين ، أو تفنن في تجارة ، أو زراعة ، أو صناعة ، أو سياسة - وعلى وفق ذلك كانت اللغة العربية لاتعدو أغراض

(١) خلفاء بنى أمية هم :

- ١ - معاوية بن أبي سفيان (٦٠/٤١) - ٢ - يزيد بن معاوية (٦٤/٦٠)
- ٣ - معاوية بن يزيد (٦٤/ ٦٤) - ٤ - مروان بن الحكم (٥٦/٦٤)
- ٥ - عبد الملك بن مروان (٨٦/٥٦) - ٦ - الوليد بن عبد الملك (٩٥/٨٦)
- ٧ - سليمان بن عبد الملك (٩٩/٩٦)
- ٨ - عمر بن عبد العزيز (١٠١/٩٩)
- ٩ - يزيد بن عبد الملك (١٠٥/١٠١)
- ١٠ - هشام بن عبد العزيز (١٢٥/١٠٥)
- ١١ - الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٦/١٢٥)
- ١٢ - يزيد بن الوليد الأول (١٢٦/١٢٦)
- ١٣ - مروان الجعدي (١٣٢/١٢٧) .

المعيشة البدوية - إلا أن روحاً من الله تنسم بين أرجائها فأيقظتها من رقدتها ونبهتها لضرورة التعاون على الخير في معاشها ولُغتها وجماعتها ، فظهر ذلك بيناً في الأسواق التجارية اللغوية الاجتماعية ، وفي الإذعان فيها إلى حكومة الأشراف من قريش وتيم وغيرهما ، مما هيأهم لأن يجتمعوا تحت لواء واحد ، ويتفاهموا بلسان واحد ، فكان ذلك إيذاناً من الله بإظهار الإسلام فيهم ، وما ألفت نفوسهم هذا النمط الجديد إلا وقد جاء النبي الكريم لأممنا لشعثهم ، موحداً لكلمتهم مَهذباً لطباعهم ، مَبِيناً طريق الحق ، وجادة الصواب ، بشريعة عظيمة فكان من نتيجة ذلك أن أسست لهم جامعة قومية مليّة ومملكٌ كبير - وبالتفاف العرب حول صاحب هذه الدعوة وأنصاره ، وتفهمهم شريعته وكلامه ثم خضوعهم بعد لزعامه قومه وخلفائه وولّاتهم وفتوحهم تحت ألويتهم ممالك الأكاسرة والقياصرة وغيرها ومخالطتهم أهلها بالجوار والمُصاهرة حدث في حياتهم الفكرية واللسانية ، ما يمكن إجمالاً في الأمور الآتية :

الاول : شيوع اللغة القرشية ، ثم توحيد لغات العرب وتمثلها جميعها في لغة قريش واندماج سائر اللهجات العربية فيها ، وبعض أسباب هذا يرجع إلى ما قبل الإسلام بتأثير الأسواق والحج وحكومة قريش - وأكثرها يرجع إلى نزول القرآن بلغتهم وظهور ذلك الداعي العظيم منهم ، وانتشار دينه وسلطانه على أيديهم . وبحكم الضرورة تكون لغتهم هي الرسمية بين القبائل

الثاني : انتشار اللغة العربية في ممالك الفرس والروم وغيرها بالفتوح والمغازي وهجرة قبائل البدو إليها ، واستيطانهم لها واختلاطهم بأهلها .

الثالث : اتساع أغراض اللغة بسلوكها منهجاً دينياً ، واتباعها خطة نظامية تقتضيها حال الملك وسكنى الحضرة .

الرابع : ظهور المعاني والتصورات وتغيّرات الألفاظ والأساليب .

الخامس : ظهور اللحن في الكلام بين المستعربين : من الموالى ، وأبناء العرب من الفتيات ، وبعض العرب المكثرين من معايشة الأعاجم .

ولما كان معظم هذه التغيرات يرجع إلى القرآن الكريم والحديث النبوي ناسب وصفهما من كثير مما ينبغي أن يقال فيها .

القرآن الكريم وأثره في اللغة العربية^(١)

القرآن (كتابٌ أحكمت آياته ، ثم فصلت من لَدُنْ حكيمٍ خبيرٍ) فيه آيات بينات ، ودلائل واضحة ، وأخبار صادقة ، ومواعظ راثقة ، وشرائع راقية ، وآداب عالية بعبارات تأخذ بالألباب أساليب ليس لأحد من البشر بالغاً ما بلغ

(١) اعلم أولاً أن اعجاز القرآن من جهة أغراضه . فجدده في كل غرض وموضوع غاية في الإبانة والجلالة ونهاية في الإصابة وإطراد الأحكام . فمن تشريع خالد ، وتهذيب بارع ، وتخليم جامع ، وأدب بالغ . وارشاد شامل ، وقصص ومواعظ ومثل سائر ، وحكمة بالغة . ووعد وعيد ، وأخبار بغيبة ، إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد ، وقد كان فحول البلاغة لا يبرز أحدهم الا في فن واحد من أنواع القول فمن يبرع في الخطابة لا ينسج في الشعر ومن يحسن الرجز لا يجيد القصيد ومن يستعظم منه الفخر لا يستعذب منه النسيب ولا من ما ضربوا المثل بامرئ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والأعشى اذا طرب والنايفة اذا رهب .

ثانياً : من جهة ألفاظه وأساليبه ، فلا تجد منه الا عذوبة في اللفظ ، ودمائة في الأساليب وتجاوزها في التراكيب ، ليس فيها وحشى متنافر ولا سوقى مبتذل ، ولا تعبير عويص ، ولا فواصل متعملة . على شيوع ذلك في كلام المفلقين وأهل الحيلة المترولين حتى انك لترى الجملة المقتبسة منه في كلام أفصح الفصحاء منه تفرعه جمالا . وتشمله نورا وتكسوه روعة وجلالا ، الى اجمال في خطاب الخاصة وتفصيل في تفهيم العامة وتكنية العربي . وتصريح للأعجمي وغير هذا مما يقصر عن احصائه الامام ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام .

ثالثاً : من جهة معانيه ، فانك تجدها من معين العرب الذي منه يستقون لاطراد صدقها قرب تناولها واطمئنان النفوس اليها وابتكارها البديع على غير مثال معهود ، من حجج باهرة وبرهانات قاطعة وأحكام مسلمة وتشبيهات رائعة على نموذج وتواصل وبراعة من التقاطع والتدابير وهو في جملته نزهة النفوس وشفاء الصدور وهو الكتاب الخالد الذي لا تبدل لكلماته ولا ناسخ لأحكامه ولا ناقص . (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

من الفصاحة والبلاغة أن يأتي بمثلها، أو يفكر في محاكاتها، فهو آية الله الدائمة، وحُجته الخالدة: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) أنزله الله على رسوله ليبلغه قومه وهم فحول البلاغة وأمراء الكلام، وأناة الضيم، وأرباب الأنفة والحمية. فبهرهم بيانه، وأذهلهم افتنانه فاهتدى به من صحَّ نظره، واستحصف عقله، ولطف ذوقه، وصدَّ عنه أهل العناد والمكابرة واللجاج - فتحدَّاهم أن يأتيوا بمثله فنكصوا، ثم بعشر سور مثله، فعجزوا، ثم بسورة من مثله فانقطعوا، فحقَّ عليهم إعجازه - قال تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً).

وللقرآن فضلٌ على اللغة فقد أثر فيها ما لم يؤثره أى كتاب سماوياً كان أو غير سماوياً في اللغة التي كان بها، إذ ضمن لها حياة طيبةً وعمراً طويلاً؛ وصانها من كل ما يشوه خلتها ويذوي غضارتها - فأصبحت وهي اللغة الحية الخالدة من بين اللغات القديمة التي انطمست آثارها وصارت في عداد اللغات التاريخية الأثرية وأنه قد أحدث علوماً جمة وفنوناً شتى لولاه لم تخطر على قلب، ولم يخطها قلم - منها: اللغة، والنحو، والصرف، والاشتقاق، والمعاني، والبديع، والبيان، والأدب، والرسم، والقراءات، والتفسير، والأصول، والتوحيد، والفقهاء.

جمع القرآن وكتابتها

وقد نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنجماً على حسب الوقائع ومقتضيات الأحوال في بضع وعشرين سنة، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر كتَّاب وحيه بكتابة ما يُنزل - وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن كله مكتوب، وفي صدور الصحابة محفوظ، وفي مدة الإمام عثمان كثرت الفتوحات وانتشر القراء في الأمصار، فأمر عثمان، زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن

ابن الحارث بن هشام - فنسخوا تلك الصحف في مُصحفٍ واحد مرتبٍ
السور - واقتصر فيه من جميع اللغات على لغة قريش لنزوله بلغتهم .

صاحب الشريعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

هو سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن
قصي من أبناء إسماعيل بن إبراهيم الخليل أبي العرب المستعربة ، وُلد في (مكة)
ونشأ بها يتيمًا ، وربته أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، وأرضعته حليلة
بنت أبي ذؤيب من عرب البوادي ، وماتت أمه وعمره ست سنين ، فعاله
جده عبد المطلب ثم مات جده بعد سنتين ، فكفله عمه أبو طالب .

وعندما بلغ أشده تولى رعى الغنم بالبادية مع إخوته في الرضاع ، وكذلك
كانت الأنبياء عليهم السلام ، فما من نبي إلا رعاها ، وهذه من حكم الله سبحانه
وتعالى فإن الإنسان إذا استرعى الغنم وهي أضعف البهائم سكن قلبه الرفق
والرحمة ، فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هذب نفسه ، وخلصها من
شوائب الخلق الغريزية كالحدة والحسد ، ثم اشتغل عليه السلام بالتجارة ، وكان
شريكه فيها السائب ، وخرج إلى الشام يتجر لخديجة بنت خويلد من سراة بني
أسد ، وشرفت بعد ذلك خديجة بزواجه منها ، فكان يعمل في مالها تاجرا .

صفاته : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط القامة ليس بالطويل
البائن ولا القصير المتردد معتدل السمن ، ضخم الرأس ، عظيم الهامة ،
صلت العجيين ، سهل الخدين ، واسع العينين أسودهما ، أزج الحاجبين
سابغهما ، أهدب الأشفار صبيح الوجه مدور مستوى الأنف مُفلج
الأسنان ، رجل الشعر حسنة ، عريض الصدر ، رحب الراحتين ، سائل
الأطراف ، أزهر اللون ، فلا بالآدم ولا بالشديد البياض .

وكان عليه السلام أفصح قومه لساناً ، وأرجحهم عقلاً وأصحهم فهماً ، وأعظمهم

أمانة ، وخيرهم جواراً وأصدقهم حديثاً ، وأكثرهم اتصافاً بمكارم الأخلاق .
ولما بلغ الأربعين من عمره أرسله الله للعالمين بشيراً ونديراً إذ نزل عليه
الوحي وهو قائم على جبل (حراء) قريباً من (مكة) فأخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعو لعبادة الله وحده أقواماً لا دين لهم إلا أن يسجدوا
للأصنام فآمنت به زوجته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب وصديقه
أبو بكر ومولاه زيد بن حارثة الكلبي ، وحاضنته أم أيمن .

وجمع رسول الله عشيرته ، وهم بنو هاشم ، وبنو عبد المطلب ، وبنو
نوفل ، وبنو عبد شمس أولاد عبد مناف وقال لهم : (إنَّ الرَّأْدَ لَا يَكْذِبُ
أَهْلُهُ وَاللَّهِ لَوْ كَذَبَتِ النَّاسَ جَمِيعًا مَا كَذَبْتُمْ ، وَلَوْ غَرَّرْتُ النَّاسَ جَمِيعًا
مَا غَرَّرْتُمْ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً وَإِلَى النَّاسِ
كَافَّةً) فقالوا له قَوْلًا لِينًا إِلَّا عَمَّهُ أَبَا لَهَبٍ .

فلما جهر رسول الله بالدعوة إلى الإسلام بتوحيد الله ونبذ الأوثان سخرت منه
(قريش) واستهزئوا به في مجالسهم وأضرموا له الحقد والعداوة وآذوه كثيراً ،
وكان أشدهم في ذلك أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي .
ثم أسلم حمزة عم رسول الله ثم عمر بن الخطاب ، فقوى بهما وأسلم بمكة نفر
من ولد (الأوس ، والخزرج) وهما قبيلتان من أهل (المدينة) وعادوا إليها ،
فانتشر فيها الإسلام بهم ، ووفد على رسول الله جمع من أهلها يدعونه وأصحابه
إلى الهجرة إليهم فهاجر ، وبهجرته إلى المدينة ابتداءً التاريخ الهجري .

ولم يقابل رسول الله أحداً على الدخول في الدين بل كان أمره مقصوراً على
التبشير والإنذار ، فلما ازداد طغيان أهل (مكة) وأخرجوا المسلمين من ديارهم ،
واتتمروا مع غيرهم من مشركي العرب على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن الله
سبحانه وتعالى بقتال المشركين كافة فكانت أول حرب بين رسول الله وبينهم في

(غزوة بدر) وتلتها غزواتٌ عدَّةٌ كان النصر في أكثرها لرسول الله ولجماعته .
 وبعث رسول الله رُسُله يدعون إلى الإسلام وهم دحية الكلبي إلى (هِرقل) ملك
 الروم ، وعبد الله بن حُذافة إلى (كسرى) ملك الفرس ، وشجاع الأسدى إلى
 (الحارث الغسانی) ملك البلقاء بالشام ، والحاطب بن أبي بلتعة إلى (المقوقس)
 أمير مصر ، وسليط بن عمرو العامري إلى (هَوْدَة) صاحب اليمامة ، وبعث عمرو
 بن أمية إلى النجاشي (أصْحَمَة) ملك الحبشة فأسلم ، وعمر بن العاص إلى
 (جَيْفِر) و(عبدًا) ملكي عمان فأسلما ، والعلاء بن عبد الله الحضري إلى
 (المنذِر) ملك البحرين فأسلم ، وخالد بن الوليد إلى (بني عبد المدان) ، وعلى
 ابن أبي طالب إلى (بني مَدْحِج) في أرض (اليمن) فأسلموا ، وأسلمت (همدان)
 وتابعتها سائر أهل (اليمن) وملوك (حَمِير) ثم أقبلت بعد ذلك وفود العرب
 جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يبأيعونه على الإسلام .

وحجَّ رسول الله فخطب في الناس خطبة الوداع وهي أكثر خطبة
 استيعاباً لأُمور الدين والدنيا . وفي يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع
 الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة توفي رسول الله بالمدينة وفيها دُفن -
 وله من العمر ٦٣ سنة قمرية . وثلاثة أيام .

الحديث النبوي

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح الناس وأبينهم وأحكمهم ،
 وكانت حياته كلها هداية ونوراً . وأفعاله وأقواله جميعها مداداً يستمد منه
 الخلق سدادهم وإرشادهم في معاشهم ومعادهم - ولهذا حرص المسلمون على
 حفظ ذلك الأثر العظيم حرصاً لم توفق إلى مثله أمة في حفظ آثار رُسُولها -
 فجمعوا من كلامه ، ووصف أفعاله وأحواله الأسفار الضخام ، ووعوا منها في
 صُدُورهم ما لا يدخل تحت حصر - وكلامه صلى الله عليه وسلم منزَّه عن

اللغو والباطل ، وإنما كان في توضيح قرآن ، أو تقرير حكم ، أو إرشاد إلى خير ، أو تنفير من شر ، أو في حكمة ينتفع الناس بها في دينهم ودنياهم يعبرة هي في الفصاحة والبلاغة والإيجاز والبيان في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم ، ولذلك كان تأثيرها في اللغة والأدب بالمنزلة التالية لكلام الله تعالى .

النثر - لغة التخاطب - الخطابة - الكتابة

كانت لغة التخاطب في مبدئ الإسلام بين العرب الخالص والموالي النابتين فيهم هي العربية الفصيحة المعربة - وكانت لغة الموالى الطائرين عليهم تقرب من الفصيحة أو تبتعد عنها على حسب طول لبثهم فيهم ، أو قصر مقامهم عندهم ، ولما فتح المسلمون الأمصار ، وكثر عندهم سبب الأعمام وأسرى الحروب ، ودخل في الإسلام منهم ألوف الألوف ، وأصبحوا لهم إخواناً وشركاء في الدين وتم بينهم الزواج والتناسل ، نشأ للعرب ذرية اختلطت عليهم ملكة العربية ، وكذلك كان الشأن في المتعربين من الأعاجم ، أما العرب أنفسهم بعد الفتح فكانت لغتهم في جزيرتهم مثل ما كانت عليه في جاهليتهم ، أما سكان الأمصار منهم وأولادهم من الحرائر ، فالعامة منهم المخالطون للأعاجم لم تخل لغتهم من لحن أو هجئة ، والخاصة منهم تشددوا في المحافظة في سلائقهم ، وتحاموا الزواج بالأعجبيات ، وبالغوا في تربية أبنائهم ، فكانوا يرسلونهم إلى البادية ليرتاضوا على الفصاحة ، أو يحضرون لهم المؤدبين والمعلمين - كذلك كان يفعل خلفاء بني أمية وأمرؤهم اقتداءً بكبيرهم (معاوية بن أبي سفيان) في تربية ابنه (يزيد) ومن لحن منهم عدوا ذلك عليه عاراً لا يحى وسبباً لا تزول ، ومن هولاء اللحنين عبد الله بن زياد ، والوليد بن عبد الملك ، وخالد القسري - مع أن بعضهم كان من أبلغ الناس وأبينهم .

ومن هنا يعلم السرفى تسرع القوم إلى وضع النحو وتدوينه والشكل والإعجام

الخطابة والخطباء في هذا العصر

لما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أي أمة : إما دعوة دينية ، وإما دعوة سياسية كانت تلك الدعوة تستدعي ألسنة قوالة من أهلها لتأييدها ونشرها وألسنة من أعدائها وخصوصاً لإدحاضهم والصد عنها . وذلك لا يكون إلا بمخاطبة الجماعات - كان ظهور الإسلام من الحوادث التي أنشطت الألسن من عقلها وأثارت الخطابة من مكننها فوق ما كانت عليه في جاهليتها فكان العمل الأكبر لصاحب الدعوة العظمى سيدنا (محمد) صلى الله عليه وسلم يادىء أمره غير تبليغ القرآن وارداً من طريق الخطابة، ولأمر ما جعلها الشارع شعار كل الأمور ذوات البال ولذلك كان دعاة النبي عليه الصلاة والسلام ورسله إلى الملوك وأمراء جيوشه وسراياه ثم خلفاؤه من بعده وعمالهم كلهم خطباء مصاقع ولسنا مقاول ، وأن الشرع صرفهم عن اللهو بالشعر الذي لا ينهض بأعباء الخطابة ولا سيما الدينية لشرحها الحقائق وقرعها الأسماع بالحجج العقلية والوجدانية ، وترغيبها في الثواب وترهيبها من العقاب ، بعبارات تفهمها الخاصة والعامة ، وكان لهم من القرآن وأدلته وحججه والاقتباس منه مددٌ أيما مدد - ولما حدثت الفتنة بين المسلمين بعد مقتل عثمان ، وافترقوا إلى عراقيين بزعامة الإمام علي - وشاميين بزعامة معاوية ، ولكل منهم دعوة يؤيدها ورغبة يناضل عنها في تلك الحرب الشعواء التي لم ينكب الإسلام بمثلها ظهر من كلتا الطائفتين خطباء لا يحصى عددهم ، ولا يُشَقَّ غبارهم وعلى رأس العراقيين شيخ الخطباء الإمام (علي بن أبي طالب) وعلى رأس الشاميين (معاوية بن أبي سفيان) ولم تعدم كل طائفة منها خطباء يؤيدون دعوتها بما أوتوا من البلاغة في الخطابة والفصاحة والبيان .

والخطابة وصلت في هذا العصر إلى أرقى ما وصلت إليه من اللسان العربي حتى ممن يعد عليهم اللحن ولم تسعد العربية بكثرة خطباء ووفرة

خطب مثل ما سعدت به في هذا الصدر الأول . إذ كان القوم ورؤساهم عرباً خالصاً يسمعون القول فيتبعون أحسنه .

ولم يخرج الخطباء عن مألوفهم من اعتجار العمامة ، والاشتهال بالرداء واختصار المختصرة ، والخطبة من قيام .

وليس في عصور أدب اللغة عصر أحفل بالخطباء من هذا العصر إذ كانت الخطابة فيه سلسلة القياد على خلفائه وزعمائه لفطرتهم العربية ، ومحلهم من الفصاحة والبيان ، وانطباعهم على أساليب القرآن واتساع مداركهم .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة : ثم قال :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق الله وعده ، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، إلا كل ماثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين . إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ألا وقتيل الخطأ العمد بالسوط والعصا فيه للدية مغلظة فيها أربعون خلفة ، في بطونها أولادها ، يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيها بالآباء ، والناس من آدم وآدم خلق من تراب ، ثم تلا هذه الآية : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .

ومن خطبته في حجة الوداع

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . ومن سيئات أعمالنا ، من يهدي الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحسبكم على طاعته ، وأستفتح بالذي

هو خيرٌ (أما بعد) أيها الناس اسمعوا مني أُبَيِّنُ لكم ، فإنِّي لا أدري لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا ، أيها الناس إن دماءكم وأهوالكم حرامٌ عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ألاهل يبلغتُ ؟ اللهم اشهد ! فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وإن رباً الجاهلية موضوعٌ ، وإن أول رباً أبدأ به رباً عمى العباس بن عبد المطلب وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ، والعمد قودٌ ، وشبه العمد ما قُتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بغير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية ، أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حق ، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنتكم ولاياتين بفاحشة ، فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهن خيراً ، ألا هل بلغتُ اللهم اشهد ! أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ، فلا يحل لامرئٍ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ألا هل بلغتُ اللهم اشهد ! فلا ترجعن بعد كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنِّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده : كتاب الله وسنتي ألا هل بلغتُ ، اللهم اشهد ؟ أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ألا هل بلغتُ ؟ اللهم اشهد ! قالوا : نعم ! قال : فليُبَلِّغِ الشاهد الغائب ، والسلام عليكم ورحمة الله .

ومن أحادبثه عليه الصلاة والسلام :

إن مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أصاب أرضاً ، فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكلاً والعُشب الكثير ، وكان منها أجادبٌ أمسكت الماء ، فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلاً ، فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثنى الله تعالى به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به .

إنما مثلى ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار تقع فيها ، فجعل ينزعهن ويغلبهن فيقتحمهن فيها ، فأننا آخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تقتحمون فيها .
أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك .

إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب .

مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

أبو بكر الصديق رضى الله تبارك وتعالى عنه

هو أبو بكر عبد الله عتيق بن أبى قحافة عثمان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأول الخلفاء الراشدين ، ويجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب .

ولد بعد مولد رسول الله بستين وبضعة أشهر ، ونشأ من أكرم قريش خلقاً وأرجحهم حلماً وأشدهم عفة ، وكان أعلمهم بالأنساب وأيام العرب ومفاخرهم . صحب رسول الله قبل النبوة ، وكان أول من آمن به من الرجال وصدقه فى كل ما جاء به : ولذلك سُمى « الصديق » وهاجر معه إلى المدينة ،

وشهد معه أكثر الغزوات ، وما زال ينفق ماله وقوته في معاضدته ، حتى انتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى .

واختلفت العرب وارتدت عن الإسلام ، فجرد عليهم الجيوش حتى قمعهم ، وما مات إلا وجيوشه تهزم جيوش الفرس والروم ، وتستولى على مدائنهم وحصونهم ، وكانت وفاته عام ثلاثة عشر من الهجرة ، ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال .

وكان فصيحاً بليغاً خطيباً مفوهاً قوى الحججة - شديد التأثير - يشهد بذلك خطبته يوم السقيفة ، وذلك أنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفت الصحابة فيمن يبايعونه خليفة له عليهم ، فأبى الأنصار إلا أن يكون الخليفة منهم ، وأبى المهاجرون من قريش إلا أن يكون منهم ، واشتد النزاع حتى كادت تقع الفتنة ، فخطبهم خطبة لم يلبث الجمع بعدها أن يبايعوه (خليفة) ، وهي :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس نحن المهاجرون ، وأول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، وأكثر الناس ولادة في العرب ، وأمسهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا في القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان) فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار : إخواننا في الدين وشركاؤنا في النعم ، وأنصارنا على العدو ، آويتم وواسيتم ، فجزاكم الله خيراً ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش ، فلا تنفيسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

وخطب أيضاً حين بايع للناس البيعة العامة :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إني قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني ،

أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لى عليكم - ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه .
أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

وخطب أيضاً الناس ، فقال - بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم :

أوصيكم بتقوى الله ، والاعتصام بأمر الله الذى شرع لكم ، وهداكم به ، فإن جوامع هدى الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم فإن من يطع الله وأولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقد أفلح وأدى الذى عليه من الحق ، وإياكم واتباع الهوى ، فقد أفلح من حفظ . من الهوى والطمع والغضب ، وإياكم والفخر ! وما فخر من خلق من تراب ثم إلى التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حى وغدا ميت ؟ ! فاعملوا يوماً بيوم ، وساعة بساعة وتواقوا دعاء المظلوم ، وعدوا أنفسكم فى الموتى واصبروا ، فإن العمل كله بالصبر ، واحذروا ، والحذر ينفع ، واعملوا ، والعمل يقبل ، واحذروا ما حذركم الله من عذابه وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته وافهموا وتفهموا ، واتقوا ، وتوقوا ، فإن الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم ، وما نجى به من نجى قبلكم قد بين لكم فى كتابه حلاله وحرامه ، وما يجب من الأعمال وما يكره فإنى لا ألوكم ونفسي ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله ، واعلموا أنكم ما أخلصتم لله من أعمالكم ، فربكم أطعم وحظكم حفظتم واغتبطتم ، وما تطوعتم به لدينكم فاجعلوه نوافل بين أيديكم تستوفوا سلفكم وتعطوا جراتكم حين فقركم وحاجتكم إليها ، ثم تفكروا عباد الله فى إخوانكم وصحابتكم الذين مضوا قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه وحلوا فى الشقاء أو السعادة فيما بعد الموت إن الله ليس له شريك . وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به

خيراً ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره ، فإنه لاخير في خير بعده النار ، ولا شر في شر بعده الجنة .

من حكم سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه :

- (١) صنائع المعروف تقي مصارع السوء .
- (٢) ليست مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة .
- (٣) ثلاث من كن فيه كُنَّ عليه : البغى ، والتكث ، والمكر .
- (٤) كثير القول يُنسى بعضه بعضاً ، وإنما لك ما وعى عنك .
- (٥) أصلح نفسك يصلح لك الناس .

سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب القرشى - ثانى خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأول من تسمى من الخلفاء (بأمر المؤمنين) وأول من أرخ بالتاريخ الهجرى ، ومصر الأمصار ودون الدواوين .

ولد رضى الله عنه بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة . وحضر مع رسول الله الغزوات كلها ثم لما قبض أعان أبو بكر على تولية الخلافة ، ولما أحس أبو بكر بالموت عهد بها إليه ، فقام بأعبائها خير قيام ، وأتم جميع ما شرع فيه أبو بكر : من فتح ممالك كسرى وقيصر .

وقتله غيلة الغلام الشقى أبو لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة الجوسى ، لأنه لم ينصفه على زعمه فى تخفيض مايدفعه لسيدة من أجره عمله . وكان قتله سنة ٢٣ هـ . ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام ، وكان رضى الله عنه من أبين الناس منطقاً ، وأبلغهم عبارة ، وأكثرهم صواباً وحكمة ، وأرواهم للشعر ، وأنقدهم له .

ومن خطبه خطبته إذ ولى الخلافة

صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس ، إني داع فأمذوا :

اللهم إني غليظٌ. فليني لأهل طاعتك بموافقة الحق ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة ،
وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم
ولا اعتداء عليهم ، اللهم إني شحيحٌ فسخني في نوائب المعروف قصداً من
غير سرف ولا تبذير ، ولا رياء ولا سُمعة ، واجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار
الآخرة اللهم أرزقني خفض الجناح ، ولين الجانب للمؤمنين ، اللهم إني كثير
الغفلة والنسيان فألهمني ذكرك على كل حال ، وذكر الموت في كل حين ،
اللهم إني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها والقوة عايتها بالنية
الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك ، اللهم ثبتني باليقين ، والبر والتقوى ،
وذكر المقام بين يديك ، والحياء منك ، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني ،
والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحد من الشبهات ، اللهم أرزقني
التفكير والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك ، والفهم له والمعروف بمعانيه ،
والنظر في عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، إنك على كل شيء قدير .

ومن خطبه في ذم الدنيا

إنما الدنيا أمل مخترم ، وأجل منقض ، وبلاغٌ إلى دار غيرها ، وسير إلى
الموت ليس فيه تعريج ، فرحم الله امرئاً فكر في أمره ، ونصح لنفسه ، وراقب
ربه ، واستقال ذنبه ، بثس الجارُّ الغنى يأخذك بما لا يعطيك من نفسه ، فإن
أبيت لم يعذرك ، وإياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم ،
ومؤدية إلى السقم ، وعليكم بالقصد في قوتكم ، فهو أبعد من السرف ، وأصح
للبدن ، وأقوى على العبادة ، وإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه .

ومن حكم سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه

- (١) من كتم سره كان الخيار في يده . (٢) أشقى الولاة من شقيت به رعيتته
- (٣) لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً .
- (٤) من لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه .

(٥) أعقل الناس أَعذرهم للناس . (٦) لا تؤخر عمل يومك إلى غدك .
 (٧) أبَت الدراهم إلا أن تخرج أعناقهم . (٨) من يئس من شئ استغنى عنه .

ومن خطبته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري

« أما بعد » فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلى إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لانفاذه ، آس^(١) بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك^(٢) ، ولا يئس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً ، لا يمنحك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التماهى في الباطل ، الفهم ، الفهم فيما تجلج^(٣) في صدرك ، مما ليس في كتاب ولا سنة^(٤) ، ثم اعرف الأشياء والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمداً ينتهى إليه ، فإذا أحضر بينته أخذت له بحقه ، وإلا استحقت عليه القضية ، فإنه أنفى للشك وأجلى للعمى ، المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرباً عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو نسب^(٥) ، فإن الله تولى منكم السرائر ، ودرأ بالبينات والأيمان^(٦) ، وإياك والقلق والضجر^(٧) ، والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق في مواطن الحق يعظم الأجر ، ويحسن به النخر ، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفء الله ما بينه وبين الناس ، ومن

(١) آس بين الناس : سو بينهم . (٢) الحيف : الميل أى ميلك معه لشرفه . (٣) تجلج : تردد حتى كان موقع حيرة . (٤) الكتاب . القرآن الكريم . والسنة ما أثار عن النبى من قول أو فعل أو تقرير . (٥) ظنين : متهم أى ينتسب الى غير أبيه أو يدعى الى غير مواليه ، فليس أهلاً للشهادة . (٦) درأ : دفع يريد منه الحدود . (٧) القلق والضجر ضيق الصدر وقلة الصبر .

تخلق^(١) للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله^(٢) ، فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته ، والسلام^(٣) .

عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه

هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان القرشى الأموى . ثالث الخلفاء الراشدين ، وموجد نسخ القرآن المبين . ولد في السنة السادسة من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وآمن في السابقين الأولين وبذل ماله الكثير في تأييد الإسلام ومعونة المجاهدين وشهد مغازى رسول الله كلها إلا بدرًا - وقد كان عمر قبل وفاته عهد بالخلافة إلى ستة هو منهم - تنتخب الأمة أحدهم خليفة ، فانتخبوا بالشورى عثمان ، فأكمل مغازى عمرح ثم ثار عليه بعض الأعراب بحجة أنه يؤثر أقرباءه بولاية الأقاليم ؛ فحاصروه في داره بالمدينة وقتلوه وهو يتلو القرآن الكريم سنة ٣٥ هـ ؛ فكان قتله سبب التفرق بين المسلمين ؛ وكانت مدة خلافته اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشرة يوماً .

وكان رحمه الله من بلغاء الخطباء ، وأوجزهم لفظاً ؛ وأجزلهم معنى ؛ وأسهلهم عبارة ؛ ومن خطبه بعد أن بويع ، وهى بعد الحمد والثناء :
 أما بعد - فإنى قد حملت وقد قبلت ، ألا وإنى متبع ولست بمتدع ، ألا وإن لكم على بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً : اتباع من كان قبلى فيما اجتمعتم عليه وسننتم ، وسن سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ ، والكف إلا فيما استوجبتم - ألا وإن الدنيا ، خضرة قد شهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم ، فلا تركنوا إلى الدنيا ، ولا تعفوا بها ، فإنها لست بثقة - واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها .

(١) أى ظهر للناس فى خلقه نيته .

(٢) شأنه ضد زانه والمراد قبجه وأظهر نفاقه .

(٣) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله فى الدنيا ورحمته

فى الآخرة .

ومن خطبه أيضاً وهي آخر خطبة خطبها :

أما بعد - فإن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركوا إليها - الدنيا تفنى والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية ، فأثروا ما يبتى على ما يفنى . فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله ، اتقوا الله عز وجل فإن تقواه جنة من يأسه ، ووسيلة عنده واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم . ولا تصيروا أحزاباً : (وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) .

من حكم سيدنا عثمان رضى الله عنه

(١) ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن . (٢) أنتم إلى إمام فعال أخرج منكم إلى إمام قوال . (٣) يكفيك من الحاسد أنه يغم وقت سُرورك .

الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه

هو أمير المؤمنين أبو الحسين على بن أبي طالب ، وابن عم رسول الله وزوج بنته ، ورابع الخلفاء الراشدين - ولد كرم الله وجهه بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة ، وهو أول من آبه الصبيان ، وكان شجاعاً لا يشق له غبار ، شهد الغزوات كلها مع النبي إلا غزوة تبوك ، وأبلى في نصرته رسول الله ما لم يبيله أحد ، ولما قتل عثمان بايعه الناس بالحجاز ، وامتنع عن بيعته معاوية وأهل الشام شيعة أمية ، غضباً منهم لمقتل عثمان وقلة عناية (الإمام على) بالبحث عن معرفة القتلة على حسب اعتقادهم ، فحدث من جراء ذلك الفتنة العظمى بين المسلمين وافتراقهم إلى طائفتين فتحاربوا مدة من غير أن يستتب الأمر لعل أو معاوية حتى قتل أحد الخوارج الإمام علياً غيلة بمسجد الكوفة سنة ٤٠ هـ .

وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر .

وكان كرم الله وجهه أفصح الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم علماً وزهداً وشدة في الحق ، وهو إمام الخطباء من العرب على الإطلاق بعد

رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبه كثيرة ، منها خطبته - كرم الله وجهه -
بعد التحكيم ، وهى :

الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدث الجلل - وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره وأن محمداً عبده
ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم «أما بعد» فإن معصية الناصح الشفيق ،
العالم المجرب تورث الحيرة وتعقب الندامة ، وقد كنت أمرتكم فى هذه
الحكومة (١) أمرى ونحلت لكم مخزون رأى ، (لو كان يطاع لقصير أمر) (٢)
فأبيتم على إباء المخالفين الجفأة المنابذين العصاة ، حتى ارتاب الناصح
بنصحه ، وضم الزند بقدحه ، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن :

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصيح إلاضحى الغد
ومن خطبة له حين خاطبه العباس وأبو سفيان فى أن يبايعاه بالخلافة : أيها
الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة ، وخرجوا عن طريق المنافرة وضعوا عن
تيجان المفاخرة ، أفلح من نهض بجناح ، أو استسلم فأراح ، هذا ماء آجن ، ولقمة
يغص بها آكلها ، ومجنى الثمرة لغير وقت إيناعها كالزراع بغير أرضه فإن أقل
يقولوا حرص على الملك ، وإن أسكت يقولوا جرع من الموت هيئات بعد اللتيا والتي
والله لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه ، بل اندمجت على مكنون
علم ، لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية فى الطوى البعيدة .

من حكم سيدنا على كرم الله وجهه

(١) روى الشيخ خير من مشهد الغلام . (٢) الناس أعداء ما جهلوا .

(١) أى حكومة الحكامين عمرو بن العاص ، وأبى موسى الأشعري .
(٢) هو مولى جذيمة الأبرش وكان حاذقا ، وكان قد أشار على سيده
جذيمة أن لا يأمن الزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها اجابة لدعوتها فى
قبولها زواجه فقتلته فقال قصير (لو كان يطاع لقصير أمر) فذهبت
مثلا .

- (٣) الناس من خوف الذل في الذل . (٤) الصبر مطية لاتكبو وسيف لاينبو .
 (٥) إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدره عليه . (٦) قيمة كل
 امرئ ما يحسن . (٧) المرء مخبوءٌ تحت لسانه . (٨) استغن عن شئت
 تكون نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره وأحسن إلى من شئت تكن أميره .
 (٩) خير أموالك ما كفالك وخير إخوانك من واساك . (١٠) الناس بزمانهم أشبه
 منهم بأبائهم . (١١) ما هلك امرؤ عرف قدره . (١٢) من عذب لسانه كثر
 إخوانه . (١٣) بشر مال البخيل بحادث أو وارث . (١٤) بالبر يستعبد الحر .
 (١٥) إعادة الاعتذار تذكير للذنب . (١٦) إذا تم العقل نقص الكلام .
 (١٧) من أكثر فكره في العواقب لم يشجع . (١٨) الشرف بالعقل والأدب
 لا بالأصل والنسب . (١٩) أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع .
 (٢٠) قلب الأحق وراء لسانه ، ولسان العاقل وراء قلبه . (٢١) يعيش
 البخيل في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء .
 (٢٢) الولايات مضامير الرجال . (٢٣) الناس أبناء الدنيا ، ولا يُلام
 الرجل على حب أهله . (٢٤) من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما
 يعنيه . (٢٥) الحرمان خير من الامتنان .

سحبان وائل

هو سحبان بن زفر بن إياد الوائلي ، الخطيب المصقع المضروب به
 المثل في البلاغة والبيان ، نشأ في الجاهلية بين قبيلة وائل ، ولما ظهر الإسلام
 أسلم وتقلبت به الأحوال حتى التحق بمعاوية فكان يُعده للملمات ، ويتوكأ
 عليه عند المفاخرة .

قدم على معاوية وفد فطلب سحبان ليتكلم ، فقال : أحضروا لي عصاً ،
 قالوا : وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ قال ما كان يصنع بها
 موسى وهو يخاطب ربه ، فضحك معاوية وأمر له بإحضارها ، ثم خطب

من صلاة الظهر إلى أن حانت صلاة العصر ، ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا تلكأ ولا ابتداءً في معنى وخرج منه ، وقد بقى منه شيء ، فما زالت تلك حاله حتى دهش منه الحاضرون ، فقال معاوية : أنت أخطب العرب ، قال سحبان : والعجم والجن والإنس ، وكان سحبان إذا خطب يسيل عرقاً ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ ومما يؤثر من خطبه قوله :

إن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار ، أيها الناس : فخذوا من دار ممركم لدار مقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حبيتم ، ولغيرها خلقتم . إن الرجل إذا هلك ، قال الناس : ما ترك ؟ وقال الملائكة : ما قدم ؟ قدموا بعضاً يكن لكم ، ولا تخلفوا كلاً يكن عليكم .

زياد بن أبيه

هو أحد دُعاة العرب وساستها وخطبائها وقادتها .

منشؤه : كان للحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب أمة تسمى سمية ، قد قرنها بعبد له روى يدعى عبيداً فولدت له سمية زياداً هذا (في السنة الأولى من الهجرة) فنشأ غلاماً فصيحاً شجاعاً ، فما افتتحت العرب الممالك والأمصار حتى عرف منه ذلك ، فاستكتبه أبو موسى الأشعري والى البصرة من قبل عمر ، فأظهر من المهارة ما جمع القلوب على حبه .

ولما ولي أمير المؤمنين (علي) الخلافة اضطربت عليه فارس فسار إليها زياد بجمع كثير ، وتمكن بخداعه من إيقاع الشقاق بين روساء المشاغبين ، وما زال يضرب بعضهم ببعض حتى سكنت ثائرتهم ، وبقى يتولى لعل الأعمال حتى قتل (علي) فخافه معاوية ، فأرسل إليه المغيرة بن شعبة يستقدمه ، فقدم عليه فادعاه أخاً له واستلحقه بنسب أبيه أبي سفيان ، وصار يسمى زياد بن أبي سفيان ، بدل زياد بن عبيد ، أو ابن سمية ، أو ابن أبيه .

وولاه معاوية العراقيين ، وهو أول من جمع له بينهما ؛ فسار في الناس سيرة لم
يها الشعب ؛ وأقام المعوج ؛ وكبح الفتنة ، واشتط . في العقوبة ، وأخذ بالظنة ،
وعاقب على الشبهة ، حتى شمل خوفه جميع الناس فأمن بعضهم بعضاً ، وكان
الشيء يسقط . من يد الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد ، حتى يأتى صاحبه فيأخذه ،
بل كان لا يعلق أحد بابه ، وكان زياد يقول : (لو ضاع جبل بينى وبين خراسان
لعرفت أخذه) وكان مكتوباً في مجلسه عنوان سياسته وهي (الشدة في غير عنف
واللين في غير ضعف ، المحسن يجازى بإحسانه ، والمسيء يعاقب بإساءته) .

وتوفي بالكوفة في رمضان سنة ٥٣ هـ .

ومن خطبه البليغة خطبته البتراء^(١) حين قدم إلى البصرة والياً لمعاوية وهي :
أما بعد : فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والغى الموفى بأهله على النار
عافيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماءكم ، من الأمور العظام التي ينبت فيها
الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد
الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن السرمدي
الذي لا يزول ، أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات ،
واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي
لم تسبقوا إليه : من ترككم الضعيف يقهر ، والضعيفة المسلوبة في النهار
لا تنصر ، والعدد غير قليل ، والجمع غير مفترق ، ألم يكن منكم نهاء يمنعون
الغواة عن دلج الليل وغارة النهار ! قربتم القرابة ، وباعدتم الدين ، تعتذرون
بغير العذر ، وتغضون على النكر ، كل امرئ منكم يرد عن سفيهه ، صنع من
لا يخاف عقاباً ولا يرجو معاداً ، فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم ، حتى
انتهكوا حرم الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم كنوساً في مكانس الرئيب .

(١) البتراء التي لم يحمد الله فيها .

حرام على الطعام والشراب حتى أضع هذه المواخير بالأرض هدماً وإحراقاً ،
 إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله « لين في غير ضعف ،
 وشدة في غير عنف » وإني لأقسم بالله - لأخذن الولي بالمولى ، والمقيم بالطاعن ،
 والمطيع بالعاصي ، حتى يلتقي الرجل أخاه فيقول : « إنج سعد فقد هلك
 سعيد » أو تستقيم لي قناتكم ، إن كذبة الأمير بلقاء مشهورة ، فإذا تعلقتم
 على بكذبة ، فقد حلت لكم معصيتي ، وقد كان بيني وبين قوم إجن
 فجعلت ذلك دُبْرَ أذني وتحت قدمي ، إني لو علمت أن أحدكم قد قتله
 السُّل من بغضي لم أكشف له قناعاً ؛ ولم أهتك له سترًا . حتى يبدى لي
 صفحته . فإذا فعل ذلك لم أنظره فاستأنفوا أموركم ، وأعينوا على أنفسكم
 قرب مبتئس بقدمنا سيسر ؛ ومسرور بقدمونا سيبتئس .

أيها الناس : إنا قد أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة ، نسوسكم بسُلطان
 الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا لنا عليكم السمع والطاعة فيما
 أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولىنا ، فاستوجبوا عدلنا وفيثنا بمناصحتكم لنا .

الحجاج الثقفي

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ، أحد جبابرة العرب وساستها ، وموطد
 ملك بني أمية ، وأحد البلغاء والخطباء المصاقع ؛ ولد سنة ٤١ هـ وشب في خلافة معاوية .
 وخدم الحجاج بولاية عبد الملك بن مروان ؛ وابنه الوليد - حتى كان ملكه
 ما بين الشام والصين - ومات سنة ٩٥ هـ في مدينة واسط بالعراق .

وكان الحجاج آية في البلاغة وفصاحة اللسان وقوة الحجة وشجاعاً ذاهية
 عنيفاً ؛ قال الأصمعي : أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل : الشعبي ، وعبد الملك بن
 مروان والحجاج بن يوسف ، وابن القرية ؛ وكان الحجاج أفصحهم ، ومن مآثره
 اهتمامه بوضع النقط والشكل للمصحف وغيره ، ونسخه عدة مصاحف من مصاحف

عثمان وإرسالها إلى بقية الأمصار ، ومن خطبه المشهورة خطبته لما قدم أميراً على العراق فإنه دخل المسجد - معتماً بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه ، متقلداً سيفاً ؟ متكباً قوساً يوم المنبر ، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض : قبح الله بنى أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق .

فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه ، ونهض فقال :
 أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني
 يا أهل الكوفة ، إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها ، وإني
 لصاحبها ، وكأني أنظر إلى الدماء ترفرق بين العمائم واللحي ، ثم قال :
 هذا أوان الشد فاشتدى زيم قد لفها الليل بسواق حطم
 ليس براعى إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم
 ثم قال :

قد لفها الليل بعصبي أروع خراج من الدوى
 مهاجر ليس بأعرابي

وقال :

قد شممت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا
 والقوس فيها وتر عرد مثل ذراع البكر أو أشد
 لا بُد مما ليس منه بد

إني والله يا أهل العراق ما يقع لي بالشنآن ، ولا يغمز جانبي كتغماز التين ، ولقد فررت عن ذكاء ، وفتشت عن تجربة ، وإن أمير المؤمنين (أطال الله بقاءه) نشر كنانته بين يديه ، فعجم عيدانها ، فوجدني أمرها عوداً ، وأصلبها مكسراً فرماكم بي لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة ، واضجعتم في مرافد الضلال ، لأحزمنكم حزم السلمة (١) ، ولأضربنكم ضرب غرائب (٢) الإبل ، فإنكم لكأهل قرية

(١) نوع من الشجر وذلك لأن الأشجار تصعب أغصانها ثم نخبط بالعصى لسقوط الورق وهشيم العيدان .
 (٢) وهي تضرب عند الهرب وعند الخلاط وعند الحوض أشد الضرب

كانت آمنة مطمئنة يأتيتها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، وإني والله ما أقول إلا وفيت ولا أهم إلا أمضيت ، ولا أخلق (١) إلا فريت (٢) .
 وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطيائكم ، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة (٣) ، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه .

طارق بن زياد

هو أحد قراد جيوش الوليد بن عبد الملك ، كان خطيباً مصقفاً ، وبطلاً مقداماً بعيد الهممة ، يعشق المجد ، وتصبون نفسه إلى الفتوحات ، خرج من المغرب سنة ٩٢ هـ باثني عشر ألف جندي من موطنه ، يقلهم أسطول قوى ، وقد جهز لذلك وعبر البحر إلى أسبانيا لفتحها ، فلما علم (رودريك) ملكها بقدوم المسلمين إلى بلاده قابلهم بجيش عظيم ، هالت طارقاً كثرة عدده وكمال عدده ، فبادر طارق وأحرق أسطوله ليقطع أمل أصحابه في الرجوع ، وقال لهم : « أيها الناس الخ » فاندفعوا على الأسبان اندفاع اليائس ، وهزموهم شر هزيمة ، ثم والى طارق فتوحاته في أسبانيا حتى قبض على (رودريك) آخر ملوك البريغوط بها ، وقتله سنة ٩٤ هـ ، وبعد ذلك بسنة استقدمه الوليد إلى دمشق إلى أن مات سنة ١٠١ هـ ، وهاهى خطبته البليغة :
 أيها الناس ، أين المفر ، البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام ، في مأدبة اللثام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ، وأسلحته وأقواته موفورة ، وأنتم لاوزر لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات إلا ما تستلخصونه من أيدي عدوكم ، وإن امتدت بكم

(١) أ قدر . (٢) قطعت . (٣) هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي البصري قائد قواد الأمويين ومبيد الخوارج ومبتدع الركب الجديد .

الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم أمراً ذهب ربحكم ، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية ، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة ، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ، وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوا ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أربأً فيها بنفسى ، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألد طويلاً ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى ، فيما حظكم فيه أوفر من حظى ، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً ، ورضيكم ملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ، ثقة منه بارتياحكم للطعان واسماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ، ليكون مغنمها خالصاً من دونه ومن دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى ولى إنجازكم على ما يكون لكم ذكراً فى الدارين ؛ واعلموا أنى أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه ، وإنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم «للدريق» فقاتله إن شاء الله تعالى فاحملوا معى ، فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره ، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه ، وإن هلكت قبل وصولى ، فاخلفونى فى عزيمتى هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فإنهم بعده يخذلون .

الكتابة : خطية ، وإنشائية

الكتابة الخطية: كان الخط. فى مبدأ ظهور الإسلام هو الخط. الأنبارى الحيرى المسمى بعد انتقاله إلى الحجاز بالحجازى ، وهو أصل النسخ ، وكان يكتب به النزر اليسير من العرب عامة وبضة عشر من قريش خاصة ، فلما انتصر النبى صلى الله عليه وسلم على قريش فى يوم بدر وأسر منهم جماعة كان فيهم بعض الكتاب ، فقبل الفداء من أميهم ، وفادى الكاتب

منهم بتعليم عشرة من صبيان المدينة ، فانتشرت الكتابة بين المسلمين ، وحض صلى الله عليه وسلم على تعلمها ؛ ومن أشهر كتّاب الصحابة : (زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام) . ولما فتح المسلمون الممالك ، ونزلت جمهرة الكتاب منهم الكوفة عنوا بتجويد الخط. العربي وهندسة أشكاله حتى صار خط. أهل الكوفة ممتازاً بشكله عن الخط. الحجازى ، واستحق أن يسمى باسم خاص وهو (الكوفى) وبه كانت تكتب المصاحف وحلى القصور والمساجد وسك النقود. وكان الصحابة وتابعوهم من بنى أمية يكتبون بلا إعجام ولا شكل إلا قليلاً اعتماداً منهم على معرفة المكتوب إليهم باللغة ، واكتفائهم بالرمز القليل فى قراءة اللفظ. فلما فسد اللسان باختلاط العرب بالعجم ، وظهر اللحن والتحرير فى الألسنة ، أشفق المسلمون على تحريف كَلَم الكتاب الكريم فوضع أبو الأسود الدؤلى علامات فى المصاحف «بصبغ مخالف» فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة أسفله ، والضمة نقطة من الجهة اليسرى ، وجعل نقطتين ؛ وكان ذلك فى خلافة معاوية رضى الله عنه .

ووضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر الحجاج نقط. الإعجام بنفس المداد الذى يكتب به الكلام ، حتى لا يختلط. بنقط. أستاذهما أبى الأسود ، وكان ذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان ، ثم شاع فى الناس بعد .
الكتابة الإنشائية قسماً : كتابة رسائل ودواوين ، وكتابة تدوين وتصنيف.

كتابة الرسائل والدواوين

كان زعماء العرب ونصحاؤهم كلهم كتاباً ينشئون بملكتهم ، ولو لم يخطوا بيمينهم ؛ فكان النبى وأصحابه ، وخلفاؤه يملون كتبهم على كتابهم بعبارتهم ، وبعضهم يكتبها بيده ، ولما اتسعت موارد الخلافة أصبحت فى حاجة إلى إنشاء الدواوين لضبط. ذلك ، فكان (عمر) أول من دون الدواوين ، وكان كتّاب

الرسائل للخلفاء وعمالهم إما عربياً أو موالي يجيدون العربية ، أما كُتاب الخراج ونحوه فكانوا في كل إقليم من أهلهم يكتبون بلغتهم ، ولما نبغ من العرب من يُحسن عملهم حُوِّلت هذه الدواوين إلى العربية زمنَ عبد الملك بن مروان ، والوليد ابنه ، وجرى خلفاءُ بنى أمية في كتابة الرسائل على ما كان عليه الأمر زمن الخلفاء الراشدين .

ثم لما اتسعت رقعة المملكة ، وقرتْ أمور الدولة ، وازدادت الأعمال ، وشغل الخلفاء عن أن يكوا الكتابة بأنفسهم أو بخاصة عشيرتهم عهدوا بها إلى كبار كتّابهم حتى انتشرت وصارت صناعة مُحكمة ، وكان كثيرٌ منهم يعرف اللغة الرومانية أو الفارسية أو اليونانية أو السريانية ، وهي لغات أمم ذات حضارة وعلوم ونظام ورسوم .

ومن هؤلاء : سالم مولى هشام بن عبد الملك ، أحد الواضعين لنظام الرسائل ؛ وأستاذ (عبد الحميد الكاتب) الذي آلت إليه زعامة الكتابة آخر الدولة الأموية .

مميزات الكتابة الانشائية

وتمتاز الكتابة في هذا العصر بالميزات الآتية :

(١) الاقتصارُ في أغراضها على القدر الضروري لدولة عربية ؛ والاقتصار في معناها على الإلمام بالحقائق ؛ وتوضيحها بلا مبالغة ولا تهويل ؛ واستعمال الألفاظ الفحلة والعبارات الجزلة والأساليب البليغة ؛ إذا كان الكاتب والمكتوب إليه عربياً فصحاء .

(٢) مراعاة الإيجاز غالباً إلا حيث يُستدعى الحالُ الإسهاب ، وبقى الأمر على ذلك ؛ حتى جاء عبد الحميد الكاتب آخرَ الدولة الأموية ؛ فأسهب في الرسائل وأطال التحميدات في أولها ، وسلك طريقه من أتى بعده .

الكُتّاب

كُتّاب هذا العصر كثيرون ، فقد كان الخلفاء والأمراء والقواد كلهم

كتاباً بُلغاءً ولما صارت الكتابة صناعة ، تداولها كثير من الأعاجم وغيرهم ، واشتهر من بين هؤلاء :

عبد الحميد بن يحيى الكاتب

وهو عبد الحميد بن سعيد العامريّ نسباً ، الشاميّ داراً ، شيخ الكتاب الأوائل ، وأول من أطل الرسائل ، ونشأ بالأنبار بليغا خصباً .
وكان عبد الحميد في أول أمره معلم صبيان حتى فطن له مروان بن محمد أيام توليه أرمنيّة ، فكتب له مدة ولايته ، حتى إذا بلغه مبايعة أهل الشام له بالخلافة فسجد مروان لله شكراً وسجد أصحابه إلا عبد الحميد ، فقال له مروان : لم لا تسجد ؟ فقال : ولم أسجد ؟ أعلّي أن كنت معنا فطرت عنا ؟ قال : إذا تطير معي ، قال : الآن طاب لي السجود ، وسجد ، فاتخذه مروان كاتب دولته .

ولما دهمت مروان جيوش خراسان أنصاراً الدعوة العباسية ، وتوالت عليه الهزائم ، كان عبد الحميد يلازمه في كل هذه الشدة ، فقال له مروان : قد احتجت أن تصير مع عدوّي وتُظهر الغدر بي ، فإن إعجابهم بأدبك ، وحاجتهم إلى كتابك يحوجهم إلى حسن الظن بك ، فإن استطعت أن تنفعي في حياتي ، وإلا لم تعجز عن حفظ حرّمي بعد وفاتي ، فقال له : إن الذي أشرت به عليّ أنفع الأمرين لك ، وأقبحهما بي ، وما عندي إلا الصبر ، حتى يفتح الله عليك ، أو أقتل معك وأنشد :

أيسر وفاءً ثمّ أظهر غدرًا فمن لي بغدر يوسع الناس ظاهره؟
وبقي حتى قتل مروان سنة ١٣٢ هـ ، وأخذ عبد الحميد إلى السفاح فقتله سنة ١٣٢ هـ .

منزلته في الكتابة : اتفقت كلمة البلغاء وأهل الأدب على أن عبد الحميد هو الأستاذ الأول لأهل صناعة كتابة الرسائل ، وذلك أنه أول من مهد سبلها وميز

فصولها ، وأطالها في بعض الشئون وقصرها في بعضها الآخر ، وأطال التحميدات في صدرها ، وجعل لها صوراً خاصة ببدئها وختمها على حسب الأغراض التي تكتب فيها ، وكان لبلاغة عبد الحميد عمل يعجز عنه السحر في خلب الأفتدة وجذب النفوس ، فيقال إنه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب إليه عن مروان كتاباً يستجلبه به وضمنه ما لو قرئ لأدى إلى وقوع الخلاف والفشل وقال لمروان : كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره ، فإن يك ذلك وإلا فالهلاك ، وكان الكتاب لكبير حجمه يُحمل على جمل ، فلما وصل الكتاب إلى داهية خراسان أبي مسلم أمر بإحراقه قبل أن يقرأه ، وكتب على جذاذة منه إلى مروان :
محا السيف أسطار البلاغة وانتحى عليك ليوث الغاب من كل جانب

التدوين والتصنيف

انقضى زمن الخلفاء الراشدين ، ولم يدون فيه كتاب إلا ما كان من كتابة المصحف ، وكان مرجع الناس في أمر دينهم ودنياهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله فإذا اشتبه عليهم أمر من أمور الدين رجعوا إلى الخلفاء ، وفقهاء الصحابة . ثم لما انتشر الإسلام في زمن بني أمية ، واختلطت العرب بالعجم ، ففسدت فيهم ملكة اللسان العربي ، وفشا اللحن ، وأشفقوا على القرآن من التحريف ، وعلى اللغة من الفساد دونوا النحو ، وكان أول من كتب فيه « أبو الأسود الدؤلي » وقد تلقى مبادئه عن « الإمام علي » وأخذ عنه فتیان البصرة ، وخصوصاً الموالى إذ كانوا أحوج الناس إلى النحو ، واشتغل به أهل الكوفة بعد أن فشا بالبصرة ، ولم ينقض هذا العصر حتى اشتغل به طبقتان طبقه من البصريين وطبقة من الكوفيين ثم لما حدثت الفتن وتعددت المذاهب والنحل وكثرت الفتاوى والرجوع فيها إلى الرؤساء ، ومات أكثر الصحابة ، خافوا أن يعتمد الناس على رؤسائهم ، ويتركوا سنة رسول الله ، فأذن أمير المؤمنين « عمر بن عبد العزيز » لأبي

بكر محمد بن عمرو بن حزم في تدوين الحديث ، وانقضى هذا العصر ، ولم يدون فيه من علوم اللغة والدين غير النحو وبعض الحديث وبعض التفسير ، أما العلوم الأخرى فيروى أن خالد بن يزيد بن معاوية حجب إليه مطالعة كتاب الأوائل من اليونان فترجمت له ، ونيغ فيها ووضع كتباً في الطب والكيمياء ، وأن معاوية استقدم عبيد بن شربة من صنعاء فكتب له كتاب «الملوك وأخبار الماضين» وأن وهب بن منبه الزهري ، وموسى بن عقبة ، كتباً في ذلك أيضاً كتباً ، وأن زياد بن أبيه وضع لابنه كتاباً في مثالب قبائل العرب ، وأن ماسرجويه متطبب البصرة تولى في الدول المروانية ترجمة كتاب أهرون بن أعين ، من السريانية إلى العربية ، وأن يونس الكاتب بن سليمان ألف كتاباً في الأغاني ونسبتها إلى من عنى بها ، ولم يبلغ التصنيف شأواً يذكر .

الشعر والشعراء في هذا العصر

جاء النبي الكريم ، والشعر ديوان العرب ، فأتاهم بالأمر العظيم ، والحادث الخطير ، حاملاً بإحدى يديه القرآن يدعو الناس إلى توحيد الله ، والتمسك بالفضيلة وشاهراً بالأخرى سيف الحق لحماية هذه الدعوة ، وما كان أشد ذهولهم لخطبهما وانزعاجهم من وقعهما ، فهبوا يتحمسون الأول ، ويتمرسون أساليبه ومعانيه ويتفرسون ألفاظه ومغازيه ، ما بين معاند يتلمس مطعناً فيه ومؤمن يستبينه ويستهديه ، وتآهبوا للثاني : بين ضال يناوئه ، ومهتد يعاضده ؛ فصار ذلك صارفاً لهم عن التشاغل بالشعر ، محولاً مجرى أفكار المؤمنين منهم عن أكثر فنونه المنحرفة عن سنن الشرف والحق كالمدح بالباطل والهجاء والمغازلة ، وبغض إليهم تلك الفنون المرذولة بإزراء القرآن على الشعر بقوله : (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً

وانتصروا من بعد ما ظلموا) ولهذا لم يكف شعراء المسلمين عن قوله فيما يطابق روح القرآن ، كالموعظة والإرشاد ، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه . الخ ولبث الحال على ذلك مدة حياة النبي الكريم ، حتى إذا ما ثاروا لإسكان فتن أهل الردة ، وفتح الممالك والأمصار ، أضافوا إلى ما ألقوه من أغراض الشعر الإكثار من التباهي بالنصر ، ووصف المعارك ، وأحوال الحصار وآلات القتال . ولما آل الأمر إلى بني أمية ، وشغب عليهم كثير من فرق المسلمين أصبح الشعر لساناً يعبر عن مقصد كل حزب ؛ حتى أصبح حرفة عتيقة ، وصناعة جديدة ومورد ثروة ، وأصبحت دراسته ونقده وروايته دأب العلماء والأدباء ، حتى الخلفاء وأولياء عهدهم ، ونصف ما كان عليه الشعر في هذا العصر من حيث أغراضه ومعانيه وتصوراته وعباراته بما يأتي .

أغراض الشعر وفنونه

- (١) نشر عقائد الدين وحكمه ووصاياه والحث على اتباعه ، وخاصة زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين .
- (٢) التحريض على القتال ووصفه - والترغيب في نيل الشهادة رفعا لكلمة الله ، وذلك في أزمان غزوات النبي وحصار المدن وفتحها .
- (٣) الهجاء - أولاً في سبيل الدفاع عن الإسلام يهجو مشركي العرب بما لا يخرج عن حد المروعة وبما رضيه النبي من حسان بن ثابت شاعره في هجاء قريش وعشيرة النبي من بني عبد مناف ، وكان يتحرج عنه المسلمون ولو بالتعريض زمن النبي وخلفائه ، ولذلك عاتب عمر أمير المؤمنين (الخطيئة) وهدده بقطع لسانه لنيله من بعض المسلمين ، ثم صار يتساهل في خطبه حتى كان الهجاء غاية براعة الشاعر ، وإن لم يصل في الإقذاع والفحش إلى الحد الذي وصل إليه في العصر التالي ، ومن ذلك التهاجي المشهور بين جرير والفوزدق والأخطل .

(٤) المدح - وقلما كان مبدأ الإسلام في غير النبي من حيث الاهتداء بهديه ، ونشر الحق على يديه ، وكان خلفاؤه يأنفون مدحهم بما تزهى به نفوسهم تواضعاً .

ثم استرسل الشعراء فيه وقبل ذلك منهم الخلفاء إلى أن كان المدح من أهم الدعائم لتوطيد أركان الدولة وتفخيم مقام الخلفاء والولاة والإشادة بعظمتهم .

معانيه وأخيلته وألفاظه وأساليبه وأوزانه

لم يخرج شعراء هذا العصر في جملة تصورهم وتخيلهم عما ألفوه زمن الجاهلية وإن فاقوهم كثيراً في ترتيب الفكر ، وتقريب المعنى إلى الأذهان والوجدان ، بما هذب نفوسهم ، ورقق طباعهم من دراسة كتاب الله وحديث رسول الله ؛ وكذلك لم يخرجوا جملة في هيئة تأليف اللفظ. ونسجه ومتانة أسلوبه عن نظائرها في الجاهلية وإنما آثروا جزالة اللفظ. وفخامته ومؤلفته لسابقه ولا حقه دون غرابته كما آثروا جودة الأسلوب ومتانته ، وروعة تأثيره ولاسيما أهل النسيب ، ولم يطرأ على أوزان الشعر العربي حدث غير ما عرف عنه في الجاهلية .

وإنما شاع في هذا العصر نظم الأراجيز ، والتطويل فيها واستعمالها في جميع أغراض القصيد ، حتى في افتتاحها بالنسيب ، والتخلص منه إلى المدح والذم ونحو ذلك .

الشعراء

شعراء هذا العصر ممن خلصت عربيتهم ، واستقامت أسنتهم ، ولم يمتد إليهم اللحن ، ولقد زادتهم مدارس القرآن الكريم فصاحة وبلاغة ، وإحكاماً وإتقاناً حتى فضلهم بعض الرواة على سابقينهم من الجاهليين ومن أشهر شعراء هذا العصر : كعب بن زهير ، والخنساء ، والحطيئة ،

وحسان بن ثابت ، والنابعة الجعدى وعمرو بن معد يكرب من المخضرمين (١) وعمر بن أبى ربيعة ، والأخطل ، والفرزدق ، وجريير ، والكميت ، وجميل ، وكثير عزة ، ونصيب والراعى ، وذو الرمة من الإسلاميين .

(١) كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن أبى سلمى أحد فحول المخضرمين ، ومادح النبى الأمين ، ولما ظهر الإسلام ذهب أخوه بجير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغضب كعب لإسلامه ، وهجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فتوعد النبى صلى الله عليه وسلم وأهدر دمه ، فحذره أخوه العاقبة ، إلا أن يجئ إلى النبى صلى الله عليه وسلم مسلماً تائباً ، فهام كعب يتراعى على القبائل أن تجيره فلم يجره أحد ، فلما ضاقت الأرض فى وجهه جاء أبابكر رضى الله عنه بالمدينة ، وتوسل به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأقبل به عليه وآمن ، وأنشده قصيدته المشهورة الآتية .

فخلع عليه النبى بردته ، فبقيت فى أهل بيته حتى باعوها لمعاوية بعشرين ألف درهم ، ثم بيعت للمنصور العباسى بأربعين ألفاً ومات سنة ٢٤ هـ .

شعره : كان كعب من الشعراء المجيدين المشهورين بالسبق ، وعلو الكعب فى الشعر ، وكان خلف الأحمر أحد علماء الشعر يقول : لولا قصائد زهير ما فضلت على ابنه كعب ، وكفاه فضلاً أن الحطيئة مع ذائع شهرته ، رجاه أن ينوّه به فى شعره ، فقال :

فمن للقوافى شأنها من يحو كها إذا ما مضى كعب وفوز جرو
ومن شعره قوله :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمر ليس يدركها والنفس واحدة والهيم منتشر

(١) المخضرم من الشعراء من عاش فى الجاهلية والاسلام .

فالمرءُ ما عاش ممدودٌ له أملٌ لا ينتهى العمرُ حتى ينتهى الأثرُ
ومن قوله أيضاً :

إن كنتَ لا ترهبُ ذمى لما تعرف من صفحى عن الجاهل
فاخش سكوتى إذا أنا مُنصتٌ فيك لمسموع خناً القائل
فالسامع الذم شريك له ومُطعمُ المأكول كالأكل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من مُنحدرِ سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذمهُ بالحق وبالباطل

ومن قوله أيضاً قصيدة « بانث سعاد » المشهورة — وهى :

بانث سعادُ فقلبي اليومَ متبولٌ مُتيمٌ إثرها لم يُفد مكبول (١)
وما سُعادُ غداةَ البينِ إذ برزت إلا أغنَّ غضيبُ الطرفِ مكحول (٢)
تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت كأنه مُنهلٌ بالراحِ معلول (٣)
شجَّت بذى شيم من ماءٍ محنيةٍ صافٍ بأبطحٍ أضحى وهو مشمول (٤)
تنزى الرياحِ القذى عنه وأفرطه من صوبِ غاديةٍ بيض يعاليل (٥)
ويلُ أمها خلة لو أنها صدقت بوعدها ولو أن النصح مقبول (٦)
لكنها خلة قد سيطَ من دمها فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديل (٧)

- (١) بانث : فارقت ، والمتبول : الذى أسقمه الحب ، ومكبول : مقيد .
(٢) الأغن : الذى فى صوته غنة ، وهى صوت محبوب ، غضيبُ الطرف : أى فى طرفها كسر وفتور . (٣) تجلو : تكشف وأراد بالعوارض هنا الأسنان ، ذى ظلم : أى ثفر ذى ظلم والظلم ماء الأسنان وبريقها .
معلول : أى مسقى بالخمر مرة بعد أخرى . (٤) شجَّت : أى مزجت بالماء لتذهب سورتها ، وبذى شيم أى بماء ذى شيم والشيم : البارد ، والمحنية : منعطف الوادى لأن ماءها يكون أصفى وأرق ، والأبطح : مسيل فيه دقاق الحصى ، والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى يرد .
(٥) القذى : ما يسقط فى الماء ، وأفرطه : أى ملاه .
(٦) ويل أمها ، وفى رواية ابن هشام أكرم بها والخلة هنا الصديقة .
(٧) سيط من ساط الماء ونحوه يسوطه : حطه بغيره ، والفجع : الإصابة بالمكروه ، والولع : الكذب .

- فما تقوم على حال تكون بها
ولا تمسك بالعهد الذى زعمت
كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً
أرجو وآمل أن تدنو مودتها
فلا يغرنك ما مننت وما وعدت
أمتست سعاد بأرض لا يبلغها
نبئت أن رسول الله أوعدنى
مهلاً هداك الذى أعطاك نافلة القـ
لاتأخذنى بأقوال الوشاة ، ولم
لقد أقوم مقاماً لو يقوم به
لظل ترعدُ من وجد بواده
مازلت أقطع البيداء مدرعاً
حتى وضعت يمينى ما أنازعها
فلهُوَ أَخَوْفُ عندى إذ أكمله
- (١) كما تلون في أثوابها الغول
إلا كما يمسك الماء الغرابيل
وما مواعيده إلا الأباطيل
وما إخال لدينا منك تنويل
إن الأمانى والأحلام تضليل
إلا العتاق النجيات المراسيل
والعفو عند رسول الله مأمول
رآن فيها مواعظ. وتفصيل
اذنب ، ولو كثرت في الأقاويل
يرى ويسمع ما قد أسمع الفيل
إن لم يكن من رسول الله تنويل
جنح الظلام وثوب الليل مسبول
في كف ذى نقمات قوله القيل
وقيل : إنك منسوب ومسئول

- (١) الفول : من خرافات العرب يزعمون أنها تتراعى لهم في الفلوات وتتلون لهم وتضلهم عن الطريق . (٢) عرقوب يضرب به المثل في خلف الوعد ، قيل انه وعد أخا له ثمر نخلة ، وقال : اعتنى اذا طلع النخل ، فلما أطلع قال له : اذا أبلح ، فلما أبلح قال : اذا أزهى ، فلما أزهى قال : اذا أرتب ، فلما أرتب قال : اذا صار تمرا ، فلما صار تمرا جذه من الليل ولم يعطه شيئاً . (٣) العتاق : الإبل أو الخيل الكريمة ، والنجيات السريعات ، والمراسيل : جمع مرسال وهو السريع . (٤) أوعد : هدد . (٥) نافلة : عطية التفصيل ، التبيين . (٦) أى : لقد شهدت برؤية الرسول مشهداً عظيم الهيبة لو شهده الفيل أو سمع الفيل ما يدور به من الحديث لظل يرعد . (٧) لظل يرعد : جواب لو في البيت السابق ، والبوادر جمع بادرة : وهى ههنا بين المنكب والعنق . (٨) أدرع الظلام : أى لبسه كأنه درع . (٩) ما أنازعها : أى لا اجاذبها والقيل : أى القول المحب . (١٠) أخوف : أى أعظم مسبب للخوف ، ومنسوب : أى مسئول عن نسبك .

- من ضيغم بضراء الأرض مخدره
 يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما
 إذا يساور قرناً لا يحل له
 منه تظل حمير الجو نافرة
 ولا يزال بواديه أخو ثقة
 إن الرسول لنور يستضاء به
 في عصبه من قریش قال قائلهم
 زالوا، فما زال أنكاس ولا كشف
 يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم
 شم العرائين أبطال لبوسهم
 بيض سوابغ قد شكت لها حلق
- (١) في بطن عشر غير دونه غيل
 (٢) لحم من الناس معفور خراديل
 (٣) أن يترك القرن إلا وهو مغلول
 (٤) ولا تمشى بواديه الأراجيل
 (٥) مخرج البز والدرسين مأكول
 مهند من سيوف الله مسلول
 (٦) بيطن مكة لما أسلموا : زولوا
 (٧) عند اللقاء ولا ميل معازيل
 (٨) ضرب إذا عرد السود التنايل
 (٩) من نسج داود في الهيجاء سرايل
 (١٠) كأنها حلق القعفاء مجدول

- (١) من ضيغم : متعلق بأخوف في البيت السابق ، وضراء الأرض أى الأرض المستوية التى تأويها السباع وبها نبت من الشجر ، والمخدر : مكان إقامة الأسد ، ويطن عشر : مأسدة أى مخدرة ، غيل من بطن عشر دونه غيل ، والغيل : الأجمة — يصفه بالنعشة والتوحش . (٢) يلحم : أى يطعم اللحم ، معفور : أى ملقى فى التراب والخراديل ، القطع .
 (٣) يساور : يواكب ، والقرن المائل ، ولا يحل : لا يسوغ ، والمغلول : المقيد . (٤) الجو : البر الواسع ، والأراجيل جمع رجيل : وهو الراجل غير الراكب . (٥) البز : الثياب ، والدرس : الثوب الخلق ، أى أن بوادى هذا الأسد تجد شجاعا كان يثق بنفسه فافتترسه وأصبحت ثيابه حلقة ممزقة . (٦) زولوا أى انتقلوا من مكة الى المدينة .
 (٧) النكس : الضعيف ، والكشف : جمع أكشف وهو من لا ترس له ، والميل : جمع أميل وهو من لا سيف له أو من لا يحسن الركوب . والمعازيل : جمع معزول وهو من لا سلاح له . (٨) الزهر : البيض ، وعرد : فر وأعرض والتنايل : الفصار . (٩) شم العرائين : شم الأنوف ، أى أعزة ، واللبوس السرايل : الدرود أى لباسهم درود من نسج داود .
 (١٠) بيض : صفة للسرايل ، والسوابغ : الطوال ، والقعفاء : نبات ينسبط على الأرض يشبه حلق الدرود .

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم قوماً ، وليسوا مجازيعاً إذا نبيلوا (١)
لايقطع الطعن إلا في نحورهم وليس لهم عن حياض الموت تهليل (٢)
(٢) عمرو بن معد يكرب الزبيدي

هو أبو ثور عمرو بن معد يكرب الزبيدي المذحجي ، فارس اليانين ،
وأحد الشعراء المعمرين ، والخطباء الموفدين .

منشؤه وصفاته : نشأ عمرو بين قومه محمقاً أكولاً ، لا يؤمل منه خير ،
ولاتلحظ فيه سيادة ، على ضخامة في جثة ، وجهارة في صوت ، حتى بلغ زييدا أن
خشم ستشن الغارة عليهم ، فتأهبوا . ودخل عمرو على أخته ، فقال :
أشبعيني إن غداً الكتيبة ، فأخبرت أباه فقال : سلى هذا المائق ما يشبعه ،
فأكل عنزاً بثلاثة آصع ذرة ، وأنتهم خشم فتبلد حتى رأى لواءً أبيه مال
وانهزمت زبيد ، فثار وكرَّ على خشم ، وتراجع إليه قومه فهزموا الأعداء ،
فأصبح يسمى فارس زبيد بعد أن كان يسمى مائق زبيد ، واشتهر بالشجاعة
حتى هابته أبطال العرب وضرب به المثل في الشجاعة ، وفي ذلك يقول أبو تمام :

إقدام عمرو ، في سماحة حاتم في حلم أحنف ، في ذكاء إياس

وفي شجاعته يقول عن نفسه : وسرت بظعينة وحدي على مياه معد كلها
ما خفت أن أغلب عليها - ما لم يلقي حراها أو عبداها ، فاما الحران :
فعامر ابن الطفيل ، وعيينة بن الحارث بن شهاب ، وأما العبدان : فأسود
بني عبس - يعني عنتره - والسليك بن السليكة ، وكلهم قد لقيت .

ولما فشا الإسلام في قبائل العرب ، وفد مع بعض قومه على رسول الله
فأسلم ثم رجع إلى قومه ، ولما مصرت الكوفة أقام بها حتى كانت وقعة نهاوند
فحضرها تحت لواء النعمان بن مقرن ، ومات بها سنة إحدى وعشرين .

(١) المفاريح : جمع مفراح الشديد الفرح ، والمجازيع جمع مجزاع
الشديد الحزن . (٢) التهليل : الجبن والفرار .

ويُعد عمرو من الشعراء المخضرمين ، ويأتي شعره في الطبقة الثانية من الجودة ويغلب عليه وصف الوقائع والتحدث عن نفسه بالشجاعة ، وهو أحد الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كِسرى .

ومن شعره قوله في صدق عن نفسه في الحرب :

ولما رأيتُ الحيلَ زوراً كأنها جداول زرع أرسلت فاسبطرتُ
فجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكروهاها فاستقرت
علام تقول الرُّمَح يُثقل عاتق إذا أنا لم أظعن إذا الخيل كرت

ومن قوله أيضاً :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُوْرَقْنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ
أَشَابَ الرَّأْسِ أَيَّامٌ طَوَالٌ وَهَمٌ مَا تَضَمَّنَهُ الضُّلُوعُ
وَسُوقٌ كَتِيبَةٌ دَلَفَتْ لِأُخْرَى كَأَنَّ نَهَارَهَا رَأْسٌ صَلِيعُ
إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعْ شَيْئًا فَدَعَهُ وَجَاوَزَهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
بِوَصْلِهِ بِالزَّرْعِ فَكُلْ أَمْرٌ سَمَا لَكَ أَوْ سَمَوْتَ لَهُ وَلُوعُ

(٣) الخنساء

هي السيدة تماضر الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية ، أرق شيوخ العرب وأحزن من بكى وندب .

كان أبوها عمرو ، وأخوها معاوية وصخر ، وكانت هي من أجمل نساء زمانها فخطبها دريد بن الصمة فارس جشم ، فرغبت عنه وآثرت التزوج في قومها ، فتزوجت منهم ، وكانت تقول المقطعات من الشعر ، فلما قتل شقيقها معاوية ، ثم أخوها لأبيها صخر ، جزعت عليهما جزعاً شديداً ، وبكتهما بكاءً مرا ، وكان أشد وجدها على صخر ، لأنه شاطرها هي وزوجها أمواله

مراراً ، ولما جاء الإسلام وفدت مع قومها على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت ، وكان يُعجبه شعرها ، ويستنشدها ويقول (هيه يا خناس) ويومئ بيده .

وما فتئت تبكى صخرًا قبل الإسلام وبعده حتى عميت ، وبقيت إلى أن شهدت حرب القادسية مع أولادها الأربعة ، فوصتهم وصيتها المشهورة وحضتهم على الصبر عند الزحف ، فقتلوا جميعاً ، فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، ولم تحزن عليهم حزنها على أخويها ، وتوفيت بالبادية سنة ٤٦ هـ في خلافة معاوية .

شعرها : أغلب علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها ، ومن فضل ليلي الأخيالية عليها لم ينكر أنها أرثى النساء ، وكان يشار يقول : لم تقل امرأة شعراً إلا ظهر الضعف فيه ، فقليل له : وكذلك الخنساء ، فقال : تلك التي غلبت الفحول . ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية أقل منه عند شعراء الإسلام ، فذلك النابغة الذبياني يقول لها ، وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التي مطلعها :

قَدَى بَعِينِيكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عُوَّارُ
أُمُّ ذَرَفَتْ إِذْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
لَوْلَا أَنَّ أَبَا بَصِيرٍ (يَعْنِي الْأَعَشَى) أَنْشَدَنِي قَبْلَكَ لَقُلْتُ : إِنَّكَ أَشْعَرُ
مَنْ بِالسُّوقِ . وَسُئِلَ جَرِيرٌ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قَالَ : أَنَا ، لَوْلَا الْخَنَسَاءُ ،
فَقِيلَ : فِيمَ فَضْلَتِكَ ! قَالَ : بِقَوْلِهَا .

إِنَّ الزَّمَانَ (وَمَا يَفْنَى لَهُ عَجَبٌ) أَبَقَى لَنَا ذُنُبًا وَاسْتَوْصَلَ الرَّأْسَ
إِنَّ الْجَدِيدِينَ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ
وَمَنْ جِيَدَ شَعْرُهَا تَرَثَى أَخَاهَا صَخْرًا :

أَعْيَنِي جُودًا وَلَا تَجْمَدَا
أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرِيءِ الْجَمِيلِ
أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
رَفِيعَ الْعِمَادِ طَوِيلِ النَّجَا
د سَادَ عَشِيرَتُهُ أَمْرَدَا

إذا القومُ مدوا بأيديهم إلى المجد مد إليه يدا
فنال الذى فوق أيديهم من المجد ثم انتمى مُصعدا
يحملة القوم ما عالهم وإن كان أصغرهم مولدا
وإن ذُكر المجد ألفتيه تآزرَ بالمجد ثم ارتدى
ومن قولها ترثية أيضاً :

ألا يا صخرُ إن أبكيت عيني فقد أضحكنتى زمنا طويلاً
دفعت بك الخطوب وأنت حى فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
إذا قَبِح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا
ومن بديع قولها :

يُذكرنى طلوع الشمس صخرًا وأذكره لكلِّ غروب شمس
فلولا كثرة الباكين حولى على إخوانهم لقتلت نفسى
ولكن لا أزال أرى عَجُولا ونائحة تنوح ليوم نحس
هما كلتاهاما تبكى أخاها عشية رزئه أو غيب أمس
وما يبكين مثل أخى ولكن أسلى النفس عنه بالتأسى
فقد ودعت يوم فراقِ صخر أبى حسانَ لذاتى وأنسى
فيا لهقى عليه وهفَ أُمى أيُصبح فى الضريح وفيه يُمسى

(٤) الحطيئة

هو أبو مليكة جرول الحطيئة العبسى ، منشؤه معلول النسب ، وكان جشعاً
سؤولا ملحفاً دنى النفس ، كثير الشر قليل الخير ، بخيلا قبيح المنظر ، رث
الهيئة فاسد الدين ، وعاش الحطيئة مدة الجاهلية ، وجاء الإسلام فأسلم ،
ولم يكن له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عاش متنقلاً فى القبائل
يندح هذه تارة ، ويندم تلك أخرى ، وينتسب إلى عبس طوراً ، وطورا إلى

ذهل ، ويهجو اليوم من يمدحه بالأمس ، وكل قبيلة تخطب وده ، وتتنى شر لسانه ، حتى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حبسه . فما زال يستشفع إليه بالناس وقول الشعر حتى أطلقه وهدده بقطع لسانه إن هجا أحدا ، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم ، ولكنه نكث ، وأوغل في الهجاء بعد موت عمر ، وبقي كذلك حتى مات أوائل خلافة معاوية سنة ٥٥٩ هـ .

شعره : لولا ما وسم به الحطيئة من خسة النفس ؛ ودناءة الخلق ، وجهالة النسب لكان بإجادته في كل ضربٍ من ضروب الشعر زعيم شعراء المخضرمين على الإطلاق ، إلا أنه لم يقف ببراعته وفصاحته موقفاً لله والشرف ، وقلما يوجد في كلام الحطيئة مظنة ضعف ، أو مغزٍ لغامز من ركاكة لفظ . أو غضاضة معنى أو اضطراب قافية .

ومن مدحه الذي لا يلحق له فيه غبار ، قوله :

يسوسون أحلاماً بعيداً أُناتها	وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد
أَقِلُّوا عليهم (لا أبأ لأبيكم)	من اللوم أو سدو المكان الذي سدوا
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا	وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها	وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى	بني لهم آباؤهم وبني الجد
ويعذلنى أبناء سعد عليهم	وما قلت إلا بالذى علمت سعد

ومن أبياته التي استعطف بها أمير المؤمنين عمر وهو في سجنه قوله :

ماذا تقول لأفراخِ بذى مرخٍ	زغب الحواصلِ لاماء ولا شجر
أَلقيت كاسبهم في قعر مظلمة	فاصفح ، عليك سلام الله يا عمر !
أنت الأمين الذي من بعد صاحبه	أَلتى إليك مقاليد النهى البشر
لم يُوثِرْوك بها إذ قدموك لها	لكن لأنفسهم كانت بك الخير

(٥) حسان بن ثابت

هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري : شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشعر شعراء المخضرمين ، وهو من بني النجار أهل المدينة ، نشأ في الجاهلية ونبه شأنه فيها ، ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وأسلم الأنصار ، أسلم معهم ودافع عنه بلسانه ، كما دافع عنه الأنصار بسيوفهم . وعاش حسان بعد النبي محبباً إلى خلفائه مرضياً عنه ، وعمر قريباً من ١٢٠ سنة ، وبقي أكثر حياته ممتعاً بحواسه وعقله ، حتى وهن جسمه في أواخر عمره ، وكف بصره ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٥٤ هـ .

شعره : كان حسان شاعر أهل المدر في الجاهلية ، وشاعر اليمانية في الإسلام ، ولم يكن في أصحاب النبي ولا في أعدائه عند دعوته إلى الله أشعر منه ، ولذلك رمى مشركي قريش من لسانه بالداهية التي لم يكن لهم قبلها ، فأوجعهم وأخرسهم من غير فحش ولا هجر ، ولما أذن له النبي صلى الله عليه وسلم في هجائهم قال له كيف نهجوهم وأنا منهم ؟ قال : أسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينصب له منبراً بالمسجد ، ويسمع هجاءه في أعدائه ، ويقول : « أجب عنى ، اللهم أيده بروح القدس » ، وكان في شعر حسان زمن الجاهلية شدة وغرابة لفظ . فلما أسلم وسمع القرآن ووعاه ، وكثر ارتجاله الشعر ، لان شعره وسهل أسلوبه .

ومن شعره في الجاهلية :

ولقد تقلدنا العشيرة أمرها	ونسودها في النائبات ونعتل
ويسود سيدنا ججاج سادة	ويصيب قائلنا سواء المفضل
ونحاول الأمر المهم خطابة	فيهم ونفصل كل أمر معضل
وتزور أبواب الملوك ركابنا	ومتى نحكم في البرية نعدل

ومن شعره في الإسلام يفاخر وفد تميم بقوم النبي صلى الله عليه وسلم :

إن الذوائب من فهرٍ وإخوتهم قد بينوا سنناً للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة إن الخلائق (فاعلم) شرها البدع
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا
إن كان فى الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأذى سبقهم تبع
وعفة ذكرت فى الوحي عفتهم لا يطمعون ولا يزرى بهم طمع
لا يفخرون إذ نالوا عدوهم وإن أصيبوا فلا خور ولا جزع

(٦) النايعة الجعدى

هو أبو ليلى حسان بن عبد الله الجعدى العامرى أحد القدماء المعمرين
والشعراء المخضرمين ، ووصاف الخيل المشهورين .

قال الشعر فى الجاهلية ، ثم استعصى عليه دهرًا ، ثم نبغ فى الشعر عند
ظهور الإسلام وبعده ، ولذلك سُمى (النايعة) وهو ممن فكر فى الجاهلية ،
وأنكر الخمر وما تفعل بالعقل ، وهجر الأرزلام والأوثان ، وذكر دين
إبراهيم ، وصام واستغفر ، ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسلم .
وعاش طويلاً فى الإسلام ، فأقام زمناً مهاجراً ، حتى أيام عثمان رضى الله عنه
فأحس بضعف فى نفسه . فاستأذن فى الرجوع إلى البادية ، فأذن له ثم لما كانت
خلافة (على) شهد معه وقائع صفيين ، وظهره بيده ولسانه ، ونال من معاوية
وبنى أمية - ومات بأصبهان سنة ٨٥ هـ - بعد أن عمر مائة وثمانين سنة .

شعره : كان النايعة الجعدى شاعراً مطبوعاً فى الجاهلية والإسلام ، وهو أول
من سبق إلى الكتابة فى الشعر عن اسم من يعنى إلى غيرها ، وتبعه الناس بعد ، قال :

أكنى بغير اسمها ، وقد علم الله خفيات كل مكتم

وكان ممن يصفون الخيل ، فلا يلحق له في ذلك غبار ، حتى ضرب به المثل
قال الأصمعي : ثلاثة يصفون الخيل لا يقاربهم أحد ، طفيل الغنوى ، وأبو داود
الإيادى والنابغة الجعدى ، وله في الفخر والهجاء والمديح والرثاء شعر كثير .
ومن أشرفه قصيدته التي مدح بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم — وهى :

خليلى عوجا ساعة وتهجرا ونوحا على ما أحدث الدهر أوذرا
ولا تجزعا إن الحياة ذميمة فحفا لروعات الحوادث أو قرا
وإن جاء أمر لا تطبيق دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
ألم تريا أن الملامة نفعها قليل إذا ما الشيء ولى وأذبرا
تهيج البكا والندامة ثم لا تغير شيئا غير ما كان قدرا
أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالمجرة نيرا
أقيم على التقوى وأرضى بفعالها وكنت من النار المخوفة أحذرا
ومنها فى الفخر :

وإنا لقوم ما تعود خيلنا وإذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا
بلغنا السماء مجدنا وجلودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا
ولا خير فى حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكذرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا أورد الأمر أصدرنا

ولما سمع رسول الله (بلغنا السماء — البيت) قال له فأين المظهر يا أبا ليلى ؟
قال : الجنة يارسول الله ، قال له : إن شاء الله ، ولما أتم قصيدته ، قال له الرسول
أجدت لا يفضض الله فاك ، فأتمت عليه مائة سنة أو نحوها وما انفضت من فيه سن .

(٧) عمر بن أبي ربيعة

هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشى المخزومى ،
أشعر قریش وأرق أصحاب الغزل ، وأوصف الشعراء لأحوال النساء .

ولد بالمدينة ليلة مات أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) رضوان الله عنه ، وكانت أمه نصرانية ، وكان أبوه تاجراً مُوسراً ، وعاملاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء الثلاثة من بعده ، فشب في نعيم وترف ، وقال الشعر صغيراً وسلك فيه طريق الغزل ، ووصف أحوال النساء ، وتزاورهن ومداعبة بعضهن لبعض وتعرض للمحادثات المتعطفات من نساء قومه ومن غيرهن ، فوقع منه في بلاءٍ عظيم ، صرن يخفن الخروج إلى الحج ، لأنه كان يتلقاهن بمكة ، ويتربقن خروجهن للطواف والسعي ، ويصفهن وهن محرمات ، وحلمت عليه رجالات قريش لمكانة نسبه منهم ، ولترقب توبته وإقلاعه ، فلما تهادى في أمره ، وشبب بينات السادات والخلفاء غضب عليه (عمر بن عبد العزيز) ونفاه إلى جزيرة أمام مدينة مصوع ؛ ثم رأى أن يكفر عن سيئاته بالتوبة والجهاد ، فغزا في البحر ، فاحترقت السفينة التي كان فيها ، واحترق هو أيضاً سنة ٩٣هـ شعره : رقيق بلفظ. رشيق ، ومعنى أنيق ، حتى قال فيه جرير : هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته ، وقد سلك في الغزل طريقاً لم يسلكوه ، ومن قوله المشهور :

ليت هِنداً أنجزتنا ما تعدُّ وشفتُ أنفسنا مما نجدُ
واستبدت مرة واحدة إنما العاجزُ من لا يستبد
زعموها سألت جارتها وتعرّت ذات يوم تبترد^(١)
أكما ينعننى تبصرنى ؟ عمركن الله ! أم لا يقتصد^(٢)
فتضحكن ، وقد قلن لها : حسن في كل عينٍ من تود^(٣)
حسداً حملنه من شأنها وقدتماً كان في الناس الحسد

(١) تبترد : تصب الماء البارد على رأسها .

(٢) وينعنى : يصفنى ، عمركن الله أذكرن الله ، يقتصد : يعتدل فلا يبالغ .

(٣) أى ان من تحبه تعتقد انه حسن لدى جميع الناس .

- غادة تفتّر عن أشنبها حين تجلوه أقاح أو برد (١)
 ولها عينان في طرفيهما حورٌ منها ، وفي الجيد غيد (٢)
 قلت : من أنتِ ؟ فقلت : أنا من نحن أهل الخيف من أهل منى
 قلت : أهلاً ! أنتم بغيتنا ما لمقتول قتلناه قود (٤)
 قلت : أهلاً ! أنتم بغيتنا فتسمين ، فقلت : أنا هند (٥)
 إنما ضلل قلبي فاحتوى صعدة في سابري تطرد (٦)
 إنما أهلك جيران لنا إنما نحن وهم شيءٌ أحد (٧)
 حدثونا أنها لي نفثت عقداً ، يا حبذا تلك العقد (٨)
 كلما قلت : متى ميعادنا ؟ ضحكت هند ، وقالت : بعد غدا !

(٧) الأخطل

هو أبو مالك غياث الأخطل بن غوث التغلبي النصراني ، شاعر الأمويين وأمدح ثلاثة شعرائهم المقدمين ، والمتفرد بالتعمق بوصف الخمر دون الإسلاميين ، قال الشعر وهو صبي ، وما لبث أن زاحم شاعر تغلب وقتئذ (كعب بن جعيل) وهاجاه وظهر عليه ، ولما طلب يزيد بن معاوية قبل أن يلي الخلافة من كعب هجاء الأنصار ،

(١) الغادة : المرأة ، تفتّر : تظهر ، الأشنب : الفم في أسنانه ماء ورقة وعدوية ، تجلوه : تكشفه ، الأقاح : جمع أقحوان وهو البابونج البري من نبات الربيع له نوار أبيض . البرد : ماء الفمام يسقط جامدا .
 (٢) الحور : شدة سواد العين مع شدة بياض بياضها الجيد : العنق ، غيد : نعومة . (٣) شفه الوجد : أهزله الحب ، الكمد : الحزن الشديد . (٤) الخيف : ناحية من منى عند مكة ، القود : القصاص .

(٥) بغيتنا : مطلبنا . (٦) ضلل : صار ضالاً لا يهتدى ، احتوى : اشتمل ، الصعدة : القناة تنبت مستقيمة لا تحتاج الى مثبت ، شسبه محبوبته في اعتدال قدها بها ، السابري : الثوب الرقيق الجيد تطرد : تمشى مستقيمة (٧) شيء أحد أي شيء واحد (٨) نفثت عقداً : سحرتني والنفث : النقح ، والعقد تكون من خيوط ينفث بها قصد السحر .

لتعرض عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري لأخته في شعره ، أبي عليه ذلك كعب ، وقال : لأهجو قوماً نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه ، ولكني أدلك على الأخطل ، فبعث إليه وأمره بهجائهم ، فهجاهم بقصيدة منها :

ذهبت قريش بالساحة والندی واللؤمُ تحت عمائم الأنصار
فدعو المكارم لستم من أهلها وخذوا مساحيكم بني النجار

وبلغ الشعر كبار الأنصار فغضبوا ، وشكوه إلى معاوية ، فوعدهم بقطع لسانه ، فاستجار بيزيد ، فما زال بأبيه حتى عفا عنه ، ولما ولي يزيد الخلافة قرَّبه إليه ، وتابعه في ذلك خلفاء بني أمية ، وبخاصة عبد الملك ، إذ كان يستعين به على أعدائه ، فقرَّبه إليه وأداناه ، وسمح له بالدخول عليه بلا إذن ، وأجزل له العطايا ، وسماه شاعر الخليفة .

ولما حدثت المهاجاة بين جرير والفرزدق وحُكم فيهما أيهما أشعر؟ عرض بتفضيل الفرزدق ، فهجاه جرير ، فرد عليه الأخطل ، وكانت الشيخوخة قد بلغت منه ، فلم يلحق جريراً ، وكان الأخطل يُقيم أزماناً بدمشق ، وأحياناً ببلاده من أرض الجزيرة ، ومات في أول خلافة الوليد سنة ١٢٥ هـ ، وقد نيف على السبعين .

شعره : كان الأخطل أحد الشعراء الثلاثة السابقين سواهم من فحول الإسلاميين وكان مطبوعاً على الشعر ، بعيداً عن التكلف والتعمق فيه ، وامتاز بإجادة المديح والإبداع في معانيه ، قال يمدح بني أمية ، ويخصُّ بشر بن مروان :

إن يحلموا عنك فالأحلامُ شيمتهم والموتُ ساعة يحمى منهم الغضب
كأنهم عند ذاكم ليس بينهم وبين من حاربوا قربي ولا نسبُ
كانوا موالي حق يطلبون به فأدركوه وما ملوا ولا لغبوا
وإن يكُ للحقِّ أسبابٌ تمدُّ بها ففي أكفهم الأرسان والسبب
هم سعوا بابن عفان الإمام وهم بعد الشماس مرَّوها ثمَّت احتلبوا

ومنها :

إذا أتيت أبا مروان تسألُه وجدته حاضراه الجود والحسب
 ترى إليه رفاق الناس سائلةً من كل أوب على أبوابه عصب
 يحتضرون سجالا من فواضله والخير محتضر الأبواب منتهب
 والمطعم الكرم لا ينفك يعقرها إذا تلاقى رواق البيت والمهب
 كأن جيرانها في كل منزلة قتلى محرّدة الأوصال تستلب
 ومن أفضل شعره قوله :

والناس همهم الحياة ولا أرى طول الحياة يزيد غير خبال
 وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخرًا يكون كصالح الأعمال

(٩) الفرزدق

هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدارمي ، أفخر ثلاثة الشعراء
 الأمويين ، وأجزل المقدمين في الفخر والمدح والهجاء .

ولد سنة ١٩ هـ ونشأ بين البصرة والبادية ، وأتى به أبوه يوماً إلى أمير المؤمنين
 علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فسأله عنه ، فقال هذا ابني يوشك أن يكون
 شاعراً مجيداً ، فقال له أقرئه القرآن ، فأقرأه وحفظه ، ؛ رحل إلى خلفاء بني
 أمية بالشام ومدحهم ونال جوائزهم ، وأخص من كان يمدحه منهم « عبد الملك بن
 مروان » ثم أولاده من بعده ، وكان الفرزدق فوق إقذاعه في الهجو ، وفحشه في
 السباب وقذف المحصنات ، يرمى بالفجور ، وقلة التمسك بشعائر الدين ، ثم تاب
 في أواخر شيخوخته على يد الحسن البصري ، وكان فيه تشيع يستره أيام اختلافه
 إلى بني أمية ، كاشف به آخر حياته حتى أمام الخليفة « هشام » عندما
 رأى الناس تفسح طريق الطواف بالكعبة ، مهابة وإجلالا « لعل بن الحسين »
 فسأل عنه كالمجاهل لأمره ، فشق ذلك على الفرزدق ، وأنشد قصيدته الميمية

الآتية يعرف «بعلى» ويُنكر على «هشام» تجاهله ، فحبسه هشام ثم أطلقه ، وعاش الفرزدق قريباً من مائة سنة ، ومات بالبصرة سنة ١١٤ هـ .

شعره : يمتاز شعر الفرزدق بفخامة عبارته ، وجزالة لفظه ، وكثرة غريبه ومداخلته بعض ألفاظه في بعض ، ولذلك يعجب به أهل اللغة والنحو ، وكان يقال (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة) ويعتبر الفرزدق من أفخر شعراء العرب وقد قضت العوامل السياسية والاجتماعية أن يشتبك مع جرير في التهاجي والتسابح حتى أفحشا وشغلا الناس بنقائضهما .

ومن جيد شعره قوله يمدح سيدنا زين العابدين (وهو على بن الحسين) :

هذا الذى تعرفُ البطحاء وطأته	والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرم
هذا ابن خيرِ عبادِ الله كلهم	هذا التقىُّ التقىُّ الطاهرُ العلم
وليس قولك : من هذا ؟ بضائره	ألُعبُ تعرف من أنكرت والعجم
إذا رأته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهى الكرمُ
ينمى إلى ذروة العز التى قصرت	عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يغضى حياءً ويغضى من مهابته	فلا يكلم إلا حين يتبسم
بكنفه خيزران ريحها عبق	من كفَّ أروع فى عرينه شمم
يكاد يمسكه عرفان راحته	ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
ينشق ثوب الدجى عن نور غرته	كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم
من معشر حبههم دين ويغضهم	كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم	أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم

(١٠) جرير

هو أبو حزره ، جرير بن عطية ، الخطمى ، التميمى ، اليربوعى ، أحد فحول الشعراء الإسلاميين ، وبلغاء المداحين الهجائين ، وأنسب ثلاثتهم

المفلقين ، وهو من بنى يربُوع أحد أحياء تميم ، ولد بالهامة سنة ٤٢ هـ ونشأ في البادية ، وفيها قال الشعر ونبغ ، وكان يختلف إلى البصرة في طلب الميرة ومدح الكبراء ، فرأى الفرزدق وما أكسبه الشعر من المنزلة عند الأمراء والولاة ، وهو تميمي مثله ، وودّ لو يسقفه إلى ما ناله ، وأغراه قومه به للتنويه بشأنهم ، فوقعت بينهما المهاجة عشر سنين لعوامل سياسية واجتماعية ، وكان أكثر إقامة جرير أثنائها في البادية وكان الفرزدق مقبياً بالبصرة يملأ عليه الدنيا هجاءً وسباً ، فما زال به بنو يربوع حتى أقدموه إلى البصرة ، واتصل بالحجاج ومدحه فأكرمه ورفع منزلته عنده ، فعظم أمره ، وشرّق شعره وغرب حتى بلغ الخليفة عبد الملك فحسد الحجاج عليه ، فأوفده الحجاج مع ابنه محمد إلى الخليفة « يزيد بن معاوية » بدمشق ليصل بذلك إلى مدحه ، ومن وقتئذ عدّ من مُداح خلفاء بني أمية ، ومات بالهامة سنة ١١٤ هـ .

وكان في جرير على هجائه للناس عفةً ودين ، وحسن خلق ، ورقة طبع .

شعره : اتفق علماء الأدب ، وأئمة نقد الشعر ، على أنه لم يوجد في الشعراء الذين نشأوا في ملك الإسلام أبلغ من جرير والفرزدق والأخطل ، وإنما اختلفوا في أيهم أشعر ، ولكل هوى وميل في تقديمه صاحبه ، فمن كان هواه في رقة النسيب وجودة الغزل والتشبيب ، وجمال اللفظ. ولين الأسلوب ، والتصرف في أغراض شتى فضل « جريراً » . ومن مال إلى إجادة الفخر ، وفخامة اللفظ. ، ورقة المسلك وصلابة الشعر ، وقوة أسره ، فضل « الفرزدق » ومن نظر بعد بلاغة اللفظ. ، وحسن الصوغ إلى إجادة المدح والإمعان في الهجاء ، واستهواه وصف الخمر واجتماع الندمان عليها حكم « للأخطل » . وإن لجرير في كل باب من الشعر أبياتاً سائرة ، هي الغاية التي يضرب بها المثل ، فيقال إن أغزل شعر قالته العرب هو قوله :

إن العيون التي في طرفها حورٌ
يصرعن ذاللب حتى لا حراك به
وإن أمدح بيت قوله :

ألستم خيرَ من ركب المطايا
وأندى العالمين بطنون راح
وإن أفخر بيت قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم
رأيت الناس كلهم غضابا
وإن أهجى بيت مع التصون عن الفحش قوله :

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعباً بلغت ولا كلابا
وإن أصدق بيت قوله :

إني لأرجو منك خيرا عاجلا
والنفس مولعة بحب العاجل
وإن أشد بيت تهكما قوله :

زعم الفرزدق أن سيقتلُ مربعاً
أبشر بطول سلامة يا مربع
ومن جيد شعره قوله من قصيدة يرثي بها امرأته ، وهي التي ندبت بها
نوار امرأة الفرزدق :

لولا الحياء لهاجني استعبارُ
ولقد نظرت وما تمنع نظرة
ولَهتِ قلبي إذ علتني كبرة
لا يلبثُ الثمرناء أن يتفرقوا
صلى الملائكة الذين تخيروا
فلقد أراك كسيت أحسن منظر
ولزرتُ قبرك والحبيب يزارُ
في اللحد حيث تمكن الإحفارُ
وذوو التمام من بنيك صغارُ
ليلٌ يكرُّ عليهم ونهارُ
والطيبون عليك والأبرارُ
ومع الجمال سكينَةٌ ووقارُ

(١١) الكميْتُ

هو الشاعر الخطيب الراوية أبو المستهل الكميْتُ بن زيد الأسدي الكوفي ،

أشعر شعراء الشيعة الهاشمية ، ومشير عصبية العدنانية على القحطانية ولد سنة ٦٠ هـ - ونشأ بالكوفة بين قومه بني أسد - إحدى قبائل العرب الفصحاء من مضر ، فلقن العربية ، وعرف الأدب والرواية ، وعلم أنساب العرب وأيامها ومثالبها بمدراسة العلم والأخذ عن الأعراب ، وكان له جدتان أدركتا الجاهلية تقضان عليه أخبارها وأشعار أهلها . فخرج أعلم أهل زمانه في ذلك ، وأقر له (حماد) الراوية بالسبق عليه .

وقال الكميت الشعر وهو صغير ، وكان لا يذيعه ولا يتكسب به ، ويكتفى بحرفته (تعليم صبيان الكوفة بالمسجد) ولما حصف شعره وقوى أثره ، ولا سيما قصائده التي أعلن فيها تشيعه (لبني هاشم وآل علي) أنشده الفرزدق مستنصحا له في أمر إذاعته إذا أعجبه فأمره بإذاعته ، فقال قصائده البليغة المطولة المسماة (بالهاشميات) التي يقول فيها من قصيدة في مدح بني هاشم :

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب	ولا لعباً مني وذو الشب يلعبُ
ولم يُلْهني دار ولا رسمُ منزلٍ	ولم يتطربني بنان مُخضبُ
ولا السانحاتُ البارحاتُ عشية	أمر سليم القرن أم مر أعضبُ
ولكن إلى أهل الفضائل والنهي	وخير بني حواء والخير يُطلبُ
بني هاشمٍ رهط. النبي فإنني	بهم ولهم أَرْضِي مراراً وأعضبُ
خفضتُ لهم مني الجناح مودَّةً	على كنف عطفاه أهل ومرحبُ
ومالي إلا آل أحمد شيعة	ومالي إلا مذهب الحق مذهبُ
بأى كتاب أم بآية سنة	يُرى حبهام عاراً على ويُحسبُ

شعره : لشعره من التأثير السياسي والمذهبي أثر سيئ شئت شمل

الوحدة العربية ، وتوفي سنة ١٢٦ هـ .

الرواية والرواة

ظهر الإسلام وعمدة العرب في ضبط علومهم وآدابهم على الحفظ والرواية فجاءهم من كتاب الله وسنة رسوله بالأمر الخطير والعلم الكثير فكانت عنايتهم بحفظها في الصدور أكثر من كتابتها في السطور .

ولما اتسع علم المسلمين بما أضيف إليها من تفسير الصحابة والتابعين ، ومن أقوالهم في الدين - تعددت طوائف الرواة للقرآن والحديث وفنون الأدب .

ولما كان الإنسان عرضة النسيان ، وأحوال الناس تختلف في الصدق والكذب تشددت الصحابة والتابعون وتابعوهم في تصحيح الرواية ، وشدة التوثيق من صدق الرواة تحرجاً منهم أن يدخل في الدين ما ليس منه .

ولما خاف سيدنا (عمر بن عبد العزيز) أن تموت السنة الصحيحة بموت روايتها وبما وضعه الزنادقة والشيعية والخوارج وفسد فيها ، أمر العلماء بتدوين الحديث ، وبقى الأمر في الشعر والأدب كما كان في الجاهلية : لكل شاعر راوٍ أو عدة رواة ، ومن أشهر هؤلاء : هذبة بن خشرم راوية الحطيئة ، وجميل راوية هذبة وكثير راوية جميل ، وأبو شقفل وعبيد أخو ربيعة بن حنظلة راوية الفرزدق ، ومربع راوية جرير والفرزدق معاً ، ومحمد بن سهل راوية الكميت ، وصالح بن سليمان راوية ذى الرمة ، وذو الرمة راوية الراعي .

وبقى الأمر كذلك حتى أواخر هذا العصر - فاشتغل العلماء بالرواية ، وصار الراوي منهم يروي لمئات من الشعراء والشواعر ، وإن لم يكن هو شاعراً .

وأكثر هؤلاء العلماء من الرواة أدرك العصر (عصر بني العباس) فيذكر فيه .

ومع تشديد الناس في تصحيح الرواية سنةً وأدباً حدث في الشعر

والخطب كثير من التصحيف والتحريف والنقص والزيادة ، ونحو ذلك .

العصر الثالث : عصر الدولة العباسية (١) من ١٣٢ - ٦٥٦ هـ

أحوال اللغة وآدابها في ذلك العصر

كان بنو أمية شديدي التعصب للعرب والعربية ، فكان كل شيء في دولتهم عربي الصبغة ، وكانت جمهرة العرب مُنتشرة في كل مكان امتد إليه سلطانها ، فلما قامت الدولة العباسية بدعوته ، لم تجد لها من العرب أنصاراً وأعواناً ، مثل ما وجدت من الفرس وأمم الأعاجم ، فاكتمت بهم دولة بنو أمية ، وأسست دولة قوية ؛ كان أكثر النفوذ فيها للموالى . فاستخدمهم الخلفاء والأمراء في كل شيء من سقاية الماء إلى قيادة الجيوش والوزارة ، وابتدأ شأن العرب السياسي يتضاءل من ذلك الحين شيئاً فشيئاً ، واختلطوا بالأعاجم ، وكان من المجموع شعب ممتزج لغة وعادة وخلقاً ، فآثر في اللغة لفظاً ومعنى ، وشعراً ونشراً ، كتابة وتأليفاً ، ولم يظهر ذلك بالطبع في جميع الممالك بنسبة واحدة ، بل كان في أواسط آسيا أظهر منه في مصر والشام . أما حال ممالك العرب والأندلس صدر هذا العصر فلم يبعد كثيراً عما كان عليه في العصر الماضي ، ثم سرت إليها عدوى تقليدها للمشاركة في أكثر الأمور .

(١) خلفاء بني العباس إلى سنة ٣٣٢:			
٢٤٨/٢٤٧	محمد المنتصر	١٣٦/١٢٣	أبو العباس عبد الله السفاح
٢٥٢/٢٤٨	أبو العباس أحمد المستعين	١٥٨/١٣٦	أبو جعفر المنصور
٢٥٥/٢٥٢	أبو عبد الله المعتز	١٦٩/١٥٨	محمد المهدي
٢٥٦/٢٥٥	محمد المهدي بالله	١٧٠/١٦٩	موسى الهادي
٢٧٦/٢٥٦	أحمد المعتمد على الله	١٩٣/١٧٠	هارون الرشيد
٢٨٩/٢٧٩	أحمد المعتضد بالله	١٩٨/١٩٣	محمد الأمين
٢٩٥/٢٨٩	علي المكتفي بالله	٢١٨/١٩٨	عبد الله المأمون
٣٣٠/٢٩٥	جعفر المقتدر بالله	٢٢٨/٢١٨	أبو اسحق محمد المعتصم
٣٣٢/٣٣٠	أبو منصور محمد القاهر	١٣٢/٢٢٢	أبو جعفر هارون الواثق
٣٣٩/٣٣٢	أبو العباس أحمد الرازي	٢٤٧/٢٣٣	جعفر المتوكل على الله
٣٣٣/٣٣٩	إبراهيم المتقي بالله		

ويمكن إرجاع جميع هذه التغييرات إلى ثلاثة أمور ؛ الأول : ما يتعلق بالأغراض التي تؤدّيها اللغة ، الثاني : ما يتعلق بالمعاني والأفكار ، والثالث : ما يتعلق بالألفاظ والأساليب .

أغراض اللغة

لما قامت الدولة العباسية وتشبه الخلفاء بملوك الفرس في أكثر أمور السياسة والمعيشة ، وحاكتهم العامة في ذلك بتقليد أمثالهم من طبقات الأعاجم ، تناولت اللغة في المشرق أغراضاً لم تعهد فيها من قبل ، بنقل علوم تلك الأمم وآدابها وعاداتها وطرق معيشتها .

ثم تناولت هذه الأغراض في الغرب بعدئذ بفرق يسير ، فكان من تلك الأغراض ما يأتي :

- (١) تدوين العلوم الشرعية واللسانية والعقلية ، ولم يدون في صدر الإسلام من ذلك إلا نزر يسير ، وكذلك الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية .
- (٢) تآدية مقاصد الصناعات المختلفة ، وخاصة بعد دخول العرب في غمار الصناعات وبعد تعرب الأعاجم .
- (٣) تآدية المقاصد التي استدعاها الانغماس في الترف بلذائذ الحضارة التي جرت فيها الأمم عصر الدولة العباسية إلى أمد بعيد ، أو اقتضاها نظام الملك والدفاع عنه : كالإمعان في وصف الأشياء النفيسة مما لم يعرف للعرب في صدر الإسلام أو عرف وكان قليلاً ممقوتاً صاحبه ، وكوصف البحر والأساطيل الحربية والمعارك البحرية . وامتاز بأكثر ذلك المغرب والأندلس كما امتازت الأندلس بالإجادة في وصف مناظر الطبيعة ، ومحاسن الوجود للملازمة بيئتها لذلك ، وكادت تلحق بها في الوصف صقلية وإفريقية إبان ازدهائهما .
- (٤) تآدية مقاصد أنواع الخلاعة والسخرية ، مما قل نظيره في صدر الإسلام .
- (٥) المحاضرة والمناظرة والبحث والجدل وتدريس العلوم .

المعاني والأفكار

إن ما حدث في مشارق الممالك الإسلامية ومغارها ، أثناء العصر العباسي ، من الانقلابات السياسية والاجتماعية ، كان له نتيجة ظاهرة في الحركة الفكرية للمتكلمين بالعربية ؛ ظهر ذلك في عباراتهم وأشعارهم بصور مختلفة ، فمنها : (١) ازديادُ شيوع المعاني الدقيقة ، والتصورات الجميلة ، والأخيلة البديعة (٢) التعويلُ على القياس والتعليل في الأحكام الفكرية ، بالإكثار في الحجج والبراهين العقلية ، وانتحاء مذاهب الفلاسفة في الشعر والكتابة والتدريس ، ولا سيما بعد عصر الترجمة ، وأكثر ما كان ذلك بالمشرق ، وقلما عُنيَ به أهل المغرب .

(٣) التهويلُ والغلو في التفضيم المقتبس في المشرق من اللغة الفارسية والسارى بعضه بالعدوى إلى أهل المغرب والأندلس .

الألفاظ والأساليب

غلب على عبارة اللغة العربية في هذه المدة أمران عظيمان : السهولة ، والمحسنات البديعية ، ويشمل ذلك ما يأتي :

- (١) انتقاء الألفاظ الرشيقة السهلة ، وقلة الحاجة إلى الارتجال .
- (٢) ازدياد الميل إلى استعمال ألفاظ القرآن ، والاقْتباس منه والاستشهاد به .
- (٣) الإكثار من ألفاظ المجاز ، والتشبيه ، والتمثيل ، والكناية ، والمحسنات اللفظية .
- (٤) التوسُّع في إدخال ألقاب التعظيم على أسماء الخلفاء والأمراء والعظماء .
- (٥) تفاقم الخطب في استعمال الكلمات الأعجمية في كثير من الأشياء .
- (٦) وضع اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات وإدارة الحكومة وغيرها .
- (٧) التأنق في صوغ العبارات وتوثيق الربط . بينها والميل إلى استعمال السجع .
- (٨) التطرف إلى غاية حدِّ الإطناب والإيجاز ، ولكل منهما مقام .
- (٩) حدوث لغة تأليفية لتعليم العلوم تقاس بـمعيار المنطق بـمعيار البلاغة .

وإذا كانت اللغة إما نشرا ، وإما شعراً .

والنشر : مُحادثة ، وخطابة ، وكتابة ، فاحفظ. ما يتلى عليك .

النشر - المحادثة - أو « لغة التخاطب »

إن لغة التخاطب بين الخاصة من العرب في أواخر العصر الماضي كانت العربية الفصيحة الخالية من اللحن ، إلا من آحاد غير وابه ، وإن لغة العامة والسوقة من العرب المختلطين بالعجم هي العربية المشوبة بشئ من اللحن ، ولغة المتعربين من العجم تقل عن هذه الفصاحة ، وتزيد عليها في اللحن بمراتب مختلفة .

فلما تم امتزاج العرب بالعجم ، عصر الدولة العباسية ، تكونت بين العامة في البلاد التي تكثر فيها جمهرة العرب لغات تخاطب علمية ، إلا بين أهل جزيرة العرب فلم يزل تخاطبهم باللسان الفصيح إلى أواسط القرن الرابع ، وبقيت لغات التخاطب في البلاد التي نقل فيها جاليتهم هي اللغات الوطنية الأعجمية مزوجة ببعض الألفاظ العربية التي أدخلها عليها الإسلام .

وخاف الخلفاء والخاصة من هؤل تغلب العامية على أبنائهم ، وأشفقوا أن تستطيل على الفصيحة ، فيستغلّق على المسلمين فهم الكتاب والسنة ، وهما كل الدين ، فحرضوا العلماء على تدوين اللغة والإكثار من العناية بضبط النحو وفنون البلاغة ، ولكن ذلك كله لم يوقف تيار العامية الزاخر ، الذي استمر في طغيانه إلى أن غلب في النصف الأخير من عصر هذه الدولة على جميع لغات التخاطب ، حتى لغة الخلفاء وعلماء العربية أنفسهم ، وأصبح لكل بلاد عربية لغة تخاطب عامية خاصة بها ، ولكن لم تصبح العامية لغة علم وأدب ، كما وأن ذلك لم يكن طويل الأمد .

الخطابة والخطباء

لما كان قيام الدولة العباسية في المشرق ، والإدريسية في المغرب الأقصى ،

والأموية في الأندلس ، من الأمور التي ينشأ عنها كثيرٌ من الانقلابات السياسية والمذهبية والاجتماعية ، وكان ذلك يستدعي تأليف الأحزاب ، ودعوة الناس إلى التشيع لزعماء الأحزاب ، كانت دواعي الخطابة متوافرة أسبابها ؛ فكان بين قواد هذه الدول ودُعائها وخلفائها ورؤساء وفودها خطباءً مصاقع . ثم لما فترت هذه الدواعي باستقرار الدول ، واشتدَّ اختلاطُ العرب بالأعاجم ، وتولى كثير من الموالى قيادة الجيوش وعمالة الولايات والمواسم ، ضعُف شأنُ الخطابة لضعف قدرتهم عليها . فلم يمض قرن ونصف من قيام تلك الدول حتى بطل شأنُ الخطابة إلا قليلاً في المغرب أيام الحفل وقدم الوفود ، وبقيت الخطابة قاصرة على خطب الجمعة والعديد من المواسم وخطب الزواج ونحو ذلك وقل فيها الارتجال ، أو عدم جملةً ، وحل محل الخطابة في الأمور السياسية نشر المنشورات ، وفي الأمور الدينية مجالس الوعظ. والتدريس في المساجد والمدارس ، واشتهر في صدر الدولة العباسية جملة خطباء ، أشهرهم : داود بن علي ، وشبيب بن شيبة .

داود بن علي

هو داود بن علي بن عبد الله بن عباس ، خطيب بني العباس ، وأحد مؤسسي دولتهم ، نشأ هو وإخوانه - وكانوا اثنين وعشرين رجلاً - في قرية الحميمة من أعمال عمان - وكان الوليد بن عبد الملك أجلى « علي بن عبد الله بن عباس » وأهل بيته إليها - سنة ٩٥ هـ غضباً عليه .

وكان داود أحد النابغين من إخوانه وكان بليغهم ولسانهم وأخطبهم في وقته ، وعاجلته منيته قبل أن يستطير سلطانه في الدولة . ولأه أبو العباس عقب بيعته بالكوفة ولاية الكوفة وسوادها ، ثم ولاه إمارة الحج في هذه السنة ، وولاه معها ولاية الحجاز واليمن واليمامة ، فقتل من ظفر بهم من بني أمية في مكة والمدينة سنة ٣٢ هـ - وهو أول موسم ملكه بنو العباس - وخطبهم الخطبة الآتية وهي :

« شكرا شكرا ، إنا والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهراً ، ولا لنبنى فيكم قصراً . أظنَّ عدوَّ الله أن لن نقدر عليه ؟ أن رُوحى له من خطامه ، حتى عثرَ في فضل زمامه ، فالآن حيثُ أخذ القوس باريها وعادت القوس إلى النزعة ، ورجع الملك في نصابه في أهل بيت النبوة والرحمة ، والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن في فرشنا ، أمنَ الأسود والأحمر ، لكم ذمة الله ، لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكم ذمة العباس ، لا ورب هذه البنية - وأوماً بيده إلى الكعبة - لا نهيح منكم أحداً » ثم ذهب إلى المدينة ، ومات بها سنة ١٢٣ .

شبيب بن شيبه

هو شبيب بن شيبه بن عبد الله المنقرى التميمي ، خطيب البصرة ، نشأ بها ، وامتاز بنبالة نفس وسخاء كف ، وحسن تواضع ونزاهة لسان ، كما امتاز بخطبه القصيرة البليغة ، القريبة من حد الإعجاز . قال الجاحظ : يقال إنهم لم يروا خطيباً كشبيب بن شيبه ، فإنه ابتداءً بحلاوة ورشاقة ، وسهولة وعدوية ، فلم يزل يزداد منها حتى صار في كلِّ موقف يبلغ بقليل الكلام مالا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره ، وقد يطول حتى يقول فيه الراجز :

إذا غدت سعد على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها
من مطلع الشمس إلى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها

وعرف شبيب أبا جعفر المنصور قبل خلافته ، ثم اتصل به بعدها ، فجعله في حاشية وليِّ عهده « المهدي » وبقي كذلك حتى ولي المهدي الخلافة ، فصار من خيرة سواره وجلسائه ، إلى أن مات في حدود سنة ١٧٠ هـ .

ومن خطبه القصصار ، ما عزي به المهدي يوم ماتت ابنته « البانوقة » وجزع

عليها جزءاً شديداً - أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجراً ، وأعقبك صبرا ولا أجهد الله بلاءك بنقمة ، ولا نزع منك نعمة ، ثواب الله خيرٌ منها ، ورحمة الله خير لها منك ، وأحق ما صبرٌ عليه مالا سبيل إلى رده .

الكتابة - خطية وإنشائية

الكتابة الخطية : تنوع في هذا العصر الخط. الكوفي إلى أنواع أربت على خمسين نوعاً : - ومن أشهرها : المحرّر ، والمشجّر ، والمربع ، والمدور ، والمتداخل وبقى مُستعملا في المباني والسكة إلى حدود الألف . ثم نسي جملة وقد جددت منه أنواع في عصرنا ، أما تاريخ خطنا المستعمل الآن فحدث في آخر الدولة الأموية أن استنبط. (قطبة) المحرر من الخط. الكوفي والحجازي خطأ هو أساس الخط. الذي يكتب به الآن ، وابتدع القلم الجليل الذي يكتب به على المباني ونحوها وقلم الطومار (الورقة الكبيرة) وهو أصغر أنواع الجليل وحسن عملة غيره من كتاب صدر الدولة العباسية حتى ظهر إبراهيم الشَّحْرَى ، وأخوه يوسف من كتاب أواخر القرن الثاني فولد إبراهيم من الجليل قلم الثلاثين وولد يوسف من الجليل القلم الرياسي ، وهو قلم التوقيع ، وعن إبراهيم أخذ الاحول المحرر من (صنائع البرامكة) وابتدع قلم النصف . هذه هي أشهر الخطوط وقد تولد منها نحو من ٢٠ خطاً ، يختص كلُّ منها بغرض خاص ، واتفقوا على أن طول الألف يعتبر معياراً لارتفاع بقية الحروف . وأن يكون طول الألف مربعاً مقدار قطة القلم .

وعن الأحول أخذ مهندس الخط. الأعظم الوزير (أبو علي محمد بن مُقَلَّة) وأخوه أبو عبد الله الحسن المتوفى سنة ٣٣٨ هـ ، وهما اللذان تمَّ على أيديهما هندسة خط. النسخ والجليل وفروعه على الأشكال التي نعرفها الآن ، وأتما العمل الذي بدأ به (قطبة) فهندس الحروف ، وقدر مقاييسها وأبعادها

وضبطاها ضبطاً محكماً ، واخترعا له القواعد ، وعن الوزير ابن مقلة أخذ أبو عبد الله بن أسد القارئ المتوفى سنة ٤١٠ هـ ، وعنه أخذ أبو الحسن علي ابن هلال البغدادي المعروف بابن البواب - المتوفى سنة ٤١٣ هـ - وهو الذي أكمل قواعد الخط. واخترع عدة أقلام ، وإليه انتهت الغاية . وكل من جاء بعده فهو تابع لطريقته كأمين الدين ياقوت الملكي المتوفى سنة ١٦٨ هـ - كاتب السلطان ملكشاه السلجوقي - أما الأندلسيون والمغاربة فلم يعباؤا بهذا الاصطلاح وبقوا يكتبون على طريقة الخط. الحجازي إلى الآن بنوع من التعديل - واخترع الجليل الشكل المستعمل الآن بأن كتب الضمة واواً تكتب فوق الحروف ، والفتحة ألفاً ، والكسرة ياءً والشدة رأس شين ، والسكون رأس خاءٍ وهمزة القطع رأس عين ، ثم اختزل شكلها وزيد عليها حتى آلت إلى الشكل المعروف الآن ، وهاك ترجمة الخطاط المتفنن المشهور .

ابن مقلة

هو الوزير أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن مقلة إمام الخطاطين . وأحد كبار الكتاب البارعين ، أخذ الخط. عن الأحوال المحرر صنيعة البرامكة ، وتم على يديه ويدي أخيه الحسن نقل الخط. من الكوفي إلى الشكل المعروف في زماننا ، وكان ابن مقلة يتولى في أول أمره بعض أعمال فارس ، ويجبي خراجها ، وتنقلت به الأحوال إلى أن استوزره الإمام المقتدر بالله سنة ٢١٦ هـ ، ثم كاد له أعداؤه عنده فقبض عليه سنة ٢١٨ هـ ، ونفاه إلى فارس ، ثم وزر للراضى فوشى به أعداؤه عنده فقبض عليه وعزل ، ثم أطمعه نحسه أن يكيد لابن رائق ، أمير الأمراء ببغداد عند هذا الخليفة ، فقبض عليه ابن رائق وقطع يده اليمنى ثم عاد فقطع لسانه أيضاً ، حتى مات سنة ٢٢٨ هـ ومن قوله في تلك الحوادث :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فإن البعض من بعض قريب

وقوله :

ما سَمِئْتُ الحياةَ لكن توثقت بأيامهم فبانَتْ يميني
بِعْتُ ديني لهم بدُنْيائِي حتى حرموني دُنْيَاهُمُو بعد دِينِي
ولقد حُطَّتْ ما استطعت بجُهْدِي حفظ. أرواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لُدَّةُ عيش يا حياتي بانَتْ يميني فبيني

الكتابة الإنشائية في الرسائل الديوانية والإخوانية

كانت كتابة الرسائل في أوائل حكم بني العباس جارية على نظام كتابتها في أواخر عهد بني أمية ، سالكة الطريق التي سلكها عبد الحميد ، وابن المقفع ، والقاسم بن صبيح ، وعمارة بن حمزة ، ونظراؤهم ، من العناية بجعل عبارتها جزلة بليغة متناسقة الوضع والأسلوب ، لا يقصد بها إلا إيفهام المعنى الجيد بوضوح وبلاغة وقوة حجة ، غير منظور فيها إلى زخرف اللفظ. ومحسناته ، وبقيت كذلك بل زادت حسناً وجمالاً ومراعاة لمقتضى الحال إلى أوائل القرن الرابع ثم أخذت الصناعات اللفظية تغلب عليها تدريجياً بتضاؤل ملكة البلاغة في الكتاب وتقاصر همهم عن استيفاء أدائها لتغلب الأعاجم من الديلم البويهيين والترك السلجوقيين على سلطان الخلفاء في الشرق ، وتغلب البربر على شمالي أفريقيا والأندلس في الغرب ، فلم يعد في الملوك والأمراء من يعينهم أمر العربية وبلاغتها ، وما زالت كذلك حتى سقطت الدولة العباسية على أيدي الأعاجم من التتار فكان ذلك عصر ابتداء اضمحلال الكتابة ، واضمحلال اللغة في الجملة .

الكتاب

كان أكثر كتاب المشرق في هذا العصر ، من سلالة فارسية أو سوادية ، بلغوا بحذقهم سياسة الملك ونبوغهم في البلاغة أن ارتقوا عند خلفاء العباسيين إلى مرتبة الوزارة - وأول من ارتقى إليها هو أبو سلمة الخلال ، وأشهر من

بلغ نفوذه وسلطانه مبلغاً زاحم فيه الخليفة يحيى بن خالد بن برمك ، وابناه جعفر والفضل ، ثم محمد بن الزيات في زمن المعتصم ، والواثق ، وكان كتاب الأندلس والمغرب أكثرهم من سلالة عربية ، ومن أشهر كتاب هذا العصر في الشرق : ابن المقفع ، ويحيى بن خالد بن برمك ، وابناه جعفر والفضل ، وإسماعيل بن صبيح ، وعمرو بن مسعدة ، وأحمد بن يوسف ، وابن الزيات ، والحسن بن وهب ، وعلى بن الفرات ، وابن مقلة ، وابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وأبو بكر الخوارزمي ، والبديع ، والصابي ، والعماد الكاتب ، والقاضي الفاضل .
ومن أشهر كتابه في الأندلس : ابن شهيد ، وأبو المطرف بن عميرة ، وابن زيدون ، ولسان الدين بن الخطيب .

ابن المقفع

هو محمد بن عبد الله بن المقفع ، أحد فحول البلاغة ، وثاني اثنين مهد للناس طريق الترسل ورفع لهم معالم صناعة الإنشاء ، وأولهما (عبد الحميد) منشؤه - نشأ ابن المقفع بين أحياء العرب ، فكان أبوه (دادويه) المقفع الفارسي يعمل في جباية الخراج لولاية العراق من قبل بني أمية ، وهو على دين المجوسية ثم أسلم في آخر عمره ، وولد له ابنه هذا حوالي سنة ١٠٦ هـ - وسماه (رؤزيه) فنشأ بالبصرة وهي يومئذ حلبة العرب ومُنتدى البلغاء والخطباء ، والشعراء فكان لكل ذلك فوق ذكائه المفرط وتأديب أبيه له ، أعظم أثر في تربيته وتيسرته لأن يصير من أكبر كتاب العربية ، وعلمائها وأدبائها والمترجمين إليها ، وأسلم بمحضر من الناس وتسمى (عبد الله) وتكنى بابي محمد .
أخلاقه وبلاغته - كان نادرة في الذكاء ، غاية في جميع علوم اللغة والحكمة وتاريخ الفرس متأديباً متعقفاً قليل الاختلاط إلا بمن على شاكلته ، كثير الوفاء لأصحابه .
وكان أمة في البلاغة ورسالة القول وشرف المعاني إلى بيان غرض وسهولة

لفظ. ، ورشاقة أسلوب ، ولا توصف بلاغته بأحسن مما وصف هو البلاغة ، حيث يقول : (البلاغة هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها) .
ومن رسائله أنه عزى بعضهم فقال :

(أما بعد) فإن أمر الآخرة والدنيا بيد الله ، هو يدبرهما ويقضى فيهما ما يشاء لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، فإن الله خلق الخلق بقدرته ، ثم كتب عليهم الموت بعد الحياة ، لئلا يطمع أحد من خلقه في خلد الدنيا ، ووقت لكل شيء ميقات أجل ، لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ، فليس أحد من خلقه إلا وهو مُستيقنٌ بالموت ، لا يرجو أن يخلصه من ذلك أحد ، نسأل الله تعالى خير المنقلب ؛ بلغنى وفاة فلان ، فكانت وفاته من المصائب العظام التي يحتسب ثوابها من ربنا الذي إليه منقلبنا ومعادنا وعليه ثوابنا . فعليك بتقوى الله والصبر وحسن الظن بالله ، فإنه جعل لأهل الصبر صلوات منه ورحمة ، وجعلهم من المهتمدين .

وقد ترجم كتاباً عديدة من أشهرها كتاب (كلىة ودمنة) وقيل : إن هذا الكتاب من وضع ابن المقفع - وهو قول مقبول لا بأس به - وله كتاب (الأدب الكبير) و(الأدب الصغير) و(الدرة اليتيمة) وقتله والى البصرة سفيان بن معاوية سنة ١٤٢ هـ ، لاتهامه بالزندقة ، والكيده للإسلام بترجمة كتب الزندقة .

إبراهيم الصولى

هو أبو إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، كاتب العراق ، وأشعر أصحاب المقطعات ، نشأ ببغداد ، فتلقى العلم والأدب عن أئمة زمانه ، واشتغل بالشعر في حداثة ، فبرع فيه ، وتكسب به ، ورحل إلى العمال والأمراء يمدحهم ويستميح جدواهم ، ثم قصد الفضل بن سهل وزير المأمون أيام مقامه معه

بخراسان ومدحه ، فوهب له عشرة آلاف درهم ، وجعله الفضل كاتباً لأحد قرّاده وبقي ينتقل في أعمال النواحي والدواوين حتى كان زمن الواثق عاملاً على الأهواز ، فتحامل عليه وزيره ابن الزيات ، فعزله وسجنه بها ، فكتب إليه يستعطفه ، فلم يزد بذلك إلا جفاءً وغلظة ، ثم اطلع الواثق على ذلك فأطلقه وتولى ديوان الضياع والنفقات في خلافة المتوكل ، ومات سنة ٢٤٢ هـ ومن رسائله معزية عن لسان المنتصر بالله إلى طاهر بن عبد الله مولى أمير المؤمنين :

(أما بعد) تولى الله توفيقك وحياطتك ، وما يرتضيه منك ويرضاه عنك ؛ إن أفضل النعم نعمة تلقيت بحق الله فيها من الشكر ، وأوفر حادثة ثواباً حادثة أذى حق الله فيها من الرضا والتسليم والصبر ، ومثالك من قدم ما يجب لله عليه في نعمة فشكرها ، وفي مصيبة فإطاعه فيها ، وقد قضى الله سبحانه وتعالى في محمد بن إسحاق مولى أمير المؤمنين - عفا الله عنه! - قضاءه السابق والموقع ، وفي ثواب الله ورضاه أمير المؤمنين - أدام الله عزه! - وتقديماً ما يقدم مثله أهل الحجا والفهم ، ما اعتاضه معتاض وقدمه موفق ، فليكن الله عز وجل وما أطعته به ، وقدمت حقه أولى بك من الأمور كلها ، فإنك إن تتقرب إليه في المكروه بطاعته ، يحسن ولا يتك في توفيقك لشكر نعمه عندك .

ابن العميد

هو الأستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين العميد ، كاتب المشرق وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم ، نشأ شغوفاً بمعرفة العلوم العقلية واللسانية فبرع في علوم الحكمة والنجوم ، ونبغ في الأدب والكتابة وابتدع طريقة الشعر المنشور ، حتى قيل فيه (بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد) ثم رحل عن أبيه إلى آل بويه ، وتقلد شريف الأعمال في دولتهم - إلى أن تولى وزارة

ركن الدولة سنة ٣٢٨ هـ فساس دولته ووطد أركانها ، وتشبه بالبرامكة ففتح بابها للعلماء والفلاسفة والشعراء والأدباء ، وكان يشاركهم في كل ما يعلمون إلا الفقه ، وما زال في وزارته محطّ الرحال ، وكعبة الآمال حتى توفاه الله تعالى سنة ٣٦٠ هـ .

ومن رسائله إلى أبي عبد الله الطبري : كتابي إليك ، وأنا بحال لولم يُنغصها الشوق إليك ، ولم يرنق صفوها النزوع نحوك ، لعدتها من الأحوال الجليلة ، وعددت حظي منها في النعم الجليلة ، فقد جمعت فيها بين سلامة عامة ، ونعمة تامة ، وحظيت منها في جسمي بصلاح ، وفي سعيي بنجاح ، ولكن ما بقي أن يصفو لي عيش مع بُعدى عنك ، وينخلو ذرعى مع خلوى منك ، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادى دونك ، وكيف أطمع في ذلك وأنت جزء من نفسي ، وناظم لشملي أنسى ، وقد حرمت رؤيتك ، وعدمت مشاهدتك ، وهل تسكن نفس مُتَشَبِّهة ذات انقسام ، وينفع أنس بيت بلا نظام ، وقد قرأت كتابك ، جعلني الله فداك ، فامتلات سرورا بملاحظة خطك ، وتأمل تصرفك في لفظك .

وما أقرظهما فكل خصالك مقرظ عندي ، وما أمدحهما ، فكل أهرك مدوح في ضميري وعقدي .

بقية خلفاء العباسيين

٥٣٠/٥٢٩	المنصور الراشد الله	٣٣٤/٣٣٣	عبد الله المستكنى بالله
٥٥٥/٥٣٠	محمد المقتدى لأمر الله	٣٦٣/٣٣٤	القاسم المطيع لله
٥٦٦/٥٥٥	يوسف المستنجد بالله	٣٨١/٣٦٣	أبو بكر الطائع لله
٥٥٧/٥٦٦	حسن المستضيء بأمر الله	٤٢٢/٣٨١	أحمد القادر بالله
٦٢٢/٥٧٥	أحمد الناصر لدين الله	٤٦٧/٤٢٢	عبد الله القائم بأمر الله
٦٢٤/٦٢٢	محمد الظاهر بأمر الله	٤٨٧/٤٦٧	عبد الله المقتدى بأمر الله
٦٤٠/٦٢٤	منصور المستنصر بالله	٥١٢/٤٨٧	أحمد المستظهر بالله
٦٥٦/٦٤٠	عبد الله المستعصم بالله	٥٢٩/٥١٢	فضل المسترشد بالله

وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقةً لتقديرى فيك؛ فإن كان كذلك وإلا فقد غطى هواك وما ألقى على بصري .

الصاحب بن عباد

هو كافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد ، وزير آل بويه وكتبهم ، ولد سنة ٣٢٦ هـ بطالقان قزوين ، وتعلم العلم والأدب من أبيه ، ثم اتصل بابن العميد ، فلزم صحبته ، وأخذ عنه الأدب ، وتولى له كتابة خاصته ، ثم تنقلب به الأحوال في خدمة ملوك بني بويه ، فكان وزيراً لمؤيد الدولة ، ثم لأخيه فخر الدولة ، وله في ملكها اليد المطلقة ، والأمر النافذ حتى مات سنة ٣٨٥ هـ .

ويعد ابن عباد في الكتابة ثانياً ابن العميد في حليته ، وأبلغ من سلك طريقته غير أنه أولع بالسجع والجناس ، ولا يعرف بعدهما من بلغ بشرف العلم والأدب مبلغهما ، ولا حل من شرف الملك والسلطان بمهنة الكتابة منزلتهما ، ومن رسائله ما كتب به إلى بعض السادة ، وقد أهدى إلى ابن عباد مُصحفاً :

ألبر ، أدام الله السيد أنواع ، تطول به أنواع ، وتقصر عنه أنواع ، فإن يكن فيها ما هو أكرم منصباً ، وأشرف منسباً ، فتحفة السيد ، إذ أهدى مالاتشاكله النعم ، ولا تُعادلُه القيمُ ، كتاب الله وبيانه ، وكلامه وفرقانه ، ووحيه وتنزيله وهداه وسبيله ، ومعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودليله ، طبع دون معارضة على الشفاه وختم على الخواطر والأفواه ، فقصر عنه الثقلان ، وبقى ما بقي الملوان ، لائح سراجِه ، واضح منهاجِه ، منير دليله ، عميق تأويه ، يقصم كل شيطان مريد ، وبذل كل جبار عنيد ، وفضائل القرآن لا تحصى في مطولات الأسفار ؛ فأصِف الخط . الذي بهر الطرف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة الأقسام ، وزاد في نخوة الأقلام ، بل أصفه بترك الوصف فأخباره آثاره ، وعينه

فُراه ، وحقا أقول إني لا أحسب أحدا ماخلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت وابتدع في استكتابها ما ابتدعت ، وإن هذا المصحف لزائد عن جميعها زيادة الفرع على الغرّة ، بل زيادة الحج على العُمرَة .

أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي ، الكاتب الشاعر اللغوي الأديب الرحالة ، ولد بخوارزم سنة ٣٢٣ هـ ونشأ بها ، وكان ضليعا في كل فن من فنون العربية ، وخاصة الكتابة والشعر ، جاب الأقطار ، ودخل الأمصار من الشام إلى أقصى خراسان ، في استفادة العلم والأدب وإفادتهما ، وكان كثير الحفظ. للشعر غزير مادة اللغة .

وتقلب الخوارزمي في خدمة كثير من الملوك والأمراء والوزراء— حتى ألقى عصا التسيار بمدينة نيسابور ، وطاب عيشه بها إلى أن مُني في آخر أيامه بمساجلة بديع الزمان الهمداني ومناظرته ومنازلته ، وأعاناه عليه قوم من أعيان البلدة ووجوهها ، فانخذل الخوارزمي انخذالاً شديداً ، وكسف باله ، ولم يحل عليه الحول حتى مات سنة ٣٨٣ هـ .

وكان الخوارزمي ممن يجرى على طريقة ابن العميد في الكتابة متوخياً جزالة الألفاظ ، مُحْتَفِلاً بصحة المعاني مع ميل فيه إلى الغريب ، وتقدم له كثير من الرسائل .

بديع الزمان الهمداني

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الكاتب المترسل ، والشاعر المبدع . منشؤه : نشأ بهمدان ، ودرس العربية والأدب ، ونبغ فيهما ، وضرب في الأرض يتكسب بآدبه ، ثم أقام بنيسابور مدة أملى بها أربعمائة مقامة ، بلانظ. رشيق وسجع رقيق ، وعلى منوالها نسج الحريري ، ثم شجربينه وبين

الخوارزمي ما كان سبباً في هبوب ريجه ، وبعد صيته ، إذ لم يكن في الحسبان أن أحداً يجترىء على الخوارزمي .
وموت الخوارزمي خلا له الجوّ عند الملوك والأمراء ، فجول في حواضرهم ، ثم استوطن هَراةَ ، وصاهر أحد أعيانها العلماء ، فحسنت حاله ، ونعم باله ، ولكن المنية عاجلته وهو في سن الأربعين سنة ٣٩٣ هـ ، وتقدم له كثير من الرسائل والمقامات المشهورة .

ابن زيدون

هو الكاتبُ الشاعرُ ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله المشهور بابن زيدون، المخزومي الأندلسي ، ولد سنة ٣٥٤ هـ ، ونشأ في مدينة قرطبة ، وتآدب على كبار أئمتها ، وقال الشعر وأجاده ، ولما نبه شأنه بين شعراء قرطبة ، اتصل ببني الوليد بن جهور أحد ملوك الطوائف فحظى عنده ومدحه حتى أصبح لسان دولته الناطق ، وحسامها المسلول ، فأفسد أعداؤه ما بينه وبين ابن جهور ، فاعتقله ومكث في مَجْبَسِهِ مدة استشفع فيها إليه بقصائد أبدعها ، ورسائل استنفذ فيها جهده ، فما ألانت له قلباً ، فأعمل الحيلة في فراره من سجنه ، وخلص إلى المعتضد ابن عباد ملك إشبيلية إذ كان أشد ملوك الطوائف رغبة ، فيه وأكثرهم تمسكاً بالأدباء ، فألتي إليه مقاليد وزارته ، وأصبح صاحب أمره ونهيه ، ولما مات المعتضد وخلفه ابنه المعتمد كان له كما كان أبوه ، وأغدق عليه بره ونعمته .
ومكث ابن زيدون على هذه الحال حتى مات بإشبيلية سنة ٤٦٣ هـ .

القاضي الفاضل

هو أبو علي عبد الرحيم البيساني اللخمي ، ولد بمدينة عسقلان سنة ٥٢٩ هـ ، وتعلم على أبيه وغيره ، قدم مصر وهو شاب ، وتولى رئاسة ديوان الإنشاء في أواخر الدولة الفاطمية .

وتعم في ديوان ابن حديد قاضي الإسكندرية ، وظهر فضله فيما كان يرسله إلى القاهرة من الرسائل فاستقدم أيام الظافر إليها وكان من كتاب ديوانه ، ولازم خدمة أكابر القضاة والكتّاب في الديوان وأخذ عنهم ، وحاكاهم بل فاقهم فصاحة وبلاغة لسعة اطلاعه ، وذخارة مادته وسرعة بديته ، وصفاء خاطره .

ولما سقطت الدولة الفاطمية تولى وزارة صلاح الدين بن أيوب ، وكان يتردد بين مصر والشام في الحروب الصليبية ، ودبر المملكة أحسن تدبير - وبقي في الوزارة حتى مات صلاح الدين فوزر لابنه العزيز على مصر ، ثم وزر من بعده لأخيه ، ومات سنة ٥٩٦ هـ . ومن رسائله القصيرة رسالة كتبها على يد خطيب عيذاب إلى صلاح الدين يتشفع له في توليته خطابة الكرك وهي :

أدام الله السلطان الملك الناصر وثبته ، وتقبل عمله بقبولٍ صالحٍ وأثبتته ، وأرغم أنف عدوه بسيفه وكتبته .

خدمة المملوك هذه واردة على يد خطيب عيذاب ، ولما نبأ به المنزل عنها وقل عليه المرفق منها وسمع هذه الفتوحات التي طبقت الأرض ذكرها ، ووجب على أهلها شكرها - هاجر من هجير عيذاب وملحها ، سارياً في ليلة أملٍ كلها نهار فلا يسأل عن صباحها ، وقد رغب في خطابة الكرك وهو خطيب وتوسّل بالمموك في هذا الملتمس وهو قريب ، ونزع من مصر إلى الشام ، وعن عيذاب إلى الكرك وهذا عجيب ، والفقر سائق عنيف ، والمذكور عائل ضعيف ، ولطف الله بالخلق بوجود مولانا لطيف - والسلام .

التدوين والتصنيف

كانت الحاجة إلى التدوين قد اشتدت في مبدأ الدولة العباسية لاتساع ممالك الإسلام ، فهب العلماء إلى تهذيب ما كتب في الصحف المتفرقة ، وما حفظوه في

الصدور ، ورتبوه وبوبوه وصنفوه كتباً ، وكان من أقوى الأسباب لإقبال العلماء على التصنيف حث الخليفة (أبي جعفر المنصور) عليه ، وحمله الأئمة والفقهاء على جمع الحديث والفقهاء ، ولم يقتصر على مُعاضدة العلوم الإنسانية ، بل أوعز إلى العلماء والمترجمين أن ينقلوا إلى العربية من الفارسية واليونانية فنون الطب والسياسة والحكمة والفلك والتنجيم والآداب ، وتابعه في ذلك أولاده وأحفاده ، حتى زحرت بحور العلم ، واخترعت الفنون ، وتفرعت المسائل ودونت الكتب في كل فن .

كتابة التصنيف والتدوين

وكانت كتابة التصنيف والتدوين في القرن الأول وبعض الثاني من النهضة عبارة عن سلسلة من الروايات المسندة إلى رواها ، وبعضها يروى بلفظ أصحابها غالباً كما في الشعر والخطب والرسائل ، وبعضها بلفظ الراوي كما في أخبار الفتوح والتاريخ والقصص ، ثم ظهرت بعد ذلك في العلوم الشرقية واللسانية طبقات الاستنباط والتعليل ، والتفريع والشرح والاختصار ، وجمع الفروع تحت كليات عامة ، فلم يكن للمؤلفين بُد من حذف أسانيد الروايات ، وترك المحافظة على نقلها بلفظها إلا في الحديث ونحوه .

أما كتب العلوم المترجمة فكانت عبارتها هي تفسير ألفاظها الأعجمية بالعربية ، ولم تكن ترجمتها جيدة في (عصر المنصور) ثم صُحِّحت ترجمتها في زمن (الرشيد والمأمون) ثم لما أتقن كثير من فلاسفة المسلمين هذه العلوم كتبوا فيها بعباراتهم ، وكانت أول أمرها بليغة مفهومة ، ثم عمّوها على بعض الفقهاء المكفرين لهم والمفزين الأُمراء بقتلهم حتى أصبحت عبارة كتب الفلسفة والتوحيد أصعب ما يقرأ باللسان العربي .

العلوم اللسانية ونشأتها

العلوم اللسانية هي الأدب ، والتاريخ ، والعروض ، والنحو ، والمغة ، والبلاغة

علم الأدب — كانت كتبه في أول هذا العصر رسائل يبحث كل منها في ضرب خاص من ضروبه ، كرسائل ابن المقفع ، ورسائل سهل بن هرون : في الأخلاق ، وكتاب النوادر ، وكتاب الأراجيز ، وكتاب الشعر للأصمعي ، وكتاب الشعر والشعراء لأبي عبيدة ، وإذا تابعنا من يقول إن ابن المقفع هو الذى ابتدع كتاب (كليلة ودمنة) ونحله الهند والفرس : كان هذا الكتاب أول كتاب ظهر في (الأدب العربى) الخاص بموضوع واحد ، وأول كتاب ظهر فيه جامع لفنون كثيرة : منه كتاب (البيان والتبيين) وكتاب (الحيوان) للجاحظ . ، واقتنى أثره أحمد بن طيفور في كتابه العظيم (المنظوم والمنثور) في أربعة عشر جزءاً ، ثم أبو العباس محمد المبرّد في (الكامل ، والروضة) ، ثم أبو حنيفة الدينورى وأبو بكر محمد الصولى ، وابن قتيبة صاحب (أدب الكاتب) . وابن عبد ربه صاحب (العقد الفريد) ، وأبو على القالى صاحب (الأمالى) ، وأبو الفرج الأصبهاني صاحب (الأغانى) ، وغيرهم ، ومن أشهر المؤلفين في الأدب : الجاحظ . ، وأحمد بن عبد ربه ، والحريرى ، وها هى ترجماتهم .

الجاحظ.

هو إمام الأدب أبو عثمان عمرو الجاحظ. بن بحر محبوب الكنانى البصرى وُلد حوالى سنة ١٦٠ هـ بمدينة البصرة ونشأ بها فتناول كل فن : ومارس كل علم عرِفَ فى زمانه مما وُضع فى الاسلام ، أو نُقل عن الأمم الأوائل ، فأصبح له مشاركة فى علم كل ما يقع عليه الحسن أو يخطر بالبال ، فهو راوية متكلم فيلسوف ، كاتب مُصنّف ، مترسل شاعر ، مورخ عالم بالحيوان والنبات والموات ، وَصَافٌ لآحوال الناس ووجوه معاشهم واضطرابهم وأخلاقهم وحياتهم— إلا أنه غلب عليه أمران : الكلام على طريقه المُعتزلة؛ والأدب الممزوج بالفلسفة والفكاهة ، وكان غاية فى الذكاء ، ودقة الحس ، وحسن الفراسة ،

وكان سمحاً جواداً كثير الموااة لإخوانه ، وكان على دمامة خلقه وتناقض خلقه خفيف الروح فكه المجلس غاية في الظرف وطيب الفكاهة وحلاوة الكلام - وهو على الجملة أحد أفذاذ العالم وإحدى حُجج اللسان العربي . وأقام الجاحظ . أكثر عمره بالبصرة يعيش معيشة الأدياء والعلماء ، محبوباً لولاتها وأعيانها ، محبوباً منهم بالعطايا والمنح ، بما يُصنّفه لهم من الكتب المتفقة مع أهوائهم المختلفة - وكان كثير الانتجاع للخلفاء (ببغداد ، وسُرَّ مَنْ رَأَى) حتى فُلج بالبصرة وبقي مفلوجاً مدة إلى أن انتقل إلى بغداد فمات بها ودفن بمقبرة الخيزران (أم الرشيد) سنة ٢٥٥ هـ ، وله أكثر من مائتي كتاب .

أحمد بن عبد ربه

هو أديب الأندلس وشاعرها أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي وُلد سنة ٢٤٦ هـ ونشأ بمدينة قرطبة ، ودرس علوم العربية فنبغ في جميعها وحفظ منها ما لم يحفظه أحد من علماء زمانه ، وقرأ رسائل المحدثين من المشاركة ، وما ترجم من كتب الأوائل في أكثر العلوم ، وأودع زُبدة ذلك في كتابه (العقد الفريد) وكان يشتغل في حديثه بالشعر ، ويجرى في مضمار اللهو والطرب ، ونظم في ذلك من القصائد والمقطعات الرقيقة الجميلة ما جعل المتنبي على صلفه وكبره حين سمع شعره يسميه (مليح الأندلس) ثم أقلع في كبره عن صبوته ، وأخلص لله في توبته . فاعتد أشعاره التي قالها في الغزل واللهو عملاً باطلا ، وعميل على أعاريضها وقوافيها قصائد في الزهد يُعارضها بها ، وسماها (المُمحصات) ونال من خلفاء بني أمية بالأندلس قبولاً ، وحل عندهم في المكان الأسمى ، وبقي بقرطبة رئيساً مسوداً ، حتى فُلج ، وعاش بعد ذلك عدة سنين ، ثم مات بها سنة ٣٢٨ هـ .

الحريري

هو أبو محمد القاسم بن محمد بن عثمان الحريري البصري ، المولود سنة ٤٤٦ هـ .

الكاتب الشاعر اللغوي النحوي صاحب البدائع المأثورة في مقاماته المشهورة التي نسجها على منوال مقامات بديع الزمان الهمداني. وأنشأ خمسين مقامة، أتى فيها على كثير من مواد اللغة وفنون الأدب وأمثال العرب وحكمها، بعبارة مُسجَّعة مُزينة بأنواع البديع، ولا سيما الجناس، ترغيباً للطلاب في حفظ اللغة وأدبها، وتفكيهاً لهم بمطالعتها، ونحل وقائعها (أبازيد السروجي) وهو أعرابي فصيح من سروج، كان قد قدم البصرة وأعجبه بها علماؤها، وسمى راويها عنه (الحارث بن همَّام) - يريد نفسه - وأهداها إلى الوزير جمال الدين بن صدقة وزير المسترشد العباسي، وله غير المقامات شعر كثير ورسائل بديعة وكتب في النحو واللغة [منها كتابه (درة الغواص في أوهام الخواص) و (ملحة الإعراب في النحو) وتوفي بالبصرة سنة ٥٢٢ هـ .

فن التاريخ

أول ما وضع في التاريخ باللغة العربية الكتاب الذي وضعه عبید ابن شرية لمعاوية، وفي صدر الدولة العباسية وضع كثير من العلماء كتباً في التاريخ بأقسامه التي من أشهرها:

- (١) فن السير والمغازي؛ وأشهر من ألف فيه من الأوائل: محمد بن إسحاق.
- (٢) فن الفتوح؛ وأشهر من ألف فيه منهم: الواقدي، والمدائني، وأبو مخنف.
- (٣) فن طبقات الرجال، وأشهر علمائه: ابن سعد كاتب الواقدي، والبخاري.
- (٤) فن النسب؛ وأشهر قدماء علمائه: الكلبي، وابنه.
- (٥) فن أخبار العرب وأيامها؛ وأشهر علمائه: أبو عبيدة، والأصمعي.
- (٦) قصص الأنبياء؛ وكتب فيه كثيرون.

(٧) تاريخ الملوك؛ ومن أقدم من كتب فيه: ابن قتيبة الهيثم بن عدي، وابن واضح اليعقوبي، ثم شيخ المؤرخين وعمدتهم محمد بن جرير الطبري الجامع كتابه هذه الفنون السابقة مرتباً على حسب السنين الهجرية.

وحاكاها بعده ابن الأثير في تاريخه (الكامل) .

العروض والقافية

أول من اخترع علم العروض «الخليل بن أحمد» من غير سابقة نعلم على أستاذ أو تدرج في وضع ، بل ابتدعه ، وحصر فيه أوزان العرب في خمسة عشر بحراً ، وزاد عليه تلميذ تلميذه الأخفش بحراً آخر ، ثم لم يزد عليهما أحدا يُعتد به .

أما القافية ، فقد كان العلماء قبل الخليل يتكلمون فيها ، ولكن الخليل هو أول من فصل الكلازم فيها ، وجعلها علماً مدوناً .

النحو

جاءت الدولة العباسية والنحو علم يُدرّس في المعاهد ، ولكن البصريين سبقوا الكوفيين في الاشتغال به ، كما سبقهم الكوفيون في الاشتغال بالشعر وعلم الصّرف .

ومن أكبر الأئمة الذين اشتغلوا بالنحو وهذبوه من البصريين أبو عمر ابن العلاء وتلميذه الخليل ، وتلميذ الخليل «سيبويه» الواضع لأول كتاب جامع في النحو ؛ ثم بعده «الأخفش» شارح كتابه .

ومن الكوفيين : معاذ الهراء ، والرؤاسي ، وتلميذهما الكسائي ، وتلميذه الفراء .

علم اللغة

ويسمى «متن اللغة» ونعنى به معرفة معاني ألفاظها المفردة ، وأول ما وضع الأئمة فيه رسائل وكتباً صغيرة في موضوعات خاصة ، فلما ظهر الخليل أحصى ألفاظ اللغة بطريقة حسابية في كتاب ورتبه على حروف المعجم مقدماً حروف الحلق ، مبتدئاً منها بالعين ، ولذلك سمي معجمه (كتاب العين) ثم ألف أبو بكر بن دريد معجمه العظيم الذي سماه (الجمهرة) مرتباً

على حروف المعجم بترتيبها المعروف الآن ، وأدرك عصر الأزهري فألف كتاب (التهديب) على ترتيب الخليل ، ثم وضع الجوهري كتابه المسمى (بالصاح) على ترتيب الجمهرة وابن سيده الأندلسي كتابه (المحكم) على ترتيب الخليل ، وابن فارس كتابه (المجمل) والصاحب بن عباد كتابه (المحيط). وهذه هي أصول كتب اللغة وما بعدها من (العياب ، والتكملة ، ومجمع البحرين) للصاغاني ، و (النهاية) لابن الأثير ، و (لسان العرب) لابن مكرم و (المصباح) للفيومي ، و (القاموس) للفيروزابادي ، فهو جمع لها أو اختصار منها .

علوم البلاغة — المعاني والبيان والبديع

أول كتاب دون في علم البيان كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة تلميذ الخليل ثم تبعه العلماء ولا يعلم أول من ألف في المعاني بالضبط. ، وإنما أثر فيها كلام عن البلغاء وأشهرهم الجاحظ. في (إعجاز القرآن) وغيره ، وأول من دون كتباً في علم البديع ابن المعتز وقدامة بن جعفر ، وقبل ذلك كان البديع يستعمل في الشعر عملاً ، وبقيت هذه العلوم تتكامل ، ويزيد فيها العلماء حتى جاء فحل البلاغة عبد القاهر الجرجاني فألف في المعاني كتابه (دلائل الإعجاز) وفي البيان كتابه (أسرار البلاغة) وجاء بعده السكاكي فألف كتابه العظيم (مفتاح العلوم) .

الخليل بن أحمد

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي البصري ، مخترع العروض ومبتكر المعجمات ، وواضع الشكل العربي المستعمل حتى الآن .

ولد سنة مائة هجرية بالبصرة ، ونشأ بها ، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة زمانه ، وأكثر الخروج إلى البوادي ، وسمع الأعراب الفصحاء ، فنبغ في العربية نبوغاً لم يكن لأحد ممن تقدمه أو تأخر عنه ، وكان غاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليقه ، ولقن ذلك تلميذه سيبويه .

ومما يشهد له بحدّة الفكر وبعد النظر ، اختراعه العروض علماً كاملاً ، لم يحتاج إلى تهذيب بعده ، وابتكاره طريقة تدوين المعجمات بتأليف كتاب « العين » وتدوينه كتاباً دقيقاً في الموسيقى على غير معرفة بلغة أجنبية واشتغال بلهوه ، وزاد في الشطرنج قطعة سماها « جبلا » لعب بها الناس زمناً ، وبقى الخليل مقياً بالبصرة طول حياته ، زاهداً متعظفاً مكباً على العلم والتعليم — حتى مات في أوائل خلافة الرشيد سنة ١٧٠ هـ . بصدمة في دعامة مسجد ارتج منها دماغه .

سيبويه

هو أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر — إمام البصريين ، وحجة النحويين . ولد بالبيضاء من سلالة فارسية ونشأ بالبصرة ، وكان يطلب أول أمره الحديث والفقه ، فعيبت عليه لحنة لحنها في مجلس شيخه ، فنجل وطلب النحو ، ولازم الخليل ، وأخذ عن غيره أيضاً ، وكان الخليل يؤثره على أصحابه ، فدون جميع ما أخذه عنه ونقله عن غيره في كتابه الذي لم يجمع قبله مثله — ولولا هذا الكتاب الذي رواه عنه ، وشرحه تلميذه الأَخفش ، ما كان لسيبويه خبر يشهر لوفاته كهلا ، ولقلة من أخذ عنه هذا الكتاب ، ولأنه لا يعرف له كتاب غيره وبحسبك هو ، ومات ببلدته البيضاء بفارس سنة ١٨٠ — وسنه نيف وأربعون سنة .

الكسائي

هو أبو الحسن علي بن حمزة — أحد القراء السبعة ، وإمام الكوفيين في النحو واللغة — نشأ بالكوفة ، وتعلم على الكبير بعد لحنة لحنها أمام جمع من طلبة العلم ، فلازم أئمة الكوفة حتى أنفذ ما عندهم ، ثم خرج إلى الخليل بالبصرة وجلس في حلقتة ، وأعجبه علمه ، فقال له : من أين علمك هذا ؟ فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، فخرج إليها ، وأنفذ خمس عشرة قنينة جبر في الكتابة عن العرب ، سوى ما حفظ عنهم ، ولما رجع من البادية وجه إليه المهدي فخرج إلى بغداد فحظي عنده ، وضمه إلى حاشية ابنه الرشيد ، ثم جعله الرشيد مودب ولده الأمين ،

وكان يجلسه هو والقاضي محمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام الأعظم أبي حنيفة على كرسيين مميزين بحضرته ، وما زال على هذه الكرامة حتى خرج الرشيد إلى الرىِّ وهما في صحبته فماتا في يوم واحد فبكاهما ، وقال : دفنت الفقه والعربية بالرىِّ - وذلك سنة ١٨٩ هـ . وقد انتهت إليه إمامة القراءة والعربية بالكوفة وبغداد - وكان يروى الشعر ، وليس فيه جيد نظر .

العلوم الشرعية

التفسير - لم يُدوّن في كتب جامعة تجمع سور القرآن الكريم كلها إلا في عصر الدولة العباسية ، وكان التفسير عبارة عن نقل روايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه تبين المراد من آياته ، وأول طبقة من المفسرين أدركت الدولة العباسية ، أو أنشئت في صدرها طبقة سفيان بن عُيينة ، ووکیع بن الجراح ، وشعبة بن الحجاج ، وإسحاق بن راهويه ، ومقاتل بن سليمان ، والقراء .

كتب الحديث

أول كتاب جمع في الحديث الكتاب الذي أمر الخليفة الأموي « عمر ابن عبد العزيز » بتدوينه ولم يعرف له خبر بعد ، ثم أخذ العلماء يدونون فيه بحض الخليفة أبي جعفر وأولاده ، فدون الإمام مالك « موطأه » ولما اشدت رغبة الناس في طلب الحديث وضع كثير من الزنادقة واليهود المتظاهرين بالإسلام كثيرا من الأحاديث ، فتجرد لها الأئمة الأعلام ، وبينوا صحيحها من فاسدها ، كإسحاق بن راهويه وتلميذه محمد بن إسماعيل البخارى الذى دون كتابه في الأحاديث الصحاح فقط . ، وتبعه تلميذه مسلم ابن الحجاج ، والإمام أحمد بن حنبل ، وأصحاب الكتب الستة الصحاح ، وهم : الترمذى ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه ، والبخارى ، ومسلم .

هذه هي أصول الكتب الصحيحة في الحديث .

الإمام البخارى

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة؛ إمام المحدثين؛ وصاحب «الجامع الصحيح» أجمل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله العزيز ولد ببخارى من سلالة فارسية سنة ١٩٤؛ ونشأ بها يتيماً فحفظ القرآن وألم بالعربية وهو صبي وحُبيب إليه سماع الحديث، فكان سماعه من علماء بخارى وهو لم يناهز البلوغ، حتى حفظ عشرات الألوف من الأحاديث ودخل من أجلها أكثر ممالك المشرق، وأخذ عنه علماءها وأئمتها، ومنهم أحمد بن حنبل، وتفقه مبدئياً على مذهب الشافعى، واستخرج كتابه «الجامع الصحيح» من ستمائة ألف حديث، فى ست عشرة سنة، جمع فيه تسعة آلاف حديث مكرراً بعضها بتكرار وجوهها، وقال: إني جعلته حجة بينى وبين الله، فأجمع علماء السنة على أنه لم يكن فيها أصح منه، ومات سنة ٢٥٦.

علم الفقه

لما كان المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهر نص القرآن لا يستوعبان كل أحكام الوقائع المختلفة المتجددة بتجدد الزمان والمكان، كان الاجتهاد ضرورياً فى الدين، وجاءت الدولة العباسية وأهل الحجاز يرجحون جانب الأخذ بالحديث لكثرة روايته بينهم، وإمامهم فى مذهبهم «مالك بن أنس» وأهل العراق يرجحون الأخذ بالقياس، وإمامهم فى مذهبهم «أبو حنيفة» لكثرة ما وضعه متزندقه العراق فى الحديث ثم لما دخل أهل الحجاز العراق، وتساوى الفريقان فى معرفة الحديث عملوا بهما ونشأ من ذلك عدة مذاهب أشهرها (مذهب أبى حنيفة، ومذهب مالك، ومذهب الشافعى، ومذهب أحمد بن حنبل) وهذه المذاهب الأربعة هى التى ارتضاها معظم الأمة فى أمر دينها ودنياها ثم كان لكل مذهب أئمة مجتهدون فيه.

الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان

هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت فقيه العراق ، ولد سنة ٨٠ هـ من سلالة فارسية ، ونشأ بالكوفة ، وعاصر بعض الصحابة ، وأخذ كل علمه عن شافه الصحابة ونقل عنهم واستنبط. فقهه من القرآن الكريم وما صح عنده من الحديث مع استعمال الرأى والقياس ، وكان من أعبد الناس وأكثرهم تهجداً وقراءة للقرآن الكريم ، وأكثرهم ورعاً وتوخياً للكسب من وجه حل ، رضى أن يعيش تاجر خز ، ورغب عن وظائف الملوك والخلفاء ، وعرض عليه القضاء من قبل أمراء بني أمية ، ثم المنصور فأبى ، فسجنه وآذاه ، حتى قيل إنه مات فى سجنه ، وكان يعتذر بأنه لا يأمن نفسه أن تزل ، وقرأ عليه علماء الكوفة وبغداد ، وتخرج عليه منها الأئمة من أصحابه كمحمد بن الحسن ، وأبى يوسف ، وزفر ، ومات ببغداد سنة ١٥٠ هـ .

الإمام مالك

هو أبو عبد الله مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة ، وسيد فقهاء الحجاز ، وهو عربى من سلالة أقيال حمير ، ولد سنة ٩٥ هـ بالمدينة المنورة ونشأ بها ، وأدرك خيار التابعين من الفقهاء والعباد ، ورحل إليهم وأخذ عنهم ، وما زال يدأب فى التحصيل وجمع السنة حتى صار حجة من حجج الله فى أرضه ، وضرب به المثل ، فقيل : « لا يفتى ومالك بالمدينة » وعرف الخلفاء قدره فأجلوه ، حتى أن الرشيد رحل هو وأولاده إليه بالحجاز لىسمع « موطأه » فسمعه وأغدق عليه .

وكان مالك أول أمره فقيراً ، فلما كثرت منح الخلفاء له حسن حاله ، فأظهر نعمة الله عليه ووصل أهل العلم وأشركهم فى ماله ، ومنهم « الشافعى » .
وأما أخلاقه من حيث الكرم والطلاقة والوقار والنبل والتواضع والحب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها تجل عن الوصف حتى إنه كان لا يركب دابة في المدينة إجلالاً لأرض ضمت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وتوفي سنة ١٧٩ هـ بالمدينة - ودفن بالبقيع .

الإمام الشافعي

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، عالم قريش وفخرها ، وإمام الشريعة وحبرها ، وهو من ولد المطلب بن عبد مناف . ولد بمدينة غزة سنة ١٥٠ هـ ، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين ، ونشأ بها فقيراً تربيه أمه ، ويواسيه ذوو قرابته من قريش ، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين وأولع بالنحو والشعر واللغة ، ورحل إلى البادية في طلبها ولم يناهز سن البلوغ حتى حفظ منها شيئاً كثيراً ، ثم تفقه وحفظ . (موطأ مالك) وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة ثم رحل في هذه السن إلى (مالك) وقرأ عليه الموطأ من حفظه ، فقال مالك : إن يكن أحد يفلح فهذا الغلام ، وأضافه وخدمه بنفسه ، ثم رجع إلى مكة ، وعلم بها العربية والفقه ، وصحح عليه الأصمعي شعر الهذليين ، ثم دخل بغداد سنة ١٩٥ هـ ، فاجتمع عليه علماءها وأخذوا عنه ، وفي سنة ١٩٩ هـ أو سنة ٢٠٠ هـ خرج إلى مصر وسكن الفسطاط فكانت دار هجرته ، وبها أملى مذهبه بجامع عمرو ، وتوفي بها سنة ٢٠٤ هـ .

الإمام أحمد بن حنبل

هو الإمام الصابر المحتسب أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني . ولد ببغداد من سلالة عربية سنة ٢٦٤ هجرية ، فتعلم وطلب الحديث وسمع من أئمة وقته ، حتى حفظ مئات الألوف من الأحاديث ، واختار نيفاً وأربعين ألف حديث ضمنها كتابه (المسند) واستنبط مذهبه من السنة مشوباً بشيء من القياس والرأي ، وظهرت في مدته فتنة (خلق القرآن)

فامتحن بها في مجلس المعتصم ليحببهم إلى القول بخلق القرآن ، فلم يفعل ،
فضرب حتى أُغمى عليه ، وبقى مدة مريضاً ، ثم عُوفي واشتغل بالعلم والتعليم
ببغداد — حتى مات سنة ٢٤١ هـ .

علم الكلام

كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يستدلون على عقائدهم
بظاهر الكتاب والسنة ، وما وقع فيهما من المتشابه ، أو أوهم التشبيه المنافي
لتنزيه المعبود توقفوا فيه خوف أن يحد بهم فهمهم في التأويل عن القصد —
غير أن ذلك لم يُقنع من دخل في الإسلام فكثرت جدلهم ، واضطر العلماء
أن يعارضوهم ، وساعدهم الخلفاء ، وأولهم المهدي الذي حرضهم على تدوين
علم الكلام « التوحيد » فافترق الراضي عن مذهبهم من علماء الكلام فرقتين .
فرقة اعتقدت ما يقرب من مذهب السلف وُسُموا (الجماعة) أو أصحاب
الحديث ، وفرقة اعتزلتها وخالفتها في بعض المسائل وُسُموا (المعتزلة) أو أصحاب
العدل ، وجرى رجالُ الحكومة العباسية على هذا المذهب ونصروه ، حتى ظهر
أبو الحسن الأشعري فألّف مذهبه الكلامي الذي سُمّي بعد بمذهب الأشاعرة .
وغلّب على كل مذهب سواه إلا بعض مذاهب قليلة كمذاهب الشيعة « وبقى كثير
منها إلى الآن » ومذاهب الخوارج وبقى منهم إلى عصرنا بقية في الجبل
الأخضر من برقة ، وفي جزيرة جربة على ساحل تونس وببلاد البحرين .

أبو الحسن الأشعري

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وإمام
المتكلمين وُلد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ ونشأ بها ، وأخذ علم الكلام عن أبي علي
الجبائني شيخ المعتزلة ، وتبعه في الاعتزال ، واحتج له حتى صار لسان المعتزلة أكثر
من ثلاثين عاماً ، ثم هداه البحث أخيراً فرأى أن كلا الفريقين من هؤلاء ومن

المعتزلة غالباً في نظره ، فتوسط . ، وتغيب عن الناس مدة ألف فيها كتبه في نُصرة أهل السنة ، والرد على أكثر عقائد المعتزلة ، وكان شافعي المذهب .
توفي سنة ٣٢٤ هـ وممن نصر مذهبه الفخر الرازي ، وقاربه في مذهبه القاضي أبو منصور الماتريدي .

الإمام الغزالي

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي ، حُجّة الإسلام ، ولد سنة ٤٥ هـ ونشأ بَطُوس وتعلم بها مبادئ العلوم ، ثم رحل إلى نيسابور ، ولازم إمام الحرمين الجويني ، وهو يومئذ عالم الشافعية في الشرق ، فما زال يتلقى عنه العلم حتى صار من أكابر مُتكلمي الأشاعرة وفقهاء الشافعية ، ولما مات الجويني ذهب إلى بغداد ولقي الوزير نظام الملك صاحب المدرسة النظامية الشهيرة وناظر بحضرته العلماء فظهر عليهم ، وأقر له فحول العراق بالفضل ، فتولى التدريس بالمدرسة النظامية أربع سنوات - ثم حجَّ وذهب إلى الشام يدرس ويسيح لزيارة بعض مشاهد أنبيائها ثم دخل مصر وأقام بالإسكندرية مدة ثم عاد إلى وطنه طوس ، واشتغل بتأليف الكتب الجليلة وفي مقدمتها كتاب «إحياء علوم الدين» ثم ألزم التدريس بنيسابور ، ثم عاد إلى وطنه حيث أمضى بقية عمره بين التدريس ووعظ الصوفية وعمل البر ، حتى مات بالطابران قسبة طوس سنة ٥٠٥ هـ .



نشأة العلوم الكونية المنقولة

وترجمتها وأشهر المترجمين والمشتغلين بها

وكانت تسمى علوم الفلسفة والحكمة وتشمل أربعة علوم : المنطق ، والطبيعيات ، والرياضيات ، والإلهيات ، وتشمل الطبيعيات علم الطبيعة ، والكيمياء ، وفن المواليذ الثلاثة ، والطب والصيدلة والفلاحة .

وتشمل الرياضيات : علم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وعلم الآلات (الميكانيكا) علم الفلك الشامل للهيئة والتنجيم ، ومن متعلقاته علم الجغرافيا الرياضية ، ويلحق بهذه العلوم علم السياسة وتدبير المنزل والمال وعلم الأخلاق وفنون الموسيقى .

وتشمل الإلهيات : علم ما وراء الطبيعة من الروحانيات والمدركات العقلية كالبحث عن صفات الخالق والقوى النفسية والجنّ والملائكة ، ونحو ذلك . وهذه العلوم فطرية في الإنسان من حيث إنه متفكر متمدين لا تختص بها أمة دون أخرى ، فكان الاشتغال بها ضرورياً لكل أمة أصبحت ذات حضارة ولذا ترجم المسلمون بعضها في عصر بني أمية ، واستقدم « المنصور العباسي » كثيراً من الأطباء والمترجمين ، فترجموا له كتب اليونان والفرس والهنود في الطبّ والفلك والسياسة .

ولما جاء عصر المنصور فتر أهرُ الترجمة إلى زمن الرشيد والبراهمة فتحثوا العلماء على ترجمة الكتب اليونانية ؛ وصححوا بعض ما ترجم زمن المنصور . ثم جاء عصر (المأمون) فزخرت بحور الترجمة ، وبعث إلى بلاد الروم جماعة من المترجمين كابن البطريق وسلم صاحب بيت الحكمة والحجاج ابن مطر ، وحنين بن إسحاق ؛ فاختروا كتباً حملوها إلى بغداد وترجمت ، وتعلمها الناس وصححوا أغلاطها ، واستدركوا عليها ولم يمض قرن من تأسيس الدولة العباسية حتى برع المسلمون في هذه العلوم كلها ؛ وظهر بينهم من الحكماء والفلاسفة من كاد يلحقُ فلاسفة اليونان ومن هؤلاء فيلسوف الإسلام والعرب (أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن الصباح الكندي) وتلميذه أحمد بن الطيب السرخسي ؛ وبنو موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن أشهر رياضي هذا العصر : وأول المخترعين من المسلمين في الحيل والهندسة ؛ ومحمد بن موسى الخوارزمي مخترع علم الجبر والمقابلة ومذيع الحساب

الهندي بين العرب ؛ ثم ذهب طورُ الترجمة والتصحيح وتلاه طورُ التأليف والتكميل والاختراع فأثى به بالعجب العُجاب أبو نصر محمد بن طرخان الفاراني الحكيم الكبير مخترع آلة الطرب المسماة بالقانون ؛ والتي استنبط. الأفرنج بنحركاتها آلة المعزف (البيانو) المتوفى سنة ٣٣٩ هـ ، وأبو بكر محمد ابن زكريا الرازي الطبيب الكيميائي الشهير المتوفى سنة ١٦٤ هـ ، والشيخ الرئيس حكيم المشرق أبو علي الحسين بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ ، وأبو الريحان أحمد بن محمد البيروني الفلكي الرياضي المقوم المتوفى سنة ٤٣٠ هـ . وكان لدولة الفواطم في مصر اشتغال بهذه العلوم ، فاشتهر في دولتهم في الفلك والرياضيات ابن يونس ، وفي الطب ابن رضوان وغيرهما .

ولم يُعن أهل الأندلس بهذه العلوم عناية أهل المشرق ، وأشهر من نبغ منهم فيها أبو الوليد القاضي أحمد بن رُشد ، وأبو القاسم الزهراوي ، ومن كتب هؤلاء الأئمة وأمثالهم اقتبس أهل (أوروبا) كثيراً من أصول مدنياتهم الحاضرة .

الشعر والشعراء

قد كان للشعر عند الخلفاء والوزراء ، والقواد سوقٌ نافقة ، حتى عند روساء الأعاجم من الديلم والترك ، ودام كذلك إلى انتهاء الدولة العباسية ، وهذه العناية العظيمة بل وكثرة قائله تفنن الناس وأدخلوا عليه فنوناً لم تُعهد فيه واستعملوه في كل غرض حتى التعبد به ، وتشكل أسلوبه ، وتنوعت معانيه بما يُطابق أغراض استعماله .

ولم يقتصر الشعر على الموالي في صدر الدولة العباسية كالكتابة بل اشتركوا فيه هم وغيرهم من أعراب البادية أحياناً ، ومن سلاسل العرب بالأمصار الأخرى ، غير أن بضعة من فحول صدر الدولة كانوا موالي مثل بشار ، وأبي نواس ، ومسلم ، وأبي العتاهية ، وابن الرومي .

ومن أشهر شعراء الأمصار من العرب أبو تمام ، والبحتري ، وابن المعتز ، والمتنبي

وأبوفراس وأبو العلاء المعري ، وابن هاني الأندلسي ، والشريف الرضي :

(١) بشارُ بنُ بردُ

هو أبو معاذ بشار المرعّب بن برد ، أشعر مخضرمي الدولتين ، ورأس الشعراء المحدثين ومهد طريق الاختراق والبديع للمتفنين ، وأحد البلغاء المكفوفين وأصله من فرس طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة فنشأ بشار فيهم ، واختلف إلى الأعراب الضاربين بالبصرة ، حتى خرج نابغة زمانه في الفصاحة والشعر ، وكان أكمه مجدور الوجه ، قبيح المنظر ، مفرط الطول ، ضخم الجثة ، متوقد الذكاء لا يسلم من لسانه خليفة ولا سوقة ، لا يألف ولا يؤلف .

شعره : قد أجمع رواة الشعر ونقدته على أن بشاراً هو رأس المحدثين وأسبقهم إلى معاطاة البديع ، وطرق أبواب المجون والخلاعة والغزل والهجاء ، وأنه أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين . وفتق عن المعاني الدقيقة والأخيلة اللطيفة ، حتى عد شعره برزخاً بين الشعر القديم والحديث ، ومجازاً يعبر عليه الشعر من مراتب البداوة إلى مقاصير الحضارة ومات مقتولا سنة ١٦٧ هـ ، ومن شعره في المشورة والحكم والنصائح قوله :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأى نصيحٍ أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغلُّ أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخلُّ الهويني للضعيف ولا تكن نؤوماً فإن الحرَّ ليس بنائم

وقوله :

ظُلُّ اليسار على العباس ممدود وقلبه أبداً بالبخل معقود
إن الكريم ليُخني عنك عسرته حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله عللٌ زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرمت أن تُعطى القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود

بث النوال ولا تمنع قلته فكل ما سدَّ فقراً فهو محمود
وقال :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تُعاتبه
فَعش واحداً أو صلُّ أخاك فإنه مُقارفُ ذنبٍ مرَّةً ومُجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
وقال :

خليلى إن المال ليس بنافع إذا لم ينل منه أخ وصديق
وكنت إذا ضاقت على محلة تيممت أخرى ما على مضيق
وما خاب بين الله والناس عامل له في التقى أو في المحامد سوق
وما ضاق فضل الله عن متعفف ولكن أخلاق الرجال تضيق

(٢) أبو نواس

هو أبو الحسن بن هانيء، الشاعر المتفنن، والجاد الماجن، وصاحب الصيت الطائر، والشعر السائر، ورأس المحدثين بعد بشرار، وهو فارسي الأصل، ولد بقرية من كورة خوزستان سنة ١٤٥ هـ، ونشأ يتيمًا، فقدمت به أمه البصرة بعد سنتين من مولده؛ فتعلم العربية ورغب في الأدب، فلم تعبأ أمه بحاله وأسلمته إلى عطار بالبصرة فمكث عنده لا يفتر عن معاناة الشعر، إلى أن صادفه عند العطار (والبة ابن الحباب) الشاعر الماجن الكوفي، في إحدى قدماته إلى البصرة، فأعجب كل منهما بالآخر، فأخرجه والبة معه إلى الكوفة فبقي معه ومع ندمائه من خلعاتها؛ وتخرج عليهم في الشعر وفاقهم جميعًا، وقدم بغداد فبلغ خبره (الرشيد) فأذن له في مدحه فمدحه بقصائد طنانة، ثم انقطع إلى مدح محمد الأمين الخليفة العباسي، وثبت عنده بعض ما يوجب تعزيزه فسجنه ولم يلبث بعد خروجه من السجن أن مات ببغداد عام ١٩٨ هـ وكان أبو نواس جميل الصورة، فكه المحضر، كثير الدعابة، حاضر البديهة، متيناً في اللغة والشعر والأدب ..

شعره : أجمع أكثر علماء الشعر ونقده وفحول الشعراء على أن (أبا نواس) أتمتع المحدثين بعد بشار وأكثرهم تفنناً وأبدعهم خيالاً ، مع دقة لفظ ، وبديع معنى وأنه شاعر مطبوع برز في كل فن من فنون الشعر ، وامتاز بقصائده الخمريات ، ومقطعاته المجونيات ، وأراجيزه الطرديات (أقواله في تبكيهه إلى الصيد ومطاردته) وكان شعره ليقاح الفساد ، والقدوة السيئة لنقله الغزل من أوصاف المؤنث إلى الذكر ، وإبداعه وصف الخمر ، فكان نموذج سوء لمن تأخر ، ومن ذلك قوله :

دَعَّ عنك لوى فإن اللوم إغراءً وداوئى بالتي كانت هى الداء
صفراءً لاتنزلُ الأحزانُ ساحتها لو مسَّها حجرٌ مسَّتهُ سراءُ
رَقَّتْ عن الماءِ حتى ما يلائهما لطاقةً ، وجفا عن شكلها الماءُ
فلو مزجتَ بها نورا لمازجها حتى تولد أنوار وأضواءُ
ومن قوله لما حضرته الوفاة :

ياربَّ إن عظمت ذنوبى كثرة فلقد علمتُ بأن عفوك أعظم
إن كان لايرجوك إلا مُحسن فيمن يلوذُ ويستجير المجرم ؟
أدعوك ربُّ كما أمرتُ تضرُّعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم ؟
ما لى إليك وسيلةٌ إلا الرجا وجميل عفوك ثم إنى مسلم

(٣) مسلم بن الوليد

هو صريع الغواني أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصارى ، أحد الشعراء المفلقين ، قال الشعر في صباه ، ولم يتجاوز به الأمراء والروساء ، مكثفياً بما يناله من قليل العطاء ، ثم انقطع إلى يزيد بن يزيد الشيباني قائد الرشيد ، ثم اتصل بالخليفة (هارون الرشيد) ومدحه ومدح البرامكة وحسن رأيهم فيه ، ولما أصبح الحلُّ والعقد بيد ذى الرياستين (الفضل بن سهل) وزير المأمون في أول خلافته قربه وأدناه وولاه أعمالاً بجرجان ، ثم الضياع

بأصبهان ، واكتسب منهما مئات الألوف وأنفقها في لذاته وشهوته ، ولما مات
الفضلُ لزم منزله ونسك ، ولم يمدح أحداً حتى مات بـجرجان سنة ٢٠٨ هـ .
شعره : أول من تكلف البديع في شعره ، واستكثر منه في قوله :
ومزجَ كلامَ البدويين بكلامَ الحضريين ، فضمَّته المعاني اللطيفة ، وكساه
الألفاظَ الطريفة ، فله جزالةُ البدويين ، ورقة الحضريين .

ومن جيد قوله يمدح داود بن يزيد المهلبى :

نفسى فداؤك يا داؤد إذ علقتُ أيدي الردى بنواصي مضمير القودِ
تجود بالنفس إن ضنَّ الجواد بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ
وقوله :

ذلت على عيبها الدنيا وصدقها ما استرجع الدهرُ مما كان أعطاني
ما كنت أدخرُ الشكوى لحادثة حتى ابتلى الدهرُ أسرارى فأشكاني

(٤) أبو العتاهية

هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سُويد ، أطلع أهل زمانه شعرا ،
وأكثرهم قولاً ، وأسهلهم لفظاً ، وأسرعهم بهديته وارتجالاً ، وأول من فتح
للشعراء باب الوعظ. والتزهيد في الدنيا ، والنهى عن الاغترار بها ، وأكثر
من الحكمة .

وُلِدَ بعين التمر قرب الأنبار سنة ١٣٠ هـ ، ونشأ بالكوفة في عمل أهله
وكانوا باعة جرار ، إلا أنه رباً بنفسه عن عملهم ، وقال الشعر في صباه ،
وامتزج بلحمه ودمه ، فذاع صيته وسلك طريق خلعاء الكوفة ، ثم قدم بغداد
ومدح المهدي ، ثم عرضت له حالٌ امتنع فيها عن قول الشعر ، حتى حبسه الرشيد
لعدم تلييته ما اقترحه عليه من القول فيه ، ثم أطلقه بعد أن أجاب طلبته ،
وعاد إلى قول الشعر على عادته ، وترك الغزل والهجاء ، وبقي على ذلك مدة
الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون ، حتى مات سنة ٢١١ هـ ببغداد

شعره : يمتاز بالسهولة المتناهية بالنسبة لأهل عصره ، ومن قوله يمدح المهدي :

أَتته الخِلافة مُنقادَةً إليه تُجَرَّرُ أَذْيالها
فلم تُكُ تصلحُ إلا له ولم يكُ يصلحُ إلا لها
ولو رامها أَحَدٌ غيرُهُ لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تعطه بنات القلو ب لما قَبِلَ اللهُ أَعمالها
وإن الخليفة من بغض (لا) إليه لِيُبغضُ من قالها

وكتب على البديهة في ظهر كتاب :

أَلا إِننا كلنا بائدٌ وأىُّ بنى آدم خالدٌ
وبدؤهم كان من ربهم وكل إلى ربِّه عائِدٌ
فياعجباً كيف يُعصى الإله أم كيف يججده الجاحدُ
ولله في كلِّ تحريكة وفي كلِّ تسكينة شاهدُ
وفي كلِّ شيءٍ له آية تدلُّ على أنه الواحد

(٥) أبو تمام

هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، أسبق ثلاثة الشعراء الذين سارت
بذكورهم الركبان، وخلد شعرهم الزمان، ثانيهم البحتري، وثالثهم المتنبي.
وُلد من سلالة عربية سنة ١٩٠ بقرية جاسم من أعمال دمشق، ونُقل
صغيراً إلى مصر، فنشأ بها فقيراً وكان يسقى الماء بالجرّة في جامع عمرو.
وتعلم العربية وحفظ. ما لا يحصى من شعر العرب ونبيغ في قوله، ثم خرج إلى
مقر الخلافة فمدح المعتصم وحظي عنده، ومدح وزيره محمد بن الزيات،
والحسن بن وهب، الذي ولاه بريد الموصل فأقام بها إلى أن مات سنة ٢٣٢ هـ.

شعره : يعد أبو تمام رأس الطبقة الثالثة من المحدثين انتهت إليه معاني
المتقدمين والمتأخرين، وظهر والدنيا قد ملئت بترجمة علوم الأوائل وحكمتها

من اليونان والفرس والهند ، فحُصِفَ عقله ولطف خياله بالاطلاع عليها ، وهو الذي مهد طريق الحكم ، والأمثال للمتنبى وأبي العلاء وغيرهما ، ولذلك كان يقال : إن أبا تمام والمتنبى حكيمان ، والشاعر هو البيهقي .

وأجاد أبو تمام في كل فن من فنون الشعر ، أما مراثيه فلم يعلق بها أحد جاش صدره بشعر ، وأشهرها القصيدة التي رثى بها محمد بن حميد الطائي ، ومنها :

كذا فليجلَّ الخُطبُ وليفدح الأمر	فليس لعينٍ لم يفيض ماؤها عذر
تُوفيت الآمالُ بعد محمدٍ	وأصبح في شغل عن السفر السفر
وما كان إلا مالَ مَنْ قَلَّ مالهُ	وذخراً لمن أَمسى وليس له ذخِر
وما كان يدرى مُجتدي جُود كفه	إذا ما استهلت أنه خُلِق العسر
ألا في سبيل الله من عطلت له	فيجاج سبيل الله وانثغر الثغر
فتى كلما فاضت عيون قبيلة	دماً ضحكت عنه الأحاديث والذكر
فتى دهره شطران فيما ينوبه	ففي بأسه شطرٌ وفي جوده شطر
فتى مات بين الطعن والضرب ميتة	تقوم مقام النصر إن فاته النصر
وما مات حتى مات مَضْرِبُ سيفه	من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه	إليه الحِفاظُ المرُّ والخلقُ الوعر
ونفسٌ تعاف العارَ حتى كأنما	هو الكفر يوم الرُّوع أو دونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموتِ رَحْلُهُ	وقال لها من تحت أخمصك الحشر
عَدَا غُدُوَّةَ والحمد نسج رِداءه	فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر
تردى ثيابَ الموت حمراً فما دجا	لها الليل إلا وهي من سندس خضر

(٦) البيهقي

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي — أشعر الشعراء بعد أبي نواس .

وُلد سنة ٢٠٦ هـ بناحية منبج في قبائل طيء وغيرها من البدو الضاربيين في شواطئ الفرات ، ونشأ بينهم فغلبت عليه فصاحةُ العرب ، ولازم وهو فتى أباً تمام وعليه تخرج ، ثم خرج إلى العراق وأقام في خدمة (المتوكل والفتح ابن خاقان) محترماً عندهما إلى أن قتلا في مجلس كان هو حاضره ، فرجع إلى منبج بين أعراب طيء ، وبقي يختلف أحياناً إلى رؤساء بغداد ، وسرَّ من رأى ، حتى مات سنة ٢٤٨ هـ .

وكان على فضله وفصاحته من أبخل خلق الله وأقدرهم ثوباً ، وأكثرهم فخراً بشعره ، حتى كان يقول إذا أعجبه شعره : (أحسنتُ والله !) ويقول للمستمعين : ما لكم لا تقولون أحسنت . والكثير على أنه لم يأت بعد أبي نواس من هو أشعر منه .

شعره : كله بديع المعنى ، حسن الديباجة ، صقيل اللفظ . سلس الأسلوب كأنه سيلٌ ينحدر إلى الأسماع محموداً في غرض سوى الهجاء ، ولذلك اعتبره كثير من أهل الأدب هو الشاعر الحقيقي ، واعتبروا أمثال أبي تمام والمتنبي والمعري حكماً ، ولسهولة شعره ورقته كان أكثر الأصوات التي يتغنى بها في زمنه من شعره المطبوع في ديوان حافل . ومن قوله يمدح الخليفة المتوكل ، ويصف موكب خروجه لصلاة عيد الفطر :

بالبر صُمت وأنت أفضل صائم	وبسنة الله الرضية تُفطر
فانعم بيوم الفطر عيداً إنه	يوم أغرُّ من الزمان مُشهر
أظهرت عز المُلْك فيه بجحفل	لجب يُحاط الدين فيه ويُنصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت	عُدداً يسير بها العديد الأكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعى	والبيض تلمع والأيسنة تزهر
والأرض خاشعة تميد بثقلها	والجوُّ معتكر الجوانب أخبر

والشمس طالعةٌ توقد في الضحى
 حتى طلعت بِضوءِ وجهك فانجلت
 فافتنَّ فيك الناظرون فإضبع
 يجدون رؤيتك التي فازوا بها
 ذكروا بطلعتك النبيَّ فهللوا
 حتى انتهيت إلى المصلى لابساً
 ومشيئت مشيةً خاشعٍ متواضع
 فلو أنَّ مشتاقاً تكلف فوق ما
 أبديت من فصل الخطاب بحكمة
 ووقفت في بُردِ النبيِّ مذكراً
 طوراً ويُطفئها العجاج الأكدراً
 تلك الدُّجى وانجاب ذلك العشير
 يومى إليك بها وعين تنظر
 من أنعم الله التي لا تُكفر
 لما طلعت من الصفوف وكَبَّروا
 نور الهدى يبدو عليك ويظهر
 لله لا يزهى ولا يتكبر
 في وسعه لسعى إليك المنبر
 تُنبئ عن الحق المبين وتخبر
 بالله تنذيرُ تارةً وتبشُّرُ

(٧) ابن الرومى

هو أبو الحسن على بن العباس بن جريح الرومى مولى بنى العباس ،
 الشاعر المكثّر المطبوع ، صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، والمعاني
 المخترعة ، والأهاجى المقدّعة .

وُلد ببغداد سنة ٢٢١ هـ ونشأ بها ، وأقام كل حياته بها ، وكان كثير
 التطير جداً ، وكان القاسم بن عبّيد الله وزير المعتز يخاف هجوه وفلتات
 لسانه ، فسلط عليه من دس له السم في الدسم إلى أن مات سنة ٢٨٣ هـ ببغداد .

شعره : قال الشعر في كل غرض ، ولا سيما الوصف والهجاء ، ونَبغ
 في الشعر نبوغاً لم يقصر به كثيراً عن درجة البُحترى ، وربما فاقه في
 اختراع المعانى النادرة أو توليدها من معانى من سبقه بشكل جديد ، ووضعها
 في أحسن قالب ، ومن جيد قوله :

وإذا امرؤ مدح امرأً لنواله وأطال فيه فقد أطال هجاءه
لو لم يُقدّر فيه بُعد المستقي عند الوزرود لما أطال رِشائه

(٨) ابن المعتز

هو أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي أشعر
بني هاشم وأبرع الناس في الأوصاف والتشبيهات .
ولد سنة ٢٤٩ هـ في بيت الخلافة وترى تربية الخلفاء وأخذ عن المبرد
وثعلب ومهر في كل علم يعرفه أئمة عصره ، وفلاسفة دهره ، حتى هابه
وزراء الدولة وشيوخ كتابها ، وعملوا على أن لا يقلدوه الخلافة ، خشية أن
يكف أيديهم عن الاستبداد بالملك ، وولوا المقتدر صبياً ، ثم حدثت فتن
عظيمة ، فتسرع محمد بن داود بن الجراح وجمع العلماء وخلعوا المقتدر ،
وبايعوا ابن المعتز بالخلافة فلما رأى غلمان المقتدر أن الأمر سيخرج من
أيديهم تآمروا على قتله ، وخنق من ليلته سنة ٢٩٦ هـ ، وشعره سهل العبارة
مع رشاقة وقلة تكلف وتصنع ، يعرف فيه نضرة النعيم .

(٩) أبو الطيب المتنبي

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي المتنبي الشاعر
الحكيم ، صاحب الأمثال السائرة ، وخاتم الثلاثة الشعراء ، وآخر من بلغ
شعره غاية الارتقاء ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ في محلة كندة ، ونشأ بها ،
وأولع بتعلم الشعر من صباه وخرج إلى بادية بني كلب فأقام بينهم مدة
ينشد لهم من شعره ويأخذ عنهم اللغة فعظم شأنه بينهم ، حتى وشى بعضهم
إلى لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيدية بأن أبا الطيب ادعى النبوة في
بني كلب ، وتبعه منهم خلق كثير ، ويخشى على ملك الشام منه ، فخرج
لؤلؤ إلى بني كلب وحاربهم ، وقبض على المتنبي وسجنه طويلاً ثم استتابه وأطلقه .

فخرج من السجن وقد لصق به اسم المتنبي مع كراهته له ، ثم تكسب بالشعر مدة انتهت بلحاقه بسيف الدولة بن حمدان ، فمدحه بما خلد اسمه أبدا الدهر .

ثم قصد كافورا الإخشيدى أمير مصر ومدحه ، ووعد كافور أن يقلده إمارة أو ولاية - ولكنه لما رأى تغاليه في شعرة وفخره بنفسه عدل عن أن يوليه ، وعاتبه بعضهم في ذلك فقال : يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أما يدعى المملكة بعد كافور ؟ فحسبكم - فعاتبه أبو الطيب واستأذنه في الخروج من مصر فأبى ، فتغفله ليلة عيد النحر سنة ٣٥٠ ، وخرج منها يريد الكوفة ، ومنها قصد عضد الدولة بن بويه بفارس فأرأى ببغداد فمدحه ومدح وزيره ابن العميد فأجزل صلته وعاد إلى بغداد ، وخرج إلى الكوفة فخرج عليه أعراب بنى ضبة وفيهم فاتك بن أسد وكان المتنبي قد هجاه هجاءً مقذعاً ، فقاتلهم قتالا شديداً حتى قتل المتنبي وابنه وغلماه سنة ٣٥٤ هـ .

شعره : لا خلاف عند أهل الأدب في أنه لم يبلغ بعد المتنبي في الشعر من بلغ شاؤه أو داناه ، والمعري على بعد غوره ، وفرط ذكائه ، وتوقد خاطره ، وشدة تعمقه في المعاني والتصورات الفلسفية يعترف بأبي الطيب ويقدمه على نفسه وغيره ، ويؤخذ هذا من قوله :

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظن أن الليث يبتسم
أعيدها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمنت كلماتي من به صمم
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم
يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم
إن كان سرركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم

وبيننا لو رَعَيْتُمْ ذاك مترفة
 كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم
 إذا تَرَحَّلْت عن قوم وقد قدرُوا
 إن المعارف في أهلِ النهى ذم
 ويكره الله ما تاتون والكرم
 ألا نفارقهم فالراحلون هم
 وقوله :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
 لا يخدعك من عدو دمه
 لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
 والظلم من شيم النفوس فإن تجد
 ومن البلية عدل من لا يرعوى
 ومن العداوة ما ينالك نفعه
 وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
 وارحم شبابك من عدو ترحم
 حتى يراق على جوانبه الدم
 ذا عفة فلعله لا يظلم
 عن غيه وخطاب من لا يفهم
 ومن الصداقة ما يضر ويؤلم
 وقوله :

ما كنت أحسب قبل ذفنيك في الثرى
 ما كنت أمل قبل نعشك أن أرى
 خرجوا به والكُلُّ بالك حوله
 حتى أتوا جدثاً كأنَّ ضريحه
 كفل الثناء له بردَّ حياته
 أن الكواكب في التراب تمور
 رضوى على أيدي الرجال يسير
 صعقات موسى يوم دكَّ الطور
 في كلِّ قلبٍ مُوجدٍ محفور
 لما انطوى فكأنه منشور

(١٠) ابن هاني الأندلسي

هو القاسم محمد بن هاني الأزدى الأندلسي ، شاعر المغرب ومتنبيه ، ولد
 بإشبيلية سنة ٣٢٦ هـ ولما نبه شأنه اتصل بعامل إشبيلية زمن المستنصر
 الأموي ، ومدحه بغير القصائد ، فأحله منزلة سنية ، وأغدق عليه العطايا ،
 فأكب على اللهو والطرب والاستهتار ، واتهم بالزندقة والكفر لاشتغاله بالفلسفة .
 ولما شاع ذلك عنه نقم عليه أهل إشبيلية ، وأشركوا عاملها في التهمة ،

وكادوا يهيمون به ، فأشار عليه بالهجرة من إشبيلية ، فاجتاز البحر إلى عدوة المغرب ، ومدح ولاته من قبل المعز الفاطمي ، ثم نسي خبره إلى المعز فوجه في طلبه ، فوفد عليه بإفريقية ، ومدحه فاصطفاه واتخذته شاعر دولته .

ولما فتح جوهر مصر ، وبني القاهرة ، ورحل إليها المعز ليتخذها دار ملكه شيعه ابن هاني ، ورجع لأخذ عياله والالتحاق به فتجهز وتبعه ، ولما وصل إلى برقة مات بها سنة ٣٦٢ ، وعمره ٣٦ سنة .

شعره : لم ينبغ في شعراء جزيرة الأندلس ولا بر المغرب جميعه من يفوق «ابن هاني» في صناعة الشعر أو يساويه ، فقد كان عندهم في الشهرة والإجادة

وشرف الشعر بمنزلة المتنبي عند المشاركة ، ومن قوله في وصف الخيل :
 وصواهلٍ لا الهضْبُ يوم مُغارها هضْبُ ولا البيد الحزونُ حزونُ
 عُرِفَتْ بساعة سبقها لا أنها عَلَقَتْ بها يوم الرهان عُيونُ
 وأجَلُّ عِلْمِ البَرِّقِ فيها أنها مَرَّتْ بجانحتيه وهي ظنونُ
 ومن قوله الموهم الكُفْرُ في مطلع قصيدة يمدحُ بها المعزُ :

ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ فاحْكُمُ فأنْت الواحِدُ القهارُ

(١١) أبو العلاء المعري

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري التنوخي ، الشاعر الفيلسوف ولد بمعرة النعمان سنة ٣٦٣ ، وجلب في الثالثة من عمره فكف بصره ، وتعلم على أبيه وغيره من أئمة زمانه ، وكان يحفظ كل ما يسمعه من مرة واحدة ، وقال الشعر وعمره إحدى عشرة سنة ، ودخل بغداد ، وأقبل عليه السيد المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ إقبالا عظيما ثم جفاه ، ولما رجع إلى المعرة أقام ولم يبرح منزله ، ونسك وسمى نفسه رهين المحبسين : (محبس العمى ، ومحبس المنزل) وبقى فيه مكباً على التدريس والتأليف ، ونظم الشعر مُقتنعا بعشرات من الدنانير في العام يستغلها من عقار له مجتنباً أكل الحيوان وما يخرج منه مدة ٤٥ سنة مكْتفياً

بالنبات والفاكهة والدُّبْس ، متعللاً بأنه فقير ، وأنه يرحم الحيوان . وعاش عزباً
وعمر إلى أن مات سنة ٤٤٩ من الهجرة بالمعرة وأوصى أن يكتب على قبره :

هذا جناهُ أبا عــــلى وما جَنَيْتُ على أحد

شعره : وله كثيرٌ من الشعر يُناقض بعضه بعضاً في حقيقة العالم
والشرائع والمعبود ، وللناس في اعتقاده أقوال كثيرة ، والظاهر أنه كان شاكراً
متحيراً ، وهو أحكم الشعراء بعد المتنبي ويُفضل عليه في الغريب والأخيلة
الدقيقة والطبيعيات والاجتماعيات والأخلاق ، والقوانين ونظام الحكومات ،
والفلسفة والشرائع والأديان ، ولذلك يفضلهُ الإفرنج عليه ، وهو في هذه
الأُمور معدوم النظير ، ومن مراثيه الجيدة قوله :

غير مُجدٍ في مِلَّتِي واعتقادي نوحُ باكٍ ولا ترنم شادٍ
وشبيةٌ صوتُ النعي إذا قيــــس بصوت البشير في كل نادٍ
أبكتُ تلكمُ الحمامة أم غنّــــتُ على فرع غُصنها الميادِ
صاح هذه قبورنا تملأُ الرحــــب فآين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما أظن أديمَ الأَرْض إلا من هذه الأجسادِ
وقبيح بنا وإن قدم العهــــد هوانُ الآباء والأجدادِ
سر إن اسطعت في الهواء رويداً لا اختيلاً على رُفاتِ العبادِ
ربُّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الأضدادِ
ودفين على بقايا دفين في طويل الأزمان والآبادِ
فاسأل الفرقدنين عمن أحسأ من قبيل وآنسا من بلادِ
كم أقاما على زوال نهار وأنارا للمدليج في سوادِ
تعبُ كلها الحياة فما أعجــــبُ إلا من راغبٍ في ازديادِ
إن حُزناً في ساعة الموت أضعا ف سرورٍ في ساعة الميلاذِ
خلقِ الناس للبقاء فضلتُ أمة يحسبونهم للنفاذِ

إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَالٍ إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رِشَادٍ
ضَجَعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ فِيهَا الْجَسْمُ فِيهَا وَالْعَيْشُ مِثْلُ السَّهَادِ

ومنها :

بَانَ أَمْرُ الْإِلَهِ وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِدَاعٍ إِلَى ضَلَالٍ وَهَادٍ
وَالَّذِي حَارَتْ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ
فَاللَّبِيبُ اللَّبِيبُ مِنْ لَيْسَ يَغْتَرُّ بِكَوْنِهِ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ

وله :

ضَحِكْنَا وَكَانَ الضَّحِكُ مِنَّا سَفَاهَةً وَحَقٌّ لِسُكَّانِ الْبَسِيطَةِ أَنْ يَبْكُوا
تُحَطِّمْنَا الْأَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّهَا زُجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَنَا سَبْكُ

(١٢) ابن خفاجى الاندلسى

هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن خفاجى (شاعر شرقى الأندلس)
وأشهر وُصَافِ الطَّبِيعَةِ . ولد بجزيرة شقير من أعمال بلنسية شرقى الأندلس
سنة ٤٥٠ هـ ، فتعلم ونظم الشعر ، وكتب الرسائل الإخوانية البليغة ، وما زالت
شمس أدبه فى صعود حتى صار واحد زمانه فى الأندلس ، وغلب على شعره
وصف الحوادث الجوية ، ومناظر الطبيعة بأخيلة جميلة وتشبيهات بديعة .
وله غزل رقيق ، ومدح بارع ، ورثاء بليغ .

شعره : يمتاز بالجزالة وكثرة المعانى وازدحامها فى اللفظ . حتى يحتاج
فى فهمها إلى التأمل على خلاف مذهب الأندلسيين . وتوفى سنة ٥٣٣ هـ .

ومن قوله يصف زهرة :

وَمَائِسَةٌ تُزْهِى وَقَدْ خَلَعَ الْحَيَا
عَلَيْهَا حَلَى حُمْرًا وَآرِيَةً خُضْرًا
يَنْدُوبُ لَهَا رِيْقَ الْغَمَائِمِ فِضَّةً
وَيَجْمُدُ فِي أَعْطَافِهَا ذَهَبًا نَضْرًا

وقوله :

يَا أَهْلَ أَنْدَلَسِ لِلَّهِ دَرَكُمُ
مَاءٌ وَظِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَارُ

ما جنةُ الخلد إلا فى دياركم ولو تخيرت هذى كنتُ أختارُ
 لاتحسبوا بعدذا أن تدخلوا سقرًا فليس تدخلُ بعد الجنة النارُ
 وقال فى ذم علماء السوء من المسلمين والنصارى :

درسوا العلوم ليملكوا بجدهم فيها صدور مراتب ومجالس
 وتزهّدوا حتى أصابوا فرصةً فى أخذ مال مساجدٍ وكنائس
 (١٣) الطغرائى (١)

هو مؤيد الدين الأستاذ العميد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن
 محمد الطغرائى ، صاحب (لامية العجم) وهو أصبهانى الأصل ، برع فى
 الكتابة والشعر حتى كان أُوحد زمانه ، ولم ينبغ بعده فى الشرق من يُضاهيه ،
 وترقّت به الحال فى خدمة سلاطين آل سلجوق إلى أن صار وزيراً للسلطان
 مسعود بن محمد السلجوقى صاحب الموصل ، ولما قهره أخوه السلطان محمود
 كان أول من اعتقل الوزير أبو إسماعيل الطغرائى ، فدسّ بعض حسدته من
 رؤساء الكتاب إلى السلطان محمود أنه ملحد ، فقتله ظلماً سنة ٥١٣ هـ .
 ومن شعره لامية العجم المعتبرة من عيون الشعر ، وقد كان قالها ببغداد
 سنة ٥٠٥ هـ .

(١٤) البهاء زهير

هو الوزير الشاعر الكاتب أبو الفضل بهاء الدين زهير بن محمد بن على
 المهلبى الأزدي المصرى ، صاحب السهل المتنع ، والغزل الرقيق ، والعتاب الرفيق .
 ولد بوادى نخلة قرب مكة سنة ٥٨١ هـ ، ونشأ بمصر ببلدة قوص ، ثم اتصل
 بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وخرج معه فى خدمته إلى بلاد الشام
 والجزيرة ، فلما نكب الملك الصالح بخيانة عسكره وانضوائهم إلى ابن عمه الملك
 (١) الطغرائى من يكتب الطغراء (وهى الطرة) وكانت تكتب فى الدولة
 السلجوقية فوق البسمة بخط معلق فيها نعوت السلطان والقابله .

الناصر ، صاحب الكرك وقبض على الصالح واعتقله ، حفظ. البهاء عهد صاحبه ، ولم يخدم غيره ، وأقام بنابلس حتى استردَّ الصالحُ ملك الديار المصرية فقدم إليها في خدمته ، واتخذهُ وزيراً — حتى مات بوباء في شوال سنة ٦٥٦ هـ .
شعره : كانت سهولة طباع زهير تفوق سهولة شعره الذي هو أسهل نظماً ولفظاً .

الرواية والرواة

جاءت الدولة العباسية وقد اتسع نطاق الرواية ، واختص كل فريق من الناس برواية شيء — فلما دونت الكتب في عصر الدولة العباسية أفرغ الرواة ما حفظوه فيها ، وأخذ أمر الرواية يضمحل شيئاً فشيئاً في أكثر العلوم ، ولا سيما الأدب ثم اقتصر في الرواية على تصحيح النطق والأداء — ولكل رواية مشهورون .

وأما رُواة الأدب والشعر خاصة فاشهرهم « حماد » الراوية الكوفي (وخلف الأحمر البصري) وأبو عمرو الشيباني الكوفي ، والسكري البغدادي .

ومن رُواة الأدب بجميع فنونه لغة وشعرا وأخباراً — أبو عمر بن العلاء وأبو عبيد معمر بن المثنى ، والأصمعي ، وأبو زيد الأنصاري ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، ومحمد بن سلام الجمحي ، وغيرهم ؛ وهاك ترجمة أشهرهم في الرواية :

الأصمعي

هو شيخ رُواة الأدب ، الإمام الثبت الحجة الثقة التقي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي البصري .

ولد سنة ١٢٣ هـ — ونشأ بالبصرة ، فأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة البصرة ، وأخذ عن فصحاء الأعراب ، وأكثر الخروج إلى البادية ، وشافه الأعراب وساكنهم ، وتعلم من (خلف الأحمر) نقد الشعر ومعانيه ، وكان أحفظ أهل زمانه حتى قال مرة : إني أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة ، فقال له رجل : منها البيت والبيتان ، فقال : ومنها المائة والمائتان ، وعمر حتى أدرك زمن « المأمون » وأراد وزيره أن يقدمه إليه فاعتذر بكبير السن ، ومات سنة ٢١٦ هـ ، وله مؤلفات كثيرة

العصر الرابع عشر : الدول المتتابعة التركية ٦٥٦ - ١٢٢٠ هـ

حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

لما اكتسح التتار مملكة الدولة العباسية افترقوا إلى ممالك متعددة بآسيا وشرق أوروبا ، ولم يلبثوا أكثر من نصف قرن حتى أسلموا ، وشرعوا يخدمون الإسلام بتقريب العلماء إليهم ، وترغيبهم في التأليف ، فأفاد ذلك في إدامة الحركة العلمية في الجملة ، وإن لم يفد اللغة العربية فائدة تذكر لمكان العجمة منهم ، أما علوم العربية وآدابها فلم يكن لها مباءة ترجع إليه إلا البلاد العربية كالشام ومصر ، غير أن اللغة التركية العثمانية أصبحت هي اللغة الرسمية للأعمال الديوانية والسياسية في جميع الممالك العثمانية ، فزاحمت اللغة العربية ودخلت في اللغة أثناء دولتي المماليك والعثمانيين كثير من الألفاظ التركية والفارسية .

النشر - لغة التخاطب

كادت تحل محل اللغة العامية العربية (في أعلى الجزيرة وشرق العراق) اللغة الفارسية والتركية والكردية ممزوجة بشيء من الألفاظ العربية . أما في بقية الجزيرة والعراق ومصر والشام فقد بقيت العامية العربية لسان الجميع لغلبة العناصر العربية فيها ، ثم أخذت العناية بها في الانحطاط

الخطابة

لم تتغير الخطابة عما كانت عليه أواخر الدولة العباسية من حيث قصورها على خطب الجمع والأعياد ، وتلاوة بعض المرسومات والمنشورات ، وبقيت لغة الخطابة اللهجة العربية وحدها ، أو مع الترجمة إلى الأعجمية .

الكتابة ، الكتابة الخطية

درج الخط . في هذا العصر في الطريق التي مهدها ابن مقلة ، وابن البواب وياقوت الملکی ، وياقوت المستعصمی ، واستعملت فيه أكثر أنواعه ، وما زال

الخط. يجرى في مضماره ، حتى قبض على عنانه مُتَكسبو الترك العثمانيين ، فأبدعوا في تحسينه مما جعل جميع العالم يعترف لهم بالسبق ، ومن أشهرهم الشيخ حمد الله الأماسي إمام الخطاطين العثمانيين ، وجمال الدين ، ودرويش علي ، والحافظ. عثمان المتوفى سنة ١١١٠ هـ .

الكتابة الإنشائية - كتابة الرسائل

اتبعت في كتابة الرسائل أثناء هذا العصر طريقة القاضي الفاضل التي أساسها المعاني الخيالية ، والتزام السجع والمحسنات البديعية ، وعضد هذه الطريقة من كتاب هذا العصر - شهاب الدين محمود الحلبي المتوفى سنة ٧٥٥ هـ - ومحيي الدين بن عبد الظاهر وابن فضل الله العمري وأولاده ، وبقيت هذه الطريقة مرعية في مصر والشام حتى نهاية دولة المماليك ، وصدر حكومة العثمانيين ، ولما غلبت التركية العثمانية على كتابة الدواوين وأصبحت رسمية في الحواضر والأمصار أخذ شأن الكتابة العربية في الاضمحلال .

الكتاب

(١) القاضي محيي الدين عبد الظاهر

هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الجذامي المصري ، ولد سنة ٦٢٠ هـ ، ورباه والده ، وبرع في كتابة الرسائل ، سالكا طريقة القاضي الفاضل ، وخدم في ديوان الإنشاء مدة الملك الظاهر بيبرس وولديه ، وبعض أيام المنصور قلاوون ، ويعتبر محيي الدين وابنه محمد فتح الله من واضعي اصطلاح الإنشاء ونظام ديوانه الذي ظل مرعياً في مصر والشام حتى نسخه النظام التركي العثماني ، وتوفى سنة ٦٩٢ ، وله من رسالة كتبها على لسان الملك المنصور قلاوون يرد على صاحب اليمن في تعزيتة على موت ابنه ، ويظهر التجلد على فقده :

ولنا (والشكر لله) صبرٌ جميلٌ ، لانأسف معه على فائت ، ولا نأسى على مفقود ، وإذ علم الله (سبحانه وتعالى) حسنُ الاستنابة إلى قضائه ، والاستكانة إلى عطائه ، عوض كل يوم ما يقول المبشر به ، هذا مولى مولود ، وليست الإبل بأعظ. أكباداً ممن له قلب ، لايبالى بالصددمات كثرت أو قلت ، ولا بالتباريح حقرت أو جلت ، ولا بالأزمات إن هي تواتت أو تولت ، ولا بالجفون إن ألفت ما فيها من الدموع والهجوع وتخلت ، ويخاف من الدهر من لاحلب أشطره ، ويأسف على الفائت من لايأت الخطوب الخطرة ؛ على أن الفادح يموت الملك الصالح (رضى الله عنه) وإن كان منكباً ، والنافع بشجوه ، وإن كان مبكياً ، والنائح بذلك الأسف وإن كان لنار الأسف مذكياً ، فإن وراء ذلك من تثبيت الله عز وجل ما ينسفه نسفاً ، ومن إلهامه الصبر ما يجدد لتمزق القلوب مابه ترفاً ، وبكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا حسن اقتداء يضرب عن كل رثاء صفحا .

(٢) شهاب الدين بن فضل الله العمري

هو الشاعر الكاتب المصنف أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محيي الدين يحيى بن فضل الله العمري ، سليل عمر بن الخطاب ، وصاحب كتاب (مسالك الأبصار) ولد بمدينة دمشق سنة ٤٠٠ هـ ؛ وتفقه وتأدب على أبيه وغيره وتوفى سنة ٤٧٩ هـ ومن إنشائه في وصف (قط. زباد) من رسالة طويلة : « (وقط. الزباد) الذي لا تحكيه الأسود في صورها ، ولا تسمع غزلان المسك بما يخزنه من عرفه الطيب في سررها كم تنقل في بيوت طابت موطناً ، ومشى من دار أصحابه فقال : (ربنا عجل لنا قطناً) »

(٣) لسان الدين بن الخطيب

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي المعروف

يلسان الدين بن الخطيب وزير بنى الأحمر ملوك غرناطة ، وكان وزيراً
لأبي الحجاج يوسف ولد سنة ٧١٣ هـ بمدينة غرناطة ، وتآدب وتفقه واجتمع
له من الحكمة والأدب ملكة يلذ بها أدياء الأندلس كتابه وشعرا وتصنيفاً
وسياسة ، ومات مقتولاً سنة ٧٩٠ هـ .

ومن قصار رسائله : رسالة في الشوق ، كتبها إلى ابن خلدون ، وهي بعد
الديباجة : أما السوق فحدث عن البحر ولا حرج ، وأما الصبر فصل به أية
درج ، بعد أن تجاوز اللوى والمنعرج ، لكن الشدة تعشق الفرج ، والمؤمن
ينشق من روح الأرج ، وأتى بالصبر على إبر الدبر ؟ ومطولة اليوم والشهر ،
حتى حكم القهر ، وهل للعين أن تسلو سلو المقصر ، عن إنسانها المبصر ؟
أو تذهل زهول الزاهد عن سرها الرائي والمشاهد . وفي الجسد مُضغة
يصلح إذا صلحت ، فكيف حاله إن رحلت عنه ونزحت ؟ وإذا كان
الفراق هو الحمام الأول ، فعلام المعول ؟ أعيت مراوضة الفراق على
الراق . وكانت لوعة الاشتياق أن تفضى إلى السياق :

تركتموني بعد تشييعكم أوسع أمر الصبر عصياناً
أقرعُ سني ندماً تارة وأستمح الدمع أحياناً

التدوين

ألف علماء هذا العصر تآليف جمّة أخلفت على العربية بعض ما أباده التتار
والصليبيون من الكتب النفيسة . ويرجع أكثر الفضل في ذلك إلى علماء العصر
والشام وجالية الأندلس . أما أعاجمُ المشرق وإن ألفوا في العلوم الإسلامية
والفلسفة فإن تأثير بيئتهم الأعجمية جعل كتبهم صعبة التناول ، ضعيفة الأثر .

الأدب

قد كان لأدباء القاهرة من الكتاب السابق في وضع الكتب الجامعة التي

تبحث في عدة علوم أدبية أو ملحقة بها ، ومن هؤلاء : شهاب الدين النويري صاحب نهاية الأرب ، وابن فضل الله العمري صاحب مسالك الأبصار ، وشهاب الدين القلقشندي صاحب صبح الأعشى . ومن أَلَفَ في الأدب بِنَاحٍ مختلفة : جمال الدين الوطواط صاحب الغرر والعرر ، وشهاب الدين الحلبي صاحب منازل الأحباب ، وحسن التوسل إلى صناعة الترسل ، وشهاب الدين أحمد الأبشيهي صاحب المتطرف ، والنواجي صاحب حلبة الكميته .

بقية العلوم الإسلامية

لما أباد التتار بقية العلماء والنحاة في الشرق ، كاد أفق المشرق والشام ومصر يصفو من النحاة وأهل اللغة ، لولا أن تداركها الله بدخول التتار في الإسلام ومعاضدتهم هم والدول التي خلفتهم للعلم والعلماء ، بجلاء بعض كبار النحاة واللغويين من الأندلس والمغرب قبيلَ حادث التتار وبعده كابن مالك والشاطبي وأبي حيان وابن منظور الإفريقي ، فجددوا النحو واللغة بمصر والشام ، وتخرج عليهم تلاميذ أفاضل كانوا كواكب العصور المتأخرة فدوّنوا العلم وحفظوه لمن أتى بعدهم ممن نشأوا في العصور المظلمة .

كتابة التدوين والتصنيف

أما كتابة التدوين فكانت في المتون ونحوها موجزة جداً ، وكانت في الشروح والمطولات مبسطة . ومن أشهر المؤلفين في هذا العصر : ابن خلكان ، وابن خلدون ، والسيوطي ، وابن مكرم ، والفيروزابادي ، وعز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ - وابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ - وابن هشام النحوي المتوفى سنة ٧٦١ هـ - ولسان الدين ابن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ - وسعد الدين التفتازاني سنة ٧٩١ هـ - والسيد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ - والشهاب الخفاجي .

(١) ابن خلكان

هو قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن أبي إبراهيم بن أبي بكر خلكان الإربلي ولد سنة ٦٠٠ هـ بمدينة إربل ، وأقام بها إلى سنة ٦٢١ هـ ، ثم رحل إلى حلب ومكث بها سنين ، ثم عاد إلى دمشق ، وأقام بها مدة ، ثم أقام بصر ، وتولى القضاة بها وفيها ألف أكثر تاريخه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) ثم تقلبت به الأحوال بين مصر والشام — إلى أن مات سنة ٦٨١ هـ . ثم تم عليه محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ كتابه (فوات الوفيات) .

(٢) ابن خلدون

هو عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون ولد بتونس سنة ٧٣٢ هـ ، وتلقى العلم والأدب من أبيه ومن أكابر العلماء ، وقرأ الكتب العقلية والفلسفية على بعض حكماء المغرب ، واحترف بصناعة الكتابة وهو شاب لم يطر شاربه ، ثم وصل بعد ذلك إلى ملوك بني الأحمر ، فحظي عندهم . وألف تاريخه في خلال أربعة أعوام ، ومقدمته التي لم ينسج أحد على منوالها ثم عزم على الحج ، فدخل مصر سنة ٧٨٤ هـ ، زمن سلطانها برقوق ، ثم استقدم أهله وولده من المغرب ، فغرقت بهم السفينة ، فأقام بصر حزينا ، وجلس للتدريس بالجامع الأزهر ، وتولى قضاء المالكية سنة ٧٨٦ هـ إلى أن مات سنة ٨٩٨ هـ .

(٣) جلال الدين السيوطي

هو عبد الرحمن جلال الدين بن الإمام كمال الدين الخضيرى السيوطي ، ولد سنة ٨٤٩ هـ ، ونشأ يتيما وحفظ القرآن وعمره دون الثمان ، وأخذ العلم عن مشايخ وقته ، وابتدأ في التصنيف وسنه ١٧ سنة ، ثم لازم الأشياخ وطلب العلم في بقاع الأرض ، ونسج في كثير من العلوم ، وتولى التدريس والإفتاء ، ولم يكن أشهر منه في زمنه وقد ترك للناس أكثر من ثلثائة مصنف وتوفى سنة ٩١١ هـ بالقاهرة .

الشعر

لما كان أكثر الملوك والأمراء فى هذا العصر أعاجم بالفطرة كان ميلهم إلى الشعر العربى غير طبيعى ، ولذلك انقرض الشعر العربى من أواسط آسيا ، وبقيت صبابة منه بالعراق والجزيرة ، وبقي على شىء من الرونق فى الشام ومصر والأندلس والمغرب . غير أنه قل التكبسب به فيها ، فمال أكثر الشعراء إلى انتحال الكتابة فى الدواوين صناعة ، واستعملوا الشعر فى تملق الملوك والروساء وفى إظهار التفصح والتسلية ، فهجر قوله فى الأغراض الهامة ، وعُدل به إلى أغراض أخرى .

الشعراء

ظهر فى هذا العصر شعراء كثيرون ، من أشهرهم ، شرف الدين الأنصارى المتوفى سنة ٦٦٢ هجرية : وجمال الدين بن نباتة المصرى المتوفى سنة ٧٦٨ هجرية ، وشهاب الدين التلعفرى المتوفى سنة ٦٧٥ هجرية ، والشاب الظريف المتوفى سنة ٦٩٥ هجرية ، والإمام البوصيرى المتوفى سنة ٦٩٥ هجرية وابن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية ، وأبو بكر بن حجة الله المتوفى سنة ٨٣٧ هجرية ، وصنى الدين الحلى المتوفى سنة ٧٥٠ هجرية ، وفخر الدين بن مكناس المتوفى سنة ٨٦٤ هجرية ، وابن ممتوق الموسوى المتوفى سنة ١١١١ هجرية .

١ - البوصيرى

هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجى البوصيرى ، صاحب البردة والهمزية ، ولد بدلاص ، ونشأ ببوصير ، ثم انتقل إلى القاهرة ، وتعلم علوم العربية والأدب ، فقال الشعر البليغ فى جده وهزله ، ومن شعره الجيد قوله فى برده :

أوين تذكر جيران بنى سلم مزجت دمعا جرى فى مقلة بدم

أم هبت الريحُ من تلقاءِ كاظمة
فما لعينيك إن قلت اكفها هستا
أيحسبُ الصب أن الحب منكم
ومنها :

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على
فاصرف هواها وحاذر أن توليه
وراعها وهي في الأعمال سائمة
كم حسنت لذة للمرء قاتلة
واخش الدسائس من جوع ومن شبع
واستفرغ الدمع من عين قدامتلات

ومن قصيدته الهمزية في مدح النبي عليه الصلاة والسلام التي أولها :
كيف ترقى رُقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء
يُسأووك في علاك وقد حا ل سنا منك دونهم وسناء

وتوفي البوصيري سنة ٩٦٥ هـ بالإسكندرية ، وقبره بها مشهور يزار .

٢ - صفى الدين الحلى

هو عبد العزيز بن علي الشهير بابن سرايا الطائي الحلى شاعر الجزيرة .
ولد سنة ٦٧٧ هـ ونشأ بمدينة الحلة من مدن الفرات ، فتأدب ونظم
الشعر وتوفي سنة ٧٥٠ هـ ، ويعتبر صفي الدين من أئمة البديع المبتدعين
في أنواعه المغالين في استعماله من شعورهم بلا كثير تكلف ، وهو أول
من نظم القصائد النبوية الجامعة لأنواع البديع المسماة بالبديعيات ، مثال
بردة البوصيري ومن قوله في الأدب :

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن
عجلا بنطقك قلما تتفهم
لم تعط مع أذنيك نطقا واحداً
إلا لتسمع ضعف ما تتكلم

وله :
بقدر لغات المرءٍ يكثُرُ نفعه فتلك له عند الشدائد أعوانُ
تهافتُ على حفظِ اللغات مجاهدا فكل لسان في الحقيقة إنسانُ

٣ - ابن نباتة المصرى

هو جمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن نباتة ، أشعر شعراء المصريين
زمن الماليك ، ولد سنة ٦٨٦ هـ ونشأ بالقاهرة ومات سنة ٧٦٧ هـ ، ومن شعره قوله :
يا مشتكى الهمِّ دعه وانتظر فرجاً ودارٍ وقتك من حينٍ إلى حينٍ
ولا تُعائِدْ إذا أصبحت في كدرٍ فإنما أنت من ماءٍ ومن طينٍ

٤ - ابن معتوق الموسوى

هو شهاب الدين بن معتوق الموسوى ، شاعر العراق في عصره ، وسابقُ
حلبته في رقة شعره ، ولد سنة ١٠٢٥ هـ ونشأ بالبصرة .
وابن معتوق من كبار شعراء الشيعة ، مدح عليا والشهيدين بما يخرج
عن حد الشرع والعقل ، ومات سنة ١١١١ هـ .
ويمتاز شعره بالركة وكثرة المجازات ، حتى لتكاد الحقيقة تهمل فيه جملة .

العصر الخامس : عصر النهضة الأخيرة

محمد على - سنة ١٢٢٠ هـ

قدم « محمد على » إلى مصر ضابطاً في الحملة التي وجهتها تركيا لإخراج
الفرنسيين من مصر ، وكان راجح العقل ، استطاع أن يجمع حوله أعيان
المصريين وكبار علمائهم بلطف معاملتهم وحسن معاشرتهم ، فأحبوه وآثروه ،
وأعانوه على الحكومة التركية حتى قلده ولاية مصر وهي لذلك كارهة .
وكان أول هم لمحمد على في ولاية الحكم أن يتخلص من الماليك ،
فأوقع بجمهرتهم في القلعة سنة (١٨١١ م) .

بعد ذلك وجه همته إلى أن ينشئ جيشاً له كل ما للجيش الحديثة ،
فإنشأ في قصر ابن العيني مدرسة حربية إعدادية سنة ١٨٢٥م وجمع فيها
التلاميذ من طوائف مختلفة إلا المصريين ، غير أن هذه التجربة أخفقت
فاضطر إلى أن يجعل أكثر التلاميذ بعد من المصريين ، وكانت لغة التعليم الأساسية
هي التركية ، وكانت تدرس إلى جانبها العربية وغيرها ، وكان قد سبق
فأرسل طائفة من المماليك إلى بعض البلاد الأوروبية لدراسة الفنون الجندية .
ثم أنشأ مدرسة أركان الحرب في جهة أبي زعبل من ضواحي القاهرة
ودعا لها بأساتذة من الفرنسيين .

مدرسة الطب

علمت أن همة محمد على اتجهت بآدى الأمر إلى إنشاء جيش منظم
مجهز بجميع الوسائل الحديثة ، ولم يكن في مصر إلى ذلك الوقت أطباء
اللهم إلا نفر قليل من الإفرنج لتطبيب مرضى الجنائيات الأجنبية ، وكانت
إذا نشبت المعارك الحربية يدعى بالحلاقين ليأسوا الكلوم ويضمدوا الجروح ،
لهذا عمد محمد على إلى إنشاء مدرسة طبية بجهة أبي زعبل في سنة ١٢٤٢هـ
(١٨٢٦م) يقوم بإزائها مستشفى كبير ، ودعا لها بأساتذة من الإفرنج ،
وكان التعليم في هذه المدرسة شاقاً مجهداً ، فإن أساتذتها لم يكونوا يعرفون
العربية ، وطلابها لا علم لهم باللغات الأفرنجية فدعت هذه الضرورة إلى
أن يقوم بين الأساتذة وتلاميذهم مترجمون .

إيقاظ محمد على الشرق بحسن بلائه في السياسة والحرب .

استمكن سلطان محمد على بما أعد من جيش قوى في البر ، وأسطول عظيم في
البحر ، وعلم عال يأخذه به أبناء البلاد ، ومعامل ومصانع أغنته عن كثير مما يرد
من الغرب ، ومشروعات للرى ضاعف بها استثمار الأرض ، وغير ذلك من وسائل

الإصلاح ، ولقد استعانت به تركيا في إخمد الفتن في أطراف بلادها ، كما استعانت به في حروبها مع الدول الأخرى ، كما تمكن بجيشه من فتح السودان كما اقتطع شطرا من أملاك تركيا بعد أن شجر الخلف بينه وبينها ، وكاد يظفر بحاضرة ملكها لولا أن تآلبت عليه الدول الأوروبية وحلن بينه وبين غايته . أما الأسطول الضخم الذى بناه محمد على ، فقد أحرقتة تلك الدول غيلة في واقعة (نافارين) .

ولقد أتى بالعلماء والأساتذة وأهل الفنون من أوروبا ، وبعث البعث إلى بلادها ، وأقام المدارس في مصر على نهج مدارسها ، وتقدم بترجمة ما يحتاج إليه في وسائل الحياة المختلفة ، وبهذا وغيره انتظمت العلاقات بين الشرق والغرب .

إسماعيل وإتمامه بناء جده

قبض محمد على باشا في سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) بعد أن حكم مصر أكثر من أربعين سنة بعثها فيها من الموت بعثاً ، وأنهضها نهضة قوية تلفت لها وجه التاريخ ، وما كاد الملك يصير إلى حفيده عباس الأول حتى خبت تلك النهضة فأغلقت المدارس ، وعظمت المصانع وفترت تلك الحركة العظيمة التى تناولت جميع مرافق الحياة في البلاد ، وكذلك كان شأن خلفه سعيد ابن محمد على طول أيام حكمه ، حتى إذا انتهت ولاية مصر في سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٣ م) إلى إسماعيل ابن إبراهيم بن محمد على تأثر في سبيل الإصلاح بخطى جده العظيم وراح يُتِمُّ ما بنى لمجد مصر ، ونهض بوجود الإصلاح التى تقوم عليها الثروة والقوة والعلم والعظمة في كل البلاد .

مظاهر النهضة الحديثة في العلم والأدب

لم يكن للبعث العلمية التى أوفدها محمد على في مُبتدأ الامر إلى أورب شأن جليل ، وأولها كان في سنة (١٨١٣ م) على أنه مابرح يوالى إرسال البعث

حتى كانت سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٦م) إذ أوفد إلى أوروبا بعثة عظيمة يزيد عدد طلابها على الأربعين ، أحرزوا قبل سفرهم قدراً صالحاً من التعليم والثقيف ، وظل بعد هذا يُوفد البعث العلمية إلى مختلف البلاد الأوربية للتبحر في العلوم والفنون ، ولم يقنع بهذا بل أقام في باريس نفسها (مدرسة) جمعت نحو الأربعين طالباً ، فيهم بعض الأمراء من أولاده وأحفاده .

الترجمة والتأليف

كان أول عهد مصر بالترجمة في هذا العصر ، ما قام به أولئك المترجمون الذين جاء بهم محمد علي ليؤدوا بالعربية إلى طلبة مدرسة الطب ما كان يُلقيه عليهم أساتذتهم من الدروس باللغة الأجنبية ، فلما أخرج بعض هؤلاء الأساتذة بلغاتهم كتباً ورسائل في فنون الطب ، وأريد ترجمتها إلى العربية جاء محمد علي بطائفة ممن تفقهوا في العربية لمعاونة أولئك المترجمين على تحرير العبارة وضبط المصطلحات العلمية ، بقدر ما اتسع له علمهم بالعربية ، وما عثروا عليه من مصطلحاتهم ، وكان هذا عملاً شاقاً مضيئاً .

وكانت جمهرة المترجمين أول الأمر من الأطباء ، لأن الطب أول العلوم الحديثة التي عُنى بدراستها في مصر بعد العلوم الحربية ، ثم توالى الترجمة في العلوم والفنون الأخرى على يد من تخرجوا فيها من الطلاب .

أما التأليف في العلوم الحديثة فكان في مبتدأ الأمر ضئيلاً ، وكان أكثره من وضع الأجانب الذين جاء بهم محمد علي ليبثغي بهم وسائل الإصلاح المنشود . على أن المصريين قد جعلوا يُقبلون على معالجة ، وخاصة من عهد إسماعيل حتى بلغ اليوم غاية محمودة ، وما زالت البلاد تتطلع منها إلى المزيد (١) .

(١) ومن أبرع من برعوا (في أثناء هذه النهضة) في التأليف والترجمة في فنون الطب والصيدلة ، مرتبين على حسب تاريخ وفياتهم ، إبراهيم بك النبراوي ١٢٧٩ هـ (١٨٦٧ م) وأحمد بك حسن الرشيدى =

حالة اللغة العربية وآدابها في هذا العصر

كانت حالة البلاد العربية في أوائل القرن الثالث عشر غاية ما وصلت إليه من الفساد والاضمحلال ، فلما استولى محمد علي باشا على مصر رأى - كما علمت سابقاً - أن يُربّي من يكون خيراً واسطة لنقل المعارف الأوروبية إليها ، فبعث إلى أوروبا بثلاثة بعوث علمية ، في أزمنة مختلفة ، كوّنت بعد ذلك ثلاث طبقات من العلماء والأطباء والمهندسين والضباط ، فنقلوا إلى اللغة العربية عشرات الكتب الجلييلة في العلوم المختلفة ، فأحدث ذلك في اللغة العربية انقلاباً عظيماً ،

= ١٢٧٢ هـ (١٨٦٥ م) ، ومحمد علي باشا البقلي ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) واحد بك ندى ١٢٩٤ هـ (١٨٧٧ م) وسالم باشا سالم ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) ، ومحمد الدرّي باشا ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) ، ومن برعوا كذلك في العلوم الرياضية ترجمة وتأليفاً محمد بك بيومي ١٢٦٨ هـ (١٨٥١ م) ، وتهجت باشا ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) ، ومحمود باشا الفلكي ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) ، وشفيق بك منصور ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م) ، ومختار باشا المصري ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) ، واسماعيل باشا الفلكي ١٢١٩ هـ (١٩١١ م) .

ومن خير من الفوا في العلوم المختلفة في صدر هذه النهضة :
 الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م) ، والشيخ شهاب الدين المصري ١٣٧٤ هـ (١٨٥٧ م) ، ورفاعة بك رافع الطهطاوي ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) ومحمد قدرى باشا ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) ، وأحمد فارس الشدياق ١٣٠٥ هـ (١٨٧٨ م) ، والشيخ عبد الرحمن نجا الأبنباري ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) ، والشيخ حسين المرصفي ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) والشيخ محمد بيرم ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) ، وعلى مبارك باشا ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) ، والشيخ محمد العباسي المهدي ١٣١٥ هـ (١٨٩٩ م) ، وعثمان بك جلال ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) ، وأمين فكرى باشا ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) ، والشيخ إبراهيم اليازجي ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) وقاسم بك أمين ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ، وعمر بك لطفى (١٩١٤ م) وعلى ابو الفتوح المتوفى سنة (١٩١٣ م) ، ومحمد بك النجارى ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) ، وأحمد فتحى زغلول باشا ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) ، وجرجى زيدان بك (١٩١٤ م) واسماعيل سرهنك باشا (١٩٢٤ م) ، والشيخ محمد بك الخضرى (١٩٢٦ م) .

ولا شك في أن هذه النهضة الحديثة مدينة في مستهلها لشيخ الترجمين على الاطلاق رافع بك كما انها مدينة لأكبر السابقين من المؤلفين المصلح العظيم على مبارك باشا .

واكتسبت من سعة الأغراض والمعاني والألفاظ العلمية والأساليب الأجنبية وطرق البرهنة والاستنباط وترتيب الفكر ثروة طائلة ، ورأى الأدباء أنه صارت لهم دولة منظمة متحضرة تتقبل منهم بقبول حسن كل ما يحسبونه نتيجة كدهم ، وثمره أفكارهم ، فالتفتوا حولها ، وصار أيضاً للدولة كتّاب وشعراء ومُنشئون ، ومن الأسف أن هذه النهضة لم يستمر سيرها في مصر كما استمر في الشام بل ركدت ريحها في زمن عباس باشا الأول ، وزمن سعيد باشا ، ثم تَنَسَّمت في عصر إسماعيل وما لبثت أن صارت رخاء طيبة فأعاد سيرة جده في نشر العلم ، وظهرت ثمرة أعماله في حياته ، وكانت مصر تُوشك أن تكون قطعة من أوربا .

النشر — المحادثة — أو لغة التخاطب

كانت العامية في أوائل هذه العصور غاية في الانحطاط ، ثم لما انتشر التعليم بين طبقات المصريين ، ودخل في عبارتهم كثير من الفصحح ، انتقل ذلك لمعاشريهم من الأميين ، وبعض النساء ، ومما ساعد على ذلك جعلُ التقاضي باللغة الفصيحة وكثرة الصحف والمجلات والروايات .

الخطابة

كان المصريون والسوريون في أوائل هذا العصر لا يستعملون الخطابة في غير الأغراض الدينية ، ثم اتسعت دائرة الأفكار في عصر إسماعيل باشا ، وصادف ذلك مجيء السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر ، والتف لفيف حوله من أدباء المصريين والسوريين ، فأدخلهم في عداد جمعيته ، وألف منهم أندية كانوا يتناوبون الخطابة فيها من الأمور الدينية والسياسية والاجتماعية ، وانتشرت الخطابة بين شبان مصر ، وفشت بعد عصر إسماعيل في زمن توفيق باشا وعباس حلمي باشا ، ومن أشهر خطبائهم السيد عبد الله النديم المتوفى عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) والشيخ محمد عبده المتوفى عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ومصطفى كامل

المتوفى عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) وسعد باشا زغلول المتوفى عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٧ م) والشيخ عبد العزيز جاويش بك المتوفى عام ١٩٢٧ م وغيرهم ، حتى بلغت الخطابة في عصرنا هذا مبلغاً عظيماً .

الكتابة الخطية

وقف الخط في سبيل تقدمه على الحد الذي رسمته له الطبقة الناشئة وقف القرن العاشر ، والحادي عشر ، والثاني عشر : من خطاطى الترك ، وكل من نشأ بعدهم فإنما هو متبع طريقتهم . وأشهرهم . عبد الله زهدى ، وهو الذى خط . بالقلم الجليل جدران المسجد النبوى ، وجدران سبيل والدته عباس باشا الأول بالصليبية بالقاهرة ، ومحمد مونس أفندى ، وتخرج عليه وعلى تلميذه محمد جعفر بك جميع خطاطى قطرنا المصرى .

الكتابة الإنشائية

مضى العصر المتقدم وليس لكتاب الدواوين في أواخره شأن يُذكر ، لجعل التركية هى اللغة الرسمية ، وأقبل العصر الحاضر والحال لم تتغير فى الممالك العثمانية إلا قليلا ، وشرعت تتغير فى مصر ، ثم لما انشئت المدارس النظامية ، نشأت طبقة من كتاب الدواوين رفقوا كتابتها ، وقد هجر السجع الذى أكثر منه الأقدمون إلا أن (عبد الله باشا فكرى) أشهر المصلحين للكتابة الديوانية الفصيحة ألم به فى كثير من مكاتباته الرسمية . وقد سبق كثير من رسائله فى فن المكاتبات ، أما كتابة التأليف والصحف فأخذت تنحون نحو منحى كتابة ابن خلدون فى مقدمته ، ولما ولت الحكومة الشيخ محمد عبده تحرير (الوقائع الرسمية) والإشراف على تحرير الجرائد ترفقت كتابتها كثيرا ، ودرجت فى سبيل التقدم إلى الآن .

كتابة التدوين

كان أكثر الكتب التى ألفت أو ترجمت فى مصر علمية ، لشدة احتياجها لها ، أما سوريا فكانت حالة الأدب فيها فى النصف الأول من العصر الحاضر خيرا منها

في مصر ، ولكن مصر نهضت في النصف الثاني ، واسترجعت حياتها الأدبية ،
 وأدخلت دراسة أدب اللغة في مدارسها ، وألّف فيه عدة كتب ، وانحط شأن سوريا
 في العربية فلم ينبغ في اللغة من السوريين في السنوات الأخيرة من يضارع سابقهم ،
 ومن أشهر العلماء الأزهريين في هذا العصر : الشيخ عبد الرحمن الجبرتي المتوفى
 في ١٢٤٠ (١٨٢٥م) والشيخ حسن العطار المتوفى في ١٢٥٠ (١٨٣٤م) ومن غير
 الأزهريين من أهل النهضة الحديثة : رفاعة بك شيخ المترجمين والمؤلفين ، وعلى
 مبارك باشا المتوفى في ١٣١١ (١٨٩٣م) وجمال الدين الأفغاني المتوفى في ١٣١٤
 (١٨٩٧م) وجورجي بك زيدان المتوفى في ١٣٣١ (١٩١٤م) وأحمد فارس
 الشدياق اللبناني المتوفى في ١٣٠٥ (١٨٨٧م) والدكتور يعقوب صروف صاحب
 مجلة المقتطف المتوفى في ١٣٤٦ (١٩٢٧م) وولي الدين بك يكن المتوفى في ١٣٢٩
 والشيخ محمد عبد المطلب المتوفى في ١٣٥٠ (١٩٣١م) والشيخ محمد بك الخضري
 المتوفى في (١٩٢٦م) والشيخ أحمد مفتاح المتوفى في ١٣٢٩ وفتحى باشا زغلول
 المتوفى في (١٩١٤م) والشيخ نجيب الحداد المتوفى في (١٨٩٩م) وعبد الله
 ياشا فكرى ، والشيخ حسين المرصفي المتوفى في ١٣٠٧ (١٨٨٩م) والشيخ
 ناصف اليازجى المتوفى في ١٢٨٧ ، وإبراهيم بك المويلحى المتوفى في ١٣٣٣ ،
 ومحمد بك المويلحى المتوفى في (١٩٣٠م) وقاسم بك أمين المتوفى في ١٣٢٦ ،
 والسيد مصطفى لطفى المنفلوطى المتوفى في (١٩٢٤) والشيخ إبراهيم اليازجى
 المتوفى في ١٣٢٣ (١٩٠٦م) وحفنى بك ناصف المتوفى في ١٣٣٧ والشيخ
 على يوسف صاحب جريدة المؤيد المتوفى في ١٣٣١ (١٩١٣م) وأديب
 إسحاق المتوفى في ١٣٠٣ (١٨٩٢م) ومصطفى بك نجيب المتوفى في ١٣٣٠
 وإسماعيل باشا صبرى ، وبطرس البستاني المتوفى في ١٣٠١ (١٨١٣م)
 وسليم باشا قنلا المتوفى في ١٣١٠ (١٨٩٢م) .

وهاك ترجمت بعض زعماء النهضة الحديثة :

(١) رفاعة بك الطهطاوى المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ

هو الكاتب الشاعر السيد رفاعة بك الحسينى الطهطاوى ، شيخ المترجمين ، وإمام النهضة الحديثة ، ولد بطهطا من أسرة شريفة ، وتآدب وتعلم فى الجامع الأزهر ثم انتخب إماماً لبعض فرق الجيش ؛ ولم يلبث أن اختاره محمد على باشا إماماً ومعلماً لأول بعث علمى أرسل إلى فرنسا سنة ١٢٤١ هـ ، فراقته علوم أوروبا وعظمتها فأكبّ بنفسه على تعلم اللغة الفرنسية ، فلما عاد إلى مصر سنة ١٢٤٧ هـ اختاره محمد على باشا رئيساً للترجمة بمدرسة أبى زعبل . واشترك هو وأستاذه الشيخ حسن العطار فى إنشاء جريدة «الوقائع المصرية» وتحريرها ثم نُقل إلى مدرسة المدفعية (الطبية) ثم صار مديراً لمدرسة الألسن والترجمة ، ثم انتخب عضواً بلجنة المدارس ، وتولى إدارة مجلة (روضة المدارس المصرية) وعكف على الترجمة والتأليف حتى توفى عام ١٢٩٠ هـ تاركاً لمصر كتباً ورجالا هم أركان النهضة الحديثة ، وآخر ما ألفه كتاب «نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز» .

(٢) عبد الله فكرى باشا المتوفى عام ١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ م

عبد الله فكرى بن محمد بليغ الضابط. ابن الشيخ عبد الله العالم الأزهرى ، وهو من أركان النهضة الأدبية فى الديار المصرية . ولد عام ١٢٥٠ هـ ، وأكبّ على تعلم علومه بالأزهر ، مشغلاً أيضاً باللغة التركية ، واستخدم من أجلها مترجماً للعربية والتركية فى عدة مناصب ، آلت إلى نقله إلى حاشية سعيد ثم إسماعيل باشا ، فعُهد إليه بتأديب بنى الكرام وغيرهم من أمراء بيت الملك ثم تقلب فى جملة مناصب آخرها نظارة المعارف عام ١٢٩٩ هـ ، وبقى بها حتى زمن الثورة العربية فسقط مع الوزارة ، واتهم فى الثورة فقبض عليه ، ثم اتضح براءته فأطلق ورُد إليه معاشه ؛ بعد أن استعطف الخديوى توفيق باشا بقصيدة طويلة وتوفى عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) .

وكان فكري باشا كاتباً بليغاً ، سلك في كتابته طريقة كتّاب القرن الرابع كالبديع الهمداني ، والخوازمي من التزام السجع القصير ، القليل التكلف ولذلك يقول فيه المرحوم الشيخ حسين المرصني مدرس دار العلوم : (لو تقدم به الزمان ، لكان فيه بديعان ، ولم ينفرد بهذا اللقب علامة همدان) .

(٣) على مبارك المتوفى عام ١٣١١ هـ - ١٨٩٣ م

هو أبو المعارف المصرية ، العالم المؤرخ المؤلف المترجم ، الربى العظيم على ابن مبارك بن سليمان بن إبراهيم مؤسس دار العلوم ، ودار الكتب العربية . ولد عام ١٢٣٩ هـ ، وكان والده يُرسله إلى مُعلم قاس يتعلم عليه القرآن الكريم فحفظه ، وهرب من المعلم لقسوته وضربه ، وأخذ يتعلم الكتابة على بعض الكتّاب حتى عثر في بعض خرجاته بتلاميذ ذاهبين إلى مدرسة أبي زعل ، فصحبهم ودخل المدرسة ثم اختير في جملة من تلاميذها إلى مدرسة قصر العينى . وعمره ١٢ عاما ، ودرس الرياضة فبرع فيها فاختر طالباً بمدرسة الهندسة ، فأكمل في خمسة أعوام درس فن الهندسة ، وأرسل إلى أوربا عام ١٢٦٠ هـ ليلمم علومه بها فمكث نحو أربعة أعوام درس فيها فن الهندسة والحرب ، ثم عاد إلى مصر ضابطاً بالجيش ، ثم قدّم لعباس باشا الأول مشروعاً بنظام المدارس المصرية فأعجبه وعهد إلى رياسة ديوانها ، فقام به خير قيام ، وألف بعض الكتب الدراسية ، فكان أول من نظم المدارس المصرية ، وتزاحمت عليه المناصب فكان مديراً للسكك الحديدية وناظراً للمعارف والأشغال وللأوقاف والقناطر الخيرية ، فقام بذلك جميعاً في آن واحد خير قيام ؛ ومن أعماله العظيمة إنشاء دار الكتب وإنشاء مدرسة دار العلوم ليوفق بين طلبية العلم القديم وطلبة العلم الحديث ، ومات عام ١٣١١ هـ - ١٨٩٢ م .

(٤) الشيخ محمد عبده المتوفى عام ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م

هو المصلح الكبير المجتهد الكاتب الخطيب الإمام الشيخ محمد عبده

أحد أركان النهضة العربية وموسى الحركة الفكرية ، ولد عام ١٢٥٦ هـ بإحدى قرى مديرية الغربية ، ونشأ بين أسرته بمحلة نصر من مديرية البحيرة وترك بلا تعليم حتى ناهزت سنه العاشرة ، ثم رغب في التعليم فحفظ القرآن الكريم وطلب العلم بالجامع الأحمدي ، ثم انتقل إلى الأزهر ونبغ في علومه - ولما قدم مصر السيد جمال الدين الأفغاني سنة ١٢٨٦ ، وأعاد إلى مصر دراسة الفلسفة وعلوم الحكمة لزمه الشيخ محمد عبده ، وكان أنبغ تلاميذه ، وأحرصهم على ملازمته ، والاستفادة منه ، ونال درجة العالمية سنة ١٢٩٤ هـ واختير سنة ١٣٩٥ مدرساً للأدب والتاريخ العربي بدار العلوم ، ومدرسة الألسن ، ثم اختير لإصلاح لغة (الوقائع المصرية) ثم صار رئيس تحريرها - وفي هذه المدة جعله رياض باشا مراقباً على كتابة الجرائد وتحريرها - وحدثت عقب ذلك الثورة العربية ، ونفى من مصر إلى سورية ، وتولى التدريس بمدارسها ، ثم انتقل إلى أوروبا فالتقى بالسيد جمال الدين بباريس ، فأنشأ معاً جريدة (العروة الوثقى) ثم عفا عنه الخديوى وعاد إلى مصر قاضياً بالمحاكم الأهلية ، ثم مفتياً للديار المصرية ، وتولى التدريس بالأزهر وإليه يرجع الفضل في إصلاحه ، وما زال كذلك حتى توفي سنة ١٢٢٣ .

(٥) الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ - ١٩١٧ م

هو الشيخ الوقور ، اللغوى ، الحجة ، التقي الشيخ حمزة فتح الله .
 وُلد رحمه الله بشعر الإسكندرية سنة ١٢٦٦ هـ (١٨٤٩م) ونشأ بها .
 وبعد أن حفظ القرآن الكريم انتظم في سلك طلبة العلم بجامع الشيخ إبراهيم باشا - ثم أكمل دراسته بالأزهر الشريف ، وأمعن في قراءة الأدب واللغة ، وقرض الشعر وحرر الرسائل ، وحفظ الغريب ، ثم عاد إلى الإسكندرية ، وأختير (في منتصف العقد الثالث من عمره) محرراً في إحدى الصحف التونسية فمكث هناك حوالى ثمانى سنوات اكتسب فيها الدربة على كتابة

الصحف السياسية ، ثم عاد إلى مصر فوجد نار الثورة العرابية مستعرة ، فانضم إلى حزب الخديوى توفيق ، وكتب وخطب في تأييده ، وبعد أن انتهت الثورة العرابية استخدم في وزارة المعارف ، ومكث بها زهاء ثلاثين سنة ، متنقلاً بين التفتيش والتدريس ، حتى مات سنة ١٩١٨ م .

علمه وأعماله : كان الشيخ كثير القراءة في كتب اللغة ، والأدب ، والحديث ، شديد الحفظ . والذكر ، فلما تحدث أمامه حادثة أو تذكر إلا روى فيها شعراً ، أو مثلاً ، أو قصة ، وكان فكه المحاضرة ، صحيح العبارة يحوكمها على سنن العربية الفصيحة وهو أعلم من شاهدناه باللغة والأدب والصرف . عهد إليه بالتدريس في دار العلوم ، فأحيا بتدريسه وتأليفه ما دثر من آثار السالفين كالجاحظ . والمبرد والقالى والمرضى ، وأظهر ما كان ذلك في (مواهبه الفتحية) .

أسند إليه تفتيش اللغة العربية في مدارس الحكومة على اختلاف أنواعها ، فرأى المجال فسيحاً لتخليصها من أدران العامية ، وأوضار الدخيل ، وفساد التراكيب وعجمة الأساليب ، فأخذ يرشد المعلمين إلى ما يعثر عليه من ذلك في كتابة التلاميذ ويتحفهم بمردفة تارة ، ويرشدهم إلى المظان أخرى ، فينتبه بذلك الغافل . أخلاقه : كان الشيخ حليماً رحيماً ، تقياً ورعاً ، لاتأخذه في الله لومة لائم .

وكان يحب العرب والعربية ، ويرى أن الله خصهما بكل مزية . مؤلفاته : مما عرف من مؤلفاته ، كتاب المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية وباكورة السلام في حقوق النساء في الإسلام ، ورسالة التوحيد ، وكتيب في المفردات الأعجمية التي في القرآن الكريم ، وغير ذلك . شعره وكتابته : كان بدوى الشعر من حيث ألفاظه ومعانيه ، وتراكيبه . وأساليبه وتشبيهاته واستعاراته على طريقة شعر العلماء ، فمنه قوله :
كم جامع بالثرى راضه سفر فوق الثرى بين أكوار وأقتاب

إن الشواء ثواء والقصور قبو
ومن بغى نيل مجد وهو في دعة
والمرء في موطن كالدرفى صدف
والسيف مثل العصا لمن كان مُعتمداً
وأزهدُ الناس في علم وصاحبه

باحثه البادية السيدة ملك حفنى ناصف المتوفاة سنة ١٣٣٧ هـ

هى : المفكرة ، الكاتبة ، الشاعرة ، السيدة ملك حفنى ناصف .

ميلادها ونشأتها : ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ م ؛ ولما ميزت أرسلها والدها إلى إحدى المدارس الأولية ، ثم إلى المدرسة السنوية فحصلت منها على شهادة الدراسة الابتدائية سنة ١٩٠٠ م (وهى أول سنة تقدمت فيها الفتيات لنيل هذه الشهادة) ثم أتمت دراستها في قسمها العالى ، واختيرت مدرسة في مدارس البنات بالقاهرة ، وفي سنة ١٩٠٧ م تركت التعليم العلمى واشتغلت بالتعليم العلمى في بيت زوجها .

أخلاقها وأعمالها : كانت مدة دراستها خير نموذج لقريناتها ، من أخلاق سامية ، وسريرة صافية ، ونفس أبيّة ، ومثابرة على العمل .

وكانت بعد زواجها تباشر أكثر أعمال بيتها بنفسها ، لالسبب ، سوى أن تكون قدوة لغيرها من السيدات اللاتي يتركن بيوتهن إلى من لا يحسن القيام عليها والتدبير فيها ، فيوقعن أزواجهن في الفقر المدقع ، والبلاء الشديد ، وكانت إذا فرغت من شئون منزلها ، عكفت على قراءة الكتب النافعة ، وتعرف أحوال السيدات ، وزيارة مدارس البنات ، وفحص مناهج التعليم . كل أولئك لتكون لها رأياً صحيحاً ، وفكراً ناضجاً في تربية البنات ، إصلاح حال الأمهات ، وظلت تستسهل في ذلك الصعب ، وتستحلى المرء .

وكان من رأيها فى تربية المرأة أن تباشر من أعمال الرجل ما لا ينافى الشرع الشريف ، وألا تكون زينتها مشغلة لها ولا عبئاً ثقيلاً ينوء به بعلمها ، ولها فى ذلك خُطب فى محافل نسوية ، كان لها تأثير فى عدول الكثيرات منهن عن جمودهن وأفكارهن القديمة ، وكان بيتها مقصداً لزيارة كثير من السيدات الغربيات والشقيقات يستترن به فى الوقوف على مبلغ رقى المرأة المسلمة ، وما ينتظرن من شئونها المستقبلية ، ولم يكن شىء من ذلك كله لنسيها ما يجب لزوجها ، والبر بىذوى قرباها ومن يقع تحت نظرها ممن أجهدهم الفقر ، وأشد ما كان برها لوالدها

آثارها العلمية :

(١) كتابها الذى أسمته (النسائيات) وهو مجموع ما خطبته وكتبته فى (الجريدة) خاصاً بالمرأة . (٢) حقوق النساء ، وهو كتاب لم يطبع بعد : أنجزت منه ثلاث مقالات : الأولى فى الموازنة بين المرأة المسلمة الشرقية والمرأة المتدينة الغربية فى الحقوق المالية ، والثانية فى حقوق المرأة المسلمة من جهة إدارة الأعمال العامة ، والثالثة فى المرأة المسلمة من جهة الانتخاب . (٣) رسالة اضافية قدمتها للمؤتمر المنعقد فى مايو عام ١٩١١ م بمصر الجديدة ضمنيتها آراؤها السيدية فى وسائل ترقية المرأة المصرية .

ثم عاجلتها الحمى الأسبانية عام ١٣٣٨ هـ فاحتضرت وهى فى ريعان شبابها ويانع عمرها ، فتركت بفقدتها فى العالم النسوى المصرى فراغاً لم يُشغل بعد .

كتابتها : إن الناظر فى كتاباتها المختلفة يرى عبارة سهلة صحيحة الألفاظ عربية الأسلوب ، خالية من تصنع السجع ، وترى ذلك واضحاً فى كتابها (النسائيات) شعرها : قالت الشعروهى فى الحادية عشرة من عمرها . وكان بدء أمرها فيه أن تقوله معارضة لما تحفظه فى المدرسة تارة جداً ، وتارة هزلاً ؛ وشعرها حسن الديباجة ، جميل الأسلوب يعد فى الدرجة الوسطى من شعر هذا العصر .

وهاك نموذجاً من نشرها وشعرها - رسالة كتبتها من رمل الإسكندرية
لصديقة لها - وهي :

«عزيزتى السيدة بلم

أحييك ، ولولا برودة البحر لالتهبت إليك شوقاً ، ولولا تصبرى
لطرت إليك حباً ، وإني لم ينسنى صفاء السماء صفاء ودك ، ولارقة النسيم
رقة حديثك إنما شجاني وذكرني ، ولم أكن ناسية .

حبيبتي : ليتك معي ترين الطبيعة بجمالها ، ترين البحر يزخر كالرعد
والأمواج تتلاطم زرافات ووحداناً ، صفاء في البحر ، وصفاء في السماء ،
كأنهما قلبان ، وتسمعين تغريد الطيور ، وحفيف الأشجار ، إنها لعمرك
مناظر تلهي المرء ، ولكن هيهات لمثلي أن تلهو ، وهي ما يكنه الدهر ،
وما يخبئه الليل والنهار ، تقبلي مني أحر قبلائي ، وأوفر أشواقى .
ومن شعرها تخاطب المرأة المصرية .

سيرى كسيرى السحب لا تنأى ولا تتعجلى
لا تكنسى أرض الشوا رع بالإزار المسبل
أما السفور فحكمة في الشرع ليس بمُعْضَلِ
ذهب الأئمة فيه بين مُحْرَمٍ ومُحَلَّلِ
ويجوز بالإجماع منهم عند قصد تأهل
ليس النقاب هو الحجاب فقصرى أو طولى
فإذا جهلت الفرق بينهم فدنك فاسألِ
من يعد أقوال الأئمة لا مجال لمقولى
لا أبتغى غير الفضيحة للنساء فأجملِ

الشعر

كانت حالة الشعر في النصف الأول من هذا العصر لاتزيد شيئا مذكورا على

ما كانت عليه في العصر الماضي ، إذ كانت حكومة (محمد علي باشا) في
في أول أمرها تركية الصبغة ، وكان هو أمياً لا يحل عنده الأدب محل العلم
الذي عليه مدار تأسيس المملكة ، ولكن الشعر أخذ بعد ذلك في الترقى .

وسارت مصر في طريقه ، وانتشرت بينها العربية حتى زمن (إسماعيل
باشا) وكان هو متأدباً ، وعصره غاصاً بالأدباء ، فتقدم الشعر في عصره
خطوات تمثلت في شعر السيد على أبي النصر ، والشيخ علي الليثي ، ثم طفر
طفرة إلى عظيم الشعراء (البارودي) .

ولم يزل للعلم والعلماء مع ذلك المقام الأول في مصر ، حتى كان العصر الحاضر ،
ونالت مصر بعض حاجاتها من العلم وكتبه ، فهب أهله يتفكحون بالأدب وكتابته
والتأليف فيه ويستمعون الشعر ، ويحضرون المجمع العظيمة لإنشاده ، فأقبل
الشعراء على نظمه في كل أغراضه القديمة والحديثة ، ونحوبه نحو الشعر الإفرنجي
من وصف المناظر الطبيعية ، وأحوال الوجدان ، والعواطف النفسية ، وكثير من
الشعراء بعد البارودي ، لم يحاك القدماء في نذب الديار ، ووصف الطعائن ،
وحث المطايا مستغنياً عن ذلك بوصف القطار ، والكهرباء ، والمسرة ، والبرق ،
ويقول الآن الشعر على هذه الطريقة مئات من الشعراء في مصر والشام
والعراق ، إلا أن المصريين سبقوا السوريين بمراحل في هذا العصر .

ومما يمتاز به شعرُ هذا الوقت ، خلوه من تكلف البديع والجناس ،
والرجوع به إلى حالته القديمة الطبيعية حتى صار شعر فحولة يشبه شعر
أهل القرن الرابع والخامس .

نماذج من النظم

قال المرحوم السيد على أبو النصر المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ - ١٨٨٠ م :

بصادر آمالي ووارد خاطري كلفتُ فيا نفسي الأبية خاطري

ولا تجزعي إن هال خطب فر بما
تدين الأماني لامرئ غير قادر
وكوني على حمل الأذى مستعدة
فكم عادل أرخى العنان لجائر
ولا تشتكي الأيام إلا لمنصف
فلا خير في الشكوى إلى غير ناصر
ومن لم يكن ذا همّة هاشمية
أخافته في الهيجا بروق البواتر

وقال محمود صفوت الساعاتي المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ يمدح شريف مكة ويعاتبه :

ترنو النجوم بلحظها البراق
والجو في الإرعاد والإبراق
فإذا تبسمت البروق لغبطة
بكت السماء بدمعها المهراق
عاملتموني بالجفاء رويدكم
الورد ذو أرج بلا إحراق
مالي أراكم تنكرون مكاني
الشمس لا تخفي مع الإشراق
قلدتم غيري الجميل وقلتم
حسب المغرد زينة الأطواق
أسديتم الجدوى له وسددتم
طرق الرجاء على بالإطراق
إن لم يكن مثلي يسىء ومثلكم
يغضى فأين مكارم الأخلاق

وفي الحكم للمرحوم الشيخ على الليثي المتوفى سنة ١٣١٣ هـ - ١٨٩٦ م :

كل حال لصدّه يتحوّل
يا فؤادي استرح فما الأمر إلا
قدرٌ غالب وسرُّ الخفايا
فألزم الصبر إذ عليه المعول
فوق عقل الأريب مهما تكمل
رب ساعٍ لحتفه وهو ممن
ظنّ بالسعى للعلا يتوصّل

وقال المرحوم الشيخ شهاب الدين المتوفى سنة ١٢٧٥ هـ يرثي إبراهيم باشا :

صبراً على ما قد مضى
كيف التصبر والمنا
أردت بإبراهيم مذ
وإليه آل الأمر في
إذ لا مخلص من قضا
يات ذات غضب مُنتضى
بلغ المقام المرئضى
حكم (الإيالة) وانقضى

فمضى وقلت مورخاً (الله يرحم من مضى)

٦٦ ٢٥٨ ٩٠ ٨٥٠ ١٢٦٤ هـ

حفى ناصف بك المتوفى ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م

هو القاضى الفاضل الشاعر الكاتب ، محمد حفى ابن الشيخ إسماعيل ابن الشيخ خليل بن ناصف ، ولد ببركة الحج من أعمال القليوبية سنة ١٢٨٢ هـ يتيماً فقيراً ، فكفلته جدته أم أبيه .

ولما ترعرع تعلم القرآن على معلم كان يفرط فى ضربه ، ففر ماشياً على قدميه إلى الأزهر وجود فيه القرآن ، وحفظ. فيه المتون ، ودرس فقه الشافعى ، وعلوم اللسان العربى واشتغل بالأدب والشعر فبرع فيهما حتى أصبح من شعراء الأزهر المعدودين ، وكان أول الناجحين من الطلبة المقبولين فى دارالعلوم ، وبقى أولهم حتى خرج من المدرسة ثم اختير مدرساً وضابطاً لمدرسة الخرس والعميان ، ثم نقل إلى النيابة كاتب سر للمرحوم شفيق بك منصور يكن ، ثم نقل مدرساً بمدرسة الحقوق ، وفى أثناء ذلك كلفته نظارة المعارف مع آخرين تأليف سلسلة كتب سهلة ، لتعليم النحو والصرف والبلاغة فألف خمسة كتب . لم يزل العمل فى التعليم جارياً عليها ثم نقل إلى القضاء الأهلى ، فمكث يترقى فى درجاته مدة عشرين سنة ، كان فى خلالها مثال العدل والنزاهة ، ونقل من وكالة محكمة طنطا الأهلية مفتشاً أول للغة العربية بوزارة المعارف .

وتوفى صبيحة يوم الثلاثاء ٢٦ فبراير سنة ١٩١٩ م ودفن يوم الأربعاء بمقبرة الإمام ، وكان رحمه الله من أطيب خلق الله حديثاً ، وأرقهم فكاهاة ، وأملهم نادرة وأحضرهم جواباً ، مع دعاية فيه .

شعره : لم ينكر الأدباء عليه أنه أبو الطبقة التى نشأت بعد طبقة البارودى ، وعبد الله باشا فكرى ، وكل من نبغ بعد من انتهت إليهم الرياسة فى الشعر فعليه تعلم ، وله قلد ، حتى أصبحوا شعراء هذا الزمان .

وأكثر شعره من النوع السهل الممتنع ، الكثير الملح المطربة والنكت الأدبية المعجبة ، حتى في المراثى ، لثمثيلها في صورة جديدة بديعة ، فمن ذلك قوله :
 أتقضى معى إن حان حينى تجارى وما نلتها إلا بطول عنائى
 وأبذلُ جهدى فى اكتساب معارفٍ ويفنى الذى حصلته بفنائى
 ويُحزنى ألاً أرى لى حيلة لإعطائها من يستحق عطائى
 إذا ورث الجهال أبناءهم غنى وجاهاً فما أشقى بنى الحكماء
 ومن شعره أيضاً يخاطب أحد الرؤساء :

أحييت آمالى وكنت أمتها من طول ما لقيت من إخوانى
 أدلى بإخلاصى لهم وأذود عن أعراضهم بجوارحى ولسانى
 محضتهم ودى فلما أيسروا كانت بداية أمرهم نسيانى

مصطفى باشا كامل المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م

هو مصطفى بن على أفندى المهندس ، المولود بالقاهرة في ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤م ولما بلغ السادسة من عمره أدخله والده المكاتب الأولية ، ثم انتقل إلى مدرسة والده عباس باشا الأول ، وفي أثناء وجوده في هذه المدرسة توفى والده فانتقل إلى مدرسة القربية ، فآتم فيها الدراسة الابتدائية سنة ١٨٨٧ م ثم تحول إلى المدارس الثانوية ، ونال في نهايتها شهادة البكالوريا بتفوق باهر ، وذكاء نادر، مما لفت إليه نظر المرحوم على باشا مبارك ناظر المعارف ، فاخصه بمرتب شهري يصرف إليه مساعدة له ، وكان منظوراً إليه بعين الإجلال والاحترام من إخوانه ومعلميه ورؤسائه لما امتاز به من حسن الإلقاء ، وفصاحة اللسان ، وصراحة القول واستقلال الفكر ومناقشته في المسائل العلمية والاجتماعية ، والكل يعجبون به ، ويتوقعون له مستقبلاً مجيداً ، ثم دخل مدرسة الحقوق الخديوية نهارة ، ومدرسة الحقوق الفرنسية ليلاً فكان يتلقى دروسهما حتى نال الكفاية منهما ،

ذهب إلى (طولون بفرنسا) وأدى فيها الامتحان ونال الشهادة النهائية ،
 وفي أثناء دراسته للحقوق تنبه خاطره إلى المسائل السياسية ، وأصبح همه
 إنقاذ مصر من الاحتلال ، وكان يتردد على الجرائد الوطنية ، فيكتب فيها
 آيات الوطنية ، وأنشأ المجلة المدرسية ، وألف كتاب المسألة الشرقية ، ورواية
 فتح الأندلس ، وكتاباً في حياة الأمم والرق عند الرومان ، وكلها ترمى إلى تحجيب
 الاستقلال ، وإحياء الشعور الوطني في أفكار المصريين ، واجتمع مصطفى بالمرحوم
 « عبد الله النديم » الخطيب المفوه والكاتب البليغ ومشعل نار الوطنية من قبل ،
 فاقتبس مصطفى منه الأساليب والتعليقات العظيمة ، وأضاف ذلك إلى معلوماته
 الماضية ، ونهض نهضة الأسد إلى فريسته ، وأذكى أوار الوطنية في عقول
 الشباب الناهض ، وتطورت مصر الفتاة إلى يومنا هذا في مراقي التقدم
 والنجاح ، وقد طار صيته في الآفاق ، وأنشأ جرائد اللواء العربي والفرنسي
 والإنكليزي لهذا الغرض ، وتوفي يوم الأربعاء ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ م
 وخطبه الطنائة كثيرة معروفة لانطيل بذكرها .

محمد بك فريد المتوفى سنة ١٩١٩ م

هو المخلص الأمين ، محمد بن أحمد باشا فريد ، والدته أميرة من
 فضليات سيدات الخلفاء العباسيين ، وكان ميلاده في ٢٧ رمضان سنة ١٢٨٤ هـ ،
 وعاش ٥٢ سنة ، ولما كان عمره ٧ سنوات أدخله المرحوم والده مدرسة خليل
 أغا ، ثم دخل المدارس الثانوية وفاز بشهادة البكالوريا ، ثم دخل مدرسة
 الحقوق حتى نال الشهادة النهائية في شهر مايو سنة ١٨٨٧ م ، وعقب ذلك
 عينته الحكومة المصرية بقلم قضايا الخديوى عباس باشا بالرتبة الثانية ،
 ثم تدرج في وظائف القضاء إلى أن صار أحد رؤساء النيابة العمومية ، وفي
 خلال ذلك كان ي كاتب أمهات الصحف العربية والإفرنجية ، حتى استقال

من خدمة الحكومة في ٢١ نوفمبر عام ١٧٩٦م ، واشتغل بالمحاماة ، وانضم بكل قواه إلى الحزب الوطني لتحرير مصر والسودان ، ولازم صاحبه المرحوم مصطفى باشا كامل ، وقد ألف كتاب البهجة التوفيقية في تاريخ العائلة الخديوية ، وتاريخ الدولة العثمانية ، وتاريخ الرومان ؛ وأنشأ مجلة « الموسوعات » وكتب آلاف المقالات في المؤيد واللواء والصحف الأوربية ، وألقى مئات من الخطب في بلاد الشرق والغرب ، وتعرف بكثير من سياسة العالم .

ولما شعر المرحوم مصطفى كامل باشا بدنو الأجل ، جمع رجال الحزب الوطني وأوصاهم بانتخاب « فريد » بعده رئيساً ، فقام برياسته خير قيام ، وقد ضحى بنفسه وأولاده وأهله وماله ومناصبه حباً في الوطن ، حتى مات غرباً في يوم الاثنين ١٥ نوفمبر عام ١٩١٩م ، ونقلت جثته من بلاد ألمانيا لدفنها بالقاهرة ، فوصلت صباح يوم الثلاثاء ٨ يونيه عام ١٩٢٠م ، وشيعت باحتفال مهيب ، ورثته صحافة العالم شرقاً وغرباً .

فمن رثاه المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم المتوفى عام ١٣٥٩هـ ، قال من قصيدة طويلة :

من ليوم نحن فيه لغد مات ذو العزّة والرأى الأسد
أيها النيل لقد جلّ الأسى كن مداداً لي إذا الدمع نفذ
فلقد ولي فريد وانطوى ركن مصر وفتاها والسند
خالد الآثار لا تخش البلى ليس يبلى من له ذكر خلد
قل لصبّ النيل إن لاقيته في جوار الدائم الفرد الصمد
إن مصرًا لاتي عن قصدها رغم ما تلتى ، وإن طال الأمد
خاسترح واهناً في غبطة فلقد بذرت الحب والشعب حصد

(٧) سعد باشا زغلول

هو الزعيم الأكبر سعد بن الشيخ إبراهيم زغلول المولود ببلدة إبيانه بمديرية الغربية عام ١٢٧٧هـ ، قرأ القرآن الكريم ودخل الأزهر الشريف ، وحضر علوم اللغة والأدب والنحو والمنطق والتوحيد وعلوم التشريع ، وغيرها على فطاحل العلماء ثم تعين محرراً لجريدة « الوقائع المصرية » الرسمية بالداخلية ، ثم انتقل معاوناً بنظارة الداخلية في مدة وزارة « محمود ساي باشا البارودي » ثم تعين مديراً لقلم قضايا مديرية الجيزة ، وذلك مدة اشتداد الثورة العرابية ، ثم استقال واشتغل بالمحاماة وقد انتخبته الجمعية عضواً في لجنة تنقيح قانون الجنائيات بالاستئناف ، ثم اختاره اللورد « كرومر » أن يكون وزيراً للمعارف . ثم وكيلاً للجمعية التشريعية إلى أن تطورت الحالة الوطنية في القطر المصري ، فانتخبته الأمة وكيلاً عنها في مطالبة إنجلترا بالجلء عن مصر والسودان .
ومن كلماته الماثورة في الوطنية :

- ١ - لا استعباد ، لا استعمار ، لاحماية ، ولا رقابة ، لا تداخل لأحد في شأن من شؤوننا ، هذا ما نريد ، وهذا ما لا بد أن نحصل عليه .
- ٢ - أقسم بالوطنية وعزتها : لو كنت أعرف أني أقود أمة بلهاء تنقاد لكل زعيم بدون تصور ولا إدراك ، كما يصفها أعداؤها ما رضيت أن أكون قائداً لها .
- ٣ - إن قوتنا ليست مستمدة من الخارج ، بل هي نفوسنا ، فلتكن نفوسنا قوية تصل إلى غايتنا .
- ٤ - الإرادة متى تمكنت من النفوس وأصبحت ميراثاً يتوارثه الأبناء عن الآباء ذلت كل صعب ، ومحت كل عقبة ، وقهرت كل مانع مهما كان قويا ، ووصلت عاجلاً أو آجلاً إلى الغاية المطلوبة .

٥ - لا يمكن أن نعتبر للحكوميين مذهباً ، لأن المذهب يقتضى مبادئ وقواعد ، أمّا هم فقاعدتهم القوة ، وما يعتمد على القوة لا يصح أن يسمى مذهباً .
ومن كلماته الماثورة في الحرية وحدودها :

١ - كل أمر يقف في طريق حريتنا لا يصح أن نقبله مطلقاً ، مهما كان مصدره عالياً ، ومهما كان الأمر به .

٢ - كل تقييد للحرية لا بد أن يكون له مبرر من قواعد الحرية نفسها وإلا كان ظلماً .

٣ - الصحافة حرّة ، تقول في حدود القانون ما تشاء وتنتقد من تريد ، فليس من الرأى أن نسألها لم تنتقدنا ، بل الواجب أن نسأل أنفسنا لم نفعلم ما تنتقدنا عليه .

٤ - نحن نحب الحرية ، ولكننا نحب أكثر منها أن تستعمل في موضعها ،

٥ - جميل جداً أن يقال لا تحجروا على الناس ، ولا تقيدوا حريتهم ،

وإنها لمنفعة لذيذة يحسن وقعها في الأسباع والقلوب ، ولكننا لا نريد الحجر على الناس ولا تقييد حريتهم ، بل نريد حماية الحق وصيانتته من أن يتمتع به غير صاحبه من حيث يحرم منه صاحبه .

ومن آرائه في التشريع :

١ - كل شريعة تؤسس على فساد الأخلاق فهي شريعة باطلة .

٢ - لاتصدقوا أن هناك قاعدة يرجع إليها القاضى في تقدير العقوبة ، أو أن هناك ميزاناً توزنُ به الجزاءات ، وإنما هي أمور اجتهادية يلهم بها القاضى إلهاماً .

٣ - الحق فوق القوّة ، والأمة فوق الحكومة .

٤ - إننا إذا احترمنا أمراً للحكومة ، نحترمه لأنه نافع للأمة ، لا لأنه

صادر من تلك القوة المسيطرة .

٥ - يجب أن ننقاد للقانون ، وألا نعتبر الانقياد إليه مهانة ومذلة ،

بل عزاً وشرفاً .

٦- إن كانت الحكومة تريد أن نكون في صفِّها ، مُدافعين عنها فما عليها إلا أن تتبع الحق والعدل ، وتحترم القانون .

٧- يُعجبني الصدق في القول والإخلاص في العمل ، وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون .

٨- الذي يلزمننا أن نفاخر به هو أعمالنا في الحياة لا الشهادة التي في أيدينا .

٩- أعاهدكم عهداً لا أحميد عنه على أن أموت في السعى إلى استقلالكم ، فإن فزتُ فذاك ، وإلا تركت لكم تميم ما بدأت به .

هذا قليل من كثير لانحيط به جميعاً ، خصوصاً خطبه المطولة الممتعة التي تكاد أن تكون في درجة الإعجاز ، ولا غرابة في ذلك . فقد كان معروفاً بالشجاعة والصراحة يمتلك في يده أعنة الألفاظ وأعذبها وأخفها وقعا على النفوس عن أقسى المعاني وأخشنها بأرق الألفاظ وأعذبها وأخفها وقعا على النفوس والأسماع ، خصوصاً وأنه قدير على التأثير على نفس السامع ، وامتلاكه أزمة الأهواء وتلاعبه بالعواطف والقلوب ، واقتداره على إسناد كل جزئية من جزئيات المسائل الاجتماعية أو القانونية أو الأخلاقية أو السياسية إلى قاعدتها العامة التي توضع طريقاً وتكشف الغامض منها .

ولقد كان مُشرعاً يبحث النظمات ويدققها ، وسياسياً يبارز خصمه مبارزة الرجل الذي يحسن تقليب الحسام بين يديه ، فلا كلماته تخرق حجب الآداب ، ولا تتجاوز حدّ اللياقة ، لقد كان كلامه ينزل على السامعين نزول الندى على آكام الزهر فلا يرتفع صوت ، ولا تبدو حركة مع طول خطابته نحو ساعتين وأكثر ، حتى وافاه القدر المحتوم في أواخر أغسطس سنة ١٩٢٧ م ، وعمره نحو ٦٧ سنة ، وقد خلفه زعامة حزب « الوفد المصري » حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا .

(٨) مصطفى النحاس

هو مصطفى بن الشيخ محمد النحاس من أعيان بندر سمبود .

ولد (مصطفى النحاس) من أبوين كريمين عريقين في الحسب والنسب ،
توفي يونيه سنة ١٨٧٩ م .

وتربى تربية منزلية قيومية طبعته على الأمانة والاستقامة والنزاهة وأنشأته على
الخير والعدل والصلاح والتقوى ، فشب على مكارم الأخلاق من الصغر :

رَضَعَ الأخلاق من ألبانها إن للأخلاق وقعاً في الصغر

وما بلغ السادسة من عمره إلا وهو يزاول مبادئ التعليم في أحد مكاتب
البلدة ، وما تجاوز العاشرة من عمره إلا وكان حافظاً لجميع القرآن الكريم
حفظاً جيداً ، ثم ارتحل به والده إلى القاهرة وأدخله مدرسة الناصرية الابتدائية
بمنظار أمين سامى في ذلك الوقت ، فأمر بامتحانه للقبول فاجتازه بتفوق باهر ،
وعكف على دروسه حتى كان في كل امتحاناته أول فرقة ، وبعد إتمام الدراسة
الابتدائية التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية بالقسم الداخلى ، وأظهر جهداً واجتهاداً
وتفوقاً ونبوغاً منقطع النظير ، حتى المرحلة الأخيرة التي كللت بنجاح عظيم ،
ألقت نظر روسائه إليه ، حتى وصل خبره إلى اللورد « كتشنر » الذي رغب في
رؤيته ، ثم التحق بمدرسة الحقوق ، وتخرج منها في يونيه سنة ١٩٠٠ م ،
واشتغل بالمحاماة إلى أوائل سنة ١٩٠٤ ، ثم عين قاضياً بالمحاكم الأهلية
موظلاً يخدم العدالة نيفاً وخمسة عشر عاماً ، حتى نادى المغفور له (سعد
زغلول) بوجوب المطالبة بحق مصر والاستقلال فانضم إليه ، وانضوى تحت
ظوائمه ، وأخذ يسعى في تحرير وطنه بكل إخلاص وتضحية عظيمة .

وقد تقلد رئاسة الحكومة المصرية ست مرات .

الأولى عام ١٩٢٨ م ، والثانية عام ١٩٣٠ م ، والثالثة عام ١٩٣٦ م ،
والرابعة عام ١٩٣٧ م بعد جهاده الذي نالت فيه مصر استقلالها التام ،
والإلغاء الامتيازات الأجنبية .

هذه لمحة وجيزة من تاريخ حياة مصطفى النحاس (محامياً ، وقاضياً ،
وخطيباً ، وخصماً سياسياً ، ووزيراً ، ورئيساً للوزارة) .
ومن خطبه :

« لاشك أن من يتولى الدفاع عن حقوق الأفراد وحريتهم مدفوعاً
بواجب مهنته وشعور التقديس لطائفته إنما هو مسوق حتماً للاشتراك في
الدفاع عن حقوق المجموع وحریات المجموع ، لأن حقوق المجموع وحریات
المجموع إنما هي مجموع حريات الأفراد وحقوق الأفراد » .
ومن قوله :

- (١) ليس مثل الصراحة سياسة ناجمة في وقت الخطر .
- (٢) إن القلوب إذا اتصلت لا تقوى على فصلها قوة مهما فتكت
أو بطشت .
- (٣) ما كان لقوة في الوجود أن تحقق آمال شعب ، ولا أن تبدد
وحدة أمة .
- (٤) إنما الموت في سبيل الأوطان حياة .
- (٥) ليس مصير الأمم لعبة في أيدي اللاعبين ولا هو تجربة في أيدي المجربين .
- (٦) إن للحق قوة معنوية هي من روح الله يقذفها على الباطل فتدمغه
فإذا هو زاهق .

- (٧) مصر أمة جديرة حقاً بأن تكون مصدر السلطات .
- (٨) إن الأمر في قضية الأمة أمر الأمة وحدها لا كلمة لسواها ولا
معمل على غير رضاها .

(٩) الأمم الحية لا تغلبُ وقد تعود مصر أن تقهر قاهرها ، ولدهر قلبٌ إن صفا اليوم لشخص فى غد يتقلبُ .

(١٠) اضطهاد الأحرار يزيدهم تمسكا بالحرية أضعافاً مضاعفة .

(١١) إذا كان اعتناق المبدأ القويم فضيلة فإن الثبات على هذا المبدأ هو فضيلة الفضائل .

(١٢) إن الأمة هى الأول والآخر ، وهى الأصل الذى يجب أن ترجع إليه كل الأمور .

(٩) الغازى مصطفى كمال

أشهر حماة الشرق ، وداهية أقطاب السياسة الغازى (مصطفى كمال) المولود فى سلانيك سنة ١٢٩٨ هـ - ١٨٨٠ م ، ولما بلغ السنة السادسة من عمره أدخله والده مدرسة ابتدائية ، وما لبث أن تركها على أثر وفاة والده ، ثم انتقل إلى قرية أخرى مع والدته بها خاله الذى كفله ، وعهد إليه القيام بحراسة الحقول والاشتغال بالزراعة مدة فأوجست والدته خيفة من ضياع إيان شبابه بدون جدوى ، وصحت عزيمتها على إرساله إلى دار جدته فى (سلانيك) ودخل فى (المدرسة الملكية الإعدادية) غير أنه لم يوفق للتعلم بها - وذلك لشغفه بحب (المدرسة الرشدية العسكرية) الابتدائية ، فدخلها وأخذ يتبحر فى الرياضيات ، ويناقدش أستاذه المدعو (مصطفى بك) القائل له : إن بين اسمى واسمك اشتباها ، فيجدر أن أضيف إلى اسمك لفظة (كمال) للتمييز بيننا ، وقد أتم الدراسة فى هذه المدرسة العسكرية الابتدائية ، وفاق زملاءه فى العلوم الرياضية بحيث لم يصادف أية صعوبة فى امتحان المدرسة الإعدادية العسكرية الثانوية فى (مناستر) وتزود بقسط وافر فى اللغة الفرنسية ، وفى خلال ذلك كان يجتمع بالمرحوم الشاعر التركى (المشهور (عمر ناجى بك) فارتشف من منهل العذب ، وتآدب بأدبه ، ودرس عليه

آداب اللغة التركية ، وضرب بسهم فيها حتى صار الشعر هو المادة التي تنجذب نفسه إليه وترتاح به ، رغم النصائح التي كان يلقيها عليه بعض معلميه العسكريين بقولهم : « إذا أردت أن تكون جندياً حقيقياً فاترك الأدب وخيال الشعراء » وبعد إتمامه الدراسة في تلك المدرسة سافر إلى الآستانة سنة ١٣١٣ هـ ، والتحق بالمدرسة الحربية ، وكان شغفه عظيم بالعلوم والأدب ، ومزاولة الخطابة وأساليبها فتولد من ذلك توقه إلى حُب الاشتغال بالسياسة ، خصوصاً وقد وقعت في يده كتب الوطني العظيم (نامق بك كمال) فطالعتها مرارا ، ووقف على ما فيها وأدرك مراميها فرسخت في عقيدته (الوطنية) وكان ذلك في عهد المرحوم (السلطان عبد الحميد) الداهية العظيم ، ومع ذلك تخرج من هذه المدرسة برتبة (مُلازم ثان) ، ولما انتقل إلى مدرسة أركان حرب بدأ يتعرف مع بعض إخوانه من الطلبة ما يكتنف إدارة البلاد وسياستها من السوء والفساد ، فكان أول ما فكر فيه أن يفهم زملاءه البالغ عددهم نحو ٥٠٠٠ طالب ، موقف البلاد الإداري والسياسي .

وقد فكروا جميعاً في تأسيس جريدة تكون لسان حالهم ، وقد أخذ على عاتقه تحرير الكثير من مقالاتها وأبحاثها غير أن (إسماعيل) مفتش المدارس وقف على حركتهم ثم وُشئ بهم إلى السلطان ، وقال له : إن ناظر المدرسة (رضا) هو المسئول عن حركة الطلبة فاستدعاه السلطان فأقنعه بعدم وجود حركة سياسية . واستمر مع رفاقه على إصدار جريدتهم حتى سنى مدرسة أركان حرب .

وبعد أن خرج من المدرسة برتبة (يوزباشي) في أركان الحرب العامة واستأجر لنفسه مكاناً خاصاً في (بك أوغلي) رغبة في استئناف العمل وعقد الاجتماعات ، أصدر القرارات لصالح الوطن ، ولكن لم تمض مدة وجيزة حتى اعتقل بضعة أشهر ، ثم أطلق سراحه وأصرَّ على اشتغاله بالسياسة حتى نَفَتْهُ الحكومة إلى ولاية الشام للخدمة في الجيش ، وقد أسس هناك (جمعية الحرية) وأسس لها

فروعاً في بيروت ويافا والقدس ، وفي كل مدينة حلَّ فيها ونزل بها ، ولما كان انتشار مبادئ الجمعية غير ممكن في تلك المدن عزم على السفر إلى (مقدونيا) حيث هناك الأرض صالحة لبذر تلك المبادئ ، والعمل على إنمائها وإنباتها نباتاً حسناً ، وأطلع جمعيته على رأيه ، وعلى ذلك سعى أفرادها وتمكن من إصدار إذن يستطيع به السفر في بادى الأمر إلى (أزمير) وعلى إثر ذلك أرسل رسالة خاصة إلى (شكرى باشا) المعروف بوطنيته الحارة ، وطلب منه مساعدته ، ولما شد الرحال إلى مقدونيا ، وركب البحر غير وجهته إلى مصر ، ومنها إلى بلاد اليونان ، ثم إلى سلانيك رغبة في إخفاء أغراضه عن أعين الجواسيس وقد أسس في مدينة سلانيك فرعاً عاماً للجمعية ، وما كانت حكومة الآستانة تتلقى تقرير الجواسيس عن أعماله حتى سافر إلى (يافا) وعلى أثر ذلك ظهرت مسألة العقبة ، فاستصدرت جميعة الحرية أمراً بتعيينه على الحدود المصرية . وقد مكث في سوريا ثلاثة أعوام ، ثم طلب من الحكومة نقله إلى مقدونيا ، فقبول طلبه بالقبول ، وعلم بعد وصوله إلى سلانيك أن جمعية الحرية غيرت اسمها باسم جمعية (الاتحاد والترقى) وما وافى إعلان الدستور حتى برز إلى ميادين السياسة بفضل إعلانه جميع الأسرار . ولما نشبت الثورة الرجعية في الآستانة سنة ١٩٠٩ م أخذها واستتب الأمن ، ثم تعين بمهمة الإصلاح على ولاية طرابلس .

وكان كثيراً ما يكتب لإصلاح شأن الجيش ، فكان ذلك من الأسباب الجوهرية التي بعثت بعض القواد القدماء على حقدهم عليه ، وكان جزاؤه تعيينه قائداً للألأى الثلاثين ، فجاء هذا التعيين على عكس غرضهم الأساسى ؛ إذ أفسح له مجالاً واسعاً لالقاء بعض المحاضرات الفنية وشرح أساليب الخطط الحربية للضباط والقواد ، ثم بعد ذلك دعت حكومة الآستانة ، وعينته ضمن أركان الحرب العامة فيها ، وقام بصحبة المرحوم

(شوكت باشا) بالحركات الحربية لإخماد الثورة في بلاد ألبانيا . وقد ذهب متنكراً إلى مصر على أثر إعلان الحرب الإيطالية سنة ١٩١١م وسافر منها إلى بنغازي ، ثم عاد إلى الآستانة بعد نشوب الحرب بين الترك والبلغار ، وتعين رئيساً لأركان الحرب ، بعدها عاد إلى الآستانة ، وتعين مُلحقاً عسكرياً في سفارة (صوفيا) عاصمة بلغاريا ، ومكث هناك مدة سنة كاملة . ولما نشبت الحرب العامّة سنة ١٩١٤ م تعين قائداً للفرقة السادسة عشرة في (تكفور طاغ) ثم تعين قائداً لفيلق ديار بكر ، وبعدهما تولى قيادة الجيوش وعُين بعد ذلك قائداً للقوات الحجازية ، ثم عاد إلى ديار بكر ، ومنها عاد إلى الآستانة وأخذ القيادة على عاتقه ، وحصل بينه وبين كبار القواد الألمانبيين مناقشات أدّت إلى استقالته ، وسافر من الآستانة مع (ولى العهد) إلى ألمانيا ، وفيها تقابل مع القائدين (هند نبورج ، ولوندرف) . وقد صحت عزيمته على ترك الآستانة والتّوغل في داخلية البلاد ، وقد بذل جهده في العمل على إنقاذ الوطن خاصة والشرق عامة ، وبينما كان مشغولاً بتهيئة الأسباب لذلك ؛ إذ تلقى أمراً بتعيينه قائداً ومفتشاً لجيش (الصاعقة) مع ضرورة ذهابه إلى الأناضول ، فتقبّل ذلك بالسُرور العظيم ، وقام إلى الأناضول ، وهو حاصل على رتبة القائد والمفتش معاً لذلك الجيش ، وكان ذلك من أهم العوامل الفعّالة للوصول إلى تحقيق إنقاذ الوطن ، ولما شعرت الحكومة بخطئها استدعى في الحال إلى الآستانة ، فرفض واستقال ، وسعى في جمع نواب الأمة في الأناضول ، وقد افتتح المجلس الوطني الكبير يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٠ م ، وأخذ في مباشرة الأعمال والقيام بواجب البلاد ، وكان شغله الشاغل (كيف تمثل إرادة الأمة أحسن تمثيل؟؟) .

وقد تمّ له ما أراد ، ففاز بالنصر والسداد ، وفق الله أمثاله إلى ما فيه صلاح العباد ، وقد اجتمع بين يديه إمارة السيف والقلم ، وخطبه أشهر من أن تذكر .

ومن أقواله فى حُبِّ الوطن العزيز : إن وطننا العزيز لا يموت ولن يموت ،
وإذا فرضنا المحال وسلمنا بموته (لا قدر الله) فكاهل الكرة الأرضية لن
يستطيع حمل تابوته الجسيم . نعم لا يسقط . مُهشما ، مقطع الأوصال ،
ما دام فرد منا يتنسم نسيم الحياة .

ومن آرائه فى تعليم المرأة : تعليم المرأة (أم الوطن) وتثقيف عقلها بالعلوم
الدينية والمعارف الأهلية من أهم ما ترمى إليه نهضتنا العلمية الوطنية .
ومن وصفه للفلاح : سيد تركيا ، بل سيد العالم الحقيقى (الفلاح) لأنه هو
العنصر الأول فى تكوين عناصر الأمة وكيانها ، والوطن بدونها لا شئ ، بل الوطن
هو ، فيتعين أن نعتنى به عناية خاصة ، وأن نضع قبل كل شئ سعادته نصب أعيننا .

شعراء العصر الحاضر

(١) محمود سامى باشا البارودى

هوربُ السيف والقلم ، أمير الشعراء ، وشاعرُ الأمراء (محمود سامى باشا
ابن حسن حسنى بك البارودى) أحد زعماء الثورة العربية ، وأشعر الشعراء
المتأخرين بالديار المصرية - وُلد سنة ١٢٥٥ هـ ، وتآدب وأدخل المدرسة
الحربية ، ومازال يترقى حتى وُلّاهُ الخديوى توفيق نظارنى الحربية والأوقاف ،
ثم ولى رئاسة مجلس النظار قبيل الثورة العربية ، فلما اضطرت نيران
الثورة أرغمه زعمائها على اصطلاء نارها فخبَّ فيها ووضع ، وحُكم عليه
بعد انقضائها بالنفى إلى جزيرة (سيلان) حتى عمى ، وشفع فيه ، فأذن له
بالقدوم إلى مصر ، بعد مُضى ١٧ سنة من منفاه ، وبقي فى منزله يشتغل
بالآدب إلى أن مات سنة ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤ م ، ومن قوله :

والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر وإنما صفوه بين الورى لَمَعُ
لو كان للمرء فكر فى عواقبه ما شان أخلاقه حرص ولا طمع

وكيف يُدرك ما فى الغيب من حدث من لم يزل بغير العيش ينخدع
 دهرٌ يغرُّ وآمالٌ تسرُّ وأعمَّـارٌ تمرُّ وأيامٌ لها خِدَعٌ
 يسمعى الفتى لأُمورٍ قد تضرُّ به وليس يعلم ما يأتى وما يدعُ
 يا أيها السَّادِرُ المزورُّ من صلفٍ مهلاً فإنك بالأيامِ مُنخدعُ
 دع ما يُريبُ وخذ فيما خلقت له لعلَّ قلبك بالإيمان ينتفعُ
 إنَّ الحياةَ لثوبٌ سوف تخلعه وكلُّ ثوبٍ إذا ما رث ينخلعُ
 ومن قوله فى الحماسة والفخر (وهو آخر ما قاله) :

أنا مصدرُ الكليمِ البوادي بين المحاضر والنوادي
 أنا فارسٌ أنا شاعرٌ فى كلِّ ملحمة ونادي
 فإذا ركبت فإننى زيد الفوارس فى الجلاد
 وإذا نطقت فإننى قس بن ساعدة الإيادي

وقال يصف هرمى الجيزة وأبا الهول :

سل الجيزة الفيحاء عن هرمى مصر لعلك تدرى عيب ما لم تكن تدرى
 بناءً إن رداً صولة الدهر عنهما ومن عجب أن يغلبا صولة الدهر
 أقاما على رغم الخطوب ليشهدا لبانيهما بين البرية بالفخر
 فكم أمم فى الدهر بادت وأعصر خلت وهما أعجوبة العين والفكر
 تلوح لآثار العقول عليهما أساطير لا تنفك تتلى إلى الحشر
 رموزٌ لو استطلعت مكنون سرها لأبصرت مجموع الخلائق فى سطر
 فما من بناء كان أو هو كائن يُدانيهما عند التأمل والخبر
 يقصرُ حسناً عنهما صرحُ بابل ويعترف الإيوان^(١) بالعجز والبهر
 كأنهما ثديان فاضا بدرة من النيل تروى غلة الأرض إذ تجرى

(١) هو إيوان كسرى كان بهوا عظيما فى قصره بالمدائن وسقفه أزج

معقود وبه سمى قصر الأبيض .

وبينهما بلهيب^(١) في زى رابض
يقلب نحو الشرق نظرة وامق
مصانع فيها للعلوم غوامض
رسا أصلها ، وأمتد في الجو فرعها
أكب على الكفين منه إلى الصدر
كأن له شوقاً إلى مطلع الفجر
تدل على أن ابن آدم ذو قدر
فأصبح وكراً للساكين^(٢) والنسر^(٣)

(٢) أحمد شوقي المتوفى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

أشهر شعراء العربية في العصر الحاضر ، وأقدرهم على التصورات
البديعية ، هو شاعر النيل المرحوم أحمد شوقي بك ، ابن أحمد شوقي بك ،
المولود بمصر سنة ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م .

شعره : ينظم بين أصحابه ، فيكون معهم وليس معهم ، وينظم حين يشاء ،
وحيث يشاء ، لا يجهد فكره ، ولا يكده في معنى أو في مبنى . فاما المعنى فيجيشه على
مرامه أو على أبعده من مرامه ، ولا ينضب عنده ، لأنه يستخلصه من عقل فوار
الذكاء ومعارف جامعة إلى أفانين الآداب ، في لغات الإفرنج والأعراب ، فلسفة
الحقوق وحقائق التاريخ ، وغرائب السير التي يحفظ . منها غير يسير ، إلى
مشاركات علمية وتنبهات فنية ، استفادها من مطالعته في صنوف الكتب
واتخذها عن ملاحظاته ومسموعاته في جولاته بين بلاد الشرق والغرب . وأما المبنى
فله فيه أذواق متعددة بتعدد مقامات القول ، ترى فيه من نسج (البحترى) ومن
صياغة (أبي تمام) ومن وثبات (المتنبي) ومن مفاجآت (الشريف) ومن
مُسلسلات (مهيار) . ومن قوله (يصف هيكلاً أنس الوجود) :

أيها المنتجى (بأسوان) داراً كالثرياً تريد أن تنقِضاً

(١) اسم لأبي الهول عرف به صدر الاسلام . ولعل أبا الهول
محرف عنه .

(٢) السماكان : نجمان نيران في السماء أحدهما السماك الرامح
والثاني السماك الأهل .

(٣) النسر : كوكبان . الواقع والطائر . وفي النسر تورية .

اخلع النعل واخفض الطرف واخشع
 قف بتلك (القصور) في اليم غرقى
 كعذارى أخفين في الماء بضاً (١)
 مشرفات على الزوال وكانت
 شاب من حولها الزمان وشابت
 رب (نقش) كأنما نفض الصا
 و(دهان) كلامع الزيت مرّت
 و(خُطوط) كأنها هُدب ريم (٣)
 و(ضحايا) تكاد تمشى وترعى
 و(محاريب) كالبروج بنتها
 شيّدت بعضها الفراعين زلفى (٥)
 و(مقاصير) أبديت بفتات المسك ترباً وبالواقيب قضا (٧)
 حظها اليوم هدةً وقديماً
 سقت العالمين بالسعد والنحس إلى أن تعاطت النحس محضاً (٨)
 صنعة تدهش العقول وفن
 يا قصورا نظرتها وهى تقضى (٩)
 أنت سطرٌ ومجد مصر كتاب
 وأنا المُحتفى بتاريخ مصر
 ربُّ سرِّ بجانيبك مزال
 لا تحاول من آية الدهر غمضا
 مُمسِكاً بعضها من الذعر بعضا
 سابحاتٍ به وأبدين بضاً
 مشرفات على الكواكب نهضا
 وشباب الفنون مزال غمضاً
 نِعُ منه اليدين بالأمس نفضاً
 أعصرُ بالسراج والزيت وضاً (٢)
 حسنت صنعة وطولا وعرضاً
 لو أصابت من قدرة الله نبضاً
 عزماتٌ من عزمة الجن أمضى (٤)
 وبني البعض أجنبٌ يترضى (٦)
 وباليواقيب قضا (٧)
 صرّفت في الحظوظ رفعاً وخفضاً
 كان إتقانه على القوم فرضاً
 فسكبتُ الدموع والحق يُقضى (٩)
 كيف سام البلى كتابك قضا
 من يصن مجد قومه صان عرضاً
 كان حتى على (الفراعين) غمضاً

(١) بضاً: البض، الرخص، الجسد . (٢) وضاً: وضاء .
 (٣) ريم: غزال . (٤) أمضى: أحد . (٥) زلفى: تقريبا .
 (٦) يترضى: يطلب الرضا . (٧) قضا: حصا .
 (٨) محضاً: خالصاً . (٩) تقضى: تبنى .

قل لها في الدعاء لو كان يجدى
 حار (فيك) المهندسون عقولا
 أين ملك حيالها وفريد
 أين (فرعون) في المواكب تترى
 ساق للفتح في الممالك عرضاً
 أين (إيزيس) تحتها النيل يجرى
 أسدك الطرف كاهن ومليك
 يعرض المالكون أسرى عليها
 ما لها أصبحت بغير مجير
 هي في الأماسر بين صخر وبحر
 أين (هوروس) بين سيف ونطع
 ليت شعري قضى شهيد غرام
 رب ضرب من سوط فرعون مض (٤)
 وهلاك بسيفه وهو فان
 قتلوه فهل لذاك حديث
 يا إمام الشعوب بالأمس واليو
 (مصر) بالنازليين من ساح معن (٦)
 كن ظهيراً (٧) لأهلها ونصيراً
 قل لقوم على (الولايات) أيقا
 شيمة النيل أن يني وعجيب

تاساء الجلال لا صرت أرضاً
 وتولت عزائم العلم عرضي
 من نظام النعيم أصبح فضاً (١)
 يركض المالكين كالخيل ركضاً
 وجلا للفخار في السلم عرضاً
 حكمت فيه شاطئين وعرضاً
 في ثراها وأرسل الرأس خفضاً
 في قيود الهوان عانين جرضي (٢)
 تشتكى من نوابب الدهر عرضاً
 ملكة في السجون فوق حضوضي (٣)
 أهذا في شرعهم كان يقضى؟
 أم رماه الرشاة حقداً وبغضاً
 دون فعل الفراق بالنفس مضاً
 دون سيف من اللواحق ينضي (٥)
 أين راوى الحديث نثراً وقرضاً؟
 م ستعطى من الثناء فترضى
 وحمى الجود حاتم الجود أفضى
 وابذل النصح بعد ذلك محضاً
 ظ إذا ذاقت البرية غمضاً
 أخرجوه فضيع العهد نقضاً

(١) فضا : مفضوض . (٢) جرضي : مضمومين .
 (٣) حضوضي : جبل في البحر . (٤) مض : مرجع .
 (٥) ينضي : يسئل . (٦) معن : هو معن بن زائدة أحد
 كرماء العرب . (٧) ظهيراً : نصيراً .

حاشه (١) الماء فهو صيد كريم
ليت بالنيل يوم يسقط. غيضا (٢)
شيدوا المال ، والعلوم قليلٌ
أنقذوه بالمال والعلم نقضا (٣)

وقال أيضاً فى استنهاض همم العمال من قصيدة :

أياها العمالُ أفنوا العم	رَ كدًا واكتسابا
واغمروا الأرض فلولاً	سعيكم أمست بيابا (٤)
أتقنوا الصنعة حتى	تأخذوا الخلد اغتصابا
إن للمتقن عند اللد	والناس ثوابا
أتقنوا يحببكم اللد	ويرفعكم جنابا
أرضيتم أن ترى مص	ر من الفن خرابا ؟
بعد ما كانت سماء	للصناعات وغابا
أياها الغادون كند	حل ارتيادا وطلابا
فى بكور الطير للرز	ق مجيئاً وذهابا
اطلبوا الحق برفق	واجعلوا الواجب دابا
واستقيموا يفتح اللد	لكم باباً فبابا
اهجروا الخمر تطيعوا اللد	أو تُرضوا الكتابا
إنها رجس فطوبى	لامرىء كف وتابا
تُرعى الأيدى ومن ير	عش من الصناع خابا
إنما العاقل من	يجعل للدهر حسابا

(١) حاشه : من حاش الصيد ، أخرجته فى كل مكان .

(٢) غيضا : من غاض الماء غيضا ، نقص أو غار فذهب فى الأرض .

(٣) نقضا : النقص ما انتقض من البناء ، أى انتكث .

(٤) الأرض البياب : الخراب .

وقال أيضاً في وصف الصحافة من قصيدة :

لكل زمان مضي آيةٌ وآية هذا الزمان الصحف
لسانُ البلاد ونبض العبا دوكهف الحقوق وحرب الجنف (١)
تسيرُ مسير الضحى في البلا د ، إذا العلم مزق فيها السدف (٢)
وتمشى تعلمُ في أمة كثيرها لا يحط. الألف !
فيا فتية الصحف صبراً إذا نبا الرزقُ فيها بكم واختلف
فإن السعادة غيرُ الظهو ر ، وغير الثراء ، وغير الترف
ولكنها في نواحي الضمير ير إذا هو باللؤم لم يُكتنف
خذوا القصد واقنعوا بالكفا ف واخلوا الفضول يغلها السرف (٣)
وروموا النبوغَ فمن ناله تلقى من الحظ. أسنى التحف
وما الرزق مجتنبُ حرفة إذا الحظ. لم يهجر المحترف
إذا آخت الجوهري الحظو ظُ كفلنَ اليتيمَ له في الصدف (٤)
وإن أعرضت عنه لم يحلُ في عُيون الخرائد (٥) غير الخزف

(٣) المرحوم محمد حافظ. إبراهيم المتوفى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

هو الشاعر الكبير المرحوم محمد حافظ. بن إبراهيم أفندي فهمي المولود سنة ١٢٨٨ هـ . يقول الشعر في كل مكان يتفق له فيه أن يخلو بنفسه ، ويتعب في قرض قريضه تعب النحات الماهر في استخراج تماثيل جميل من حجره . يؤثر الجزالة على الرقة ، وله فيها آيات ، يطرق الموضوع في الغالب من جوهره وربما نظم أكثر الأبيات قبل المطلع ، شأن الصانع القدير الذي

(١) الجنف : الحيف . (٢) السدف : الظلام .

(٣) الفضول : فضلات المال الزائدة عن الحاجة ، وغالها السرف

يقولها : أبى عليها . (٤) اليتيم : اللؤلؤ المنقطع النظير .

(٥) الخرائد : العذارى .

يبدأ بأصعب ما بين يديه ، آمناً أن تهن عزيمته دون الإجادة بعد ، عالماً أن الكلام لا بد أن يأتيه في أى مقام طبعاً ولو بعد حين .

حاضر المحفوظ من أفصح أساليب العرب ، ينسج على منوالها ، ويتخير نفائس مفرداتها ، وأعلاق حلالها . له غرام باللفظ. لا يقل عن الغرام بالمعنى ، وفي أقصى ضميره يؤثر البيت المجاد لفظاً على المجاد معنى . فإذا فاته الابتكار حيناً في التصور لم يفته الابتكار حيناً في التصوير ، أولع بالاجتماعيات فقال فيها وأجاد ما شاء .

فهو على الجملة أحد الثلاثة الذين هم نجوم الأدب العربي في مصر لهذا العصر ولكل من تلك النجوم منزلته ، وإضاءته وأثره الخالد .

أما شعره فشعر البيان ، وإن من البيان لسحراً - ومن شعره الاجتماعى

قوله :

كم ذا يكابد عاشق ويُلَاقِ	في حُب مصر كثيرة العشاق
إني لأحملُ في هوائِكِ صباية	يامصر ، قد خرجت عن الأطواق
لهنى عليكِ ، متى أراكِ طليقة	يحمى كريم حماكِ شعبُ راق
كلفُ بمحمود الخلال مُتيمِّمٌ	بالبدلِ بين يديكِ والإنفاق
إني لتطربنى الخلالُ كريمة	طربَ الغريب بأوبةٍ وتلاق
ويهزئنى ذكر المروعة والندى	بين الشمائل هزة المشتاق
ما البابية في صفاء مزاجها	والشربُ بين تنافس وسباق
والشمس تبدو في الكئوس وتختفي	والبدرُ يشرق من جبين الساق
بألد من خلقِ كريم طاهر	قد مازجته سلامة الأذواق
فإذا رُزقتَ خليفة محمودة	فقد اصطفاك مقسمُ الأرزاق
فالناسُ هذا حظه مالٌ ، وذا	علم ، وذاك مكارم الأخلاق
والمال إن لم تدخره محصنا	بالعلم كان نهاية الإملاق

والعلم إن لم تكنفه شمائل
لا تحسبن العلم ينفع وحده
من لى بتربية النساء فإنها
الأم مدرسة ، إذا أعدتها
الأم روض إن تعهده الحيا
الأم أستاذ الأساتذة الألى
أنا لأقول : دعوا النساء سوافراً
يدرجن حيث أردن ، لا من واز
يفعلن أفعال الرجال لوامياً
في دورهن شؤونهن كثيرة
كلا ، ولا أدعوكم أن تسرفوا
ليست نساؤكم حلى وجواهرأ
ليست نساؤكم أثاثا يقتنى
تتشكل الأزمان في أدوارها
فتوسطوا في الحاليتين وأنصفوا
ربوا البنات على الفضيلة ، إنها
وعليكم أن تستببر بناتكم

(٤) المرحوم إسماعيل صبرى المتوفى سنة ١٩٢٣ م

هو أحد شعراء الطبقة الأولى في هذا العصر ، ويمتاز بجمال مقطعاته
وعذوبة أسلوبه إلى ما لا يجاريه فيه مجار .

وأكثر ما ينظم فلخطة تخطر على باله ، من مثل حادثة يشهدها ، أو
خبر دى بال يسمعه ، أو كتاب يطالعه ينظم المعنى الذى يعرض له فى بيتين
عادة إلى أربعة إلى ستة ، وقلما يزيد على هذا القدر إلا حيث يقصد قصيدة .

وهو شديد النقد لشعره ، كثير التبديل والتحويل فيه حتى إذا استقام على ما يريد ذوقه من رقة اللفظ ، وفصاحة الأسلوب أهمله ثم نسبه ؛ ولد بالقاهرة سنة ١٨٥٤م ، وتوفي سنة ١٩٢٣م .

ومن قوله يصف الأهرام :

لا القوم قومي ولا الأعوان أعواني
ولست إن لم تؤيدني فراعنة
ولست جباراً ذا الوادى إذا سلمت
لاتقربوا النيل إن لم تعملوا عملاً
ردوا المجرّة كدّاً دون مورده
وابنوا كما بنت الأجيال قبلكم
أمرتكم ، فأطيعوا أمر ربكم
فالملك أمرٌ وطاعات تسابقه
لاتتركوا مستحيلاً في استحالته
مقالة قد هوت عن عرش قائلها
مادت لها الأرض من دُعرودان لها
لو غير فرعون ألقاها وإلا
لكن فرعون إن نادى بها جبلاً
وآزرته جماهيرٌ تسيل بها
يبنون ما تقف الأجيال حائرة
من كل ما لم يكد فكل ولا فتحت
ويشبهون إذا طاروا إلى عمل
برا بنى الأمر لآخوفاً ولا طمعاً

إذا وثى يوم تحصيل العلى وان
منكم بفرعون على العرش والشان
جباله تلك من غارات أعواني
فماؤه العذب لم يُخلق لكسلان
أو فاطلبوا غيره رياءً لظمآن
لاتتركوا بعدكم فخراً لإنسان
لايثن مُستمعا عن طاعة ثانٍ
جنباً إلى جنب إلى غايات إحسان
حتى يُميط. لكم عن وجه إمكان
على مناكب أبطال وشجعان
ما فى المقطم من صخر وصوان
فى غير مصر لعدت حلم يقظان
لبت حجارتُهُ فى قبضة البانى
بطاحُ واد بماضى العزم ملآن
أمامه بين إعجاب وإذعان
على نظائره فى الكون عينان
جنا يطيرُ بأمر من سليمان
لكنهم خلقوا طلاب إتقان

أهرامهم تلك ، حى الفن متخذاً
 قد مر دهرٌ عليها وهى ساخرة
 لم يأخذ الليلُ منها والنهار سوى
 كأنها والعوادى فى جوانبها
 جاءت إليها وفود الأرض قاطبة
 فصغرت كل موجود ضخامتها
 وعاد مُنكرُ فضل القوم معترفاً
 تلك الهياكل فى الأمصار شاهدة
 وأن فرعونَ فى حولٍ ومقدرة
 إذا أقامَ عليهم شاهداً حجرٌ
 كأنما هى والأقوامُ خاشعةٌ
 تستقبل العين فى أثنائها صورٌ
 لو أنها أعطيت صوتاً لكان له
 أين الألى سجلوا فى الصخر سيرتهم
 بادوا ، وبادت على آثارهم دولٌ

من الصخور بروجاً فوق كيوانٍ
 بما يُضععُ من صرح وإيوان
 ما يأخذُ النمل من أركانِ هُلالن
 صرعى بناءً شياطين لشيطانٍ
 تسعى اشتياقاً إلى ما خلد الفانى
 وغضَّ بنيانها من كل بنيان
 يُثنى على القوم فى سر وإعلان
 بأنهم أهلُ سبق ، أهل إمعان
 وقوم فرعون فى الإقدام كفانٍ
 فى هيكَل قامت الأخرى ببرهانٍ
 أمامها صُحفٌ من عالم ثانٍ
 فصيحة الرمز دارت حول جدرانٍ
 صدى يُروعُ صمَّ الإنس والجان
 وصغروا كل ذى مُلك وسُلطان
 وأدرجوا طى أخبار وأكفانٍ

(٥) خليل مطران

هو شاعر الشعور والخيال ، وشاعر بعلبك والأهرام ، ولد عام ١٨٧١ م ببلبك وتعلم بها ، ثم قدم مصر عام ١٨٩٣ ، واشتغل بمكاتبة الصحف ، وأنشأ باسمه «المجلة المصرية» عام ١٨٩٩ م ، وأنشأ أيضاً «جريدة الجوائب المصرية» ، وله ديوانه المسمى «ديوان الخليل» .

شعره : مجمع الصور ، وملعب الخيال ، ونفسه كالصحيفة الحساسة ،

ينطبع عليها كل ما يمر بها . بل الغصن الرطب يميل به كل نسيم ، بل
وجه البحيرة الصافي يحركه كل ريح .

ومن قصيدة له يصف الأسطول الإيطالي لسواحل الشام ويستنهض الهمم :

بلادى لا يزال هواك منى	كما كان الهوى قبل الفطامِ
أقبل منك حيث رعى الأعادى	رغاماً طاهراً دون الرغامِ
وأفدى كلَّ جُلُودٍ فنيتِ	وهى بقنابل القومِ اللثامِ
لحى الله المطامع حيث حلتُ	فتلك أشد آفات السلامِ
تشوبُ الماء وهو أغرُّ صافٍ	وتمشى فى المشارب بالسقامِ
أقول: وقد أفاق الشرقُ دُعرًا	من الحال الشبيهة بالمنامِ
على صخبِ المدافع فى حُماةٍ	ورقص الموت بين طلى وهامِ
أقول بصوته لِحماة دار	رماها من بناة الغرب رامِ
أبأة الضيم من عرب وترك	نسورَ الشمِّ آساد الموائِ
قروم العصر فرساناً ورَحلاً	نجوم الكرِّ من خلف اللثامِ
بنا مرض النعيم فنسّمونا	وغى يشفى من الصفو العقامِ
بنا بردُ المكوثِ فآدفتونا	بحمى الوثبِ حيث الخطب حامِ
بنا عطل السماع فشنفونا	بقعقة الحديد لذى الصدامِ
على هذا الرجاء ونحن فيه	نسير مُوفقين إلى الأمامِ

وقال أيضاً فى «نابليون» وهو يرّقب السماء فى آخر آياته :

قالوا لنابليون ذات عَشية	إذ كان يرّقبُ فى السماء الأنجما
هل بعد فتح الأرض من أمنية	فأجاب أنظر كيف أفتتح السما !

أبواب الشعر العربي - الباب الأول فى المديح

قال أمية بن أبى الصلت المتوفى فى أول ظهور الإسلام حامداً شاكراً الإله

لك الحمدُ والنعماءُ والملكُ ربِّنا
ملكٌ على عرش السماء مُهيمنٌ
فسبحان من لا يعرف الخلقُ قدره
هو الله باري الخلق والخلق كلهم
ملكُ السماوات الشَّداد وأرضها
يدوم ويبقى ، والخليقة تنفدُ

وقال أيضاً في الكونيات وذكر الفناء وما يلقاه الناس بعد ذلك :

إله العالمين وكل أرض
بناها وابتنى سبعا شداداً
وسواها وزينها بنور
ومن شهب تلاًلاً في دُجائها
وشق الأرض فأنبجست عيوناً
وبارك في نواحيها وزكى
فكل مُعمرٍ لابد يوماً
ويبقى بعدُ جدته ويبلى
وسيق المجرمون وهم عُراة
فنادوا ويلنا ويلا طويلا
فليسوا ميتين فيستريحوا
وحل المتقون بدار صدق
لهم ما يشتهون وما تمنوا

وربُّ الراسيات من الجبال
بلا عمدٍ يُرِين ، ولا رجال
من الشمس المضيئة والهلال
مراميها أشدُّ من النصال
وأنهاراً من العذب الزلال
بها ما كان من حرث ومال
وذى دنيا يصير إلى زوال
سوى الباقي المقدس ذى الجلال
إلى ذات المقامع والنكال
وعجوا في سلاسلها الطوال
وكلهم بحرٌ النار صالى
وعيش ناعم تحت الظلال
من الأفراح فيها والكمال

وقال محمود سائى البارودي مادحاً سيد الأمة ، من قصيدة كشف الغمة :

(محمد) خاتم الرُّسل الذى خضعت
سميرٌ وحى ومجنى حكمة وندى
له البرية من عُرب ومن عجم
ساحةٌ وقرى عاف ورى ظم

قد أبلغ الوحىُ عنه قبل بعثته
فذاك دعوة إبراهيم (١) خالقه
أكرم به ، وبآباءٍ مُحجَّلةٍ
قد كان فى ملكوت الله مُدخراً
نور تنقل فى الأكوان ساطعه
مسمع الرسل قولاً غير منكم

وقال شوقى مادحاً أفضل الخلق على الإطلاق من قصيدة نهج البردة :

(محمدٌ) صفوةُ البارى ورحمتهُ
وصاحبُ الحوضِ يوم الرسل سائلة
سناؤه وسناء الشمس طالعة
قد أخطأ النجم ما نالت أبوته
نموا إليه فزادوا فى الورى شرفاً
حواهُ فى سبحات الطهر قبلهم
لما رآه بحيراً قال نعرفه
وبُغيةُ الله من خلق ومن نسّم
متى الورود؟ وجبريل الأمين ظمى
فالجرمُ فى فلكِ والضوءُ فى علم
من سؤدد باذخ فى مظهرٍ سنم
وربَّ أصلٍ لفرع فى الفخار نّمى
نوران قاما مقام الصلب والرحم
بما حفظنا من الأسماء والسم

وقال أبو تمام مادحاً المعتضد بالله :

إلى قطب الدنيا الذى لو بفضله
من البأس والمعروف والجود والنقى
هو البحر من أى النواحي أتيته
تعود بسط الكف حتى لو انه
ولو لم يكن فى كفه غير روحه
مدحت بنى الدنيا كفتهم فضائله
عيالٌ عليه رزقهن شمائله
فلجته المعروف والجود ساحله
ثناها لقبض لم تطعه أنامله
لجاد بها فليتنق الله سائله

(١) يشير الى قوله تعالى : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » .
(٢) يشير الى قوله جل ذكره : « ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد » .

وقال مادحاً المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد من قصيدة :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ
بيض الصفائح لا سود الصفائح في
فتحُ تفتحُ أبواب السماء له
غادرت فيها بهم الليل وهو ضحى
حتى كأن جلابيب الدجى رغبت
أجبتة معلنا بالسيف مُصلتنا
خليفة الله جازى الله سعيك عن
إن كان بين صروف الدهر رحم
هبين أيامك اللاتي نُصرت بها

وقال أبو العلاء المعرى :

إليك تناهى كل فخرٍ وسؤددٍ
لجدك كان المجد ثم حويته
ثلاثة أيام هى الدهر كله
وما البدر إلا واحدٌ غير أنه
فلا تحسب الأقمار خلقاً كثيرة
وللحسن الحسنى وإن جاد غيره

وقال أبو الطيب المتنبي مادحاً سيف الدولة :

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملك
فنحن في جدل الروم في وجلٍ
ليت المدائح تستوفى مناقبه
خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به

ملء الزمان وملء السهل والجبل
والبرُّ في شغل والبحر في خجل
فما كليبٌ وأهل الأعصر الأول
في طلعة البدر ما تغنيك عن زحل

وقد وجدت مكان القول ذا سعة
 إن الإمام الذي فخر الأنام به
 تسمى الأمانى صرعى دون مبلغه
 وقال أيضاً يمدح أبا شجاع :

لا خيلَ عندك تهبها ولا مالُ
 واجز الأمير الذي نعماه فاجئةٌ
 فربما جزت الإحسان مؤليه
 وإن تكن محكمات الشكل تمنعني
 وما شكرتُ لأن المال فرحني
 لكن رأيتُ قبيحاً أن يجادلنا
 فكنت مُنبتَ روض الحزن باكره
 غيثٌ يُبينُ للنظار موقعهُ
 لا يُدرِك المجد إلا سيدُ فطنُ
 لا وارثُ جهلت يمناهُ ما وهبت
 قال الزمانُ له قولاً فأفهمه
 تدرى القناة إذا اهتزت براحته
 كفاتك ، ودخول الكاف منقصةُ
 القائدُ الأسدُ غلتها برائنه

وقال أيضاً يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه قلعة الحدث عام ٣٤٣ هـ :

على قدرِ أهل العزم تأتي العزائمُ
 وتعلمُ في عين الصغير صغارها
 وتأتى على قدرِ الكرام المكارم
 وتكف سيف الدولة الجيش همه

ويطلب عند الناس ما عند نفسه
يفدى أتم الطير عمراً سلاحه
وما ضرها خلقٌ بغير مخالب
هل الحدث الحمراء تعرف لونها
سقتها الغمام الغرُّ قبل نزوله
بناها فاعلى والقنا تفرع القنا
وكان بها مثلُ الجنون فأصبحت
طريدة دهر ساقها فرددتها
تبيدُ الليالى كل شىء أخذته
وكيف ترجى الروم والفرس هدمها

وذلك .ألا تدعيه الضراعُ
نصور الفلا أحداثها والمشاعمُ
وقد خلقت أسيافه والقوائم
وتعلم أى الساقيين الغمام
فلما دنا منهل سقتها الجماجم
وموجُ المنايا حولها متلاطم
ومن جثث القتلى عليها تمام
على الدين بالخطى والدهر راغم
وهنَّ لما يأخذن منك غوارم
وذا الطعنُ أساس لها ودعائم

وقال جرير يمدح عبد الملك بن مروان :

تعزت أم حزره ثم قالت :
ثقى بالله ليس له شريك
سأشكرُ إن رددت على ريشى
ألستم خير من ركب المطايا

رأيت الواردين ذوى امتناع
ومن عند الخليفة بالنجاح
وأنبت القوادم فى جناحى
وأندى العالمين بطنون راح

وقال أيضاً يمدح عمر بن عبد العزيز ويستعطفه :

كم باليامة من شعشاء أرملة
من يعذك تكفى فقد والده
يدعوك بعدك ملهوف كأن به
إننا لنرجو إذا ما الغيثُ أخلفنا
أتى الخلافة أو كانت له قدراً
هذى الأراولُ قد قضيت حاجتها

ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
كالفرخ فى العشِّ لم ينهض ولم يطر
خبلا من الجن أو مساً من البشر
من الخليفة ما نرجو من المطر
كما أتى ربه موسى على قدر
فمن لحاجة هذا الأرملة الذكر ؟

وقال أيضاً يدحه :

يعودُ الفضلُ منك على قريش
وقد أمنت وحشهم برفق
وتدعو الله مجتهداً ليرضى
وما كعبُ ابن مامة وابن سُعدى
وتفرجُ عنهم الكُربَ الشدادا
ويعي الناس وحشك أن يصادا
وتذكر فى رعيتك المعادا
بأجودَ منك يا عمرُ الجوادا

وقال الثعالبي المتوفى سنة ٤٣٩ هـ مادحا الأمير أبا الفضل الميكالى :

لك فى المفاخر معجزاتُ جمّة
بحران بحرٌ فى البلاغة شابهُ
وترسل الصابى تزين علوه
كالنور أو كالسحر أو كالبدر أو
شكراً فكم من فقره لك كالغنى
وإذا تفتق نورُ شعرك ناضرا
أرجلت فرسان الكلام ورض
ونقشت فى فص الزمان بدائعاً
أبدأ لغيرك فى الورى لم تجمع
شعر الوليد وحسن لفظ. الأصمعى
خط. ابن مقّة ذو المحل الأرفع
كالوشى فى برد عليه موشع
وافى الكريم بعيد فقر مدقع
فالحسن بين مرصع ومرصع
ت أفراس البديع وأنت أمجد مبدع
تزرى بآثار الربيع المدرع

وقال أبو محمد اليمنى المتوفى سنة ٥٦٩ هـ يمدح الملك الفائز ووزيره الصالح :

أقسمت بالفائز المعصوم معقده
لقد حمى الدين والدنيا وأهلها
اللابس المجد لم تنسج غلائله
وقد ملكته العوالى رق مملكة
أرى مقاماً عظيم الشأن أوهمنى
ليت الكواكب تدنولى فأنظمها
خليفة ووزير مدّ عدلها
زيادة النيل نقص عند فيضها
فوز النجاة وأجر البر فى القسم
وزيره الصالح الفرج للغم
إلا يد الصانعين السيف والقلم
تغير أنف الثريا عزة الشمم
فى يقظتى أنه من جملة الحلم
عقود مدح فما أرضى لكم كلمى
ظلا على مفرق الإسلام والأمم
فما عسى يتعاطى هاطلُ الديم

وقال المرحوم حافظ. إبراهيم يمدح المرحوم الشيخ محمد عبده ويهنئه :
 رأيتك والأبصارُ حولك خُشع فقلت أبوحفص ببردك أم على
 وخفضتُ من حزني على مجد أمة تداركتها والخطبُ للخطب يعنل
 طاعت بها باليمن من خير مطلع وكنت لها في الفوزِ قدح ابن مقبل
 وجردت للفتيا حسام عزيمة بحديه آياتُ الكتاب المنزل
 محوت به في الدين كل ضلالة وأثبت ما أثبت غير مظل
 لئن ظفر الإفتاء بفاضل لقد ظفر الإسلامُ منك بأفضل

الباب الثاني في الفخر والحماة

قال السموال بن عادياء المتوفى سنة ٦٢ قبل الهجرة :

إذا المرءُ لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل (١)
 وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل (٢)
 تُعيرنا أنا قليلٌ عديدا فقلت لها : إن الكرامَ قليل (٣)
 وما قل من كانت بقاياها مثلنا شباب تسمى للعلا وكهول (٤)
 وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجارُ الأكثرين ذليل (٥)
 لنا جبل يحتله من نجيرة منيع يردُّ الطرف وهو كليل (٦)

(١) اللؤم اسم جامع للخصال المذمومة : والمعنى ان الانسان اذا لم يتدنس باكتساب اللؤم واعتياده فأى ملبس يلبسه بعد ذلك كان جميلا .

(٢) وان هو لم يحمل الى آخر البيت : أى من لم يصير النفس على مكارها فلا سبيل له الى اكتساب حسن الثناء وليس معنى الضيم

ضيم الغير لهم لأنهم يأنفون من ذلك ويعدونه تذلا . (٣) يقال غيرته كذا وغيرته بكذا والأول المختار . (٤) الشباب : جمع شاب كالشبان ،

وقوله : أراد تتسامى فحذف احدى التاءين ، والكهول جمع كهل ضد الشبان . (٥) وضرنا يحوز في أما أن تكون نافية ، والمعنى لم

يضرنا ويجوز أن تكون استفهامية على طريق التقرير . (٦) قيل انه أراد يذكر الجبل العز والسمو : وقيل ان هذا الجبل هو حصن السموال

الذى يقال له الأبلق الفرد بنسأه أبوه ، وقيل بنسأه سليمان عليه السلام .

- رسا أصله تحت الثرى وسما به
هو الأبلق الفرد الذى شاع ذكره
وإن لقوم لا نرى القتل سببة
يقرب حب الموت آجالنا لنا
وما مات منا سيد حتف أنفه
تسيل على حد الطبات نفوسنا
صفونا فلم نكدر وأخلص سرنا
علونا إلى خير الظهور ووطننا
فنحن كماء المزن مافى نصابنا
وننكر إن شئنا على الناس قولهم
إذا سيد منا خلا قام سيد
- إلى النجوم فرع لا ينال طويل (١)
يعز على من راهه ويطول (٢)
إذا ما رآته عامر وسلول (٣)
وتكرهه آجالهم فتطول (٤)
ولا ظل منا حيث كان قتيل (٥)
وليست على حد الطبات تسيل (٦)
إناث أطابت حملنا وفحول (٧)
لوقت إلى خير البطون نزول (٨)
كهام ولا فينا يعد يخيل (٩)
ولا ينكرون القول حين نقول (١٠)
قؤول لما قال الكرام فعول (١١)

(١) رسا أصله الى آخر البيت يريد به أنه أثبت جبل فى الأرض وأعلى طود عليها . (٢) الأبلق الفرد الذى شاع ذكره هو حصن السموال بناه أبوه وقيل سليمان عليه السلام بأرض تيماء وقصيدته الزباء فعجزت عنه وعن مارد فقالت تمرد مارد وعز الأبلق .

(٣) السببة العار ، وعامر وسلول قبيلتان ، يقول : اذا حسب هؤلاء القتل عارا عدته عشيرتى فخرا . (٤) يقرب الى آخر البيت يشير به الى أنهم يفتبطون لافتحامهم المنايا وأن عامرا وسلولا يعصرون لمجانبتهم الشر كراهة للموت وحبا للحياة . (٥) يقال مات فلان حتف أنفه اذا مات من غير قتل ولا ضرب ، قيل ان أول من تكلم بقولهم حتف أنفه هو النبى صلى الله عليه وسلم . (٦) الطبات : جمع طبة وهى حد السيف . قيل أراد بالطبات السيوف كلها فأضاف الحد إليها أى أنهم لشجاعتهم وشرفهم لا يقتلون الا بالسيف ولا يقتلون بالعصى ولا بالحجارة كما يقتل رعاى الناس . (٧) المراد بالسر هنا الأصل الجيد .

(٨) علونا الى آخر البيت يشير به الى صريح نسبهم وخلوصه مما يحط بشرفهم . (٩) كماء المزن يريد بذلك . تشبيهه صفاء انسابهم بصفاء المطر والنصاب الأصل ومنه نصاب السكين والكهام الكليل الحد يقول نحن كماء المزن وكل منا نافذ ماض ولا فينا بخيل فيعد .

(١٠) ولا ينكرون الى آخر البيت معناه أنهم لشدة بأسهم وحماستهم يخشاهم الناس فلا ينكرون عليهم . (١١) يعنى أن السيادة مستقرة فينا حتى اذا خلا منا سيد قام سيد يقول ماتقول الكرام ويفعل ماتفعل .

وما أخدمت ناراً لنا دون طارق
 وأيامنا مشهورة في عدونا
 وأسيافنا في كل شرق ومغرب
 مُعوّدة ألا تسلّ نصالها
 سلى إن جهلت الناس عنا وعنهم
 فإن بنى الديان قطباً لقومهم
 ولا ذمنا في النازلين نزيل (١)
 لها غررٌ معلومة وحجول (٢)
 بها من قِراع الدارِ عين فلول (٣)
 فتغمد حتى يُستباح قبيل (٤)
 فليسوا سواءً عالمٌ وجهول (٥)
 تدور رحاهم مولهم وتجول (٦)

وقال عنتره العبسي المتوفى سنة ٧ قبل الهجرة :

لعمرك إن المجد والفخر والعلا
 لمن يتلقى أبطالها وسراتها
 ويبنى بحدّ السيف مجداً مشيداً
 ومن لم يرو رُمحهُ من دم العدا
 ويعطى القنا الخطى في الحرب حقه
 يعيش كما عاش الذليل بغصة
 فضائلُ عزمٍ لا تباعُ لضارع
 برزتُ بها دهرًا على كل حادث
 ونيل الأمانى وارتفاع المراتب
 بقلب صبور عند وقع المضارب
 على فلك العلياء فوق الكواكب
 إذا اشتبكت سُمر القنا بالقواضب
 ويبرى بحد السيف عرض المناكب
 وإن مات لا يجرى دموع النوادب
 أسرار عزمٍ لا تداع لعائب
 ولا كحلٍ إلا من عُبار الكتاب

(١) وما أخدمت نار لنا يشير بذلك الى أنهم لكثرة كرمهم يديمون ايقاد نار الضيافة ولا يطفئونها دون طارق ليل وأنهم يشئى عليهم كل نزيل .

(٢) الحجول : جمع حجل وهو الخلخال يقول وقعاتنا مشهورة في أعدائنا فهي بين الأيام كالأفراس الفر المحجلة بين الخيل .

(٣) القراع بكسر القاف المقارعة والمضاربة والدارعين أصحاب الدروع . (٤) القبيل : الجماعة من آباء شتى وجمعه قبائل يقول

عودت أسيافنا أن لا تجرد من أغمادها فتد فيها إلا أن يستباح بها قبيل ، وفي رواية قتيل . (٥) عنا وعنهم ويروى عنا فتخبر معناه

ان كنت جاهلة بنا فسلى الناس تخبرى بحالنا فالعالم والجاهل مختلفان (٦) القطب الحديد المفروس فى الطباق الأسفل من الرحي يدور

عليه الطباق الأعلى منها ، والمعنى أن أمر قبيلهم لا يستقيم ولا يتم إلا بها مثل الرحي لا يتم أمرها إلا بالقطب .

إذا كذب البرق اللومع لثائم
سكتُ فغراً أعدائى السكوتُ
وكيف أنامُ عن سادات قوم
وإن دامت بهم خيل الأعادى
بسيف حده موجُ المنايا
خلقت من الحديد أشد قلباً
وإنى قد شربت دم الأعادى
وفى الحرب العوان ولدت طفلاً
فما للرمح فى جسمى نصيب
ولى بيت علا فلك الثرىاً
فبرقُ حسامى صادق غير كاذب
وظنُونى لأهلى قد نسيت
أنا فى فضل نعمتهم رُبيتُ
ونادُونى ، أجبى متى دُعيتُ
ورُمحُ صدره الحتف المميت
وقد بلى الحديد وما بليت
بأقحاف الرؤوس وما رويت
ومن لبن المعامع قد سقيت
ولا للسيف فى أعضاى قوت
تخرُ لعظم هيبتة البيوت

وقال أيضاً فى الحماسة والفخريوم المصانع :

إذا كشف الزمان لك القناعا
فلا تخش المنية والتقيها
ولا تختر فراشاً من حرير
وحولك نسوة يندبن حزناً
يقول لك الطبيب دواك عندى
ولو عرف الطبيب دواء داء
وفى يوم المصانع قد تركنا
أقمنا بالذوابل سوق حرب
حصانى كان دلال المنايا
وسيفى كان فى الهيجاء طبيباً
أنا العبد الذى خبّرت عنه ،
ومد إليك صرف الدهر باعا
ودافع ما استطعت لها دفاعا
ولا تبك المنازل والبقاعا
ويهتكن البراقع واللفاعا
إذا ما جسّ كفك والذراعا
يردُ الموت ما قاسى النزاعا
لنا بفعالنا خبرا مُشاعا
وصيرنا النفوس لها متاعا
فخاض غمارها ، وشرى وباعا
يداوى رأس من يشكو الصداعا
وقد عاينتنى فدع السماء

ولو أرسلتُ رمحى مع جبان
ملأتُ الأرض خوفاً من حسامى
إذا الأبطال فرّت خوف بأسى
وقال أيضاً في الفخر والحماصة :

أُعادى صرف دهر لا يُعادى
وأظهرُ نُصحَ قومٍ ضيعونى
أُعللُ بالمنى قلباً عليلاً
تعيرنى العدا بسوادِ جلدى
وردتُ الحرب والأبطال حَوْ
وخضتُ بمهجتي بحر المنايا
وعُدتُ مُخضباً بدمِ الأعادى
وسينى مُرهف الحدين ماض
ورمحي ما طعنتُ به طعيناً
ولو لا صارمى وسان رُمحى

وأحتملُ القطيعة والبيّادا
وإنْ خانت قلوبهمُ الودادا
وبالصبر الجميل وإن تمدى
وبييضُ خصائلي تمحو السوادا
لى تهزُّ أكفها السُمر الصغادا
ونارُ الحرب تتقد اتقادا
وكربُ الرخص قد خضب الجوادا
تقدُّ شفاره الصخر الجمادا
فعاد بعينه نظراً الرشادا
لما رفعت بنو عبس عمادا

وقال يتوعد النعمان بن المنذر ملك العرب ، ويفتخر بقومه :

لا يحملُ الحقد منْ تعلو به الرتبُ
للهُ درُّ بنى عبس لقد نسلوا
قد كنت فيما مضى أروعى جمالهم
لئن يعيّبوا سوادى فهو لى نسبُ
إن كنت تعلم يا نُعمان أن يدي
إن الأفاعي وإن لانت ملامسها
اليوم تعلم يا نُعمان أى فتى

ولا ينال العلى من طبعه الغضبُ
من الأكارم ما قد تنسلُ العربُ
واليوم أحمى حماهم كلما نُكبوا
يومَ النزال إذا ما فاتنى النسبُ
قصره عَنكَ فالأيامُ تنقلب
عند التقلب فى أنيابها العطب
يلقى أخاك الذى قد غره العصب

فتى يخوض غمارَ الحرب مُبْتَمِياً
 إن سئل صارمه سالت مزاربه
 والخيْلُ تشهد لي أني أكفكفها
 إذا التقيت الأعادي يومَ معركة
 ليَ النفوس وللطير اللحم ولا
 لا أبعد الله عن عيني غطارفةً
 أسود غاب ولكن لا نيوب لهم
 تعدو بهم أعوجيات مضمرة
 ما زلت ألتى صدور الخيل مندققاً
 فالعمى لو كان في أجفانهم نظروا
 والنقع يوم طراد الخيل يشهد لي
 وقال أيضاً في إغارته على بني حريقة :

حكم سيفك في رقاب العذل
 وإذا الجبان نهاك يوم كريمة
 فاعص مقاتله ولا تحفل بها
 واختر لنفسك منزلا تعلق به
 إن كنت في عدد العبيد فهمي
 أو أنكرت فرسان عبيسي نسبي
 وبذابلي ومهندي نلت العلي
 ورميت رمحي في العجاج فخاضه
 خاض العجاج محجلاً حتى إذا
 ولقد نكبت بني حريقة نكبة
 وقتلت فارسهم ربعة عنوة
 وإذا نزلت بدار ذل فارحل
 خوفاً عليك من ازدحام الجحفل
 واقدم إذا حقّ اللقاء في الأول
 أو مت كريمةً تحت ظلّ القسطل
 فوق الثريّا والسّمك الأعزل
 فسنان رمحي والحسام يقر لي
 لا بالقرابة والعديد الأجزل
 والنار تقدح من شفار الأنصل
 شهد الواقعة عاد غير محجل
 لما طعنت صميم قلب الأخيّل
 والهذيان وجابر بن مهلهل

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

وقال هبة الله بن سناء الملك المتوفى سنة ٢٣٥ هـ :

سواي يهاب الموت أو يرهب الردى
ولكنني لا أرهب الدهر إن سطا
ولو مدّ نحوى حادث الدهر كفه
توقد عزمي يترك الماء جمرة
وفرط احتقاري للأنام لأنني
ويأبى إبائى أن يرانى قاعداً
وأظماً إن أبدى لي الماء منة
ولو كان إدراك الهدى بتذلل
وقد ما بغيري أصبح الدهر أشيباً
وإنك عبد يازمان وإنني
وما أنا راضٍ أننى واطيئ الثرى
ولو علمت زهر النجوم مكانتى
أرى الخلق دونى إذ أراى فوقهم
وبذل نوالى زاد حتى لقد غدا
ولى قلم فى أنملى إن هزرته
إذا صال فوق الطرس وقع صريره

وغيرى يهوى أن يعيش مُخلداً
ولا أحنر الموت الزؤام إذا عدا
لحدثت نفسى أن أمد له يدا
وحلية حلمى تترك السيف مبردا
أرى كل عار من حلى سوددى سدا
وإنى أرى كل البرية مقعدا
ولو كان لي نهر المجرة موريدا
رأيت الهدى ألا أميل إلى الهدى
وبى وبفضلى أصبح الدهر أمردا
على الرغم منى أن أرى لك سيدا
ولى همة لا ترتضى الأفق مقعدا
لخرت جميعاً نحو وجهى سجداً
ذكاءً وعلماً واعتلاءً وسودداً
من الغيظ منه ساكن البحر مزيدا
فما ضرنى ألا أهر المهندا
فإن صليل المشرفى له صدا

وقال حسان بن ثابت الأنصارى المتوفى سنة ٥٤ هـ :

لعمر أبيك الخير يا شعث ما نبا
لسانى وسيفى صارمان كلاهما
وإن أك ذا مال كثير أجد به
على لسانى فى الخطوب ولا يدى
ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودى
وإن يهتصر عودى على الجهد يحمد

فلا المال يُنْسِينِي حِيائِي وَعَفْتِي ولا واقعات الدهر يفلنن مبردي
 وإني لمُعْط. ما وجدت ، وقائلٌ لموقِدِ نارِي ليلة الريح أوقد
 وإني لقوَالُ لذي البَثِّ مرحباً وأهلاً إذا ما جاء من غير مرصد
 وإني ليدعوني الندى فأجيبه وأضربُ بيض العارضِ المتوقد
 وإني لحلُوِّ تعتريني مرارةً وإني لتركُّ لِمَا لم أعودِ
 وإني لمزجٍ للمطى على الوَحَى وإني لترك الفراش المهد
 وللفرزدق :

لنا العزة القعساء^(١) والعدد الذى عليه إذا عدَّ الحصى يتخلف^(٢)
 ومنا الذى لا ينطقُ الناس عنده ولكن هو المستأذن المتصرف^(٣)
 تراهم قعوداً حوله وعيونهم مكسرة أبصارها ما تصرف^(٤)
 ترى الناس إن سرنا يسيرون خلفنا^(٥) وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا^(٦)
 ولا عز إلا عزنا قاهر له ويسألنا النصف الذليل فتنصف^(٧)
 وما قام عنا قائم فى ندينا^(٨) فينطق إلا بالتي هي أعرف^(٩)
 وقال وقد نزل فى بادية وأوقد ناراً فرآها ذئب فأتاه فأطعمه وأنشد :
 وأطلس عَسَالٍ وما كان صاحباً دعوتُ بنارى موهنأ فأتانى^(١٠)

(١) العزة القعساء أى القوة والمنعة الشامخة الثابتة .
 (٢) يعنى عددنا كثير ، وعدد الحصى أقل منه . (٣) يعنى منا
 من لا يتكلم فى مجالسه إلا بأذنه ولا يفعل إلا بأمره . (٤) يعنى ما تنظر
 يمنة ولا يسرة من مهابته وجلالته . (٥) يعنى نحن سادة اشراف
 تمشى أمام الناس . (٦) يعنى إذا أشرنا الى الناس أن قفوا أوقف
 بعضهم بعضا طوع اشرتنا . (٧) ويطلب منا الضعيف النصفة
 والعدل فتمكنه من ذلك . (٨) الندى كفى والنادى مجتمع القوم .
 (٩) يعنى لا ينطق الا حيث يحسن الكلام واذا نطق جاء بالقول
 الصادق الذى لا يمكن لأحد أن ينكره . (١٠) الأطلس : الذئب
 الخبيث الذى فى لونه غيرة مائلة السواد ، والعسال الذى يضطرب فى
 عدوه ويهب رأسه . الموهن : الساعة الأولى بعد نصف الليل أى دعوته
 بسبب ايقاد النيران فى الساعة الأولى بعد نصف الليل فجاء الى .

فلما دنا قلتُ ادنْ دونكِ إنني
فبتُّ أقدُّ الزادَ بيني وبينه
وقلتُ له لما تكشَّرَ ضاحكا (٣)
تعشَّ فإنَّ عاهدتني لا تخونني
وأنتِ امرؤٌ ياذئبُ والغدرُ كنتما
ولو غيرنا نبهتُ تلتمسُ القري
وقال الشريف الرضي (٨) :

لغير العلى منى القلى والتجنب
إذا الله لم يعذرِك فيما ترُومه
ملكْتُ بحلمي فرصة ما استرقها
لئن تك كنى ما تطاول باعها
فحسبي أنى فى الأعادى مبغض
وللحلم أوقاتٌ ، وللجهل مثلها
يصول على الجاهلون وأعتلى

ولولا العلى ما كنت فى الحب أرغب
فما الناس إلا عاذل ومؤنب
من الدهر مفتول الذراعين أغلب
فلى من وراء المجد قلب مذرب
وأنى إلى عز المعالى محبب
ولكن أوقانى إلى الحلم أقرب
ويُعجم فى القائلون وأعرب

- (١) أى لما جاء وقف فقلت له اقترب وخذ إشارة الى اعطائه الزاد .
(٢) أقد أى أقطع والزاد الطعام ولعل طعامه كان لحما بدليل القد .
(٣) لما تكشَّر لما أبدى ضاحكا أى كأنه يضحك . (٤) يعنى
ومقبض سيفى ثابت فى يدي . (٥) يعنى إذا لم تظهر عليك علامة
القدر بقيت معك وبقيت معى كالمصطحبين . (٦) يعنى مع أنى أعرف
نك والقدر متلازمان لا تفترقان ومعناه أن شيمته القدر .
(٧) تلتمس القري تطلب الضيافة وشبابة السنان حده .
(٨) هو أبو الحسين محمد بن الحسين بن موسى الأبرش الشريف
الملقب بالرضى ذى الحسين نقيب الطالبين المولود سنة ٣٠٦ هـ وتوفى
سنة ٤٠٦ هـ ثم نقل إلى مشهد سيدنا الحسين عليهما السلام بكر بلاء ،
ودفن عند أبيه ، ومن غرر شعره ما كتبه الى الامام أبى العباس أحمد
المقتدر :

عظفا أمير المؤمنين فاننا
ما بيننا يوم الفخار تفاوت
الا الخلافة ميزتك فانى
فى درجة العلياء لا نتفرق
أبدا كلانا فى المعالى معرق
أنا عاطل منها وانت مطوق

يرُونِ احْتِمَالِي غَصَّةً وَيَزِيدُهُمْ
وَأَعْرَضَ عَنِ كَأْسِ النَّدِيمِ كَأَنَّهَا
وَقُورٌ فَلَا أَلْحَانَ تَأَسَّرُ عَزْمَتِي
وَلَا أَعْرِفُ الْفَحْشَاءَ إِلَّا بِوَصْفِهَا
لَسَانِي حَصَاةٌ يَقْرَعُ الْجَهْلُ بِالْحِجَا
وَلَسْتُ بِرَاضٍ أَنْ تَمَسَّ عَزَائِمِي
عَرَائِبُ آدَابِ حِبَائِي بِحِفْظِهَا
تَعْلَمُ فَإِنَّ الْجُودَ فِي النَّاسِ فِطْنَةٌ

وقال العميد مويد الدين الطغرائي المتوفى سنة ٥١٣ هـ :

أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِغَيْرِ فِضَائِلِي
وَإِنْ كَرُمْتَ قَبْلِي أَوَائِلَ أَسْرُقِي
وَمَا مِنْ مَنَصِبٍ إِلَّا وَقَدْرِي فَوْقَهُ
إِذَا شَرُفْتَ نَفْسَ الْفَتَى زَادَ قَدْرَهُ
كَذَاكَ حَدِيدُ السَّيْفِ إِنْ يَصْفُ جَوْهَرًا
وَمَا الْمَالُ إِلَّا عَارَةٌ مُسْتَرْدَةٌ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي فِي الْوَالِيَةِ بَسْطَةٌ
وَلَا كَانَ لِي حَكْمٌ مَطَاعٌ أَجِيزُهُ
فَاعْذِرْ إِنْ قَصُرْتُ فِي حَقِّ مَجْتَدٍ
وَلَوْلَا تَكَالِيفُ الْعَلِيِّ وَمَغَارِمُ
لَأَعَيْتُ نَفْسِي فِي التَّخْلِیِ مَرَادَهَا

وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب :

مهلا بنی عمنا ، مهلا موالینا لا تنبشوا بیننا ما كان مدفونا

لاتطمعوا أن تهينونا ونكرمكم
مهلا بني عمنا من تحت أثلتنا
الله يعلم أننا لا نجبكم
كل له نية في بغض صاحبه
وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
سيروا رويدا كما كنتم تسيرون
ولا نلومكم إن لم تحبونا
بنعمة الله نقليكم وتقلونا

وقال محمد بن عبد الله الأزدي :

لا أدفع ابن العم يمشى على شفا
ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه
وحسبك من ذلّ وسوء صنيعه
وقال حطان بن المعلی :

وإن بلغتني من أذاه الجنادعُ
لترجعه يوماً إلى الرواجعُ
مناواة ذي القربى وإن قيل قاطع

أنزلى الدهرُ على حكمه
وغالى الدهرُ بوفر الغنى
أبكاني الدهرُ ويا ربما
لولا بُنياتُ كزغب القطا
لكان لي مضطربٌ واسعُ
وإنما أولادنا بيننا
لو هبت الريح على بعضهم

من شامخ عال إلى خفض
فليس لي مالٌ سوى عرضي
أضحكني الدهرُ بما يرضي
رُدِدَنَ من بعض إلى بعض
في الأرض ذات الطول والعرض
أكبادنا تمشي على الأرض
لامتنعت عيني من الغمض

وقال أوس بن حبناء :

إذا المرءُ أولاك الهوان فأوله
فإن أنت لم تقدر على أن تهينه

وقال سعد بن ناشب :

وتفننني فيما ترى من شراستي
وشدة نفسي أم سعد وما تدري

فقلت لها إن الكريم وإن خلا
وفي اللين ضعف وفي الشراسة هيبه
وما بي على من لان لي من فظاظه
وقال إبراهيم النبهاني :

تعزّ فإن الصبر بالحرّ أجملُ
فلو كان يغني أن يرى المرءُ جازعاً
لكان التعزّي عند كل مصيبة
فكيف وكلّ ليس يعدو حمامه
فإن تكن الأيام فينا تبدّلت
فما لينت مِنّا قناة صليبة
وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا

وله :

إن يحسدوني فإنّي غير لائمهم
فدام لي ولهم ما بي وما بهم
أنا الذي يجدوني في صدورهم

وقال سالم بن وابضة :

إن التخلق يأتى دونه الخلقُ
أحمى الذمار وتوميني به الحدقُ
إذا الرجال على أمثالها زلقوا

وقال تأبط. شراً :

إذا المرء لم يحتل وقد جدّ جدّه
أضاع وقاسى أمره وهو مدبر

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلاً به الخطب إلا وهو للقصد مبصر

وقال حبيب بن أوس أبو تمام الطائي :

أنا ابن الذي استرضع الجود فيهم
 نجومٌ طواليع جبال فوارع
 مضوا وكأن المكرمات لديهم
 فأى يد في المحل مدت فلم يكن
 هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا
 بها ليل لو عاينت فيض أكفهم
 إذا خفت بالبذل أدواح جودهم
 رياح كريح العنبر الغض في الندى
 هي السم ما تنفك في بلدة
 أصارت لهم أرض العدو قطائعا
 بكل فتى ما صاب من روع وقعة
 إذا ما أغاروا فاحتوا ما معشر
 فتعطى الذي تعطيهم الخيل والقنا

وقد ساد فيهم وهو كهل ويافع
 غيوث هواميع سيول دوافع
 لكثرة ما أوصوا بهن شرائع
 لها راحة من جودهم وأصابع
 فضاع وما ضاعت لدينا الودائع
 لأيقنت أن الرزق في الأرض واسع
 حداها الندى واستنشفتها المدامع
 ولكنها يوم اللقاء زعازع
 تسيلُ به أرماحهم وهو نافع
 نفوس لحسد المرهفات قطائع
 ولكنه قد شبن منه الوقائع
 أغارت عليهم فاحتوته الصنائع
 أكف لإرث المكرمات موانع

وقال أبو فراس الحمداني (١) المتوفى سنة ٣٥٧ هـ :

ووالله ما قصرت في طلب العلا ولكن كأن الدهر عنى غافل

(١) هو الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان التغلبي ابن عم سيف الدولة وناصر الدولة توفى سنة ٣٥٧ هجرية عن عمر ٣٧ سنة ، وكان فرد دهره وشمس عصره أديبا وفضلا وكرما ومجددا وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة ، فله دره شاعرا من قبل ومن بعد ، وأنشد وهو يحتضر يخاطب ابنته :

ابنتي لا تجزعي
 نوحى على بحيرة
 فولى إذا كلمتى
 زين الشباب أبو فرا

فكل حى الى ذهب
 من خلف سترك والحجاب
 فعبيت عن رد الجواب
 س لم يمتع بالشباب

مواعيد آمال حتى ما انتجعتها
تدافعني الأيام عما أريده
فمثلي من نال الأعدى بسيفه
وما لي لا تسمى وتصبح في يدي
أحكم في الأعداء عنها صوارماً
وما زال محمى الحمائل عنوة
ينال اختيار الصنح عن كل مذنب
لنا عقب الأمر الذي في صدوره
أصاغرنا في المكرمات أكابر
إذا صلت صولا لم أجد لي مُصاولاً
وقال : إنا إذا اشتد الزما
ألفيت حول بيوتنا
للقا العداً بيض السيو
هذا ، وهذا دأبنا
وقال :

وإني لنزالٌ بكل مخوفة
وإني لجرارٌ لكل كتيبة
ولا راحٍ يطعيني بأثوابه الغنى
وما حاجتي في المال أبغى وفوره
أسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى
ولكن إذا حُم القضاء على امرئ
وقال أصبحابي الفرار أو الردى
ولكنني أمضى لما لا يعيبني

كثيرٌ إلى نزالها النظر الشرر
معودة ألا يحل بها النصر
ولا بات يثنيني عن الكرم الفقر
إذا لم أفر عرضي فلا وفر الوفر
ولا فرسى مهر ولا ربة غمر
فليس له برٌ يقيه ولا بحر
فقلت هما أمران أحدهما مر
وحسبك من أمرين خيرهما الأمر

ومنها: يُمنونَ أنْ خلَوْا ثيابي وإِنما
وقائم سيفٍ فيهم دق نصله
سيدكرني قومي إذا جدَّ جدُّهم
ولو سدغيري ماسدت اكتفوا به
ونحن أناسٌ لا توسط. بيننا
أعزُّ بني الدنيا وأعلى دوى العلا
وقال: غيري يغيِّره الفعال الجافي
لا أرتضى ودًا إذا هو لم يدم
إن الغنيُّ هو الغني بنفسه
ما كلُّ فوقَ البسيطة كافيًا
وتعاف لي طمع الحريص فتوتى
ومكارى عدد النجوم ومنزلي
وقال: أتدعو كريمًا من وجودِ بماله
إذا لم يكن يُنجي الفرار من الردى
لعمري لقد أعذرت لو أن مُسعدًا
وما عابك ابن السابقين إلى العلا
ومالك لا تلقى بمهجتك القنا

وقال أبو الطيب المتنبي في سنة ٣٥٤ هـ :

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وأشجع مني كلَّ يوم سلامتي
تمرَّست بالآفات حتى تركتها
وأقدمت إقدام الأبِّي كأن لي
وحيدًا وما قولي كذا ومعى الصبر
وما ثبتت إلا وفي نفسها أمر
تقول أمات الموت أم ذعر الذعر
سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر

ذَرِ النفس تَأْخُذُ وَسُعْهَا قَبْلَ بَيْنِهَا
وَلَا تَحْسِبِ المَجْدَ زِفَا وَقِينَةَ
وَتَضْرِبُ أَعْنَاقَ المُلُوكِ وَأَنْ تَرَى
وَتَرْكِكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا
إِذَا الفَضْلَ لَمْ يَرْفَعْكَ عَن شُكْرِنَا قِصْ
وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمِيعِ مَالِهِ

وقال صفى الدين الحلى المتوفى سنة ٨٤٠ هـ :

سَلِ الرُّمَاحَ العَوَالِي عَن مَعَالِينَا
لَقَدْ سَعِينَا فَلَمْ تَضْعُفْ عَزَائِمُنَا
قَوْمٌ إِذَا اسْتُخْضِمُوا كَانُوا فِرَاعِنَةً
إِذَا ادْعَوْا جَاءَتِ الدُّنْيَا مُصَدِّقَةً
إِنَّا لَقَوْمٌ أَبَتِ أَخْلَاقُنَا شُرْفًا
بِيضٌ صِنَائِعُنَا سُودٌ وَقَائِعُنَا
لَا يَظْهَرُ العِجْزُ مِنَّا دُونَ نَيْلِ مَنِي

وقال أبو العلاء المعرى :

أَلَا فِي سَبِيلِ المَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلٌ
أَعْنَدِي وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ
تُعَدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةٍ
عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحِزْمٌ وَنَائِلٌ (١)
يَصْدُقُ وَائِسٌ أَوْ يَخِيْبُ سَائِلٌ (٢)
وَلَا ذَنْبَ لِي إِلاَّ العِلاَّ وَالفِضَائِلُ (٣)

(١) أى قد جمعت بالعفة والشجاعة والحزم والجود ، وسلوك هذا الطريق هو المجد أى أن أفعالى كلها واقعة فى سبيل المجد ثم فصل أفعاله ، وعددها وكانت كلها من خلال المجد . (٢) أى بعد أن جربت الأمور التى تخفى وعرفتها لا أصدق الساعى بينى وبين اخوانى بالافساد أو أخيب من يرجو معروفى ويطلب نائلى أى أنى لا أفعال ذلك استفهام بمعنى الإنكار . (٣) أى ذنوبى كثيرة عندما لا يناسبه حالى وذلك لتقصوره ونقصه ولا ذنب لى إلا فضائلى وعلو شأنى .

- كأنى إذا طلت الزمان وأهله رجعتُ وعندى للأنام طوائل (١)
 وقد سار ذكرى فى البلاد فمن لهم بإخفاء شمسِ ضوءها متكامل (٢)
 يهيمُ الليالى بعض ما أنا مضممر ويثقل رضوى دون ما أنا حامل (٣)
 وإنى وإن كنتُ الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل (٤)
 وأغدو ولو أن الصباح صوارم وأسرى ولو أن الظلام جحافل (٥)
 وإنى جواد لم يحلّ لجامه ونصلُ يمانَ أغفلته الصياقل (٦)
 فإن كان فى لبسِ الفتى شرف له فما السيف إلا غمده والحماثل (٧)
 ولو سَنَطِقْ لم يَرْضَ لى كنه منزلى على أننى بين السماكين نازل (٨)

(١) الطوائل : جمع طائل وهو الثروة ، يقول متى فقت أهل العصر بالنضائل أو أبغضونى وعادونى وصرت كأنى وترت الناس وأن عندى لهم ديونا يطالبونى بها . (٢) أى يجهد حسادى فى ستر حالى وإخفاء امرى وكيف يمكنهم ذلك وقد سار صيتى فى البلاد مسير الشمس ومن يضمن للحساد إخفاء شمس قد تكامل ضوءها وشعاعها أى لا يضمن ذلك أحد لأنه غير ممكن فكذلك إخفاء ذكرى غير ممكن .

(٣) الليالى فى موضع نصب لأنه مفعول به ، وسكن لضرورة الشعر أى يهيم بعض ما أضممر من الهموم الليالى . (٤) أى أنى وإن كنت الذى آخر زمانه أفعّل من الأمور العجيبة ما عجزت الأولون زمانا عن مثاله أى سبقت الأوائل فى المساعى وإن تأخر زمانى .

(٥) لا يصرفنى عن همى امر من الأمور بل اغدو أول النهار لحاجاتى ولو كان الصباح سيوفًا لم يثننى عن قصدى والصبح يشبهه بالسيف لبياضه وهيبته وأسرى فى الليل المظلم لما يهمنى ولا تمنعنى ظلمة الليل عن قصدى ولو كان جحافل وهى جمع جحفل وهو الجيش العظيم والظلام يشبه بالجيش وبالعكس . (٦) يصف اعتزاله الأمور وإثاره ملازمة الخمول والتنزه عن الأعمال مع استعداد للانهاض الى معالى الأمور مشبها حاله بحال جواد عطل عن تحلية لجامه وبسيف يمنى قد صدىء طول عهده بالصفل ، أى كما تعطّل الجواد عن تحلية لجامه وطول عهد السيف بالصفل . (٧) أى ليس الشرف فى ملابسة الأعمال ولبس الفاخر من اللباس ولو كان ذلك لكان قيمة السيف بحسب نفاسة غمده وحمائله . وليس كذلك وإنما قيمة السيف بجوهره وكذلك شرف ذات الفتى بالتحلى بأوصاف الشرف ومعالى المجد . (٨) أى منطقى لا يرضى لى بغاية منزلتى هذه مع ارتفاعها وعلوها فإنها قد بلغت السماكين بل يقتضى أعلى وأشرف منها .

- لدى موطن يشتاقيه كل سيد
ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً
فواعجباً كم يدعى الفضل ناقص
وكيف تنام الطير في وكناتها
ينافس يومى في أمسى تشرفاً
وطال اعترافى بالزمان وصرفه
فلو بان عنى ما تأسف منكبي
إذا وصف الطائي بالبخل مادر
وقال السهى للشمس أنت ضئيلة
- ويقصّر عن إدراكه المتناول (١)
تجاهلت حتى ظنّ أنّى جاهل (٢)
ووا أسفاً كم يظهر النقص فاضل (٣)
وقد نصبت للفرقدين الحبائل (٤)
وتحسد أسحارى على الأصائل (٥)
فلمست أبالي من تغول الغوائل (٦)
ولو مات زندي ما بكته الأنامل (٧)
وعير قسا بالفهاهة باقل (٨)
وقال الدجى يا صبح لونك حائل (٩)

(١) أى منزلى عند محل يتمنى كل سيد أن يبلغه ويرقى الى حده . ويتقاصر من يريد تناوله عن الوصول اليه (٢) أى لما كثر الجهل في الناس وعز العلم والفضل وجهل قدرها تكلفت الجهل وسترات فضلى تشبها بأهل زمانى حتى ظن بى جاهل مثلهم .

(٣) يتعجب من ادعاء الناقص التحلى بانفضل زورا - ويتأسف من اظواره النقص مع فضله تشبها بانجاهلين في زمانه (٤) الوكنات : جمع وكنة وهى الموضع الذى ينام فيه الطير والحبائل جمع حباله وهى الشبكة التى ينصبها للصيد ضرب لنفسه مثلاً بالفرقدين علواً وتغيره بالطير فى أوكارها . (٥) ينافس يفاخر أى أن الوقت الذى أكون فيه يتشرف بى ، فسائر الاوقات يحسد الوقت الذى أكون فيه فصار امسى المنفضى يحسد يومى الحاضر لكونى فيه - وكذلك نحسد الاوائل الاسحار التى اكون فيها

(٦) طالما عرفت الزمان واحواله ، ونالت منى حسواده وصروفه ، وتمرنت نفسى على نوابئه فصرت لا أجزع على المصائب ولا أبالي بمن تنزل نوازل الدهر . (٧) يهون على نفسه خطوب الزمان بعد معرفته بصروفه حتى لو أصيب عضده وبان لم يتأسف أى لم يجزع منكبه عليه ، ولو مات زنده لم تبك انامله عليه من أن الكف لا تبطش الا بواسطة قوة الزند وما داناه (٨) يعنى بالطائى حاتما الطائى وقد سار به المثل فى الجود ، ومادر لانه سقى ابله من بعض الحياض فلما شربت ابله وصدرت عن الماء ملح فى الحوض ومدر الحوض أى لطحه بالطين لئلا يشرب منه غيره فسمى مادرا ، وقيل ابخل من مادر (٩) انسها كوكب خفى تمتحن به الابصار ، أو حين يعكس الامر بأن يصف السهى الشمس بالخفاء مع بهائها ، ويصف الدجى الصبح بأن حائل اللون أى متغير .

وطاولت الأرض السماء سفاهةً وفاخرت الشهب الحصى والجنادل (١)
 فياموت زُر إن الحياة ذميمةٌ ويانفسُ جدى إن دهرك هازل (٢)

وقال المرحوم محمود سامى باشا البارودى :

ولى شيمةٌ تأبى الدنيا وعزمةٌ تردُّ لهُام الجيش وهو يمورُ
 إذا سرت فالأرض التى نحن فوقها مرادُ لمهرى والمعاقلُ دور
 فلا عَجَبٌ أن لم يصرفنى منزل فليس لعقبان الهواء وُكور
 همامة نفس ليس يبنى ركبها رواح على طول المدى ويُكور
 موعودةٌ ألا تكف عُنانها عن الجدِّ إلا أن تمُّ أمور
 لها من وراء الغيب أذنٌ سمیعة وعینٌ ترى ما لا يراه بصير
 وفيت بما ظنَّ الكرام فراسةً بأمرى ومثلى بالوفاء جدير
 وأصبحت محسودَ الخِلال كأننى على كل نفس فى الزمان أمير
 إذا صُلّت كفَّ الدهر من غلوائه وإن قلت غُصَّت بالقلوب صدور
 ملكت مقاليد الكلام وحكمةً لها كوكبٌ فخم الضياء منير
 وإنى امرؤٌ صعب الشكيمة بالغُ بنفسى شأواً ليس فيه نكير
 وقال أيضاً :

سواى بتحنانٍ الأغاريد يطرب وغيرى باللذات يلهو ويلعب
 وما أنا ممن تأسر الخمر لُبهُ ويملك سمعيه اليراع المثقب
 ولكن أخوهم إذا ما ترجَّحت به سورةٌ نحو العلاء يذأب
 ننى النومَ عن عينيه نفسُ أبيةٌ لها بين أطراف الأسنهٍ مَطَلَب

(١) أى إذا كانت الأرض تباهى السماء من جهلها وتفآخر الحصى والحجارة الكواكب فى العلو . (٢) أى إذا كانت الامور معكوسة على وصف لم تبق رغبة فى الحياة وصارت مذمومة وكان الموت بحيث يتمنى المامه ليقطع الحياة الذميمة التى لا يحمدنها صاحبها لما يرى من الامر المحال : يأمر الحازم نفسه بالجد فيما يعينها غير معرجة على شيمة الدهر فى تلونه وعدم ثباته .

لُبَانَةٌ نَفْسٍ أَصْغَرَتْ كُلَّ مُأْرَبٍ فَكَلَّفَتْ الْأَيَّامَ مَا لَيْسَ يَوْهَبُ
 إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا فَلَا عَزَّيْ خَالٌ وَلَا ضَمْنِي أَبُ
 وَمَنْ تَكُنِ الْعُلِيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ فَكُلِ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مَحْبِبُ

وقالت السيدة عائشة هانم التيمورية المتوفاه سنة ١٣٢٠ هـ :

بِيدِ الْعَفَافِ أَصُونٌ عِزٌّ حِجَابِي وَبِعَصْمَتِي أَسْمُو عَلَى أَتْرَابِي
 وَبِفِكْرَةٍ وَقَادِقٍ وَقَرِيحَةٍ نَقَادَةٌ ، قَدْ كَمَلْتُ آدَابِي
 مَا ضَرَنِي أَدْنَى وَحَسَنَ تَعْلَمِي إِلَّا بِكُونِي زَهْرَةَ الْأَلْبَابِ
 مَا عَاقَنِي نِجْلِي عَنِ الْعَلِيَا ، وَلَا سَدَلُ الْخِمَارِ بَلَمَّتِي وَنِقَابِي
 عَنِ طَى مَضْمَارِ الرَّهَانِ إِذَا اشْتَكْتِ صَعْبَ السَّبَاقِ مَطَامِحِ الرِّكَابِ
 بَلِ صَوْلَتِي فِي رَاحَتِي ، وَتَفَرَّسِي فِي حَسَنِ مَا أَسْعَى لِخَيْرِ مَآبِ

وقال المرحوم الشيخ عثمان الزناني المتوفى سنة ١٩٣٤ م :

أَرِقْتُ وَأَصْحَابِي خَلِيُونَ نَوْمٌ وَمَا أَنَا ذُو ثَارٍ وَلَا أَنَا مُعْرَمٌ
 وَلَكِنْ هَمًّا بَيْنَ جَنْبِي هَاجَهُ عَلَى ذَوِّ الْقَرْبِيِّ ، عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ
 فَإِنْ يَكُ حُلْمِي مَدَّ أَعْنَاقَ جَهْلِهِمْ فَلَا زَلْتُ فِيهِمْ يَجْهَلُونَ أَحْلَمُ
 وَمَا أَنَا مِنْ يَغْلِبُ الْجَهْلَ حِلْمِهِ وَيَنْزُو عَلَى الْأَعْرَاضِ أَوْ يَتَهَجَّمُ
 وَلَكِنْ صَفُوحٌ حِينَ أَظْلَمُ قَادِرًا وَإِنْ كُنْتُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَظْلَمُ
 فَإِنْ كَانَ حُلْمُ الْقَادِرِينَ مَذَلَّةً فَإِنِّي ذَلِيلٌ غَيْرَ أَنِّي مُكْرَمٌ
 هُمُومًا تَلْمُؤًا عَرَضِي لَغَيْرِ جَرِيرَةٍ سِوَى أَنَّهُمْ مِنِّي وَأَنِّي مِنْهُمْ
 أَوْطَى أَكْنَافِي لَهُمْ وَأَحْوِطُهُمْ مِنَ الدَّهْرِ لَا أَشْكُو وَلَا أَتَبْرَمُ
 يَطُولُ عَلَى اللَّيْلِ إِنْ طَالَ لَيْلُهُمْ وَمَهْمَا يَطَّلُ لَيْلِي فَهَمُّ عَنْهُ نَوْمٌ
 وَيُنْكِرُ أَدْنَاهُمْ عَلَى فِضَائِلِي وَمَا ضَرَنِي إِنْكَارُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ

الباب الثالث في شكوى الزمان والحال

قال الشَّنْفَرَى (١) المتوفى سنة ٥١٠ هـ :

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صَدُورَ مَطِيَّكُمْ فَإِنِّي لِقَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمِيلُ (٢)
 فَقَدِ حَمَتِ الْحَاجَاتِ وَاللَّيْلِ مُقْمِرٌ وَشَدَّتْ لَطِيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحَلُ (٣)
 وَفِي الْأَرْضِ مَنَايَ لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقَلْبِ مُتَعَزِّلٌ (٤)
 لِعَمْرِكَ مَا فِي الْأَرْضِ ضَيْقٌ عَلَى أَمْرِي سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهُوَ يَعْقِلُ (٥)
 وَلِي دُونِكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدٌ عَمَلَسٌ وَأَرْقَطُ. زُهْلُولٌ وَعِرْفَاءُ جِيَالٌ (٦)

(١) هو ثابت بن أوس الأزدي الشاعر المشهور من أهل اليمن من شعراء الطبقة الثانية ومن جيد شعره هذه القصيدة المشهورة بلامية العرب مات سنة ٥١٠ م والشنفرى هو العظيم الشفتين وهو شاعر الأزدي من العائدين من لا تأخذه الخيل ، منهم هذا وسليك بن سليكة ، وعمر بن برق ، وأسير بن جابر ، وتابط شرا - وكان الشنفرى حلف ليقتلن من بنى سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين وكان إذا وجد الرجل منهم يقول الشنفرى لطرفك ثم يرميه فيصب عينه ، فاحتالوا عليه فأمسكوه وكان الذى أمسكه أسير بن جابر أحد العدائين وقد رصد له حتى نزل فى مضيق ليشرب الماء فوقف له فأمسكه ليلا ثم قتلوه فمر رجل منهم بجمجمته فضربها برجله فدخلت فيها شظية من الجمجمة فمات منها فتمت القتلى مائة والله أعلم بذلك .

(٢) مطا : جد فى السير ، والمطية الدابة تمطو فى سيرها جمعها مطايا ومطى (٣) حم الأمر حما قضى . والطيّات جمع طية وهى النية (٤) نأى عنه بعد ، والقلب بكسر القاف شدة الكراهة وتغزل عنه تنحى (٥) (المعنى) وحياتك أن الأرض لا تضيق على الإنسان العاقل الذى يستعمل عقله فى ادراك المرغوب وترك المرهوب (٦) السيد بالكسر الأسد والذئب والعملس بفتح العين والميم واللام المشددة القوى على السير السريع والذئب الخبيث والأرقط النمر ، والزهلول كعصفور الاملس والعرفاء الضبع لكثرة شعر رقبتها الذى هو بمنزلة عرف الفرس ، وجيالة ممنوعتان من الصرف وجيل بلا همزة الضبع .

- هُمُّ الْأَهْلِ لَا مُسْتَوْدِعُ السَّرِّ ذَائِعٌ لَدِيهِمْ وَلَا الْجَانِي بَمَا جَرَّ يَخْذَلُ (١)
- وَكُلُّ أَبِي بَاسِلٍ غَيْرِ أَنْي إِذَا عَرَضَتْ أَوْلَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ (٢)
- وَإِنْ مَدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذَا أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ (٣)
- وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفْضُلٍ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ الْأَفْضَلُ الْمُتَفَضَّلُ (٤)
- وَإِنِّي كَفَانِي فَقَدْ مِنْ لَيْسَ جَازِيًا بِحَسْنِي وَلَا فِي قَرْبِهِ مَتَعَلُّ (٥)
- ثَلَاثَةٌ أَصْحَابٌ : فَوَادٌ مَشِيْعٌ ، وَأَبْيَضٌ إِصْلِيْتُ ، وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ
- هَتُوفٌ مِنَ الْمُلْسِ الْمُتُونِ يَزِينُهَا رِصَائِعٌ قَدْ نَيْطَتْ إِلَيْهَا وَمَحْمَلُ (٦)
- إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ حَنْتَ كَأَنَّهَا مَرْزَاةٌ تُكَلِّي تَرْنَ وَتَعُولُ
- وَلَسْتُ بِمَهْيَافٍ يَعْنِي سِوَاهُ مَجْدَعَةٌ سَقْبَانُهَا وَهِيَ بَهْلُ (٧)

(١) جر على نفسه وغيره جريرة أى ذنبا والجريرة الذنب والخيانة .
 (٢) الأبى كعلى من يكره الدنيا ولا يحتمل الضيم والباسل الأسد الشجاع والطريدة ما طردته وأبعدته من ناحية وضمته اليك من الصيد والفرسان (٣) الجشع بالتحريك شدة الحرص وأسوؤه أخذ الإنسان نصيبه والطمع فى غيره (٤) المعنى : وما دعانى الى ذلك الا توسعى بالفواضل اليها عن أفضل القوم وهو المتفضل عليهم (٥) تعلل بالأمر تشاغل وشيع فلان شجعه ويأتى أيضا بمعنى خرج معه ليودعه . والاصليت السيف النصيل الماضى والعطل القوس الطويلة العنق الصلبة المتن .

(٦) قوس هتوف ذات صوت حنون ، والملس الناعمات والمتون جمع متن بمعنى الصلب والرصائع جمع رصيعة حلية السيف المستديرة أو كل حلقة مستديرة فى سيف أو سرج أو غيره ، ونيطت اليها عقلت بها وزل السهم عن القوس خرج منها بسرعة والمرزاة المصابة بالرزايا ، والشكلى الفاقدة اولادها ، وأعول ركع صوته بالبكاء والصياح المعنى : قوس طنانة رنانة من نبات مزينة بالحلى ترن عند خروج السهم منها بحنين كأنها امرأة عاجلها فقد ابنها الغالى فهى تبكى وتعول لفقده .

(٧) المهياف : السريع العطش ، والسوام : الابل الراعية ، وناقاة باهل لاصرار عليها ولاخطام ولاسمة لها ، يقال : بهلت الناقاة حل صرارها أو مجدعة محبوسة على غير علف وسبقان جمع وهو ولد الناقاة .

- ولا جُبَاءٌ أَكْهَى مَرْبٌ بَعْرَسَهُ يطالها في شأنه كيف يفعل (١)
 ولا خَرَقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فُؤَادَهُ يظُلُّ به المكاء يعلو ويسفل (٢)
 ولا خَالَفٍ دَارِيَّةٍ مُتَعَزِّلٍ يروح ويغدو داهناً يتكحل (٣)
 ولست بعلٍ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ أَلْفٌ إِذَا مَا رُعْتَهُ اهْتِاجُ أَعَزْلُ (٤)
 ولست بمحيّز الظلام إِذَا انْتَحَتِ هدى الهوجل العسيف يهماء هوجل (٥)
 إِذَا الْأَمْعَزُ الصَّوَّانُ لَاقَى مَنَاسِمِي تطاير منه قاذحٌ ومُفْلَلٌ (٦)
 أُدِيمُ مَطَالِ الْجُوعِ حَتَّى أُمَيْتِهِ وأضرب عنه الذكر صفحاً فأذهل (٧)

(١) جبا كنصر : جبن والأكهى الجبان الضعيف ومرب بعرسه أى زوجته لزمها وقعد معها كأرب ، المعنى : ولست بالجبان الضعيف الذى يلازم قرينته ويطلعها على أمره ويأخذ رأيا فيه . (٢) الخرق : كتف الذى يندھش وييهت لأقل شئ والهيق الواحد من النعام ويسمى بالفظيم ، والمكاء كرمان : نوع من الطير . (٣) يقال فلان خالفه أهل بيته وخالفهم بمعنى أنه غير نجيب لا خير فيه إذ أنه يقعد بعدهم ويأتى حالف بمعنى أحمق والدارية الملازم لبيته . (٤) العل الصفير الجسم الضعيف والألف الرجل الثقيل اللسان العيبى بالأمور والاعزل الخالى من السلاح ، المعنى : ولست من سقط الرجال الذين يخشى شرهم ولا يرجى خيرهم الذين يرتبكون فى الأمور ويرتاعون لكل مروع حيث لا سلاح لهم يقيهم من الخوف (٥) يقال نحاء وانتحاء بمعنى قصده ، الهوجل المفازة البعيدة لا علم بها ، والناقاة بها من هوج من سرعتها والرجل الأهوج والدليل والعسيف صيفة مبالغة من عسف فى أنسير خبط فيه خبط عشواء ، واليهماء عند أهل البادية السيل والجمال الهائج الصئول ، وعلى ذلك يمكن أن يقال ناقاة بهماء .

(٦) المعز : الصلابة ، ومكان امعز : صلب وأرض معزاء : صلبة ، والصوان نوع من الحجارة شديدة الصلابة ، والمنسم كمجلس خف البعير ، والمفلل المكثر والمراد بالقاذح هنا الذى يضرب بغيره فيفتته ويخرج منه الشرر .

(٧) صفحا اما مصدر من صفح عنه مفعول له على معنى أصرف عنه التذكرة اعراضا عنه واما ظروف بمعنى الجانب على معنى أنحن التذكر عنه جانبا كما تقول وضعه جانبا .

- وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الْأَرْضِ كَيْ لَا يَرَى لَهُ عَلَى مِنَ الطُّوْلِ مِنْ أَمْرٍ مُتَطَوَّلٍ (١)
- وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الذَّامِ يُلْفَ مَشْرَبٍ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَىَّ وَمَأْكَلٍ (٢)
- وَلَكِنْ نَفْسًا حَرَةً لَا تُقِيمُ بِي عَلَى الضَّمِيرِ إِلَّا رَيْثِمًا أَتَحُولُ (٣)
- وَطَوَى عَلَى الْخَمِصِ الْحَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ خَيْوُطَةُ مَارَى تُغَارُ وَتُفْتَلُ (٤)
- وَأَغْدُو عَلَى الْقَوْتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ (٥)
- غَدَا طَاوِيًا لِلرَّيْحِ يَعْضُ هَاقِيًا يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشَّعَابِ وَيَعْسَلُ (٦)
- فَلَمَّا لَوَاهُ الْقَوْتُ مِنْ حَيْثُ أُمُّهُ دَعَا ، فَأَجَابَتْهُ نِظَائِرُ تُحَلِّ (٧)
- مُهَلَّلَةٌ شَيْبُ الْوَجُوهِ كَأَنَّهَا قِدَاحٌ بِكَفِّيٍّ يَأْسِرُ تَتَقَلْقَلُ (٨)

- (١) الطول : الفضل والانعام وتطول عليه امتن وانعم (٢) الذام العيب والذم ، المعنى : ولولا انى اخشى العار والمذمة التى تلحق الباذلين ماء وجوهم لأجل المأكَل والمشرب لكان عندى من أشكالها والوانها كل ما تشتهيهِ الأنفس (٣) الضمير : الذل ، وريثما معناها مقدار ما .
- (٤) الخمص : الجوع والحوايا جمع حوية كفنيمة ما تحوى وانطوى بعضه على بعض من الأمعاء والخيوطة جمع خيط ، ومارى اسم صانع مشهور يفتل الخيوط وأغار شد الفتل ، المعنى : وأضمر أمعائى بالجوع حتى تصير مثل الخيوط يشد فتلها مارى المشهور بفتل الخيوط : (٥) الزهيد : القليل والأزل السريع والمصوف به هنا الذئب بدليل ما بعده ، التنوفة المغازة والارض الواسعة البعيدة الاطراف أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس ، وان كانت معشبة وجمعها تنائف ، والطحلة لون بين الفبرة والسواد بيباض قليل وذئب أطحل لونه الطحلة (٦) عدا طاويا أى بكر بالضرب فى الأرض جائئا ويعارض الريح يسابقه وهافيا مسرعا وخات البازى انقض على الصيد وخات الرجل اختطف ، وأذناى الشعاب اطراف الأراضى التى بين الجبال ، وعسل الذئب يعسل عسولا وعسلا : اشتد اهترازه فى عدوه .
- (٧) لواه القوت قتله وضميره . وأمه قصده . ونظائره نحل يعنى أمثاله
- (٨) المهلة الضامرة المنقوشة ، والقдах جمع وقده وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله .

- أوالخشرمُ المبعوثُ حشحف دَبْرُه محابيضاً أرساهن سامُ مُعسلٌ^(١)
- مُهرتةٌ فوهه كَانْ شدوقها شُقوق العصى كالحاتٌ وبُسلٌ^(٢)
- فضج وضجت بالبراح كأنها وإياه نوحٌ فوقَ علياءِ ثكلٌ^(٣)
- وأغضى وأغضت واتسى واتست به مراهيل عزَّأها وعزته مرملٌ^(٤)
- شكاوشكت ثم ارعوى بعد وارعوت ولصبرٌ إن لم ينفع الشكو أجملٌ^(٥)
- وقاءً وفاءت بادرات وكلها على نكظ. مما يكاتم مجملٌ^(٦)
- وتسرب أسارى القطا الكدر بعدما سرت قريباً أحشاؤها تتصلصلٌ^(٧)

(١) الخشرم كجعفر جماعة النحل وأمير النحل وماواها ، وحشحت كحث أحض وحرض والدبر بفتح الدال جماعة النحل ، ومحابيض جمع محبض كمنبر عود يشتر به العسل أو يطرد به الدبر ، وهى هنا منصوبة على نزع الخافض والمعنى الى محابيض ، ورأسى وقف وأوقف وسام مرتفع ومعسل : طالب العسل .

(٢) المهرتة الواسعة ، والفوه جمع الأفوه هو والواسع الفم أو الذى يخرج أسنانه من الشفتين ، والشدوق أطراف الفم من باطن الخدين ، وكالحات شديدة العبوس ، وبسل كربيها المنظر .

(٣) البراح كسحاب المتسع من الأرض التى لا زرع بها وشجر .

(٤) أغضى على الشئ سكت ، واتسى اقتدى والمرمل الذى نقد زاده، وعزاها سلاها على مصابها ، المعنى : ثم سكت فسكتت اقتداءً به وسلاها على جوعها وسلته على مخمصته .

(٥) الارعواء النزوع عن الجهل وحسن الرجوع منه ، المعنى : شكوا فلما لم تنفع الشكوى رجعوا عنه وصبروا على الرجوع - والصبر أحسن من الشكوى التى لا تفيد .

(٦) فاء رجع ، وبادرات مسرعات ، والنكظ محركة الجوع الشديد .

(٧) أسار : جمع سؤر وهو بقية الماء بعد الشرب . القطا : نوع من الطير صوته قطاقطا وهو ثلاثة أضرب كدرى وجونى وغطاط - فالكدر الفبر الألوان الرقش الظهور والبطون الصفرة الحلقوق وهو الطف من الجونى ، والجونى السود المبطون والاجنحة وهو أكبر من الكدرى ، والقطاط كسحاب الفبر الظهور والبطون والأبدان سود بطون الاجنحة طوال الارجل والاعناق

- هممت وهمت ، وابتدرنا وأسدلت وشمر منى فارطٌ مُتمهلٌ (١)
 فوليتُ عنها وهى تكبو لعقره يباشره منها دقونٌ وحوصلٌ (٢)
 كأنَّ وغاها حجرتيه وحوله أضاميمٌ من سفر القبائل نزلٌ (٣)
 توافين من شتى إليه فضمها كما ضم أذوادَ الأصاريم منهل (٤)
 فعبتُ غشاشاً ثم مرت كأنها مع الصبح ركبٌ من أحاطة مجفل (٥)
 وآلفُ وجه الأرض عند افتراشها بأهداً تنبيه سناسن قحلٌ (٦)

= لطاف لا تجتمع أسرابا بل أكثر ما يكون ثلاث واثنتان الواحدة غطاطة ويقال ان القطا يطلب الماء على مراحل عديدة أبلغها بعضهم الى عشرين .

(١) سدل ثوبه وشعره وأسدله : أرخاه وأرسله ، وفرط القوم يفرطهم فرطا وفراطة فهو فارط تقدمهم الى الورد لاصلاح الحوض والدلاء .

(٢) تكبو تنكب على وجهها . والعقر بضم العين والمراد به هنا الماء فى أقصى الحوض والذقون جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين ، والحوصلة للظير كالمعدة للإنسان ، المعنى : وقد انصرفت عنهم بعد ما رويت وتركتها تنمس بأذقانها وحواصلها فى الماء لترتوى من شدة العطش الذى أصابها من اجهادها نفسها فى الطيران .

(٣) الوغى كالغنى الصوت والجلبة ، والحجرة الناحية والاضاميم جمع اضمامة بكسر الهمزة وهى الجماعة والسفر القوم المسافرون ، والمعنى : كان جليتها بجانب الماء وحوله ضوضاء الجماعات من القبائل المسافرين عند حطهم من السفر .

(٤) توافين اليه تلاحقن الى الماء وشتى أى من جهات متفرقة والاذواد جمع ذود وهو جماعة الابل والأصاريم جمع صرم بكسر الصاد وهو جماعة الأعراب .

(٥) العب جرع الماء وابتلاعه كتلة واحدة كما تفعل الجماعة فى شربها ، وغشاشا أى عبا قليلا عجلا غير مرئى وأحاطة بن سعد بن عوف أبو قبيلة من حمير اليه ينسب مخلاف أحاطة باليمن والمحدثون يقولون وحاطة وأجفل النعام فهو مجفل حركها وطردها .

(٦) الأهدا المنكب المسترخى اللحم أو تنبيه ترفعه والسناسن حروف ققار الظهر وقحل مجردة من اللحم .

- وأعدلٌ منحوضاً كأن فصوصه كعابٌ دحاها لاعب فهي مثلٌ (١)
 فإن تبتئس بالشنفري أم قسطل لما اغتطبت بالشنفري قبل أطول (٢)
 طريدٌ جنائيات تياسرن لحمه عقيرته لأياها حم أول (٣)
 تنامٌ إذا ما نام يقظي عيونها حثائاً إلى مكروهه تتغلغل (٤)
 وإلفٌ هموم ما تزال تعوده عياداً كحمي الربع أو هي أثقل (٥)
 إذا وردت أصدرتها ثم إنها تؤوب فتأني من تحت ومن عل (٦)

(١) أعدل معناه أسوى وأفرش لرأسي وأجعل لها وسادة ومنحوضاً يعني ساعداً قليل اللحم : والفصوص المراد بها هنا الأصابع والكعاب لعب على شكل الإقماع ودحاها بمعنى بسطها . ومثل معناها مائلة وقائمة بين يدي اللاعب .

(٢) تبتئس تحزن وأم قسطل الحرب واغتطبت سرت وقرت عينا .

(٣) كان من عادات العرب غير المحمودة إذا أرادوا أن تحصل لهم ميسرة بدون كبير كد ولا عظيم تعب أن يشتروا ناقة نسيئة وينحروها ويقسموا لحمها جملة أقسام ويجعلوا لها سهاما بعضها ذوات أنصباء وبعضها غفل بلا نصيب ليستوفوا ببيعها بقدر زهيد ثمن الناقة ثم يقترعون السهام فيفوز من تخرج لهم ذوات الأنصباء ويحرم من تخرج لهم الغفل وهذه هي لعبة الميسر (القمار) المشهورة الفساد وحرمها الدين الحنيف والقوم الذين يجتمعون على الميسر يقام لهم : يسر ، والناقة التي تذبح فيه يقال لها جزر . ويقال لها عقيرة لأنها تعقر وتنحر ويقال تياسروا أي أخذ الأنصباء من اللحم ، ويقال حم بمعنى دنا وقرب .

(٤) تنام أي الجنائيات والمراد أصحابها وحثائاً سراعاً وتتغلغل تدخل بشدة . (٥) الالف والأليف الحليف المعاود ، والعودة الرجوع مرة بعد أخرى وربعت عليه الحمى جاءت ربعا يعني ترددت عليه في كل أربعة أيام مرة تتركه في الثلاثة وتأتيه في الرابع وتسمى هذه الحمى حمى الربع .

(٦) تؤوب ترجع ، والمعنى : كلما ثارت على جيوش الهموم وأحاطت بي من كل جانب رددتها عنى بعزم ماض وصبر جميل .

- فإما تراني كابنة الرَّمْل ضاحياً على رقة أَحْفَى ولا أَتَنَعُلُ^(١)
 فإني لمولى الصبر أَجْتَاب بَزَّهُ على مثل قلب السمع والحزم أَفْعَلُ
 وَأَعْدُمُ أَحْيَاناً وَأَغْنِي ، وَإِنَّا ينالُ الغنى ذو البعده المتبذلُ^(٢)
 فلا جزع من خلة متكشف ولا مرح تحت الغنى أَتَخِيلُ^(٣)
 ولا تزدهى الأجهال حلمى ولا أرى سئولا بأقْعَاب الأقاويل أَنْمَلُ^(٤)
 وليلة نحسن يصطلى القوس ربهَا وأَقْطَعُه اللاتي بها يَتَنَبَلُ^(٥)
 دغشت على غطش وبغش وصبتي سُعار وإرزيرٌ ووجز وأفكل
 فَأَيَّمْتُ نِسواناً وَأَيَّمْتُ وَلِدَةً وعدت كما أَبْدأت والليل أَلِيلُ^(٦)

(١) فاما ترانى باهمال أن حملا على لو كقراءة فاما ترين بياء ساكنة ونون مفتوحة وابنة الرمل معناها الحية أو البقرة الوحشية ، وضحا بارزا للشمس ، وعلى رقة معناها سوء العيش ، ومولى الصبر أو اليه ، واجتباب القميص لبسه ، واليز الثياب ، والسمع بالكسر ولد الذئب من الضبع يزعمون أنه لا يموت حتف أنفه كالحية وأنه فى عدوه أسرع من الطير ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعا .

(٢) أعداما وأعداما بالضم افتقر وذو البعد بالضم أى صاحب الابتعاد فى الأرض ، والمتبذل من لا يصون نفسه .

(٣) الجزع تقيض الصبر ، الخلة الحاجة والفقر والمرح البطر والاختيال المعنى : الفقر لا يظهر على ترحا والغنى لا يبدي منى مرحا .

(٤) تزدهى : تستخف والأجهال جمع جهل شذوذاً لأن قياسه أجهل وجهل الى أنه حسنه كون عينه الهاء الشبيهة بحرف اللين ، والباء فى بأعقاب بمعنى عن ، والأنمل : المنام وهو نمل ونامل ومنمل كمجلس ومنير ونمال كشداد ، ونمام ، وقد نمل كئضر وعلم ، وأنمل نم .

(٥) اصطلى استفاداً والأقطع جمع قطع وهو القضيب تبرى منه السهام وتنبل بالأقطع اتخذها نبلا ، ودغش عليه كمنع هجم وفى الظلام دخل ، والغطش الظلمة واليغش المطر الخفيف والسعار بضم السين شدة الجوع والأرزيز برد صفار كالمخ ، الوجز والحقد والفل والفيظ والأفكل الرعدة :

(٦) أيمت نسوانا يعنى قتلت رجالهن فتركتهن بلا أزواج ، وأيتمت ولدة بكسر الواو جمع ولد يعنى قتلت آباءهم ، وأبدأت بدات والليل أليل يعنى طويل الظلمة .

- وأصبح غنى بالغميصاء جالسا فريقان مسئولٌ وآخر يسألُ (١)
- فقالوا : لقد هرت بليل كلابنا فقلنا أذئب عس ، أم عس فرعل (٢)
- فلم يكُ إلا نبأةٌ ثم هومت فقلنا قطة ريع ، أم ريع أجدل
- فإن يكُ من جن لا برح طارقاً وإن يكُ إنساً ما كها الإنس يفعل
- ويوم من الشعري يذب لعابه أفاعيه في رمضائه تتململ (٣)
- تصبتُ له وجهي وذا الكنُّ دونه ولا ستر إلا الأنحى المرعبل
- وضاف إذا هبت الرِّيحُ طيرت لبائد عن أعطافه ما ترجل
- بعيدٌ بمسِّ الدهن والفلى عهده له عبس عاف من الغسل محول (٤)

(١) الغميصاء موضع أوقع فيه خالد بن الوليد رضى الله عنه ببنى خديمة .

(٢) هر الكلب هريرا صوت صوتا دون النباح وعس طاف بالليل والفرعل بالضم ولد الضبع والنبأة الصوت الخفى وهوم هز رأسه من النعاس ، والقطا جمع قطة نوع من الطير صوته قطا قطا والأجدل الصقر وريع أخيف ولا برح معناه لقد أتى بالبرح وهو الشدة وها في كها ضمير القصة دخلت عليه الكاف شذوذا .

(٣) الشعري نجم يطلع في شدة القيظ واللعب معناه هنا ما تراه في شدة الحر كأنه منحدر من السماء اذا قام قائم الظهيرة ويكون على هيئة البخار أو على هيئة نسج العنكبوت ويسمى أيضا لعاب الشمس ، والرمضاء الأرض الشديدة الحرارة وتململ تقلب وانكن السير والانحى برد معروف والمرعبل الممزق ، وضاف صفة الشعر المحذوف ومعناه طويل ولبائد جمع لبدة وهى الشعر المتراكم وأعطافه جوانبه وترجل تمشط ، المعنى : وكم يوم من أيام الشعري التى تتصاعد فيها الأبخرة وتتململ فيها الأفاعى من شدة الحر عرضت له وجهى بغير ستر ومشيت فيه ولا شئ على جلدى الا ثوب ممزق وشعر مسترسل اذا هبت عليه الريح لم تطير منه الا لبائد فى كل جانب منه لم تمسه الأمشاط .

(٤) الفلى تفلية الرأس من القمل . والعبس محرقة ما تعلق بأذنان الابل من أبوالها وأبوابها يجف عليها ، وعاف من الفصل لم يفسل والحول الذى أتى عليه الحول .

- وخرق كظهر الترس قفر قطعتُهُ
بعاملتين ظهرُهُ ليس يعملُ (١)
فألحقتُ أولاه بأخراهُ موفياً
على فنة ألقى مراراً وأمثلة (٢)
تروُدُ الأراوى الضخم حولي كأنها
عذارى عليهن الملاء المذيل (٣)
ويركدن بالآصال حولي كأنني
من العصم أدفي ينتحى الكيخ أعقل (٤)

وقال الطغرائي يواسي معين الملك في نكته :

- فصبراً معين الملك إن عنّ حادث
فعاقةُ الصبر الجميل جميل
لا تياسن من صنع ربك إنه
ضنينٌ بأن الله سوف يديل
فإن الليالي إذ يزول نعيمها
تبشر أن الثائبات تزول
ألم تر أن الليل بعد ظلامه
عليك لإسفار الصباح دليل
وأن هلال النضو يقمر بعد ما
بدا وهو شخت الجانبين ضئيل
فقد يعطف الدهر العسير قياده
فيشفي عليل أو يبيل غليل
ويرتاش مقصوص الجناحين بعد ما

تساقط ريش واستطار نسيل

ولا غرو إن أختت عليك فإنما يُصادم بالخطب الجليل جليل

(١) الخرق الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح وقفر خالية من النبات والسكان والعاملتان الرجلان وظهره ليس يعمل أي ليس يسلك .

(٢) أوفى عليه : أشرف ، والقنة بضم القاف قلة الجبل وألقى في جلوسه تساند إلى ما وراءه ومثل قام منتصباً .

(٣) الرود الذهب والمجىء والأراوى جمع روية بالضم والكسر وهي أنثى الوعول والعذارى جمع عذراء وهي البكر ، والملاء بضم الميم نوع من الأردية والمذيل طويل الذيل .

(٤) الركود والسكون والثبات ، والآصال جمع أصيل وهو العشى بضم جمع أعصم هو الوعل الذي في موضع المعصم منه بياض ، والأدفي الذي يميل قرناه ناحيتي ظهره وينتحي يتعمد : والكيخ ناحية الجبل ، وأعقل ممتنع في الجبل .

ما أنت إلا السيفُ يسكنُ غمدهُ ليشتى به يومَ النزالِ قتيلُ
أما لك بالصديقِ يوسفُ أسوة فتحملُ وطءَ الدهرِ وهو ثقيلُ

وقال المرحوم محمود باشا سامي البارودي وهو في منفاه :

محا البينُ ما أبقتْ عيونُ المهامني فشببتُ ولم أقضِ اللبانةَ من سني
عناء وياسُ واشتياقُ وغربةُ ألا شدَّ ما ألقاهُ في الدهرِ من غبنِ
فإن أكُ فارتقتِ الديارَ فلي بها فوادُ أضلتهُ عيونُ المها عني
بعثت به يومَ النوى إثرَ لحظةٍ فأوقعه المقدارُ في شركِ الحُسنِ
فهل من فتى في الدهرِ يجمعُ بيننا فليس كاللانا عن أخيه بمُستغني
ولما وقفنا للوداعِ وأسبكتُ مدامِنا فوق الترائبِ كالمرنِ
أهبت بصبري أن يعودَ فخاني وناديتُ حلمي أن يثوبَ فلم يغنِ
وما هي إلا خطوةٌ ثم أقلعت بنا عن شطوطِ الحى أجنحةَ السفنِ
فكم مُهجةٌ من زفرةِ الوجدِ في لظى وكم مُقاةٌ من غزرةِ الدمعِ في دجنِ
وما كنتُ جرّبتُ النوى قبل هذه فلما دهنتي كدت أقضى من العزنِ
ولكنني راجعتُ حلمي وردّني إلى الحزمِ رأى لا يحومُ على أفنِ
ولولا بُنياتُ وشيبُ عواطلُ لما قرعت نفسي على فائتِ سني

وقال المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم :

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا إلا بقيةُ دمعٍ في مآقينا
كنّا قِلادةَ جيدِ الدهرِ وانفركت وفي يمينِ العلا كُنّا رياحيننا
كانت منازلنا في العزِّ شامخة لا تشرقُ الشمسُ إلا في مغانينا
وكان أقصى مُنى نهرِ المجرة لو من مائه مزجت أقداحِ ساقينا
والشهبُ لو أنها كانت مُسخرّة ليرجم من كان يبدو من أعادينا
فلم نزل وُصروفِ الدهرِ ترمقنا شرراً وتخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا جاهُ ولا نشبُ ولا صديقُ ولا خيلُ يواسينا

وقال أيضاً في شكوى الزمان والحال :

سمعت إلى أن كدت أنتعل الدما
سلام على الدنيا سلام مودع
تبلغ بالصبر الجميل وبالأسى
أضرت به الأولى فهام بأختها
فهبي رياح الموت نكباء واطفئي
فما عصمتني من زمانى فضائلي
فيا قلب لا تجزع إذا عضك الأسى
ويا عين قد آن الجمود ليمدمعي
ويا يد ما كلفتك البسط. مرة
فله ما أحلاك في أنمل البلي
ويا قدمي ما سرت بي لِمذلة
فلا تبطىء سيراً إلى الموت واعلمي

وعدت وما أعقبت إلا التندما
رأى في ظلام القبر أنساً ومغنا
زماناً وجادته المنى فتأدما
وإن ساءت الأخرى فويلاه منهما
سراج حياتي قبل أن يتحطما
ولكن رأيت الموت للحر أعصما
فإنك بعد اليوم إن تتألما
فلا سيل دمع تسكين ولا دما
لذي منة أولى الجميل وأنعما
وإن كنت أحلى في الطروس وأكرما
ولم ترتقي إلا إلى العز سلما
بأن كريم القوم من مات مكرما

وقال السيد أحمد الهاشمي يشكو ما أصاب الشرق :

قضيت شبيبتي وبذلت جهدي
إلى كم أستحث النفس عزماً
نهضت ، فقيل : أى قتي ؟ فلما
وإني بعد مجهدة وقومي
وحيد بينهم ولعل يوماً
لنا في الشرق أوطان ، ولكن
تنازع أهلها فلكل حزب
نقيم بها على ذل وفقر
أكاذيب السياسة بينات

فلم تكن الحياة كما أريد
وكم أسعى ، وغيرى يستفيد ؟
خبرت الأمر أعجبنى القعود
كضاربة وقد برد الحديد
عصياً فيه يفتقد الوحيد
تضييق بنا كما ضاقت لُحود
جمي ، ولكل مملكة عميد
ونظماً لا يسوغ لنا الورود
تأكيد بها الحكومة ما تكيّد

وعود كلها كذبٌ وزور
 إذا ما الملك شيد على خداع
 ومن لم يتخذ مُلكاً صحيحاً
 وقالوا دولةٌ نشأت حديثاً
 كذبتُم ما لنا في الأمر شيءٌ
 وقالوا : أمة نهضت تُداعى
 تفرّق أهلها ومضى بنوها ،
 أرى الأمل الذى نحيا عليه
 خذوا بنفوسكم طُرُقَ المعالى
 وجُرح الشرق يضمده بنوه
 نيام أغرقوا فى النوم حتى
 أرى الحرية اختضبت دماءً
 وأقسيمُ أن عاشقها زعيم
 رخيصٌ كل ما بذلوه فيها
 إذا جُعلت لها الأرواح مهراً
 يسوم المجد طالبه بِغالٍ
 إذا سهل النزول إلى حضيض
 قال أحمد شوقي بك يشكو ما أصاب دمشق من ظلم فرنسا بعد الحرب الكبرى :

قم ناج « جِلِّقْ » وانشدرسم من بانوا
 هذا الأديم كتاب لا كِفَاءَ له
 الدين والوَحى والأخلاق طائفة
 ما فيه إن قلبت يوماً جواهره
 بنو أُمِيَّةَ لِلأنبياء ما فتحوا
 مَشَتْ على الرسم أحداثٌ وأزمان
 رث الصحائف، باقٍ منه عنوان
 منه وسائرُهُ دنيا وبُهتان
 إلا قرائح من راد وأذهان
 وللأحاديث ما سادوا وما دانوا

كانوا ملوكا سريرُ الشرقِ تحتهمُ
عالين كالشمس أطراف دولتها
ياويح قلبي مهما انتاب أرسهم
بالأمس قمت على الزهراء أُنديهم
في الأرض منهم سماوات وألوية
معادن العز قد مال الرغام بهم
لولا دمشق لما كانت طليطلةُ
مررت بالمسجد المخزون أسأله
تغيرَ المسجد المحزون واختلفت
فلا الأذان أذانُ في منارته
آمنت بالله واستثنيت جنته
قال الرفاق وقد هبت خمائلها
جرى وصفق يلقانا بها بردى
دخلتها وحواشيتها زمردةُ

فهل سألت سرير الغرب ما كانوا؟
في كل ناحية ملك وسلطان
سرى به الهم أو عادته أشجان
واليوم دمعى على الفيحاء هتان
ونيراتُ وأنواء وعقيان
لو هان في تُربه الإبريزُ ما هانوا
ولا زهت ببني العباس بَعْدان^(١)
هل في المصلى أو المحراب مروان
على المناير أحرار وعبدان
إذا تعالى ولا الآذان آذان
دمشق روح وجنات وريحان
الأرض دار لها الفيحاء بُستان^(٢)
كما تلقاك دون الخلد رَضوان^(٣)
والشمس فوق لُجَيْنِ الماءِ عقيان^(٤)

(١) احدى لغات كثيرة فى بغداد .

(٢) الفيحاء : من أسماء دمشق والخمائل جمع خميلة وهى الشجر الكثير الملتف .

(٣) يقول : ان مكان « بردى » من دمشق كمكان رضوان خازن الجنان من جنة الخلد ، فهو دليل ضيوفها اليها ، يؤنسهم بما على ضفافه من غياض تأوى اليها السعادة . ومقاصف لا تلبفها الهموم وقوله : جرى وصفق ، من قولهم ، صفق فلان الشراب ، أى حوله من اناء الى اناء ليصفيه وقد وصف حسان بن ثابت نهر بردى بذلك يوم نزل على أمراء غسان فى البريص . وهى غوطة دمشق ، فقال :

لله در عصاة نادمتهم
أولاد جفنة حول قبر أبيهم
يسقون من ورد البريص عليهم

(٤) العقيان : الذهب الخالص .

- والحورُقى (دمر) أوحول (هامتها) حور كواشف عن ساق وولدان (١)
 و(ربوة) الوادى فى جلاب راقصة الساق كاسيةٌ والنحر عريان (٢)
 والطير يصدحُ من خلف العيون بها وللعيون كما للطير ألحان (٣)
 وأقبلت بالنبات الأرض مختلفاً أفوافه ، فهو أصباغٌ وألوان (٤)
 وقد صنى (بردى) للريح فابتردتْ ادى سُتور حواشيهن أفنان (٥)
 شيدوا لها الملك وابنوا رُكن دولتها فالملك غرسٌ وتجديد ، وبنيان

وقال الشاعر المطبوع السيد خير الدين الزركلى فى سوربة الشهيدة من قصيدة :

الأهل أهلى والديار ديارى وشعار « وادى النيرين » شعارى

(١) الجور فى صدر البيت شجر باسق معتدل القامات يملأ غياض دمشق ، وقد شبهه بحور الجنان كاشفات عن سوقهن ، لأن أعالى هذه الأشجار مكسوة أوراقها وسائرهما عريان ، و « دمر » و « الهامة » من متنزهات دمشق فى وادى بردى .

(٢) يقول ان ربوة هذا الوادى على خلاف ما فيها من أشجار الحور . فإذا كانت الأشجار كاسية النحور عارية السوق فان جبال الربوة كاسية الساق بما فيها على سفحها من أشجار ومرج وأزهار بينما نحرها عريان لتجرد أعالى تلك الجبال من خضرة النبات وأفواف الزهور و « الربو » هى متنزه دمشق الغريب وصفها الله تعالى فى القرآن الحكيم بقوله (ربوة ذات قرار ومعين) قال ياقوت فى معجم البلدان : هى موضع ليس فى الدنيا أنزه منه (٣) العيون عيون الماء يسمع خربها مع ألحان اليلابل والعصافير فى الجبال والأودية . (٤) جمع فوق نوع من الثياب والمراد هنا الزهر .

(٥) بردى هو نهر دمشق . وينبع من جبال الزبدانى على مسافة أربعين كيلو مترا ونيف من دمشق فى شمالها الغربى ، وينحدر فى وادى بردى حتى اذا بلغ ينبوع (الفيحة) انضم هذا اليه . ثم ينفصل عنه (نهر يزيد بن معاوية) نحو الشرق فى لحف جبل قاسيون وينفصل عنه بعد ذلك نهر ثورا فيجرى فى جنوب نهر يزيد ، ثم ينفصل عن بردى نهر (بانياس) والقنوات ويدخل بردى مدينة دمشق من مرجتها الشهيرة ، حتى اذا ارتوت منه بساتينها وضواحيها الشرقية انصب فى بحيرة المرج ، وكان الشربانيون يسمون بردى (نهر أبانا) وسماه اليونان (خريستو ورثه) أى مجرى الذهب .

ما كان من ألم « بجلق » نازل
 إن الدم المهرق في جنباتها
 دعي لما منيت به جارٍ هنا
 يا وامض البرق اطمئن وناجني
 ماذا هناك ؟ فإن صوتاً راعني
 النار مُحَدِّقَةٌ « بجلق » بعدما
 تناسب في الأحياء مُسرِّعة الخطى
 والقوم منغمسون في حمثاتها
 الطفل في يد أمه غرض الأذى
 والشيخ متكئاً على عُكازه

وقال أيضاً سعادة الشاعر الجليل فؤاد الخطيب :

يا ساهر الليل ، ما للبرق يأتلق
 هل بالطبيعة ما بي ؟ أم ألم بها
 مُرَبِّدَةٌ لم يهيم في جوها قمر
 قدت من الليل سربالا يجللها
 مرأى يمثل هول الحزن مختبئاً
 والمُزَنُ تُرَعِدُ والأنواءُ تصطفق
 ما بالديار ، فثارت كلها حنق
 ولا تنفَسُ في أطرافها فلق
 وحف الذبول فلم يسفر لها أفق
 بين الجوانح سُدتْ دونه الطرق

أبصرت بالعين ما استشعرت من كمد

في النفس لج به التبريح والأرق
 ويح الهموم كم أرخت أعنتها
 شعناً تدفق أرسالا وتسبق
 هوجاء تسمع منها كلما اقتربت
 صوت السلاسل فوق الصخر تنزلق
 تهوى إلى وأهوى مُطبقين معاً
 حتى نصرع ملتفين نعتنق
 هاجت وهجت فكانت ثم ملحمة
 دارت وسال دى يجرى به العرق

الباب الرابع في وصف الشعر

آراء الحكماء والشعراء فيه

إن من الشعر لحكمة . قال أفضل الخلق على الإطلاق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : « سمي الشاعر شاعراً لفطنته » . (الأخفش)

وَجَدَّ الشعر حيث وجد السحر شقيقان ليس يفترقان . (إلياس فياض)

إن المنشئ يولد مطبوعاً على الإنشاء ، كما يولد الشاعر مطبوعاً على النظم . والشعراء لسان حال الأمة ، وتراجمة شعورها ، وعنوان إحساسها ، والشعر العصري أضاف إلى معارفنا معاني جديدة يرقى بها الخيال ، وتتسع بها التصورات المبنية على الحقائق . (الهلال)

الشعراء زينة المجالس . (الأمين بن هارون الرشيد)

الشاعر العربي الذي يمكن أن يترجم أكثر شعره من غير أن تفقده الترجمة جماله هو شاعر الحقائق . (الدكتور شبلي شميل)

الشعر عاطفة ذائبة ، أو فكرة متوقدة ، أو خاطرة عميقة سبكت في قالب موزون الكلام والنغمة . (الآنسة م)

ما الشعر إلا تصوير الخيال ، والشعر النفسى في شكل الأشعار التي تدنيه من أفهام الناس ، فقدر الشعر ورقته وبلاغته يكون على قدر تنبه إحساس الشاعر ورقة عواطفه . (وسيلة محمد)

الشعر إنه قديم مات ودفن في العواطف الراقية ، فجعل شعور النفس كفنناً له كلما تحركت العواطف ولمس الكفن استيقظ . ذلك الإله وملاً الدنيا أنيناً مدهشاً . (توفيق مفرح)

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بغاء العلا كيف تبني المكارم

أرى الشعر يحيى الجود والبأس بالذى

تبقية أرواح له عطران

وما المجدُّ لولا الشعرُ إلا معاهدٌ وما الناسُ إلا أعظمُ نخراتِ
(أبو تمام)

أجلُّ الشعر ما في البيت منه غرابة نكتة أو نوع لطف
وبئس الشعر بيت ليس فيه أماكن غير حيطان وسقف

للشعر في كل عصر مَرَكِبٌ خَشِنٌ لا يستقلُّ عليه الراكب الواهن
(ناصر البازجي)

ليس شعراً إلا الذي كلُّ بيتٍ فيه معنى يدعو إلى الأسماع
(خليل البازجي)

وخير الشعر ما أوحاه طبعٌ فكان له بأفئدة ديب
معانيه قد اتسقت بلفظ. يكاد لفرط رقيقه يدوب
(عيسى المفلوف)

الشعر كالمرآة يُر سم فيه عقل الناظم
(إبراهيم الحوراني)

وما الشعر إلا الشهد والسحر والطلی يجلي المنى يرقى العقول ويسكر
وما الشعر لا أدرى وأدرى لأنني تصوُّرته لكنه لا يصوِّر
(فائز السمعاني)

أنصت فكل لسان شاعر هزج حتى الكواكب والأقمار والشهب
(المقتطف)

لا يحسن الشعر إلا وهو مبتكرٌ وأى حسن شعر غير مبتكر
وأجود الشعر ما يكسوه قائله بوشى ذا العصر لا الخالي من العصر

وهو الشعر لا أعتاض عنه بغيره ولا عن قوافيه ، ولا عن فنونه
إذا كان من معنى الشعور اشتقاقه فما بعده للمرء غير جنونه
(معروف الرصافي)

انظم الشعرَ ولازم مذهبي
فهو عنوانٌ على الفضل وما
في أطراحِ الرفد لا تبغ النحل
أحسنَ الشعر إذا لم يبتذل
(ابن الوردي)

الشعرُ دُرٌّ والخيال بحور
والشعر ما ابتكر الذكاء مولداً
والفكر فُلك في العباب يَمُورُ
معنى له يرتاحُ منك شعور
فإذا أتى نظماً فلك صناعةٌ
أخرى جلاها الطبعُ والتحریم
(سليم عنحوري)

وقول دعبل بن علي الخزاعي يصف الشعر الخالد :

يقول : إن ذاق الردي مات شعره
سأقضى بييت يحمد ، الناس أدره
وهيهات ! عمر الشعر طالت طوائله
ويكثر ، من أهل الرواية حامله
وموت رديء الشعر من قبل أهله
وجيده يبقى ، وإن مات قائله
العناية بلغة الشعر لعدي بن الرقاع :

وقصيدة قد بتُ أجمع بينها
نظر المثقف في كعوب قناته
حتى أقومُ ميلها وسنادها
حتى يقيم ثقافه مُنادها
سحر البيان لأبي تمام :

كشفتُ قناع الشعر عن حرٍّ وجهه
بغرٍّ يراها من يراها بسمعه
وطيرته عن وكره وهو واقعُ
ويدنو إليها ذو الحجا وهو شاسعُ
إذا أنشدت شوقاً إليها مسامع
يود ودادا أن أعضاء جسمه
وصف قصيدة لابن الرومي :

نظم الفكرُ دُرَّها غير مثقو
لم يعبها سوى قواف تشاغل
بِ ، إذا الدرُّ شين بالثقيب
نَ عن المدح فيك بالتشبيب
ل وإن أنشدت فلا تطريب
دا تراه العيون كالتذهيب
سودت فيك كل بيضاء تسويد

لو يناعى بيانها العُجْمُ يوماً
سیر الشعر للمتنبى :

وما الدهرُ إلا من رُوَاةِ قصائدى
فسار به من لايسيرُ مُسَمَّراً
أَجْزِنِي إِذَا أَنشَدْتُ شعراً فَإِنَّمَا
سهولة الشعر لبشار :

عميتُ جنيناً ، والذكاءُ من العمى
وغاض ضياءُ العين للعلم رافداً
وشعر كزهر الروض لاءمت بينه
شعر هوجو لحافظ :

ما تُغورُ الزهرُ فى أكامها
نظمَ الوسمى فيها لؤلؤا
عند من يقضى بأبهى منظر
وله أيضاً يصف طيارة :

يجرى بسابحة تشد
وتكاد تقدح فى الأذ
مثل الشهاب انقض فى
فإذا علت فكدعوة أ
وإذا هوت فكما هوت
وتسفت آونة وآ
فيخالها الراؤون قد
لعب الجواد أقل لي

ق سبيلها شق الإزار
ير فيستحيل إلى شرار
آثار عفريت وطار
مضطرب تحترق الستار
أنثى العقاب على الهزار
ونة يحيد بها أزورار
قرت وليس بها قرار
ثأ من ربيعة أو نزار

أو كالقلوب من الحما ثم فوق ملعبه استطار
وكأنها فى الأفق > بين يميل ميزان النهار
والشمس تُلقي فوقها حُلل اصفرار واحمرار
ملك تمثله لنا الس يا فيأخذنا انبهار

وقال أيضاً المرحوم حافظ ابراهيم يصف زلزال صقلية سنة ١٩٠٩ م :

نبشاني إن كنتما تعلمان ما دهي الكون أيها الفرقدان
غضب الله أم تمردت الأر ض فانتحت على بنى الإنسان
ليس هذا سبحان ربى ولا ذا ك ولكن طبيعة الأكوان
غليان في الأرض نفس عنه ثوران في البحر والبركان
وب أين المفرّ والبحر والبر على الكيد للورى عاملان ؟
كنت أخشى البحار والموت فيها راصد غفلة من الربان
سابع تحتنا مظل عليه حائم حولنا مناء مدانى (١)
فاذا الأرض والبحار سواء فى خلاق كلاهما غادران (٢)
وقال البحرى يصف سيفاً :

يتناول الروح البعيد مناله عفواً ويفتح فى القضاء المقفل
يغشى الوغى فالترس ليس بحده من حده والدرع ليس بمقل
ماض وإن لم تمضه يد فارس بطل ومصقول ، وإن لم يصقل
مصغ إلى حكم الردى فإذا مضى لم يلتفت ، وإذا قضى لم يعدل
متوقد يبرى بأول ضربة ما أدركت ، ولو أنها فى يذبل
فاذا أصاب فكل شىء مقتل وإذا أُصيب فما له من مقتل

وقال فقيده الأدب السيد مصطفى لطفى المنفلوطى يصف القلم :

(١) مناء مدان : مقارب . (٢) الخلاق : الحظ أو الدين وانما يكون ذلك فى الخير ولكن الشاعر توسع فى استعمال الكلمة .

كم آثار اليراعُ خطباً كميناً وأمات اليراع خطباً مُثارا
 قطراتٌ من بين شقيه سالت فأسالت من الدما أنهارا
 كان غصناً فصار عوداً ولكن لم يزل بعد يحمل الأثمارا
 كان يستمطرُ السحاب فحالاً مر فاستمطر العقول الغزارا

وقال المرحوم أحمد شوقى يصف أبا الهول :

أبا الهول ، طالت عليك العصر وبُلِّغْتَ في الأرض أقصى العمر (١)
 فيالدة الدهر لا الدهرُ شه اب . ولا أنت جاوزت حد الصغر (٢)
 إلام ركوبك متن الرما ل لطي الأصيل وجوب السحر (٣)
 تسافرُ متنقلاً في القرو ن ، فأبان تلقى غبارَ السفر ؟
 أبينك عهدٌ وبين الجبا ل ، تزولان في الموعد المنتظر ؟ (٤)
 أبا الهول ، ماذا وراء البقا ء ، إذا ما تطاول غير الضجر ؟ (٥)
 عجبت للقمان في حرصه على لبدٍ والنسورُ الأخر (٦)

(١) العصر : الدهر فالعصر جمع عصر بسكون الصاد ومعنى طول الدهر على أبى الهول أنه عمر أعماراً طويلاً ، والعمر بضم العين والميم لفة في العمر . (٢) فيالدة الدهر : فيا أخوا الدهر وقرينه فكأنك والدهر توأمان خلتما معا فى أوان ، ولا أنت جاوزت حد الصفر : أى برغم أنك بلفت فى الأرض أقصى العمر . (٣) الام ركوبك : انه تصوير شعري بديع لتصوير أبى الهول راكباً متن الرمال يطوى الليل والنهار ويسافر متنقلاً فى القرون والأدهار ، وجوب : فى معنى طى . (٤) فى الموعد المنتظر : يوم يزول كل شيء أى اليوم الآخر . (٥) ماذا وراء البقاء : يقول ما وراء البقاء المتطاول غير السأم قال زهير بن أبى سلمى :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولا ، لا أبالك ، يسأم
 (٦) هو لقمان بن عاديا ، وتزعم العرب أنه هو الذى بعثته عاد فى وفدها الى الحرم ليستقى لها ، فلما أهلكوا خير لقمان بين عمر سبع بقرات سمر من أطيب عفر فى جبل وعمر لا يمسه القطر ، أو بقاء عمر سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف يعده نسر فاستحقق الأبقار وأثر النسور فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له يا عم ما بقى من عمرك الا عمر هذا فقال لقمان هذا لبد . ولبد بلسانهم الدهر . قالوا وكان يأخذ فرخ النسر =

- وشكوى لبيد لطول الحياة ولو لم تطل لتشكى القصر (١)
 فإن الحياة تفل الحديد دَ إذا لبستهُ ، وتبلى الحجر
 ولو وجدت فيك يا ابن الصفا ةٍ لحقت بصانعك المقتدر (٢)
 أبا الهول ، ما أنت في المعضلا ت ! لقد ضلت السبل فيك الفكر (٣)
 تحيرت البدو ماذا تكو ن ، وظلت بوادى الظنون الحضر (٤)
 فكنت لهم صورة العنفوا ن ، وكنت مثال الحجى والبصر (٥)

= فيجعله في جوبة الجبل الذى هو أصله كيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو أكثر فإذا مات أخذ آخر مكانه حتى هلكت كلها إلا السابع فأخذه فوضعه فى ذلك الوضع وسماه لبدا وكان أطولها عمرا ، فضربت العرب به المثل : فقالوا طال الأبد على لبـد فعاش لقمان ، كما زعموا ، ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ، وقال النابغة :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لبـد
 وهذا ، ولقمان بن عادياى غير لقمان الحكيم وغير اليهودى الذى آناه
 الله من الكنوز ما ان مفاتحة لتنوء بالعصبة أولى القوة ، كلا الاثنين مذكور
 فى القرآن الكريم .

(١) « وشكوى لبيد » أى وعجبت لشكوى لبيد لطول الحياة الخ
 كان لبيد من المعمرين روى أنه مات وهو ابن مائة وأربعين سنة . وقيل
 وهو ابن سبع وخمسين ومائة أول خلافة معاوية - أما شكواه التى المع
 اليها فذلك حيث يقول :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد؟!
 يقول اذا لم يكن وراء البقاء المتناول الا الضجر فانى أعجب للقمان
 فى حرصه على أن تطول حياته وللبيد الذى وان مل الحياة وسئم من
 طولها فانه لا محالة كان أكثرها شكاه اذ هى لم تطل لأن حب الحياة
 جبلة وغريزة مركوزة فى الطباع .

(٢) « وجدت » أى الحياة « يا ابن الصفاة » الصفاة الحجر الصلد
 الذى لا ينبت شيئا وفى المثل فلان ما تندى صفاته : وفى الحديث لا تفرع
 صفاة أى لا ينالهم أحد بسوء وأبو الهول ابن الصفاة لأنه الحجر « لحقت
 الخ » أى لأدركك الموت .

(٣) ما أنت فى المعضلات ، خبرنى أى معضلة أنت فى المعضلات وأى
 معنى مخفى .

(٤) تحيرت : يقول حار الناس قاطبة فى أمرك حاضرهم والبادى .
 (٥) صورة العنفوان لما ينطوى عليه جسمك الذى صور على صورة
 أسد من معانى القوة ومثال الحجى والبصر لما ينم عنه وجهك ورأسك
 المصوران على صورة وجه الانسان من معانى الفطنة والبصر بالأمور .

- وسرك في حُجبه كلما أطلت عليه الظنون استتره (١)
وما راعهم غير رأس الرجا ل على هيكل من ذوات الظفر
ولو صُوروا من نواحي الطبا ع توالوا عليك سباع الصور (٢)
فيا رب وجه كصافي النمي ر تشابه حامله والنمر
أبا الهول ، ويحك لا يُستق ل مع الدهر شيء ولا يحتقر (٣)
تهزأت دهرًا بديك الصبا ح فنقر عينيك فيما نقر (٤)
أسال البياض وسلّ السوا د وأوغل منقاره في الحفر
قعدت كأنك ذو المحسبي ن قطع القيام سليب البصر (٥)
كان الرمال على جانبك وبين يديك ، ذنوبُ البشر
كأنك فيها لواء القضا ع على الأرض أو ديدبان القدر (٦)
كأنك صاحب رمل يرى خبايا الغيوب خلال السطر (٧)

(١) يقول ومع ذلك لا يزال سرك مكتما ومخفيا في حجه . والناس من أمرك في ظلام . (٢) ولو صوروا أى ما كان ينبغي أن يروع الناس منك ان كان رأسك على هيكل من ذوات الظفر لان الناس لو صوروا من نواحي شيمهم وطبائهم لتولوا عليك كأنهم وحوش ، فيارب وجه كصافي النمير الماء الناجع فى الراى أو النامى أو الكثير والنمر هو ذلك الحيوان المعروف بمكره وخبثه وشراسته . (٣) لا يستقبل لا يعد قليلا وهذا البيت كالتمهيد لما بعده . (٤) بديك الصباح يريد الزمن والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة ، ومن حسن التعليل أن جعل سبب عبث الدهر بأبى الهول وتشويبه خلقه حتى أسال بياض عينيه وسل سوادهما هو هزء أبى الهول به وسخره منه وعدم اكرائه له ثم تعبيره عن الدهر بديك الصباح ، هذا ولمناسبة ذكر ديك الصباح نقول انه ورد فى بعض الآثار لا تسبوا الديكة فانها تدعو الى الصلاة (٥) « المحسبين » المحبس الموضع الذى يحبس فيه ، وكان يقال عن أبى العلاء المعرى رهين المحسبين أى رهين عماء وبيته : فكأنه من عماء فى المحبس وكذلك أبو الهول عده شاعرنا بعد أن نقر ديك الصباح عينيه كأنه من عماء وسكوته فى محسبين . (٦) « ديدبان » فارسية معربة أصلها ديد بان ومعنى ديد بان العين وبان ذو أى الرقيب والعين ومعناها الخاص الجندى المكلف بالحراسة . (٧) « السطر » السطر الصف من الكتاب والشجر ونحوهما ومعنى البيت ظاهر .

- أبا الهول ، أنت نديمُ الزما نِ نجى الأوانِ سميرُ العصر (١)
 بسطت ذراعيك من آدم ووليت وجهك شطرَ الزمر (٢)
 تطلُّ على عالمٍ يستهـلُّ وتوفى على عالمٍ يُحتضر (٣)
 فعينٌ إلى من بدأ للوجو دِ ، وأخرى مشبعةٌ من عبر (٤)
 فحدث فقد يُهتدى بالحديـث وخبر فقد يُوتى بالخبر
 ألم تبلُ فرعون في عزه إلى الشمس مُعتزياً والقمر (٥)
 ظليل الحضارة في الأولـيين ، رفيع البناء ، جليل الأثر (٦)

(١) « نجى الأوان » النجى بوزن فعيل الذى تساره - وفى الحديث « اللهم بمحمد نبيك وبموسى نبيك » هو المناجى المحدث للانسان .
 (٢) « من آدم » أى من قديم « الزمر » جمع زمرة الجماعة من الناس والمراد هنا الناس جميعا . (٣) « يستهـلُّ » يعنى يقدم على الدنيا من استهـل الصبى بالكاء رفع صوته وصاح عند الولادة « يحتضر » حضر فلان واحتضر اذا نزل به الموت . (٤) وأخرى مشبعة من عبر ممن مضى . (٥) « ألم تبل فرعون » بلاه يباوه بلوا وابتلاه جربه واختبره وفرعون لقب يطلق على كل من ولى مصر كالتجاشى للملك الحبشة وقيصر للملك الرومان وفرعون اصلها فى الهيروغليفية مركبة من بى وهى أداة التعريف كأل ، ورع أى الشمس فتكون كلمة واحدة ورع او راهوا معبود العتو والحيوت وما فى معناهما من مدلولات كلمة فراعنة عند العرب ، قوى حاكم جبار يقاتل احتفاظا بالحياة ، وابقاء على الكون ومن هنا كاز واذن لا يقصد بفرعون فرعوننا معنا ولكن جميع فراعنة مصر وقد ابتلاهم أبو الهول « الى الشمس معتزياً » يقول ألم تبل يا أبا الهول فرعون وهو فى عزه حتى لكأنه من العز والمنعة بحيث يناطح الشمس والقمر لأن من اعترى الى شىء قاربه وشاكله وقد كان أكثر الفراعنة يضعون على تيجانهم صور أوزيريس « الشمسى » وأوزير « القمر » لأنهم من اصنامهم فلعله يشير الى هذا مع ارادة معنى العز والمنعة . (٦) « ظليل الحضارة » مكان ظليل ذو ظل دائم يستظل به يريد أن حضارة فرعون كانت من الكمال بحيث تظل الناس ويرتعون فى ذراها وكنفها والحضارة بكسر الحاء وفتحها الإقامة فى الحضر خلاف البدو والبادية وهى المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساکر الديار التى يكون لها بها قرار .

يؤسس في الأرض للغابري ن ويغرس للأخريين الثمر (١)
 وراعك ما راع من خيل قمر يز ترمي سنابكها بالشرر (٢)
 جوارف بالنار تغزو البلا د ، وآونةً بالقنا المشتجر
 وأبصرت إسكندراً في الملا فشيبي العلا في الشباب النضر (٣)

(١) « للغابرين » الغابر من الأضداد فيكون بمعنى الباقي ويكون بمعنى الماضي ومن ثم يكون معنى البيت أما أن فرعون يخلو ذكر الماضين باقامة الآثار لهم والتماثيل ويفرس ثلاثين ما يجنون ثمرة من دور العلم والعرفان وما اليها ، وأما أن فرعون يؤسس للآتين ويفرس لهم كل ما يجدى ويشمر .
 (٢) « قمبيز » هو ابن قورش الأكبر الذي أسس دولة الفرس العظيمة ومعلوم أن الفرس من الدول التي غزت مصر واستولت عليها حيناً من الدهر قال المؤرخون أخذ الفرس في غزو مصر أزمان الأسرة السادسة والعشرين وذلك حين تولى الملك « أسمتيك الثالث » أحد ملوك هذه الأسرة فأعد الفرس لهذه الغزاة المعدات الكبيرة وجاء ملكهم « قمبيز » بجيش جرار لفتح البلاد التي طالما شرهت نفس أبيه قورش العظيم إلى إخضاعها وكانت مصر إذ ذاك حصينة غاية في المنعة ، يقول مؤرخوا الإغريق أن أحد الجنود اليونانية هو الذي خان مصر والمصريين ودل الفرس على أسهل الطرق التي يمكنهم بواسطتها أن يدخلوا البلاد فهوجمت مدينة « بلوز » « الفرما » بحرا وزحفت الجنود الفارسية على مصر برا وبعد مقاومة عنيفة جهتي بلوز ومنف سقطت البلاد وأخذ قمبيز أسمتيك أسيرا وكان ذلك سنة ٥٢٥ قبل الميلاد ، ثم سار قمبيز أول أيامه سيرة حسنة وعامل المصريين معاملة طيبة يحترم دياناتهم وتقاليدهم ولكنه بعد ذلك ليس لهم جلد النمر وحنق على البلاد ومن فيها فكر على المعابد والهيكل فهدمها وقتل بيده العجل أيس أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة وعند عودته إلى فارس مات في الطريق سنة ٥٢١ ق م ، ولما ولي ملك مارس دارا الأول زار مصر وأراد أن يصلح ما أفسده قمبيز فأبدى احتراما كبيرا لديانة المصريين ومعبوداتهم وشيد هيكلًا عظيمًا للمعبود آمون بواحة سيوة الكبرى وعضد التجارة وشيد كثيرا من المدارس وفتح الخليج الموصل بين النيل والبحر الأحمر ، ورأى المصريون آخر أيامه ما لحقه من الخسائر في واقعة « مرثون » في حربه مع الإغريق فخرجوا عن طاعته وطردهوا الفرس من البلاد بقيادة أحد الأمراء الوطنيين سنة ٤٨٦ ق م ، ثم غزا الفرس مصر ثانية وما زالوا بها حتى طردهم المصريون سنة ٤٠٥ ق م . (٣) « اسكندر » هو الإسكندر الأكبر المقدوني الفاتح العظيم . قال المؤرخون بعد أن هزم الإسكندر الفرس =

تبليج في مصر إكليله فلم يعد في الملك عمر الزهر
 شاهدت قيصر كيف استب د وكيف أذل بمصر القصر ؟
 وكيف تجبر أعوانه ؟ وساقوا الخلائق سوق الحمر ؟
 وكيف ابتلوا بقليل العدي د من الفاتحين كريم النفر
 رمى تاج قيصر رمى الزجا ج ، وفل الجموع وثل السرور (١)
 فدع كل طاغية للزما ن فإن الزمان يُقيم الصعر (٢)
 رأيت الديانات في نظمها وحين وهي سلكها وانتشر (٣)

= في واقعة أفسوس زحف على مدينة صور فأخذها عنوة وبذلك تم استيلاؤه على الشام ثم قدم الى مصر وقد كان الفرس استدعوا حاميتها منها بسبب حربهم مع الاسكندر فلما وصل الاسكندر الى « بلوز » « الفرما » سنة ٣٣٢ ق.م رحب به المصريون لما سمعوه من عدالة حكمه ولما لاقوه من الذل والهوان في حكم الفرس ففتحت ابوابها ودخلها دون عناء حتى أن الوالى الفارسى لم يجرؤ على مقاومته وقابله فى منف بترحاب ، ومن ثم سار الاسكندر الى واحة آمون الكبرى ودخل معبد آمون ولقبه الكهنة بأبن آمون ، فاحترم ديانة المصريين وقدم القرابين لمعبوداتهم ولم يهمل مع ذلك التقاليد الاغريقية فأدخل منها فى مصر الموسيقى والألعاب النظامية ، ولما رأى الاسكندر أن قرية « راقودة » وهى قرية صغيرة كانت بقرب الاسكندرية ذات موقع بحرى موقف أنشأ بجوارها حاضرة جديدة له هى الاسكندرية وبعد أن استوثق الأمر للاسكندر فى مصر خرج الى فتوحاته الأخرى فى المشرق ، وكانت وفاته سنة ٣٢٣ ق.م وكان عمره اذ ذاك ٣٢ سنة ونيفا ولم يقم بمصر كما ترى الا قليلا ، فذلك حيث يقول فى البيت التالى « فلم يعد فى الملك عمر الزهر » وخلف الاسكندر على مصر البطالسة وما زالوا بها الى أن استولى الرومان عليها « اكليله » تاجه .

(١) « رمى » يرتد هذا النفر القليل وهم أصحاب عمرو بن العاص وفل انجموع : هزما وثل السرر كسرهما والسرر جمع سرير والمراد بها العروش التى يجلس عليها القياصرة .
 (٢) « الصعر » ميل فى العنق وانقلاب الوجه الى احد الشقين ، وقد صعر خده أماله من الكبر ، قال المتلمس .

وكنا اذا الجبار صعر خده أقمتنا له من رده فتقوما
 والزمان يقيم الصعر يعد الطفاة يقال أقمت الشيء فقام أى استقام :
 (٣) « فى نظمها ، وحين وهى سلكها » فى حالتى قوتها وضعفها .

- تشادُ البيوتُ لها كالبُرو ج إذا أخذ الطرفُ فيها انحسر (١)
- تلاقى أساساً وشمَّ الجبا ل كما تتلاقى أصولُ الشجر (٢)
- وإيزيس خلف مقاصيرها تخطى الملوك إليها الستر (٣)
- تضئُ على صفحات السما ء وتشرقُ في الأرض منها الحجرُ
- وآيبسُ في نيره العالو ن ، وبعضُ العقائد نير عسر (٤)
- تسأسُ به مُعضلاتُ الأمو ر ويُرجى النعيمُ وتخشى سقر
- ولا يشعرُ القومُ إلا به ولو أخذته المدى ما شعر
- يظل أبو المسك عبداً له وإن صاغ أحمدُ فيه الدرر (٥)
- وآنست موسى وتابوته ونور العصا والوصايا الفرر (٦)
- وعيسى يلم رداء الحيا ء ومريمُ تجمعُ ذيلَ الخفر (٧)

(١) « انحسر » كل والبصر يحصر أقصى عند بلوغ النظر .

(٢) « تلاقى » تتلاقى بحذف إحدى التائين أى أنها راسخة رسوخ الجبال .

(٣) « إيزيس » هى من معبودات قدماء المصريين وهى أخت أوزيريس وزوجته فى الوقت نفسه وأم هوربوس وهابوقراط .

(٤) « وآيبس » هو العجل آيبس . رووا أن نيفون اله الشر تغلب أخيراً على أوزيريس اله الخير وقتله فتقمصت روحه جسد عجل ، وكان هذا العجل عندهم يمثل الخصب والتوليد الخلقى وكانوا يعتقدون أن العجل الذى تقمصته روحه هو ابن بقرة حملت بواسطة شعاع من القمر وله علامات ظاهرة فى جسده فانه يكون أسود اللون وفى جبهة سمة بيضاء مربعة مثلثة وصورة نسر على ظهره وصورة خنفساء تحت لسانه .

(٥) « أبو المسك » كافور الإخشيدى ، و « أحمد » أبو الطيب التنبى .

(٦) تابوته ونور العصا والوصايا الفرر ، التابوت الذى وضع فيه موسى وقذف به فى النيل وعصا موسى وما كان منها من الآيات وأنوصايا العشر كل أولئك معروف فلا حاجة بنا الى الإفاضة فيه .

(٧) وعيسى يلم رداء الحياء . يقول وشاهدت عيسى وهو المثل الأعلى للحياء ومثله فى ذلك العذراء .

- وعمرُّو يسوقُ بمصرِ الصحابِ ويُرْجى الكتابِ ويحدو السور (١)
فكيف رأيت الهدى والضلا ل دنيا الملوك وأخرى عُمرَ
ونبذ المُقوقس عهد الفُجو ر وأخذ المُقوقس عهد الفجر
وتبديله ظلمات الضلا ل بِصُبح الهداية لما سفر
وتأليفه القبط. والمسلمي نَ كما ألفت بالولاء الأسر (٢)
أبا الهول ، لو لم تكن آية لكانَ وفاؤك إحدى العبر (٣)
أطلت على الهرمين الوقو ف كثاكلة لا تريم الحُفر (٤)
ترخى لبانيها عودة وكيف يعودُ الرميم النخر؟ (٥)
تجوس بعين خلال الديا ر وترى بأخرى فضاء النهر (٦)
ترومُ بمنفيس بيض الظبا وسمر القنا والخميس الدثر (٧)
ومهد العلوم الخطير الجلا ل وعهد الفنون الجليل الخطر
فلا تستبين سوى قرية أجد محاسنها ما اندثر (٨)

(١) يقول وقد رأيت عمرو بن العاص اذ يسوق المسلمين لفتح مصر ويرجى كتاب الله وآياته .

(٢) وتأليفه أى المقوقس (الأسر) جمع الأسرة وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأذنون . (٣) احدى العبر احدى الآيات . (٤) أطلت الخ بيان لوفاء أبى الهول كثاكلة : يقول أنك فى اطالك الوقوف على الهرمين وفاء منك كثاكلة ولدها لا تبرح قبره ، ولا نزاله فالثاكلة هى التى فقدت ولدها ، ولا تريم أى لا تبرح .

(٥) « لبانيهما » أى لبانى الهرمين . (٦) « تجوس » تطوف وتتخلل و « انهر » النهر واحد الأنهار يعنى النيل . (٧) « وتروم » تنشد وتطلب « بمنفيس » منف ، وموضعها اليوم البدرشين وميت رهينة وهى عاضمة ملك الفراعنة والذى بناها هو مينا مؤسس الأسرة المالكة الأولى وكانت كما قال شاعرنا مهد العلوم الخطير الجلال وعهد الفنون الجليل الخطر .

(٨) « أجد محاسنها ما اندثر » يقول ان طولها الدوائر ورسومها المنذرة البوالى أجدت محاسنها .

تكاد لاغراقها في الجموع
فهل من يُبلغُ عنا الأصو
وأنا خطبنا حسانَ العلا
وأنا ركبنا غمارَ الأمور
بكل مبین شديد اللدا
نطالبُ بالحقِّ في أمة
ولم تفتخر بأساطيلها
فلم يبقَ غيرك من يخف
تحرك أبا الهول ، هذا الزما

د إذا الأرض دارت بها لم تُدر
ل بأن الفروع اقتدت بالسير ؟
وسقنا لها الغالى المدخر ؟
وأنا نزلنا إلى المؤتمر
د وكلُّ أريب بعيد النظر
جری دُمها دونه وانتشر
ولكن بدستورها تفتخر
ف ولم يبقَ غيرك من لم يطر
نُ تحرك ما فيه ، حتى الحجر

وقال أيضاً المرحوم أحمد شوقي بك يصف حياة النحل وحالته ومملكته :

مملكة	مُدبَّره	بامرأة	مُؤمَّره
تحمل في العمال وال	صناع عبء السيطره	ون عليهم قيصره	ذكاره
فاعجب لعمال يول	عن ساقها مُشمِره	وان وارثته مثره	مُغيره (١)
تحكمهم راهبه	وارتفعت كأنها	مُطيره	كأنها
عاقده زنارنا	ووقعت لم تختلج	مُسمره (٢)	من خلق مُصوَّره
تلتمت بالأرج	مخلوقة ضعيفة	وما أجل خطرته	
وارتفعت كأنها	ياما أقل ملكها		

(١) التفسير : ترديد الصوت بالقراءة .

(٢) الاختلاج : الاضطراب .

قف سائل النحل	بأى عقل دبره ؟
يُجيبك بالأخلاق وهـ	ي كالعقول جوهره
تغنى قوى الأخلاق ما	تغنى القوى المفكره
ويرفعُ الله بها	من شاء حتى الحشره
أليس في مملكة النحل	ل لقوم تبصره ؟
مُلك بناه أهله	بهمة ومجدره (١)
لو التمسست فيه بَط	مال اليدين لم تره
تقتلُ أو تنفى الكسا	لى فيه غير مندره
تحكم فيه قصره	فى قومها موقره
من الرجال وقيو	د حكمهم محرره
لا تورثُ القوم ولو	كانوا البنين البرره
الملك للإناثِ فى الد	ستور لا للذكوره (٢)
نيرة تنزل عن	هالتها لنيره
فهل ترى تخشى الطما	ع فى الرجال والشره (٣)
فظالما تلاعبوا	بالمهج المصيره
وعبرو غفلها	إلى الظهر قنطره
وفى الرجال كرم ال	ضعف ولؤم المقدره
وفتنة الرأى وما	وراءها من أثره
أنثى ولكن فى جنا	حيها لباة مخدره (٤)

(١) يقال هذا الأمر مجردة ذاك أى جديرا به .

(٢) الذكرة : الذكور .

(٣) الطماع : الطمع .

(٤) اللبابة : اللبوة وهى أنثى الأسد .

طاردة من كدره	زائدة عن حوضها
وادرعت بالحبره	تقلدات إبرتها
قد رابطت بأنقره	كانها تركية
مُعسكره كتيبة	كانها (جاندرك) في
دِ الخشن المنمرة	تلقى المغيرَ بالجنو
البالغين جسره (٢)	السابغين شكة (١)
ونفضتها مثيره (٣)	قد نثرهم جعبة
فبالقنا المجرره	من بين ملكا أو يذد
ليس الأمور ثثره	إن الأمور همة
الأيوية المنشره	ما الملك إلا في ذرى ال
يحميه إلا قسوره (٤)	عريته مذ كان لا
مخالب المذكرة	رب النيوب الرزق وال
مُصلحة معمره	مالكة عاملة
لا تستبين أثره	المال في أتباعها
أصلا له من ثمره	لا يعرفون بينهم
من البلاء أكثره	لو عرفوه عرفوا
لأمهم مسيره	واتخذوا نقابة
ملكهم وطهره	سبحان من نزه عند
مُسخره عاملة	وساسه بحرة
من معمل مُنحدره	صاعدة في معمل

(٢) الجسرة : الجسارة .

(١) الشكة : السلاح .

(٣) المثيرة : بيت الابر .

(٤) القسورة : الاسد .

واردة	دَسْكَرَة	صادرة عن دسكوره (١)
باكرة تستنهض ال	مصائب المبكرة (٢)	
السامعين والطائعي	ن المحسنين المهرة	
من كل من خط. البنا	ء أو أقام أسطره	
أو شد أصل عقده	أو سده أو قوره (٣)	
أو طاف بالماء على	جدراته المجدره (٤)	
وتذهب النحل خفا	فأ وتجيء مؤقره	
جوالب الشمع من ال	خمائل المنوره	
حوالب الماذى (٥) من	زهر الرياض الشيره (٦)	
مشدوده جيوبها	على الجنى مزره	
وكل خرطوم أدا	ة العسل المقطره	
وكل أنف قانيء	فيه من الشهد بره (٧)	
حتى إذا جاءت به	جاست خلال الأدوره (٨)	
وغيبته كالسلا	ف في الدنان المحضره (٩)	
فهل رأيت النحل عن	أمانة مقصره ؟	
ما اقترضت من بقله	أو استعارت زهره	
أدت إلى الناس به	سكرة بسكره	

- (١) الدسكرة: القرية . (٢) العصائب: جمع عصابة .
 (٣) قور للشئ قطعته من وسطه خرقا مستديرا .
 (٤) المجدره: أى المشيدة . (٥) الماذى: العسل .
 (٦) الشميرة: الحسان .
 (٧) البرة: الحلقة فى الأنف .
 (٨) الأدوره: الديار يراد بها الخلايا هنا .
 (٩) السلاف: أفضل الخمر .

وقال أيضاً أحمد شوقي يصف مقبرة توت عنخ آمون وما حوته :

- حقى يا أخت (يُوشع) خبْرينا أحاديث القُرُون الغابرينا (١)
 وقُصِّي من مصارعهم علينا ومن دولاتهم ما تعلمينا (٢)
 فمثلك من رَوَى الأخبار طراً ومن نسب القبائل أجمعينا (٣)
 نرى لك في السماء خضيبَ قرن ولا نحصى على الأرض الطعينا (٤)
 شبت على الثياب شواظ نار ودرت على المشيب رحي طحونا (٥)
 تعنين الموالد والمنايا وتبنين الحياة وتهدمينا (٦)
 فيالكِ هرةً أكلتُ بنيتها وما ولدوا وتنتظر الجنينا (٧)
 أم المالكين بتي (أمون) ليهنك أنهم نزعوا (أمونا)

(١) الخطاب للشمس . وقد أشار الى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ، فقد روى أن يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تقيب قبل فراغه منهم ويدخل السبت ولا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم ، وقد لمح ابن مطروح الى هذه القصة بقوله :

وما أنت الا انس المليحة اذا بدت دجى فإضاء الأفق من كل موضع
 فحدثت نفسى أنها الشمس أشرقت وأنى قد أوتيت آية يوشع

القرون الغابرون الأخيال الماضية .

(٢) قصي : حدثي ، ومنه : « نحن نقص عليك أحسن القصص » مصارعهم : مهالكهم دولاتهم جمع دولة بضم ففتح وهى الداهية يقال : « جاف الدهر بدولاته » أو بدواهيه .

(٣) طرا جميعا دون أن تترك منها شيئا ، نسب القبائل : ذكر أنسابهم .

(٤) الخضاب : اللون بالخضاب ، القرن : حاجب الشمس : الطعين المطمون .

(٥) الشواظ بالضم والكسر : دخان النار .

(٦) المنايا جمع منية وهى الموت .

(٧) الهرة : القطة ، ويقال فى المثل « أعق من الهرة » لأنها تأكل أولادها ، الجنين : الولد ما دام فى الرحم .

ولدت له (المأمين) الدواهي
فكانوا الشهبَ حينَ الأرضَ ليلُ
مشت بمنارهم في الأرض (روما)
ملوكُ الدهر بالوادي أقاموب
فربُّ مصفد منهم وكانت
تقيد في التراب بغير قيد
تعالى الله كان السحر فيهم
عدوا يبنون ما يبقى وراحوا
إذا عمدوا لثائرة أعدوا
وليس الخلدُ مرتبة تلقى
ولكنُ منتهى همم كبار
وسر العبقرية حين يسرى
وآثار الرجال إذا تناهت

ولم تلد له قط. (الأميينا) (١)
وحين الناس جدُّ مضللينا
ومن أنوارهم قبست (أثينا) (٢)
على (وادي الملوك) محجبينا (٣)
تساق له الملوك مصفدينا (٤)
وحلَّ على جوانبه رهينا
أليسوا للحجارة منطقينا (٥)
وراء الآبداتِ مغلدينا
لها الإلتقان والخلق المتينا
وتؤخذ من شفاه الجاهلينا
إذا ذهبتُ مصادرها بقينا
فينتظم الصنائع والفنونا
إلى التاريخ خير الحاكمينا

(١) أشار للخليفتين ، الأمين والمأمون ، وقد اختار المأمون لأنه كان أفضل بنى العباس حزما وعلما ورأيا ودهاء وهيبة وشجاعة ، أى ولدت له أبناء صاروا ملوكا وكانت صفاتهم فى الملك كالصفات التى عرفناها فى المأمون . (٢) روما عاصمة أيضا قبست أخذت ، أثينا عاصمة اليونان ، وفيه إشارة الى ما أخذه الامم الغابرة عن المصريين من العلوم والحضارة . (٣) وادى الملوك هو الشاطئ الغربى للنيل بالاقصر على مسيرة نصف ساعة تقريبا وهو هضاب صلبة بها مقابر الملوك فراعنة مصر من الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها وقد كانوا يبالغون فى العناية بها وابقائها الى حد يفوق الوصف . (٤) مصفدين مقيدين : يصف فراعنة مصر فى مقرهم الأخير ، وهو مقام يتساوى فيه الملوك والسوقة . (٥) منطقيين اليسوا هم الذين أنطقوا الحجارة ويريد أنهم أتشأوا من الأبنية ما يدل على عظمة نشأتهم دلالة النطق على معناه وأشهر هذه الأبنية الهرمان القائمان بجانب الجيزة وهما عن أعجب ما بنى البناة وفيهما دليل على أن المصريين القدماء كانوا أعلم الأمم القاطبة بفن العمارة وهندستها وقد توالى الدهر عليهما فلم ينل منهما مر الحوادث وعصف الرياح وهطل السحاب .

- وَأَخَذَكَ مِنْ فَمِ الدُّنْيَا ثَنَاءً وتركك في مَسَامِعِهَا طُنِينًا (١)
 فغَالِي فِي بَنِيكَ الصَّيْدَ غَالِيًا فقد حُبَّ العَلْوُ إِلَى بَنِينَا (٢)
 شَبَابٌ قَنَعٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ وبورك في الشَّبَابِ الطَّامِحِينَا (٣)
 فَنَاجِيهِمْ بَعْرَشَ كَانَ صَنُوءًا لعرشك في شَبِيبَتِهِ سَنِينَا (٤)
 وَكَانَ العِزُّ حَيْلَتَهُ وَكَانَتْ قَوَائِمُهُ الكِتَابُ وَالسَّفِينَا
 وَتَاجٌ مِنْ فَرَائِدِهِ (ابْنُ سَيْتِي) ومن خَرَزَاتِهِ (خُوفُو) وَ(مِينَا) (٥)
 عِلَا خَدًّا بِهِ صَعْرٌ وَأَنْفَا تَرَفَعُ فِي الحَوَادِثِ أَنْ يَدِينَا (٦)
 وَاسْتُ بَقَائِلَ ظَلَمُوا وَجَارُوا عَلَى الأَجْرَاءِ أَوْ جَلَدُوا القَطْمِينَا (٧)
 فَإِنَّا لَمْ نَوَقِّ النَقْصَ حَتَّى نَطَالِبُ بِالكَمَالِ الأَوَّلِينَا (٨)
 وَمَا (البَسْتِيلُ) إِلَّا بِنْتُ أَمْسٍ وَكَمْ أَكَلَّ الحَدِيدُ بِهَا سَجِينَا (٩)

- (١) الطنين صوت الذباب والطنست والناقوس ونحو ذلك .
 (٢) الصيد جمع أصيد وهو الرجل يرفع رأسه كبرا وعجبا ولا يلتفت من زهوه يمينا وشمالا ، فقد حب بضم الحاء أى فقد حب .
 (٣) قنع أى قانعون لا يطلبون شيئا وراء ما بلغوا ، الطامحون المتفانون فى طلب المعالى . (٤) الصنوء : الأخ الشقيق والأبن ، السنين بفتح السين من يكون فى سنك . (٥) ابن سىتى : هو رمسيس الثانى المعروف بسوزستريس ويلقب بالأعظم لأنه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة وطالت مدة حكمه وكثرت فيها الآثار المصرية وتزايدت العمارات حتى لا يكاد يوجد بوادى النيل أثر من الآثار القديمة والعمائر المشهورة الا وعليه اسمه ورسمه وولى الملك صغيرا فى حياة والده ، وقد تربي على الشجاعة والحماسة وأراد أبوه أن يعلمه افتتاح الأهوال فأرسله فى جيش الى بلاد الشام وكان عمره عشر سنين فغزاها حتى أدخلها تحت الطاعة وله حروب عظيمة ثم حارب فى جملة فتوح وبخاصة فى آسيا الشمالية وكان فى أيامه (بنتاوعر) الشاعر المصرى وله فيه عدة مدائح يصفها بها شجاعته واقدامه (٦) علا خذا أى ذلك التاج والصعر أن يميل الرجل بخده عن الناس تهاونا أو كبرا . (٧) القطمين الخدم أى أنه لا يجارى بعض المؤرخين الذين يزعمون أن الملوك الفراعنة كانوا يظلمون الأجراء ويجلدون الخدم ليسخروهم فى انشاء تلك الأبنية . (٨) لم نوق النقص أى لم نحفظ منه . (٩) البستيل : سجن يرجع تاريخ أنشائه الى عهد شارل الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩ وفى هذا السجن ذاق رجال العلم والفضل فى فرنسا أشد أنواع العذاب أيام الاستبداد فكم هلك فيه فيلسوف =

- وربة بيعة عزت وطالت بناها الناس أمس مسخرينا (١)
 مشيدة لشافى العمى (عيسى) وكم سمل القسوس بها عيوننا (٢)
 خليلى اهبطا الوادى وميلا إلى غرّف الشموس الغاربينا (٣)
 وسيرا فى محاجرهم رويداً وطوفا بالمضاجع خاشعينا (٤)
 وخصاً بالعمار وبالتحايا رفات المجد من (توتنخمينا) (٥)
 وقبراً كاد من حُسنٍ وطيب يضىء حجارة ويضوع طينا (٦)
 يخال لروعة التاريخ قُدت جنادله العلا من (طور سينا) (٧)
 وكان نزيله بالملك يدعى فصار يُقَلَّب الكنز الثمين (٨)
 وقوما هاتفين به ، ولكن كما كان الأوائل يهتفوننا (٩)
 فم جلالة قرت ورامت على مرّ القرون الأربعينا (١٠)
 جلال الملك أيامٌ وتمضى ولا يمضى جلال الخالديننا (١١)

= عظيم وفنى بين جدرانها المظلمة مصلح كبير ، وكم من سياسى جنى عليه
 لخير بلاده فدخله حيا وفارقه ميتا وقد كره الفرنسيون (البستيل)
 واسم (الباستيل) وعدوه مستقر الظلم ومعهد العسف والقسوة فلم
 يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان أول غرضهم (البستيل) فهدموا
 واقتلعوا أصوله وأخذت أحجاره فجعلها النسوة عقودا يتحلين بها فى
 أمكنة اللآلىء إشارة الى غلبة الأمة على الظلم وانتقامها من الظالمين .
 (١) البيعة بكسر الباء معبد النصارى مسخرين : أى كلفوا عملهم
 بلا أجره . (٢) سمل العين فقاها بحديدة محماة وقلعها .
 (٣) يريد بالشموس الفاريننا ملوك الفراعنة ، وغرفهم مدافنهم .
 (٤) المحاجر ما يحميه الملوك حول منازلهم ومنها محاجر أقبال اليمن
 وهى أحماؤهم أى ما كان يحميه كل منهم . (٥) العمار التحية وهو
 أيضا الريحان يزبن به مجلس الشراب . (٦) يضوع يتحرك وينتشر
 أى كادت حجارتها تضىء حسنا وكادت تنتشر رائحته الطيبة الزكية .
 (٧) الروعة المسحة من الجمال ، الجنادل جمع جندل وهو الحجارة
 وطورسينا هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى . (٨) النزىل الضيف .
 (٩) هاتفين به أى الملك الذى هو نزىل القبر وليكن هتافكما كما
 كانوا يهتفون له أيام حياته . (١٠) فثم : فهناك الجلالة من عظم القدر ،
 ورامت أقامت . (١١) أى أن الجلال الصحيح ما خلد به فى التاريخ
 أما جلال الملك فلا بقاء له .

وقولا للنزِيل «قُدوم سعد»	وحيا الله مقدمك اليميننا (١)
سلامٌ يوم وارتك المنايا	بوادها ويوم ظهرت فينا (٢)
خوجت من القبور خُروج عيسى	عليك جلالة في العالمينا (٣)
يجُوبُ البرق باسمك كل سهل	ويخترق البخارُ به الحزونا (٤)
تعال اليوم خبرنا أكانت	نواك سناتِ نومٍ أم سنينا؟ (٥)
وماذا جُبت من ظلمات ليلٍ	بعيد الصبح يُنضي المدلجينا (٦)
وهل تبقى النفوسُ إذا أقامت	هياكلها وتبلى إن بلينا؟
وما تلك القباب وأين كانت	وكيف أضل حافرها القرونا؟ (٧)
ممرّدة البناءِ تختالُ بُرجاً	ببطن الأرضِ محطوطاً دفيناً (٨)
تغطي بالأثاث فكان قصرًا	وبالصور العتاق فكان زونا (٩)
حملت العرشَ فيه فهل ترجى	وتأمل دولة في الغابرينا؟ (١٠)
وهل تلقى المهيمن فوق عرش	ويلقاه الملا مترجلينا؟ (١١)
وما بال الطعام يكاد يقدى	كما تركته أيدي الصانعينا (١٢)

- (١) اليمين المبارك وهو من اليمن . (٢) وارتك اخفتك .
 (٣) خروج عيسى أى كما خرج عيسى من القبر على قول النصارى .
 (٤) يجوب يقطع والبرق اسم منقول من معناه الأصلى (التلغراف)
 الحزون جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض . (٥) تعالى اليوم الخ
 الخطاب لتوت عنخ آمون ، نواك قصدك . (٦) ينضي يهزل المدلجون
 الذين يسيرون من أول الليل . (٧) وما تلك القباب جمع قبة وهى
 ما ظهر من أبنية المقبرة الفخمة . (٨) ممرّدة البناء مملسته . (٩) تغطي
 أى هذا البناء تغطي الخ والأثاث متاع البيت ، والصور جمع صورة
 يريد بها الرسوم التى تحاكي صور الأشياء ، الزون الموضع تجمع فيه
 الأصنام . (١٠) فى الغابرين فى الباقين وفى القرآن الكريم « فأنجيناه
 وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين » ويكون أيضا بمعنى الماضين فهو من
 الكلمات التى تستعمل للأضداد . (١١) المهيمن من أسماء الله تعالى ،
 والمترجلون الذين ينزلون عن ركائبهم ويمشون على أرجلهم .
 (١٢) ما بال الطعام ما حاله ، يقدى من قدى الطعام أى طاب
 طعمه ورائحته .

- لم تكُ أمس تصبر عنه يوماً فكيف صبرت أحقاباً ومئيناً؟ (١)
 لقد كان الذي حذر الأولى وخاف بنو زمانك أن يكونا (٢)
 يحبُّ المرءُ نبش أخيه حياً وينبشه ولو في الهالكينا
 سلك من الحفائر قبل يومٍ يسلم من التراب الهامدينا (٣)
 فإن تكُ عند بعثٍ فيه شكٍ فإن وراءه البعث اليقيننا (٤)
 ولو لم يعصموك لكان خيراً كفى بالموت مُعتصماً حصيننا (٥)
 يُضِرُّ أخو الحياةٍ وليس شيءٌ بضائره إذا صحب المنونا

وقال على بن محمد التنوخي واصفاً مكتوباً :

وصحيفة ألقاها في النظم كالدرِّ النثيرِ
 جاءت إلى كأنها التذوق في كل الأمور
 بأرق من شكوى وأحس من حياة في سرور
 لو قابلت أعمى لأصعب ح وهو ذو طرف بصير
 وكأنها أملٌ تحقق به د يأس في الصدور
 أو كالفقيد إذا أتت بقدمه بشرى البشير
 أو كالمنام لساهر أو كالغنى عند الفقير
 أو كالشفاء لمدنيٍّ أو كالأمان لمستجير
 وكأنما هي من وصا ل أو شباب أو نشور

- (١) الأحقاب جمع حقب بضم القاف وهو الدهر ، المئين جمع مائة
 (٢) لقد كان أى لقد حصل الذي حذر الأولى ، والأولى جمل أول .
 (٣) سللت أخرجت منها برفق الحفائر جمع حفيرة وهى الحفرة ،
 واليوم الذى يسلم الهامدين من التراب هو يوم القيامة . (٤) فان تك
 عند بعث الخ أى فان تكن الآن تشك في هذا البعث الذى خرجت به من
 قبرك فلا محالة سيأتى البعث الذى لا تشك فيه وهو بعث القيامة .
 (٥) يعصموك ينعونك من المكروه أى لو أنهم تركوك فلم يتخذوا لك
 هذه العصمة لما أصابك مكروه لأن الموت يمنع الأذى أن يصل وجلاء هذا
 المعنى فى البيت الثانى .

لفظ. كَأَسْرَ معاند أو مثل إطلاق الأسير
 وكَأَنَّ إِذْ لَاحَ من فوق المهارق والسُّطور
 ورُدُّ الخُدود إِذَا انتقلت به على راح الثغور
 غررٌ عدت وكأَنَّها من طلعة الظبي الغرير
 من كل معنى كالسلامة أو كتييسير العسير

وقال أيضاً واصفاً الخط. والكتابة والبلاغة :

خط. وقرطاص كأنهم ما السوالف والشعور
 في كل معنى كالغنى يحويه محتاجٌ فقير
 أو كالفكاك يناله من بعد ما يأس أسير
 وكأَنَّها الإقبال جاء به من الشفاء أو النشور
 وكأَنَّها شرح الشباب وعيشة الخضل التضيير

وقال البحرى فى الموضوع نفسه :

وإذا دجت أقلامه ثم انتحت برقب مصابيح الدُّجى فى كتبه
 فاللفظ. يقرب فهمه فى بعده مناً ويبعد نيله فى قرينه
 فكأنها والسمع معقود بها شخص الحبيب بدأ لعين محبه

وقال الوزير المهلبى فى وصف كتاب :

ورَدَ الكتاب مبشراً نفسى بأنواع السُّرور
 وفضضته فوجده ليلا على صفحات نور
 مثل السوالف والخدو د البيض زينت بالشفور
 أنزلته منى بمنزلة القلوب من الصدور

وقال النجم بن إسرائيل يصف الموز :

أطعمته موزاً شهياً المنظر مستحکم النضج ، لذيد المخبر
كأن تحت جلده المزعفر لفات زبد ، عجنت بسكر
وقال البهاء زهير يصف الموز أيضاً :

في ريحه ، ولونه ، وطعمه كالمسك ، أو كالتبر أو كالضرب
وافت به أطباقه منضداً كأنه مكاحل من ذهب
وقال آخر :

يحكى إذا قشرته أنياب أفيال صغار
ذو باطن مثل الآفا ح ، وظاهر مثل البهار (١)
الكمثرى :

وكمشاء بستان شهى الطعم والمنظر
له طعم إذا ذيق كما الورد والسكر
كأن في شكله ، ولونه وطعمه قوالب من سكر

التفاح - قال ابن المعتز :

كأنما التفاح لما بدا يرفل في أثوابه الحمر
شهد بما الورد مستودع في أكر من جامد الخمر (٢)
كأنما حين نجا به نستنشق الند من الجمر (٣)

الخوخ :

كأنما الخوخ على دوحه وقد بدا أحمره العندى (٤)
بنادق من ذهب أصفر قد خضبت أنصافها بالدم

(١) الأقاح الأقحوان وهو نبت طيب الريح حواليسه ورق ابيض ووسطه اصفر والبهار نبت اصفر طيب الريح . (٢) الاكر : جمع كرة وهى لفة فى الكرة .
(٣) الندى : طيب . (٤) العندم : صبغ احمر .

وخوخة بستان ذكى نسيماها من المسك والكافور قد كسبت نشرها (١)

ملبسة ثوباً من التبر نصفه مصوغٌ ، وباقيه كياقوتة حمرا

المشمش :

ومشمش جاءنا من أعجب العجب أشهى إلى من اللذات والطرب

كأنه وهبوبُ الريح ينثره بنادقُ خرطت من خالص الذهب

وقال محيي الدين بن عبد الظاهر :

حبذا الشمس على الدوح أضحى ذا شعاع يستوقفُ الأبصارا

شجر أخضرُ لنا جعل اللد «تعالى» منه كما قال نارا (٢)

الرمان :

رمانه صبغ الزمان أديمها فتبسمت في ناضر الأغصان

فكأنما هي حُقة من عسجد قد أودعت خرزاً من المرجان

غيره - كأنما حقة ، فإن فتحت فصرت من فصوص ياقوت

غيره - حقاق كأمثال العقيق تضمنت فصوص بلخش في غشاء حرير (٣)

غيره - إذا فض عنه قشره فكأنه فصوص عقيق في حقاق من الدر

فدرٌ ، ولكن لم يدنسه عارض وماء ولكن في مخازن من جمر

النخيل ، والبلح :

كان النخيل الباسقات وقد بدت لناظرها حسناً قباب زبرجد (٤)

وقد علقمت من حولها زينة لها قناديل ياقوت بأمراس عسجد

وقال السرى الرفاء المتوفى سنة ٥٣٦٦ هـ :

(١) نشر : رائحة طيبة . (٢) يشير الى قوله تعالى : (انذى

جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) (٣) البلخش : حجر معدنه بنواحي

بلخشان المتاخمة للتركستان ، احمره يشبهه الياقوت . (٤) بسق

النخل : طال .

- فالنخلُ من باسق فيه وباسقة
يضاحك الطلعُ في قنواته الرُّطباً (١)
- أضحت شماریخه فی البحر مُطلعةً
إما ثریاً ، وإما معصماً خَضِيباً (٢)
- تُریك فی الظلِّ عقیاناً فإن نظرت
شمس النهار إلیها خلتها لها (٣)
- وقال آخر فی البلح الأخضر :
- أما ترى النخل قد نثرت بلحاً
جاء بشیراً بدولة الرُّطب
- مكاجلاً من زمرّد خرطت ،
مقمعات الرؤوس بالذهب (٤)
- وفی البلح الأحمر :
- انظر إلی البُسر قد تبدی
ولونه قد حکى الشقیقا (٥)
- كأنما خصه علیه
زبرجدٌ مُثمرٌ عقیقا
- البطیخ :
- رأيتها فی كف جلابها
وقد بدت فی غاية الحسن
- كسلة خضراء مختومة
على القصوص الحمر فی القطن
- وقال أبو طالب المأمونی :
- ومُبیضة فیها طرائق خُصرة
كما اخضرَّ مجرى السیل صیب المزن (٦)
- كحقة عاج ضببت بزبرجد
حوت قطع الیاقوت فی عصب القطن (٧)

(١) الطلع ما يطلع من النخلة ثم يصير تمرا ان كانت أنثى ، فان كانت ذكراً لم يصير تمراً بل يؤكل طریاً ، أو يتسرك على النخل ایاما حتى يصیر فیهِ شیء أبيض مثل الدقیق فتلقح به الأنثى ، والقنوان : جمع قنوه وهو التمر كالعنقود من العنب . (٢) المعصم موضع السوار أو الید وهو المراد هنا . (٣) العقیان : الذهب الخالص . (٤) مقمعة ذات قمع وهو ما الترق بأعلى التمرة . (٥) البسر : البلح قبل أن یرطب فاذا انتهى نضجه فرطب . والشقیق نبت أحمر فیهِ بقع سوداء . (٦) انصیب : المطر ، والمزن السحاب أو أبيضه . (٧) التضییب : شدة القبض على شیء لئلا ینفلت ای كأنها محباسة بخيوط الزبرجد تمسكها ، والعصب جمع عصبه ، ما یعصب به ای ضرر من القطن .

وقال سبط بن التعاويذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ :

رَبِّ صَفْرَاءِ أَتْنَا وَهِيَ فِي أَحْسَنِ حُلَّةٍ
تَعْتَرِيهَا صُفْرَةٌ فِي لَوْنِهَا مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ
حُلْوَةُ الرِّيقِ ، حَلَالٌ دَمِهَا فِي كُلِّ مِلَّةٍ
نِصْفُهَا بَدْرٌ ، فَإِنْ قَسَمْتَهَا فِيهِ الْأَهْلَهُ

غيره : أَلَا فَانظُرُوا الْبَطِيخَ وَهُوَ مُشَقَّقٌ
تَرَوُهُ كَبَلِيرٍ بَدَأَ فِي زُمُرْدٍ

وقال السري الرفاء في العنب :

وَالكُرْمُ مُشْتَبِكُ الْأَفْنَانِ ، تَوَسَّعْنَا
فَكَرْمَةٌ قَطَرَتْ أَغْصَانَهَا سَبْجًا
كَأَنَّهَا الْوَرَقَ الْمَخْضَرُ دُونَهُمَا
أَجْناسه في تساوي شِئْرِهَا عَجْبًا (١)
وَكَرْمَةٌ قَطَرَتْ أَغْصَانَهَا ذَهَبًا (٢)
غَيْرَانُ يَكْسُوهُمَا مِنْ سِنْدَسٍ حُجْبًا

قصب السكر :

تَحْكِيهِ سُمُرُ الْقَنَا وَلَكِنْ
وَكَلَّمَا زِدْتَهُ عَذَابًا
تَرَاهُ فِي جِسْمِهِ طَلَاوَهُ (٣)
زَادَكَ مِنْ رَيْقِهِ حَلَاوَهُ

النبق :

وَسِدْرَةٌ كُلُّ يَوْمٍ مِنْ حُسْنِهَا فِي فَنُونٍ (٤)
كَأَنَّهَا النَّبِقُ فِيهَا
جَلَّاجِلٌ مِنْ نُضَارٍ
وقد بدا للعيون
قد عُلقَتْ فِي الْغُصُونِ

(١) الأفنان : الأغصان ، والشرب : الماء . (٢) السبيح : خرز أسود . (٣) الطلاوة مثلثة الطاء : الحسن . (٤) السدرة : شجرة النبق .

الجزر : قال ابن المعتز :

انظر إلى الجزر الذي يحكى لنا لهب الحريق
كمنذبة من سندس ولها نصابٌ من عقيق

وقال ابن رافع القيرواني :

انظر إلى الجزر البديع كأنه في حُسْنِهِ قُضِبٌ من المرجان
أوراقه كزبرجد في لونها وقلوبه صِيغَتْ من العقيان (١)

اللوز الأخضر : قال ظافر الحداد :

كأنما قلوبه من توأم ومُفَرِّدٍ
جواهرٌ لكنا الأصداف من زبرجد

التين : قال ابن المعتز :

أنعم بتين طاب طعماً ، واكتسى في بُرْدِ ثلج ، في نقا تبر ، وفي
حُسْنًا ، وقارب منظرًا من مخبر ريح العبير ، وطيبُ طعم السكر (٢)
يحكى إذا ما صُفِّ في أطباقه خيا ، ضربن من الحرير الأحمر

الفسق :

والقلب ما بين قشريه يلوح لنا كالكسِنِ الطيرِ من بين المناقيرِ
غيره : زبرجدة خضراء وسط حريرة بحقَّةِ عاجٍ في غلافٍ أديم (٣)
غيره : زبرجدة ملفوفة في حريرة مضمَّنةٌ ذُرا مغشى بياقوت

النارنج : قال ابن المعتز :

وكأنما النارنج في أغصانه من خالص الذهب الذي لم يُخلط (٤)

(١) العقيان : الذهب الخالص . (٢) العبير اخلاط من الطيب ،
ونقا مقصور نقاء . (٣) الأديم الجلد أو أحمره ، وهو المراد هنا .
(٤) النارنج : نوعان أحدهما حامض معروف والأخر حلو وهو
« البرتقال » .

كِرَّةَ رماها الصولجانُ إلى الهوا
غيره : انظر إلى منظر تلهيك بهجته
فتعلقت في جَوْهٍ لم تَسْقُطِ .
بمثله في البرايا يُضْرَبُ المثلُ
لا النار تطفى ، ولا الأغصان تشتعل
وقال أبو الحسن الصقلي :

إذا مِيلَتْها الرِّيحُ مالت كأكرة
الليمون : قال ابن المعتز :

يا حبذا ليمونةٌ تحدث للنفس الطرب
كأنها كافورة لها غشاء من ذهب

القلم - قال ابن المعتز يصفه : القلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدم
الإرادة ، ولا يَمَلُّ استزادة ، يسكت واقفاً ، وينطق سائرا ، على أرض بياضها
مُظلم وسوادها مضيء ، وكأنه يُقبَلُ بساط سلطان ، أو يفتح نواراً (١) بستان .
وقال علي بن عبيد : القلم أصمُّ يسمع النجوى (٢) ، أعيا من باقل ،
وأبلغ من سُحبان وائل ، بجهل الشاهد ، ويخبرُ الغائب ، ويجعل الكتب
بين الإخوان ألسناً ناطقة ، وأعيناً لاحظة ، وربما ضمنتها من ودائع القلوب
ما لا تبوح به الألسن المشاهدة .

ومن كلام أبي حفص بن بُرد الأندلسي : ما أعجب شأن القلم !
يَشْرَبُ ظلمة ، ويلفظ نوراً ، وقد يكون قلم الكاتب أمضى من شبة (٣)
المحارب ، وهو سهم ينفذ المقاتل ، وشفرة (٤) تطيح بها المفاصل .

وقال محمود بن أحمد الأصبهاني :

أخرسٌ يُنبِّيك بإطراقِهِ عن كل ما شئت من الأمر (٥)

(١) نوار : الزهر أو الأبيض منه . (٢) النجوى : السر .
(٣) الشبابة : حد كل شيء (٤) شفرة : سكين (٥) أطرق :
أرعى عينيه ينظر إلى الأرض .

يُنْرِفُ عَلَى قِرْطَاسِهِ دَمْعَةً يُبْدِي بِهَا السَّرَّ وَمَا يَنْدِرِي (١)
 كعاشق أخفى هواه ، وقد نمت عليه عبرة تجرى
 تبصره في كل أحواله عريان يكسو الناس أو يُعْرِي
 يبرى أسيراً في دواة وقد أطلق أقواماً من الأسر
 أحرق ، لو لم تبهره لم يكن يرشق أقواماً وما يببر (٢)
 كالبحر إذ يجرى ، وكالليل إذ يغشى ، وكالصارم إذ يفري

وقال أحمد بن عبد ربه المتوفى سنة ٢٢٨ هـ :

يُخَاطِبُ الْغَائِبَ الْبَعِيدَ بِمَا يَخَاطِبُ الشَّاهِدَ الَّذِي حَضَرَ
 شَخْتُ ضَيْلٍ لِفَعْلِهِ خَطْرٌ أعظم به في مليمه خطراً (٣)
 تمج فكاه ريقه صغرت وخطبها في القلوب قد كبرا
 بواقع النفس منه ما حذرت وربما جنيت به الحذرا
 مهفهفٌ تزدهى به صُحْفٌ كأنما حليت به دُرّاً

ولابن المعتز في قلم الوزير القاسم بن عبيد الله :

قَلَمٌ مَا أَرَاهُ ، أَمْ فَلَكَ يَجِ رى بما شاء «قاسم» ويسير ؟
 خَاشِعٌ فِي يَدَيْهِ يَلْتَمُ قِرْطَا ساء كمن قبل البساط شكور
 وَلَطِيفٌ الْمَعْنَى ، جَلِيلٌ ، نَحِيفٌ وكبير الأفعال وهو صغير !
 كَمْ مَنَايَا ، وَكَمْ عَطَايَا ، وَكَمْ حَتْدٌ ف وعيش تضم السطور
 نَقَشْتُ بِاللَّدَجِيِّ نَهَارًا ، فَمَا أَد رى أخط. فيهن أم تصوير ؟

وقال أبو تمام في قلم محمد بن عبد الملك الزيات :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشِبَاهَتِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِيِّ وَالْمَفَاصِلِ

(١) يندري : يصب . (٢) أحرق : أحمق ويبرى يقطع ، وكذا

يفرى . (٣) شخت ضامر دقيق وكذا مهفهف .

لُعَابُ الْأَفْأَحَى الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ
 لَهُ رَيْقَةٌ طَلٌّ ، وَلَكِنْ وَقَعَهَا
 فَصِيحٌ إِذَا مَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ
 إِذَا مَا امْتَطَى الْخُمْسَ لِلطَّافِ وَأَفْرَغَتْ
 أَطَاعَتُهُ أَطْرَافَ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ
 إِذَا اسْتَغْرَزَ الذَّهْنَ الْعَجْلِيَّ وَأَقْبَلَتْ
 رَأَيْتَ جَلِيلًا شَانُهُ (وَهُوَ مُرْهَفٌ
 وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

إِنْ يَخْدُمُ الْقَلَمُ السَّيْفَ الَّذِي خَضَعَتْ
 فَالْمَوْتُ - وَالْمَوْتُ لِأَشْيَاءٍ يُعَالِيهِ -
 كَذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذَّ بَرِيئَةٌ
 وَقَالَ الْمُتَنَبِّي :

وَيَحْتَمِي فَيَقْوَى عَدُوهُ حِينَ يَقْطَعُ (٧)
 وَيَفْهَمُ عَمَّنْ قَالَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ
 قَالَ ابْنُ نَبَاتَةَ السَّعْدِيُّ ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٠٥ هـ :

يَرْنُو إِلَى الْأَفْكَارِ غَيْرَ مَلَاظِمٍ . وَيَخَاطِبُ الْقُرَطَّاسَ غَيْرَ مَحَابِي .
 وَيَعْلَمُ الْآدَابَ أَفْهَامَ الْوَرَى وَفُؤَادَهُ صَفْرَ مِنَ الْآدَابِ
 وَقَالَ مَهْيَارُ الدَّيْلَمِيُّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٢٧ هـ فِي وَصْفِ الدَّوْلَةِ وَالْأَقْلَامِ :

- (١) الْأَرَى : الْعَسَلُ . اسْتَشَارَهُ اجْتِنَاهُ : الْعَوَاسِلُ جَمْعُ عَاسِلَةٍ الَّتِي تَشْتَارُ الْعَسَلَ وَتَجْمَعُهُ .
 (٢) الطَّلُّ أَخْفَى الْمَطَرِ . وَالْوَابِلُ الْمَطَرُ الشَّدِيدُ الضَّخْمُ الْقَطْرِ .
 (٣) أَعْجَمٌ : لَا يَبِينُ كَلَامَهُ ، رَاجِلٌ : وَقَفٌ : (٤) الشَّعَابُ جَمْعُ شَعْبَةٍ ، وَهِيَ مَا عَظُمَ مِنْ حَوَافِي الْأَوْدِيَةِ وَالْمَيْلِ فِي الرَّمْلِ . وَحَوَافِلُ : مَلَأَى .
 (٥) اسْتَغْرَزَ : طَلَبَ مَا فِيهِ مِنْ مَادَّةٍ غَزِيرَةٍ .
 (٦) مُرْهَفٌ دَقِيقٌ مَرَقِقٌ . ضَنْئِي مَرَضٌ يَلْزَمُهُ الْفَرَاشُ عَلَى الْمَوْتِ .
 (٧) الشَّوَى : الْأَطْرَافُ وَجِلْدَةُ الرَّأْسِ .

وأم بنين استبطنتهم فصدرها غصيض بهم عند الحضان كظيم
يعقونها بالضغط ، وهي عليهم عطوف بدرات الرضاع رءوم (١)
يخال الأفاعى الرقش ماضم منهم حشاها ، وهم فيها أخ وحميم (٢)
فمن ذى لسان مفصح وهو أخرس ومن بائح بالسر وهو كتوم
وقال أبو الفتوح البستي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ :

إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم وعدوه مما يكسبُ المجد والكرم
كفى قلمُ الكتاب عزاً ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقال أعرابي من بنى الحرث بن كعب ، يصف الشمس :

مخبأة ، أما إذا الليلُ جنبها فتخفي ، وأما بالنهار فتظهر (٣)
إذا انشق عنها ساطع الفجر وانجلي دُجى الليل وانجاب الحجاب المستر (٤)
والبس عرض الأرض لونها كأنه على الأفق الشرقى ثوبٌ معصر
تحلت ، وفيها حين يبدو شعاعها ولم يحل للعين البصيرة منظر
بلون ، كدرع الزعفران يشوبه شعاع تلالاً ، فهو أبيض أصفر
إلى أن علت وبيض منها اصفرارها وجلت الآفاق ضوءاً ينيرها (٥)
ترى الطل يطوى حين تعلق وتارة فخر لها صدر الضحى يتسعر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها تراه إذا مالت إلى الأرض ينشر
كما بدأت ، إذ أشرقت ، في مغيبها يبين إذا غابت لمن يتبصر (٦)
فأفنت قروناً ، وهي في ذلك لم تنزل تموت وتحيا كل يوم وتنشر (٧)

(١) الدر اللبن ، رءوم عطوف . (٢) الرقش جمع رشاء وهي الحية المنقطة بسواد وبياض والحميم القريب . (٣) جنبها : سترها .
(٤) انجاب : انكشف . (٥) المهيج : المفزع . (٦) دنفت الشمس : دنت الغروب واصفرت .
(٧) تنشر : تحيا .

وقال الطغرائي يصف طلوع الشمس وغروب البدر :

وكأنما الشمس المنيرة إذا بدت والبدر يجنح للغروب وما غرَب
متحاربان لذا مجنُّ صاغه من فضة ، ولذا مجنُّ من ذهب

وقال ابن خفاجة الأندلسي المتوفى سنة ٥٢٢ يصف غروبها في نهر :

وقد ولت الشمس محتثة إلى الغرب ترنو بطرف كحيل (١)
كأن سناها على نهره بقايا نجيع بسيف صقيل (٢)

وقال ابن طاهر الكرخي أيضاً :

أما ترى الأفق كيف قد ضرب الغيمُ عليه من مزنه قُبيا ؟
وحاجبُ الشمس من رفارفها يضرم فيها بنوره لهبا (٣)
كأنه فضة مطرقة أطرافها قد تطوَّستُ ذهباً (٤)

وقال ابن مكي أيضاً :

كأن الشمس إذا غربت غريق هوى في البحر أو وافى مغاصا
فاتبعها لَهلال على غروب بزورقه ، يريد لها خلاصا

وقال عبيد العزيز القرطبي أيضاً :

إني أرى شمس الأصيل علية ترتاد من نحو المغرب مغربا
مالت لتحبجَ شخصها فكأنها مدت على الدنيا بساطاً مُذهباً

وقال ابن الرومي أيضاً :

وقد طفلت شمس الأصيل ونفضت على الجانب الغربي ورساً مذعدعا (٥)
ولاحظت النوار وهي مريضة وقد وضعت خدّاً على الأرض أضرعاً (٦)

(١) محتثة مسرعة : ترنو تديم النظر . (٢) سناها ضوءها والنجيع دم يضرب إلى السواد . (٣) رفارفها : جوانبها . (٤) مطرقة مضروبة بالمطرقة ، وتطرست : تزينت . (٥) طفلت الشمس احمرت عند الغروب ونفضت ثنرت . والورس نبات أصفر والمذعدع المبدد والمفرق . (٦) أضرعاً : ذليلاً .

كما لحظت غَوَّادَه عين مُدثف . توجَّع من أوصابه ما تَوَجَّعا (١)
وقال ابن أفلاج من قصيدة طويلة في الموضوع نفسه :

والشمس خافضة الجناح مُسِفَةٌ (٢) في الغرب تنسابُ انسيابَ الأَرَقَطِ (٢)
أو كالعروس بدت فأسدل دونها جنبات سبر كالجساد مُخَطَطِ (٣)
وأنى الظلام على الضياء كما أتى أجلٌ على أمل ، فلم يَتَأَبَّطِ .
وقال أيضاً شاعر العراق الكبير الأستاذ معروف الرصافي :

نزلت تجرى إلى الغروب ذيولاً صفراء تشبه عاشقاً متبولاً (٤)
تهتز بين المغيب كأنها صبُّ تلمل في الفراش عيلاً
ضحكت مشارقها بوجهك بكرة وبكت مغاربا الدماء أصيلاً
وغدت بأقصى الأفق مثل عرارة عطشت فأبدت صفرة وذيولاً (٥)
غرُبت فأبقيت كالشواظ عقيبها شفقاٌ بحاشية السماء طويلاً (٦)
شفقٌ يرُوع القلب شاحبٌ لونه كالسيف صَمَّخَ بالدماء مَسْلُولا
وقتٌ أعاليه وأسفله الذي في الأفق أشبع عُصْفُراً محلولا
وقال ابن المعتز يصف الهلال :

انظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر
غيره : وكان الهلال نصف سوار والثريا أكفّ تشير إليه
غيره : فحُ بوسطِ السماء مُلتي ينتظر الصيد للنجوم
غيره : انظر إلى حُسن هلالِ بدا يهتك من أنواره الحنديسا (٧)
كمنجل قد صيغ من فضة يحصدُ من دهر الدجى نرجسا

(١) الأوصاب الأمراض . (٢) مسفة من أسف الطائر اذا دنا من الأرض في طيرانه وحية رقطاء وهي التي لونها أسود يشوبه بياض أو عكسه .
(٣) الجساد الزعفران . (٤) متبول : ذاهب العقل .
(٥) العرار نبت طيب الريح . (٦) الشواظ اللهب لا دخان فيه .
(٧) يهتك يمزق ومن في كلمة (من أنواره) بمعنى الياء ، والحنديس الظلمة .

غيره : يتلو الثريا كفاغرِ شره
 غيره : في ليلة أكل المحاق هلالها
 غيره : قلت لما هوت لمغربها الشمس
 أقرض الشرق ضده الغرب ديننا
 وقال ابن طباطبا :

وكان الهلال لما تبدى
 أو كقوس قد أحنيت أو كذوى
 شطر طوق المرآة ذى التذهيب
 أو كنون مهرق مكتوب (٣)

وقال أبو عاصم البصرى في الهلال والثريا والزهرة :

رأيت الهلال وقد خلفت
 فشبهه وهو في إثرها
 نجوم الثريا الكى تلحقه
 وبينهما الزهرة المشرقه
 فأرسل في إثره بندقه
 بقوس لرام : رمى طائرا

وقال : في اقتران الثريا بالحلال .

فإذا ما تقارنا قلت طوق
 وقال الطغرائى :

فكأنه وكانها في جنبه
 وقال أبو الفضل الميكالى :

كأكرة من فضة مجلوة
 غيره : وكان الهلال تحت الثريا
 غيره : كأنما النجم قرطصيع من ورق
 أو عليها صولجان من ذهب
 ملك فوق رأسه إكليل (٤)
 معلق من هلال الأفق فى أذن (٥)

(١) فاغر : فاتح فاه .

(٢) المحاق ، مثلثة الميم : آخر الشهر والوقف سوار من عاج .

(٣) الذوى الحفير حول الخيمة يمنع السيل ، المهرق : الصحيفة

(معرب) .

(٤) إكليل : التاج . (٥) الورق : بكسر الراء ، الفضة .

وقال شرف الدين الحسين :

كَانَ الْهَلَالُ نَزِيلَ السَّمَاءِ وَقَدْ قَارَنَ الزَّهْرَةَ النَّيِّرَةَ
سَوَارًا لِحَسَنَاءَ مِنْ عَسَجَدٍ عَلَى قُفْلِهِ وَوَضَعَتْ جَوْهَرَهُ

وقال البدر البشتكي في وصف الهلال والنجوم حوله :

ذُبَالَةَ شَمْعٍ عَوَّجَ الرِّيحُ ضَوْءَهَا فَطَارَ لَهَا بِالْقُرْبِ بَعْضُ شَرَارِهِ (١)

وقال علي بن محمد الكاتب :

بَدَا مُسْتَدَقُ الْجَانِبِينَ كَأَنَّ عَلَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ مَخْلَبُ طَائِرٍ
وَلَا لِمَسْرَى لَيْتَيْنِ كَأَنَّمَا تَفَرَّقَ مِنْهُ الْغَيْمُ عَنْ إِثْرِ حَافِرٍ

غيره : وشمر عنه الغيم ذيلًا كأنما

وقال : البدر كالملك الأعلى وأنجمه

ولابن المعتز :

وَكَانَ الْبَدْرُ لَمَّا لَاحَ مِنْ تَحْتِ الثَّرِيَاءِ
مَلِكٌ أَقْبَلَ فِي النَّأ جُ يُفَدَى وَيُحْيَا

وقال في البدر مع الشمس :

حَتَّى رَأَيْتَ الشَّمْسَ تَتَد لَوْ الْبَدْرُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ
فَكَأَنَّهَا قَدْحَانَ مِنْ خَمْرٍ وَمَاءِ
وَكَأَنَّهُ

غيره : والبدر في أفق السماء كدرهم

وللسلامي :

وَالْبَدْرُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ كَرَوْضَةٍ فِيهَا غَدِيرٌ

وللشريف العقيلي :

وَالْبَدْرُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ كَوْرْدَةٍ بَيْضَاءَ تَضْحَكُ فِي رِيَاضِ بِنَفْسِجٍ

(١) الذبالة : الفتيلة . (٢) حلق الطائر : ارتفع في طيرانه .

غيره : وقد برز البدر المنيرُ ووجهه كجامٍ لُجِين فيه آثارُ عنبر (١)

وقال سهل بن المرزبان :

شبهتُ بدر سائها لما دنتُ منه الثريا في قميصِ سندسي

ملكا مهيباً قاعداً في روضة حياهُ بعض الزائرين بنرجس

وقال أبو الوأواءُ الدمشقي يصف البدر طالعاً من خلال السحاب :

والبدر أول ما بدا مُتاثماً يُبدي الضياءَ لنا بخدِّ مُسفر (٢)

فكأنما هو خوذة من فضة قد ركبت في هامه من عنبر (٣)

وقال الشريف الرضي يصف السماء والأرض والليل والبرق :

سماي مُذهبةٌ بالبروق وأرضي مُفضضةٌ بالحجاب

وروضي مطارِفه غصّة تطرّز أطرافها بالذهب

وليل ترى الفجرَ في عطفه كما شاب بعض جناح الغراب

يغار الظلام على شمسِهِ إلى أن يُوارِها بالحجابِ

وتصقل أنجمُهُ العاصفات إذا صدّئت من عمود السحابِ

وقال البتري يصف الغيث :

ذاتُ ارتجازٍ بحنين الرعدِ مجرورة الذيل صدوق الوعد (٤)

مَسفوحة الدمع لغير وجدٍ لها نسيمٌ كنسيم الورد

ورنةٌ مثل زئير الأسدِ ولعُ برق كسيوف الهند

جاءت بها ريح الصبا من نجدِ فانتشرت مثلُ انتشار العقد

فراحت الأرضُ بعيش رغدِ من وشى أنوار الربّي في بُردِ

(١) الجام اناء من فضة . (٢) مضيء : مشرق .

(٣) الخوذة المغفر : زرد ينسج على قدر الرأس ، والهامة الرأس .

(٤) من ارتجز الرعد اذا دمدم .

كَأَنَّهَا غُدْرَاتُهَا فِي الْوَهْدِ يَلْعَبْنَ مِنْ حَبَابِهَا بِالنَّوْرِ (١)
 وَمِنْ قَصِيدَةِ لَيْصِقِ الدِّينِ الْحَلِيِّ يَصِفُ فِيهَا الرَّبِيعَ :

خَلَعَ الرَّبِيعُ عَلَى غُصُونِ الْبَابِ حَلَلًا فَوَاضَلَهَا عَلَى الْكُثْبَانِ
 وَنَمَتْ فُرُوعُ الدَّوْحِ حَتَّى صَافَحَتْ كَفَلَ الْكُثَيْبِ ذَوَائِبَ الْأَغْصَانِ
 وَتَوَجَّتْ هَامَ الْغُصُونِ وَضَرَجَتْ خَدَّ الرَّيَاضِ شَقَائِقَ النِّعْمَانِ
 وَتَنَوَّعَتْ بَسْطِ الرَّيَاضِ فَزَهَّرَهَا مَتَبَايِنَ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ
 مِنْ أَبْيَضٍ يِقُقُّ أَوْ أَصْفَرَ فَاقَعَ أَوْ أَزْرَقَ صَافٍ وَأَحْمَرَ قَانَ
 وَالظَّلُّ يَسْرَعُ فِي الْخِمَائِلِ خَطْوَهُ وَالْغُصْنُ يَخْطُرُ خَطْرَةَ النَّشْوَانِ
 وَكَأَنَّهَا الْأَغْصَانُ سَوْقَ رَوَاقِصِ الشَّمْسِ تَنْظُرُ مِنْ خِلَالِ فُرُوعِهَا
 وَالْأَرْضُ تَعْجَبُ كَيْفَ يَضْحَكُ وَالْحَيَا حَتَّى إِذَا افْتَرَّتْ مَبَاسِمَ زَهْرِهَا
 طَفَحَ السَّرُورُ عَلَى حَتَّى أَنَّهُ يَبْكِي بِدَمْعٍ دَائِمٍ الْهَمَلَانَ
 فَاصْرَفْ هَمُومَكَ بِالرَّبِيعِ وَفَصَلِّهِ وَبِكِي السَّحَابَ بِدَمْعٍ هَتَانَ
 مِنْ عَظْمٍ مَا قَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي نَحْوَ الْحَدَائِقِ نَظْرَةَ الْغَيْرَانَ
 إِنْ الرَّبِيعُ هُوَ الشَّبَابُ الثَّانِي

وله من قصيدة في وصف واد :

تَعَانَقَتْ الْأَغْصَانُ فِيهِ فَأَمْسَلَتْ عَلَى الرَّوْضِ أَسْتَارًا مِنَ الْوَرَقِ الْخَضِرِ
 إِذَا مَا حَبَالَ الشَّمْسُ مِنْهَا تَخَلَّصَتْ إِلَى رَوْضِهِ أَلْقَتْ سِرَاكًا مِنَ التَّبِيرِ

ومن قول أبي الفتح كشاجم في وصف الجمر يعلوه الرماد :

كَأَنَّهَا الْجَمْرُ وَالرَّمَادُ وَقَدْ كَادَ يُوَارِي مِنْ نَارِ النَّوْرَا
 وَرَدُّ جَنِيِّ الْقَطَافِ أَحْمَرَ قَدْ ذَرَّتْ عَلَيْهِ الْأَكْفُ كَافُورَا

(١) النرد لعبة تعرف عند العامة بلعبة « الطاولة » .

ومن قصيدة لأبي الفرج عبد الواحد البيعا في وصف جيش :

قاد الجياد إلى الجياد عوابساً شعثاً ، ولولا بأسه لم تنقداً (١)
 في جحفل كالسيل أو كالليل أو كالقطر صافح موج بحرٍ مُزبدٍ
 ردَّ الظلام على الضحى فاسترجع الـ إظلام من ليل العجاج الأربدِ
 وكأما نغمشت حوافر خيله للناظرين أهلة في جلمدِ
 وكان طرف الشمس مطروف وقد جعل العبار له مكان الأمدِ
 وله من قصيدة في وصف روضة :

مداهن يحملن ظل الندى فهاتيك تبر ، وهذى عقيق (٢)
 تنظم أوراقها دُرْها وتنتثر منها التي لا تطيق
 يميل النسيم بأغصانها فبعض نشاوى وبعض مفيق
 ويوم ستارته غيمه وقد طرّزت رفرفيها البروق
 جعلنا البخور دخاناً له ومن شرر الراج فيه حريق
 تطلُّ به للشمس محجوبةً كأن اصطباحك فيه غبوق
 على شجراتٍ رافعاتٍ الذيو ل ماء الجدال منها شهيق

ومن قصيدة للحسن بن علي بن وكيع في وصف روض :

أسفر عن بهجته الروض الأغر وابتسم الدوح لنا عن الزهر
 أبدى لنا فصل الربيع منظرًا مثله تفتن ألباب البشر
 وشيأ ولكن حاكه صانعه لا لا بتدال اللبس لكن للنظر
 عاينه طرف السماء فانشى عشمًا له يبكي بأجفان المطر
 فالأرض في زى عروس فوقها من أدمع القطر نثار من دُرْ

(١) الأشعث : الأسود

(٢) الطل : المطر الضعيف .

وشئ طواه في الثرى صوانه
حتى إذا ملّ الطيُّ انتشر (١)
وقوله :

انظر إلى زهر الربيع وما جلت
أبدت لنا الأمطار فيه بدائعا
وما شئت للأزهار في صحرائه
وجواهر لولا تغير حسنها
فيه عليك طرائف الأنوار
شهدت بحكمة منزل الأمطار
من درهم بهج ، ومن دينار
جلت عن الأثمان والأخطار (٢)
وله أيضاً :

ألست ترى وشي الربيع المنمنا
فقد حكت الأرض السماء بنورها
فخضرتها كالجو في حسن لونه
فمن نرجس لما رأى حسن نقشه
وأبدى على الورد الجنى تطاولا
وزهر شقيق نازع الورد فضله
وظل لفرط الحزن يلطم خده
ومن سوسن لما رأى الصبغ كله
تجلبب من زرق اليواقيت حلة
وأنوار منشور تخلف شكلها

وما رصع الربيع فيه ونظما (٣)
فلم أدر في التشبيه أيهما السما
وأنوارها تحكى لعينيك أنجما
تداخله عجب به فتبسما
فأظهر غيظ الورد في خده دما
فزاد عليه الورد فضلا وقدا
فأظهر فيه اللطم جمرا مضرما
على كل أنوار الرياض تقسما
فأغرب في الملبوس منه وأحكما (٤)
فصار بها شكل الربيع متمما

وللقاضي محمد بن النعمان في وصف الهلال :

انظر إلى حسن ذا الهلال وقد بدا لست مضين من عمره

(١) الصوان الوعاء الذي يسان فيه الشيء . (٢) جمع خطر ، وهو المثل والتعديل في العلو . (٣) الربيع نسبة الى الربيع والمراد به هنا المطر في الربيع . (٤) أغرب : أتى بشيء غريب .

وقد أطاقت به كواكبه حُسناً فبيته لمعتبره
 مثل زناد قد صيغ من ذهبٍ يقدح ناراً وهُنَّ من شرره (١)
 ثمَّ توَلَّى يريدُ مغربه في شفقِ الشمسِ وهى فى أثرُ (٢)
 فخلتهُ غائصاً ببحر دم يقدفُ بالرائعاتِ من دُرره
 فلم أزل وليلى أراجعه لحظى وأبكى للوقت من قصره
 حتى تبدى الصُّباحُ منتبهاً قبل انتباهِ المخمُورِ من سكره
 ومن قصيدة لسليمان بن حسان الصيبي يصفُ شمعة :

ومجدولة مثل صدرِ القنا ة تعرَّت وباطنها مكتسى
 لها مُقلَّة هى رَوْحٌ لها وتاجُ على الرأسِ كالبرُّنس
 إذا رنقت لنعاسِ عرا وقطعت من الرأسِ لم تنعس (٣)
 إن غازلتها الصُّبا حرَّكت لساناً من الذهبِ الأملس
 وتنتج في وقت تلقيحها ضياء يحلى دُجى الحندس
 فنحن من النورِ فى أسعد وتلك من النارِ فى أنحس
 توقدها نزهة العيو ن ، ورؤيتها مُنية الأنفيس
 تكيد الظلامَ كما كادها فتفى ، وتفنيه فى مَجْلِسِ
 فىا حامل العودِ حث العنا ويا حامل الكأسِ لا تحبس
 ويا صالح (٤) انعم وعش سالماً على الدهرِ فى عزك الأقس (٥)

ولأبى الحسن العقبلى فى وصف الصبح والبرق :

الصبحُ ينشرُ فوق مسك اك الليلِ كافور الضياء
 والبرقُ يُذهبُ ما تفضضه ضه الغيومُ من السماء

(١) الزناد جمع زناد ما تقدح به النار .
 الأفق من الغروب الى قريب من العتمة .
 الممدوح . (٥) الثابت المنيع .
 (٢) الشفق : الحمرة فى
 (٣) كدرت . (٤) اسم

فأشرب على ديباج تَبَسَّتْ قد أحاط بشرب ماء (١)
فالعيش في زمن الربيع رقيق حاشية الرداء
وقال أيضاً في نارنجة :

ونارنجة بين الرياض نظرتها على غصن رطب كتامة أعيد (٢)
وإذا ميلتها الريح مالت كأكرة بدت ذهباً في صولجان زبرجد
ولابن أبي عمرو الطرازي وصف نار :

نار جرت في غابة ترمى العلى بالشهب
كانها جيش وغي فرسانه من ذهب

ولعلي بن لؤلؤ الكاتب في الصبح والليل :
رُبَّ صبحٍ كطلعة الوصل جلى جُنج ليل كطلعة الهجران
زار في حلة البزاة فولى الليل عنه في حلة الغربان
ولأبي العباس الكندي في الندى على البحر :

كان الندى في البحر بحران مائع على مائع هذا على ذلك مطبق
فهذا لجين سابح متفرق وذاك لجين في السماء معلق (٣)
إذا أبصرته الشمس بعد احتجابها به ساعة أبصرته يتمزق

وللسرى بن أحمد الكندي في وصف الفجر من قصيدة :
وركائب يخرجن من غلس الدجى مثل السهام مرقن منه مروقاً (٤)
والفجر مصقول الرداء كأنه جلاب خود أشربته خلوقاً (٥)

(١) الشراب المورد . (٢) النارنجة واحد النارنج وهو شجرة ورقها أملس ليس بشديد الخضرة يحمل حملاً مدوراً في جوفه حماض كحماض الأترج ووردها أبيض في نهاية من طيب الرائحة . (٣) متفرق : متلاىء . (٤) خرجن ونفدن من انجانب الآخر . (٥) الخود المرأة الحسننة الخلق الشابة ، والخلوق ضرب من الطيب مائع .

وله من أخرى في سحابة :

وبكرٌ إذا جنبَّتْها الجنوب
تري البرق يبسم سراً بها
يُعارضها في الهواء النسيم
فطوراً يشق جُيوب الحيا
وله من أخرى :

غيوم تمسك أفق السما
وخضراء ينشر فيها الندى (٢)
فأوراقها مثل نظم الحلى
حللتُ بها مع ندائ سلوا
وأغنتهم عن بديع السما
وأحسنُ شيء ربيع الحيا
ع ، وبرقٌ يكتبه بالذهب
فريداً ندى (٣) ماله ثقبُ
وأثمارها مثل بيض القضب
عن الجد واشتهروا باللعب
ع بدائع ما ضمنته الكتب
ة أضيف إليه ربيع الأدب

ولأبي بكر الخالدي في وصف الجو وإدبار الليل وإقبال الفجر :
والجو يسحب من عليل هوائه
حتى رأينا الليل قوس ظهره
وكان ضوء الفجر في باقي الدجى
ثوباً يجود بظله المترق
هرماً وأثر فيه شيب الفرق
سيف حلاه من اللجين المحرق

ولسعيد بن هاشم الخالدي يصف المطر والصبح والليل والبرق :
أما ترى الظل كيف يلعب في
في كل عين للطل لأوأة
والصبح قد جردت صوارمه
عيون نور تدعو إلى الطرب
كدمعة في جفون منتجب
والليل قد هم منه بالهرب

(١) البكر : السحابة الفزيرة ، جنبتها : دفعتها . العشار : النوق .

(٢) الندى : الكلا (٣) الندى : ما سقط آخر الليل . الفريد :

الجوهر النفيس والدر .

والجَوْءُ فِي حُلَّةٍ مُّسَكَّةٍ قَدْ كَتَبْتُهَا الْبُرُوقَ بِالذَّهَبِ
وللمهلبى الوزير فى الربيع :

الورد بين مضمخ ومضرج والزهْر بين مكَلِّ ومَتَوِّج (١)
والثلج يهبط كالنثار ، فقم بنا نلتذ بابنة كرمة لم تمزج
طلع النهار ولاح نور شقائق ، وبدت سطور الورد تلو بنفسج
فكأن يومك فى غلالة فضة والنبت سن ذهب على فيروزج (٢)

وللقاضى التنوخى فى وحشة الليل والنجوم والسماء :

رب ليل قطعته كصدود وفراق ما كان فيه وداعُ
موحش كالثقليل تقذى به العي ن وتأبى حديثه الأسماع
وكان النجوم بين دُجَاهُ سنن لاح بينهن ابتداء
وكان السماء خيمة وشي وكان الجوزاء فيها شراع

وله أيضاً فى وصف رياض :

رياض حاكت لهن الثرياً حُللاً كان غزلها للرعود
نثر الغيث دُرَّ دمع عليها فتحلت بمثل در العقود
أقحوان معانق لشقيق كثغور تعضُ وردُ الخدودِ
وعيونٌ من نرجس تتراعى كعيون موصولة التسهيد
وكان الشقيق حين تبدى ظلمة الصدغ فى حدود العيدِ
وكان الندى عليها دموعٌ فى جفون مفجوعة بفقيد

(١) مضمخ : ضمخه بانطيب لطخه به حتى كاد يقطر . ضرجه : صبغه بالحمرة . (٢) الغلالة : شعاع يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضاً .
الفيروزج : حجر كريم .

وكتب محمد بن عبد الله السامى إلى صديق له يصف النارنج :

أتنشط للصبح - أبا على - على حُكْمِ السُنَى ورضا الصديق
 بنهر للرياح عليه دِرْعُ تذهب بالغروب وبالشروق
 إذا اصفرَّت عليه الشمس صبت على أمواجه ماء الخلق (١)
 وجمر شب في الأغصان حتى أضاع الماء في وَهَجِ الحريق
 فدُهْمُ الخيل في ميدان تَبِيرٍ يُصاغ لها كراتٌ من عقيق
 وكتب إليه في صفة نهر حوله أشجار الجلنار (٢) :

ونهر تمرح الأمواج فيه مراح الخيل في رَهَجِ الغبار (٣)
 إذا اصفرت عليه الشمس خلنا نَمِيرَ الماءِ يُمَزَجُ بالعقار (٤)
 كأن الماء أرض من لجين مغشاة صفائح من نضار
 وأشجار مُحمَلة كؤوساً تضاحك في احمرار واخضرار
 وإذا أبصرن في نهر سماءً وهبن له نجوم الجلنار
 وله قصيدة في وصف الرياض والبرق :

نسب الرياض إلى الغمام شريف ومحلها عند النسيم لطيف
 فاشرب وثقل وزن جامك إنه يوم على قلب الزمان خفيف (٥)
 أو ماترى طرر البروق توسطت أفقاً كأن المزن فيه شفوف (٦)
 اليوم من خجل الشقيق مضرج خجل ومن مرض النسيم ضعيف
 والأرض طرس والرياض سطوره والزهر شكلٌ بينها وحروف
 ولابن أبى الرجال يصف روضة صنعاء :

رَاضَةٌ قد صبا لها السعد شوقاً وصفا ليها ، وطاب المقيلاً

(١) الخلق : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران . (٢) الجلنار : زهر الرمان . (٣) الرهج : ما أثير من الغبار . (٤) الخمير . (٥) الجام : اناء من فصة . (٦) الطرر : جمع طرة وهى علم الثوب . المزن : السحاب .

جَوْ سَجْسِجٍ وفيها نسيم
 صح سكانها جمعاً من الدا
 إليه ! ياماء نهرها العذب صلصل
 إليه ! يا وُرُقها المرنة غني
 روض صنعاء فقت طبعاً ووصفاً
 نهر دافق ، وجَوْ فتيق ،
 لست أنسى انتعاش شخرو رغصن
 وعلى رأس دوحة خاطب الور
 ولسان الرعود يهتف بالسح
 وفم السَّحْبِ باسم عن بروق

ولابن سكرة الهاشمي وصف روضة :

أما ترى الروضة قد نورَتْ
 كأنما الأرض سماء لنا
 وظاهر الروضة قد أعشبا
 نقطف منها كوكباً كوكبا

ولابن الراجح الحلبي يصف زهرية :

نشرت عقود سمائها الأنداء
 وبدت تباشير الربيع كأنما
 بيد النسيم ، فللثرى إثراء
 والأرض قد زهيت بحلى نباتها
 ونشوات سكرته وقد
 ونفى الحياء عطف الغدير فصفت
 فكان أعطاف الغصون منابر
 نشرت مطارف وشيها صنعاء (١)
 والجو حلة سحبه دكناء (٢)
 طافت عليه الديمة الوضفاء
 أطرافه وتغنت الوراقاء
 والورق في أوراقها خطباء

(١) صنعاء : عاصمة بلاد اليمن .

(٢) الدكناء : الضارب لونها الى السواد .

ومن وصف زهرية لبدر الدين الذهبي :

- ترنح عطف البان في الحلل الخضر وغنى بألحان على عوده القمري (١)
ورافت أزاهير الحدائق بالضحي نواظر أحداق بنوارها النضري (٢)
وأشرق خد الوردي يبدى نضاره وأشرق جيد الغصن في لؤلؤ القطر
وبات سقيط. الطل في كل روضة ينبه في أرجائها ناعس الزهر
وما ذهب شمس الأصيل عشية إلى الغرب حتى أذهبت فضة النهر
وغنت قيان الطير في كل أيكه وقد راق كحل الطل في مقل الغدر
أقامت لها دوح الأراك أرائكا وأرخت لها أوراق أستارها الخضر
وأسمى أصيل اليوم ملق من الضنى على فرش الأزهار في آخر العمر
بكنه حمامات الأراك وشققت عليه الصبا أثواب روضاتها النضري
فكف من نجيب للحمام بالضحي عليه وللأنواء من دمة تجرى

ولعلي بن أحمد الجوهري من قصيدة في وصف الغيث :

- رز الصباح علينا شملة السحب ومدت الرياح منها واهى النطب (٣)
صك النسيم فراخ الغيث فانزعجت ينفضن أجنحة من عنبر الزغب (٤)

ولأبي معمر بن أبي سعيد الإسماعيلي من قصيدة في وصف الثلج :

- فرحنا وقد بات السماء مع الثرى وغاب أديم الأرض عنا فما يرى
كأن غيوم الجو صواغ فضة تواصلوا برد الحلى عمدا إلى الورى

ولأبي العلاء السروي في وصف روض :

- مرزنا على الروض الذي قد تبسّمت ذراه وأوداج السحاب تسفك (٥)
فلم نر شيئا كان أحسن منظرا من الروض يعرج دمه ويضحك

(١) القمري : ضرب من الحمام
للضرورة . (٣) رز : بمعنى نقض والشملة كساء يشتمل به ، وزر
شملة السحب كناية عن سقوط المطر . (٤) الزغب : صفار الريش .
(٥) الأوداج : جمع ودج وهو عرق في العنق .

وله أيضاً في وصف روض من قصيدة :

أما ترى قصب الأشجار قد لبست أنوارها تتثنى بين جُلاس
منظرمة كسموط الدرّ لابسنة حُسنأ يُبيح دم العنقود للحاسي (١)
وغرّدت خطباء الطير ساجعة على منابر من وِردٍ ومن آس

وقال أبو الفتح كشاجم يصف مراة أهداها :

أخت شمس الضحاء في الحُسن والإشراق تنير الإعشاء للأجفان
ذات طوق مُشرف من لجين أجريت فيه صفرة العقيان
فهو كالهالة المحيطة بالبد ر لست مَضيّن بعد ثمان
وعلى ظهرها فوارس تلهو ببيزة تعدو على غزلان
عدلت عكسها الشعاع فمبدأ د إليها ورجعه سيان
وهي شمس وإن مثالك يوماً لاح فيها فإنها شمسان
أيما قابلت مثالك من أر ض فيها تقابل النيران
فألقها منك بالذي ما رآه خائف فانشنى بغير أمان

ولأبي القاسم الدينوري في وصف جواد :

ومطهم (٢) طرف العنان (٣) مُعود
وإذا توغل في ذرى مُتمنع صعب بعيد العهد بالمجتاز
تركت سنابكه بصمّ صخوره أثراً يلوح كمنقش صدر الباز

وله في وصف سفرجل وتفاح وورمان :

بعثت إليك ضحى المهرجا ن بمعشوقة العرف والمنظر

(١) من حسا الشراب اذا شربه شيئاً بعد شيء وفي مهلة .

(٢) شبهه حسنه وأظهر بهاءه والموصوف محذوف أى الفرس .

(٣) طرف العنان بمعنى خفيف ، والمطهم البارع الجمال والنام من كل

معطرة صانها في الحجا
وبيضاء رائقة غضة
وحق عقيق ملاه الهجيد
وأفداح تبر حشت قعرها
فكن ذاقبول لها إنها
وله في صفة النارج :

أما ترى شجر النارج طالعة
كأنها بين أوراق تحف بها
ولأبي الفضل الميكالي في صفة الشقائق :

تصوغ لنا كف الربيع حدائقاً
وفيهن أنوار الشقائق قد حكت
وله في اقتران الزهرة والهلال :

أما ترى الزهرة قد لاحت لنا
ككرة من فضة مجلوة
وله في الفجر :

أهلاً بفجر قد نضاثوب الدجى
وقال في صفة الندى الساقط. على غصون الشجر :

نشر السحاب على الغصون ذرارة
شابت ذوائبها فعدن كأنها
وقال في الجليد :

رُبَّ جنين من جنى نيمير
مُهتِك الأستار والضمير

(١) ميل : جمع أمل .

(٢) أوفى : اشرف .

سللته من رَحْم الغدير كأنه صحائف البلور
لو اكر تجسست من نور أو قطع من خالص الكافور
لو بقيت سلكا على الدهور لعطلت قلائد النحور
وأخجلت جواهر البحور وسميت ضرائر الثغور (١)
يا حسنه في زمن الحدور إذ فيضه مثل حشا المهجور
يُهدى إلى الأكباد والصدور روحاً تحاكي نفثة المصدور (٢)

ولأبي طاهر بن الهاشمي في روضة :

وروضة زارها الندى فغدت لها من الزهر أنجم زهر
تنشر فيها أيدي الربيع لنا ثوباً من الوشي حاكه القطر
كأنما شق من شقائقها على رباها مطارف خضر
ثم تبدت كأنها حدق أجفانها من دمائها حمر

ولأبي نصر سهل بن المرزبان في البدر :

كم ليلة أحبيتها مؤانسي طرف الحديث وطيب حث الأكواس
شبهت بدر سائها لما دنت منه الثريا في قميص سندسي
ملكاً مهيباً قاعداً في روضة حياه بعض الزائرين بنرجس

وللحسن بن أحمد البروجردى في حوض لبعض الرؤساء :

حوض وجود بجوهر متسلسل ساد الجواهر كلها بنفاسته
لا زال عذباً جارياً ببقاء من هو مثله في طبعه وسلاسته

ولابن أنيس في حسام عمر بن معد يكره :

أخضر المتن بين حديه نور من فرند تحار فيه العيون

(١) ضرائر : جمع ضرة وهي احدى زوجتى الرجل وأراد بضرائر الثغور الأسنان .

(٢) النفثة ما ينثته المصدور من فيه .

أوقدت فيه للصواعق ناراً
ثم ساطت به الزعاف المنون^(١)
فإذا ما سللته بهر الشمة
س ضياء فلم تكد تستبين
فكانَّ الفرند والرونق الجا
رى فى صفحتيه ماء معين^(٢)
وكانَّ المنون نيظت إليه
فهو من كل جانيه منون
ما يُبالى من انتضاءه لحرب
أشمالُ سطت به أم يمينا
وقال ابن عبد ربه فى الرمح والحسام :

بكلُّ رُدِينِي كَأَنَّ سِنَانَهُ
شِهَابٌ بَدَأَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سَاطِعٌ
تَقَاصَرَتِ الآجَالُ فِي طَوْلِ مَتْنِهِ
وَعَادَتِ بِهِ الآمَالُ وَهِيَ فَجَائِعٌ
وَسَاعَتِ ظُنُونُ الحَرْبِ فِي حُسْنِ ظَنِّهِ
فَهُنَّ لِجِبَّاتِ القُلُوبِ قَوَارِعٌ
وَذَى شَطْبِ تَقْضَى المَنَايَا الحِكْمَهُ
وَلَيْسَ لِمَا تَقْضَى المَنِيَّةُ دَافِعٌ^(٣)
وقال أيضاً فى الحرب :

ومُعْتَرِكٌ تَهَزُّ بِهِ المَنَايَا
لِوَامِعٌ يُبْصِرُ الأَعْمَى سَنَاهَا
يُحِومُ حَوْلَهَا عِقْبَانُ مَوْتٍ
تَخَطَّفَتِ القُلُوبُ مِنَ الصُّدُورِ
ذُكُورَ الهِنْدِ فِي أَيْدِي ذُكُورِ
وَيَعْمَى دُونَهَا طَرْفُ البَصِيرِ
وَمَنْ قَوْلُهُ فِي الحَرْبِ وَأَبْطَالِهَا :

سُيُوفٌ يُقِيلُ المَوْتَ تَحْتَ ظَبَاتِهَا
إِذَا اصْطَفَتِ الرِّايَاتُ حُمَرَامُتُونَهَا
وَلَمْ تَنْطِقِ الأَبْطَالُ إِلا بِفَعْلِهَا
إِذَا مَا التَّقُوا فِي مَأْزِقٍ وَتَعَانَقُوا
لِهَا فِي الكُلَى وَبَيْنَ الكُلَى شِرْبُ
ذَوَائِبِهَا تَهْفُو فِيهْفُو لَهَا القَلْبُ^(٤)
فأَلْسِنَهَا عُجْمٌ وَأَفْعَالُهَا عُرْبٌ
فَلقِيأَهُمُ طَعْنٌ وَتَعْنِيفُهُمْ ضَرْبٌ

(١) هطلت . (٢) جاررا . (٣) جمع شطب وهى طرفة السيف أى

الواحدة من الخطوط التى فى نصله . (٤) هفت الراية خفقت وهفا

القلب ذهب فى أثر الشيء .

ولابن قلاقس في وصف السحاب والبرق والغيث :

سرى وجبينُ الجو بالطلُّ يرشح
وفي طيِّ أبرادِ النسيمِ حَمِيلَةٌ
وثوبُ الغوادي بالبروقِ موشحُ
بأعطافها نورِ المنى يَتَفَتَّحُ (١)
يضاحك في مثنى المعاطفِ عارضُ
مدامعه في وجنة الرُّوضِ تسفحُ
وتورى به كفُّ الصبا زند بارقُ
شَرَّارَتُهُ في فحمةِ الليلِ تقدحُ

ولأبي القاسم بن بابك في الصاحب يصف له إضرام النار في بعض غياض :

وليلة بتُّ أشكو الهم أولها
في غيضة من غياض العُزنِ دانية
وعدت آخرها أستنجدُ الطربا
حتى إذا النارُ طاشت في ذوائبها
مدَّ الظلامِ على أوراقها طنبا
مرقت منها وثغر الصُّبحِ مُبتسمُ
عاد الزمردُ من عيدانها ذهباً
يا أغزَرَ الناسِ أنواءً ومحتلباً
إلى أغرَّ يرى المذخور ما وهباً
وأشرف الناسِ أعراقاً ومُتسبباً
قال العواذِلُ ظنُّ ربما كذباً
أصبحتُ ذا ثقة بالوفر منك وإن
وحسن ظني بك استوفى مدى أملِي

ومن قصيدة لأبي سعيد الرُّستمي يصف بها داراً بناها الصاحب بن عباد :

وسامية الأعلام تلحظ. دونها
نسخت بها إيوان كسرى بن هرمز
سنا النجم في آفاقها متضائلا
تناطح قرى الشمس من شرفاتها
فأصبح في أرض المدائن عاطلا
وأغنى الورى عن منزل من بنت له
صفوف طباء فوقهن موائلا
ولا غرو أن يستحدث الليث بالثرى
معاليه فوق الشعريين منازل
عزينا وأن يستطرق البحر ساحلا
ولم تعتمد داراً سوى حومة الوغى
ولا خدماً إلا القنا والقنابلا

(١) الخميعة : الشجر الكثير الملتف والموضع الكثير الشجر .

ووالله ما أرضى لك الدهر خادماً ولا البدر مُتتاباً ولا البحر نائلاً
ولا الفلك الدَّوَّارَ داراً ولا الوري فإن الذي يبنيه مثلك خالدٌ
وعبيداً ولا زهرُ النُّجوم قبائلاً وسائر ما يبنى الأنامُ إلى بلى

ولشاعر القطرين خليل مطران في وصف روض :

أيها الروض كن لقلبي سلاماً وملاذاً من الشقاء الملازم
زهرٌ وابلٌ كَأني أراهُ ثملاً من أنفاسه في الكمام
وغديرٌ صافٍ أقامَ سياجاً حولهُ باسِقٌ من الدَّوحِ قائم
تتناغى بيض من الطير فيه سابحاتٌ وتحتها النُّجم عائم
كيفما سرن فالطريق عقودٌ نظمت من محاجرٍ ومباسم
حبذا البدرُ مؤنساً يتجلى كحبيب بعد التغيب قام
حبذا زسمه البرايا كأمي ما ترى العينُ في صحيفةٍ راسم
حبذا الماء والمصابيح فيه كبنان يزيناها بخواتم
جنة بانة المكاره عنها وهى بكر من الأذى والمحارم
إن دعاها الصباح قامت تُنادم لتراه كأنه مُتلاطم
وضياءٌ يموج في الماء حتى أتقنت صنعه حسان المعاصم
ومُروج مدبجات كوشى كهودٍ تهزُّه روائم (١)

وقال البحترى واصفاً صناعة الكتابة والإنشاء :

تفنتت في الكتابة حتى عطل الناس فن عبد الحميد
في نظام من البلاغة ما شك ك امرؤ أنه نظام فريد

(١) جمع الرائمة وهى الوالدة العاطفة على ولدها الملازمة له .

وبديع كأنه الزهر الضا حِك في رونق الربيع الجديد
 مُشرق في جوانب السمع ما يُخْ لَمَقَه عودُه على المستعبد
 ما أُعيرت منه بطون القراطيس وما حملت ظهور البريد
 حججٌ تخرس الألد بألف اظ فرادى كالجوهر المعدود
 ومعان لو فصلتها القوافي هجنت شعر جرول ولبيد
 حُزنٌ مستعمل الكلام اختيارا وتجنبن ظلمة التعقيد
 وركبن اللفظ الغريب فأدرِك ن به غاية المراد البعيد
 كالعداري غدون في الجلل البيد ض إذا رحن في الخطوط السُود
 ووصف أعرابي تزوج امرأتين ما وقع له منهما فقال :

تزوجت اثنتين لفرط جهلي بما يشقى به زوج اثنتين
 فقلت : أصير بينهما خروفا أنعم بين أكرم نعجتين
 فصرت كنعجة تضحى وتمسى تداول بين أحيث ذئبتين
 رضا هذى يهيج سخط. هذى فما أعرى من إحدى السخطتين
 وألتي في المعيشة كل ضر كذلك الضر بين الضرتين
 لهذى ليلة ولتلك أخرى عتاب دائم في الليلتين
 فإن أحببت أن تبقى كريماً من الخيرات مماوء اليدين
 فِعْشٌ عزباً فإن لم تستطعه فضرِباً في عراض الجحفلين (١)
 وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في وصف الربيع :

يا صاحبي تفصيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصوّر
 تريا نهارا مشمساً قد زانه زهر الربا فكأنما هو مُقمز
 دنيا معاش للورى حتى إذا حلَّ الربيع فإنما هي منظرٌ

(١) الرواية التي أحفظها في تمام هذا البيت : فواحدة تكفى عسكرين .
 اه مصححه .

أضحت تصوغ بطونها لظهورها نوراً تكاد له القلوب تنور
من كل زاهرة ترقرق بالندى فكأنها عين لديك تحدر

وقال أبو عبادة البحرى فى قصر المعتز بالله :

لما كملت روية وعزيمة أعملت رأيك فى ابتناء الكامل
وغدوت من بين الملوك موفقاً منه لأيمن حلة ومنازل
دُعر الحمام وقد ترنم فوقه من منظر خطر المزلّة هائل
رفعت لمخترق الرياح سموكه وزهت عجائب حسنه المتحائل
وكان حيطان الزجاج بجود لجج يمجن على جنوب ساحل
وكان تفويت الرخام إذا التقى تأليفه بالمنظر المتقابل
حبك الغمام رصفن بين منمر ومسير ومقارب ومشاكيل
لبست بالذهب الصقيل سقوفه نوراً يضىء على الظلام الحافل
فترى العيون يجلن فى ذى رونق متلهب العالى أنيق السافل
وكانما نشرت على بُستانه سبراء وثى اليمنة المتواصل
أغنته دجلة إذ تلاحق فيضها عن صوب منسحب الرباب الهاطل
وتنفست فيه الصبا فتعطفت أشجاره من حول وحوامل

وقال المتنبي فى جواد :

ويوم كلون المدنفين كمنته أراقب فيه الشمس أيان تغرب
وعيني إلى أذاني أغر كأنه من الليل باق بين عينيه كوكب
له فضلة من جسمه فى إهابه تجىء على صدر رحيب وتذهب
شققته به الظالماء أدنى عنانه فيطغى وأرخيه مرارا فيلاعب
وأصرع أى وحش قفيت به له وأنزل عنه مثله حين أركب

وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت في عين من لا يجرب
إذا لم نشاهد غير حسن شبابها وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقال صفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠ في الربيع :

ورد الربيع فمرحباً بوروده وبنور بهجته ونور وروده
وبحسن منظره وطيب نسيمه وأنيق مبسمه ووشى بروده
فصل إذا افتخر الزمان فإنه إنسان مقلته وبيت قصيده
يغنى المزاج عن العلاج نسيمه باللطف عند هبوبة وركوده
يا حبذا أزهاره وثماره ونبات ناجمه وحب حصيده
والغصن قد كسى الغلائل بعدما أخذت يدا (كانون) في تجريده
نال الصبا بعد المشيب وقد جرى ماء الشبيبة في منابت عوده
الورد في أعلى الغصون كأنه ملك تحف به سراة جنوده
وانظر لترجمه الجنى كأنه طرف تنبه بعد طول هجوده
وانظر إلى المنشور في منظومه متنوعاً بفصوله وعقوده

وقال أيضاً في حديقة :

وأطلق الطير فيها سجع منطقها ما بين مختلف منه ومتفق
والظل يسرق بين الدوح خطوته وللمياه ديب غير مسترق
وقد بدا الورد مفتراً بماسمه والنجس الغض فيها شاخص الحلق
والسحب تبكى وثمر البرق مبتسم والطير تسجع من تيه ومن أنق
فالطير في طرب والسحب في حرب والماء في هرب والغصن في قلق

وقال المرحوم أحمد شوقي في الطبيعة :

تلك الطبيعة قف بنا يا سارى حتى أريك بديع صنع البارى

فالأرض حولك والسماء اهتزتا
ولقد تمرُّ على الغدير تخاله
حلز التسلسل موجه وخيريره
ينساب في مخضلة مبتلة
وترى السماء ضحى وفي جنح الدجى
في كل ناحية سلكت ومذهب
وقال حافظ. إبراهيم يصف النيل :

نظرت للنيل فاهتزت جوانبه
يجرى على قدر في كل منحدرٍ
كأنه ورجال الرى تحرسه
قد كان يشكوا ضياء من جرى طلقاً
وقال أيضاً عن لسان حال اللغة العربية واصفاً لها :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاني
رموني بعقم في الشباب وليتنى
ولدت ، ولما لم أجد لعرائسى
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله
أنا البحر في أحشائه الدرُّ كامنٌ
فيا ويحكُم أبلى وتبلى محاسنى
فلا تكلوني للزمان فإننى
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة
أتوا أهلهم بالمعجزات تفننًا
وناديت قومي فاحتسبت حياتى
عقمت فلم أجزع لقول عدائى
رجالاً وأكفاء وأدت بنائى
وما ضقت عن آى به وعظمت
وتنسيق أسماء لمخترعات
فهل سألوا الغواص عن صدقاتى
ومنكم وإن عز الدواء أساقى
أخاف عليكم أن تحين وفاتى
وكم عز أقوام بعز لغات
فيا ليتكم تاتون بالكلمات

أيطربكم من جانب الغرب ناعب
ولو تزجرون الطير يوماً علمتم
سقى الله في بطن الجزيرة أعظماً
حفظن ودادي في البلى وحفظته
وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق
أرى كل يوم بالجرائد مزلقاً
وأسمع للكتاب في مصر ضجةً
أيهجرتني قومي عفا الله عنهم
سرت لوثة الأعجام فيها كما سرى
فجاءت كثوب ضم سبعين رقة
إلى معشر الكتاب والجمع حافل
فإما حياة تبعث الميت في البلى
وإما ممات لاقيامة بعده

يُنَادِي بُوَادَى فِي ربيع حياتي
بما تحته من عشرة وشتات
يعزُّ عليها أن تلين فنانِي
لَهْنٌ بقلب دائم الحسرات
حياةً بتلك الأعظم النخرات
من القبر يُدْنِينِي بغير أناة
فَاعْلَمْ أن الصائحين نَعَانِي
إلى لُغَةٍ لم تتصل برُوانِي
لعابُ الأفاعي في مسيل فرات
مشكلة الألوان ، مختلفات
بسطت رَجائِي بعد بسط. شكائِي
وتُنَبِّتُ في تلك الرُّؤوس رُفائِي
مات لعمرى لم يُقَسِّ بمات

وقال شاعر العراق الكبير المعروف الرصافي واصفاً قطار البخار :

وقاطرة ترمى الفضأ بدخانها
تمشت بنا ليلاً تجرُّ وراءها
فظوراً كعصب الريح تجرى شديدة
تساوى لديها السهل والصعب في السرى
تلك مُتُون الحزن دكا وإنها
يمرُّ بها العالی فتعلو تسلقاً
طوت بالمسير الأرض حتى كأنها
هو العلمُ يعلو بالحياة سعادة

وتملأ صدر الأرض في سيرها رعباً
قطاراً كصف الدوح تسحبهُ سحباً
وطوراً رُخاءً كالنسيم إذا هباً
فما استسهلت سهلاً ولا استصعبت صعباً
لتنهبُ سهل الأرض في سيرها نبها
ويعترض الوادي فتجتازه وثباً
تسابق قرص الشمس أن تدرك الغربا
ويجعلها كالعلم محمودة العقبى

وقال المرحوم محمود سامي البارودي يصف حرب سكان جزيرة كريد :

أَخَذَ الكَرَى بِمَعَاقِدِ الأَجْفَانِ وَهَفَا السُّرَى بِأَعْنَةِ الفِرْسَانِ
 وَاللَّيْلُ مَنْشُورُ النُّوَابِ ضَارِبٌ فَوْقَ المِتَالَعِ والرُّبَى بِجِرَانِ
 لَا تَسْتَبِينُ العَيْنُ فِي ظِلْمَائِهِ إِلا اشْتَعَالَ أَسْنَةُ المِرَانِ
 تَسْرَى بِهِ مَا بَيْنَ لُجَّةِ فِتْنَةٍ تَسْمُو غَوَارِبَهَا عَلَى الطُّوفَانِ
 فِي كُلِّ مَرْبَاةٍ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ تَهْدَارُ سَامِرَةٌ وَعِزْفُ قِيَانِ
 تَسْتَنُّ عَادِيَةً وَيَصْهَلُ أَجْرُدٌ وَتَصْصِيحُ أَجْرَاسٍ وَيَهْتَفُ عَانِ
 قَوْمٌ أُنْبَى الشَّيْطَانُ إِلا خَسِرَهُمْ فَتَسَلَّلُوا مِنْ طَاعَةِ السُّلْطَانِ
 مَلْثُوا الفِضَاءَ فَمَا يَبِينُ لِنَاظِرِ غَيْرُ التَّمَاعِ البَيْضِ وَالخُرْصَانِ
 غَالِبِدْرٌ أَكْدَرُ وَالسَّمَاءُ مَرِيضَةٌ وَالبَحْرُ أَشْكَلُ . وَالرَّمَاحُ دَوَانِ
 وَالخَيْلُ رَاقِفَةٌ عَلَى أَرْطَانِهَا لَطْرَادِ يَوْمِ كَرِيهَةِ وَرَهَانِ
 وَضَعُوا السِّلَاحَ إِلى الصَّبَاحِ وَأَقْبَلُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنِ النِّيْرَانِ
 حَتَّى إِذَا مَا الصَّبِيحُ أَسْفَرُ وَارْتَمَتْ عَيْنَايَ بَيْنَ رَبِي وَبَيْنَ مَجَانِ
 فَإِذَا الجِبَالُ أَسْنَةُ ، وَإِذَا الوَهَا دُ أَعْنَةُ ، وَالمَاءُ أَحْمَرُ قَانِ
 فَتَوَجَّسَتْ فَرَطُ الرِّكَابِ وَلَمْ تَكُنْ لَتَهَابَ ، فَامْتَنَعَتْ عَلَى الإِرْسَانِ
 فَرَزَعَتْ فَرَجَعَتْ الحَنِينِ وَإِنَّمَا تَحْنَانِهَا شَجْنٌ مِنَ الأَشْجَانِ
 ذَكَرْتُ مَوَارِدَهَا بِمِصْرَ وَأَيْنَ مِنْ مَاءٍ بِمِصْرَ مَنَازِلَ الرُّومَانِ

وقال السيد عبد الله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ يصف قطاراً بخارياً :

نَظَرَ الحَكِيمُ صِفَاتِهِ فَتَحِيرًا شَكَلَا كَطُودَ البُخَارِ مَسِيرًا
 دَوْمًا يَحْنُ إِلَى دِيَارِ أَصُولِهِ بِحَدِيدِ قَلْبٍ بِاللَّهيبِ تَسْعَرًا
 وَيُظَلُّ يَبْكِي وَالدَّمُوعُ تَزِيدُهُ وَجَدًّا فَيَجْرِي فِي الفِضَاءِ تَسْتَرًا
 تَلْقَاهُ حَالَ السَّيْرِ أَفْعَى تَلْتَوِي أَوْ فَارِسَ الهَيْجَا أَثَارَ العَثِيرَا

أَوْ أَكْرَةً أُرْسَلَتْهَا تَرَى بِهَا
 غَرْضاً فَجَلَّتْ أَنْ تَرَى حَالَ السَّرَى
 أَوْ سَبْعَ غَابٍ قَدْ أَحْسَنَ بِصَائِدِ
 فِي غَابِهِ فَعَدَا عَلَيْهِ وَزَمَجِرَا
 فَكَانَهُ الْمَدْيُونُ جَاءَ غَرِيمَهُ
 فَانْسَلَّ مِنْهُ وَغَابَ عَنِ تِلْكَ الْقَرْيَا
 أَوْ قَبَةَ الْمَنْطَادِ تَنْبِذَ بِالْعِرَا
 لَا عَجَبَ لِلنَّيْرَانِ إِذْ يَمْشَى بِهَا
 فَمَنْ اللَّظَى تَجْرَى الْوَرَى كَى تَحْشُرَا

وقال أحمد شوقي يصف الجسر الواصل بين صفتى البسفور فى الآستانة :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَأَيْتَ جَسْرًا
 لَهُ خَشَبٌ يَجُوعُ السُّوسُ فِيهِ
 وَلَا يَتَكَلَّفُ الْمَنْشَارُ فِيهِ
 وَيَبْلَى نَعْلٌ مِنْ يَمْشَى عَلَيْهِ
 وَكَمْ قَدْ جَاهَدَ الْحَيَوَانَ فِيهِ
 وَأَسْمَجٌ مِنْهُ فِي عَيْنِي جُبَاةٌ
 إِذَا لَاقَيْتَ وَاحِدَهُمْ تَصَدَّى
 وَيَمْشَى (الصدر) فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ
 وَلَكِنْ لَا يَمُرُّ عَلَيْهِ إِلَّا
 وَمَنْ عَجَبٌ هُوَ الْجَسْرُ الْمَعْلَى
 يَفِيدُ حُكُومَةَ السُّلْطَانِ مَا لَا
 يَجُودُ الْعَالَمُونَ عَلَيْهِ ، هَذَا
 وَغَايَةَ أَمْرِهِ أَنَا سَمَعْنَا
 (أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ مِثْلِي
 وَتَوَخَّذْ بِاسْمِهِ الدُّنْيَا جَمِيعًا
 أَمْرٌ عَلَى الصَّرَاطِ وَلَا عَلَيْهِ !
 وَتَمْضَى الْفَأْرُ لَا تَأْوِي إِلَيْهِ
 سِوَى مَرِّ الْفَطِيمِ بِسَاعِدِيهِ
 وَقَبْلَ النَّعْلِ يَدْمَى أَحْمَصِيهِ
 وَخَلْفَ فِي الْهَزِيمَةِ حَافِرِيهِ
 تَرَاهُمْ وَسَطَهُ وَبِجَانِبِيهِ
 كَعَفْرِيَّتِ يُشِيرُ بِرَاحَتِيهِ
 بِمُوكَبِهِ السَّنِيِّ وَحَارْسِيهِ
 كَمَا مَرَّتْ يَدَاهُ بِعَارِضِيهِ
 عَلَى (الْبَسْفُورِ) يَجْمَعُ شَاطِئِيهِ
 وَيُعْطِيهَا الْغَنَى مِنْ مَعْدِنِيهِ
 بَعِشْرَتِهِ ، وَذَاكَ بَعِشْرَتِيهِ
 لِسَانَ الْحَالِ يَنْشُدُنَا لَدِيهِ
 يَرَى مَا قَلَّ مَمْتَنَعًا عَلَيْهِ)
 وَمَا مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فِي يَدِيهِ)

وقال المأمون المتوفى سنة ٣٨٣ هـ يصف المقرّاض :

وصاحبين اتفقا على الهوى واعتنقا
وأقسما بالودِّ والإي خلاص أن لا افترقا
ضمهما أزهراً كالنجم به قد وثقا
لم يشك خصرهما مذ ضمناه قلقا
من تحته عينان من—ذ انفتحا ما انطبقا
وفوقه نابان ما حلا فما مُدُّ خلِقا
يُفرقان بين ك ل ما عليه اتفقا
فأى شئٍ لاقيا ه ألقياه فرقا

وقال أبو بكر الأرجاني المتوفى سنة ٥٢٤ هـ يصف الشمعة :

نمت بأسرار ليلٍ كان يخفيها وأطلعت قلبها للناس من فيها
غريقة في دموع وهى تحرقها أنفاسها بدوامٍ من تلظيها
تنفست نفس المهجور إذ ذكرت عهد الخليل. فبات الوجدُ يذكيها
بخشى عليها الردى مهما ألم بها نسيماً ريح إذا وافى يُحييها
قد أثمرت وردّة حمراء طالة تجى على الكف إن أهويت تجنيها (١)
ردُّ تشاك به الأيدي إذا قُطفت وما على غصنها شوكٌ يوفىها
صفرٌ غلائلها ، حمرٌ عمائمها ، سودٌ ذوائبها بيضٌ لياليها

وصف قصر المنصور :

قال ابن حمّديس (٢) الصّقلى فى صفة قصر شيده المنصور بن أعلى

(١) تجنى الأول بمعنى تعتدى والثانية بمعنى تقطف .

(٢) هو عبد الجبار بن أبى بكر توفى سنة ٥٢٧ هـ وهو من أبرع

الشعراء ان لم يكن أبرعهم فى وصف البرك والأنهار والقصور والتمائل
فلقد كان اذا وصف شيئاً من ذلك كالحسناء وخيالها فى المرأة .

الناس ببجاية^(١) ، وجعل فيه بركة عليها أشجار من ذهب وفضة ، وعلى حافاتها أسود تقذف بالماء :

أَعْمَرَ بِقَصْرِ الْمَلِكِ نَادِيكَ الَّذِي أَضْحَى بِمَجْدِكَ بَيْتَهُ مَعْمُورًا
 قَصْرٌ لَوْ أَنَّكَ قَدْ كَحَلْتَ بِنُورِهِ أَعْمَى لِعَادٍ مِنَ الضِّيَاءِ بِصِيرًا
 وَاشْتَقَ مِنْ مَعْنَى الْجَنَانِ نَسِيمُهُ فَيَكَادُ يُحَدِّثُ بِالْعِظَامِ نَشُورًا
 أَذْكَرْتَنَا الْفَرْدُوسَ حِينَ أَرَيْتَنَا غُرْفًا رَفَعْتَ بِنَاءَهَا وَقِصُورًا
 فَلَكُ مِنَ الْأَفْلاكِ ، إِلَّا أَنَّهُ حَقَرَ الْبَدُورَ فَأَطَّلَعَ «الْمَنْصُور»
 وَإِذَا الْوَلَائِدُ فَتَحَتْ أَبْوَابَهُ جَعَلْتَ تَرْحَبُ بِالْعَفَاةِ صَرِيرًا^(٢)
 عَضَتْ عَلَى حَلْقَاتِهِنَّ ضِرَاعِمُ فَغَرَّتْ بِهَا أَفْوَاهُهَا تَكْبِيرًا^(٣)
 فَكَأَنَّهَا لَبَدَتْ لِتَهْصِرَ عِنْدَهَا مِنْ لَمْ يَكُنْ يَدْخُولُهَا مَأْمُورًا^(٤)
 وَمَصْفَحَ الْأَبْوَابِ تَبْرًا نَظَرُوا بِالنَّقْشِ فَوْقَ شَكْوَلِهِ تَنْظِيرًا^(٥)
 خَلَعَتْ عَلَيْهِ غَلَائِلَ مَوْشِيَةً شَمْسٌ تَرْدُ الطَّرْفَ عَنْهُ حَسِيرًا^(٦)
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى غَرَائِبِ سَقْفِهِ أَبْصَرْتَ رَوْضًا فِي السَّمَاءِ نَضِيرًا
 عَجِيتُ مِنْ أَطْيَارِ عَسْجِدِهِ حَامَتُ لِتَبْنِي فِي ذُرَاهُ وَكُورًا
 وَضَعْتَ بِهِ صُنَاعَهَا أَقْلَامَهَا فَارْتَكِ كُلَّ طَرِيدَةٍ تَصْوِيرًا^(٧)
 وَكَأَنَّمَا لِلشَّمْسِ فِيهِ لَيْقَةٌ مَشَقُّوا بِهَا التَّرْوِيقَ وَالتَّشْجِيرًا^(٨)

- (١) بجاية كحكاية : بلد بالمغرب .
 طالب الحاجة ، والصرير صوت الباب . (٢) العفاة جمع عاف وهو
 (٤) لبد كنصر : أقام ، والهصر : الدفع . (٥) نظر مثل ،
 والشكول : جمع شكل . (٦) الفلائل : جمع غلالة وهي شبه القميص
 يلبس على الجسد والمراد هنا الطلاء ، والموشية المنقوشة .
 (٧) الطريدة : ما يطارده الصياد ويتبعه . (٨) اللقة ما يكون
 في الدواة لاصقا بصوفة أو نحوها والفعل منها كباع ، ومشق الكتابة مد
 حروفها ، والتشجير : ان تشكل على هيئة الشجر .

وضراغم^١ سكنت عرين رياسة
 فكأنما غشى النضار جسمها
 أسد^٢ كأن سكونها متحرك
 وتذكرت فتكاتها فكأنما
 وتخالها والشمس تجلو لونها
 فكأنما سلمت سيوف جداول
 وكأنما نسج النسيم لمائه
 وبديعة الثمرات تعبر نحوها
 شجرية^٣ ، ذهبية نزعته إلى
 قد سُرجت أغصانها فكأنما
 وكأنما تأتي لوقع طيرها
 من كل واقعة ترى منقارها
 خرش تعد من الفصاح فإن شدت
 وكأنما في كل غصن فضة
 وتريك في الصهريج موقع قطرها
 ضحكت محاسنه إليك كأنما

تركت خرير الماء فيه زئيرا
 وأذاب في أفواهاها البللورا
 في النفس لو وجدت هناك مثيرا
 أفعت على أدبارها لثورا^(١)
 نارا ، وألسنها اللواحسن نورا
 ذابت بلا نار فعُدن غديرا
 درعا ، فقدّر سردها تقديرا^(٢)
 عيناي بحر عجائب مسحورا^(٣)
 سحر يوثر في النهى تأثيرا^(٤)
 قبضت هب من الفضاء طورا^(٥)
 أن تستقل بنهضها وتطيرا^(٦)
 ماء كسلسال اللجين نيرا^(٧)
 جعلت تغرد بالمياه صفيرا^(٨)
 لانت فأرسل خيطها مجرورا
 فوق الزبرجد لؤلؤا منشورا
 جعلت لها زهر النجوم ثغورا

- (١) أفعى الكلب والسبع : جلس على مؤخرته ناصبا يديه .
 (٢) السرد : نسج الدرع وتقديره : أن تكون ثقوب الدرع مساميرها .
 (٣) المسجور : المملوء . (٤) نزع اليه أشبهه ، ويقال : فلان ينزع
 إلى أبيه أو ينزع أباه أي يشبهه . (٥) سرجه : حسنه وزينه .
 (٦) الوقع كركع : جمع واقع . (٧) السلسلة : اتصال الشيء
 بالشيء ، ومن ذلك الماء السلسال أي السهل الجريان ، واللجين : الفضة ،
 والنمير : الناجع من الماء . (٨) شدا : ترم .

وصف زلزال صقلية

- قال المرحوم حافظ إبراهيم يصف زلزال صقلية في سنة ١٩٠٩ م :
- نبثاني إن كنتما تعلمان مدهى الكون أيها الفرقدان (١)
 غضب الله أم تمردت الأَرْضُ ض فأنحت على بني الإنسان (٢)
 ليس هذا « سبحان ربي » ولا ذا ك ولكن طبيعة الأكوان
 غليان في الأرض نفس عنه ثوران في البحر والبركان (٣)
 رب أين القمر والبحر والب ر على الكيد للورى عاملان
 كنت أخشى البحار والموت فيها راصد غفلة من الربان (٤)
 سابح تحتنا مظل علينا حائم حولنا مناء مداني (٥)
 فإذا الأرض والبحار سواء في خلاق ، كلاهما غادران (٦)
 ما (المسين) عوجلت في صباحا ودعاها من الردى داعيان (٧)
 ومحت تلکم المحاسن منها حين تمت آياتها آيتان
 حُسفت ثم أغرقت ثم بادت قضى الأمر كله في ثوانى
 وأتى أمرها فأضحت كأن لم تك بالأمس زينة البلدان
 ليتها أمهلت فتقضى حقوقا من وداع اللدات والجيران (٨)
 لمحة يسعد الصديقان فيها باجتماع ويلتقى العاشقان

(١) الفرقدان : نجمان فى السماء لا يفربان وهذا هو السر فى قول المعرى :

- فاسأل الفرقدين عن أحسا من قبيل وآنسا من بلاد
 وفى أثره جرى شاعرنا . (٢) أنحى عليه ضربا : اقبل .
 (٣) نفس عنه : فرج . (٤) الربان كرماني : رئيس الملاحين .
 (٥) مناء مدان : مبادئ مقارب . (٦) الخلاق : الحظ أو الدين
 وإنما يكون ذلك فى الخير ولكن الشاعر توسع فى استعمال الكلمة .
 (٧) مسين : مدينة من مدن صقلية خربها هذا الزلزال وتعرف عند
 العرب بمسينى ومن شعر ابن قلاقس « يا من يمسينى على مسينى »
 وداعيا الردى : الاغراق والاحراق . (٨) اللدات : جمع لدة وهو
 التراب أى النظير فى السن .

بغت الأرض والجبال عليها
 تلك تغلى حقدًا عليها فتنش
 فتجيب الجبال رجماً وقذفا
 وتسوق البحار رداً عليها
 فهنا الموت أسود اللون جون
 جند الماء والثرى لهلاك ال
 ودعا السحب عاتياً فأمدت
 فاستحال النجاء واستحكم اليأ
 وشنى الموت غلة من نفوس
 أين (رجيو) وأين ما كان فيها
 عوجلت مثل أختها ودهاها
 ربّ طفلٍ قد ساخ في باطن الأر
 وفتاة هيفاء تشوى على الجم
 وأبّ ذاهلٌ إلى النار يمشى
 باحثاً عن بناته وبنيه
 تأكل النار منه لا هو ناج
 غصّت الأرض ، أتخّم البحرما
 وشكا الحوت للنسور شكاة
 وطفى البحر أيما طغيان
 ق انشقاقاً من كثرة الغليان
 بشواظ من مارجٍ ودخان (١)
 جيش موج نائي الجناحي داني
 وهنا الموت أحمر اللون قاني (٢)
 خلق ثم استعان بالنيران
 به بجيش من الصواعق ثاني (٣)
 س وخارت عزائم الشججان
 لا تباليه في مجال الطعان
 من مغانٍ مأهولة وغواني (٤)
 ما دهاها من ذلك الثوران
 ض ينادى أي ! أبي ! أدركاني (٥)
 ر تُعاني من حرّه ما تعاني
 مُستميئاً تمتد منه اليدان
 مسرع الخطو مستطير الجنان (٦)
 من لظاها ولا اللظى عنه واني (٧)
 طواه من هذه الأبدان (٨)
 ردّتها النسور للحيتان

(١) الشواظ : لهب لا دخان فيه ، والمارج : النار بلا دخان .
 (٢) الجون الأسود فهو تأكيد والقانيء « بالهمزة » : الشديدة
 الحمرة وقد يسهل . (٣) المعاني المجاوز للحد . (٤) رجيو :
 مدينة بإيطاليا ، أما مسيني وتعرف عند العرب بربو ، والمعاني جمع معنى
 وهو المقام . (٥) ساخ في الأرض : دخل فيها وغاب .
 (٦) المستطير : المتفرق المشتت . (٧) اللظى : اللهب ، ووني :
 تراخي . (٨) غص كفرح : اعترض في حلقه شيء ، والمراد هنا
 امتلات وأتخمه الطعام ، أحدث له تخمة وأصل تائه واو فهو من الوخامة .

أسرفا في الجسموم نقرًا ونهثًا ثم باتا من كظة يشكوان (١)
 لا رعى الله ساكن القمم الششم ولا حاط ساكن القيعان (٢)
 قد أغارا على أكف براها بارئ الكائنات للاتقان
 كيف لم يرحما أناملها الغر ولم يرفقا بتلك البنان
 لهف نفسي وألف لهف عليها من أكف كانت صناع الزمان (٣)
 مولعات بصيد كل جميل ناصبات حبائل الألوان
 حافرات في الصخر أو ناقشات شائدات روائع البنيان
 منطقات لسان كل جماد مفحمت سواجع الأفنان (٤)
 ملهمات من دقة الصنع مالا يلهم الشعر من دقيق المعاني
 من تماثيل كالنجوم الدراري يهدم الدهر وهي في عنفوان
 عجب صنعها وأعجب منه صمتها ، تلك قدرة الرحمن
 إليه (مسين) آنسى اليوم بمبا ي فقد أوحشت بذاك المكان
 آيسى الدرة التي كانت الحليسة في تاج دولة الرومان
 غالها قبلك الزمان اغتيالاً وهي تلهو في غبطة وأمان
 جاءها الأمر والسرارة عكوف في الملاهي على غناء القيان (٥)
 بين صب مدله وطروب وخليع في اللهو مرخي العنان (٦)
 فانظوا كأنظواء أهلك بالأمس وزالت بشاشة العمران
 أنت (مسين) لم تزولى كما زلت ولكن أمسيت رهن الأوان

(١) الكظة : ما يعترى الانسان من امتلاء الطعام . (٢) القيعان جمع قاع وهو الأرض السهلة المطمئنة انفرجت عنها الجبال ومراد الشاعر بها البحر أو قراره . (٣) يالهي على كذا : عبارة يتحسر بها على فائت وضمير عليها للأكف ومن أكف بيان للضمير وصناع : حاذقة ماهرة في العمل اليدوي . (٤) سواجع الأفنان : الحمام يسجع على الفصون . (٥) السرة : الأشراف ، والقيان جمع قينة ، وهي الجارية المنية . (٦) الخليع : المستهتر بالشراب واللهو .

إن إبظاليا بنوها بناةً فاطمئني ما دام في الحيّ باني
فسلام عليك يوم توليدت بما فيك من مغان حسان
وسلام عليك يوم تعودين كما كنت جنة الطليان
وقال أبو الطيب المتنبى يصف الأسد :

وردٌ إذا ورد البحيرة شارباً ورد الفرات زئيره والنيل (١)
متخضب بدم الفوارس لابس في غيله من لبدتيه مغيلا (٢)
ما قوبلت عيناه إلا ظننا تحت الدجى نار الفريق حلولا (٣)
في وحدة الرهبان إلا أنه لا يعرف التحريم والتحليل
بطاً الثرى مترفقاً من تيهه فكأنه آس يجس عيلا (٤)
ويرد عفرتة إلى يافوخه حتى تصير لرأسه إكليلا (٥)
وتظنه مما يزمجر نفسه عنها بشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأتما ركب الكمي حواده مشكولا (٦)
وصف شعب بوان (٧) :

قال أبو العباس المبرد : كنت مع الحسن بن رجاء بفارس ، فخرجت
إلى شعب بوان ، فنظرت إلى تربة كأنها الكافور ، ورياض كأنها الثوب
الموشى وماء يتحدّر كأنه سلاسل الفضة ، على حصباء كأنها حصى الدر ،
فجعلت أطوف في جنباتها ، فإذا في بعض جدرانها مكتوب :

- (١) الورد : الجرىء واليحييرة : يويد بها بحيرة طبرية .
(٢) الفيل : الأجمة والشجر الكثير المتلف . ولبدتا الأسد ، ما على
كتفيه من الشعر . (٣) الفريق الجماعة ، وحلولا : حال من الفريق .
(٤) الآسى : الطيب . (٥) غفرة الأسد : الشعر المتجمع على قفاه .
(٦) الكمي : الشجاع المستتر في سلاحه والمشكول : المقيد .
(٧) هو جنان الدنيا الأربع عند أدباء العرب .

إذا أشرف المكروب من رأس تلعة
وألهاه مرجٌ كالحرير لطافة
وطيب رياض في بلاد مريعة
وفي شعب بوان يقول المتنبي :

مغانى الشعب طيباً في المغانى
طيت فرساننا والخيـل حتى
عدونا تنفض الأغصان فيها
فسرت وقد حجبـن الشمس عنى
وألقي الشرق منها في ثيابى
وأمواهٌ تصلُّ بها حصاها
إذا غنى الحمامُ الورق فيها
يقول بشعب بوانٍ حصانى

بمنزلة الربيع من الزمان (٣)
خشيت وإن كرمـن من الحران (٤)
على أعرافها مثل الجمان
وجئن من الضياء بما كفانى
دنائيرا تفرُّ من البنان (٥)
صليل الحلى في أيدي الغوانى
أجابته أغانى القيان
أعن هذا يسار إلى الطعان

وقال حافظ. إبراهيم يصف طيارة :

يجرى بسابحة تشد
وتكاد تقدح في الأثد
مثل الشهاب انقض في
قُ سبيلها شقُّ الإزار
ير فيستحيل إلى شرار (٦)
آثار عفريت . وطار

- (١) التلعة : ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها والمراد الأول .
- (٢) المريعة الخصبية ، والميم أصلية يقال : مرعت الأرض وأمرعت .
- (٣) المغانى جمع معنى اسم مكان من غنى أى أقام .
- (٤) طباه وأطباء : استهواه واستماله . (٥) يقول : ان اشتباك الأغصان يجعل ما يسقط من ضوء الشمس دوائر صغيرة كاللدنائير الا انها لا يمكن تناولها .
- (٦) الشرار والشرر : ما يطير من النصار واحدتهما شرارة .

فإذا علت فكدعوة ال
مُضطرَّ تخترق الستار
وإذا هوت فكما هوت
أنثى العقاب على الهزار (١)

وصف السيف للمرحوم البارودي :

أمضى به الهول مقداما ويصحبني
ماضى الغرار إذا ما استفحل الوهل (٢)
يمرُّ بالهام مرَّ البرق في عجل
وقت الضراب ولم يعلق به بلل
ترى الرجال وقوفاً بعد فتكته
بهم يظنون أحياء وقد قتلوا
كأنه شعلة في الكف قائمة
تهفوها الرياح أحيانا وتعادل
لولا الدماء التي يُسقى بها نهلا
لكاد من شدة اللألاء يشتعل
يفلّ ما بقيت في الكف قبضته
كل الحديد ولم يثار به فلل

وقال على بن محمد الأيادي يصف أسطول القائم الفاطمي المتوفى سنة ٤٣٣ هـ :

أعجب بأسطول الإمام محمد
وبحسنه وزمانه المستغرب
ليست به الأمواج أحسن منظر
يبدو لعين الناظر المستعجب
من كل مشرفة على ما قابلت
إشراف صدر الأجدل المنتصب (٣)
دهماء قد لبست ثياب تصنع
تسبي العقول على ثياب ترهب (٤)
من كل أبيض في الهواء منشراً
منها وأسحم في الخليج مُغيب
كملاءة في البر يقطع سيرها
في البحر أنفاح الرياح الشذب (٥)

(١) العقاب : طائر جارح وجمعه عقبان ، ولفظه مؤنث ، والأنثى منه تسمى اللقوة والذكر يسمى القرن وهو ضعيف وإنما اللقوة للأنثى ، ومن هذا يتبين السر في قول شاعرنا أنثى العقاب . (٢) الغرار : حد السيف ونحوه ، الوهل : الفرع . (٣) الأجدل : الصقر ، جمعه أجادل ، والمنتصب : المنتصب . (٤) يشير الى لون السفن الذي هو السواد الشبيه بلباس الرهبان والى لون أشرعتها الذي هو البياض . (٥) الشذب : جمع شاذب وهو الذي يطرد ويبعد أى الرياح التي تقذف على وجه الأرض وهذا كناية عن الشدة .

- محفوفة بمجادف مصفوفة في الجانبين دُوَيْنَ صلبٍ صُلبٍ (١)
 كقوادم النسر المرفرف عريت من كاسيات رياشه المتهذب (٢)
 وتحشها أيدي الرجال إذا ونت بمصعد منه بعيد مصوب (٣)
 خرقاء تذهب إن يدٌ لم تهدها في كل أَوْبٍ للرياح ومذهب (٤)
 جوفاء تحمل كوكباً في جوفها يوم الرهبان وتستقل بموكب
 ولها جناحٌ يستعار يُطيرها طوع الرياح وراحة المتطرب
 يعلو بها حذب العباب مطارة في كل لَجٍّ زاخر مُغْلُولِبٍ (٥)
 تسمو بأجرد في الهواء مُتوج عريان منسوج الذؤابة شوذَّب (٦)
 يتركب الملاح منه ذبابة لو رام يركبها القطا لم يركب (٧)
 فكأنما رام استراقه مقعد للسمع إلا أنه لم يشهب
 وكأنما جن ابن داوود همُّ ركبوا جوانبها بأعنف مركب
 سَجَرُوا جواحم نارهم فتقاذفوا منها بالأسن مارج متلهب (٨)
 من كل مسجور الحريق إذا انبرى من

- سجنه انصلت انصلات الكوكب (٩)
 عريان يقدمه الدخان كأنه صبح يكر على الظلام الغيب
 ولواحق مثل الأهلهُ جنحٌ لحق المطالب فائتات المهرب (١٠)
 يذهبن فيما بينهن لطافة ويجئن فعل الطائر المتغاب

(١) الصلب كسكر مبالغة في الصلب . (٢) الرياش : اللباس الفاخر والمراد هنا ريش الطائر ، والمتهذب : ذو الأهداب ونسر أهدب ، أى سابغ الريش . (٣) صعد الشيء رفعه ، وصوبه : خفضه . (٤) الأوب الجهة والطريق والمتطرب الحادى الذى يتغنى فى سوق الابل والمراد هنا الريان . (٥) حذب الماء تراكبه فى جريه والغلولب : الكثير ، يقال : اغلولب القوم اذا أكثروا . (٦) الشوذب : الطويل والبيت يصف فيه القرية كهدية وهى العود الطويل الذى يشبك القلع . (٧) ذبابة السيف : طرف حده والمراد طرف القرية . (٨) سجر : ملأ ، الجاحم : الجمر الشديد الاشتغال . (٩) انصلت : مضى وسبق . (١٠) اللحق : جمع لاحق ، كخدم : جمع خادم .

كنضانض الحيات رُحْنَ لواعبا حتى يقعن ببيرك ماء الميزب
 شرجوا جوانبها مجادف أتعبت شادى الرياح لها ولما تتعب (١)
 تنصاع من كشب كما نفر القطا طوراً وتجتمع اجتماع الربرب (٢)
 والبحر يجمع بينها فكأنه ليل يقرب عقرباً من عقرب
 وعلى جوانبها أسود خلافة تختال فى عدد السلاح المرهب
 فكأنما البحر استعار بزيبهم ثوب الجمال من الربيع المذهب

وصف القطار الحديدى

وقال المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف القطار الحديدى من قصيدة :
 صفحة البرق أومضت فى الغمام أم شهاب يشق جوف الظلام
 أم سليل البخار طار إلى القصر د فأعيا سوابق الأوهام (٣)
 مر كاللمح تكد تقف العين على ظل جرمة المتراعى (٤)
 أو كشرخ الشباب لم يدر كاسيد ه تولى فى يقظة أو منام (٥)
 لا يبالى السرى إذا اعتكر الليد ل وخانت مواقع الأقدام (٦)
 يقطع البيد والفيافى وحيداً لم تضععه وحشة الإظلام (٧)
 ليس يثنيه ما يذهب دماغ الض ب يوم الهجير بين الموامى (٨)
 لا ولا يعتريه ما يخرس النا بح فى الزمهير بين الخيام
 هائماً كالظلم أزعجه الصيـدُ وراعه طائشات السهام (٩)

- (١) شرح العيبة أدخل بعض عراها فى بعض والمراد هنا شبكوا فى جوانبها المجاذيف والشادى : السائق . (٢) انصاع القوم : ذهبوا سراعاً أو انقلبتوا والربرب : القطيع من بقر الوحش . (٣) السليل : الولد . (٤) المتراعى : المتتابع . (٥) شرخ الشباب أوله . (٦) السرى سير عامة الليل ، واعتكر الليل : اشتد سواده . (٧) البيد : جمع بيداء وهى الصحراء والفيافى : جمع فيفاء وهى المغازة لا ماء فيها . (٨) الموامى جمع مومة وهى الفلاة ، والضب : حيوان من أخص صفاته احتمال الحر الشديد . (٩) الظلم : ذكر النعام .

فهو يشتد فى النجاء ويهوى حيث ترمى بجانبه المرامى (١)
ياحديداً ينساب فوق حديد كانسياب الرقطاء فوق الرغام (٢)
قد مسحت البلاد شرقاً وغرباً بذراعى مُشمرٌ مقدام

وقال حفنى بك ناصف المتوفى عام ١٩١٩ يهنىء ويصف حريق عابدين :

واقى يقبل راحتك العامُ وحتت إليك رءوسها الأيام
الدهر أقسم لا يحىء بغير ما ترضى وكم برت له أقسام
فاقبل معاذير الزمان فطالما قبِلت معاذير المنيب كرام
واغفر جنائته على القصر الذى لم تحو مصرُ نظيره والشام
شبت به النيران فارتاعت لها مهج الأنام وهالها استعظام
لولا الدخان أحاط حول لهيبتها ما شكَّ فرد أنها أعلام
أمر به نفذ القضاء وليس فى أحكامه نقض ولا إبرام
بل حكمةٌ شاء الإله بيانها لعباده ليذيع الاستسلام
حتى يروا أن الملوك وإن علوا قدرا تسيرُ عليهم الأحكام
فإذا اقتدى بهم الرعية أحسنوا صبرا وخفت عنهم الآلام
عين السماء العابدين تطلعت حسدا عليك والعيون سهاماً
وتشوق القصر الكريم لأهله والشوق فى قلب المحب ضرام
لم يستطع صبراً على طول النوى والصبر فى شرع الغرام حرام
فتصعدت زفراته وتاججت جمزاته والصب كيف يلام
لولا الدموع من المطافى ما انقضى منه الهيام ولم يبل أوام
خرقت طباق الجو إلا إنها برد قصارى أمرها وسلام

وقال حافظ. إبراهيم يصف خزان أسوان ويمدح الحضرة الخديوية :

أخزان مصر أنت أم هرما مصر	أجل وأسى في المكانة والقدر
أعدت لنا مجد القرون التي مضت	وجددت من عهد الفراعنة العر
وهيها ما أهرام مصر وإن سمت	بأرفع رأساً من حضيضك لوتدرى
وليس سنان بن المشلل خالداً	بأنبة من (عبّاس) عصرك في الذكر
وما قطرات السحب كالدر تنهمى	بألطف وقعاً من عقيقك إذ يجرى
وما أنت خزان للمياه وطميها	وإبليزها بل خازن الدر والتبر
تدفقت بالخيرات من كل جانب	وجمعت أقطار المنافع في قطر
فقل للغواصي والروائح تنجلي	وفي غير مصر فلتسح على قفر
إذا ما جرت أمواها دون حاجة	وقاضت جرت منك المياه على قدر
ضربت على آثار مصر ولم يكن	ليطمسها لولا جلالك من أثر
ألا فلتسد مصر على كل بقعة	به وليطاول قطرها مسقط. القطر
بناء من الدهر استعار بقاءه	وأقسم ألا يُسترد من الدهر

الباب الخامس

في الاستعطاف والمعاتبات والاعتذارات

قال النابغة الذبياني الشاعر الجاهلي المتوفى سنة ٩٠٤ م من قصيدة طويلة :

يا دار مية بالعلياء فالسند	أقوت و طال عليها سالف الأمد (١)
وقفت فيها أصيلا لا أسائلها	عيت جواباً وما بالربع من أحد (٢)

(١) العلياء المكان العالي ، والسند محرّكة ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح ، وأقوت الدار خلت من السكان ، والأمد : الزمان الماضي .
 (٢) أصل أصيلا أصيلانا بالنون تصغير أصلان جمع أصيل وهو العشى أبدلت بالنون لاما ، وعيت أى حصرت وعجزت عن الجواب .

- إلا الأورارَ لأياً ما أُبينها والنوى كالحوض بالظلومة الجلد (١)
 ردت عليه أقاصيه ولبده ضرب الوايد بالمسحاة في الشأد (٢)
 خلت سبيلَ أُنَى كان يحبسهِ ورفعته إلى السجفينِ فالنضد (٣)
 أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد (٤)
 وقال أمية بن أبي الصلت الجاهلي يعْتَب على ابن له (٥) :

- غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً تعل بما أدنى إليك وتنهل (٦)
 إذا ليلة نابتك بالشكوى لم آيت لشكواك إلا ساهراً أتململ (٧)
 كئياً أنا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني ، وعيني تهمل (٨)
 تخافُ الردى نفسى عليك ، وإنها لتعلم أن الموت حتمٌ مؤجل (٩)
 فلم بلغت السن والغاية التي إليها مدى ما كنت فيك أومل

(١) الأورارى منصوب على أنه مستثنى منقطع وهو جمع أرى بمعنى الآخية ، والآخية كانية الوند الذى فى رأسه حلقة يدق فى الحائط أو يدفن فى الأرض لتربط فيه الدواب .
 والأياما أرى بعد جهد ، ما أنظرها ، والنوى الحفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل ، والمظلومة الأرض التى حفر فيها حوض وليست بموضع حفر الحوض فيها من أنها ليست بموضعه ظلم لها ، والجلد الأرض الصلبة المستوية المتن . (٢) ردت بالبناء للمجهول ونسده ألقى بعضه ببعض ، والمسحاة هى آلة يجرف بها الطين والشأد الطين (٣) الأتى الجدول الذى تؤتبه الى أرضك والسيل الغريب ويحبسه الضمير فيه يعود الى النوى ، والسجفين الستارتان اللتان تعلقان على الباب أو النافذة . (٤) احتملوا ذهبوا من دار الى أخرى وأخنى عليها أهلها ، يقال ان لقمان بن عاد عاش بمقدار عمر سبعة نسور كلما هلك نسر خلفه نسر آخر وكان آخرها لبد على وزن صرد .
 (٥) هو عبد الله بن أبى ربيعة الثقفى نشأ بالطائف جاهلياً يلتمس المعارف الدينية متعبداً راجياً أن يكون نبي العرب ، حتى اذا كانت بعثة النبى صلى الله عليه وسلم أكبرها عليه ، وناضله مع أعدائه حتى مات بالطائف سنة ٩ هـ .

- (٦) غذاه قام بمؤنته وعاله : كعلة وقام به ، واليسافع : من قنارب العشرين ، تعل : من العلل وهو الشرب الثانى والنهل : الشرب الأول ، يريد أنه يسبغ عليه من نعمه الكثير والقليل . (٧) أتململ : أتقلب على اللثة وهى الحمر . (٨) تهمل : أى يسيل منها الدمع .
 (٩) الردى : الهلاك ، حتم : أى لا مفر منه ، مؤجل : أى له وقت .

جعلت جزائي منك جبهاً وغلظة
 فليتك إذ لم ترع حق أبوتى
 وسميتنى باسم المُقنِّدِ رأيه
 تراه مُعداً للخلاف كأنه
 كأنك أنتَ المُنعمُ المتفضِّلُ (١)
 فعلت كما الجارُّ المجاور يفعل (٢)
 وفي رأيك التَّفنيْد لو كنت تعقل (٣)
 يردُّ على أهل الصَّوابِ مُوكل (٤)

وقال المغيرة بن حبناء :

خُذْ من أخيك العفو واغفر ذنوبه
 فإنك لن تلقى أخاك مُهدَّباً
 أخوك الذي لا ينقض النأي عهده
 وليس الذي يلقاك في البشر والرضا
 ولا تكُ في كلِّ الأمور تعاتبه
 وأى أمرى ينجو من العيب صاحبه
 ولا عند صرف الدهر يزور جانبه
 وإن غبت عنه لسعتك عقاربه

وقال سعيد بن حميد المتوفى سنة ٨٨٨ هـ :

أقلِّ عتابك فالبقاء قليل
 لم أبلِك من زمن ذممت صروفه
 ولكل نائبة ألت فرجة
 والمنتمون إلى الصفاء جماعة
 وأجلُّ أسبابِ المنية والردي
 فلئن سبقت لتفجعن بصاحب
 ولعل أيام البقاء قليلة
 والدهر يعدلُّ مرة ويميل
 إلا بكيْتُ عليه حين يزول
 ولكل حال أقبلت تحويل
 إن حصلوا أفناهم التحصيل
 يوم سيقطع بيننا ويحول
 جبل الصفاء بحبله موصول
 فعلام يكثُر عتبنا ويَطول ؟!

وقال شاعر الحجاز الحضرمي معن بن أوس المزني المتوفى سنة ٣٥٩ هـ :

لعمرك ما أدري وإني لأوجلُّ
 على أيّنا تعدو المنية أول

(١) الجبة : مقابلة الإنسان بما يكره . (٢) أى ليتك إذا أبيت أن تعاملنى معاملة الأب عاملتنى كما يعامل الجار جاره . (٣) فنده نسيه الى سوء العقل أى وصمتنى بسوء الرأى والقباوة ولو عقلت لعلمت ان الفند حقيق بأن ينب اليك لا الى . (٤) معدا : أى محضرا ومهيئنا ، أى تهيبء الخلاف ، ويقابل به كل رأى كأنه كلف أن يفند آراء أهل الصواب .

وإني أخوك الدائم العهد لم أخن
أحاربُ من حاربت من ذى عداوة
وإني على أشياء منك تُربيني
ستقطعُ في الدنيا إذا ما قطعني
إذا أنت لم تُنصف أخاك وجدته
ويركبُ جدَّ السيف من أن تضيمه
وكنت إذا ما صاحب رام ظنتي
قلبت له ظهر المجن فلم أدم
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكذ

وقال بهاء الدين زهير المتوفى سنة ٦٥٦ معتذراً لتأخره عن لقاء بعض أصحابه:

على الطائر الميمون ياخير قادم
قدمت بحمد الله أكرم مقدم
قدوماً به الدنيا أضاءت وأشرق
فياحسن ركب جئت فيه مسلماً
أمولاي سامحنى فإنك أهله

وقال محمد بن زريق البغدادي نادماً على الإفراط في طلب الدنيا ،

وكان قصد الأندلس في طلب الغنى ، فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه :

لا تعذليه فإن العذل يولعه
جاوزت في لومه حداً أضرب به
فاستعملى الرفق في تأنيبه بدلا
قد كان مضلماً بالخطب يحمله
يكفيه من لوعة التفتيد أن له
قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
من حيث قدرت أن اللوم ينفعه
من عنفه فهو مضي القلب موجه
فضيقت بخطوب البين أضلعه
من النوى كل يوم ما ترُوعه

ما آت مغترب إلا وأزعجه رأى إلى سفر بالعزم يجمعه
 كأنما هو من حل ومُرتحل موكلٌ بفضاء الأرض يذرعه
 إذا الزماعُ أراه في الرحيل غني ولو إلى السند أضحى وهو يزومه
 تأتي المطامعُ إلا أن تُجشِّمه للرزق كدًا ، وكم ممن يودعه
 وما مُجاهدة الإنسان توصله رزقاً ، ولادعة الإنسان تقطعه
 والله قسم بين الخاق رزقهم لم يخلق الله مخلوقاً يضيعه
 لكنهم ملئوا حرصاً فلست ترى مُسترزقاً ، وسوى الغايات يقنعه
 والسعي في الأرزاق والأرزاق قد قسمت

بغى ، ألا إن بغى المرء بصرعه
 والدهر يعطى الفتى ما ليس يطلبه يوماً ، ويمنعه من حيث يطعمه
 أستودع الله بغداد لي قمراً بالكرخ من فلك الأرزاق مطلعته
 ودعته وبودي لو يودعني صفو الحياة وأنى لا أودعه
 وكم تشفع أنى لا فارقه وللضرورات حال لا تشفعه
 وكم تشبث بي عند الرحيل ضحى وأدعني مُستهلات وأدععه
 لا أكذب الله ثوب العذر منخرق عني بفرقته لكن أرقعه
 إنى لأوسع عذرى جنائته بالنين عنه ، وقلبي لا يوسعه
 أعطيت ملكاً لم أحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
 ومن غدا لا بسا ثوب النعيم بلا شكر الإله ، فعنه الله ينزعه
 اعتضت عن وجدخلي بعد فرقته كأساً أجرع منها ما أجرعه
 كم قائل لي ذنب البين قلت له الذنب والله ذنبي لست أدفعه
 هلا أقمْتُ فكان الرشد أجمعه لو أننى يوم بان الرشد أتبعه
 إنى لأقطع أيامي وأنفذها بحسرة منه في قلبي تقطعه
 بمن إذا هجع النوام بت له بلوعة منه ليلي لست أهجعه

لا يطمئن لجنبي مضجع ، وكذا
 ما كنت أحسب أن الدهر يفجني
 حتى جرى الدهر فيما بيننا بيد
 بالله يامنزل القصف الذي درست
 هل الزمان معيد فيك لذننا ؟
 في ذمة الله من أصبحت منزله
 من عنده لى عهداً لا يضيعة
 ومن يصدع قلبي ذكره ، وإذا
 لأصبرنَّ للدهر لا يتمنى
 علماً بأن اصطبارى معقب فرجا
 عل الليالى التى أضنت بفرقتنا
 وإن تنل أحدا منا منيته
 لا يطمئن له مُذ بنت مضجعه
 به ، ولا أن بي الأيام تنجعه
 عسراء تمنعنى حظى وتمعه
 آثاره وعفت مذ غبت أربعه
 أم الليالى التى أمضته ترجعه
 وجاد غيثٌ على مغذاك يمرعه
 كما له عهد صدق لا أضيعة
 جرى على قلبه ذكرى يصدعه
 به ، ولا بى فى حال يتمعه
 وأضيق الأمر إن فكرت أوسعه
 جسمى ستجمعنى يوماً وتجمعه
 فما الذى بقضاء الله يصنعه

وقال المرحوم محمد حافظ. بك إبراهيم من قصيدة (بين اليقظة والمنام)
 فى استعطاف الزمان :

أشرق فدتك مشارق الإصباح
 بوركت يا يوم الخلاص ولاونت
 بالله كن يمنا وكن بشرى لنا
 أقبلت والأيام حولك مثل
 وخرجت من حجب الغيوب محجلا
 لو صح فى هذا الوجود تناسخ
 ولكنك يوم (اللابرنت) بعينه
 يوم يريك جلاله ورواؤه
 وأمط. لثامك عن نهار ضاح
 عنك السعود بغدوة ورواح
 فى رد معترب وفك سراح
 صفيين تخطر خطرة المياح
 فى كل لحظ. منك ألف صباح
 لرأيت فيك تناسخ الأرواح
 فى عزة ، وجلالة ، وسماح
 فى الحسن قدرة فائق الإصباح

خلعت عليه الشمس حاة عَسَجِدِ
 اللَّهُ أَثْبَتَهُ لَنَا فِي لَوْحِهِ
 حِيهِ عَنَا يَا أَزَاهِرُ ، واملئني
 وانفخه عَنَا يَا رَبِيعَ بِكُلِّ مَا
 لِلنَّيْلِ مَجْدٌ فِي الزَّمَانِ مُؤْتَلٌ
 فَسَلِ العَصُورَ بِهِ ، وِسل آثَارُهُ
 قَدْ قَالَ (عَمْرُو) فِي ثَرَاهَا آيَةٌ
 بَيْنَا نَرَاهُ لِأَلْتَأُ وَكَأَمَّا
 وَإِذَا بِهِ لِلنَّاطِرِينَ زُمُرٌ
 وَإِذَا بِهِ مِسْكٌ تَشَقُّ سَوَادُهُ
 هَمُّ يَا ابْنَ مِصْرَ فَأَنْتَ حُرٌّ وَاسْتَعَدَّ
 شَمْرٌ وَكَافَحَ فِي الحَيَاةِ فَهَذِهِ
 وَانْهَلْ مَعَ النَّهَالِ مِنْ عَذْبِ الحَيَاةِ
 وَإِذَا أَلْحَ عَلَيْكَ خَطْبُ لَاتِهِنِ
 وَخُضْ الحَيَاةَ وَإِنْ تَلَاطَمَ مَوْجُهَا
 وَاجْعَلْ عِيَانَكَ قَبْلَ خَطْوِكَ رَائِدًا
 وَإِذَا احْتَوَتْكَ مَحَلَةٌ وَتَنَكَّرَتْ
 فِي البَحْرِ لَا تَتَشَبَّهْ نَارًا بِبُورَاجِ
 وَانظُرْ إِلَى الغَرْبِيِّ كَيْفَ سَمَتْ بِهِ
 وَاللَّهُ مَا بَلَغَتْ بَنُو الغَرْبِ المَنَى
 رَكَبُوا البَحَارَ وَقَدْ تَجَمَّدَ مَاؤُهَا
 وَالبَرُّ مِصْهُورٌ الحِصَى مِتَّاجَجًا
 يَلْقَى فَتِيهِمُ الزَّمَانَ بِهَمَّةِ

وحباه (آزار) أرق وشاح
 أَبَدَ الأَبِيدِ فَمَا لَهُ مِنْ مَاحِ
 أَرْجَاءُهُ بِأَرْيَجِكَ الفِيَّاحِ
 أَطْلَعْتَ مِنْ رِنْدٍ وَنَوَّرَ أَقْوَاحِ
 مِنْ عَهْدِ (آمُون) وَعَهْدِ (فَتَاحِ)
 فِي مِصْرَ كَمْ شَهِدْتَ مِنَ السِّيَّاحِ
 مَأْثُورَةٌ ، نَقَشْتَ عَلَى الأَلْوَاحِ
 نَشَرْتَ بِتَرِبَتِهِ عَقُودَ مِلاحِ
 يَشْفِيكَ أَحْضِرُهُ مِنَ الأَتْرَاحِ
 شَقَّ الأَدِيمِ مِحَارِثَ الفِلاحِ
 مَجْدَ الجُدُودِ ، وَلَا تُعَدُّ لِمِزَاحِ
 دُنْيَاكَ دَارٌ تَنَاحِرُ وَكِفَاحِ
 فَإِذَا رَقَا فَامْتَحُ مَعَ المَتَّاحِ
 وَاضْرِبْ عَلَى الإِلْهَاحِ بِالإِلْهَاحِ
 خَوْضَ البَحَارِ رِيَاضَةَ السَّبَاحِ
 لَا تَحْسِبَنَّ العَمْرَ كَالضَّحْضَاحِ
 لَكَ فَاعْذُهَا وَانزَحْ مَعَ النِّزَاحِ
 فِي البَرِّ لَا يَلُوبِكُ غَابُ رِمَاحِ
 بَيْنَ الشُّعُوبِ طَبِيعَةُ الكَدَّاحِ
 إِلا بِنِيَاتِ هُنَاكَ صِحَاحِ
 وَالجَوْ بَيْنَ تَنَاحُحِ الأَروَاحِ
 يَرَى بِنِزَاعِ الشُّوَى لَوَّاحِ
 عَجِبَ ، وَوَجَّهَ فِي الخَطُوبِ وَقَاحِ

ويشق أجواز الفقار مغامرا
وابن الكنانة في الكنانة راكدا
لايستغل - كما علمت - ذكاءه
أمسى كماء النهر ضاع فراته
فانهض ودع شكوى الزمان ولا تنح
واربح لمصر برأس مالك عزة
وإذا رزقت رياسة فانسج لها
واشرب من الماء القراح منعماً

وعر الطريق لديه كالصحاح
يرنو بعين غير ذات طماح
وذاكاه كالخاطف اللماح
في البحر بين أواجه المنداح
في فادح البؤسى مع الأنواح
إن الذكاء حباله الأرباح
بُردين : من حزم ، ومن إسجاح
فلكم ورذت الماء غير قراح

الباب السادس

في التهاني والتهادى والاعزاء

قال أبو الطيب المتنبي :

المجد عوفى إذ عوفيت والكرم
صحت بصحتك الغارات وابتهجت
وراجع الشمس نور كان فارقتها
ولاح برقك لى من عارضى ملك
يسمى (الحسام) وليست ذى مشابها
نفرّد العرب في الدنيا بمحتده
وأخلص الله للإسلام نصرته
وما أخصك في برء بتهنئة

وزال عنك إلى أعدائك الألم
بها المكارم وانهلت بها الدائم
كأنما فقدته في جسمها سقم
ما يسقط. الغيث إلا حين يبتسم
وكيف يشبهه المخدم والخدم
وشارك العرب في إحسانه العجم
وإن تقلب في آلائه الأمم
إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقال الوزير صاحب إسماعيل بن عباد :

هذى المكارم والعلياء تفتخر
يوم تبسم عنه الدهر واجتمعت

بيوم ماثرة ساعاته غرر
له السعود وأغضب دونه الغير

حتى كأننا نرى فى كل ملتفت
لما تجلى عن الآمال مشرقة
وافى على غير ميعاد يبشرنا
أهنى المسرات ما جاءت مفاجأة
وما تعنف من يسخر بمهجته
فما عدوت وما للعين منقلب
ثنت مهابتك الأبصار حاسرة
إذا تاملتهم غضوا ، وإن نظروا
فى ملبس ما رأته عينٌ معترض
ألبيسته منك نورا يستضاء به
وقد تقلدت عضبا أنت مضر به
ما زال يزداد من إشراق غرته
والشمس تحسد طرفاً أنت رآك به
حتى لقد خلت أن الشمس أزعجها
وقال أبو أذينة يغرى الأسود بن المنذر بقتل آل غسان ، وكانوا
قد قتلوا أخاً له :

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا
وأحزم الناس من إن فرصة عرضت
وأنصف الناس فى كل المواطن من
وليس يظلمهم من راح يضربهم
ولا يسوغه المقدر ما وهبا
لم يجعل السبب الموصول منقبضا
سقى المعادين بالكأس الذى شربا
بحد سيف به قلبهم ضربا

(١) الخزر ضيق العين وصفرها .
(٢) المزن : السحاب الأبيض ويقال للهلال ابن مزنة وهى القطعة من المزن لخروجه منها .
(٣) الأشر بفتح الشين المرح والاختيال .

والعفو إلا عن الأكفاء مكرمة
قتلت عمرا وتستبقي يزيد لقد
لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها
هم جرّدوا السيف فاجعلهم له جزرا
إن تعف عنهم يقول الناس كلهم
هم أهلة غسان ومجدهم
وعرضوا بفداء واصفين لنا
يحبون دماً منّا ونحلبهم
من قال غير الذى قد قتلته كذبا
رأيت رأياً يجرُّ الويل والحربا
إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا
وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطباً
لم يعف حلماً ولكن عفوه رهبة
عال ، فإن حاولوا ملكاً فلا عجباً
خيلاً وإبلاً تفوق العجم والعربا
رسلاً ، لقد شرّفونا فى الورى حلباً

وقال صنى الدين الحلبي يحرض السلطان الصالح على الاحتراز من المغول :

لا يمتطى المجد من لم يركب الخطرا
ومن أراد العلاء عفوا بلا تعب
لا بد للشهد من نحل يمنعه
لا يُبلغ السؤل إلا بعد مؤلّة
وأحزمُ الناس من لو مات من ظملاً
وأغزر الناس عقلاً من إذا نظرت
فقد يُقال عثار الرّجل إن عثرت
من دبّر العيش بالآراء دام له
يهون بالرأى ما يجرى القضاء به
من فاته العزُّ بالأقلام أدركه
لا يحسن الحلم إلا فى موطنه
ولا ينال العلاء إلا فى شرفت
ولا ينال العلاء من قدم الحذرة
قضى ولم يقض من إدراكها وطرا
لا يجنى النفع من لم يحمل الضررا
ولا يتم المني إلا لمن صبراً
لا يقرب الورد إلا من يعرف الصدر
عيناه بالأمر غدا بالغير مُعتبراً
ولا يقال عثار الرأى إن عثرا
صفوا وجاء إليه الخطب مُعتذرا
من أخطأ الرأى لا يستدنب القدر
بالبيض يقده من أطرافها الشررا
ولا يليق الوفا إلا لمن شكراً
خلاله فإطاع الدهر ما أمراً

كالصالح الملك المرهوب سطوته
لما رأى الشرَّ قد أبدى نواجذه
رأى القسى إنائاً عن حقيقتها
فجرد العزم من قبل الصفاح لها
يكاد يقرأ من عنوان همته
كالبحر والدهر فى يومى ندى وردى
ما جاد للناس إلا قبل ما سألوا
لاموه فى بذله الأموال قلت لهم
فلو توعد قلب الدهر لا نفطرا
والغدر عن نابه للحرب قد كشرا
فعافها واستشار الصارم الذكرا
ملك عن البيض يستغنى بما شهرا
ما بصحائف ظهر العيب قد سطرا
والليث والغيث فى يومى وغى وقرى
ولا عفا قط إلا بعد ماقدرا
هل تقدر السحب ألا ترسل المطرا

وقال السيد أحمد الهاشمى مؤلف هذا الكتاب مهنئاً المرحوم على يوسف

صاحب جريدة المؤيد سنة ١٣٢٠ هـ بأوبته من أوروبا :

(على) القدر ذو الشرف المؤيد
وحيد الفضل والعلياء تشهد
شريف النفس محمود السجايا
همام ما له أبداً مثيل
مُحب العدل مشكور المساعى
قوى البأس بسام الثنايا
فمن يك راقياً شرف المعالى
وكيف وأنت أعظم من تصدى
وكيف وأنت أفوق كل رامٍ
وليس الشمس تخفى عن عيون
وإن البدر بالأنوار زاهٍ
شديد العزم (يوسف) قد تفرد
رفيع المجد فى عز وسؤدد
عريق الأصل فى المعروف أوحد
بليغ النطق فى الكتاب مفرد
علم بالسياسة ، بل (مؤيد)
سعيد الجد ذو قدرٍ مجد
كمثلك فى الورى لاشك يحمده
لتأييد الصحافة (بالمؤيد)
بسهم للكتابة قد تجرد
سوى أن كان صاحبهنَّ أرمده
ويأبى الله إلا أن تؤيد

فسبحان الذى أسرى (علياً) إلى التاميز والسين المنصّد
 يهنئك المناصب كلّ وقت وتخدّمك السعادة ما تجدد
 قدم ياسيدى بدرا منيرا وحصناً للمعالي قد تشيد
 وهالك من المحب قصيد شعر تشير إلى وفائى ، بل وتشهد
 تفاخر مصر أهل الشرق فيها تقول الهاشمى شدا وأنشد

وقال محمد حافظ. إبراهيم مهنثا أبناء وطنه بالعام الهجرى :

أهلاً بنا بة البلاد ومرحباً جدّدتم العهد الذى قد أخلقا
 لانيأسوا أن تستردّوا مجدكم فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى
 مدّت له الآمال فى أفلاكها خيط الرّجاء إلى العلاء فتسلقا
 فتجشموا للمجد كل عظمة إني رأيت المجد صعب المرتقى
 من رام وصل الشمس حاك خيوطها سبباً إلى آماله وتعلقا
 عار على ابن النيل سباق الورى مهما تقلب دهره أن يسبقا
 أو كلما قالوا : تجمع شمله ، لعب الخلاف بجمعنا فتفرقا
 فتدققوا حججاً وخوضوا نيلكم فلكم أفاض عليكم وتدفقا
 حملوا علينا بالزمان وصرفه فتأنقوا فى سلينا وتأنقا
 فتعلموا فالعلم مفتاح العلاء لم يبق باباً للسعادة مغلقا
 نم استمدّوا منه كل قواكم إن القوى بكل أرض متقى
 ابنوا حوالى حوضكم من يقظة سورا وخطوا من حذارٍ خندقا
 وزنوا الكلام وسددوه فإنهم خبأوا لكم فى كل حرف مزلقا
 وامشوا على حذر فإن طريقكم وعر أظاف به الهلاك وحلقا

نصبوا لكم فيه الفخاخ وأرصدوا
الموت فى غشيانه وطروقه
فتحينوا، فرص الحياة كثيرة
أو فاخلقوها قادرين فإنما
للسالكين بكل فج موبقا
والموت كل الموت ألا يطرقا
وتعجلوها بالعزائم والرقى
فرص الحياة خليفة أن تخلقا

* * *

الباب السابع

فى المراثى

قال المهلهل التغلبى يرثى أخاه كليبا وهو جاهلى توفى سنة ٥٣١ م :

أهاج قذاه عيني الأذكار ؟
وصار الليل مشتملا علينا
وبت أراقب الجوزاء حتى
أصرف مقلتي فى إثر قوم
وأبكى والنجوم مطلعات
على من لو نعت وكان حيا
دعوتك يا كليب فلم تجبني
أجبنى يا كليب خلاك ذم
سقاك الغيث إنك كنت غيثا
أبت عيناي بعدك أن تكفا
وإنك كنت تحلم عن رجال
وتمنع أن يمسه لسان
هدوءا فالدموع لها انهمار
كأن الليل ليس له نهار
تقارب من أوائلها انحدار
تباينت البلاد بهم فغاروا
كأن لم تحوها عنى البحار
لقاد الخيل يحجبها الغبار
وكيف يجيبني البلد القفار ؟
لقد فجعت بفارسها نزار
ويسرا حين يلمس اليسار
كأن عصا القناد لها شفار
وتعفو عنهم ولك اقتدار
مخافة من يجير ولا يُجار

وكنت أعدّ قربي منك ربحاً
 فلا تبعد فكل سوف يلقى
 يعيش المرء عند بنى أبيه
 أرى طول الحياة وقد تولى
 كأنى إذ نعى الناعى كليباً
 فدرت وقد غشى بصرى عليه
 سألت الحى : أين دفنتموه ؟
 فسرت إليه من بلدى حثيثاً
 وحادت ناقتي عن ظل قبر
 أتعدو يا كليب معى إذا ما
 خذ العهد الأكيد على عمرى
 ولست بخالع دِرعى وسيفى
 إذا ما عدت الربح التجار
 شعوباً يستدير بها المدار
 ويوشك أن يصير بحيث صاروا
 كما قد يسلبُ الشيء المعار
 تطاير بين جنبيّ الشرار
 كما دارت بشارها العقار
 فقالوا لى : بأقصى الحى دار
 وطار النوم وامتنع القرار
 ثوى فيه المكارم والفخار
 جبان القوم أنجاه الفرار ؟
 بتركى كل ما حوت الديار
 إلى أن يخلع الليل النهار

* * *

وقال صفى الدين الحلى المتوفى سنة ٥٥٠ هـ يرثى غريقاً :

أصفيح ماء أم أديم سماء
 ما كنت أعلم قبل موتك موقنا
 ولقد عجبت وقد هويت بلجة
 لم لا يشق لك العباب وطالما
 أنف العلاء عليك من لس الثرى
 وأجل جسمك أن يغير لطفه
 فأحلّه جدثا طهورا مشبهاً
 فيه تغور كواكب الجوزاء
 أن البدور غروبها فى الماء
 فجرى على رسل بغير حياء
 أشبهت موسى باليد البيضاء
 وحلول باطن حُصرة ظلماء
 عفن الثرى وتكاثف الأرجاء
 أخلاقه فى رقة وصفاء

مذاك بدعا أن يضم صفاؤه نورا يضمن به على الغبراء
فالبحر أولى في القياس من الثرى ي بجوار تلك الدرّة الغراء

* * *

وقال أيضاً يرثي الملك ناصر الدين عمر :

بكي عليك الحُسام والقلم وانفجع العلم فيك والعلم
وضجت الأرض فالعباد بها لاطمة والبلاد تلتطم
تظهر أحزانها على ملك جل ملوك الورى له خدم
أبلج ، غض الشباب مقتبل الـ عمر ، ولكن مجده هرم
محكمٌ في الورى وآمله يحكم في الورى ويحتكم
يجتمعُ المجدُ والثناء له وماله في الوفود يُقتسم
قد سئمت جوده الأنام ، ولا يلقاه من بذاه الندى سأم
ما عرفت منه «لا» ولا «نعم» بل دونين الآلاء والنعم
الواهب الألف وهو مبتسم ، والقاتل الألف وهو مقتحم
مبتسمٌ والكمأة عوابسُ وعابسُ والسيوفُ تبتسمُ
لم يعلم العالمون ما فقدوا منه ، ولا الأقربون ما عدّوا
ما فقد فرد من الأيام كمن إن مات ماتت لفقده أمم
يا طالب الجود قضى عمر ، فكل جود وجوده عدم
فالناس كالعين إن نقلتهم تفاوتت عند نقدك القيم
مضى الذي كان للأنام أبا فاليوم كل الأنام قد يتموا
حل دارا ضاقت بساكنها ودون أدنى دياره إرم

قال أبو الحسن التهامي يرثي صغيرا له ، ويفتخر بفضله ، ويشكو
زمانه وحاسديه :

حُكْمُ النِّيةِ فِي البريةِ جارٍ
بيننا يُرَى الإنسانُ فيها مخبرا
طبعت على كَدْرٍ وَأنتِ تريدها
ومكلفُ الأَيامِ ضدَّ طباعها
وإذا رجوت المستحيلَ فإِنما
فالعيشُ نومٌ والنِّيةُ يقظة
فاقضوا مآربكم عَجَلا إِنما
وتراكضوا خيلَ الشبابِ وبادروا
فالدَّهرُ يخدعُ بالمتى ويغصُ إن
ليس الزمانُ وإن حُرِصت مسالماً
إني وترت بصارمِ ذى رونقٍ
والنفسُ إن رضيت بذلك أو أبيت
أثنى عليه بإثره ولو أنه
يا كوكباً ، ما كان أقصرَ عمره
وهلالُ أيامِ ماضى لم يُستدر
عجلُ الخسوفِ عليه قبلَ أوانه
واستل من أترابه ولداته
فكانَ قلبى قبره وكأنه
إن يُعْتَبط. صغرا فرب مقم

ما هذه الدنيا بدارٍ قرارٍ
حتى يرى خبِرا من الأخبارِ
صفوا من الأَفذارِ والأَكدارِ
متطلبٌ في الماءِ جذوةُ نارِ
تبنى الرجاءَ على شفيرِ هارِ
والمرءُ بينهما خيالٌ سارِ
أعماركم سفرٌ من الأسفارِ
أن تسترد فإِنَّهن عوارِ
هنا ويهدمُ ما بُنى ببوارِ
خلق الزمانِ عداوةُ الأحرارِ
أعدته لطلابِ الأوتارِ
مُنقادَةٌ بِأزَمَةِ المقدارِ
لم يُعْتَبط. أثنيت بالآثارِ
وكذاك عمر كواكبِ الأسفارِ
بدرا ولم يمهل لوقتِ سِرارِ
فمحاها قبل مظنةِ الإبدارِ
كالمقلة استلت من الأشفارِ
في طيه سرٌّ من الأسرارِ
يبدو ضئيل الشخصِ للنظارِ

إن الكواكب في علو محلها
 ولد المعزى بعضه فإذا مضى
 أبكيه ثم أقول معتذرا له
 جاورت أعدائي وجاور ربّه
 ثوب الرياء يشف عما تحته
 قصرت جفوني أم تباعد بينها
 جفت الكرى حتى كأن غراره
 ولو استزارت رقدة لطحها
 أحي الليالي التم وهي تمني
 حتى رأيت الصبح تهتك كفه
 والصبح قد غمر النجوم كأنه
 والهون في ظل الهوينا كامن
 تندى أسرة وجهه ويمينه
 ويمد نحو المكرمات أناملا
 يحوى المعالي كاسباً أو غالباً
 قد لاح في ليل الشباب كواكب
 وتلهب الأحشاء شيب مفرق
 شاب القذال وكل غصن صائر
 والشبه منجذب فلم بيض الدمى
 وتود لو جعلت سواد قلوبها
 لا تنفر الطيبات عنه فقد رأت
 شيثان ينقشعان أول وهلة
 لترى صغارا وهي غير صغار
 بعض الفتى فالكل في الآثار
 وفقت حين تركت الأم دار
 شتان بين جواره وجواري
 وإذا التحفت به فإنك عار
 أم صورت عيني بلا أشفار
 عند اغتماض العين وخز غرار
 ما بين أجفاني من التيار
 ويميتهن تبلج الأسحار
 بالضوء رفر خيمة كالقار
 سيل طغي فظفا النوار
 وجلالة الأخطار في الإخطار
 في حالة الإعسار والإيسار
 للرزق أثنائهن مجار
 أبدا بدارى دونها ويدارى
 إن أمهلت آلت إلى الإسفار
 هذا الضياء شواظ تلك النار
 فينانه الأحوى إلى الإزهار
 عن بيض مفرقه ذوات نفار
 وسواد أعينها خضاب عذار
 كيف اختلاف النبات في الأطوار
 ظل الشباب، وخلة الأشرار

لا حَبْدًا الشَّيْبُ الوَفَى وَحَبْدًا ظِلُّ الشَّبَابِ الخَائِنِ الغَدَّارِ
 وطرى من الدنيا الشباب وروقه فإذا انقضى فقد انقضت أوطارى
 قصرت مسافته وما حسناته عندى ولا آلاؤه بِقِصَارِ
 نزداد همًّا كلما ازددنا غِنَى والفقر كُلُّ الفقر فى الإكثارِ
 مازاد فوق الزَّاد حُلْفٌ ضائِعًا فى حادثٍ أو وارثٍ أو عارِ
 إني لأرحمُ حاسدىً لحرما ضمت صُدُورهم من الأوغارِ
 نظروا صنيع الله بي فعيونهم فى جنة وقلوبهم فى نارِ
 لا ذنب لى قد رُمْتُ كتم فضائلى فكأنما برقعت وجه نهارِ
 وسترتها بتواضعى فتطلعت أعناقها تعلو على الأستارِ
 ومن الرجال معالم ومجاهل ومن النجوم غوامض ودرارى
 والناس مُشْتَبِهون فى إيرادهم وتفاضل الأقوام فى الإصدارِ
 عمرى لقد أوطأهم طُرُق العِلا فعموا فلم يقفوا على آثارى
 لو أبصروا بقلوبهم لاستبصروا وعمى البصائر من عمى الأبصارِ
 هلا سَعَوْا سَعَى الكرام فآدرکوا أو سلّموا لمواقع الأقدارِ
 ولربما اعتَصَدَ العليم بجاهل لا خير فى يمنى بغير يسارِ

وقال أبو البقاء صالح بن شريف الرندي ، المتوفى سنة ٧٩٨ هـ يرثى الأندلس :

لكل شىءٍ إذا ماتم نقصانُ فلا يَغْرُ بطيب العيش إنسانُ
 هى الأمورُ كما شاهدها دُولُ من سره زمنٌ ساعتهُ أزمانُ
 وهذه الدار لا تُبْقَى على أحدٍ ولا يدوم على حال لها شانُ
 يُمَزَّقُ الدهر حتماً كل سَابِغَةٍ إذا نبت مشرفياتٌ وخرُصانُ
 وينتضى كل سيف للفناء ولو كان ابن ذى يزن والغمد غمدانُ
 أين الملوك ذووا التيجان من يمن وأين منهم أكاليل وتيجان ؟

وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شِدَادٌ فِي إِرْمٍ وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفِرْسِ سَاسَانُ؟
 وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونَ مِنْ ذَهَبٍ وَأَيْنَ عَادٌ وَشَدَادٌ وَقِحْطَانُ؟
 أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَ لَهُ حَتَّى قَضُوا فَكَانَ الْقَوْمَ مَا كَانُوا
 وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكٍ كَمَا حَكَى عَنْ خِيَالِ الطَّيْفِ وَسِنَانِ
 دَارِ الزَّمَانِ عَلَى «دَارِ» وَقَاتِلِهِ وَأَمَّ كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيْوَانُ
 كَأَنَّمَا الصُّعْبُ لَمْ يَسْهَلْ لَهُ سَبَبٌ يَوْمًا وَلَا مَلِكُ الدُّنْيَا سَلِيمَانُ
 فَجَائِعِ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ وَلِلزَّمَانِ مَسْرَاتٌ وَأَحْزَانُ
 وَلِلْحَوَادِثِ سُلوَانٌ يُسْهَلُهَا وَمَا لَمَّا حُلَّ بِالْإِسْلَامِ سُلوَانُ
 دَهَى الْجَزِيرَةِ أَمْرٌ لَا عِزَاءَ لَهُ هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَأَنْهَدَّ ثَهْلَانُ
 أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَارْتَزَأَتْ حَتَّى خَلَّتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبِلْدَانُ
 فَاسْأَلْ (بَلَنْسِيَّةً) مَا شَأْنُ (مُرْسِيَّةِ)

وَأَيْنَ (شَاطِبِيَّةً) أَمَّ أَيْنَ (جِيَانُ)
 وَأَيْنَ (قُرْطُبِيَّةً) دَارَ الْعُلُومِ فَكَمْ مِنْ عَالَمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ؟
 وَأَيْنَ (جِمَصُ) وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزْهِ

وَنَهْرَهَا الْعَذْبُ فَيَاضُ وَمَلَانُ
 قَوَاعِدُ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلَادِ فَمَا عَسَى الْبِقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ
 تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةَ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسْفٍ كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلْفِ هِيَامُ
 عَلَى دِيَارِ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةً قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالْكَفْرِ عُمَرَانُ
 حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ سَارَتْ كَنَائِسُ مَا فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسُ وَصُلْبَانُ
 حَتَّى الْمَحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ حَتَّى الْمَنَابِرُ تَرْتِي وَهِيَ عِيدَانُ
 يَا غَافِلًا وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ إِنْ كُنْتَ فِي سَنَةِ فَالذَّهْرُ يَقْطَانُ
 وَمَا شِئَا مَرَحًا يُلْهِمُهُ مَوْطِنُهُ أَبْعَدَ جِمَصُ تَغْرَّ الْمَرْءِ أَوْطَانُ؟

تلك المصيبة أنست ماتقدمها
 ياراكبين عتاق الخيل ضامرة
 وحاملين سيوف الهند مرهفة
 وراتعين وراء البحر في دعة
 أعندكم نبأ من أهل أندلس
 كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
 ماذا التقاطع في الإسلام بينكم
 ألا نفوس أبيات لها همم
 يامن لئذ قوم بعد عزهم
 بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم
 لمثل هذا يذوب القلب من كمد
 وما لها من طوال الدهر نسيان
 كأنها في مجال السبق عقبان
 كأنها في ظلام النقع نيران
 لهم بأوطانهم عز وسلطان
 فقد سرى بحديث القوم ركبان؟
 قلى وأسرى، فما يهتز إنسان؟
 وأنتم - يا عباد الله - إخوان؟
 أما على الخير أنصار وأعوان؟
 أحال حالهم جوراً وطغياناً
 واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
 إن كان في القلب إسلام وإيمان

وقال المتنبي يرثى أبا شجاع فاتكاً :

الحزن يقلق والتجمل يُردع
 يتنازعان دموع عين مسهد
 النوم بعد أبي شجاع نافر
 إني لأجبن من فراق أحبتي
 ويزيدني غضب الأعدى قسوة
 تصفو الحياة لجاهلٍ أو غافل
 ولن يغالط في الحقائق نفسه
 أين الذي الهرمان من بنيانه؟
 تتخلف الآثار عن أصحابها
 والدمع بينهما عصي طبع
 هذا يجيء بها، وهذا يرجع
 والليل معي والكواكب طلعت
 وتحس نفسي بالحمام فأشجع
 ويلم بي عتب الصديق فأجزع
 عما مضى منها وما يتوقع
 ويسومها طلب المحال فتطمع
 ما قومه، ما يومه، ما المصرع؟!
 حيناً ويلدركها الفناء فتتبع

وقال عبد المجيد بن عبدون القهرى المتوفى سنة ٥١٠ هـ راثيا ملوك
بنى الأفتس من قصيدة طويلة ممتعة فى التاريخ والأدب ، ومطلعها :

الدهر يفجع بين العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور ؟
أنهاك ، أنهاك ، لا أنهاك واحدة عن نومة بين نياب الليث والظفر
فالدهر حربٌ وإن أبدى مُسألة فالبيض والسمر مثل البيض والسمر
ولا هوادة بين الرأس تأخذه يد الضراب وبين الصارم الذكر
فلا يغرنك من دنياك نومتها فما صناعة عينها سوى السمر
فيا ليالى - وقاك الله عثرتها - من الليالى وغالتها يد الغير
فى كل حين لها فى كل جارحة منا جراح ، وإن زاغت عن البصر
تسر بالشئ لكن كى تغرُّ به كالأيِّم ثار إلى الجانى عن الزهر
كم دولة وليت بالنصر خدمتها لم تبق منها وسلٌ دنياك عن خبر

وقال أبو ذؤيب يرثى أولاده :

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أمامة : ما لجسمك شاحبا منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم وإذا المنية أقبلت لا تدفع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميمة لا تنفع
فالعين بعدهم كأن جفونها كحلت بشوك فهى عورٌ تدفع
وتجلدى للشامتين أريهم أنى لريب الدهر لا أتضعضع
حتى كأنى للحوادث مروة نصف المشقر كل يوم تقرع
لا بد من تلف مقيم فانتظر أبارض قومك أم بأخرى المضجع
ولقد أرى أن البكاء سفاهة ولسوف يولع بالبكا من يفجع

وليأتين عليك يوماً مرةً يبكي عليك معنفاً لا تسمع
فلئن بهم فجع الزمان وريبه إني بأهل مودتي لمفجع
والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تردُّ إلى قليل تقنع

وقال أبو الحسن الأنباري ، المتوفى عام ٢٣٨ هـ يرثي أبا طاهر بن بقية وزير عزم الدولة لما قتل وصلب (١) ، وهي من أعظم المراثي ، ولم يسمع بمثلا في مصلوب حتى أن عضد الدولة الذي صلبه تمنى أن لو كان هو المصلوب ، وقيلت فيه :

علوُّ في الحياة وفي الممات لحقُّ تلك إحدى المعجزات
كان الناس حولك حين قاموا وفودُ نذاك أيام الصلات
كانك قائم فيهم خطيباً وكلهم قيامٌ للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفاءً كمدَّهما إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن يضمُّ علاك من بعد الوفاة
أصاروا الجو قبرك واستعاضوا عن الأكفان ثوب السافيات
لعظمتك في النفوس تبيت ترءى بحراس وحُفاظ ثقات
وتوقدُ حولك النيران ليلاً كذلك كنت أيام الحياة
ركبت مطية من قبل زيد علاها في السنين الماضية
وتلك قضيةٌ فيها تأس تباعد عنك تعبير العداة
ولم أرَ قبل جذعك قط. جذعا تمكن من عناق المكرمات
أسأت إلى النوائب فاستثارت فانت قتيلاً ثارِ النائبات

(١) وذلك لما استمرت الحرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة ظفر عضد الدولة بوزير عز الدولة أبي طاهر محمد بن بقية فطرحه الفيلة فقتلته ثم صلبه عند داره بباب الطرق ، وعمره نيف وخمسون سنة ، ولما صلب رثاه أبو الحسن محمد بن عمران يعقوب الأنباري أحد العدول ببغداد بهذه القصيدة المذكورة .

وكنت تجيرنا من صرف دهر
 وصر دهر الإحسان فيه
 وكنت لمعشرٍ سعداً فلما
 عليل باطن لك في فوادي
 ولو أنى قدّرت على قيام
 ملأت الأرض من نظم القوافي
 ولكني أصبر عنك نفسي
 ومالك تربة فأقولُ تسقى
 عليك تحية الرحمن ترى
 فعاد مُطالباً لك بالتراب
 إلينا من عظيم السيئات
 مضيت تفرقوا بالمحسنات
 يخفف بالدموع الجاريات
 بفرضك والحقوق الواجبات
 ونحت بها خلاف النائحات
 مخافة أن أعد من الجناة
 لأنك نُصب هطل الهاطلات
 برحمتٍ غواد رائحات

وقال بهاء الدين زهير المتوفى عام ٦٥٦ هـ:

أراك هجرتني هجرا طويلا
 عهدتك لا تطيق الصبر عني
 فكيف تغيرت تلك السجايا
 فلا والله ما حاولت غدرا
 فيا من غاب عني وهو روحى
 وما فارقتنى طوعاً ولكن
 يعزُّ على حين أدير عيني
 ختمت على ودادك في ضميرى
 فوا أسنى لجسمك كيف يبلى
 فيا قبر الحبيب وددت أنى
 ولا زال السلام عليك معنى
 وما عودتنى من قبل ذاك
 وتعصى في ودادى من نهاكا
 ومن هذا الذى عني ثناكا
 فكل الناس يعندر ما خلاكا
 كيف أطيق من روحى انفكاكا
 دهاك من المنية ما دهاكا
 أفتش في مكانك لا أراكا
 وليس يزال مختوماً هناكا
 ويذهب بعد بهجته سناكا
 حملت ولو على عيني ثراكا
 يزفُّ على النسيم إلى ذراكا

وقالت السيدة تماضر الخنساء الشاعرة المخضمة المتوفاة في خلافة معاوية قبل سنة ٤٦ هـ - رائية أخاها صخرا :

قذى بعينيك أم بالعين عوار
 كأن عيني لذكراه إذ خطرت
 تبكى خناس على صخر وحق لها
 لا بد من ميتة في صرفها عبر
 يا صخر وراذ ماء قد توارده
 وإن صخرا لحامينا وسيدنا
 وإن صخرا لتأتى الهداة به
 لم تلفه جارة يمشى بساحتها
 مثل الردينى لم تنفذ شبيبته
 طلق اليدين بفعل الخير مُعتمد
 حمال ألوية ، هباط أودية
 أم أقفرت إذ دخلت من أهلها الدار
 فيض يسيل على الخدين مدرار
 إذا رابها الدهر إن الدهر ضرار
 والدهر في صرفه حول وأطوار
 أهل الموارد ما في وزده غار
 وإن صخرا إذا نشتوا لنحار
 كأنه علم في رأسه نار
 لريبة حين يُخلى بيته الجار
 كأنه تحت طى البرد أسوار
 ضخم الدسيعة بالخيرات أمار
 شهاد أندية ، للجيش جرار

وقالت أعرابية ترثى ابنها :

أيا ولدى قد زاد قلبى تلهباً
 وقد أضرمت نار المصيبة شعله
 واسأل عنك الركب هل يخبرونى
 فلا بك فيهم مخبر عنك صادق
 فيا ولدى مذ غبت كدّرت عيشتى
 وقد حرقت منى الشؤون المدامع
 وقد حميت منى الحشاء والأضالع
 بحالك كيما تستكن المضاجع
 ولا فيهم من قال إنك راجع

فقلبي مصدوع وطرفى دامع
 وفكرى مسقوم وعقلى ذاهب
 ودمنى مسفوح ودارى بلاقع

وقالت ليلي الأخيلية المتوفاة سنة ٥٨٠ هـ :

لَعَمْرُكَ ما بالموت عار على الفتى
وما أحدٌ حيٌّ وإن عاش سالماً
ومن كان مما يحدث الدهر جازعاً
وليس لذي عيش عن الموت مقصر
ولا الحي مما يحدث الدهر مُعتب
وكل شباب أو جديدٍ إلى بلى
إذا لم تُصِبه في الحياة المعابر
بأخلد ممن غيبته المقابر
فلا بد يوماً يرى وهو صابر
وليس على الأيام والدهر غابر
ولا الميت إن لم يصبر الحي ناشر
وكل امرئ يوماً إلى الله صائر

وقالت عائشة هانم التيمورية المتوفاة سنة ١٣٠٠ هـ ترثي ابنتها :

إن سالَ من غرب العيون بُحورُ
فلكل عين حق مدرار الدما
سُتِرَ السنا وتحجبت شمس الضحى
ومضى الذي أهوى وجرعني الأسى
ياليته لما نوى عهد النوى
ناهيك ما فعلت بماء حشاشتى
لو بُثَّ حزنى فى الورى لم يُلْتَفَت
طافت بشهر الصوم كاسات الردى
فتناولت منها ابنتى فتغيرت
فدوت أزاهير الحياة بروضها
لبست ثياب السقم فى صغر وقد
جاء الطبيب ضحى وبشر بالشفأ
وصف التجرع وهو يزعم أنه
فالدهر باغ والزمان غدور
ولكل قلب لوعة وثبور
وتغيبت بعد الشروق بدور
وغدت بقلبي جذوة وسعير
وافى العيون من الظلام نذير
نار لها بين الضلوع زفير
لمصاب قيس والمصاب كبير
سحرا وأكواب الدموع تدور
وجنات خدُّ شاتها التغيير
وانقَدَّ منها مائس ونصير
ذاقت شراب الموت وهو مرير
إن الطبيب بطبه مغرور
بالبرء من كل السقام بشير

فتنفست للحزن قائلة له وارحم شبابي إن والدتي غدت وارأف بعين حرمت طيب الكرى لما رأت يأس الطبيب وعجزه أماه قد كل الطبيب وفاتني أماه قد عز اللقاء وفي غدٍ وسينتهى المسعى إلى اللحد الذي قولي لرب اللحد رفقاً بابنتي وتجلدى بإزاء لحدى برهة أماه قد سلفت لذا أمنية كانت كأحلام مضت وتخلفت عودى إلى ربع خلا ومآثر صوفى جهاز العرس تذكارا فلي جرت مصائب فرقتى لك بعد ذا والقبر صار لغصن قدى روضة أماه لا تنسى بحق بُنوتى فأجبتها والدمع يحبس منطقي بنتاه ياكبدي ولوعة مهجتي لاتوص شكلي قد أذاب فوادها أبكيك حتى نلتقى في جنة

عجل ببرئتي حيث أنت خبير
 شكلي يشير لها الجوى وتشير
 تشكو السهاد وفي الجفون فتور
 قالت ودمع المقلتين غزير
 مما أوئل في الحياة نصير
 سترين نعشى كالعروس يسير
 هو منزلى وله الجموع تصير
 جاءت عروساً ساقها التقدير
 فتراك روح راعها المقدور
 يا حسنها لو ساقها التيسير
 مذ بان يوم البين وهو عسير
 قد خلفت عنى لها تأثير
 قد كان منه إلى الزفاف سرور
 لبس السواد ونفذ المسطور
 ريحانها عند المزار زهور
 قبرى لثلا يحزن المقبور
 والدهر من بعد الجوار يجور
 قد زال صفو شأنه التأكيد
 حزنٌ عليك وحسرة وزفير
 برياض خلد زينتها الحور

إن قيل «عائشة» أقول لقد فى

عيسى وصبرى - والإله خبير

ولهى على «توحيدة» الحسن التى
قلبي وجفنى واللسان وخالقى
متعت بالرضوان فى خلد الرضا
قد غاب بدر جمالها المستور
راض وباك شاكر وغفور
ما ازينت لك غرفة وقصور

وقالت المرحومة ملك حفنى ناصف ترثى المرحومة عائشة هانم تيمور:

ألا يا موت وَيَحْكُ لم تراعى
تركت الكتب باكية بكاء
ولم تهب الفضائل والمعالى
ولم يمنعك مما رُمْتَ نثر
نراك تجود بالأرزاء حتى
فذب يا قلب لآتِك فى جمود
ولا تبخل على وكن جموماً
سنبقى بعد (عائشة) حيارى
لقد فقدت ولم تفقد علاها
هى الدر المصون ببطن أرض
هى البحر الخضم وما سمعنا
وكانت للمكارم خير عون
لها القدحُ المعلى فى العوالى
فياشمس المحامد غيبتِ عنا
ويا خير النساء بلا خلاف
لقد أحييت ذكر نساء مصر
وشدّت صروح طهر باذخات
حقوقاً للطروس ولا اليراع
يشيب الطفل فى عهد الرضاع
وطول السعى فى خير المساعى
ولا شعر ولا حسن ابتداء
عددنا البخل من كرم الطباع
وزد يا دمع لآتِك فى امتناع
فكنز العلم أمسى فى ضياع
كسرب فى الفلاة بغير راع
وهل شمس تغيب بلا شعاع
وقد كانت كذلك فى قناع
بأن البحر يُدفن فى التلاع
ولللخيرات كانت خير داع
وفى نشر المعارف طول باع
وخلفت البكاء لكل ناع
وقدوتنا بلا أدنى نزاع
وجددتِ العلا بعد انقطاع
محصنة كتحصين القلاع

وقال المرحوم حفنى ناصف راثياً المرحوم عبد الله فكرى :

ليدع المدعون العلم والأدباء
ولينتسب أدياء الفضل كيف قضت
وليفخر اليوم قومٌ باليراع ، ولا
وليرق من شاء أعواد المناير إذ
لو عاش لم يطرق الأسع ذكرهم
فليس من شاء بالإنشاء لا عجب
طود من الفضل من بعد الرسوخ هوى

وكوكب بعد أن أبدى الهدى غربا

أجل فقد مات (عبد الله) وأسفاً
فكل نفس لعلياه شكت وبكت
قضى الحياة ونصر الحق ديدنه
سارت جنازته والعلم فى جزع
وأوحشت مصر من (فكرى) فواحربا
وكل فكر (بفكرى) ماج واضطربا
لا ينثنى رهباً عنه ولا رغبا
والفضل ينديه فى ضمن من ندبا

وقال أحمد شوقى يرثى المرحوم مصطفى كامل المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ :

المشركان عليك ينتحبان
يا خادم الإسلام أجز مجاهد
الله يشهد أن موتك بالحجا
إن كان للأخلاق ركن قائم
بالله فتش عن فؤادك فى الثرى
وجدانك الحى المقيم على المدى
الناس : جار فى الحياة لغاية
قاصيهما فى ماتم والدانى
فى الله ، من خلد ومن رضوان
والجد ، والإقذار ، فأنت البانى
فى هذه الدنيا ، فأنت البانى
هل فيه آمال وفيه أمانى ؟
ولرب حى ميت الوجدان
ومضلل يجرى بغير عنان

والخلد في الدنيا وليس بهين
فلو ان رسل الله قد جبنوا لما
المجد والشرف الرفيع صحيفة
وأحب من طول الحياة بذلة
دقات قلب المرء قائمة له :
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
للمرء في الدنيا وجم شؤونها
فهى القضاء لراغب متطلع
الناس غاد في الشقاء ورائح
ومنهم لم يلق إلا لذة
صبر على نعم الحياة وبؤسها
يا طاهر الغدوات والروحات والخ
هل قام قبلك في المدائن فاتحاً
يدعو إلى العلم الشريف وعنده
لفوك في علم البلاد منكساً
ما احمر من خجل ولا من رتبة
يرجون نعشك في السناء وفي السنا
وكأنه نعش (الحسين) بكر بلا
في ذمة الله الكريم وبره
ومشى جلال الموت وهو حقيقة
شقت لمنظرك الجيوب عقائل
والخلق حولك خاشعون كعهدهم

عليا المراتب لم تتح لجبان
ماتوا على دين ولا إيمان
جعلت لها الأخلاق كالعنوان
قصر يريك تقاصر الأقران
إن الحياة دقائق وثوانى
فالذكر للإنسان عمر ثانى
ما شاء من ربح ومن خسران
وهى المضيق لمؤثر السلوان
يشقى له الرحماء ، وهو الهانى
في طيها شجن من الأشجان
نعم الحياة وبؤسها سيان
طرات ، والإسرار والإعلان
غاز بغير مهند وسان
أن العلوم دعائم العمران
جزع الهلال على فتى الفتيان
لكنما يبكى بدمع قانى
فكأتما في نعشك القمران
يختال بين بكى وبين حنان
ما ضم من عرف ومن إحسان
وجلالك المصدوق يلتقيان
وبكتك بالدمع الهتون غوانى
إذ ينصتون لخطبة وبيان

يتساءلون : بآى قلب تُرتقى
فلو أن أوطاناً تصور هيكلا
أو كان يحمل فى الجوارح ميت
أو صيغ من غرّ الفضائل والعلى
أو كان للذكر الحكيم بقية
ياصب مصر ويشهد غرامها
اخلع على مصر شبابك عالياً
فلعل مصرأ من شبابك ترتدى
فلو أن بالهرمين من عزماته
علمت شبان المدائن والقرى
مصر الأسيفة ريفها وصعيدها
أقسمت أنك فى التراب طهارة

وقال ابن هانئ الأندلسى يري ابراهيم بن جعفر بن على :

وهب الدهر نفيساً فاسترد
خاب من يرجو زماناً دائماً
فلقد أذكر من كان سها
قل لمن شاء فقل ما شاءه
منتض نصلاً إذا شاء مضى
مات من لو عاش فى سرياله
إنما كان شهاباً ثاقباً
لا رجاء فى خلود كلبا

ربما جاد بخيل فحسد
تعرف البأساء منه والنكد
ولقد نبه من كان رقد
إن خصمى فى حياتى لألد
رائش سهماً إذا شاء قصد
غلب النور عليه فاتقد
صعق الليل له ثم حمد
وارد الماء الذى كان ورد

وقال شاعر النيل أحمد شوقي راثياً :

خلقنا للحياة وللممات ومن هذين كل الحادثات
 ومن يولد يعيش ويمت كأن لم يمرَّ خياله بالكائنات
 ومهد المرء في أيدي الرواق كنتعش المرء بين النائحات
 وما سلم الوليد من اشتكاة فهل يخلو المعمر من أذاة
 هي الدنيا قتال نحن فيه مقاصد للحسام وللقناة
 وكل الناس مدفوع إليه كما دفع الجبان إلى الثبات
 نرُوع ما نرُوع ثم نرعى بسهم من يد المقدور آت

وقال المرحوم حافظ ابراهيم راثياً الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده :

سلام على الإسلام بعد محمد سلامٌ على أيامه النضرات
 على الدين والدنيا على العلم والحجى على البر والتقوى على الحسنات
 لقد كنت أخشى عادى الموت قبله فأصبحت أخشى أن تطول حياتى
 فوالهفى والقبر بينى وبينه على نظرة من تلکم النظرات
 وقفت عليه حاسر الرأس خاشعاً كأنى حيال القبر فى عرفات
 أبنت لنا التنزيل حكما وحكمة وفرقت بين النور والظلمات
 ووقفت بين الدين والعلم فى الدجى فأطلعت نورا من ثلاث جهات
 وقفت (لهانوتو، ورينان) وقفة أمدك فيها الروح بالنفحات
 وخفت مقام الله فى كل موقف فخافك أهل الشك والنزعات
 وأرصدت للباغى على دين أحمد شباة يراع ساحر النفثات
 مشى نعشه يختال عجباً بربه ويخطر بين اللمس والقبالات

بكى الشرق فارتجت له الأرض رجة

وضاقت عيون الكون بالعبرات

بكى عالم الإسلام عالم عصره
 سراج الدياجى هادم الشبهات
 فياويح (للشورى) إذا جدجدها
 وطاشت بها الآراء مشتجرات
 وياويح (للفتيا) إذا قيل من لها
 بكيينا على فردٍ ، وإن بكاءنا
 على أنفسِ اللهِ منقطعات
 تعهدنا فضل الإمام وحاطها
 بإحسانه والدهر غير مواتى

وقال جمال الدين بن نباتة ، المتوفى عام ٧٦٨ هـ ، معزياً عن ملك ،
 ومهنئاً بملك :

هناك مَحا ذاك العزاء المُقدِّما
 فما عبس المحزون حتى تبسما
 ثغورُ ابتسام فى ثغور مدامع
 شببهان لا يمتاز ذو السبق منهما
 تدر مجارى الدمع والبشر واضح
 كوابل غيث فى ضحى الشمس قد همى
 سقى الغيث عنا تربة الملك الذى
 عهدنا سجايه أعزُّ وأكرما
 ودامت يد النعمى على الملك الذى
 مليكان : هذا قد هوى لضريحه
 دوحه فضل شاذوى تكافآت
 تدانى به الدنيا وعز به الحمى
 كآن ديار الملك غاب إذا انقضى
 فإن تك أوقات المؤيد قد خلت
 هو الغيث ولى بالثناء مشيعاً
 إذا الغيث صلى خلف جدواك راکعاً
 يراعك يوم السلم ينهل ديمة
 فقدت جدت عليك وقتاً وموسماً
 وأبقاك بحرا بالمواهب مفعماً
 وثنت عزمه للإعتراف فسلماً
 وسيفك يوم الحرب ينهل فى الدما
 فحظ. الورى فى أن تعيش وتسلماً
 إلى أن ملأت العين والكف والفما
 أعدت زمان البشر والجود والثنا

وقال المرحوم حافظ. إبراهيم يرثى الدكتور يعقوب صروف، صاحب مجلة المقتطف، المتوفى عام ١٩٢٧ (١) :

أبكى وعين الشرق تبكى معى	على الأديب الكاتب الأملعى
جوى عصى الدمع من أجله	فزاد فى الجود على الطبع
نقص من الشرق ومن زهوه	فقد اليراع المعجز المبدع
ليس لمصر فى رجالاتها	حظ. ، ولا للشام فى أروع
مصاب (صروف) مصاب النهى	فليبيكه كل فؤاد يعى
(صروف) لاتبعد فلست الذى	يطويه طاوى ذلك المضجع
أسكتك الموت ولكنه	لم يسكت الآثار فى المجمع
ذكراك لا تنفك موصولة	فى معهد العلم وفى المصنع

الباب الثامن فى الحكم والنصائح

قال عبيد بن الأبرص الأسدى أحد فحول شعراء الجاهلية :

كفى زاجرا للمرء أيام دهره	تروح له بالواعظات وتغتندى
إذا أنت طالبت الرجال نوالهم	فحف ولا تطلب بيجهد فتتكند
عسى سائل ذو حاجة إن منعته	من اليوم سؤلا أن يسرك فى غد
ولا تقعدن عن سعى ما قد ورثته	وما اسطعت من خير لنفسك فازدد
إذا ما رأيت الشر يبعث أهله	وقام جناة الشر بالشر فاقعد
وبالعدل فانطق إن نقطت ولا تكن	لذى الذم فاذمه وذا الحمد فاحمد
عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه	فكل قرين بالمقارن يقتدى

(١) هو الدكتور يعقوب صروف بن نقولا . ولد فى بلدة الحدث بقرب بيروت وتعلم بها ونبغ فى العلوم والمعارف فنال الاجازات العالية سنة ١٨٧٠ م ، ثم نرح الى القاهرة وأسس مع زميله الدكتور فارس نمى باشا مجلة المقتطف وجريدة المقطم ، ومات سنة ١٩٢٧ م .

ولا تأملن ود امرئ قل خيره ولا تك عن وصل الصديق بأحيد
 إذا أنت حملت الخؤون أمانة فإنك قد أسندتها شر مسند
 ولا تظهرن ود امرئ قبل خبره وبعد بلاء المرء فاذمم أو احمد
 وقال أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي المتوفى سنة ٣٢١هـ :
 ياطيبة أشبه شيء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا (١)
 أما ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى (٢)
 واشتعل المبيض فى مسوده مثل اشتعال النار فى جزل الغضى (٣)
 فكان كالليل البهيم حل فى أرجائه ضوء صباح فانجلي (٤)
 وغاض ماء شرق دمر رن تحاشر الغيب بتبريح الذبرى (٥)
 وآض روض اللهو يبساً ذاوياً من بعد ما قد كان مجاج الثرى (٦)
 وضرم النأى المشب جذوة ما تأتل تسفع أثناء الحشى (٧)
 واتخذ التشهيد عيني مألفاً لما جفا أجفانها طيف الكرى (٨)

(١) الطيبة : الأنثى من الفزلان والمها جمع مهاة ، وهى أنثى البقر
 الوحشى ، الخزامى نبت معروف طيب الرائحة ، النقا اسم موضع .
 (٢) اما اصلها ان ما فان شرطية وما زائدة ، وترى أصلها ترون وترى
 فعل الشرط وجوابه فيما بعد ، فكل الخ . حاكى أشبه طرة صبح يعنى
 وجه صبح وطرة كل شيء حافظه وجانيه . (٣) اشتغل : فشا وانتشر ،
 جزل ما غلظ من الحطب ، الفضى جمع غضاة وهى نوع من الشجر يبقى
 جمره طويلا (٤) فكان كالليل البهيم كناية من المظلم جدا ، والبهيم
 هو الأسود الذى لا ضوء فيه حل نزل أرجائه جمع رجا بالقصر انظر
 فانجلي فانكشف وظهر . (٥) غاض نقص أو ذهب ، الشرة الحدة
 والنشاط استعيرت هنا للشباب والتبريح البلوغ فى المشقة غايتها .
 (٦) آض رجع ، يسا يابسا ، ذاويا ذابلا ، مجاج من قولهم مج الفصن
 الماء اذا لقاها ، الثرى بالقصر التراب الندى . (٧) ضرم أشعل وأوقد
 النأى ، انبعد : المشب المفرق ، جذوة هى الجمرة العظيمة ما تأتل
 ما تقصر ، تسفع تحرك وتهلك ، أثناء الحشى يعنى مارق من البطن وأراد
 به القلب والجوف . (٨) التسهيد والسهاد : السهر وهو عدم النوم ،
 مألفا صاحبه . والمألوف هو الموضع الذى تقع فيه الألفة أى الاجتماع
 والصحبة ، جفا هجر ، والأجفان أغطية العيون واحدها جفن ، =

- فكل ما لا قيته مُغتفرٌ
 لو لابس الصخر الأصمَّ بعضُ ما
 إذا ذوى الغصن الرطيب فاعلمنُ
 شجيتُ لابل أجرضتني غصة
 إن يحم عن عيني البكا تجلدي
 لو كانت الأحلام ناجتني بما
 منزلة ما خلتها يرضى بها
 ما خلت أن الدهر يثني على
 شيم سحاب خلب بارقه
 أرمق العيش على برض فإن
 أراجع لي الدهر حولا كاملا
 يا دهر إن لم تك عتبي فائتد
- (١) في جنب ما أسأره شحط. النوى
 (٢) يلقاه قلبي فضَّ أصلاد الصفا
 (٣) أن قصاره نفاذ وتوى
 (٤) عنودها أقتل لي من الشجي
 (٥) فالقلب موقوف على سبل البكا
 (٦) ألقاها يقظان لأصماني الردي
 (٧) لنفسه ذو أدب ولا حجا
 (٨) ضراء لا يرضى بها صب الكدى
 وموقف بين ارتجاع ومنى
 (٩) رمت ارتشافارمت صعب المنتسى
 إلى الذي عود أن لا يرتجى
 (١٠) فإن إروادك والعتبي سوى

= الطيف ما يراه الانسان من خيال المحبوب . الكرى النوم .

- (١) مغتفر : متجاوز عنه ، أسأره أبقيه شحط أبعده ، النوى البعاد .
 (٢) لابس خالط ، الأصم الصلب فض كسر ، وأصل الانفضاض المتفرق
 (٣) ذوى جف
 وذبل ، الرطيب الناعم لرطب قصاراد آخر أمره وغايته ، نفاذ فناء وذهاب ،
 وتوى بالتاء الهلاك . (٤) شجيت : حزنت أو غصت ، والفص الاختناق
 باللقمة يقال شجيب بالعظم أى اختنقت به وأجرضتني خنقتني وغصة
 الموت والجرض هو الاختناق بالريق وعنودها معارضها . (٥) ان حرف
 شرط يحم فعل الشرط بمعنى يمنع وتجلدي تصبرى فالقلب الشرط
 وسبل الطرق وأحدها سبيل . (٦) الأحلام : جمع حلم وهو ما يراه
 الانسان في منامه وناجتني أخبرتني ، لأصماني لقتلني مكاني بلا تأخير ،
 الردي الهلاك . (٧) المنزلة : الدرجة ، ما خلتها : ما حسبتها ،
 الحجا : العقل . (٨) يثني يعطفي : ضراء : الصخر الصماء ، الكدى
 بالضم جمع كدية وهو ما ارتفع من الصخور . (٩) أرمق العيش
 أعطاني منه بقدر ما يسد رمقي ، برض العطاء القليل . (١٠) العتبي :

الرضى ، فائتد : ارفق ، والارواد الرفق .

- رفهٌ على ، طالما أنصبتني (١)
 لانتحسبن يا دهر أني ضارعٌ
 وأستبق بعض ماء غصن ملتحي (١)
 لانتحسبن يا دهر أني ضارعٌ
 لنكبة تعرفني عرق المدى (٢)
 مارسست من لو هوت الأفلاك من
 جوانب الجو عليه ما شكنا (٣)
 لكنها نفثة مصدر إذا
 جاش لعامٌ من نواحيها غما (٤)
 رضيت قسرا وعلى القسر رضى
 من كان ذا سخط. على صرف القضا (٥)
 إن الجديدين إذا ما استوليا
 على جديد أدنياه للبلبي (٦)
 ما كنت أدري والزمان مولع
 بشت ملموم وتنكيث قوى (٧)
 أن القضاء قاذفي في هرة
 لا تستبل نفس من فيها هوى (٨)
 فإن عثرت بعدها إن وألت
 نفسى من هاتا فقولا لا لعاً (٩)
 وإن تكن مدتها موصولة
 بالحتف سلت الأسي على الأسي (١٠)
 إن امرؤ القيس جرى إلى مدى
 فاعتاقه حمامه دون المدى (١١)

(١) رفه وسع : أنصبتني أنعبتني ، استبق أبق ، ملتحي الذهاب لجاه
 أي فشره الظاهر . (٢) ضارع دليل خاشع ، النكبة : المصيبة والشدة ،
 تعرفني تزيل لحمي عن عظمي ، المدى بالضم جمع مديّة وهي السكين .
 (٣) مارسست بناء الخطاء عالجت هوت سقطت ، الأفلاك جمع فلك وهي
 التي تجرى فيها الشمس والقمر والنجوم ، جوانب الأعراف ، والجو الفضاء
 الذي بين السماء والأرض . (٤) لكنها الضمير فيها كناية عن هذه
 القصيدة التي قالها ، النفثة ما يلقيه الرجل من فيه إذا بصق ، المصدر
 الذي يشتكى صدره ، جاش علا وارتفع . (٥) القسر القهر ، السخط
 الغضب . (٦) الجديدين الليل والنهار استوليا غلبا وملكا وأدنياه
 قرباه . (٧) ما كنت أعلم وجاء بالمعمول في البيت الذي بعده .
 (٨) قاذفي رام بي والهوة الحفرة التي يتسع أسفلها ويضيق أعلاها ،
 لا تستبل ، أي ولا تبرأ ولا تفيق هوى سقط . (٩) عثرت زالت ،
 وقوله لالعا أي نجا وهو دعاء للعائر بعدم السلامة . (١٠) ضمير مدتها
 عائد على النكبة ، الحتف والموت ، الأسي بضم الهمزة جمع أسوة وهي
 التعزية . (١١) امرؤ القيس معلوم أنه كان هو طريد أبيه لعدم قوله
 الشعر وخلاصة قصته أن بنى أسد قتلت أباه وكان ملكا عليهم فبعد عناء توجه
 إلى قيصر ملك الروم واستنجده على قتلة أبيه فوعده وكان قد تعشق ابنة
 قيصر فحضر أحد أعدائه من بنى أسد وأخبر قيصر بعشقه لها فكره =

- وخامرت نفس أبي الجبر الجوى حتى حواه الحتف فيمن قد حوى (١)
 وابن الأشج القيل ساقته نفسه إلى الردى حذار إثمات العدى (٢)
 واخترم الوضاح من دون التي أملها سيف الحمام المنتضى (٣)
 فقد سما قبلي يزيد طالباً شأو العلا فما وهى ولا وني (٤)
 فاعترضت دون الذي رام وقد جد به الجد اللهم الأربي (٥)
 هل أنا بدع من عرانيين علا جار عليهم صرف دهر واعتوى (٦)
 فإن أنالنتي المقادير الذي أكيدته لم آل في رأب الثأى (٧)
 وقد سما عمرو إلى أوتاره فاحتط. منها كل على المستمى (٨)

= ذلك وكره أن يقتله أو يخذله بعد ما وعده فأرسل معه عسكرياً ثم أردفه بحلة ملوكية مسمومة فلبسها فمات ، المدى الغاية ، فاعتاقه وعاقه بمعنى عوقه ، وحمامه بكسر الحاء موته . (١) خامرت خالجت ، أبو الجبر من ملوك كندة خلاصة قصته أنه تألبت قومه عليه فاستعان بكسرى فأعطاه جيشاً من أسارته فرأوا بلاد العرب فاستوحشوها فسموه فمرض وعندها طلبوا الأذن بالرجوع فأذن لهم ثم بعد مدة مات على طريق اليمن بالمرض الذي نشأ من السم . (٢) ابن الأشج هو عبد الرحمن بن الأشعث ، خلاصة قصته أنه قد ولاه الحجاج سجستان فخرج ثم هرب إلى « ريتقل » ملك الترك فبذل الحجاج إلى ريتقل مالا فسلمه إلى أعوان الحجاج وكان في الطريق مقيداً معه رجل من بنى تميم على سطح برج فرمى بنفسه من أعلى البرج فمات هو والتميمي وحمل رأسه إلى الحجاج . (٣) اخترم أي أهلك اقتطع . (٤) سما علا : ويريد هو ابن المهلب وخلاصة قصته أنه خرج على بنى أمية وخطب له بالبصرة وسلم عليه بالخلافة فدست بنو أمية رجلاً من بنى كلب فقتله واستتب الأمر لهم ، والشأو الغاية ، العلا الشرف ، فما وهى ضعف ولا وني ولا فتر . (٥) فاعترضت عارضت رام طلب ، جد بالفتح أسراخ الجد وبالكسر العزم : اللهم بالتصغير والأربي اسمان من أسماء الداهية وهما فاعل اعترضت . (٦) بدع الذي يكون أول مخترع من كل أمر ، عرانيين الأشراف واحدها عرنين وهو الأنف . (٧) أنالنتي أعطنتي ، والمقادير جمع مقدار ، رهو القدر ، أكيدته اطلبه واحتال عليه ، لم آل لم أقصر ، راب أصلح ، الثأى الفاسد . (٨) سما علا وأوتار جمع وتر وهو طلب الدم ، فاحتط فأنزل المستمى المكان العالي المرتفع .

- (١) فاستنزل الزبَاء قسراً وهي من عقاب لوح الجو أعلى منتمى
وسيف استعلت به همته حتى رمى أبعد شأو المرتمى (٢)
فجرع الأحبوش سما ناقعاً واحتل من غمدان محراب اللئى
ثم ابن هند باشرت نيرانه يوم أوارات تمياً بالصلا (٣)
ما اعتن لى يأس ينجحى همى إلا تحدها رجاء فاكتمى (٤)
ألية باليعملات يرمى بها النجاء بين أجواز الفلا (٥)
خوض كأشباح الحنايا ضمير يرغفن بالأمشاج من جذب البرى (٦)

(١) الزبَاء : اسم امرأة ، عقاب طائر معلوم وهو من سباع الطير وجمعه عقبان ولوح الهواء الذى بين السماء والأرض منتمى موضع مرتفع اليه وخلاصة قصة الزبَاء وعمرا أن الزبَاء لما قتلت جذيمة الأبرش قعد عمرو بن أخته مكانه وكان قصير وزيره كما كان لخاله وكان وقت قتل خاله نجا على فارس تسمى العصى فطلب قصير أن يجده له عمرو أنفه وأذنيه دهاء منه لأخذ ثار خال عمرو فرحل قصير الى الزبَاء على هذه الحالة فاستأمنت له ثم بعد مدة وعناء أتى بالرجال مدججة بالسلاح فى جوالق على ظهور النجمال فهربت الزبَاء الى نفق لها لتهرب منه فأتت عمراً على باب النفق فمصت خاتماً مسموماً كان بيدها وقالت : « بيدى لا بيد عمرو » وماتت مكانها فاستولى على ملكها . (٢) سيف يعنى سيف بن ذى يزن ملك اليمن ، استعلت علت ، والشأو الغاية ، المرتمى موضع وهو الذى يقال له الغرض والهدف والقرطاس ، فجرع فسقى ، الجرع القليل من الماء والأحبوش ملك الحبش ، وناقعا بالفا ، واحتل نزل بالمكان غمدان موضع بصنعاء اليمن ومحراب ههنا بصنعاء . (٣) ابن هند هو عمرو عم النعمان ابن المنذر وكان له أخ مسترضع من بنى تميم فقتل لهم ناقه فقتله صاحبها فنذر عمرو المذكور أن يقتل من بنى تميم مائة فأجج ناراً وألقى فيها واحداً منهم الى تسعة وتسعين فبينما هم كذلك يرجون تمام المائة إذ جاء رجل من البراجم يظن هناك وليمة لقتار اللحم فألقى فى النار تماماً للمائة ، وبشرت خالطت يوم أوارات يوم معروف من أيام العرب أورات اسم موضع ، تميميا قبيلة ، الصلا بالفتح وهج النار . (٤) ما اعتن ما اعترض تحدها اعتمده وقصده فاكتمى استتر وتطفى . (٥) ألية قسماً باليعملات جمع يعملة هى الناقة الصلبة الشديدة ، النجاء السرعة ، أجواز جمع جوز وجوزا كل شىء وسطه والفلا جمع فلاة وهى الصحراء . (٦) خوص الإبل الفائت العيون من الهزال ، والأشباح الأشخاص جمع شبح ، والحنايا جمع حنية والحنية القوس وضمير جمع ضامر وهو المهزول ، ويرغفن =

- يرسبن في بحر الدجى وبالضحى
 يطفون في الآل إذا الآل طفا (١)
 أخفافهن من حفا ومن وجى
 مرثومةٌ تخضب مبيضاً الحصا (٢)
 يحلن كل شاحب محقوقف
 من طول تدآب الغدو والسرى (٣)
 بارٌّ برى طول الطوى جثمانه
 فهو كفدح النبع مخى القرا (٤)
 ينوى التى فضلها رب العلى
 لما دحا تربتها على البنى (٥)
 حتى إذ قابلها استعبر لا
 يملك دمع العين من حيث جرى (٦)
 ثم طاف واثنى مستلماً
 ثم جاء المروتين فسعى (٧)
 وأوجب الحجّ وثنى عمرة
 من بعد ما عج ولبى ودعا (٨)
 ثم راح فى الملبين إلى
 حيث تحجى المازمان وهى (٩)

= يسلم مأخوذ من الرعاف وهو سيلان الدم من الأنف والأمشاج الأخلط جمع مشج وهو ما يسيل من الأنوف ، ومن جذب من سوق والبرى جمع برة وهى الحلقة التى تكون فى أنف البعير .

(١) يرسبن يفبن والرسوب والخوض فى الماء المغيب فيه ، والدجى جمع دجبة وهى الظلمة ويطفون يعلون ، والآل سحاب كالماء يرى عندما ترتفع الشمس . (٢) أخفافهن جمع خف للابل بمنزلة الحوافر للخيل وحفا مقصور : وهو رقة أخفاف الابل من كثرة المشى ، ووحى فى الرجل بصيبتها من الحفا ومرثومة مثنوقة من الحجارة ، وتخضب تصعب .

(٣) شاحب متغير اللون من السفر وغيره ، ومحقوقف معرج وتدآب مداومة وانسرى سير الليل . (٤) بار مطيع والجمع أبرار . تعبير للشاحب وبرى من برى القلم وهو اضعافه وترقيقه والطوى الجوع وجثمانه جسمه وقدح عود صلب تعمل منه السهام والنبع شجر يعمل منه القسى واحدها نبفة ومخنى معوج ، والقرا الظهر . (٥) ينوى يقصد والتى فضلها رب العلى يعنى مكة ، ودحا بسط والبنى جمع بنيسة وهو الشئ المبنى . (٦) أستعبر يبكى وهو مأخوذ من العيرة وهى الدمعة .

(٧) ثم هى ثم زيدت عليها تاء التأنيث وانثنى انعطف ، ومستلمياً لمس الحجر الأسود بيده أو بضمه والمروتين المراد بهما الصفا والمروة فسعى فمشى . (٨) أوجب الحج الزمه نفسه وثنى عمرة الزم نفسه مع الحج عمرة ، عج رفع صوته بالدعاء والتلبية . (٩) راح خرج بالروح وهو الخروج بالعشى والملبين جمع ملب وهو المجيب بالتلبية ، تحجى أقام .

- ثم أتى التعريف يَقْرُو مَخْبِتًا
 واستأنف السبعَ وسبعاً بعدها
 وراح للتوديع فيمن راح قد
 بذاك أم بالخيل تعدو المرطى
 شعثا تعادى كسراحين الغضا
 يحملنَ كل شمري باسل
 يغشى صلا الحربِ بحديه إذا
 لو مثل الحتف له قرناً لما
 ولو حمى المقدار عنه مهجة
 تغدو المنايا طائعات أمره
- (١) موافقاً بين ألال فالنقا
 (٢) والسعى ما بين العقاب والصوى
 (٣) أحرزَ أجراً وقلَى هُجَرَ اللغا
 (٤) ناشزة أكتادها قَبَّ الكلى
 (٥) ميل الحماليق يبارين الشبا
 (٦) شههم الجنان خائض غمر الوغى
 (٧) كان لظى الحرب كزيه المصطلى
 (٨) صدته عنه هيبة ولا انثنى
 (٩) لرامها أو يستبيحُ ما حمى
 (١٠) ترضى الذى يرضى وتأتى ما أتى

(١) التعريف وعرفات واحد وهو اسم موضع من مناسك الحج ويقرو : يتتبع المواضع مخبئاً متواضعاً لله تعالى ، الألال موضع بعرفات ، النقا الرمل . (٢) استأنف ابتداءً أنسبع رعى الجمار السبع وسبعاً أراد الثانية التى تلى الأولى ، والسعى المشى والعقاب جمع عقبة . (٣) وراح للتوديع ، لتوديع البيت الحرام كما يفعل الحاج بأن يطوف به سبعاً ويسعى بين الصفا والمروة ، أحرز أجراً ملكه وأصابه ، وقلَى أبغض ، وهجر بضم الهاء القبيح من الكلام ، واللغا الباطل من الكلام . (٤) أقسم بذاك أم بالخيل ، تعدو تجرى ، المرطى ضرب من العدو وهو السهل منه ، وناشزة مرتفعة ومنه قولهم فعدت على نشز من الأرض أى مرتفع ، وكتادها جمع كتد وهو العظم الذى يكون فى رأس الكتف وقب ضامرة . (٥) شعثا مغبرين يعنى مقربين من الله تعالى ، تعادى أصله تتعادى تسابق ، سراحين الواحد سرحان الغضا شجر غليظ يدوم جمره ، ميل الحماليق مائلة العيون : يبارين . يعارض ، الشبا جمع شباة : وشباة كل شىء وحده . (٦) يحملن أى الخيل شمري مأخوذ من التشمير ، باسل شجاع ، شههم الجنان حديد القلب ، خائض داخل غمر الماء الكثير ، والحرب . (٧) يغشى يدخل ، صلا حر النار كظى . (٨) مثل صور ، الحتف الهلاك ، وقرنك الذى يقارنك فى بطش أو قتال أو علم . (٩) حمى منع ، المقدار القدر ، المهجة النفس ، لرامها لطلبها وأو بمعنى حتى ، ويستبيح . يدرك ذلك الشىء نافذاً أمره فيه وهو منصوب بأن مضمرة بعد أو . (١٠) تغدو تاتى بالفدوة وورد تعدو أى تسرع .

- بل قسماً بالشِّمِّ من يعرب هل
هم الألى أجروا ينابيع الندى
هم الذين دوخوا من انتخى
هم الذين جرعوا فما حلوا
أزال حشو نثرة مؤضونة
وصاحبي صارم في منه
أبيض كالمالح إذا انتضيته
كان بين غيره وغربه
يرى المنون حين تقفو إثره
ومشرف الأفطار خاط نخضه
- (١) لمقسم من بعد هذا منتهى
(٢) هامية لمن عرا أو اعتنى
(٣) وقوموا من صعر ومن صغا
(٤) أفارق الضيم ممرأة الحسا
(٥) حتى أوارى بين أثناء الحشى
(٦) مثل مدب النمل يعلو في الربى
(٧) لم يلق شيئاً حده إلا فرى
(٨) مفتاداً تأكلت فيه الجدنى
(٩) في ظلم الأكباد سبلا لا ترى
(١٠) حابي القصير جرشع عرد النسي

- (١) قسماً يمينا ، بالشِّم الطوال أو أشرف الناس ، يعرب قبيلة من العرب تنسب الى يعرب بن يشجب بن قحطان ، لمقسم لحالف منتهى الغاية .
(٢) ينابيع جمع ينبوع الندى الجود والكرم وهامية سائلة ، عرا قصد وتعرض للطلب ، أو اعتنى أو طلب من غير تعرض .
(٣) دوخوا أذلوا ، انتخى تكبر ، صعر تكبر أيضا وأصل الصعر الميل وهو أن يميل الإنسان خده من التكبير والصفا الميل .
(٤) جرعوا سقوا ما حلوا خاصموا ، أفارق هو شرب مقطع بنفس بعد
نفس : الضيم الذل ممرأة مدراة الحسا جمع حسوة وهو أخذك الشيء بفمك متجرعا له قليلا . (٥) أزال جواب القسم محذوف منه لا حشو ما أدخل في جوفه فكانه صار حشوا إذا لبسها ، نثرة درع واسع مؤضونة محكمة النسيج ، أوارى أعطى وأثناء جمع ثنا وهو ما تشنى منها أى تراكب على بعض ، الحشى جمع حثوة وهو الثوب المجتمع . (٦) صاحبي يعنى سيفه وفرسه ، مدب النمل ودبيبه مشيه . (٧) أنضيته جردته من غمده ، وفرى قطع . (٨) العير هنا الموضع النائي في وسط السيف ، القرب الحد يعنى حد السيف مفتاً موضع النار أكل بعضها بعضا والجدنى جمع جذوة وهى الجمرة العظيمة . (٩) المنون المنية وتقفر تتبع ، سبلا طرفا . (١٠) مشرف مرتفع عال ، والأقطار النواحي ، خاط غليظ ، والنخض اللحم ، مرتفع ، القصير ضلع في الجنب وهى أنضلع السفلى جرشع غليظ الأضلاع أو الضخم الصدر وهو محمود في الخييل وعرد الشديد من كل شيء ، النسي عرق مستبطن الفخذ يمر بالساق والعروق حتى ينتهى الى الرسغ .

- قريب ما بين القطاة والمطا بعيد ما بين القذال والصلاب (١)
 سأمى التليل في دسيع مقعم رحب اللبان في أمينات العجي (٢)
 رُكبن في حواشب مكتنة إلى نسور مثل ملفوظ النوى (٣)
 يرضح بالبيد الحصى فإن رقى إلى الربى أورى بها نار الحبا (٤)
 يُديرُ إغليطين في ملمومة إلى لموحين بالأحاظ اللأى (٥)
 مداخل الحلق رحيب شجره مخلولق الصهوة ممسود وأى (٦)
 يجرى فتكبو الريح في غاياته حسرى تلوذ بجراثيم السحا (٧)
 لو اعتسفت الأرض فوق متنه يجوبها ماخفت أن يشكو الوحي (٨)
 تظنه وهو يرى محتجبا عن العيون إن دأى أو إن ردى (٩)
 إذا اجتهدت نظراً في إثره قلت سناً أو مض أو برق خفا (١٠)

- (١) القطاة مكان الردف والمطا الظهر كله : سمي بذلك لأنه يغطي أى يركب والقذال من رأس الفرس معقد عذاره أى حيث ينعقد عذاره وهو ما بين الأذنين والعذار هو اللجام ، الصلا العجز وهو آخر الوركين .
 (٢) سأمى هو العالى المرتفع والتليل هو العنق ودسيع مفرز العنق ودسيع فى الظهر ومقعم ممتلئ ، والرحد : الواسع ، واللبنان والصددر وأمينات القوت الصحاح السالمات الصلاب والعجى جمع عناية ، وهى عصب مركب به شىء كقص الخاتم . (٣) ركن يعنى العجى ، حواشب جمع حوشب ، وهو عظم فى باطن الحافر مكتنة مستورة أو مكتنزة .
 (٤) يرجع يكسر ، البيد جمع بيداء وهى الفقار ، رقى : ارتفع الربى جمع ربوة وأورى أوقد بها الحبا دابة تضىء بالليل اسمها الحباحب فرخم لضرورة الشعر . (٥) الإغليط وعاء ثمر المرخ شبه أذن الفرس بذلك وهو شبيهه بقشور الباقلا الرطب يشبهه أذن الخيل ، وملمومة هى الهامة المجتمع . (٦) مداخل الحلق ، رحيب واسع ، شجر هو مجتمع .
 (٧) فتكبو فتعشر ، غابات جمع غاية وهى منتهى جريه ، حسرى مكفة ، تلوذ تلجأ ، جراثيم جمع جرثومة وهى التراب الذى يجتمع فى أصول الشجر ، والسحا ضرب من الشجر . (٨) اعتسفت الأرض قطعها باعتساف منك أى على غير هدى ، متنه ظهره يجوبها يقطعها ويخرقها الوحي أن يبلغ الوجود الى باطن الرسغ . (٩) دأى جرى وكذا ردى يقال دأى يدأى دأيا وردى يردى رديا إذا جرى جريا سريعا .
 (١٠) سنا الضوء وأومض أضاء أى لمع .

- كأنما الجوزاء في أرساغه
 هما عتادي الكافيان فقد من
 فإن سمعت برحى منصوبة
 وإن رأيت نار حرب تلتظي
 خير النفوس السائلات جهرة
 إن العراق لم أفارق أهله
 ولا أطبى عيني مذ فارقتهم
 هم الشناخيب المنيفات الذرا
 هم البحور زاخر آذيتها
 إن كنت أبصرت لهم من بعدهم
 حاشا الأميرين اللذين أوفدا
 هما اللذان أثبتا لي أملا
- والنجم في جبهته إذا بدا (١)
 أعدته فليناً عنى من نأى (٢)
 للحرب فاعلم أنني قطب الرحي (٣)
 فاعلم بأنى مسعرٌ ذاك اللظى (٤)
 على ظباتِ المرهفات والقنا (٥)
 عن شنان صدنى ولا قلى (٦)
 شىء يروق العين من هذا الورى (٧)
 والناس أدحالٌ سوامم وهوى (٨)
 والناس ضحضاح ثعاب وأضى (٩)
 مثلاً فأغضيت على وخز السفا (١٠)
 على ظلا من نعيم قد ضفا (١١)
 قد وقف اليأس به على شفا (١٢)

- (١) الجوزاء نجم معروف وهو التوامان ، وأرساغ جمع رسغ وهو مفصل بين الحافر والوطيف من كل دابة ، والنجم هو الثريا يصف غيرة الفرس وتحجيله ، وبدا ظهر .
 (٢) العتاد ما يتخذ عدة للدهر ، فليناً فليبعد من نأى إذا بعد .
 (٣) برحى منصوبة يريد برحى الحرب وهو موضع استدارة أهلها إذا تعاركوا ، قطب : الحديد أو الخشبة التي تدور عليها .
 (٤) تلتظى تشتعل ومسعر موقد اللظى اللهب .
 (٥) جهرة عيانا ، وظبات جمع ظبة كشيبة : حد السيف والمرهفات السيوف الرقاق .
 (٦) العراق قطر معروف على شاطىء دجلة والفرات وشنان بفض وصدنى متعنى وصرفنى والقلى البفض .
 (٧) أطبى استعمال ، ويروق يعجب .
 (٨) الشناخيب أطراف الجبال واحدها شنخوب والمنيفات المرتفعات الطوال وهى الشواهد والذرا جمع ذروة وهى أعالي الجبال ، وأدحال جمع دحل وهى الحفير القامض من الأرض يتسع أسفله ويضييق أعلاه وهوى جمع هوة بمعنى الدحل .
 (٩) زاخر : الماء الكثير الفائض الآدى الموج وضحضاح الماء القليل .
 (١٠) أغضت صبرت على المكروه وخز طعن غير نافذ وقيل الوخز الطعن بسرعة .
 (١١) أوفدا : أرسلنا ، وضفا كثره ، من قولهم : ضفا ذيل الفرس إذا كثر وطال .
 (١٢) شفا الشىء طرفه وحرفه .

- تلافيا العيش الذي رنقه (١) صرف الزمان فاستساغ وصفا
- وأجريا ماء الحياة لي غداً (٢) فاهتز غصني بعد ما كان ذوى
- هما اللذان سموا بناظري (٣) من بعد إغضائي على لذع القذى
- هما اللذان عمرا لي جانباً (٤) من الرجاء كان قدماً قد عفا
- وقلداني منه ما لو قرنت (٥) بشكر أهل الأرض عنى ما وفى
- بالعشر من معشارها وكان كالـ حسوة في آذى بحر قد طمى (٦)
- إن ابن ميكال الأمير انتاشني (٧) من بعد قد كنت كالشيء اللقا
- ومد صبعي أبو العباس من بعد (٨) القباض الذرع والباع الوزى
- ذاك الذى ما زال يسمو للعلا (٩) بفعله حتى علا فوق العلا
- لو كان يرقى أحد بوجوده (١٠) ومجده إلى السماء لارتقى
- ما إن أتى نداء معتف (١١) على أوارى علم إلا ارتوى
- نفسى الفداء لأميرى ومن (١٢) تحت السماء لأميرى الفدا
- لا زال شكرى لهما مواصلا

- (١) تلافيا تداركا ، رنقه كدره المرثق الماء الكدر ، صرف الزمان تقلبه من حال الى حال واستساغ سلس في الخلق وطاب . (٢) الحيا مقصور الغيث والخصب ورغدا السعة في العيش فاهتز غصني وطال وأصل الهز التحريك ذوى ذبل . (٣) سموا بناظري رفعا ناظري والباء للتعدي ، اغضائي تفاعلي ، لذع حرق ، القذى ما يقع في العين . (٤) قدما قديما عفا درس . (٥) وقلداني منة : أى جعلها في عنفى وهو موضع القلادة ، منة . نعمة وجمعها منن ، وقرنت قيست : ما وفى ما قام ولا عدل شكرهم . (٦) الحسوة الجرعة مما يشرب : الأذى الموج وطمى امتلا وارتع . (٧) ابن ميكال هو عبد الله بن محمد بن ميكال وهو فارسى من أمراء فارس وانتاشني واللقا الشيء المطروح . (٨) صمعى عضدى : وأبو العباس هو اسماعيل بن عبد الله المتقدم فمدح الأب والابن والذراع واحد والباع قدر مد اليدين ويطلق على اشرف والكرم . والوزى القصير . (٩) يسمو يرتفع . (١٠) يرقى يرتفع . (١١) الندى الكرم . معتف طالب للرفد أوارى حرارة الشمس وانثار : وعلم جبل صغير : ارتوى اكتفى من الماء وغيره . (١٢) أو يعتافنى : أو يصرفنى : أو بمعنى حتى والأصرف التقلب .

- إن الألى فارقت من غير قلى
لكن لى عزما إذا امتطيته
ولو أشاء ضم قطريه الصبا
ولاعبتنى غادة وهنائة
تفرى بسيف لحظها إن نظرت
فى خدها روض من الورد على النسـرين بالألحاظ منها يعجتنى
لو ناجت الأعصم لانحط لها
أو صابت القانت فى مخلوق
ألهاه عن تسبيحه ودينه
كأنما الصهباء مقطوب بها
يمتاحه راشف برد ريقها
سقى العقيق فالحزيز فالمللا
- (١) ما زاغ قلبى عنهم وما هفا
(٢) لمبهم الخطب فآه فانفأى
(٣) على فى ظل نعيم وغنى
(٤) تضنى وفى ترشافها برء الضنى
(٥) ندره غضبى منك اثناء الحشا
(٦) رين بالألحاظ منها يعجتنى
(٧) طوع القياد فى شماريخ الذرا
(٨) مستصعب المسلك وعر المرتقى
(٩) تأنيسها حتى تراه قد صبا
(١٠) ماء جنى ورد إذا الليل عسا
(١١) بين بياض الظلم منها واللمى
(١٢) إلى النحيت فالقريات الذنا

- (١) من غير قلى من غير بنض ، ما زاغ ما مال ، ولاهفا ولا زال .
(٢) عزما عقدا على فعل أمر ، المبهم من الأمور الملق ، فآه شقه .
(٣) ضم قطريه : جمع ناحيته . (٤) لاعبتنى من اللعب ومعناه مازحتنى غادة الفتاة الناعمة وهنائة ثقيلة القيام والقعود وقيل الطبيعة الحديث وتضنى تسقم والضنى الهزال من المرض والترشاف المص فى الثفر أو فوقه ، برء الضنى ذهاب السقم أى هى تضنى وفى تقبيلها البرء من السقم . (٥) تفرى تقطع ، اللحظ النظر ، غضبى مفاضبة . اثناء الحشى ما انشنى منها أى ما أنعطف والحشا الكبد وما اتصل بها .
(٦) النسرين الثور الأبيض والألحاظ النظرات جمع لحظة ، يعجتنى يقطف . (٧) ناجت كلمت ، الأعصم الوعل الذى باحدى يديه بياض وربما كان البياض فيهما وسائر يديه أسود أو أحمر ، لانحط لنزل ، القياد التذلل . (٨) صابت صادفت والقانت القائم بالعبادة ومخلوق الجبل الألس ومستصعب صعب والوعر الصعب والمرتقى المصعد .
(٩) ألهاه شغله ، تأنيسها أنسها وحديثها ، صبا مال ولها .
(١٠) الصهباء الخمرة ومقطب ممزوج ، ماء جنى ورد أو ما أخذ من الورد طريا ، عسا الليل أظلم . (١١) يمتاحه يستقيه . راشف المتناول الشراب بشفتيه اللمى سمرة الشفتين . (١٢) العقيق والحزيز والملا والنحيت مواضع بالبصرة ونواحيها .

- فالمرئيد الأعلى الذي تلقى به مصارع الأسد بألحاظ المها (١)
 محلّ كلِّ مُقرم سمّت به مآثرُ الآباء في فرع العلاء (٢)
 من الأثى جوهرهم إذا اعتزوا من جوهر النبيّ المصطفى (٣)
 صلى عليه الله ما جنّ الدجى وما جرت في فلك شمس الضحى (٤)
 جونٌ أغارته الجنوبُ جانباً منها وواصت صوبه يدُ الصبا (٥)
 نأى يمانياً فلما انتشرت أحضانه وامتد كسراه غطا (٦)
 فجلل الأفق فكل جانب منها كأن من قطره المزن حبا (٧)
 وطبق الأرض فكل بقعة منها تقول الغيث في هاتا ثوى (٨)
 إذا خبت بروقه عنت لها ريح الصبا تُشب منها ماخبا (٩)
 وإن ونت رعوده حدا بها راعي الجنوب فحدت كما حدا (١٠)

(١) المرئيد موضع بالبصرة بفتح الميم وكسر الباء . مصارع الأسد مواضع سقوطها عند الموت وأراد بالأسد الرجال وأراد أنهم صرعوا بالحاظ المها أى قتلتهم الحاظ النساء الحسان البيض المشبهة بالمها وهى البقر الوحشى الواحدة مهاة والحاظ نظرات (٢) مقرم السيد الكريم وأصله فحل الابل ومآثره جمع مآثرة الصنيفة الحسننة وفرع كل شئ أعلاه (٣) من الأثى من الدين وجوهرهم أصلهم واذا اعتزوا اذا اتسبوا والمصطفى المختار محمد صلى الله عليه وسلم (٤) جن الدجى أظلم وستر . والدجى الظلمة . (٥) جون فاعل سقى المتقدمة وهى السحاب الأسود وتأتى للابيض ضده وأغارت أنزلت والجنوب الريح القبلىة تجيء بالمطر وواصت واصلت والصوب نزول المطر والصبا الريح الشرقية (٦) نأى يمانيا أى طلع من ناحية اليمن وأصل الحضن ما دون الابط الى الكشح وكسراه تشنية كسر وهو طلب الحبا وانما كنى بالكسرين عن أذيال السحاب ويريد أن السحاب جرت على الأرض أذيالها وغطا ارتفع أو انبسط (٧) فجلل فغطى والأفق الناحية وجمعها آفاق ومن قطيره بضم القاف من ناحيته وجمعه أقطار والمزن السحاب والواحدة مزنة وحبا امتسلا ودنا يريد السحاب (٨) طبق الأرض ، فكل بقعة فكل مكان وفي هاتا أى هنا وثوى أقام (٩) خبت بروقه أى خمدت وسكنت وعنت عرضت وتشب توقد (١٠) وإن ونت ضعفت وفترت ، وحدا بها ساقها بالحداء وهو صوت السائق الذى يسوق الابل بالفناء .

- كَانَ فِي أَحْضَانِهِ وَبِرْكِهِ بركا تداعى بين سجر ووحى (١)
- لَمْ يَرِ كَالْمِزْنِ سِوَامًا بُهَلًا نحسبها مرعية وهى سدئ (٢)
- تَقُولُ لِلْأَحْرَازِ لَمَّا اسْتَوْسَقَتْ بسوقه ثقى برى وحيا (٣)
- فَأَوْسَعَ الْأَحْدَابِ سِيْبًا مَحْسَبًا وطبق البطنان بالماء والروى (٤)
- كَأَنَّمَا الْبَيْدَاءُ غَبَّ صَوْبَهُ بحر طما تياره ثم سجا (٥)
- ذَلِكَ الْجَدَا لَا زَالَ مَخْصُوصًا بِهِ قوم هم للأرض غيث وجدا (٦)
- لَسْتُ إِذَا مَا بَهْظَنِي غَمْرَةً من يقول (بلغ السيل الزبى) (٧)
- إِنْ ثَوْتُ تَحْتَ ضُلُوعِي زَفْرَةً تملأ ما بين الرجا إلى الرجا (٨)
- نَهْنَهْتَهَا مَكْظُومَةً حَتَّى يَرَى مخضوضعاً منها الذى طغا (٩)
- وَلَا أَقُولُ إِنْ عَرْتَنِي نَكْبَةً فوق القنوط (انقضى البطن السلا) (١٠)

(١) كان في أحضانه في نواحي هذا الأفق فالضمير عائد على الأفق أو على السحاب وهو أحسن ، والبرك الأول الصدر والثانى الأبل (٢) المزن السحاب وسواما بلا راعية وبهلا هى التى لم تحلب فتركت ضروعها ملأى من البانها لفصائلها . وسدى المهملة التى لاراعى لها (٣) الأحرار جمع حرز وهى الأرض الصلبة التى لم يسبها المطر واستوتقت حملت ما يكفيها من الماء وثقى برى أى يشبع من الماء وحيا خصب (٤) الأحداب جمع حدب وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ وسيبا غطاء محسبا كافيا وطبق غطى والبطنان جمع بطن وهو الغامض من الأرض والروى الماء الكثير . (٥) البيداء القفر وغب صوبه عقب مطره وانتصب غب على الظروف والصوب نزول المطر . (٦) الجدا الأول النائل والعطاء والذى في آخر البيت يحتمل أن يكون أراد به الجداء بالمد وهو العناء ثم قصره لضرورة الشعر ويحتمل أن يكون أراد به المعنى الأول (٧) بهظنى شقت على وغمرة هى الكربة والشدة واحدة القمرات والزبى جمع زبية وهى حفرة تحفر للأسد فى المكان العالى من الأرض وليس يلفها الا سيل عظيم وهو مثل تضربه العرب إذا اشتد بأحدهم الأمر (٨) ثوت أقامت زفرت هى ترجيع الصوت بالبكاء والرجا الجانب (٩) نهنتها كفتها وزجرتها مكظومة متجزعة ومخضوضعا متدللا وطفا كثر أو تكبر (١٠) عرتنى أصابتنى ، نكبة مصيبة القنوط اليأس انقد انقطع والسلا بفتح السين التى تتعلق بالولد وتسقط معه .

- قد مارست منى الخطوب مارساً
 لي التواء إن معادى التوى
 طعمى شرى للعدو تارة
 لدن إذ لوينت سهل معطى
 ووصون عرض المرء أن يبذل ما
 والحد خير ما اتخذت عُدَّة
 وكل قرن ناجم في زمن
 والناس كالنبت فمنهم رائق
 ومنه ما تقتحم العين فإن
 يقومُ الشارخ من زيغانه
 والشيخ إن قومته من زيغه
 كذلك الغصن يسير عطفه
 من ظم الناس تحاموا ظلمه
- يُساور الهول إذا الهول علا (١)
 ولي استواء إن موالى استوى (٢)
 والراح والأرى لمن وُدَى ابتغى (٣)
 أَلوى إذا خُوشنت مرهوب الشدا (٤)
 ضن به مما حواه وانتضى (٥)
 وأنفس الأذخار من بعد التقى (٦)
 فهو شبيهه زمن فيه بدًا (٧)
 غض نضير عوده مر الجنى (٨)
 ذقت جناه انساغ عذباً فى الجنى (٩)
 فيستوى ما انعاج منه وانحنى (١٠)
 لم يقم التثقيف منه ما التوى (١١)
 لدناً شديد غمزه إذا عسا (١٢)
 وعز عنهم جانباه واحتمى (١٣)

(١) مارست عاركت وضاربت ، الخطوب الأمور مارسا شديدا ، يساور الهول ويطاوله والحدول الشدة ، علا ارتفع (٢) التواء انواع ، معادى العدو ، الموالى الصديق الذى يوالى ، استوى اعتدل . (٣) شرى حنظل والأرى العسل الأبيض ابتغى طلب (٤) لدن لين ، لوينت أخذت باللين . (٥) انتضى اختار . (٦) عدة عمدة والأذخار جمع ذخر وهو المخبوء (٧) وكل قرن أى وكل أمة وناجم مرتفع . (٨) رائع معجب والفض الطرى الأخضر الناعم وكذلك النضير . (٩) تقتحم العين تتركه كرها له وتعدوه الى غيره وجناه ، اجتنى منه وانساغ سهل بلعه وعذبا حلوا واللها جمع لهاة وهى اللحمه المعلقة بأعلى الحنك . (١٠) الشارخ الشاب والحدث المستقبل للشباب وشرح الشباب أوله (١١) من زيغه من ميله . لم يقم أى يقوم ، التثقيف التقويم ، ما التوى ما انعوج . (١٢) لدنا لينا والشمز التقويم عسا صلب . (١٣) تحاموا ظلمه تباعدوا عنه ، وعز عنهم والعزة والشدة احتمى امتنع .

- عبيد ذى المال وإن لم يطمعوا
 وهم لمن أملق أعداء وإن
 عاجمت أياى وما الغر كمن
 لا يرفع اللب بلا جد ولا
 من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما
 من لم تفذه عبراً أيامه
 من قاس ما لم يره بما يرى
 من ملك الحرص القياد لم يزل
 من عارض الأطماع باليأس رنت
 من عطف النفس على مكروهاها
 من لم يقف عند انتهاء قدره
 من ضيع الحزم جبي لنفسه
 من ناط بالعجب عرى أحلاقه
 من طال فوق منتهى بسطته
- (١) من غمره في جرعة تشقى الصدى
 (٢) شاركهم فيما أفاد وحوى
 (٣) تآزر الدهر عليه واعتدى
 (٤) يحطك الجهل إذا الجد علا
 (٥) راح به الواعظ يوماً أو غداً
 (٦) كان العمى أولى به من الهدى
 (٧) أراه ما يدنو إليه ما نأى
 (٨) يكرع من ماء من الذل صرى
 (٩) إليه عين العز من حيث رنا
 (١٠) كان الغنى قرينه حيث انتوى
 (١١) تقاصرت عنه فسيحات الخطأ
 (١٢) ندامة ألدع من سفع الذكا
 (١٣) نيطت عرى المقت إلى هاتيك العرى
 (١٤) أعجزه نيل الدنى بله القصا

(١) الغمر الماء الكثير الجرعة القليل من الماء تشقى تبرىء ، والصدى العطش (٢) أملق افتقر (٣) عاجمت أيامى أى امتحنتها واختبرتها الفر الذى لم يجرب الأمور وتآزر من الأزار . (٤) لا يرفع اللب من الرفعة أى لا تعلق منزلته واللب العقل وجمعه الباب . والجد بالفتح الحظ والبخت . (٥) راح أتى بالعشى . غدا أتى بالغدو (٦) من لم تفذه أى تكسبه عبراً جمع عبرة وهى التذكرة (٧) من قاس من مثل وأراه ما يدنو أى ما يقرب . ما نأى ما بعد (٨) القيادة الطاعة يكرع أى يشرب بفيه بدون آلة ، وصرى الماء الدائم الذى قد طال مكثه جمع صراة (٩) الأطماع جمع طمع ، واليأس انقطع الرجاء ورننت نظرت (١٠) عطف أمال ورد ، وقرينه صاحبه ، وحيث انتوى أى حيث نوى من النية بمعنى القصد وقيل من النوى وهو البعد . (١١) تقاصرت قصرت ، فسيحات واسعات والخطا جمع خطوة . (١٢) الحزم الاحتراس بالأفعال ندامة حسرة ، ألدع أشد حرقه ، سفع احراق ، الذكا التهاب النار (١٣) ناط علق والصلق . نيطت عقلت والمقت أشد الغضب (١٤) من طال من ارتفع ، البسطة الفضيلة ، أعجزه أضعفه .

- والناس ألف منهم كواحد ووحد كالألف إن أمرٌ عني (١)
وللفتى من ماله ما قدّمت يدها قبل موته لا ما اقتنى (٢)
وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى (٣)
إني حلبت الدهر شطريه فقد أمر لي حيناً وأحياناً حلا (٤)
وفر عن تجربة نابي فقل في بازل راض الخطوب وامتنطي (٥)
واللوم للحرّ مقيم رادع والعبد لا يردعه إلا العصا (٦)
وآفة العقل الهوى فمن علا على هواه عقله فقد نجا (٧)
كم من أخ مسخوطة أخلاقه أصفيتها الودّ لخلق مُرتضى (٨)
إذا بلوت السيف محمودا فلا تدممه يوماً أن تراه قد نبا (٩)
والطرف يجتاز المدى وربما عن لغداه عثار فكبا (١٠)
من لك بالمهذب الندب الذي لا يجد العيب إليه مختطى (١١)
إذا تصفحت أمور الناس لم تلف امرأةً حاز الكمال فاكنتي (١٢)
عول على الصبر الجميل فإنه أمتع ما لاذ به أولوا الحجا (١٣)
وعطف النفس على سبل الأسي إذا استفز القلب تبريح الجوى (١٤)

- (١) عنى: قصد أو لزم . (٢) اقتنى اكتسب . (٣) لمن وعى لمن حفظ .
(٤) حلبت الدهر جربته وشطريه نصفيه وأراد بشطريه أول زمانه
وآخره ونعيمه وبؤسه (٥) وفر عن تجربة نابي أى كشف عن أمره وهذا
مأخوذ من قولهم فرعن الدابة إذا فتح فأها ليعرف سنها ويظهر صفرها من
كبرها ، البازل من الأبل الذى أتت عليه تسعة أعوام وراض الخطوب :
أذلها . (٦) اللوم بالفتح من الملامة وهى العتاب مقيم مصلح ، رادع كاف .
(٧) آفة العقل مضرتة ومفسدته والهوى الشهوة . (٨) مسخوطة من
السخط وهو ضد الرضا ، أقلاقه طبائعه أصفيتها الود أخلصت له الود .
(٩) بلوت اختبرت ، نبا ارتفع عن المضرب ولم يقطع فيه شيئاً .
(١٠) الطرف بالكسر الكريم من الخيل يجتاز يجوز ، لغداه لجريه
وعثار مصدر عثر يعثر عثارا . (١١) المهذب العاقل الظريف والندب الرجل
الخفيف فى الحاجة . (١٢) تصفحت نظرت واستيقظت . لم تلف : لم تجد ،
اكتفى اجتزأ به . (١٣) عول على الصبر أى ارجع إليه واعتمد .
(١٤) الأسي : التصبر .

- والدهر يكبو بالفتى وتارة
 لاتعجب من هالك كيف هوى
 إن نجومَ المجد أمست أفلاً
 إلا بقايا من أناس بهم
 إذا الأحاديث انتضت أنباءهم
 لا يسمع السامع في مجلسهم
 ما أنعم العيشة لو أن الفتى
 أو لو تحلى بالشباب عمره
 والليل ملق بالمواي بركه
 بحيث لا تهتدى لسمع نبأه
 شايعتهم على السرى حتى إذا
 قلت لهم : إن الهويئنا غبها
 وموحش الأقطار ظامٍ ملؤه
- (١) ينهضه من عشرة إذا كبا
 بل فاعجب من سالم كيف نجبا
 وظله القالض أضحى قد أزي (٢)
 إلى سبيل المكرمات يقتدى (٣)
 كانت كئشر الروض غاداه السدى (٤)
 هجراً إذا جالسهم ولا خنا (٥)
 يقبل منه الموت أسناء الرشا (٦)
 لم يستلبه الشيب هاتيك الحلى (٧)
 والعيش ينبئن أفاحيص القطا (٨)
 إلا نئيم البوم أو صوت الصدى (٩)
 مالت أداة الرحل بالجيس الدوى (١٠)
 وهن فجدوا تحمدوا غب السرى (١١)
 مدعثر أعضاد مهزوم الجبا (١٢)

(١) يكبو يعثر (٢) أفلا غائبات ، القالض المرتفع وفرس قالس طويل القوائم أزي قصر ونقص (٣) يقتدى يتبع فعلهم (٤) انتضب أظهرت من نضا الشيء إذا ظهر : الانباء الأخبار ، النشر الرائحة الطيبة (٥) هجرا بضم الهاء القبيح من القول وكذا الخنا أيضا . (٦) العيشة الحياة ، أسناء الرشا أرفعها وأعلاها . (٧) تحلى بالشباب لبسه وتزيانه . لم يجرده الحلى جمع حلية . (٨) المواي جمع مومة وهى الففر ، البرك الصدر ، العيس الأبيض من الإبل ينبئن يخرجن ، أفاحيص القطا أوكارها وواحدتها فحوص . (٩) نبأه الصوت الخفى ونئيم البوم صوته وانبوم الهام ، الصدى ذكر الهام (١٠) شايعتهم تابعتم على رأيهم في سير الليل . أداة الرحل حوائج الرحل ، الجيس الرجل الثقيل الجبان ، الدوى الأحقق . (١١) وهن ضعف فجدوا فاجتهدوا . (١٢) الوحش الأقطار يعنى به بشراً أو حوضاً الموحش ضد المؤمنس والأقطار النواحي وطام مرتفع ، مدعثر مهزوم الأعضاء ما حوالبه من صفائح الحجارة التى تعضده ، والجبا بفتح الجيم ما حول البئر أو الحوض

- كأنَّا الريش على أرجائه زرق نصال أرهفت لتمتهى (١)
 وردته والذئب يعوى حوله مستك سم السمع من طول الطوى (٢)
 ومنتج أم أبيه أمه لم يتخون جسمه مس الضوى (٣)
 أفرشته بنت أخيه فانثنت عن ولد يورى به ويشتوى (٤)
 ومرقب مخلوق أرجاؤه مستصعب المسلك وعر المرتقى (٥)
 والشخص فى الآل يرى لناظر ترمقه حيناً وحيناً لا يرى (٦)
 أوفيت والشمس تمجُّ ريقها والظل من تحت الحذاء مختذى (٧)
 وطارق يونسه الذئب إذا تضورَ الذئب عشاء وانضوى (٨)
 آوى إلى نارى وهى مألَف يدعو العفاة ضوءها إلى القرى (٩)
 لله ما طيف خيالها زائر تزفه للقلب أحلام الرؤى (١٠)
 يجرب أجواز الفلا محتقرا هول دجى الليل إذا الليل انبرى (١١)

(١) أرجاؤه نواحيه ، زرق نصال بيض نصال ، أرهفت رفقت . تمتهى تسقى الماء (٢) وردته يعنى وردت هذا الماء والهاء عائدة على الماء فى قوله طوم ماءؤه . (٣) ومنتج يريد رب غصن منتج أى مولود ، أم أبيه أمه ، يريد غصنا قطع من فرع من شجرة فتلك الشجرة أم الفرع والفرع جعله للفصن بمنزلة الأب على استعارة والشجرة أم الفرع وأم الفصن لأنها منها فصارت أما لأبيه وأما له . (٤) أفرشته بنت أخيه حككت به غصنا آخر . (٥) مرقب الموضع العالى الذى ينظر منه الى بعد ومخلوق أملس (٦) الشخص سواد الانسان وغيره تراه من بعد ، والآل السراب . (٧) أوفيت أتيت ووصلت أى اليه وتمج تلقى ، وريقها لعائنها ، ولعاب الشمس انما يكون فى وقت الظهيرة . (٨) وطارق الذى يجيء بالليل وتضور صاح من الجوع . (٩) آوى الى نارى أى انضم الى نارى ومألَف الموضع الذى يجتمع فيه الأحباب والعفا طلاب المعروف . (١٠) لله ما طيف ، اللام فى هذا بمعنى التعجب وما زائدة ، والظيف ما يراه النائم فى صور محبوبه ، خيال الشخص الذى يتخيل ذلك ، وتزفه تحمله (١١) يجوب يقطع أجواز أوساط والفلاجع فلاة وهى الفقر من الأرض ، والداجى الظلمة . وانبرى اعترض .

- سائله إن أفصح عن أنبائه
أو كان يدري قبلها ما فارس
وسائلي بمزعجى فى وطنى
قلت : القضاء مالك أمر الفتى
لا تسألنى واسأل المقدار هل
لا غرو إن لح زمان جائر
فقد ترى الناحل مخضرا وقد
يا هؤلّيا هل نشدتن لنا
ما أنصفت أم الصبيين التى
استحى بيضا بين أفوادك أن
هيهات ما أسفع (هاتا) زلة
يا رُبَّ ليل جمعت قطريه لى
- (١) أنى تسدى الليل أم أنى اهتدى؟
(٢) وما مواميهأ القفار والقرى
(٣) ما ضاق بى جنباه ولا نبا
من حيث لا يدرى ومن حيث درى
يعصم منه وزر ومزدرى
(٤) فاعترق العظيم المُمخَّ وانتقى
تلقى أخوا الإقتار يوما قد نما
(٥) ناقبة البرقع عن عيني طلا
(٦) أصببت أخوا اللحم ولما يصطبي
(٧) يقتادك البيض اقتياد المهتدى
(٨) أطربا بعد المشيب والجلال
(٩) بنت ثمانين عروساً تجتلى
(١٠)

(١) سائله يعنى الخيال . وعن أنبائه يعنى عن أخباره وأن أفصح أى وإن أبان وأنى كيف تسدى قطع الليل بالسير ، وأم أنى اهتدى .
(٢) أو كان يدري قبلها يريد قبل هذه الدرورة . وما فارس يريد بلاد فارس ، والموامى وأحدها موماة وهى الأرض المقفرة (٣) بمزعجى بمزىل ومخرجى والياء بمعنى عن فكأنه قال وسائلى عن مزعجى الجنب بفتح الجيم الناحية (٤) لاغرو لاعجب ، لح عرض فاعترض العظيم أى أزال عنه اللحم ، الممخ الذى فيه المخ ، انتقى استخرج منه ألبق وهو المخ (٥) القاحل اليابس ، أخوا الإقتار المقل من المال وبما زاد واستغنى (٦) يا هؤلّيا يا هؤلّاه ونشدتن طلبتن ناقبة البرقع أى المتقنع به (٧) ما أنصفت أم الصبيين هذا تقوله العرب تمدح به المرأة الكاملة العقل والصبيان ما يتخايل فى بؤبؤ العين . أصببت أخوا اللحم أى رددته إلى الصبا . (٨) استحى فعل أمر من الاستحياء بمعنى الحياء وبيضا شيبا وبين أفوادك جمع فود ، والفودان جانب الرأس أى ناحيته من يمين وشمال والبيض الثانية النساء والمهتدى الأسير .
(٩) هيهات كلمة تبعيد وها إشارة للمؤنث ، وزلة خطيئة وسقطة ،
الجلال بفتح الجيم انحسار الشعر عن مقدم الرأس (١٠) جمعت قطريه أى جانبيه أول الليل وآخره بنت ثمانين هنا الخمر وإنما جلوت بنت ثمانين لأنه من شربها أوجبت عليه ثمانين جلدة وتجتلى من جلوت العروس وهو أظهارها .

- لم يملك الماء عليها أمرها
حيناً هي الداء ، وأحياناً بها
قد صانها الخمار لما اختارها
فهي ترى من طول عهد إن بدت
كأن قرن الشمس في ذُرورها
نازعتها أروع لاتسطو على
كأن نور الروض نظم لفظه
من كل ما نال الفتى قد نلته
فإن أعش صاحبُ دهرى عالماً
وإن أمتُ فقد تناهت لذتى
- ولم يدينسها الضرام المحتضى (١)
من دائها إذا يهيجُ يشتنى
ضنا بها على سواها واحتبى (٢)
في كأسها لأعين الناس كلاعى (٣)
بفعلها في الصحن والكاس اقتدى (٤)
نديمه شرته إذا انتشى (٥)
مرتجلاً أو منشداً أو إن شداً (٦)
والمرء يبقى بعده حسن الثنا (٧)
بما انطوى من صرفه وما انتشى
وكل شيء بلغ الحد انتهى (٨)

وقال المثقف العبدى الحكيم الجاهلى من قصيدة :

- لاتقولن إذا ما لم ترد
حسن قول « نعم » من بعد « لا »
إن « لا » بعد « نعم » فاحشة
وإذا قلت « نعم » فاصبر لها
- أن تم الوعد فى شيء « نعم »
وقبيح قول « لا » بعد « نعم »
فبلا فابدأ إذا خفت الندم
بنجاز الوعد إن الخلف ذم

(١) لم يملك الماء عليها أمرها يريد لم تمزج بالماء فتكسر حدتها وسورتها ولم يغيرها والضرام الحطب الدقيق يوقد به الحطب الفليظ والمحتضى العود تحرك به النار . (٢) صانها حفظها ، ضنا بخلا ، احتبى ستر . (٣) كلاعى يعنى أنه يعمى من نظر اليها فكيف من سربها (٤) قرن الشمس شعاعها ، ذرورها طلوعها يقال ذرت الشمس إذا طلعت والصحن القدح الكبير الواسع ، والكأس القدح إذا كان فيه خمر ، اقتدى أتبع أثره (٥) نازعتها ناولتها ، أروع الحسن المنظر الجميل لا تسطو لا تعدو النديم صاحب ، الشرة الحدة ، انتشى سكر (٦) نور الروض زهر الروض مرتجلاً الذى يأتى بما يخطر على باله على البديهة بغير استعداد ، وشدا غنى ومنه الشادى . (٧) الثنا هنا الثناء وهو فى الأصل علم للخير والشر . (٨) تناهت لذتى بلغت النهاية .

أكرم الجار وراعِ حقه
لا ترانى راتعاً من مجلس
إن شر الناس من يمدحني
وكلام سيئ قد وقرت
ولبعض الصنفح والإعراض عن
ذى الخنا أبقي وإن كان ظلم

وقال الأفوه الأزدي أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمائها :

البيت لا يبنى إلا على عمد
فإن تجمع أوتاد وأعمدة
لا يصلح الناس فوضى لاسرأة لهم
تهدى الأمور بأهل الرأي ماصلحت
إذا تولى سرأة الناس أمرهم
ولا عماد إذا لم تُرْس أوتاد
وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا
ولا سرأة قوم جهالهم سادوا
فإن تولت فبالأشرار تنقاد
نما على ذاك أمر القوم فازدادوا

وقال الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هـ :

أما والله إن الظلم شوْم
إلى الديان يوم الدين تمضى
ستعلم في الحساب إذا التقينا
ستنقطع اللذاذة عن أناس
لأمر ما تصرمت الليالى
سل الأيام عن أمم تقضت
تروم الخلد في دار الدنيا
تنام ولم تم عنك المنايا
لهوت عن الفناء وأنت تفتنى
تموت غدا وأنت قوبر عين

ولا زال المسئ هو الظلوم
وعند الله تجتمع الخصوم
غدا عند المليك - من الملوم ؟
من الدنيا وتنقطع الهموم
لأمر ما تحركت النجوم
ستنبيك المعالم والرسوم
فكم قد رام غيرك ما تروم
تنبه للمنية يا نووم
فما شئ من الدنيا يدوم
من الشهوات في لجج نعوام

وقال :

عليك ببر الوالدين كليهما
ولا تصحبن إلا تقياً مهذباً
وقارن إذا قارنت حراً مؤدباً
وكف الأذى واحفظ لسانك واتق
ونافس ببذل المال في طلب العلي
وكن واثقاً بالله في كل حادث
وبالله فاستعصم ، ولا ترج غيره
وغض عن المكروه طرفك واجتنب
ولا تبني في الدنيا بناءً مؤمل

وقال :

قدم لنفسك في الحياة تزوداً
واهتم للسفر القريب فإنه
واجعل تزودك المخافة والتقى
واقنع بقوتك فالقناع هو الغنى
واحد مصاحبة اللثام فإنهم
أهل المودة ما أنلتهم الرضا
لا تنفس سرا ما استطعت إلى امرئ
فكما تراه بسر غيرك صانعاً
لا تبدأن بمنطق في مجلس
فالصمت يحسن كل ظن بالفتى
ودع المزاح فرب لفظة مازح

فلقد تفارقها وأنت مؤدع
أنأى من السفر البعيد وأشنع
فعل وقفك في مسائك أسرع
والفقر مقرون بمن لا يقنع
منعوك صفو ودادهم وتصنعوا
وإذا منعت فسمهم لك منقع
يفشى إليك سرائراً يستودع
فكذا بسر لا محالة يصنع
قبل السؤال ، فإن ذلك يشنع
ولعله خرق سفيه أرقع
جلبت إليك بلابلاً لا تدفع

وحفاظ جار لا تضعه فإنه
وإذا استمالك ذو الإساءة عشرة
وإذا اتهمت على السرائر فاخفها
وأطع أباك بكل ما أوصى به

وقال :

صن النفس واحملها على مايزينها
ولا ترين الناس إلا تجملاً
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد
يعزُّ غيُّ النفس إن قلَّ ماله
ولا خير في ودِّ امرئٍ مُتلون
جواد إذا استغنيت عن أخذ ماله
فما أكثر الإخوان حين تعدهم

وقال عبد الله بن جعفر الطالبي :

إذا كنت في حاجةٍ مرسلاً
وإن بابُ أمرٍ عليك التوى
وإن ناصح منك يوماً دنا
وذا الحق لا تنتقص حقه
ولا تذكر الدهر في مجلس
وكم من فتى عازب لبه
وآخر تحسبه أنوكا

وقال أبو الأسود الدؤلي التابعي :

حسدوا الفتى إذا لم ينالوا سعيه
فالقوم أعداء له وخصوم

وترى اللبيب محسداً لم يجترم
وكذاك من عظمت عليه نعمة
فاترك مجازاة السفية فإنها
فإذا جريت مع السفية كما جرى
وإذا عتبت على السفية ولمته
يا أيها الرجل المعلم غيره
تصف الدواء لدى السقام وذى الضنى

كما يصحُّ به ، وأنت سقيم
وأراك تصلح بالرشاد عقولنا
أبدأ ، وأنت من الرشاد عقيم
لا تنه عن خلقي وتأتى مثله
عارٌ عليك إذا فعلت عظيم
أبدأ بنفسك فأنها عن غيرها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهنالك يقبل ما وعظت ويقتدى
بالعلم منك ، وينفع التعليم

* * *

وقال العباس بن مرداس المتوفى سنة ١٦ هـ ، وأمه الخنساء الشاعرة :

ترى الرجل النحيف فتزدرية
ويعجبك الطير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطير
فما عظم الرجال لهم بفخر
ولكن فخرهم كرمٌ وخير
بغاث الطير أكثرها فراخا
وأُمُّ الصقر مقلدةٌ نزور
ضعاف الطير أطولها جسوماً
ولم تطل البزاة ولا الصقور
لقد عظم البعير بغير لب
فلم يستغنِ بالعظم البعير
يصرِّفه الصبي بكل وجه
ويحبسه على الخسف الجرير
فإن أك في شراركم قليلا
فإنى في خياركم كثير

وقال الإمام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ رضى الله تبارك وتعالى عنه :

دع الأيام تفعل ما تشاء
وطب نفساً إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالي
فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلاً على الأهوال جلداً
وشيمتك الساحة والسخاء
يُغَطَّى بالساحة كل عيب
وكم عيب يغطيه السخاء
ولا حزنٌ يدوم ولا سُرورٌ
ولا عسر عليك ولا رخاء
ولا ترى الأعادي قط. ذلاً
فإن شامة الأعداء بلاءٌ
ولا ترجُ الساحة من بخيلٍ
فما في النارٍ للظمان ماءٌ
ورزقك ليس ينقصه التأنى
وليس يزيد في الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع
فأنت وما لك الدنيا سواء
ومن نزات بساحته المنايا
فلا أرض تقيه ولا سماءُ
وأرض الله واسعةٌ ولكن
إذا نزلَ القضا ضاق الفضاءُ

وقال عبدة بن الطيب المتوفى سنة ٥٣٩ هـ ، يوصى أبناءه :

ابني ، إني قد كبرت ورأيتني
بصرى ، وفي لمنظر مُستمتع
أوصيكم بتقى الإله فإنه
يُعطي الرغائب من يشاء ويمنع
وببرٌ والدكم وطاعة أمره
إن الأبر من البنين الأطوع
إن الكبير إذا عصاه أهله
ضاقَت يداه بأمره ، ما يصنع ؟

ودعوا الضغائن ، لا تكن من شأنكم

إنَّ الضغائنَ للقرابةِ توضع
يُزجى عقاربه لبيعته بينكم
حرباً كما بعث العروق الأخدعُ
إن الذين تروهم إخوانكم
يشقى غليل صدورهم أن تُضرعوا
وإذا مضيتُ إلى سبيل فابعثوا
رجلا له قلب حديد أصمُعُ

إن الحوادث تخترمَنَ وإنما عمر الفتى في أهله مُستودع
يسعى ويجمع جاهداً مهتراً ، وليس بأكل ما يجمع!

وقال قيس بن الخطيم المتوفى سنة ٦١١ من قصيدة :

وما بعض الإقامة في ديارٍ يُهان بها الفتى إلا بلاءٌ
وبعض خلائِقِ الأَقومِ داءٌ كداءِ البطن ليس له دواءٌ
يريد المرءُ أن يعطى مُناه ويأبى الله إلا ما يشاءُ
وكل شديدةٍ نزلت بقومٍ سيأتى بعداً شدتها رخاءُ
ولا يعطى الحريص غنى لحرص وقد ينمى على الجود الثراء
غنى النفس ما عمرت غنى وفقر النفس ما عمرت شقاءُ
وليس بنافع ذا البخل مال ولا مُزِرٍ بصاحبه السخاءُ
وبعض الداء ملتصق شفاءٌ وداءُ النوك ليس له شفاءُ

وقال صالح بن عبد القدوس المتوفى سنة ٨٥٥ هـ :

المرءُ يجمع والزمان يُفرِّقُ ويظل يرقع والخطوب تمزقُ
ولأن يُعادى عاقلاً خيراً له من أن يكون له صديق أحمقُ
فاربأ بنفسك أن تصادق أحمقاً إن الصديق على الصديق مُصدّقُ
وزن الكلام إذا نطقت فإنما يبدي عقول ذوى العقول المنطق
ومن الرجال إذا استوت أخلافهم

مَنْ يُسْتَشَارُ - إِذَا اسْتَشِيرَ - فَيُطْرَقُ

حتى يحلَّ بكلِّ واد قلبه فيرى ويعرف مايقولُ فينطقُ
ما الناس إلا عامِلانِ ، فعامل قدمات من عطش ، وآخر يغرقُ
والناس في طلب المعاش وإنما بالجد يُرزق منهم من يُرزقُ
لويرزقون الناس حسب عقولهم ألفت أكثر من ثرى يتصدَّق

لكنه فضل المليك عليهم
وقال أيضاً :

صَرمت حبالك بعد وُضلكَ زينب
وكذاك وصل الغانيات فإنه
فدع الصبا فلقد عداك زمانه
ذهب الشباب فما له من عودة
دع عنك ما فات في زمن الصبا
واخش مناقشة الحساب فإنه
والليل ، فاعلم ، والنهار كلاهما
لم ينسه المثلكان حين نسيته
والروح فيك وديعة أودعتها
وغرور دنياك التي تسعى لها
وجميع ما حصلته وجمعه
تُباً لدار لا يدوم نعيمها
لا تَأمن الدهر الخوون لأنه
وكذلك الأيام في غصاتها
ويفوز بالمال الحقيقير مكانة
ويُسر بالترحيب عند قدومه
لا تحرصن فالحرص ليس بزائد
كم عاجز في الناس يأتي رزقه
فعليك تقوى الله فالزمها تفرُّ
واعمل بطاعته تنل منه الرضا

والدهر فيه تصرم وتقلب
آل يبْلِقَعَة وبرق خلب
واجهد ، فعمرك مر منه الأطيب
وأقَى المشيب فأين منه المهرب
واذكر ذنوبك وابكها يا مُذنب
لأبد يحصى ما جنيت ويكتب
أنفاسنا فيه تُعد وتحسب
بل أثبتاه ، وأنت لاه تلعب
ستردها بالرغم منك وتُسلب
دار حقيقتها متاع يذهب
حقاً يقيناً بعد موتك يُنهب
ومشيدها عما قليل يخرب
ما زال قدماً للرجال يُهذب
مَضُضٌ يذلُّ له الأعز الأنجب
فتراه يُرجى ما لديه ويرغب
ويقام عند سلامه ويُقرب
في الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
رَغداً ويُحرَم كَيْس ويخيَّب
إن التَّقِي هو البهي الأهيب
إن المطيع لربه لمقرب

أدّ الأمانة ، والعيانة فاجتنب
واحذر من المظلوم سهماً صائباً
واعدل ولا تظلم يطيب المكسب
واعلم بأنّ دعاءه لا يُحجب
وإذا أصابك في زمانك شدة
وأصابك الخطب الكريه الأصعب
فادع لربك إنه أدنى لمن
يدعوه من جبل الوريد وأقرب
واحذر مؤاخاة الدنيّ لأنه
يعدى كما يعدى الصحيح الأجر
واختر صديقك واصطفيه تفاعراً
إن القرين إلى المقارن ينسب
ودع الكذوب ولا يكن لك صاحباً

إن الكذوب لبئس خلاً يُصحب

وذر الحسود وإن تقادم عهده
واحفظ لسانك واحترز من لفظه
فالحقد باق في الصدور مغيب
فالمرء يسلم باللسان ويعطب
وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن
والسرّ فاكتمه ولا تنطق به
وإثارة في كل ناد تخطب
فهو الأسير لديك إذ لا ينشب
واحرص على حفظ القلوب من الأذى

فرجوعها بعد التنافر يصعب

إن القلوب إذا تنافر ودها
واحذر عدوك إذ تراه باسمها
شبه الزجاجه كسرها لا يُشعب
فاليث يبدو نابه إذ يغضب
لا خير في ودّ امرئ مُتملق
يعطيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ منك كما يروغ الثعلب
يلقاك يحلف أنه بك واثق
وإذا رأيت الرزق ضاق ببدة
وخشيت فيها أن يضيّق المكسب
طولا وعرضاً شرقها والمغرب
فارحل فأرض الله وأبرعة الفضا

وقال أبو الفتح البستي المتوفى ببخارى سنة ٥٤٠٠ هـ :

زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطلما استعبد الإنسان إحسان
ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته أتطلب الربح مما فيه خسران؟
أقبل على النفس واستكمل فضائلها

فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
وكن على الدهر معواناً لذى أمل يرجو نذاك فإن الحر معوان
واشدد يديك بحبل الله معتصماً فإنه الركن إن خانتك أركان
من يتق الله يحمد في عواقبه ويكفه شر من عزوا ومن هانوا
من استعان بغير الله في طلب فإن ناصره عجز وخذلان
من كان للخير مناعاً فليس له على الحقيقة خلان وأخذان
من جاد بالمال جاد الناس قاطبة إليه ، والمال للإنسان فتان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم وعاش وهو قرير العين جلدان
من يزرع الشر يحصد في عواقبه ندامة ، ولحصد الزرع إبان
من استنم إلى الأشرار نام وفي ردائه منهم صل وثعبان
كن ريق البشر إن الحر همته صحيفة وعليها البشر عنوان
وارفق الرفق في كل الأمور فلم يندم رفيق ولم يذمه إنسان
ولا يغرنك حظ جره خرق فالخرق هدم ورفق المرء بنيان
أحسن إذا كان إمكان ومقدرة فلن يدوم على الإحسان إمكان
فالروض يزدان بالأنوار فاغمه والحر بالعدل والإحسان يزدان
صن حر وجهك لانتهمك غلالته فكل حر لحر الوجه صوان
دع التكاسل في الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان

لا ظل للمرء يعرى من نهي وتقى
والناس أعوان من والته دولته
«سُحبان» من غير مال باقل حصر
لاتودع السر وشاء به مذلا
لاتستشر غير ندبٍ حازم يقظ.
فللتدابير فرسان إذا ركضوا
وللأمور مواقيت مقدرة
فلاتكن عجلا في الأمر تطلبه
كفى من العيش ما قد سد من عوز
وذو القناعة راض من معيشته
حسب الفتى عقله خِلا يعاشره
إذا نبا بكريم موطن فله
يا ظلما فرحاً بالعزيز ساعده
يا أيها العالم المرضى سيرته
ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجج
لا تحسبن سرورا دائما أبدا
وكل كسر فإن الدين يجبره

وإن أظلمه أوراق وأفنان
وهم عليه إذا عادته أعوان
و«باقل» في ثراء المال سحبان
فما رعى غنماً في الدو سرحان
قد استوى فيه إسرار وإعلان
فيها أبروا كما للحرب فرسان
وكل أمر له حدٌ وميزان
فليس يُحمد قبل النضج بحران
ففيه للحرّ قنيان وغنيان
وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان
إذن تحاماه إخوان وخِلان
وراءه في بسيط. الأرض أوطان
إن كنت في سنة فالدهر يقظان
أبشر فأنت بغير الماء ريان
فأنت ما بينها لا شك ظمان
من سره زمن ساءته أزمان
وما لكسر قناة الدين جبران

* * *

وقال ابن أبي بكر المقرئ المتوفى سنة ٧٨٥ هـ :

زيادة القول تحكى النقص في العمل
إن اللسان صغير جرمه وله
عقل الفتى ليس يغنى عن مشاوره
ومنطق المرء قد يهديه للزلل
جرمٌ كبير كما قد قيل في المثل
كحدّة السيف لا تغنى عن البطل

إن المشاور إما صائب غرضاً
 لا تحقر الرأي يأتيك الحقيق به
 ولا يغرنك وُدُّ من أخى أمل
 لا تجزعن لخطب ما به حيل
 وقدر شكر الفتى لله نعمته
 وإن أخوف نهج ما خشيت به
 لا تفرحن بسقطات الرجال ولا
 وقيمة المرء ما قد كان يُحسنه
 وكل علم جناه ممكن أبداً
 والمال صنه وورثة العدو ولا
 فخير مال الفتى مال يصون به
 وأفضل البر ما من لا يتبعه
 أو مخطئ غير منسوب إلى الخطل
 فالنحل وهو ذباب طائر العسل
 حتى تجربه في غيبة الأمل
 تغنى وإلا فلا تعجز عن الحيل
 كقدر صبر الفتى للحادث الجلل
 ذهاب حرية أو مرتضى عمل
 تهزأ بغيرك واحذر صولة الدول
 فاطلب لنفسك ماتعلو به وصل
 إلا إذا اعتصم الإنسان بالكسل
 تحتج حياتك للإخوان في الأكل
 عرضاً وينفقه في أشرف السبل
 ولا تقدمه شيء من المطل

* * *

وقال الإمام على الرضا المتوفى سنة ٧٧ هـ :

واعجباً للمرء في لذته
 يزجره الوعظ. فلا ينتهي
 يبارز الله بعصيانه
 وإن يقع في شدة يبتهل
 إرغب لمولاك وكن راشداً
 واتل كتاب الله مهد به
 لا تحرصن فالحرص يزرى بالفتى
 والحظ. لا تجلبه حيلة
 يجر ذيل التيه في خطوته
 كأنه الميت في سكرته
 جهرا ولا يخشاه في خلوته
 فإن نجا عاد إلى عادته
 واعلم بأن العز في خدمته
 واتبع الشرع على سنته
 ويذهب الرونق من بهجته
 كيف يخاف المرء من فوتته ؟

ما فاتك اليوم سيأتى غدا ما فى الذى قدّر من حيلته
والرزق مضمونٌ على واحدٍ مفاتيح الأشياء فى قبضته
قد يرزق العاجز مع عجزه ويحرمُ الكيس من فطنته
لا تنهر المسكين يوماً أنى لقد نهاك الله عن نهرته

إن عضك الدهر فكن صابرا

على الذى نالك من عضته أو مسك الضرُّ فلا تشتكى
إلا لمن تطمع فى رحمته لسانك احفظه وصن نطقه
واحذر على نفسك من عشرته قالصمت زينٌ ووقارٌ وقد
يوئى على الإنسان من لفظته من أطلق القول بلا مهلة
لا شك أن يعثر فى عجلته من لزم الصمت نجا سالماً
لا يندم المرء على سكتته من أظهر الناس على سره
يستوجب الكيُّ على مُقلته من مازح الناس استخفوا به
وكان مذموهاً على مزحته من جعل الخمر شفاءً له
فلا شفاءً الله من علته من نازع الأقبال فى أهرهم
بات بعيد الرأس عن جُثته من لاعب الثعبان فى كفه
هيئات أن يسلم من لسعته من عاشر الأحمق فى حاله
كان هو الأحمق فى عشرته لاتصحب النذل فتردى به
لا خير فى النذل ولا صُحبته من اعتراك الشكُّ فى جنسه
وحواله فانظر إلى شيمته من غرس الحنظل لا يرتجى
أن يجتنى السكر من غرسته من جعل الحق له ناصرا
أيده الله على نصرته

وقال أبو العتاهية المتوفى سنة ٢١١ هـ :

أَنلهو وأيامنا تذهب ؟ ونلعبُ والموت لا يلعبُ
 عجبتُ لذي لعب قد لها عجبت ومالي لا أعجب
 أيلهو ويلعب من نفسه تموت ومنزله يخرب
 نرى كل ما ساعنا دائماً على كل ما سرنا يغلب
 نرى الليل يطلبنا والنهار ولم ندر أيهما أطلب
 أحاط الجديدان جميعاً بنا فليس لنا عنهما مهرب
 وكلُّ له مدَّة تنقضي وكل له أثر يكتبُ

قال صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ :

الجد في الجد والحرمان في الكسل
 واصبر على كل ما يأتى الزمان به
 وجانب الحرص والأطماع تحفظ بما
 ولا تكونن على ما فات ذا حزن
 واستشعر الحلم في كل الأمور ولا
 وإن بُليت بشخص لا خلاق له
 ولا تمار سفيهاً في محاوره
 ولا يغرك من يبدي بشاشته
 وإن أردت نجاحاً كل آونة
 إن الفتى من بماضى الحزم متصفٌ
 ولا يقيم بأرض طاب مسكنها
 ولا يضيع ساعات الزمان فلن
 فانصب تصب عن قريب غاية الأمل
 صبر الحسام بكف الدارع البطل
 ترجو من العز والتأييد في عجل
 ولا تظلم بما أوتيت ذا جذل
 تسرع ببادرة يوماً إلى رجل
 فكن كأنك لم تسمع ولم يقل
 ولا حلماً لكي تقضى عن الزلل
 إليك خدعا فإن السم في العسل
 فاكمم أمورك عن حاف ومنتعل
 وما تعود نقص القول والعمل
 حتى يقدر أديم السهل والجبل
 يعود ما فات من أيامه الأول

ولا يُراقب إلا من يراقبه ولا يصاحبُ إلا كل ذى نبل
 ولا يعد عيوناً للورى أبداً بل يعتنى بالذى فيه من الخلل
 ولا يظن بهم سوءاً ولا حسناً بل التجاربُ تهديه على مهل
 ولا يصد عن التقوى بصيرته لأنها للمعالى أَوْضَحُ السبل
 فمن تكن حلة التقوى ملابسه لم يخش فى دهره يوماً من العطل
 من لم تفده صروف الدهر تجربة فيما يُحاول فليسكن مع الهمل
 من سألته الليالى فليثق عجلاً منها بحرب عدو جاء بالحيل
 من ضيع الحزم لم يظفر بحاجته ومن رمى بسهاب العجب لم ينل
 من جاد ساد وأحيا العالمون له بديع حمد بمدح الفعل مُتَّصِل

وقال حسام الدين الواعظى المتوفى سنة ٩٩٠ هـ :

من ضيع الحزم فى أفعاله ندما وظل مكتئباً والقلبُ قد سقما
 ما المرءُ إلا الذى طابت فضائله والدين زينٌ يزين العاقل والفهما
 والعلم أنفسُ شئٍ أنت ذاخره فلا تكن جاهلاً تستورث الندما
 تعلم العلم واجلس فى مجالسه ما خاب قط. لبيبٌ جالس العلماء
 والوالدين فأكرم تنج من ضرر ولا تكن نكدا تستوجب النقما
 ولازم الصمت لاتنطق بفاحشة وأكرم الجار لاتهتك له حرماً
 واحذر من المزح تنج من خطر كم من صديقين بعد المزح فاختصما
 وصبر النفس وارشدها إذا جهلت

وإن حضرت طعاماً لاتكن نهما

وقال عمر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ مخاطباً ولده :

إِعْتَزِلْ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالغَزْلِ وقل الفصلَ وجانبٍ من هزل
 ودع الذكرَ لآيام الصبا فالآيام الصبا نجمٌ أَفْلُ

واترك الغادة لاتحفل بها تمس في عز رفيع وتجل
وافتكرك في منتهى حُسن الذى أنت تهواه تجد أمرا جليل
واهجر الخسرة إن كنت فتي

كيف يسعى في جنونٍ من عقل؟
واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرى إلا وصل
ليس مَنْ يقطع طرقا بطلا إنما مَنْ يتقى الله البطل
كتب الموتُ على الخلق فكم فلَّ من جيش وأفنى من دولٍ
أين نمرودُ وكنعانُ ومن ملك الأرض وولى وعزل؟
وأين من سادوا وشادوا وبنوا هلك الكل ولم تغن القلل!
وأين أرباب الحجبى أهل النهى أين أهل العلم والقوم الأول؟
سعيدُ الله كلاً منهمُ وسيجزى فاعلا ما قد فعل
أطاب العلم ولا تكسلُ فما أبعد الخير على أهل الكمل
واحتفل للفقهِ فى الدين ولا تشتغل عنه بمالٍ وخول
واهجرِ النوم وحصله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت أربابه كلُّ من سار على الدرب وصل
فى ازدياد العلم إرغامُ العدا وجمال العلم إصلاحُ العمل
جَمَلُ المنطق بالنحو فمن

يحرّم الإعراب بالنطق اختبل

إنظم الشعر ولازم مذهبى فى اطراح الرفد لا تبغ النحل
فهو عنوان على الفضل وما أحسن الشعر إذا لم يُبتذل
وأنا لا أختارُ تقبيلَ يد قطعها أجملُ من تلك القبل
مُلك كسرى عنه تغنى كسرةُ وعن البحر اجتزاء بالوشل

إطرح الدنيا فمن عاداتها تخفض العالى وتعلى من سفلى
 عيشةُ الراغب فى تحصيلها عيشةُ الجاهل فيها أو أقل
 كم جهول بات فيها مُكثراً وعليم بات منها فى علل
 كم شجاع لم ينل فيها المنى وجبان نال غايات الأمل
 فاترك الحيلة فيها واتكل إنما الحيلة فى ترك الحيل
 لا تقل أصلى وفصلى أبداً إنما أصل الفتى ما قد حصل
 قد يسود المرء من دون أبٍ

وبحسن السبك قد ينفى الدغل

إنما الورد من الشوك وما ينبتُ النرجسُ إلا من بصل
 قيمة الإنسان ما يُحسنه أكثر الإنسان منه أم أقل
 بين تبذير وبخل رتبة وكلا هذين إن زاد قتل
 ليس يخلو المرء من ضدِّ ولو حاول العزلة فى رأس الجبل
 دار جارِ سوء بالصبر وإن لم تجد صبراً فما أحلى النقل
 جانب السلطان واحذر بطشه لا تعاند من إذا قال فعل
 إن نصف الناس أعداء لمن ولى الأحكام هذا إن عدل
 قصر الآمال فى الدنيا تفر فدليلُ العقل تقصيرُ الأمل
 غب ، وزر غباً تزد حباً فمن أكثر الترداد أقصاه الممل
 لا يضر الفضل إقلالٌ كما لا يضر الشمس أطباق الطفل
 خذ بنصل السيف واترك غمده واعتبر فضل الفتى دون الحُلل
 حُبك الأوطان عجزٌ ظاهر فاغترب تلق عن الأهل بدل
 فبمكث الماء يبقى أسناً

وسرى البدر به البدرُ اكتمل

وقال العميد أبو إسماعيل الطغرائى المتوفى سنة ٥١٣ هـ (١) :

- أصالة الرأى صانتنى عن الخطل وحلية الفضل زانتنى لدى العطل (٢)
 مجدى أخيراً ومجدى أولاً شرع والشمس راد الضحى كالشمس فى الطفل (٣)
 فيم الإقامة بالزوراء ، لاسكنى بها ولا ناقتى فيها ولا جملى (٤)
 ناء عن الأهل صفر الكف منفرد كالسيف عرى متناه عن الخلل
 فلا صديق إليه مشتكى حربى ولا أنيس إليه منتهى جنلى (٥)
 طال اغترابى حتى حن راحلتى ورحلها وقرا العسالة الذبل (٦)
 وضج من لغب نضوى وعج لما ألقى ركابى ولجَّ الركب فى عدلى (٧)

(١) هو العميد أبو إسماعيل الحسين بن على الملقب بمؤيد الدين المشهور بالطغرائى المتوفى سنة ٥١٣ هـ . (٢) صانتنى : حفظتنى والخطل : الخطأ . (٣) مجد وشرف وشرع سواء وراد الوقت الذى بعد العصر وقبل الغروب ، « المعنى » شرفى وقت تجردى من الامارة وشرفى وقت تسربلى بها سواء ان حالى كالشمس فى كون ضوئها وقت الضحى مخالفا لضوئها وقت الطفل ولكنه لم ينقص من ذاتها الواحدة شيئاً ، يفخر بدوام شرفه على اختلاف الأزمان . (٤) الزوراء : اسم لبغداد وناء بعيد ، وصفر خال ، وعرى جرد ، والخلل كسوة غمد السيف . (٥) الجذل السرور ، المعنى : اعتزلنى الناس ببغداد فلم يأو الى بها حبيب أثبت اليه كدرى من جور الزمان فيفرجه عنى ويساعدنى على صرفه ولا سمير أوصل اليه فرحى فيزيد سرورى ويدفع وحشتى . (٦) حسن مال ، والراحلة ما يرحل عليه من الابل مذكراً كان أو مؤنثاً ، والرحل العدة التى يركب عليها وقرا ظهره والعسالة الاهتزاز والذبل الجافة . (٧) ضج صوت ، واللفب التعب ونضوى أى منضوى بمعنى مهزول وعج صوت ولج تمادى : والعدل اللوم « المعنى » امتدى بعدى حتى صوت من أجل تعبى ركوبتى وصوت لمثل ما صادف من تعب السفر ابل أصحابى الذين معى فيه وتمادوا فى لومى على هذا السفر الذى امتد ولم ينته الا لكى اطلب بامتداد بعدى عن وطنى ثروة أتساعد بسببها على اداء عادة ثابتة ثبوت مروءة جهتى .

أريد بسطة كف أستعين بها	على قضاء حقوق اللُلى قبلى
والدهر يعكس آمالى ويُقنعنى	من الغنيمة بعد الكدّ بالقفل (١)
وذى شطاظ كصدر الرمح معتقل	بمثله غير هيباب ولا وكل (٢)
حلو الفكاهة مر الجد قد مُزجت	بشدّة البأس منه رقة الغزل (٣)
طردت سرح الكرى عن وردمقلته	والليل أغرى سوام النّوم بالمقل (٤)
والركب ميل على الإكوار من طرب	صاح وآخر من خمر الكرى ثمل (٥)
فقلت : أدعوك للجلى لتنصرنى	وأنت تخذلنى فى الحادث الجلل (٦)
تنام عيني وعينُ النجم ساهرة	وتستحيل وصبغُ الليل لم يحل (٧)
فهل تعينُ على غى هممتُ به	والغى يزجر أحيانا عن الفشل (٨)
إنى أريد طروق الحى من إضم	وقد حماه رُماة من بنى ثعل (٩)

(١) يعكس يرد ويقنعنى يرضينى والكد التعب والقفل الرجوع ، « المعنى » : والزمن يرد على ما أرجوه ويجعلنى بعد التعب فى السفر والتفريب راضيا بالرجوع بدل الغنيمة التى هى مطمح نظرى فى تكبد المصاعب . (٢) شطاظ اعتدال القامة ومعتقل قابض وهيباب خواف ووكل عاجز ، « المعنى » : ورب صاحب اعتدل قامة كاعتدال صدر الرمح معتقل برمح مثله لا يخاف المخاوف ولا يعجز عن شىء من شئونه ، التفت الى وصف صاحب له بهذه الأوصاف وغيرها وهو اقتضاب على عادة البلقاء من الالتفات من فن الى آخر تنشيطا للسامع .

(٣) مزجت خلطت والبأس الشجاعة ، ورقة الغزل لطف الكلام .
 (٤) طردت أبعدت وسرح الكرى وثباته والورد الموصول والمقلة شحمة العين الجامعة للسوداء والبيضاء وأغر أولع ، وسوام ثبات .
 (٥) ميل منحنى وطرب نشط وثل سكران ، « المعنى » : وأصحابى منحنون على رحالهم ، فريق منهم نشط يقظ لم يتغلب عليه النوم وفريق آخر حمل مثاقيل من تغلبه عليه . (٦) الجلى الأمر العظيم ، وتخذلنى تتركنى والحادث الجلل العظيم . (٧) تستحيل تتحول وصيغ ظلام الأمر ويحل ينتقل . (٨) غى ضلال ، ويزجر يمنع ، « المعنى » : قد غفرت ما حصل من تقصيرك فى شأنى بنومك فهل تساعدنى على ضلال أردته ولا تخش عقباه بالدم على فعله .
 (٩) الطروق المجيء ليلا والحى القبيلة ، واضم اسم جبل وحماه منعه ، ورُماة كسعاة خفراء ، وثل قبيلة من طيء .

- يحمون بالببيض والسمر اللدان به
فسر بنا فى ذمام الليل مُعتسفاً
فالحبُّ حيثُ العدا والأسدُ رابضة
نؤمُّ ناشئةً بالجزع قد سُقيت
قد زاد طيب أحاديث الكرام بها
تبيتُ نار الهوى منهنَّ فى كبد
يقتلنَ أنضاء حُب لا حراكَ بهم
يُشغى لذيغ العوالى فى بيوتهم
لعلَّ لى إمامة بالجزع ثانية
لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت
- (١) سود الغدائر حمر الحلى والحلل
(٢) فنفحة الطيب تهدينا إلى الحلل
(٣) حول الكناس لها غاب من الأسل
(٤) نصالها بمياه الغنج والكحل
ما بالكرائم من جبن ومن بخل
(٥) حرى ونار القرى منهم على القلل
(٦) وينحرون كرام الخيل والإبل
(٧) بنهلة من غدِير الخمر والعسل
(٨) يدبُّ منها نسيم البرء فى علل
(٩) برشفة من نبال الأعين النجل

(١) البيض : السيوف والسمر الرماح واللدان اللينة ، الفدائر الضفائر من الشعر ، والحل ما تتحلّى به المرأة ، والحلل الثياب المزركشة .
(٢) ذمام كفالة ، ومعتسفاً متكلفاً طريقاً غير مألوف ، والحلل بيوت القوم التى يجلونها . (٣) الحب : المحبوب ورابضة واقفة ، والكناس بيت الضى الغاب شجر يسمى بالأسل ملتف على بعضه ويكون مأوى الأسود ، « المعنى » : المحبوب فى مكان به الرقباء ورجال الحى مقيمة حول مكانه مستعدة برماح تصول بها على من يقرب منه .
(٤) نؤم نقصد والجزع منعطف الوادى ، والنصال السيوف والنجل حسن شكل انعيون والكحل سواد يعلو جفون العين خلقة « المعنى » نقصد بسيرنا قبيلة تربض فى منعطف الوادى قد أعطيت عيونها حسن الشكل والكحل . (٥) القرى : اكرام الضيف ، والقلل : جمع قللة وهى أعلى الجبل . (٦) ان نساء هذه القبيلة يقتلن ببراعة جمالهن عشاقهن حتى أعدم حركتهم عشقهم لهن ، ورجالها لفرط كرمهم يذبحون جياذ الأفراس والجمال لضيافتهم . (٧) أى يبرأ من قتل فى حبهن بأول شربة من ريق ثفرهن . (٨) المامة نزولا ويدب يسرى .
(٩) أكره أبفض ، والطعنة النجلاء الجرح المتسع برمح ، وشفعت قرنت ورشفة ونبال السهام المراد بها هنا اللحاظ والنجل الواسعات ، « المعنى » . لا أبفض الوخذة الواحدة من رماح رجال هذه القبيلة مقرونة برمية من لحاظ الأعين الواسعات لنسائها .

- ولا أهاب الصفاح البيض تسعدنى
ولا أخلُّ بغزلان تغازلنى
حبُّ السلامة يثنى عزمَ صاحبه
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقا
ودع غمار العلى للمقدمين على
يرضى الذليل بخفض العيش مسكنة
فادراً بها فى نحور البيد جافلة
إن العلى حدثنى وهى صادقة
لو أن فى شرف الماوى بلوغ مئى
أهبت بالحظ لو ناديت مستمعاً
لعله إن بدا فضلى ونقصهم
أعلل النفس بالآمال أرقبها
لم أرتض العيش والأيام مقبلة
غالى بنفسى عرفانى بقيمتها
وعادة السيف أن يزهى بجوهره
- بالملح من خلل الأستار والكلل (١)
ولو دهتنى أسود الغيل بالغيل (٢)
عن المعالى ويغرى المرء بالكسل (٣)
فى الأرض أو سلماتاً فى الجوفاعتزل (٤)
ركوبها واقتنع منهن بالبلل (٥)
والعزُّ عند رسم الأينق الذلل (٦)
معارضات مثانى اللجم بالجدل (٧)
فما تحدت أن العز فى النقل (٨)
لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل
والحظ عنى بالجهال فى شغل
لعيته نام عنهم أو تنبه لى
ما أضيقت العيش لولا فسحة الأمل
فكيف أرضى وقد ولت على عجل
فضننتها عن رخيص القدر مبتدل
وليس يعمل إلا فى يدى بطل

- (١) الصفاح : السيوف ، وخلل النقب الخفيف النافذ فى الشئ والكلل ستر يحاط به شبه الناموسية ، « المعنى » : ولا أخاف ضرب السيوف من رجال هذه القبيلة مسعدة لى بخفيف نظرى لها من ثقب الأستار بيوتهن وحجراتهن . (٢) أى لا أتروك النظر من خلل الأستار الى نساء هذه القبيلة التى تحدثنى ولو أصابتنى شجعانها بالهلاك فجأة . (٣) أى الرغبة فى النجاة من المشاق تصرف عزم ملازمها عن مكاسب الشرف وتولعه بالتناقل والفتور عنها . (٤) النفق كجبل سرب فى الأرض أه منفذ من مكان آخر . (٥) غمار كثير والبلل القليل . (٦) رسم سرعة ، والأينق الذلل أى الأبل المروضنة التى ليست بجموحة . (٧) أذفع بهذه الأتق فى أوائل الصحارى ، مسرعة مقابلات بأزمتها أعتة الخيل تصحبها فى السير أى غير متأخرة عنها فيه . (٨) النقل التحول والانتقال .

ما كنت أؤثر أن يمتد بي زمنى
 تقدمتنى أناس كان شوطهم
 هذا جزاء امرىء أقرانه درجوا
 فإن علائى من دونى فلا عجب
 فاصبر لها غير محتال ولا ضجير
 أعدى عدوك أدنى من وثقت به
 فإنما رجل الدنيا وواحد
 وحسن ظنك بالأيام معجزة
 غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت
 وسان صدقك عند الناس كذبهم
 إن كان ينجع شئ فى ثباتهم
 ياوارداً سور عيش كله كدر
 فم اقتحامك لج البحر تركبه ؟
 ملك القناعة لا يخشى عليه ولا
 ترجو البقاء بدار لا ثبات بها
 ويا خبيراً على الأسرار مطلعاً
 قد رشحوك لأمر إن فطنت له

حتى أرى دولة الأوغاد والسفل
 وراء خطوى لو أمشى على مهل
 من قبله فتمنى فسحة الأجل
 لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل
 فى حادث الدهر ما يغنى عن الحيل
 فحاذر الناس واصحبهم على دخل
 من لا يعول فى الدنيا على رجل
 فظن شراً وكن منها على وجل
 مسافة الخلف بين القول والعمل
 وهل يطابق معوج بمعتدل
 على العهود فسبق السيف للعدل
 أنفقت صفوك فى أيامك الأول
 وأنت تكفيك منه مصة الوشل
 يحتاج فيه إلى الأنصار والخول
 فهل سمعت بظل غير منتقل ؟
 أصمت فى الصمت منجاة من الدلل
 فارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل

* * *

وقال المرحوم عبد الله فكرى يخاطب نجله المرحوم أمين :
 إذا نام غر فى دجى الخطب فاسهر
 وقل للمعالى والعوالى وشمر
 وخل أحاديث الأمانى فإنها
 علالة نفس العجز المتحير
 وسارع إلى مارمت مادمت قادرا
 عليه فإن لم تبصر النجاح فاصبر

ولا تأتُ أمراً لا ترجى تمامه
 وأكثر من الشورى فإنك إن تصب
 ولا تستشر فى الأمر غير مجرب
 ولا تبغ رأياً من خوون مخادع
 فمن يتبع فى الخطب خدعة خائن
 ومن يتبع فى أمره رأى جاهل
 ولا تصغ فى رد الصديق لكاذب
 ولا تغترر تندم ولا تك طامعاً
 وعود مقال الصدق نفسك وارضه
 ودع عنك إسراف العطاء ولا يكن
 ولا تقف زلات العباد تعدها
 ولا تتعرض لاعتراض عليهم
 ولا موردأ ما لم تجد حسن مصدر
 تجد مادحاً أو تخطىء الرأى تعذر
 لأمثاله أو حازم متبصر
 ولا جاهل عز قليل التدبير
 يعض بنان النادم المتحسر
 يقده وإن يعرض لك الشك فاخبر
 نوم وإن يعرض لك الشك فاخبر
 تذل ولا تحقر سواك تحقر
 تصدق ولا تركزن إلى قول مفترى
 لكفيك فى الإنفاق إمساك مقتر
 فلست على هذا الورى بمسيطر
 دع الخلق للخلاق تسلم وتوَجِر

* * *

وقال عبد القيس بن خفاف البرجمى المتوفى سنة ٥١ هـ :

ابنى إن أباك كارب يومه
 أو صيك إيصاء امرى لك ناصح
 الله فاتقه وأوف بنذره
 والضيف أكرمه فإن مبيته
 واعلم بأن الضيف مخبر أهله
 وصل المواصل ما صفا لك وده
 واحذر محل السوء لا تحلل به
 واستأن تظفر فى أمورك كلها
 فإذا دعيت إلى المكارم فاعجل
 طبن بزيب الدهر غير مغفل
 وإذا حلفت مमारياً فتحلل
 حق ولا تك لعنة للنزل
 بمبيت ليلته وإن لم يسأل
 واجذ حبال الخائن المتبدل
 وإذا نبا بك منزل فتحول
 وإذا عزمت على الهدى فتوكل

واستغن ما أغناك ربك بالغنى
وإذا تصبك خصاصة ، فتحمل
وإذا افتقرت فلا تكن متجشعاً
ترجو الفواضل عند غير المفضل
وإذا تشاجرَ في فؤادك مرة
أمران فاعمد للأعف الأجمل
وإذا هممت بامرٍ سوءٍ فاتئد
وإذا هممت بأهل خير فاعجل

* * *

وقال فقيه اللغة ناصيف بن عبد الله اليازجي اللبناني المتوفى سنة ١٢٨٧ هـ :

دع يوم أمس وخذ في شأن يوم غد
واعدد لنفسك فيه أفضل العدد
واقنع بما قسم الله الكريم ولا
تبسط يديك لنيل الرزق من أحد
والبس لكل زمان بردة حضرت
حتى تحاك لك الأخرى من البرد
ودر مع الدهر وانظر في عواقبه
حذار أن تبتل عيناك بالرمد
متى ترى الكلب في أيام دولته
فاجعل لرجليك أطواقاً من الزرد
واعلم بأن عليك العار تلبسه
من عضه الكلب لا من عضه الأسد
فهو الحريص على أثوابه الجدد
لاتأمل الخير من ذي نعمة حدثت

* * *

وقال مؤلف هذا الكتاب السيد أحمد الهاشمي معارضاً لامية الطغرائي :

عليك بالصبر والإخلاص في العمل
ولازم الخير في حلٍ ومُرتحل
وجانب الشر واعلم أن صاحبه
لا بد يجزاه في سهل وفي جبل
واثبت ثبات الرواسي الشامخات ولا
تركن إلى فشل في ساعة الوهل
وكن كرضوى لما يعرّوك من نوب
ولا تكن جازعاً في الحادث الجلل
واصبر على مفض الأيام محتملاً
ففيه قرع لباب النجح والأمل
تأن متئداً فيما تروم ولا
تتعجل وإن خلق الإنسان من عجل
لاتطلب العزَّ في دار ولدت بها
فالعزُّ عند رسم الأيُنق الذلل

شمر وجِدَّ لِأَمْرٍ أَنْتَ طَالِبُهُ إِذْ لَا تَنَالُ الْمَعَالَى قَطُّ بِالْكَسَلِ
وَاحْذَرِ مَسَاوِيءَ أَخْلَاقِ تَشَانُ بِهَا وَأَسْوَأَ السُّوءِ سُوءَ الْخَلْقِ وَالْبَخْلِ
وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمَوْلَى وَجُدْ وَنَلْ مَا أَقْبَحَ الْكِبَرِ وَالْإِمْسَاكِ بِالرَّجْلِ
لَا تَسْأَلِ النَّذَلَ ، وَاقْصِدْ مَا جَدًّا حَدْبًا

فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ وَلَا تَجَادَلْ جَهُولًا لَيْسَ يَفْهَمُ مَا
تَقُولُ فَالْشَّرَّ كُلِّ شَرٍّ فِي الْجَدَلِ وَلَا تَكُنْ لِنَزُولِ الْخُطْبِ مُضْطَرِبًا
فِي حَادِثِ الدَّهْرِ مَا يُغْنِي عَنْ الْحَيْلِ الْجُودُ أَحْسَنُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ خُلُقٍ
وَالْعَفْوُ أَنْتَقَى لِدَاءِ الضَّمَنِ وَالِدَنْخَلِ وَالْحِلْمُ مَلْحٌ فَسَادُ الْأَمْرِ يَصْلِحُهُ
وَالْبَدَلُ خَيْرٌ فِعَالِ الْمَاجِدِ الْبَطْلِ لَا تَقْتَحِمِ غَمْرَاتِ الْبَحْرِ مَرْتَكِبًا
وَأَنْتَ يَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ الْوَشْلِ وَلَا تَعَاشِرْ سِوَى حِزْمِ أَخَا ثِقَةٍ
وَارْبَأُ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرَعَى مَعَ الْهَمْلِ لَا تَنْخَدِعْ لِصَدِيقٍ يَدْعَى مَلَقًا
بِلِ حَازِرِ النَّاسِ وَاصْحَبِهِمْ عَلَى دَخَلِ لَا تَأْمَنْ أَحَدًا وَاحْذَرِ مَكَائِدَهُمْ
وِظَنِ شَرِّهِ وَكُنْ مِنْهُمْ عَلَى وَجَلِ وَلَا تَغْرَنْكَ الدُّنْيَا بِزَهْرَتِهَا
فَهَلْ سَمِعْتَ بِظَلِّ غَيْرٍ مُنْتَقَلِ إِنْ الْغَنَى غَنَى النَّفْسِ فِي كَرَمِ
بِالطَّبْعِ ، لَا بِاِقْتِنَاءِ الشَّاءِ وَالْإِبْلِ إِنْ الصَّنِيعَةُ لِلْأَنْدَالِ تَفْسُدُهُمْ
كَمَا تَضُرُّ رِيَّاحُ الْوَرْدِ بِالْجَعْلِ مَرَارَةُ النَّصْحِ تَحْلُو لِي مُضَاضَتِهَا
وَرَبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعَلْلِ دَعِ التَّكْلِفَ لِأَيُّجِدِيكَ مِنْفَعَةَ
لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ أَرَى الرِّعَاءَ رِعَاءَ الشَّاءِ فِي تَرْفِ
فِي أَرْفَعِ الْعَيْشِ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْخَوَلِ وَسَادَةِ الْعَصْرِ قَدْ أَلْقَوْا مَقَالِدَهُمْ
إِلَى الطَّغَامِ شَرَارِ النَّاسِ وَالسَّفْلِ تَحْكُمُوا فِي قَضَايَا النَّاسِ وَاحْتَكُمُوا
وَحَكُمُوا كُلُّ ذِي جَهْلٍ أَخِي خَبْلِ مِنْ كُلِّ غَرِّ جَهُولٍ لَا يَرَى رَشْدًا
كِبَاقِلِ مَثَلًا فِي الْعِي وَالْخَطْلِ

القبض والبسط فى أيدي ذوى شططٍ

من كلِّ سكران من خمر الهوى تمل

تسطو الكلابُ على أسدِ الشرى سفها

والبازُ الأشهب يعشى صَوْلَةَ الحجل

والقرد يضحك من نمر على هزءٍ
والكلب يُوعِدُ ليث الغيلِ بالغيلِ
نال المرامَ علوجٌ لاخلق لهم
فوق المؤمل من شب ومكتهل
أملى لهم دهرهم فاستهلوا أبدا
مرخى لهم من مُرُوع العيش والطول
شرُّ العصور زمانٌ يستمد به
خبُّ لثيمٌ غدا فى الشر كالثمل
لا يعلم الرشد من غى وليس له
سوى الشرارة فى قول وفى عمل

يشكو الطوى كل ذى فضل وذى أدب

وسؤفةُ الناس فى رغد وفى جدل

مالى وللبلدة الحمقاء أسكنها
مساكناً لذوى خرق أولى حيل
وليس لى ناقةٌ فيها ولا جملٌ
ليس لى ثم من ثور ولا حمل
لا يستقيمُ وفاقى لى بمثلهم
وهل يطابق مُعوجٌ بعتدل ؟
قد ذقتهم وبلوتُ الحال عندهم
فما حصلتُ على صاب ولا غسل
لا يفعلون إذا قالوا فقد بعدت
مسافة الخلف من قول ومن عمل
(أضححت مواعيد عرقوب لهم مثلاً)
وما مواعيدهم إلا على دَخل
أشكو الزمان وأهليه وأمقتهم
إذ سوء أفعالهم أو فى على القلل
سأت سريرتهم ، حالت طريقتهم
زاغت بصيرتهم عن أقوم السبل
علم بلا عمل ، حكم بلا حكم ،
ظلم على عجل ، وعد على مهل ،
والسعى فى الأرض بالإنفساد والخلل
الإفك والزور والبُهتان عندهم
مستهجن من صفات العاجز الوكل
الكذب مستحسن والصدق عندهم

أهنى الطعام لحوم الناس عندهم
 نكث اليهود سجاياهم ودأبهم
 يا دهر مالك والأحرار تقهرهم
 حتى متى يازمان السوء تفعل ما
 تؤخر الفاعل المرفوع تحفظه
 وساقفة الجيش قد أضحت مقدمة
 فلست أحفظ. فى ذى الدهر من أسف
 واهأ لقلبي بين يوم البين إذ ظعنوا
 كيف التصبر من نارى نوى وجوى؟
 فقد فقدت الألى كانت ببهجتهم
 لم أكتحل بقرار بعد ما ارتحلوا
 ولم يبق لى الدهر بعد البين من جلد
 ولا من الغمض ما أقرى الخيال به
 قلبي على لهب والجسم فى نصب
 حسبي الغرام حليف والجوى أبدا
 خذها محبرة غيداء غالية
 جاءت من (الهاشمى) لا تبتغى مهراً

والنمُّ فيما لديهم شربة العسل
 خلف الوعود وذا من أسوأ الثقل
 تذلل كل كريم الأصل مقتبل
 تشيب به النواصى غير محتمل
 مقدماً لمفاعيل على البدل
 مثل التليل غدا فى مؤخر الكفل
 أطال أيام عمرى أم دنا أجلى
 فالعين فى لجاج والقلب فى شعل
 وفى الحشانك؛ جرح غير مندمل
 نور النواظر فى الأحداق والمقل
 ولا ابتغيت لهم فى الناس من بدل
 ما أستطيع به توديع مرتحل
 ولا من الدمع ما أبكى على طلل
 والروح فى وصب واللب فى ذهل
 منادماً ، وسمير غير منفصل
 أنت على عجل كالقابس العجل
 من خاطب لبنان النظم فى عطل

* * *

وقال محمد اليمنى الملقب بنجم الدين المتوفى سنة ٥٦٩ هـ :

لا تحتقرن كيد الضعيف فرما
 وقد هد قدماً عرش بقليس هدهد
 تنوت الأفاعي من سموم العقارب
 وخرّب حفر الفأر سد مأرب

إذا كان رأس المال عمرك فاحترز عليه من الإنفاق فى غير واجب
 فبين اختلاف الليل والصبح معترك يكر علينا جيشه بالعجائب
 وما راغنى غدر الشباب لأننى أنست بهذا الخلق من كل صاحب
 وغدر الفتى فى عهده ووفائه وغدر المواضى فى نبو المضارب

وقال الحريرى المتوفى سنة ٥١٦ هـ :

سامح أخاك إذا خلط. منه الإصابة بالغلط.
 وتجاف عن تعنيفه إن زاغ يوماً أو سقط.
 واحفظ. صنيعك عنده شكر الصنيعة أو غمط.
 وأطعه إن عاصى، وهن إن عز، وادن إذا شحط.
 واقن الوفاء ولو أخـ ل بما اشترطت وما اشترط
 واعلم بأنك إن طلبت مهذباً رمت الشطط.
 من ذا الذى ما ساء قط. ومن له الحسنى فقط. ؟

وقال أيضاً :

اسمع أخى وصية من ناصح ما شاب محض النصح منه بعشه
 لا تعجلن بقضية مبتوتة فى مدح من لم تبله أو خدشه
 وقف القضية فيه حتى تجتملى وصفيه فى حالى رضاه وبطشه
 فهناك إن تر ما يشهن فواره كرماً وإن تر ما يزين فأفشه
 واعلم بأن التبر فى عرق الثرى خاف إلى أن يستثار بنبشه
 وفضيلة الدينار يظهر سرها من حكه لا من ملاحه نقشه
 ومن الغباوة أن تعظم جاهلا لصقال ملبسه ورونق رقصه
 أو أن تهين مهذباً فى نفسه لدروس بزته ورثة فرشه

الباب التاسع فى العلم

قال مؤيد الدين الأصبهانى المعروف بالطغرائى المتوفى سنة ٥١٣ هـ :
 من قاس بالعلم الثراء فإنه فى حكمه أعمى البصيرة كاذب
 العلم تخدمه بنفسك دائما والمال يخدم عنك فيه نائب
 والمال يسلب أو يبديد لحادث والعلم لا يخشى عليه السالب
 والعلم نقش فى فؤادك راسخ والمال ظل عن فئائك ذاهب
 هذا على الإنفاق يغزر فيضه أبدا وذلك حين تنفق ناضب

العلم أشرف شئ قاله رجل من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا
 تعلم العلم واعمل يا أخى به فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا

العلم مبلغ قوم ذروة الشرف وصاحب العلم محفوظ من التلف
 يا صاحب العلم مهلا لاتدنسه بالموبقات ، فما للعلم من خلف
 العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

لو كان نور العلم يدرك بالمنى ما كان يبقى فى البرية جاهل
 اجهد ولا تكسل ولاتك غافلا فندامة العقبي لمن يتكاسل

وفى الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسادهم دون القبور قبور
 وإن امرأ لم يحى بالعلم قلبه فليس له حتى النشور نشور

لكل مجد فى الورى نفع فاضل وليس يفيد العلم من دون عامل
 يسابق بعض الناس بعضاً بجدهم وما كل كره بالهوى كره باسل
 إذ لم يكن نفع لذى العلم والحجا فما هو بين الناس إلا كجاهل

كذاك إذا لم ينفع المرء غيره
يُعدُّ كشوك بين زهر الخمائل

يا ساعيا وطلابُ المال همته
عليك بالعلم لا تطلب له بدلا
العلم يجدى ويبقى للفتى أبداً
هذاك عز وذا ذل لصاحبه
إني أراك ضعيف العقل والدين
واعلم بأنك فيه غير مغبون
والمال يفنى وإن أجدى إلى حين
ما زال بالبعد بين العز والهون

العلم زين وتشريف لصاحبه
كم سيد بطل آباؤه نجب
ومقرف خامل الآباء ذى أدب
العلم كنز وذخر لا فناء له
قد يجمع المال شخص ثم يحره
وجامع العلم مغبوط به أبداً
يا جامع العلم نعم الذخر تجمه
فاطلب هديت فنون العلم والآداب
كانوا الرؤوس فامسى بعدهم ذنباً
نال المعالي بالآداب والرتبا
نعم القرين إذا ما صاحب صحبا
عما قليل فيلقى الذل والحربا
ولا يحاذر منه القوت والسلبا
لا تعدلن به درا ولا ذهباً

بالعلم والعقل لا بالمال والذهب
فالعلم طوق النهى به شرفاً
كم يرفع العلم أشخاصاً إلى رتب
العلم كنز فلا تفنى دخائره
فالعلم فاطلب لكي يجديك جوهره
يزداد رفع الفتى قدرا بلا طلب
والجهل قيد له يبليه باللعب
ويخفض الجهل أشرفاً بلا أدب
والمرء ما زاد علماً زاد بالرتب
كالقوت للجسم لا تطلب غنى الذهب

العلم زين فكن للعلم مكتسباً
اركن إليه وثق بالله وأغن به
وكن فتى سالكا محض التقى ورعا
وكن له طالباً ما عشت مقتسباً
وكن حلماً رزين العقل محترساً
للدين مغتتما في العلم منغمساً

فمن تخلق بالآداب ظلَّ بها رئيس قوم إذا ما فارق الرؤسا

الناس من جهة التمثال أكفاء
فإن يكن لهم فى أصلهم شرفٌ
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
وإن أتيت بجود ذوى نسب
ففضز بعلم تعيش حيا به أبداً
أبوهم آدم والأُم حواءُ
يُفاخرون به فالطين والماء
على الهدى لمن استهدى أدلاءُ
والجاهلون لأهل العلم أعداءُ
فإن نسبتنا جود وعلياءُ
الناس موتى وأهلُ العلم أحياءُ

العلم يغرُس كل فضلٍ فاجتهد
واعلم بأن العلم ليس يناله
إلا أخو العلم الذى يزهو به
فاجعل لنفسك منه حظاً وافراً
فلعل يوماً أن حضرت بـمجلس
ألا يفوتك فضل ذاك المغرس
من همه فى مطعم أو ملبس
فى حالتيه عارياً أو مكتسى
واهجر له طيب الرقادِ وعبس
كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

وقال المرحوم أحمد شوقى بك فى العلم والمعلم والتعليم :

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِيهِ التَّبَجُّيْلَا
أَعْلَمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَ مِنَ الَّذِي
سَبَّحَانَكَ اللَّهُمَّ ، خَيْرَ مُعَلِّمٍ
أَخْرَجْتَ هَذَا الْعَقْلَ مِنْ ظُلْمَاتِهِ
وَطَبَعْتَهُ بِيَدِ الْمُعَلِّمِ ، تَارَةً
أَرْسَلْتَ بِالتُّورَاةِ مُوسَى مُرْشِداً
وَفَجَّرْتَ يَنْبُوعَ الْبَيَانِ مُحَمَّدَاً
كاد المعلم أن يكون رسولا
ببنى ويُنشئُ أنفساً وعقولا ؟
علمت بالقلم القرون الأولى
وهديته النور المبين سبيلا
صدأ الحديد ، وتارة مصقولا
وابن البتول فعلم الإنجيلا
فسقى الحديد وناول التنزيلا

علمت يوناناً ومصر فزالتا
 واليوم أصبحنا بحال طفولة
 من مشرق الأرض الشمس تظاهرت
 يا أرض مُدُّ فقد المعلم نفسه
 ذهب الذين حموا حقيقة علمهم
 فى عالم صحب الحياة مُقيداً
 صرَّعته دنيا المستبد كما هوت
 سُقراط أعطى الكأس وهى منية
 عرضوا الحياة عليه وهى غباوة
 إن الشجاعة فى القلوب كثيرة
 أمعلمى الوادى وساسة نشئه
 والحاملين إذا دعوا ليُعلموا
 ونيت خطأ التعليم بعد محمد
 حتى رأينا مصر تخطو إصبعا
 تلك الكفور وحشوها أُميةً
 نجد الذين بنى المسلة جدتهم
 ويُدلون إذا أُريد قيادتهم
 يتلو الرجال عليهم شهواتهم
 الجهل لا تحيا عليه جماعة
 ربوا على الإنصاف فتبان الحمى
 فهو الذى يبني الطباع قويمه
 وتقيم منطق كل أعوج منطق

عن كُلِّ شمس ما تريد أفولا
 فى العلم تلتمسانه تطفيلا
 ما بال مغربها عليه أديلا
 بين الشمس وبين شرقك حيويا
 واستعذبوا فيها العذاب وبيلا
 بالفرد، مخزوماً به ، مغلولا
 من ضربة الشمس الرعوس ذهولا
 شفتى محب يشتهى التقبيل
 فأبى وآثر أن يموت نبيلاً
 ووجدت شجعان العقول قاي
 والطابعين شبابه المأمولا
 عبء الأمانة ، فادحاً مسئولا
 ومشى الهويانا بعد إسماعيل
 فى العلم ، إن مَشَتْ المماليك ميلا
 من عهد (خوفو) لم تر القنديلا
 لا يُحسنون لإبرة تشكيلا !
 كالبُهْم تأنس إذ ترى التدليلا
 فالناجحون أَلْذَم ترتيلا
 كيف الحياة على يدى عزريلا ؟
 تجدوهم كهف الحقوق كهولا
 وهو الذى يبني النعوس عدولا
 ويريد رأياً فى الأمور أصيلا

وإذا المعلمُ لم يكن عدلاً مشى
وإذا المعلمُ ساد لحظ. بصيرة
وإذا أتى الإرشادُ من سبب الهوى
وإذا أُصيب القومُ فى أخلاقهم
إنى لأعدركم وأحسب عيبكم
وجد المساعد غيرهم وحرمتسو
وإذا النساءُ نشأن فى أمية
ليس اليتيم من انتهى أبواه من
فأصاب بالدنيا الحكيمة منهما
إن اليتيم هو الذى تلقى له

روح العدالة فى الشباب ضئيلاً
جاءت على يده البصائرُ حولا
ومن الغرورُ فسمه التضليلاً
فأقم عليهم مأتماً وعويلاً
من بين أعباء الرجال ثقيلاً
فى مصرعون الأمهات جليلاً
رضع الرجال جهالةً وخمولاً
هم الحياة ، وخلفاه ذليلاً
وبحسن تربية الزمان بديلاً
أما تخلت أو أباً مشغولاً

* * *

الباب العاشر فى العقل

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
ولربما طعن الفتى أقرانه
ألم تر أن العقل زين لأهله
يقول لك العقل الذى زين الفتى
ولاقيه بالترحيب والبشر والقرى
وقبل يد الجانى التى لست قادرا
إذا لم تكن تقدر عدوك داره
وبارك له مادمت تحت اقتداره
على قطعها وارقب سقوط جداره

أدنى إلى شرف من الإنسان
بالرأى قبل تطاعن الأقران
ولكن تمام العقل طول التجارب
كانت له نسباً تغنى عن النسب
بالعقل ينجو الفتى من حومة الطلب

وأفضل قسم الله للمرء عقله
يعيش الفتى بالعقل فى الناس إنه
يشين الفتى فى الناس قلة عقله
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله
فليس من الخيرات شئ يُقاربه
على العقل يجرى علمه وتجاربه
وإن كرمت أعراقه ومناسبه
فقد كملت أخلاقه ومآربه

ما وهب الله لامرئ هبة
هما حياة الفتى فإن عُدما
أشرف من عقله ومن أدبه
فإن فقد الحياة أجمل به

يُعد رفيع القوم من كان عاقلا
وإن حل أرضاً عاش فيها بعقله
وإن لم يكن فى قومه بحسب
وما عاقل فى بلدة بغريب

من كان ذا مال ولم يك عاقلا
أرى العقل مرآة الطبيعة إذ به
فذاك حمار حملوه من التبر
نرى صور الأشياء فى عالم الفكر

ذو العقل فى معترك الأقدار مقتدر
وعقل ذى الجزم مرآة الأمور بها
لكن ذا الجهل مغلوب ومغلول
يرى الحقائق ، والمجهول مجهول

وعقول الأنام لو تستوى لم
محور الأرض لو غدا مستقيماً
يك فرق بين الغبى والنبيه
لتساوى النهار والليل فيه

* * *

الباب الحادى عشر فى الأدب

قال أبو تمام فى مكارم الأخلاق :

إذا جاريت فى خلق دنيئاً
رأيت الحر يجتنب المخازى
فأنت ومن تجاربه سوائك
ويحميه عن الغدر الوفاء

وما من شدة إلا سيأتى لها من بعد شدتها رخاء
 لقد جربت هذا الدهر حتى أفادتني التجارب والعناء
 يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاء
 إذا لم تخش عاقبة الليالى ولا تستح فاصنع ما تشاء
 وقال أيضاً فى الحرية :

سأصرف وجهى عن بلاد غداها لسانى معقولاً وقلبي مقفلاً
 وإن صريح الحزم والرأى لامرئ إذا بلغته الشمس أن يتحولاً
 وقال أبو فراس الحمدانى فى نتيجة الاختبار والتجارب :

لا أشتري بعد التجارب صاحباً إلا وددت بأننى لم أشره
 وتركتُ حلو العيش لم أحفل به لما رأيت أعزه فى مره
 والمرء ليس بغانم فى أرضه كالصقر ليس بصائد فى وكره

قال أبو العلاء المعرى فى الشيوخ المتظاهرة بالصلاح :

لئن قدرت فلا تفعل سوى حسن بين الأنام وجانب كل ما قبحا
 فكم شيوخ غدواً بيضاً مفارقهم يُسبحون وباتوا فى الخنا سبحا
 وليس عندهم دينٌ ولا نُسكٌ فلا تغرك أيد تحملُ السبحا
 لو تعقل الأرض وددت أنها صُفرت منهم فلم ير فيها ناظر شبحا

وقال الطغرائى فى المقارنة بين العدو والحسود :

جامل عدوك ما استطعت فإنه بالرفق يطمع فى صلاح الفاسد
 واحذر حسودك ما استطعت فإنه إن نمت عنه فليس عنك براقد
 إن الحسود وإن أراك توددًا منه أضر من العدو الحاقد
 وإربما رضى العدو إذا رأى منك الجيلا فصار غير معاند

ورضا الحسود زوالُ نعمتك التى
أوتيتها من طارف أو تالد
فاصبر على غيظ الحسود فناره
ترى حشاه بالعذاب الخالد
أو ما رأيت النار تأكل نفسها
حتى تعود إلى الرماد الهامد
تضفو على المحسود نعمة ربه
ويذوب من كمد فؤاد الحاسد

وقال ابن الرومى فى عدم الإكثار من الأصحاب :

عدوك من صديقك مستفاد
فإن الداء أكثر ما تراه
إذا انقلب الصديق غدا عدواً
يكون من الطعام أو الشراب
ولو كان الكثير يطيّب كانت
مبيناً والأمور إلى انقلاب
مصاحبة الكثير من الصواب

وقال فى الانفراد والوحدة :

ذُقت الطعوم فما التذذت براحة
من صحبة الأخيار والأشجار
أما الصديق فلا أحب لقاءه
حذر القلى وكراهة الإعوار
وأرى العدو قذى فأكره قرنه
فهجرت هذا الخلق عن أعذار
من جور إخوان الزمان سرورهم
يتفاضل الأحوال والأخطار
لو أن إخوان الصفاء تناصفوا
لم يفرحوا بتفاضل الأعمار
أحب قوماً لم يحبوا ربهم
إلا لفردوس لديه ونار ؟ !

وقال المتنبى يلفت نظر العقلاء إلى طلب المعالى :

إذا غامرت فى شرف مَرُوم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير
كطعم الموت فى أمر عظيم
يرى الجبناء أن العجز عقل
وتلك خديعة الطبع اللثيم
وكل شجاعة فى المرء تغنى
ولا مثل الشجاعة فى الحكيم
وكم من عائب قولاً صحيحاً
وآفته من الفهم السقيم

وقال بشار بن برد فى وصف الأخ الحقيقى :

خير إخوانك المشارك فى المــــر وأين الشريك فى المرّ أيننا ؟
 الذى إن شهدت شرك فى الحــــى وإن غبت كان أذنأ وعينا
 مثل سر الياقوت إن مسه النا ر جلاه البلاء فازداد زينا
 أنت فى معشر إذا غبت عنهم بدلوا كل ما يزينك شينا
 وإذا ما رأوك قالوا جميعاً أنت من أكرم البرايا علينا
 ما أرى للأنام وداً صحيحاً عاد كل الورى زورا ومينا

وقال أبو العتاهية فى صنع الجميل مع الناس :

خير أيام الفتى يوم نفع واصطناع الخير أبقى ما صنع
 ما ينالُ الخير بالشر ولا يحصد الزارع إلا ما زرع
 خذ من الدنيا الذى دَرَّتْ به وسل عما بان منها وانقطع
 إنما الدنيا متاع زائل فاقصد فيه وخذ منه ودع
 وارض للناس بما ترضى به واتبع الحق فنعم المتبع
 وقال أيضاً :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسب
 إن الفتى من يقول هأنذا ليس الفتى من يقول كان أبى
 لكل شىء زينة فى الورى وزينة المرء تمام الأدب
 قد يشرف المرء بآدابه فينا وإن كان وضع النسب

وأنشد أبو عبد الله نبطويه لنفسه فى كون التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر :

أرأى أنسى ما تعلمت فى الكبر ولست بناس ماتعلمت فى الصغر
 وما العلم إلا بالتعلم فى الصبا لأنقى فيه العلم كالنقش فى الحجر
 وما العلم بعد الشيب إلا تعسف إذا كلّ قلب المرء والسمع والبصر

وما المرء إلا اثنان : عقل ومنطق فمن فاته هذا وهذا فقد دَمَرَ (١)
 وما ينشد لخلف الأحمر (٢) فى كون ميراث العلم أبقي من ميراث المال :
 خير ما ورث الرجال بنبيهم أدب صالح وحسن ثناء
 هو خير من الدنانير والأو راق (٣) فى يوم شدة ورخاء
 تلك تفنى ، والدين والأدب الصا لح لا يفنيان حتى اللقاء (٤)
 إن تَأدبت يابُنَى صغيراً كنت يوماً تُعد فى الكبراء
 وإذا ما أضعفت نفسك أَلْفِيست (٥) كبيراً (٦) فى زمرة الغوغاء
 ليس عطفي للعود إن كان رَطْباً وإذا كان يابساً بسواء
 ومن شعر المنصور الفقيه فى كون العلم بلا عمل كشجر بلا ثمر :
 أيها الطالبُ الحريص تعلم إن للحق مذهباً قد ضلته
 ليس يجدى عليك علمك إن لم تكُ مستعملاً لما قد علمته
 قد لعمرى اغتربت فى طلب العلم وحاولت جمعه فجمعته
 ولقيت الرجال فيه وزاحمه ت عليه الجميع حتى سمعته
 ثم ضيَّعت أو نسيت ، وما يندُ فَعُ علم نسيتَه أو أضعته
 وسواءُ عليك علمك إن لم يُجد نفعاً عليك أم ما جهلته
 إلى كم تخادع النفس جهلاً ثم تجرى خلاف ما قد عرفته
 تصف الحقى والطريق إليه فإذا ما عمِلت خالفت سمته
 وقال محمود سامى البارودى فى انتهاز الفرصة :

بادر الفرصة واحذر فواتها فبلوغ العز فى نيل الفرص
 واغتمم عُمرَك إبَّان الصبا فهو إن زاد مع الشيب نقص

(١) أى هلك . (٢) كان راوية للشعر والأدب وشيخاً من
 شيوخ النحويين البصريين ، توفى سنة ١٨٠ هـ . (٣) جمع ورق
 مثثة وهى الدراهم المضروبة من الفضة . (٤) يوم اللقاء أى لقاء الله
 وهو يوم القيامة . (٥) أى وجدت . (٦) نصب على الحال .

وابتدر مسعك واعلم أن من
واجتنب كل غبي مائق
إنما الجاهل فى العين قذى
واختبر من شئت يعرفه . فما
إن ذا الحاجة إن لم يغترب
عن حماه مثل طير فى قفص

وقال أبو إسحاق إبراهيم الغزى فى كون الحركة بركة (٢) :

بمسيرة نقص الهلال ، وزادا
لولا انصلات (٥) البيض (٦) من أغمادها (٧) مشحودة لم تفضل الأغمادا
وفضيلة الحيوان فى حركاته لولا منفعه لكان جمادا
ما العمر إلا راحل وأظنه اتخذ الشبيبة للمسافة زادا
لا تخلعن عن اللسان لجامه وتوق فرط جماحه المعتادا
فأله خص الاستماع بآلة مثنى ، وجارحة الكلام فرادى

وقال أبو نصر عبد العزيز نباتة السعدى (٨) فى طلب العلا :

حاول جسيات الأمور ، ولا تنقل
وارغب بنفسك أن تكون مقصرا
إن المحامد والعلا أرزاق
عن غاية فيها الطلاب سباق

(١) الحمار . (٢) هو إبراهيم بن يحيى بن عثمان الكلبي
شاعر مجيد صاحب مطولات ولد بفضة سنة ٥٢٤هـ ، وتصرفت به الأحوال
فذهب الى المشرق ومات بين مرو وبلخ سنة ٤هـ . (٣) الكرى النوم .
(٤) السهاد السهر . (٥) تجرد . (٦) السيوف .

(٧) جمع غمد وهو قراب السيف . (٨) هو أبو نصر عبد
العزيز بن عمر المشهور بابن نباتة ، وينسب الى سعد تميم وعد فى شعراء
سيف الدولة الحمدانى ، وله ديوان حافل ، توفى سنة ٤٠٥هـ ببغداد ،
وهو القائل :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره
تنوعت الأسباب والموت واحد

لا تشفقنَّ فإنَّ يومك إنَّ أُنَى ميقاته لم ينفع الإشفاق
وإذا عجزت عن العدو فداره وامنحْ له إنَّ المزاح وفاق
فالنارُ بالماء الذى هو ضدها تُعطى النضاج ، وطبعها الإحراق

وقال المعتمد بن عباد فى وجوب التضحية لفدية الوطن :

إنَّ يسلب القوم العدى وطنى وتسليمتى الجموع
فالقلبُ بينَ ضلوعه لم تُسلم القلبَ الضلوع
قد رُمت يوم نزالهم ألا تحصنى الدروع
وبرزتُ ليس سوى القم يص على الحشا شئٌ دفوع
أجلى تأخر لم يكن بهوى ذلِّ والخضوع
ما سيرتُ قط. إلى القتا ل وكان من أملى الرجوع
شيمُ الأولى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع

وقال موسى بن عبد الله فى وجوب عدم الثقة بالغير :

تولت بهجة الدنيا فكلُّ جديدها خلق
وخان الناس كلهم فما أدري بمن أثق
رأيت معالم الخير ات سُدَّتْ دونها الطرق
فلا أدبٌ ولا كرمٌ ولا فضلٌ ولا خلق
فلمستُ مُصدِّقَ الأقوا م فى شئٍ وإنَّ صدقوا

وقال الأبيوردى الأموى المتوفى عام ٥٥٧ هـ بخراسان فى تقلب الزمان :

ملكنا أقاليم البلاد فاذعننا لنا رغبة أو رهبة عظاؤها
فلما انتهت أيامنا علقنا بنا شدائدُ أيامٍ قليل رخاؤها
وصرنا نلاقى النائباتِ بأوجه رفاق الحواشى كاد يقطر ماؤها
إذا ما هممنا أن نبوح بما جنت علينا الليالى لم يدعنا حياؤها

وقال القاضي عبد الوهاب في دوام الخير بين الناس ما داموا درجات ،
فإذا تساؤوا هلكوا :

مَيَّ تَصَلُّ العَطَاشُ إِلَى ارْتِيَاءٍ إِذَا اسْتَقَمَتِ البِحَارُ مِنَ الرِّكَايَا
وَمَنْ يَثْنِي الأَصَاغِرَ عَن مَرَادٍ وَقَد جَلَسَ الأَكَابِرُ فِي الزُّوَايَا
وَإِنَّ تَرْفُوعَ الوُضْعَاءِ يَرْمَأُ عَلَى الرُّفْعَاءِ مِنْ إِحْدَى البَلَايَا
وَإِذَا اسْتَوَتِ الأَسَافِلُ والأَعَالَى فَقَد طَابَت مُنَادِمَةُ المُنَايَا

وقال سعيد بن محمد في كون عمل الإنسان يدل على أصله :

مَلَكْنَا فَكَانَ العَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً فَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَأَلَ بِالدِّمِ أَبْطِخُ
وَحَلَلْتُمْ قَتْلَ الأَسَارَى وَطَالَمَا غَدَوْنَا عَلَى الأَسْرَى نَعْمُنُّ وَنَصْفَحُ
فحَسْبُكُمْ هَذَا التَّعَاوُنَ بَيْنَنَا وَكُلَّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

وقال معن بن أوفى في لزوم التحفظ. بآثار الآباء والجدود :

وَرثْنَا المَجْدَ عَن آبَاءِ صِدْقٍ أَسَانَا فِي جَوَاهِرِهِمُ الصَّنِيْعَا
إِذَا المَجْدُ الرِّفِيعُ تَوَارَثْتَهُ بُنَاةُ السُّوءِ أَوْشَكَ أَنْ يَضِيْعَا

وقال الإمام الشافعي في المن والأذى وتعداد صنائع الإحسان :

يَحْمِلَنَّ لِمَنْ لِمَنْ يَمْنُ نٌ مِنَ الأَنَامِ عَلَيْكَ مِثَّهُ
وَاخْتَرُ لِنَفْسِكَ حَفْظَهَا وَاصْبِرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ جُنَّةٌ
مَنْ الرِّجَالِ عَلَى القُلُوبِ أَشَدُّ مِنْ وَقَعِ الأَسِنَّةِ

وقال علي بن عبد العزيز الجرجاني في وصف النفوس الأبية :

وَقَالُوا تَوَصَّلْ مَالِ الخَضْرُوعِ إِلَى الغَنِيِّ وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الخَضْرُوعَ هُوَ الفَقِيرُ
وَبَيْنِي وَبَيْنَ المَالِ شَيْئَانِ حَرَمًا عَلَيَّ بِالغَنِيِّ : نَفْسِي الأَبِيَّةُ وَالدَّهْرُ
إِذَا قِيلَ هَذَا اليَسْرُ أَبْصُرْتُ دُونَهُ مَوَاقِفَ خَيْرٍ مِنْ وَقُوفِي بِهَا العُسْرُ

وقال الشريف الرضي في كون المال خادماً للإنسان

اشْتَرَى العِزَّ بِمَا بِيْعَ فَمَا العِزُّ بِغَالٍ

ليس بالمغبون عقلا مُشترِ عِزًّا بمال
 إنما يدخرُ المالُ لحاجاتِ الرجال
 والفتى من جعل الأمَّ وَاَلِ اثْمَانِ المعالى

وقال أبو تمام فى كون العز والمجد لاينالان إلا بالتعب والجد :

قد علمنا أن ليس إلا بشقِّ الذنوب
 طلب المجد يُورث المرءُ خيالا
 فتراه وهو الخليلُ شجياً
 تيمّمته العلا فليس يُعَدُّ الب
 فس صار الكريمُ يُدعى كريماً
 وهموماً تقضقض الحيزوما
 وتراه وهو الصحيحُ سقيماً
 وُس بؤساً ولا النعيمُ نعيماً

وقال مخيس بن أرطاة فى لزوم تجنب الإنسان كل ما يُعاب :

عَرَضْتُ نصيحة منى ليحيى
 وما بى أن أكون أعيب يحيى
 ولكن قد أتانى أن يحيى
 فقلتُ له تجنّب كل شئ
 فقال غششتنى والنصحُ مُر
 ويحيى طاهرُ الأخلاقِ بر
 يُقال عليه بقاء شر
 يُعاب عليك إن الحرَّ حرُّ

وقال ابن هانئ (متنبى الغرب) فى أن ليس للإنسان إلا ما سعى :

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه
 وبالهمة العلياء ترقى إلى العلى
 ولم يتأخر من أراد تقدماً
 فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرًا
 فمن كان أعلى همّة كان أظهرًا
 ولم يتقدم من أراد تأخرًا

وقال بعضهم فى كون التقليد فى الخير فضيلة :

إذا أعجبتك خلال امرئ
 وليس على المجد والمكرات
 فكنه تكن مثل من يعجبك
 إذا جئتها حاجبٌ يعجبك

وقال أبو روح ظفر بن عبد الله فى الهمة والعزيمة الماضية :

والدهر يعلم أن لى فى حده
 والسيف يعلم أن لى فى صدره
 ناراً مضرمة على أحشائه
 سراً نهاه الدهر عن إفشائه

ولو أن أطراف السيوفِ وفين لى لأخذتُ حق الدهر من أبنائه
هممٌ مؤرقةٌ جفوفٌ كلما أرخى الظلامُ على ذيلِ خبائه
هممُ النفوسِ منوطةٌ بعنائها والمرءُ يخدعه لسانُ رجائه

وقال عمارة اليمنى المتوفى سنة ٦٦٩ فى الشجاعة والإقدام :

العلمُ مذ كان محتاجٌ إلى العلم وشفرة السيف تستغنى عن القلم
وخيرُ خيلك إن غامرت فى شرف عزمٌ يفرق بين الساق والقدم
لا يدركُ المجد إلا كلُّ مقتحمٍ فى موج ملتطمٍ أو فوج مضطرم
ورُبَّ أمرٍ يهاب الناس غايته والأمرُ أهونُ فيه من يدٍ لقم

تنمى قوى الشىء بالتدرىج إن رزقت

لطفاً ويقوى شرارُ النار بالضم

وقال أبو الحسن التهامى المتوفى سنة ٤١٦ هـ فى الأدب العام :

لا تحمد الدهر فى بأساء يكشفها فلو أردت دوام البؤس لم يدُم
فالدهرُ كالطيفِ بؤساءهُ وأنعمهُ عن غير قصد فلا تحمد ولا تلم
لا تحسبن حسب الآباءِ مكرمة لمن يقصرُ عن غايات مجدهم
حسنُ الرجال بحسناهم وفخرهم بطولهم فى المعالى لا بطولهم
ما اغتابنى حاسدٌ إلا شرفتُ به فحاسدى منعمٌ فى زى منتقم
فالله يكلاً حسادى فأنعمهم عندي وإن وقعت عن غير قصدهم

وقال أبو تمام فى كون المرء يجمع والزمان يفرق :

ولكننى لم أحو وفرأ مجعاً ففزت به إلا بشمل مبددٍ
ولم تعطى الأيام نوماً مسكناً ألدُّ به إلا بنوم مُشردٍ
وطول مقام المرء فى الحى مخلق لديباجتيه فاغترب تتجددٍ
فإنى رأيت الشمس زيدات محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرودٍ
وليس يجلى الكرب رمح مسدد إذا هو لم يؤنس برأى مسددٍ

وقال أبو تمام فى كون الحركة بركة :

مَنْ أَيْنَ (١) البيوت أصبح فى ثوب من العيش ليس بالفضفاض
والفتى من تعرفته الليالى فى الفيافى كالحية النضاض
صلتان أعداؤه حيث كانوا فى حديث من عزمه مستفاض
كلَّ يوم له بصرف الليالى فتكةٌ مثل فتكة البراض
وقال بعضهم فى أن الأمور تسهل بالصبر والإطمئنان لا بالذل والهوان :
إذا ضيقت أمراً ضاق جداً وإن هونت ما قد عز هانا
فلا تهلك لشيءٍ فات يأساً فكم أمرٌ تصعب ثم لانا
سأصبر من رفيقى إن جفانى على كل الأذى إلا الهوانا

وقال الحسين بن مطير فى مكارم الأخلاق :

أحبُّ مكارم الأخلاق جهدى وأكره أن أعيبَ وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حِلماً وشرُّ الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يُهابا

وقال القطامى فى التأتى السلامة وفى العجلة الندامة :

والناس من يلق خيراً قائلون له مايشتهى ، ولأم المخطئ الهبل
قد يدرك المتأتى بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل
وربما فات قوماً بعض أمرهم من التأتى وكان الحزم لو عجلوا
والعيش لا يعيش إلا ماتقراً به عين ولا حال إلا سوف تنتقل

وقال رجل من بنى أسد فى أنه لا خير فى ود يجيء تكلفاً :

وما أنا بالنكس الدنى ولا الذى إذا صد عنى ذو المودة أحربُ
ولكنى إن دُمت وإن يكن له مذهبٌ عنى فلي عنه مذهبُ

(١) ابن : لازم وأقام ، والفضفاض بفتح الفاء الشىء الواسع والصلتان الرجل الجاد فى أموره .

ألا إن خير الودُّ وُدُّ تطوعت إه النفس لا ود أتى وهو متعب
وقال القاضى الجرجانى فى كون النفس الأبية لا تقبل الدنيا
وتستقبل المنايا :

يقولون لى : فىك انقباض وإنما رأوا رجلا عن موقف الذل أحجمنا
إذا قيل هذا منهل قلت قد رأى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرساً ؟ وأجنيه ذلة ، إذن فاتباعُ الجهل قد كان أحزما
وقال البعيث بن حريث فى كون كرامة الإنسان متوقفة على حفظ الأوطان :
وإن مسيرى فى البلادِ ومنزلى لبالمنزىل الأقصى إذا لم أقرب
ولست وإن قربت يوماً ببائع بلادى ولا دينى ابتغاءً التمجيب
ويمتده قوم كثير تجارة ويمعنى من ذاك دينى ومنصبى
وقال عمر بن الأطنابة فى اقتحام الأخطار لنيل الفخار :

أبت لى عفتى وأبى بلائى وأخذى الحمد بالثمن الربيع
وإقحامى على المكروه نفسى وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت رويدك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات وأحمى بعدُ عن عرض صحيح

وقال أبو تمام لا يستحق الشكر والحمد إلا من تعب وجد :
الحمد شهد لا ترى مشواره يجنيه إلا من نقيع الحنظل
غل لحامله ويحسبه الذى لم يره عاتقه خفيف المحمل
وقال بعضهم فى الفقير الصابر المتجمل بالعفاف والكفاف :

كم فاقة مستورة بمروءة وضرورة قد غطيت بتجمل
ومن ابتسام تحته قلبٌ شج قد خامرته لوعة ما تنجلي

وقال أبو تمام فى صدق اليقين :

قالوا ولكنهم طابوا فأنجدهم جيش من الصبر لا يحصى له عدد
إذا رأوا المنايا عارضاً لبسوا من اليقين دُرعاً مالها زردُ

وقال هدية العذرى فى وجوب وضع الشيء فى موضعه :

ولا أتمنى الشرَّ والشرُّ تاركى ولكن متى أحمل على الشرِّ أركب
ولست بمفراحٍ إذا الدهر سرنى ولا جازعٍ من صرفه المتقلب

وقال بعضهم فى وجوب الثبات على المبدأ :

قد عشت فى الدهر أطواراً على طرق شتى وقاسيتُ فيها اللينَ والفظعاً
كلاً بلوتُ فلا النعماء تبطرنى ولا تخشعتُ من لأوائها جزعاً
لا يملأُ الهولُ صدرى قبل موقعه ولا أضيقُ به ذرعاً إذا وقعا

عودٌ بنيك على الآداب فى الصغر كما تقر بهم عينك فى الكبير
فإنما مثل الآداب تجمعها فى عنفوان الصبا كالنقش فى الحجر
هى الكنوز التى تنمو ذخائرُها ولا يخاف عليها حادثُ الغير
إن الأديب إذا زلتُ به قدمٌ يهوى على فرش الديباج والسرر
الناس صنفان : ذو علمٍ وهُستمع واعٍ وسائرهم كاللغو والفكر

من لم يكن عقله مُودبه لم يغنه واعظ. من النسب
كم من وضع الأصل فى أمم قد سودوه بالعقل والآدب

لا تياسنَّ إذا ما كنت ذا أدب على خمورك أن ترقى إلى الفلك
فبينما الذهبُ الإبريز مختلط. بالترب إذ صار إكليلاً على الملك

السبعُ سبعٌ ولو قلتُ مخالبهُ والكلب كلب ولو بين السباع رُبى
وهكذا الذهبُ الإبريز خالطهُ صفير النحاس وكان الفضل للذهب

لا يُعجبنيك أثواب على رجل
فالعود لو لم تفتح منه روائحه
وليس يسود المرء إلا بنفسه
إذا العود لم يثمر ولو كان شعبة
قد ينفع الأدب الأحداث من صغر
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت

وقال حاتم الطائى فى الكرم :

أماوى إن المال غادٍ ورائحٌ
أماوى إني لا أقول لسائل
أماوى إما مانعٌ فمبينٌ
أماوى إن يصبح صدأى بقفرةٍ
ترى أن ما أنفقت لم يك ضرئى

وقال حاتم الطائى أيضاً فى الإيثار :

وما أنا بالساعى بفضل زمامها
وما أنا بالطاوى حقيبة رحلها
إذا كنت ربا للقلوص فلا تدع
أنخها فأردفه فإن حملتكما

وقال بعض الشعراء المتقدمين فى ذم الغيرة :

ما أحسن الغيرة فى حينها
من لم يزل متهما عرسه
أوشك أن يغيرها بالذى
حسبك من تحصينها وضعها
وأقبح الغيرة فى كل حين
مناصباً فيها لريب الظنون
يخاف أن يبرزها للعيون
منك إلى عرض صحيح ودين

لا تطلع منك على ريبه فیتبعُ المقرونُ جبل القرين

وقال بعض الشعراء المتقدمين فى كرم الضيافة :

أضحك ضيفى قبل إنزال رحله ويخصب عندى والمحلُّ جديبُ
وما الخصب للضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

وقالت ليلى الأخيلىة فى العفة :

وذى حاجة قلنا له : لاتبح فليس إليها ما حيتُ سبيل
لنا صاحبٌ لاينبغى أن نخونه وأنت لأخرى صاحبٌ و خليلُ

وقال ابن الرومى فى القناعة :

مرحباً بالكفاف يأتى هنيئاً وعلى المتعبات ذيل العفاء
ضيلة لامرى يشمرُّ فى الجمع لعيش مُشمر للفناء
دائباً يكنز القناطير للوا رث والعمر دائباً فى انقضاء
يحسب الحظ. كله فى يديه وهو منه على مدى الجوزاء
ليس فى أجل النعيم له حظ. ، وما ذاق عاجل النعماء
ذلك الخائبُ الشقى وإن كان يرى أنه من السعداء
حسبُ ذى إربةٍ ورأى جليَّ نظرت عينه بلا غلواء
صحة الدين والجوارح والعِرُ ض وإحراز مُسكة الحوباء
تلك خيرٌ لعارف المجد مما يجرع الناس من فضول الثراء

وقال بعض الشعراء المتقدمين فى القناعة :

أحبُّ الفتى ينفى الفواحش سمعه كأن به عن كلِّ فاحشةٍ وقرأ
سلم دواعى الصدر لا باسطة أذى ولا مانعاً خيراً ولا قائلاً هجرًا
إذا ما أتت من صاحب لك زلة فكن أنت مُحتالاً لزلته عُذراً
غنى النفس مايكفيك من سدخلة فإن زاد شيئاً عاد ذلك الغنى فقراً

وقال بعض الشعراء المتقدمين في حب البنين :

لولا أُميمة لم أجزع من العدم ولم أجفُ في الليالي حندس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي أن اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
أحاذرُ الفقر يوماً أن يلم بها فيهتك الستر عن لحم وعن ضم
تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا والموت أكرم نزال عن الحرم

وقال مسكين في كتمان السر :

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم على سر بعض غير أن جماعها
لكل امرئٍ شعب من القلب فارغ وهو وضع نجوى لا يُرام اطلاعها
يظنون شتي في البلاد وسرهم إلى صخرة أعبي الرجال انصداعها

وقال أبو العتاهية في المغفرة :

إني شكرت لظالمى ظلمي وغفرتُ ذاك له على علمي
ورأيتُه أسدى إليَّ يداً لما أبان بجهله حلمي
رجعتُ إسأته عليه وإحسنا اني فساد مُضاعف الجرم
وغدوتُ ذا أجرٍ ومحمدة وغدا بكسب الظلم والإثم
فكأنما الإحسان كان له وأنا المسمى إليه في الحكم
ما زال يظلمني وأرحمه حتى بكيت له من الظلم

وقال ابن مطير في إكرام النفس :

ومن يتبع ما يُغيب النفس لم يزل مُضيقاً لها في فعل شيءٍ يُضيرها
فنفسك أكرم من أمور كثيرة فما لك نفس بعدها تستعيرها

وقال بشار في السعادة :

وما خاب بين الله والناس عاملٌ له في التقى والمحامد سوقٌ
ولا ضاق فضل الله عن مُتعففٍ ولكن أخلاق الرجال تضيقُ

وقال أبو تمام فى الصداقة الكاذبة :

إن شئت أن يسود ظنك كله
ليس الصديق بمن يعيرك ظاهراً
فأجله فى هذا السواد الأعظم
متبسماً عن باطن متجهماً

وقال بعض الشعراء المحدثين فى اثمة :

فى انقباض وحشمة فإذا
أرسلت نفسى على سحيتها
صادقت أهل الوفاء والكرم
وقلت ما قلت غير محتشم

وقال أبو تمام فى القناعة :

من زاحف الأيام ثم عبا لها
من كان مرعى عزمه وهمومه
غير القناعة لم يزل مقلولاً
لوحاز سلطان القنوع وحكمه
روض الأماني لم يزل مهزولاً
فى الأرض ما كان القليل قليلاً

وقال أبو العلاء المعرى فى الخمر :

أبائى نبيٌّ يجعل الخمر طليقةً
وهيهات لو حلت لما كنت شارباً
فتحمل شيئاً من همومى وأحزاني
مخففةً فى الحلم كفة ميزاني

وله أيضاً فى أن الملك أجير الرعية :

مُلِّ المقام فكم أعاشر أمةً
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
أمرت بغير صلاحها أمراؤها
فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

وله أيضاً فى رياء الوعاظ :

رؤيدك قد غررت وأنت حرٌّ
يُحرّم فيكم الصهباء صبجاً
بصاحب حيلة يعظ النساء
وفى لذاتها رهن الكساء
وإذا فعل الفتى ما عنه ينهى
فمن جهتين ، لا جهة ، أساء

وله أيضاً :

إذا كان علم الناس ليس بنافع
قضى الله فينا بالذى هو كائن
ولا دافع ، فالخسر للعلماء
فتم ، وضاعت حكمة الحكماء

وله فى سلطان العقل :

يرتجى الناس أن يقوم إمام
كذب الظن لا إمام سوى العق
إنما هذه المذاهب أسبا
ناطق فى الكتيبة الخرساء
ل مُشيراً فى صُبحه والمساء
ب لجلب الدنيا إلى الرؤساء

وله فى رياء العباد :

لعل أناساً فى المحارِبِ حُوفوا
إذا رام كيداً بالصلاة مُقيمها
وله أيضاً :

أيا جسد المرء ماذا دها
تصير طهوراً إذا ما رجَع
ك وقد كنت من عنصر طيب
ت إلى الأصل كالمطر الصيب

وله فى قسمة الارزاق :

لقد جاءنا هذا الشتاء وتحتَه
وقد يرزق المجدود أقات أمة
فقيرٌ معرّى ، أو أميرٌ مُدرج
ويُحرم قوتاً واحداً هو أحوج

وقال فى ذم البطالة :

ويُعجبني دأب الذين ترهبوا
فما حبس النفس المسيح تعبداً
سوى أكلهم كد النفوس الشحائح
ولكن مشى فى الأرض مشية سائح

وفى الرفق بالحيوان :

قد رابنى مغدى الفقير بجهله
يحمله مالا يطيق ، فإن ونى
على العير ضرباً ، ساء ما يتقلد
أجال على ذى فترة يتجلد

وله أيضاً :

نفارق العيش لم نظفر بعرفة
لم يعطنا العلم أخبارٌ يجىءُ بها
وابيضُّ ما اخضر من نبت الزمان بنا
وكل زرع إذا ما هاج محصود
أى المعانى بأهل الأرض مقصود
ونقل ولا كوكب فى الأرض مرصود

وقال فى حقيقة الإيمان :

ما الخير صوم يذوب الصائمون له
وإذا هو ترك الشرَّ مطَّرحاً
ولا صلاة ولا صُوفٌ على الجسد
ونفضك الصدر من غل ومن حسد

وقال أيضاً فى خرافات النساء :

سألت منجمها عن الطفل الذى
فأجابها مائة لياخذ درهما
فى المهدي : كم عائش من دهره ؟
وأتى الحمام وليدها فى شهره !

وقال أيضاً فى راحة الموت :

قديم الفتى ومضى بغير تئيب
لقد استراح من الحياة مُعجَّلٌ
كهلال أول ليلة من شهره
لو عاش كابد شدة فى شهره

وفى العفة :

أحسن جوارا للفتاة وعدّها
كتبجاور العينين لن تتلاقيا
أخت السماء على دُنوِّ الدار
وحجاز بينهما قصير جدار

وله فى بقاء الماء :

مضى الأنام فلولا علم حالهم
فى الملك لم يخرجوا عنه ولا انتقلوا
لقلت قول زهير آية سلخوا
منه فكيف اعتقادي أنهم هلخوا

وقال فى الصبر على الأذى :

إذا قال فيك الناس ما لا تحبه
وقد نطقوا مينا على الله وافتروا
فصبرا ينى ود العدو إليك
فما لهم لا يفترون عليك

الذين المعاملة ، للمعرى أيضاً :

سَبَّحْ وصلٌ وطفٌ بمكة زائراً
جَهَلِ الديانة مَنْ إذا عرضت له
سبعين لاسبعاً ، فلست بناسك
أطماعه لم يُلَفَ بالمتماسك
قتل الأفراد ، وقتل الأمم ، للمرحوم أديب إسحاق :

قتلُ امرئٍ فى غابةٍ جريمةٍ لا تُغتفرُ
وقتلُ شعبٍ آمنٍ مسألةٌ فيها نظرُ
والحقُّ للقوةِ لآ يعطاه إلا من ظفر
هذى حالة الدنيا فكن من شرّها على حدَرُ

الوطن لابن الرومى :

وطنٌ به صحبتُ الشبيبة والصبا
فإذا تمثل فى الضمير رأيتَه
ولبستُ ثوبَ العيش وهو جديد
وعليه أغصان الشباب تميد
البنات ، لمعن بن أوس :

رأيت رجالا يكرهون بناتهم
وفيهن والأيامُ يعثرن بالفتى
وفيهنَّ - لانغلو - نساء صوالح
عوائد لا يملئها ونوائح
الكرم ، للبستى :

فسامح ، ولا تستوفِ حَقك كله
ولا تغلُ فى شىءٍ من الأمرِ واقتصد
وأبقى ، فلم يستقص قط. كريم
كلاً طرفي قصد الأمور ذميم
وقال الأمير شكيب أرسلان :

بالله لاتندبوا قتلي ، ولا تهنوا
إن الشهيد لحيٌّ عند خالقه
بعدى ولا تغرقوا فى النوح والحزن
وإنما الميت حقاً خائن الوطن

الدواة ، للمرحوم إسماعيل صبرى باشا :

يا دواة اجعلى مدادك ورداً
لوفود الأقلام حيناً فحيناً

وليكن كالزمان حالاً وحالاً
 وأكرمي العلم وأمنحني خادميه
 تارة آسينا وأخرى مَعِينَا
 وابدئي الصافي المطهر منه
 ماءك الغالى النفيس الثمينَا
 لهداة السرائر المرشدينَا
 وإذا الظلم والظلام استعانا
 يوم نحس بأجهل الجاهلينَا
 فاجعليه فى قسمة الظالمينَا
 واستمد من الشرور مدادا
 واذنى النقطة التى بات فيها
 غضبُ القاهر المذل كمينَا
 ليراع امرىءٌ إذا خط سطرَا
 نذ الحق وارضى المين دينا
 وإذا كان فيك نقطة سوءٍ
 كونت من خباثة تكويننا
 فاجعليها قسط. الذين استباحوا
 فى السياسات حرمة الأضعفينَا
 وإذا خفت أن يكون من الصخ
 ر جلاهدُ ترجمُ السامعينَا
 فأبخلي بالمداد بخلا وإن
 أعطيت فيه المثين ثم المثينا
 فإن أعوز المدادُ طبيباً
 يصف الدواء دائماً مستعينا
 فامنحيه المراد مَنًا وعرفَا
 واستطبي معونة المحسنينَا
 وإذا مهجة الحمائم أسدت
 نقطة سِرِّها الذكى المصوننا
 فاجعليها على المودات وفقاً
 وهبها رسائل الشيقينَا
 فإذا لم تكن بقلبك إلا
 ما أعدَّ الإخلاص للمخلصينَا
 فاجعليه حظى لأكتب منه
 شرح حالى (لسيد المرسلينَا)

القمار ، للشيخ نجيب الحداد ، من قصيدة طويلة :

لكلّ نقيصة فى النار عار
 وشراً مصائب المرء القمار
 هو الدواء الذى لا بُرء منه
 وليس لذنب صاحبه اغتفار
 تشادُّ له المنازل شاهقات
 وفى تشييد ساحتها الدهار
 يصيب النازلين بها سُهادُ
 وإفلاس فياس فانتحار

الوطنية ، للشاعر المطبوع المرحوم مصطفى صادق الرافعى ، المتوفى
سنة ١٩٣٧ م :

بلادى هواها فى لسانى وفى دى يمجدها قلبى ويدعو لها فمى
ولا خير فىمن لا يُحِبُّ بلادَه ولا فى حليف الحبِّ إن لم يُتيم
الرجوع إلى الحق خير من التماهى فى الباطل : للمرحوم مصطفى لطفى
المنفلوطى المتوفى سنة ١٣٤٣ هـ :

إذا ما سفيهٌ نالى منه نائلٌ من الذم لم يُحَرِّجْ بموقفه صدرى
أَعوْدُ إلى نفسى فإن كان صادقاً عتبت على وأصلحت من أمرى
وإلا فما ذنبى إلى الناس إن طغى هواها فما ترضى بخير ولا شرٌّ
النفس الأبية : للشاعر الكبير أحمد نسيم :

ولم أدرعُ بالذللِّ شيمه حازم عن العز والعلياء لا يتنكب
كذا أنا يا نفسى ، فكونى أبية وما لك إلا مذهب الفضل مذهب

الجمال : لشاعر النجف بالعراق الشيخ محمد رضا الشيبى :

لقد عصفت بالمكرمات زعازعٌ وعفت رسوم الأكرمين رياحُ
إذا أظلمت أخلاقنا وتجهمت فهل نافعٌ أن الوجوه وألاح
الأدب : للمرحوم محمد إمام :

لم يثبت الخير مال ولا نسب إنما الخير كل الخير فى الأدب
مزيةٌ تملأ الدنيا محاسنها سلم لكمال الفضل والحسب

الحكام : للمرحوم السيد توفيق البكرى المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ :

حُكم الألى يحكمون الناس يُضحِكُنِ وسوءٌ فعلهم فى الناس يُبْكِينِ
ما الذئب قد عاث بين الضأن أفتك من هذى الولاة بهاتيك المساكين

نشر العلم : لشاعر العراق الفيلسوف المرحوم جميل الزهاوى :

إذا كان نشر العلم ذنباً معاقباً عليه فإنى أشهد الله مذنب

الثبات على المبدأ : لشاعر الشام أسعد رستم :

لا بدّ للمرء مما ليس يرضيه إذا تداخلَ فيما ليس يعنيه
فابدأ بتحسين مبدأ أنت صاحبه فالمرء يعرف أصلاً من مبادئه

طلب المحال : للشاعر الجليل أحمد محرم :

صرفتُ رجائى عن مطالب جمّة وليس الذى يَرْجُو المحال بكيس
أقول لِنَفْسِي والأسى ليثيرها : مكانك إن النفس بالنفس تأتسى

وقال محمد بن بشير فى الصبر الجميل :

إن الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر ينفق منها كل ما ارتتجا
لا تياسن وإن طالّت مطالبه إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذى مصبر أن يحظى بحاجته ومُدْمِنُ القَرَعِ للأبواب أن يلجا
قدّر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقاً عن غرّة زلجا
ولا يغرّنك صفو أنت شاربه فرما كان بالتكدير ممتزجا

وقال الأصبط بن قريع فى الأدب العام :

لكلّ ضيق من الأمر سعة والصُّبْحُ والمسا لا فلاح معه
قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسه ويلبس الثوب غير من قطعه
فاقبل من الدهر ما أتاك به من قرّ عيناً بعيشه نفعه
وصلّ حبال البعيد إن وصل الـ جبل ، وأقص القريب إن قطعه
ولا تُعادِ الفقير علك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه

وقال عبيد بن الأبرص الأسدى أحد فحول شعراء الجاهلية فى الصبر :

صبر النفس عند كل مُلم إن فى الصبر حيلة المحتال
لاتضيقن بالأمر فقد تك شف غماؤها بغير احتيال

الباب الثاني عشر في الصبر والثاني

تصبرّ ففي الأواء قد يحمد الصبر
وإن الذي أبلى هو العون فانتدب
وثق بالذي أعطى ولاتك جازعاً
فلا نعم تبتى ولا نقم ولا
تقلب هذا الأمر ليس بدائم
اصبر على مضض الإدلاج في السحر
إني رأيت في الأيام تجربة
وقل من جد في أمر يومه

عليك بإظهار التجلد للعدي
أما تنظر الرياحان يشمم ناضراً
ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
ويطرح في البيدا إذا ما تغيرا

صبراً على نوب الزمان
فلكلّ شيءٍ آخر
ن وإن أبي القلب الجريح
إما جميل أو قبيح

الدهر أدبني والصبر رباني
وحنكني من الأيام تجربة
إني رأيت الصبر خير معول
ورأيت أسباب القناعة أكدت
في النائبات لمن أراد معولاً
بعرى الغنى فجعلتها لي معقلاً
وجعلت من غيره لي منزلاً
فيكون أرخص ما يكون إذا غلا
على تركته

إذا ما أتاك الدهر يوماً بنكبة
فإن تصارييف الزمان عجيبة
فأفرغ لها صبراً وأوسع لها صدرا
فيوماً ترى يسراً ويوماً ترى عُسراً

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه	ويحمد منه الصبر فيما يُصيبه
فمن قل فيما يتَّقيه اضطباره	لقد قل فيما يرتجيه نصيبه
اصبر قليلا فبعد العسر تيسير	وكل وقت له أمر وتدبير
وللمهيمن في حالاتنا نظر	وفوق تدبيرنا لله تدبير
واصبر في الصبر خير لو علمت به	لكنت باركت شكراً صاحب النعم
واعلم بأنك إن لم تصطبرَ كرمًا	صبرت قهراً على ما خُطَّ بالقلم
كن حلماً إذا بُليت بغيظ	وصبوراً إذا أتتك مُصيبه
فالليالي من الزمان حبالى	مُثقلات يلدن كل عجيبه
تصبر أيها العبد اللبيب	لعلك بعد صبرك ماتخيب
وكل الحادثات وإن تناهت	يكون وراءها فرج قريب
أيها صاحبى إن رمت أن تكسب العلاء	وترقى إلى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر في كل حالة	فما صابر فيما يروم بنادم
بنى الله للأخيار بيتاً ساءوه	هموم وأحزان وحيطانه الصبر
وأدخلهم فيه وأغلق بابه	وقال لهم مفتاح بابكم الصبر
اصبر قليلا وكن بالله مُعتصما	لا تعجلنَّ فإن العجز بالعجل
الصبر مثل اسمه في كل نائبة	لكن عواقبه أحلى من العسل
إذا جرحت مساوئهم فؤادى	صبرت على الإساءة وانطويت
وجئت إليهم طلق المحيا	كأنى لا سمعت ولا رأيت
تأن ولا تضق للأمر ذرعاً	فكم بالنجح يظفر من تأنى
تأن فحيث المرء تأنى	ينل نجاحاً ويُدرك ما تمنى
تأن ولا تعجل بلوئك صاحباً	لعلَّ له عذراً وأنت تلوم

الباب الثالث عشر في الصدق

الصدق عز فلا تعدل عن الصدق واحذر من الكذب المذموم في الخلق

عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد

عليك بالصدق في كل الأمور ولا تكذب فأقبح ما يزرى بك الكذب

الباب الرابع عشر في الكذب

لى حيلة فيمن يندم م وليس للكذاب حيلة

من كان يحذق ما يقو ل فحيلتى فيه قليله

نعم نعم إنما النمام ذو ضرر لكنما الكاذب الجانى أشد ضرر

أخو النميمة إن يسمع يتم ومن يكذب يقلل ما يشاء قولاً بغير أثر

لذاك لى حيلة فى من يتم وما لى حيلة فى كذوب ملء فيه شر

لى حيلة فى من يتم فإننى أطوى حديثى دونه وخطابى

لكنما الكذاب يخلق قوله ما حيلتى فى المفترى الكذاب

لايكذب المرء إلا من مهانته أو فعله السوء، أو من قلة الأدب

لبعض جيفة كلب خير رائحة من كذبة المرء فى جد وفى لعب

إياك من كذب الكذوب وإفكه فلربما مزج اليقين بشكه

ولربما كذب امرؤ بكلامه وبصمته وبكائه وبضحكه

إذا عرف الإنسان بالكذب لم يزل لدى الناس كذاباً ولو كان صادقاً

فإن قال لم تصغ له جلساؤه ولم يسمعوا منه ولو كان ناطقاً

الباب الخامس عشر فى التواضع

إن شئت أن تبنى بناءً شامخاً يلزم لذا البنيان أس راسخ

إن البناء هو الكمال وأسه ال صخرى فهو الاتضاع الباذخ

تواضع لرب العرش علك ترفعُ فما خاب عبد للمهيمن يخضع
 تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
 ولاتك كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضيع
 إذا شئت أن تزداد قدراً ورفعة تواضع واترك الكبير والعجبا
 تواضع إذا ما نلت في الناس رفعة فإن رفيع القوم من يتواضع

الباب السادس عشر في الكرم والكرما

ونكرم ضيفنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا
 فتي كملت خيراته غير أنه جواد فما يبق من المال باقيا
 إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يأنفهم في المنزل الخشن
 أبي الجود في الدنيا سواك لأنه تفرع من جود وأنت أبو الجود
 إن الكريم الذي لا مال في يده مثل الشجاع الذي في كفه شل
 والمال مثل الحصى مادام في يدنا فليس ينفع إلا حين ينتقل
 لو أشبهتك بحار الأرض في كرم لأصبح الدر مطروحا على الطرق
 أو أشبه الغيث جوداً منك منهماً لم ينج في الأرض مخلوق من الغرق
 من قاس جدواك بالغمام فما أنصف في الحكم بين شكلين
 أنت إذا جدت ضاحك أبداً وهو إذا جاد داعم العين
 ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير وقت سخاء
 فنوال الأمير بكرة مال ونوال الغمام قطرة ماء

الباب السابع عشر في البخل والبخلاء

يفنى البخيل بجمع المال مُدَّتْهُ وللحوادث والأيام ما يدعُ

كدودة القز ما يبنيه يهدمها وغيرها بالذى تبنيه ينتفع
 إن هذا القتي يصون رغيماً ما إليه من ناظر من سبيل
 في جراب في جوف تابوت موه ي والمفاتيح عند ميكائيل

شرايك مختوم وخبزك لايرى ولحمك بين الفرقدين معلق
 ندملك عطشان وضيفك جائع وكلبك نباح وبابك مغلق
 نوالك دونه شوك القتاد وخبزك كالثريرا في البعاد
 ولو أبصرت ضيفاً في منام لحرمت الرقاد على العباد
 وذى حرص تراه يلم وفرا لوارثه ، ويدفع عن حماه
 ككلب الصيد يمسك وهو طاو فريسته لياكلها سواه

حسبي معلى إن نفع ما الذل إلا في الطمع
 من راقب الله نزع عن سوء ما كان صنع
 ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

أصبحت أجوع خلق الله كلهم وأفزع الناس من خبز إذا وُضعا
 خبز البخيل لمكتوب عليه ألا لا بارك الله في ضيف إذا شبع

إياك والحرص إن الحرص متعبة فإن فعلت فراع القصد في الطلب
 قد يرزق المرء لم تتعب رواحله ويحرم المرء ذو الأسفار والتعب

إذا كسر الرغيف بكى عليه بكاء الخنساء إذ فجعت بصخر
 ودون رغيفه قلع الثنايا وضرب مثل وقعة يوم بدر

تغير إذ دخلت عليه حتى فطنت فقلت في عرض المقال
 على اليوم نذر من صيام فأشرق وجهه مثل الهلال

قد شاب رأسي ورأس الدهر لم يش
ب إن الحريص على الدنيا لى تعب
وقال أبو محمد إسحاق الموصلى فى ذم البخل :

وأمره بالبخل قلت لها اقصرى
فليس إلى ما تأمرين سبيل
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى
بخيلا له فى العالمين خليل
وإنى رأيت البخل يُزرى بأهله
فأكرمتُ نفسى أن يقال بخيل
ومن خير حالاتِ الفتى لو علمته
إذا نال شيئا أن يكون يُنيل
عطائى عطاء المكثرين تجملاً
ومالى - كما قد تعلمين - قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرّم الغنى
ورأى أمير المؤمنين جميل

* * *

الباب الثامن عشر

فى وصف الدنيا

يا من عاش فى الدنيا طويلا
وأفنى العمر فى قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى
وجمّع من حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد إليك عفوا
أليس مصيرُ ذلك إلى انتقال؟!!

إن لله عباداً فطنا

ظلقوا الدنيا وعافوا الفتنا

فكروا فيها فلما علموا

أنها ليست لحي وطنا

جعلوها لجة واتخذوا

صالح الأعمال فيها سفنا

عجبتُ للمرء فى دنياه تُطمعهُ
فى العيش والأجل المحتوم يقطعه
يمسى ويصبح فى عشواء يخطبها
أعمى البصيرة، والآمال تخدعه
يغتر بالدهر مسروراً بصحبته
وقد تيقن أن الدهر يصرعه
ويجمع المال حِرْصاً لا يُفارقهُ
وما درى أنه للغير يجمعه

ترأه يُشْفِقُ من تضييعِ درْهمه وليس يُشْفِقُ من دين يضيعه
وأسوأ الناس تدبيراً لعاقبة من أنفق العمر في ما ليس ينفعه

ومن يذق الدنيا فإنى طعمتها وسيتى إلينا عذْبها وعذابها
فلم أرها إلا غرورا باطلا كما لاح في ظهر الفلاة سرايبها
وما هي إلا جيفةٌ مستحيلة عليها كِلابٌ همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها وإن تجتنبها نازعتك كلابها
فدع عنك فضلات الأمور فإنها حرام على نفس التقي ارتكابها

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره فسوف لعمرى عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار! حذار! من بطشى وفتكى
فلا يغرركم منى ابتساماً فقولى مضحك والفعل مبكى

ياخاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأقدار
دار متى ما أضحكك في يومها أبكت غداً ، تبا لها من دار

الياب التاسع عشر

في الأسرار

ولستُ بمبد للرجال سريرتى ولا أنا عن أسرارهم بسؤول

لا يكتم السرَّ إلا كل ذى ثقة والسر عند خيار الناس مكتوم
فالسر عندى فى بيت له غلق ضاعت مفاتيحه والبابُ مختوم

صن السر عن مُستخبر وحاذر فما الرأى إلا الحذر

أَسِيرُكَ سِرْكٌ إِنْ صَنَّتَهُ وَأَنْتَ أَسِيرٌ لَهُ إِنْ ظَهَرَ
كُلُّ عِلْمٍ لَيْسَ فِي الْقِرْطَاسِ ضَاعَ كَلُّ سِرٍّ جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ شَاعَ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْوَرَى صَاحِبٌ وَفِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ حَمِيدَةٍ
وَفَاءٌ ، وَسِرٌّ ، وَحِفْظُ الْوِلَاءِ فَصَحْبَتُهُ قَطُّ لَيْسَتْ مَفِيدَةٍ

الباب العشرون

في اللسان

لَا يُعْجِبُنِكَ مِنْ خَطِيبٍ خُطْبَةٌ حَتَّى يَكُونَ مَعَ الْكَلَامِ أَصِيلًا
إِنْ الْكَلَامُ لَقِيَ الْفَوَادَ وَإِنَّمَا جُعِلَ الْلسَانُ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا
يُصَابُ الْفَتَى مِنْ عَشْرَةِ بِلْسَانِهِ وَلَيْسَ يَصَابُ الْمَرْءُ مِنْ عَشْرَةِ الرَّجْلِ
فَعَشْرَتُهُ فِي الْقَوْلِ تُذْهِبُ رَأْسَهُ وَعَشْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأَ عَلَى مَهْلٍ
احْفَظْ لِسَانَكَ أَيْهَا الْإِنْسَانُ لَا يَلِدْغَنُكَ ، إِنَّهُ ثَعْبَانٌ
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانَهُ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشَّجَعَانُ
الصَّمْتُ زَيْنٌ وَالسَّكُوتُ سَلَامَةٌ فَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مَكْثَارًا
فَإِذَا نَدِمْتَ عَلَى سَكُوتِكَ مَرَّةً فَلْتَنْدَمَنَّ عَلَى الْكَلَامِ مَرَارًا
عَوْدَ لِسَانِكَ قَوْلَ الْخَيْرِ تَنْجُ بِهِ مِنْ زَلَّةِ اللَّفْظِ أَوْ مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ
وَاحْذَرِ لِسَانَكَ مِنْ خَلٍّ تَنَادَمَهُ إِنْ التَّظْمِيمُ الْمَشْتَقُّ مِنَ النَّدَمِ

الباب الحادي والعشرون

في المعاشرة

إِذَا الْمَرْءُ لَا يَرْحَاكَ إِلَّا تَكَلَّفًا فَدَعِهِ وَلَا تُكْتَبِرْ عَلَيْهِ التَّنَاسُفَا
فِي الْمَرْءِ أَبْدَالٌ وَفِي التَّرْكِ رَاحَةٌ وَفِي الْقَلْبِ صَبْرٌ لِلْحَبِيبِ وَلَوْ جَفَا

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة
ولا خير في خل يخون خليله
وينكر عيشاً قد تقادم عهده
سلامٌ على الدنيا إذا لم يكن بها
صافٍ الكرام فخير من صافيته
واحذر مواخاة اللئيم فإنه
إن الكريم وإن تضعع حاله
الناس مثل دراهمٍ قلبتها
ولن يصحب الإنسان إلا نظيره
وما الغنى إلا أن تصاحب غاوباً
أخو الفسق لا يغرك منه توددٌ
وصاحب إذا ما كنت يوماً صاحباً
اجعل قرينك من رضيت فعاله
كم من قرين شائنٍ لقرينه
وعينك إن أبدت إليك مساوياً
وعاشرٌ بمعروفٍ وكن متودداً
ولا تلقَ إلا بالتي هي أحسنُ

الباب الثاني والعشرون

في القناعة

وأكل كُسيرة في جنب بيبي
ولبس عباءة وتقر عيني
أحب إلى من أكل الرغيف
أحب إلى من لبس الشفوف
لو لم يكن منك إلاراحة البدن
هل راح منها بغير القطن والكفن
هي القناعة فالزمها تعيش ملكاً
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها

قنعت بالقوت من زمانى وُصنتُ نفسى عن الهوان
 خوفاً من الناس أن يقولوا فضلُ فلان على فلان
 من كنتُ عن ماله غنياً فلا أبالي إذا جفانى
 ومن رآنى بعين نقص رأيتُه بالى رآنى
 ومن رآنى بعين تمُّ رأيتُه كامل المعانى

إذا المرءُ عوفى في جسمه وملكه الله قلباً فنوعاً
 وألقى المطامع عن نفسه فذاك الغنى ولو مات جوعاً

النفس تجزَعُ أن تكون فقيرةً والفقير خيرٌ من غنى يُطغيها
 وغنى النفس هو الكفاف فإن أمت فجميعُ ما فى الأرض لا يكفيها

إن القنوع نفيسُ النفس راشدُها وهو الغنى الذى يحيا بلا نصب
 وذو المطامع مغرورٌ ومفتقر

أفادتنى القناعة كلَّ عزٍّ وهل عزٌّ أعزُّ من القناعة

ولقد طلبتُ رضا البرية جاهداً فإذا رضاهم غايةٌ لا تدركُ
 وأرى القناعة الغنى كنزاً له والبر أنضل ما به يتمسك

الباب الثالث والعشرون

في الحسد

تخلق الناس بالأدناس واعتمدوا من الصفات الدها والمكر والحسدا
 كرهت منظرهم من سوءٍ مخبرهم قد تعاهيتُ حتى لا أرى أحدا

اصبرُ على كيد الحسو د فإن صبرك قاتله
 فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

دع الحسود وما يلقاه من كمدٍ يكفيك منه لهيبُ النارى كيدِه
 إن لُمتُ ذا حسدٍ نغبتُ كُربته وإن سكتُ فقد عذبتُه بيده

أيا حاسداً لي على نعمتي أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي ما وهب
فأحمد ربي بأن زادني وسد عليك وجوه الطلب

إن شئت قتل الحاسدين تعمداً من غير مديات عليك ولا قود
وبغير سم قاتل وصورم وعقاب رب ليس يغفل عن أحد
عظم نجاه غيرهم محسودهم فتراهموا موق النفوس مع الجسد

الباب الرابع والعشرون

في الحلم

ألا إن حلم المرء أكرم نسبة تسامى بها عند الفخار حلیم
فيارب هب لي منك حلماً فإنني أرى الحلم لم يتدم عليه كريم
ولا خيراً في حلم إذ لم يكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدر
ولا خيراً في جهل إذ لم يكن له حلیم إذا ما أورد الأمر أصدر

إذا كنت محتاجاً إلى الحلم إنني إلى الجهل في بعض الأحيان أحوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويني فإني مقوم ومن شاء تعويجي فإني معوج
وما كنت أرضى بالجهل خدناً وصاحباً

ولكنني أرضى به حين أخرج

إذا كنت بين الحلم والجهل ناشئاً وخيرت أني شئت فالحلم أفضل
ولكن إذا أنصفت من ليس منصفاً ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل

وعين الرضا عن كل عيب كليله كما أن عين السخط تبدى المساويا
ولست بهيب لمن لا يهابني ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا
فإن تدن مني تدن منك موذني وإن تنأ عنّي تلقني عنك نايا
كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

الباب الخامس والعشرون

في الحمافة

لكل داءٍ دواءٌ يستطب به إلا الحمافة أعيت من يداويها
 لا تياسن من اللبيب وإن جفا واقطع حبالك من حبال الأحق
 قعداوة من عاقل متجمل أولى وأسلم من صداقة أخرق

الباب السادس والعشرون

في الوطن

قال ابن الرومي :

ولى وطن آليت ألا أبيعهُ وألا أرى غيرى له الدهر مالكا
 عمرت به شرخ الشباب منعا بصحبة قوم أصبحوا في طلالكا
 وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
 إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا ليدالكا
 وقد ألفتة النفس حتى كأنه لها جسد إن بان غودر هالكا

الباب السابع والعشرون

في المال

إن الدراهم كالمرأ هم تجبر العظم الكسيرا
 لو نالهن ثعلب في صبحه أضحى أميرا
 إن قل مالى فلا خل بصاحبى وإن زاد مالى فكل الناس خلانى
 فكل عدو لأجل المال صاحبى وكم صديق لفقد المال عادانى
 لعمرك إن المال يجعل الفتى سريا وإن الفقر بالمرء قد يزرى
 وما رفع النفس الدنية كالغنى ولا وضع النفس النفيسة كالفقر
 وإذا رأيت صعوبة فى مطلب فاحمل صعوبته على الدينار
 وابعثه فيما تشتهيهِ فإنه حجر يلين قسوة الأحجار

الناس أتباع من دامت له نعم
والبويل للمرء إن زلت به القدم
المال زين ، ومن قلت دراهمه
حي كمن مات إلا أنه صنم
لما رأيت أخلائي وخاليتي
والكلُّ مُستترٌ عني ومُحتشم
أبدوا جفاءً وإعراضاً فقلت لهم :
أذنبت ذنباً ؟ قالوا : ذنبك العدم

فصاحة حسان وخط. ابن مُقله
وإذا اجتمعت في المرء والمرء مُفلس
وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم
ونودي عليه لا يُباع بدرهم

إذا كنت في حاجة مُرسلاً
فأرسل حكيماً ولا تُوصيه
وأنت بها كلفٌ مُغرماً
وذاك الحكيم هو الدرهم

أظهروا للناس زهداً
وله صاموا وصلوا
وعلى الدينار داروا
وله حجوا وزاروا

المال يفرق بين الأم والولد
عهدى به خادماً كالعبد تملكه
فذاك أدنى نسب عند كل يد
فما لعيني تراه سيد البلد ؟

مالٌ يميل إلى الإنسان من صغر
لو يجمع الله ما في الأرض قاطبة
وكلما شبَّ شبَّ الحب في الكبد
عند امرئ لم يقل حسبي فلا تزد
أتى بلا عدد منها ولا عدد
لم يبق شيء لنا من سالف الأمد

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه
ألا إنما مالى الذى أنا مُنفق
تملكه المال الذى هو مالكة
وليس لى المال الذى هو أنا تاركه

من كان يملك درهمين تعلمت
وتقدم الإخوان فاستمعوا له
شفتاه أنواع الكلام فقلا
ورأيت بين الورى مُختلا
لولا دراهمه التى يزهو بها
لوجدته فى الناس أسوأ حالا
إن الغنى إذا تكلم بالخطا
قالوا صدقت وما نطقت محالا

أما الفقير إذا تكلم صادقاً قالوا كذبت وأبطلوا ما قالوا
 إن الدرهم في المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجمالا
 فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا

الباب الثامن والعشرون في السياحة والغربة

وإذا البلاد تغيرت عن حالها فدع المقام وبادر التحويلا
 ليس المقام عليك فرضاً واجباً في بلدة تدع العزيز ذليلا
 تنقل فلذات الهوى في التنقل ورذ كل صافٍ ولا تنقف عند منهل
 ففي الأرض أحبابٌ وفيها مناهل فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
 تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر في الأسفار خمس فوائد
 تفرج هم ، واكتساب معيشة ، وعلم ، وآداب ، وصحبة ماجد
 وإن قيل في الأسفار ذل ومحنة وقطع الفيافي واكتساب الشدائد
 فموت الفتي خير له من حياته بدار هوان بين واثٍ وحاسد
 ارحل بنفسك من أرض تضام بها ولا تكن لفراق الأهل في حرق
 من ذلٍ بين أهاليه ببلدته فلا غتراب له من أحسن الخلق
 الكحل نوع من الأحجار منطرحة في أرضه كالثرى يُرأى على الطرق
 لما تغرب نال العز أجمعه وصار يُحمل بين الجفن والحدق
 ما في المقام لدى عقل وذى أدب من راحة فدع الأوطان واغترب
 سافر تجد عوضاً عن تصاحبه وانصب فإن للذيذا العيش في النصب
 إنى رأيت وقوف الماء يُفسدُهُ إن سأل طاب وإن لم يعجر لم يطب
 والأمد لولا فراق الغاب ما قنصت والسهم لولا فراق القوس لم يصب
 والشمس لو وقفت في الفلك دائمة للمها الناس من عجم ومن عرب
 والبدر لولا أقول منه ما نظرت إليه في كل حين عين مرتقب
 والتبر كالترب ملق في أماكنه والعود في أرضه نوع من الحطب

فإن تغرب هذا عز مطلبه وإن أقام فلا يعلم على رتب
 إذا ما ضاق صدرك من بلاد فارحل طالباً أرضاً سواها
 عجبت لمن يقيم بأرض ذل وأرض الله واسعة فضاها
 فذاك من الرجال قليل عقل بليد ليس يعلم ما طحهاها
 فنفسك فز بها إن خفت ضيا وخل الدار تنعى من بناها
 فإنك واجد أرضاً بأرض ونفسك لم تجد نفساً سواها
 ومن كانت منيته بارض فليس يموت في أرض سواها
 وقال الحريري في الحث على السفر من آخر مقامة له :

لا تقعدن على ضر ومسغبة لكي يقال عزيز النفس مصطبر
 وانظر بعينيك هل أرض معطلة من النبات كأرض حفها الشجر
 وجانبين ما يشير الأغبياء به فأى فضل لعود ماله ثمر
 وارحل ركابك عن ربع ظمئت به إلى الجناب الذي يهوى به المطر
 واستنزل الرى من درالسحاب فإن بلت يدك به فلينهك الظفر

بلاد الله واسعة فضاء ورزق الله في الدنيا فسيح
 فقل للقاعدين على هوان إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

إذا رأيت الرزق ضاق ببلدة وخشيت فيها أن يضيق المكسب
 فارحل فأرض الله واسعة القضا طولاً وعرضاً ، شرقها والمغرب

إذا ما كنت في قوم غريباً فعاملهم بفعل يستطاب
 ولا تحزن إذا فاهوا بفحش غريب الدار تنبجه الكلاب

وما طلب المعيشة بالتمنى ولكن ألق دلوك في الدلاء
 يجيء بمائها طوراً وطوراً يجيء بحمأة وقليل ماء
 ولا تقعد على كسل التمنى تحيل على المقدر والقضاء

فإن مقادر الرحمن تجرى بأرزاق الرجال من السماء
مقدرة بقبض أو ببسط وعجز المرء أسباب البلاء

الباب التاسع والعشرون

في الغدر

لا أشتكى زمني هذا فآظلمه وإنما أشتكى من أهل ذا الزمن
هم الذئاب التي تحت الشياح فلا تكن إلى أحد منهم بمؤمن
وزهدني في الناس معرفتي بهم وطول اختباري صاحباً بعد صاحب
فلم ترني الأيام خلا تسرني مباديه إلا ساعني في العواقب
إني بلوت الناس أطلب منهم أذا ثقة عند اعتراض الشدائد
فلم أر فيما ساعني غير شامت ولم أر فيما سرني غير حاسد
وقال علي بن الجهم وهو مسجون :
قالوا حبست فقلت ليس بضائري حبسي وأى مهند لا يغمد
فالشمس لولا أنها محجوبة عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والبدر يُدركه السرار فتنجلي آياه وكأنه متجدد

الباب الثلاثون

في الدعاء الختام

أراني الله وجهك كل يوم صباحاً للثمين والسرور
وأمتع مقلتي بصفحتيه لأقرأ الحسن من تلك السطور
بقيت مدى الدنيا وملكك راسخ وطودك ممدود وبابك عامر
يود سناك البدر والبدر زاهر ويقفون ذلك البحر والبحر عامر
وهنثت أياماً توالت سعودها كما تتوالى في العقود «الجواهر»

يقول مؤلفه : فرغت من تأليفه وترتيبه في ربيع الأول سنة الف وثلاثمائة وخمس عشرة هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية .

فهرست

الجزء الاول من كتاب جواهر الادب

صفحة

المرحوم أحمد مفتاح ، رسالة المرحوم	٥٧
الشيخ طه محمود ، رسالة المرحوم	
محمود بك أبو النصر ، رسالة المرحوم	
محمد البيلوي ، رسالة المرحوم عبد	
الكريم سلمان ، رسالة مؤلف هذا	
الكتاب	
الفصل الثالث في رسائل الهدايا -	
رسالة سعيد بن حميد ، رسالة حفنى	
بك ناصف ، رسالة محمود بك	
أبو النصر ، رسالة عبدالله بك	
الانصارى ، رسالة المرحوم الشيخ	
أحمد مفتاح ، رسالة مؤلف هذا	
الكتاب الى أستاذة المرحوم الشيخ	
محمد عبده ، رسالة مؤلفه هذا	
الكتاب الى المغفور له سعد باشا	
زغلول	٦٨
الفصل الرابع في رسائل الاستعطف	
رسالة الثعالبي ، رسالة عبدالله بن	
معاوية ، رسالة ابن حبيب الحلبي ،	
رسالة الجاحظ ، رسالة ابن مكرم ،	
رسالة الخوارزمي ، رسالة بعضهم	
الى رئيسه ، رسالة ابراهيم اليازجي	
رسالة زبيدة زوجة الرشيد ، رسالة	
المامون ، رسالة بعضهم ، رسالة	
الجاحظ ، استعطف أم جعفر بن	
يحيى للرشيد ، رسالة ابراهيم بن	
المهدى للمأمون ، رسالة اسحاق بن	
العباس للمأمون ، رسالة الفضيل	
ابن الربيع للمأمون ، رسالة تميم بن	
جميل للمعتصم ، رسالة الجاحظ الى	
ابن الزيات ، رسالة رجل من أهل	
الشام للمصور ، رسالة روح بن	
زنباع لمعاوية ، رسالة ابن الرومي	
للقاسم ، رسالة الخوارزمي	٧٦
اعتذار لسعيد بن حميد - اعتذار لابي	
على البصير ، اعتذار للبدیع	٩٧
الباب الثاني - الفصل الثاني -	
في رسائل حسن التقصاني	
والطلب ، رسالة أبي الفيناء	
رسالة عبد الخالق ثروت باشا ،	
رسالة المرحوم أحمد بك رافت ،	

صفحة

فاتحة الكتاب	٢
تقريظ	٥
اليكم معشر الكتاب	٩
تمهيد في مبادئ علم الادب	١٢
مقدمة في علم الانشاء	١٥
الباب الأول في أصول الانشاء -	
مواد الانشاء ، خواص الانشاء ،	
عيوب الانشاء ، طبقات الانشاء ،	
محاسن الانشاء	١٦
كيفية الشروع في عمل مواضيع	
الانشاء - أركان الكتابة ، كيفية نظم	
الكلام ، الطريق الى تعلم الكتابة ،	
كيفية تهذيب الكلام ، محاسن الانشاء	
ومعايبه ، فصاحة الالفاظ ومطابقتها	
للمعاني ، حقيقة القضاة ، الانسجام	
حل الشعر ، التخلص والاقتراب	٢٢
كيفية افتتاح مواضيع الانشاء	٢٨
تقسيم الانشاء الى فني النظم والنثر	
كيفية عمل الشعر	٤٢
قنون الانشاء سبعة	٤٤
الفن الأول في المكانيات	٤٤
أبواب الرسائل	٤٥
الرسائل الاهلية	٤٥
الفصل الأول في رسائل الشوق -	
رسائل أبي منصور الثعالبي ، رسالة	
البيضاقي ، رسالة عبد الرحمن محمد	
ابن طاهر . رسالة أبي الفضل	
ابن المييد ، رسالة بدیع الزمان	
الهذلي ، رسالة أبي محمد عبدالله	
البيضاقي ، رسالة الشيخ ابراهيم	
اليازجي ، رسالة أبي العباس	
القمي ، رسالة صاحب	
اسماعيل بن عباد ، رسالة أبي بكر	
الخوارزمي ، رسالة المرحوم الشيخ	
حمزة فتح الله ، رسالة المرحوم محمد	
بك دياب ، رسالة المرحوم وفاء أفندي	
رسالة مؤلف هذا الكتاب	٤٦
الفصل الثاني في التعارف قبل اللقاء ،	
رسالة الثعالبي ، رسالة المرحوم	
الشيخ حمزة فتح الله ، رسالة	
المرحوم حفنى بك ناصف ، رسالة	
المرحوم أحمد أفندي سمير ، رسالة	

صفحة

- حفتى بك ناصف ، رسالة الشيخ على
الليثي ١٦١
- الفصل الرابع عشر في الوصايا - من
كلامه عليه الصلاة والسلام لعمر ،
من وصاياه عليه الصلاة والسلام ،
عهد الامام على للاشتر النخعي ،
كتاب أبي بكر الصديق ، كتاب عصر
ابن الخطاب ، وصية ابن سعيد
المغربى ، وصية هرون الرشيد ،
١٧١ وصية احدى نساء العرب لابنها ...
نصيحة رجل لهشام ، نصيحة أعرابي
لابن عبد الملك ، نصيحة فتاة لأبيها ،
نصيحة الهمداني لوارث مال ، وصية
الربيعى لقومه ، وصية ذى الأصبع
١٩١ لابنه ، وصية ابن شداد لابنه ...
الفصل الثامن عشر في التنصل -
كتاب ابن الرومي ، كتاب ابن زيدون
مكاتبات متفرقة - كتاب الدولة العلية
كتاب ابن العميد ، كتاب السيد
توفيق البكري ، كتاب السيدة وردة
اليازجية ، كتاب السيدة عائشة
تيمور ، كتاب السيد عبدالله النديم
كتاب ابراهيم المولحي بك ، كتاب
٢٢٢ ابن هارون ...
الكلام على الرسائل العلمية ... ٢٢٢
الفن الثاني في المناظرات ، مناظرة
النعمان بن المنذر وكسرى ، مناظرة
أكثم بن صيفى ، مناظرة حاجب بن
زرارة ، مناظرة الحارث البكري ،
مناظرة عمرو بن الشريد ، مناظرة
علقمة بن علاثة ، مناظرة خالد بن
جعفر الكلابى ، مناظرة قيس بن
مسعود الشيبانى ، مناظرة عامر بن
الطفيل البهمرى ، مناظرة عمرو بن
معدى كرب ، مناظرة الحارث بن ظالم
المزى ، مناظرة رواية الكلبى عند
كسرى ، مناظرة الأشعث بن قيس ،
مناظرة بسطام بن قيس ، مناظرة
حاجب بن زرارة ، مناظرة قيس
ابن عاصم ...
مناظرات ومشاورات الهدى لاهل بيته
في حرب خراسان ... ٢٢٤
مناظرة سلام وجواب الهدى عليه
مناظرة الربيع ، مناظرة الفضل
ابن العباس ، مناظرة على بن الهدى
مناظرة موسى بن الهدى ، مناظرة
العباس بن محمد ، مناظرة هارون
للمهدى ، مناظرة صالح للمهدى ،

صفحة

- رسالة عبد العزيز محمد باشا ،
٩٩ رسالة حسن أفندى توفيق العدل ...
استمناح رجل لعبد الملك بن مروان -
استمناح العتابى لاحد أصدقائه ،
استمناح أعرابية لابن أبى بكره ،
استمناح حكيم فارض للمهلب ، تल्प
رجل في استمناح المنصور ، استمناح
ابن زرارة لمعاوية ، استمناح للمرحوم
مصطفى لطفى للمنفلوطى ، استمناح
الصابى لبعض الرؤساء ، استمناح
١٠٤ ابن عباد الى جعفر وزير المعتز ...
الفصل الثالث في رسائل الشكر -
رسالة الثعالبي ، رسالة الحسن ،
وهب ، رسالة الأمير أبى الفضل
الميكالى ، رسالة الشيخ محمد عبده
١١٢ الفصل الرابع في النصح والمشورة ،
رسالة الهمداني ، رسالة الاسكندر
المقدوني ، رسالة أرسطو الى
الاسكندر ، رسالة الامام على ، رسالة
السيد عبدالله النديم ، رسالة
١١٥ الشيخ محمد عبده ...
الفصل الخامس في رسائل العتاب -
كتاب الهمداني ، كتاب الجاحظ ،
كتاب الخوارزمى ، كتاب عبدالله بن
معاوية ، كتاب الشيخ عبد العزيز
جاويش ، كتاب معاوية الى ابنه
يزيد ، كتاب أعرابي الى ابنه ، كتاب
حفتى بك ناصف ، كتاب القاضي
الفاضل ... ١٢٤
الفصل السادس في الشكوى ، كتاب
الأمير الميكالى ، كتاب عبدالحميد بن
يحيى ، كتاب الشيخ محمد عبده ،
١٢٨ كتاب حافظ بك ابراهيم ...
الفصل السابع في وسائل العبادة ،
١٤٧ كتاب ابن الرومي ، كتاب الخوارزمى
الفضل الثمانى في رسائل
التهانى ، كتاب الثعالبي ، كتاب بديع
الزمان الهمداني ، كتاب الثعالبي
تهنئة بقدوم ، كتاب الثعالبي تهنئة
برمضان ، رسالة أبى الفرج الهبغا ،
كتاب المرحوم الشيخ حمزه ، كتاب
المرحوم محمد بك أبو النصر ، كتاب
المرحوم عبدالله باشا فكرى ... ١٥٣
الفصل التاسع في التعمازى
والتأبين ، كتاب الثعالبي ، كتاب
الهمداني ، كتاب اليازجى ، تأبين
الاحنف بن قيس ، تأبين الاسكندر
١٥٧ الفصل العاشر في وسائل الاجوبة
رسالة عبدالله باشا فكرى ، رسالة

صفحة

فيما لا يعنى ، فى الكرم والضيافة ،
 فى التميزية وتهوين الخطيب ، فى المكيل
 والميزان ، فى الرشوة ، فى مال اليتيم
 ومناعه ، فى صك الدين وانذار المعسر
 فى الاحكام والحكام ، فى اتهام الابرياء
 والمكابرة فى الحق والباطل ، فى أداء
 الشهادة ، فى الخبر اليقين ، فى
 الاستنكار والتعجب ، فى الحسامه
 والدفاع ، فى التحدى وعدم المبالاه ،
 فى الظن والشك ، فى التجوى والمؤامرة
 فى التبرؤ والتتصلل ، فى موقف
 المجرمين امام العدالة عند ظهور الحق
 فى الانقسام والالزام ، فى اليأس
 والتيتيس ، فى امضاء الامر ، فى حال
 المجرمين ، فى الشيب والكبير ،
 فى صفات الانسان ، فى الخوف ، فى
 التضجر والتحسر ، فى النسيان ، فى
 النفس الامارة بالسوء ، فى الرؤيا
 والاحلام ، فى زوال المكروه ، فى التعميم
 والسرور ، فى الجبال والبحار ، فى
 البساتين والرياحين ، فى التفكير
 والنظر ، فى العظة والمبرة ، فى تم
 الله وفضله ، فى ما استؤثر بعلمه ، فى
 العمل لوجه الله ، فى التحذير من
 النفس ، فى الاعتماد على الله ،
 فى الترغيب ، فى التقوى ، فى التوبة ،
 فى القرآن الكريم ، فى الانبياء والاستنباء
 والكتب والكتابة ، فى الافتراب فى
 الضعف والعجز ، فى البلاء وما يصاب
 الناس به ، فى الافتراء بالظهور ، فى
 البشرى والتهنئة فى الامتنان ، فى
 التحدث بالنعمة ، فى التأمين
 والطمانية ٣١٨
 أمثال العرب ٣١٩
 الفن الرابع فى الوصاف ٣٢٦
 وصف البلدان - وصف القسلاخ ،
 وصف الدور ، وصف الديار الخيالية
 وصف أيام الربيع ، وصف الرياض
 وصف طول الليل والسهر ، وصف
 انتصاف الليل وتناهيه ، وصف
 طلوع الشمس وغروبها ، وصف الرهد
 والبرق ، وصف مقدمات المطر ،
 وصف الثلج والبرد وزيام الشتاء ،
 وصف المطر ولقاء والسحاب ، وصف
 القيط وشدة الحر ، وصف الشمس ،
 وصف آلات الكتابة ، وصف الخطباء
 وصف الملوك ، وصف الملقباء ،
 وصف الشمس والشمس ، وصف

صفحة

مناظرة محمد بن الليث ، مناظرة
 معاوية بن عبدالله ٢٥٣
 وفود بكارة الهلالية على معاوية ٢٥٣
 مناظرة السيف والقلم لابن الوردي ٢٥٤
 مناظرة صاحب البحرى ، تمام ،
 الليل والنهار ، مناظرة الأرض
 والسماء ، مناظرة بين فصول العام
 مناظرة الخريف ، مناظرة الشتاء ،
 مناظرة البر والبحر ، مناظرة الهواء
 والماء ، مناظرة الجميل والحسان ٢٨٦
 الفن الثالث فى أمثال ٢٨٧
 أمثال القرآن الظاهرة ، أمثال القرآن
 والكامنة ٢٨٨
 فى الصدق ، فى الصبر والتبات ، فى
 المسلم والاسترشاد ، فى الاتحاد
 والوثام ، فى العفو ، فى الوفاء ، فى
 الاقتصاد ، فى الامر بالمعروف ، فى بر
 الوالدين والاقارب ، فى النصيحة ،
 فى الشكر ، فى الأفضاء والتغافل ، فى
 المدح ، فى التبرئة والتنزيه ، فى
 حسن الخلق ، فى الكذب والزور ، فى
 الخيانة وتقض العهد ، فى القتل
 والانتحار ، فى الزنا ، فى الظن
 والميسر ، فى البخل وحب المال ، فى
 فى الربا ، فى العجب والكبرياء فى
 الاستبداد والاثرة ، فى التفريق
 والاختلاف ، فى الجبن والفرار ، فى
 الامر بما لا يفعمل ، فى الغفلة ،
 فى انكار الجميل ، فى الدم والاهامة
 والتحقير ، فى الضالين والمضللين ،
 فى قرناء السوء ، فى المنافقين والمرائين ،
 فى تمثيل اعمال المرائين والمنافقين ،
 فى الانتذار والوعيد ، فى الحياة الزوجية
 فى آداب النساء ، فى الصلح والسلام ،
 فى الناس بخير ما تعاونوا ، فى الحسد
 على الصدقة ، فى التخية والاستئذان ،
 فى آداب المشى ، فى التلطف ، فى
 الدعوة ، فى الشورى ، فى الشفاعة ،
 فى الاخطاء والاصرار ، فى المسؤولية
 عن العمل ، الجهاد ، فى الايمان ،
 فى الكلام والانتصاع فى الجدول والمناظرة
 وبضلعها تميز الأشياء فى الحث على
 العمل ، فى الجزاء على العمل ، فى
 الجزاء من جنس العمل ، فى شبه
 الشئ منجسئد اليه ، فى الاعتقاد
 والبلى ، فى المستعدين والكارمين فى
 فرود الظلمة ، فى سوء عاقبة الظالمين
 الامراض من العسوى ، فى التدخل

صفحة

٢٨٧	وصف الشمس ، وصف القمر
٢٨٨	الفن الخامس في المقامات - المقامة الاسكندرية ، المقامة البشرية ...
	الفن السادس في الروايات - رواية ليلي الاخيلية ، رواية بنات المشاعر المقتول ، والمرأة المتكلمة بالقرآن ، مروان بن الحكم ، عبيد بن الأبرص ، أبو تراب والشريف العباسي ، المؤمن والمتظلمة ، عمر بن الخطاب والهرمزان ابراهيم بن المهدي ، الاحنف بن قيس ممن بن زائدة وجاره ، ممن بن زائدة والاسود ، معاوية والاعرابية ، الاحنف بين يدي عمر بن الخطاب ، أسيد بن عتقاء ، الفضل وجعفر اليرمكي ، براعة الرشيد في الأدب ، والواق وأبي دؤاد ، النصور والربيع بن يونس الاعرابي السائل ، معاوية والاحنف بن قيس ، الحجاج ورسول المهلب ، حديث معاوية ويلي الاخيلية سودة بنت عمارة معاوية ، أم سنان بنت جشمة ومعاوية
٤٢١	

صفحة

	الامراء والاشراف ، وصف القلم ، وصف الخط ، وصف الكتاب ، وصف عاصفة ، وصف المعلم ، وصف رجل لخصمه ، وصف ابن دلف لرجل اعرابي ، وصف الامام العادل ، وصف عمرو بن العاص لمصر ، وصف المطر وصف حديثه ، وصف البيان ، وصف الحكام ، وصف القرآن الكريم ، وصف البلاغة ، وصف عمر بن الخطاب ، وصف علي بن أبي طالب ، وصف كلام العرب ، وصف حرب ، وصف الكتاب وصف التاريخ ، وصف الرجل الكامل وصف قناة السويس ، وصف فرس وصف العصا ، وصف كرة القدم ، وصف جيوش ، وصف الحسد ، وصف أفضل الكلام ، وصف الشعراء والمحدثين ، وصف أبي تمام والبحتري والمنتبى ، وصف بعض احياء العرب ، وصف نهج البلاغة ، وصف حفلة - ومتحف ، وصف الفونراف ، وصف نظارة ، وصف سنان استيفانو ،
--	---

فهرس الجزء الثاني

صفحة

١٧	تقسيم كلام العرب الى نثر ونظم ، النثر والخطابة ، المجادلة ، خطباء العرب ، قيس بن ساعدة اليبادي ، أكتب بن صيفي ، الكتابة
٢٢	علوم العرب وفنونها ، علم النجوم ، الطب - والبيطرة ، الاخبار - والقصاص ، التأريخ - والجغرافيا الفراسة - والقيافة ، الكهانة والعرافة والزجر
٢٤	النظم والشعر - والشعراء
٢٦	أغراضه وفنونه
٤٧	الفخر والمدح والهجاء - والرثاء - الاعتذار - الوصف - والحكمة - والمثل ، معانيه وأخيلته ، والفاظه ، وأساليبه ، أوزانه وقوافيه
٤٧	الشعراء وطبقاتهم - والشعراء الجاهليون
٤٧	امرؤ القيس ومعلمته
٤٧	النايفة الديداني ومعلمته
٤٦	زهير بن أبي سلمى ومعلمته

صفحة

٣	الفن السابع في التساريخ - تاريخ ادب اللغة العربية - المقدمة الاولى في التاريخ - المقدمة الثانية في توضيح الاولى
٥	المقدمة الثالثة في جزيرة العرب
٦	المقدمة الرابعة في اللغة العربية
٧	المقدمة الخامسة في اللغة العربية
٨	المقدمة السادسة في حياة العرب
١٠	المقدمة السابعة في اخلاقهم
١٢	المقدمة الثامنة في دينهم
١٣	المقدمة التاسعة في ثقافتهم
١٣	المقدمة العاشرة في عصور الجاهلية
١٤	العصر الاول عصر الجاهلية - حالة اللغة في ذلك العصر
١٥	سوق عكاظ - كلام العرب
	أغراض اللغة في الجاهلية - معاني اللغة في الجاهلية ، عبارة اللغة في الجاهلية
١٦	

صفحة	
١٥١	جيرير
١٥٢	الكميت
١٥٥	الرواية والرواة
	العصر الثالث عصر الدولة العباسية
	أحوال اللغة العربية وآدابها في هذا
١٥٦	العصر
١٥٦	خلفاء بني العباس
	أغراض اللغة - الماني والافكار ،
	الألفاظ والأساليب ، النشر ، الحادثة
١٥٧	أو لغة التخاطب ، الخطابة والخطباء
١٦٠	داود بن علي
١٦١	شبيب بن شيبه
١٦٢	الكتابة الخطية والانشائية
١٦٣	ابن مقلة
١٦٤	الكتابة الانشائية في الرسائل
١٦٤	الكتابة في هذا العصر
١٦٥	ابن المقفع
١٦٦	ابراهيم الصولي
١٦٧	ابن العميد
١٦٨	بقية الخلفاء العباسيين
١٦٩	الصاحب بن عباد
١٧٠	بديع الزمان الهمداني
١٧١	ابن زيدون
١٧١	القاضي العادل
١٧٢	التدوين والتصنيف
١٧٣	كتابة التصنيف والتدوين
١٧٤	العلوم اللسانية ونشأتها
١٧٤	الجاحظ
١٧٤	أحمد بن عبد ربه
١٧٥	الحريري
١٧٦	فن التأريخ
	العروض والقافية ، والنحو ، علم
١٧٧	اللغة علوم البلاغة
١٧٨	الخليل بن أحمد
١٧٩	سيبويه - الكساني
١٨٠	العلوم الشرعية - كتب الحديث
١٨١	الإمام البخاري - علم الفقه
٢٨٢	الإمام أبو حنيفة
١٨٣	الإمام مالك
١٨٣	الإمام الشافعي
١٨٣	الإمام أحمد بن حنبل
١٨٣	علم الكلام
١٨٤	أبو الحسن الأشعري
١٨٥	الفرائي
١٨٥	نشأة العلوم الكونية

صفحة	
٥٣	بشرة العيسى ومعلقته
٦١	عمرو بن كلثوم ومعلقته
٦٩	طرفة بن العبد ومعلقته
٧٩	أعشى بن ابيس ومعلقته
٨٣	الحارث بن حلزة ومعلقته
٨٧	ليبد بن ربيعة ومعلقته
٩٦	عاقمة الفحل ومعلقته
٩٩	أمية بن أبي الصلت وقصيدته
١٠١	خلفاء أمية
	العصر الثاني عصر صدر الاسلام
١٠١	حالة اللغة في ذلك العصر
	القرآن الكريم - اعجاز القرآن
١٠٣	الشريف
١٠٤	جمع القرآن وكتابه
	صاحب الشريعة محمد صلى الله
١٠٥	عليه وسلم
١٠٧	الحديث النبوي
	النثر لغة التخاطب والخطباء ،
١٠٨	الكتابة
١٠٩	الخطابة في هذا العصر والخطباء
١١٠	النبي صلى الله عليه وسلم وخطبه
	عمر بن الخطاب وخطبه - خطبته في
١١٢	القضاء الى ابي موسى
١١٨	عثمان بن عفان وخطبه
١١٩	علي بن ابي طالب وخطبه
١٢١	سحبان وال وخطبه
١٢٢	زياد بن ابيه وخطبه
١٢٣	الحجاج الثقفي وخطبه
١٢٦	طارق بن زياد وخطبه
١٢٧	الكتابة الخطية
١٢٨	الكتابة الانشائية
١٢٩	مميزات الكتاب في هذا العصر
١٣٠	عبد الحميد الكاتب
١٣١	التدوين والتصنيف
١٣٢	الشعر والشعراء
١٣٣	أغراض الشعر وقنونه
	معانيه وأخيلته وألفاظه ، والشعراء
١٣٤	في هذا العصر
١٣٥	كعب بن زهير وقصيدته بانث سعاد
١٣٩	عمرو بن معد يكرب الزبيدي
١٤٠	الخنساء
١٤٣	الخطيب
١٤٤	حسان بن ثابت
١٤٥	الأنباغة الجمدي
١٤٦	عمرو بن ابي ربيعة
١٤٨	الأخطل
١٥٠	الفرزدق

صفحة

رفاعة بك الطهطاوى ، عبدالله فكرى	٢١٩
باشا ، على مبارك باشا ، الشيخ	٢٥٣
محمد عبده ، الشيخ حمزة فتح الله ،	٢٥٣
المرحومة ملك حفنى ناصف ، الشعر	٢٦٠
وزعماء النهضة الحديثة ، محمود	٢٦٠
صفوت الساعاتى ، الشيخ على اللبى	
الشيخ شهاب الدين ، حفنى ناصف	
بك ، مصطفى كامل باشا ، محمد	
فريد ، سعد زغلول باشا ، مصطفى	
النحاس باشا ، الفازى مصطفى	
كمال ، محمود سامى البارودى باشا ،	
أحمد شوقى بك ، محمد حافظ	
ابراهيم بك ، اسماعيل صبرى باشا،	
خليل بك مطران	٢١٩
أبواب الشعر العربى	٢٥٣
الباب الاول فى المديح	٢٥٣
الباب الثانى فى الفخر والحماسة	٢٦٠
الباب الثالث فى شكوى الزمان	٢٦٠
الباب الرابع فى الوصف - وصف	
الشعراء آراء الحكماء والشعراء فيه	
شعر فيكتور هوغو ، وصف طيارة	
لحافظ ابراهيم ، وصف نزال صقلية	
لحافظ ابراهيم ، وصف سيف	
للبحترى ، وصف القلم للمنفلوطى ،	
وصف أبى الهول لشوقى ، وصف	
النحل ومملكته لشوقى ، وصف مقبرة	
آمون لشوقى ، وصف مكتوب ، وصف	
الخط ، وصف الكتابة والبلاغة ،	
وصف الموز والكمثرى والتفاح ،	
وصف الخوخ والشمش والرمان ،	
وصف النخيل والبلح ، وصف البطيخ	
وصف الكرم والعنب ، وصف الهلال	
والثريا والزهرة ، وصف السماء	
والارض والليل ، وصف الغيث	
والربيع ، وصف واد ، وصف جمر	
يملوه رماد ، وصف بدر ، وصف	
هلال ، وصف روض وربيع ، وصف	
الهلال ، الصبح والليل ، وصف الندى	
على البحر ، وصف الجو وادبار	
الليل ، المطر ، وصف الصبح والليل	
وصف وحشة الليل والنجوم ،	
النارنج ، وصف الشمس والبدر ،	
وصف القلم ، والسيف ، والليون	

صفحة

الشعر والشعراء	١٨٧
بشار بن برد	١٨٨
أبو نواس	١٨٩
مسلم بن الوليد	١٩٠
أبو العتاهية	١٩١
أبو تمام	١٩٢
البحترى	١٩٤
ابن الرومى	١٩٥
ابن المعتز	١٩٦
أبو الطيب المتنبى	١٩٦
ابن هانيء الأندلسى	١٩٨
أبو العلاء المعرى	١٩٩
ابن خفاجة الأندلسى	٢٠١
الطفرائى	٢٠٢
البهاء زهير	٢٠٢
الرواية والرواة	٢٠٣
العصر الرابع عصر الدولة التركية	
حالة اللغة وآدابها فى ذلك العصر ،	
النثر ، لغة التخاطب ، الخطابة ،	
الكتابة الخطية ، الكتابة الانشائية	
الكتاب فى هذا العصر	٢٠٢
القاصى محبى الدين	٢٠٥
شهاب الدين العمري	٢٠٦
لسان الدين بن الخطيب	٢٠٦
التدوين والتصنيف ، الادب	٢٠٧
بقية العلوم الاسلامية	٢٠٨
كتابة التدوين والتصنيف	٢٠٨
ابن خلكان ، ابن خلدون ، جلال الدين	
السيوطى	٢٠٨
الشعر والشعراء فى هذا العصر ،	
البوصيرى ، صفى الدين الحلى ،	
ابن نباتة المصرى ، ابن معنوق	
الموسوى	٢١٠
العصر الخامس - النهضة الاخيرة	
محمد على باشا	٢١٢
مدرسة الطب	٢١٣
ايقاظ محمد على للشرق	٢١٣
الخدوى اسماعيل	٢١٤
مظاهر النهضة الحديثة فى العلوم	٢١٤
الترجمة والتأليف	٢١٥
حالة اللغة العربية وآدابها فى هذا	
العصر	٢٢٦
النثر - المحادثة - الخطابة	٢١٧
الكتابة ، الخطية ، كتابة التدوين	٢١٨
زعماء النهضة العلمية الحديثة :	

صفحة

٣٨٨	الباب السابع فى المرائى
٤٠١	الباب الثامن فى الحكم والتصانح
٤٥٠	الباب التاسع فى العلم
٤٥٤	الباب العاشر فى العقل
٤٥٥	الباب الحادى عشر فى الادب
٤٧٨	الباب الثانى عشر فى الصبر والتأنى
٤٨٠	الباب الثالث عشر فى الصدق
٤٨٠	الباب الرابع عشر فى الكلب
٤٨٠	الباب الخامس عشر فى التواضع
٤٨١	الباب السادس عشر فى الكرم
٤٨١	الباب السابع عشر فى البخل والبخلاء
٤٨٣	الباب الثامن عشر فى وصف الدنيا
٤٨٤	الباب التاسع عشر فى الاسرار
٤٨٥	الباب العشرون فى اللسان
٤٨٥	الباب الحادى والعشرون فى المعاشرة
٤٨٦	الباب الثانى والعشرون فى القناعة
٤٨٧	الباب الثالث والعشرون فى الحسد
٤٨٨	الباب الرابع والعشرون فى الحلم
٤٨٩	الباب الخامس والعشرون فى الحماسة
٤٨٩	الباب السادس والعشرون فى الوطن
٤٨٩	الباب السابع والعشرون فى المال
٤٩١	الباب الثامن والعشرون فى السياحة
٤٩٢	الباب التاسع والعشرون فى الغدر
٤٩٣	الباب الثلاثون فى الختام والدعاء

صفحة

٢٦٠	وصف النارنج والفسستق والتين واللوز ، وصف الجزر، النبق، قصب السكر ، وصف نهر محوله أشجار الجنار ، وصف الرياض والبرق ، وصف روضة صنعاء ، وزهرية ، وصف الفيث ، والثلج ، ومرآة ، وصف جواد ، وصف سفرجل ورمان وتفاح ، الشقائق ، وصف اقتران الزهرة والهلل ، وصف الجليدوالثلج وصف الرمح والسيف والحسرب وأبطالها ، وصف دار بناها صاحب بن عباد ، وصف زوج اثنين ، وصف قصر المعتز بالله ، وصف جواد، وصف حديقة ، وصف الطبيعة ، وصف النيل لحافظ ابراهيم ، وصف حال اللغة العربية ، وصف قطار البخار - للرصافى ، وصف سكان جزيرة كريد وصف المقراض ، وصف السمعة ، وصف قصر وبركة عليها أشجار ، وصف صقلية ، وصف بوان ، وصف طيارة لحافظ ابراهيم ، وصف قطار السكة الحديد ، وصف حريق عابدين
٣٦٠	وصف خزان أسوان
٣٦٩	الباب الخامس فى الاستعطاف
٣٧٦	الباب السادس فى التهانى والتهادى